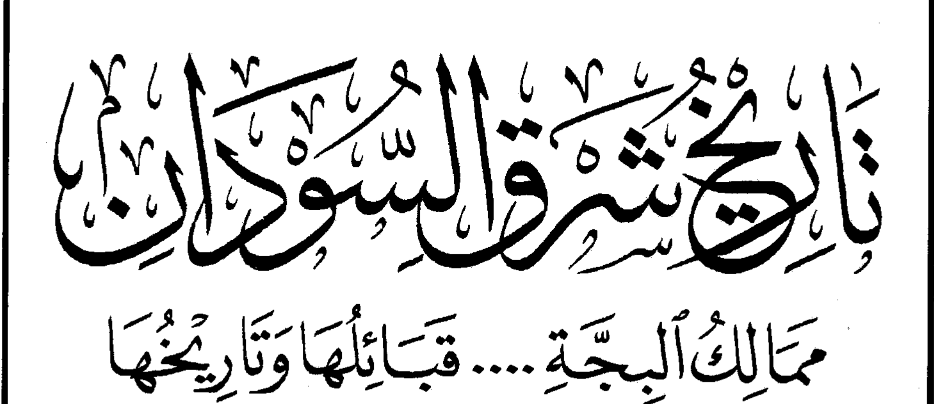
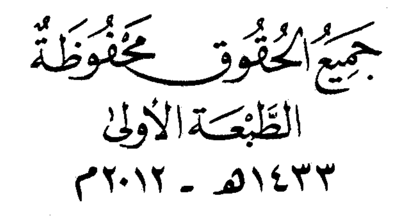



تأليف
محمد صالح ضرار

مكتبة
التوبة




جميع الحقوق محفوظة



الطبعة الأولى

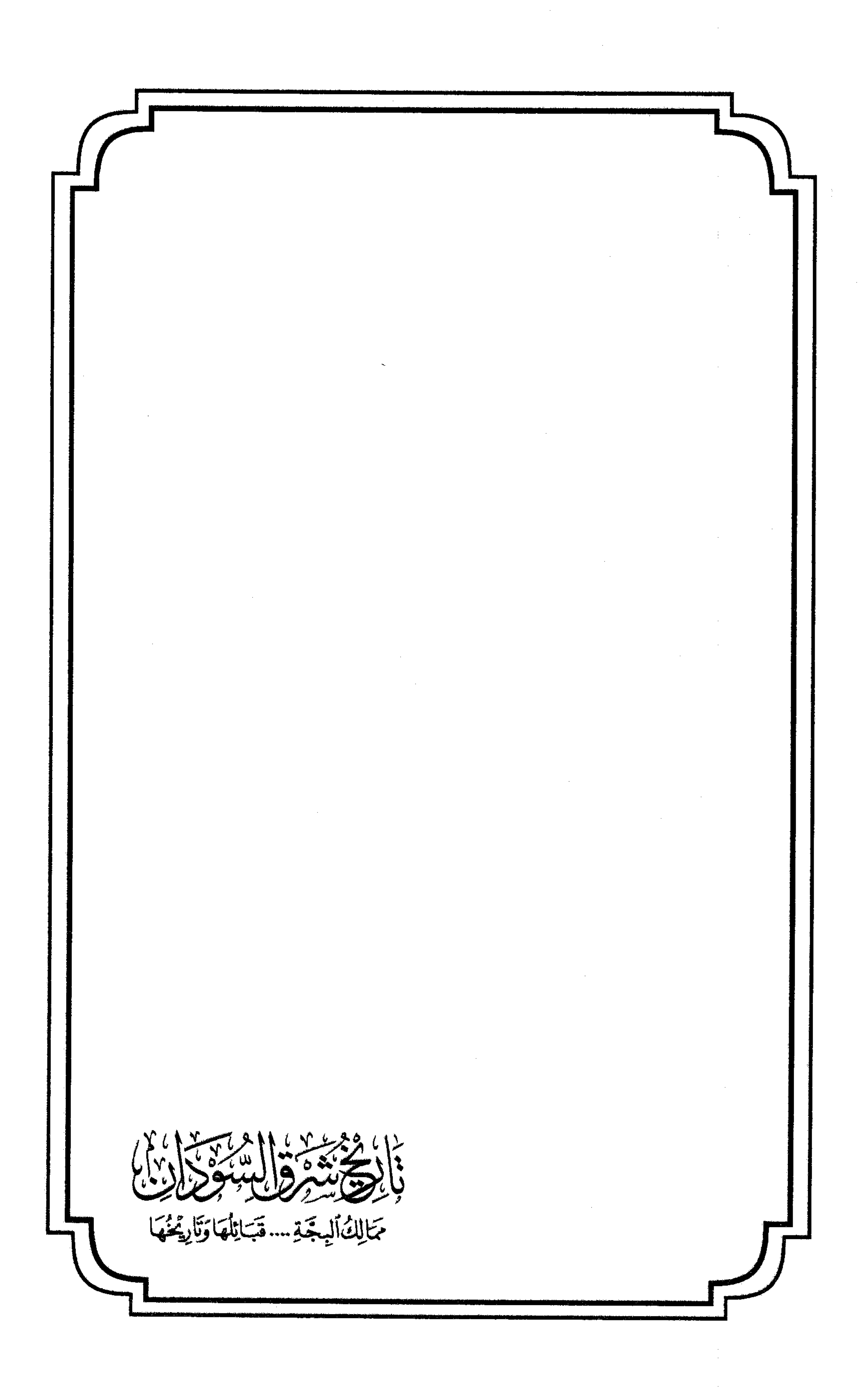
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

مكتبة التوبة

شارع جرير - الرياض - المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٧٦٣٤٢١ - فكس ٤٧٧٤٨٦٢

الرياض ١١٤١٥ - ص.ب ١٨٢٩٠



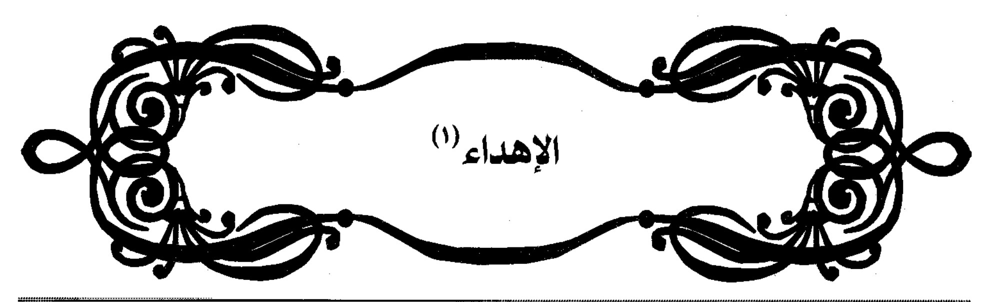
تاريخ شرق السودان
ممالك البجة ..... قبائلها وتاريخها


بسم الله الرحمن الرحيم



محمد صالح ضرار
عندما بدأ البحث والدراسة
١٩٢٧/٨/٣١





# الإهداء[1]



من الشاعر البريطاني كبلنج إلى الرجل البجاوي.

إلى البجاوي ذي الشعر الأشعث.

لقد التحمنا في معارك ضد كثير من الرجال عبر البحار وكان بعضهم يتسم بالشجاعة، وبعضهم لم يكن كذلك، وكان هناك الباثيون، والزولو، والبورميون، بيد أن البجاوي كان أروع الجميع.

إذ أننا لم نستطع أن نحصل منه حتى على شروى نقير. فقد كان يُقعي بين الأشجار، ثم يهبّ واثباً على فرساننا، فكم قتل منهم في سواكن عندما كان يلعب بقواتنا كما يلعب القط بالعصفور.

---

(١) ترجمة ضرار صالح ضرار.

لهذا، فإنني أتقدم بهذا الإهداء لك أيها البجاوي في وطنك السودان.

إنك رجل داهمه الظلام، ولكنك محارب من الطراز الأول.

إننا هنا نقدم لك شهادتك، وإذا أردتها ممهورة فإننا سوف نجيء إليك، وستكون لنا معك جولة ثانية في أي وقت تشاء.

لقد كانت لنا دورات في تلال خيبر وأخذنا فرصتنا هناك، أما البوير فقد أداروا رؤوسنا رغم بعدنا عنهم، وسلط البورميون فينا برودة إيراوادي، أما شياطين الزولو فقد نافسونا في الأسلوب، ولكن كل ما أصابنا من هؤلاء لم يكن يساوي قطرة مما جرَّعنا إياه ذلك البجاوي.

نعم، إننا حين التقينا بالبجاوي رجلاً برجل فإنه قد صرعنا جميعاً، وقلبنا رأساً على عقب. وجرَّعنا الويل. وبعد كل ذلك تعلق صحافتنا بأننا صمدنا ولم نتزحزح عن أماكننا.

لذلك فإنني أقدم لك هذا الإهداء أيها البجاوي، إنني أقدم لك هذا الإهداء لك ولزوجتك وطفلك. كانت الأوامر التي صدرت إلينا تقضي بأن نحطمك، وبالفعل فقد جئنا، لنقوم بذلك.

لقد أجهزنا عليك ببنادق المارتيني، ولم يكن ذلك من الإنصاف في شيء.

ولكن بالرغم من كل الظروف القاسية التي واجهتك، فإنك يا أيها البجاوي قد حطمت المربع.

لم يحدث أن حصل هذا البجاوي على أي شهادات، وليست لديه ميداليات أو أوسمة.

لذلك، فعلينا أن نشهد له بمهارته التي أظهرها في استعمال صارمه ذي الحدين.

إنه عندما يثب من بين الأشجار، وقد حمل ترسه المستدير المدبب الوسط، ورمحه العريض السنان،

فإن باستطاعة هذا البجاوي أن يذيق بأسلحته تلك في خلال يوم واحد فقط ما يجعل الجندي البريطاني السليم يجتر تلك الذكرى المريرة لمدة عام كامل.

لذلك، فإليك هذا الإهداء أيها البجاوي، وإلى أصدقائك الذين فقدوا حياتهم، ولو لم نكن قد فقدنا بعض زملائنا الذين كانوا يعيشون معنا في مساكننا لكنا شاركناك في تنديدك بأعمالنا.

ولكن كما تعلم، فإن الأخذ والعطاء هو سنة الحياة، وإننا سنقول بأن الصفقة كانت عادلة، لأنك إن كنت قد خسرت أعداداً أكبر منا فإنك دون شك قد استطعت أن تهشم المربع البريطاني.

❋ ❋ ❋

إنه يهجم على الدخان عندما نتوقف عن التقدم. وقبل أن نتبين الموقف نراه وقد أهوى بسيفه على رؤوسنا.

إنه زهرة الديزي، إنه جوهرة، إنه حمل وديع، إنه قطعة من المطاط المهووس بالانطلاق، إنه الشيء الوحيد في هذا العالم الذي لا يعطي مثقال ذرة من الأهمية لكتيبة المشاة البريطانيين.

لذلك، فإليك أيها البجاوي وأنت في وطنك السودان هذا الإهداء.

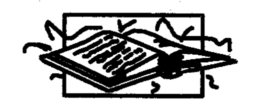
إنك رجل فقير، ولكنك محارب من الطراز الأول.

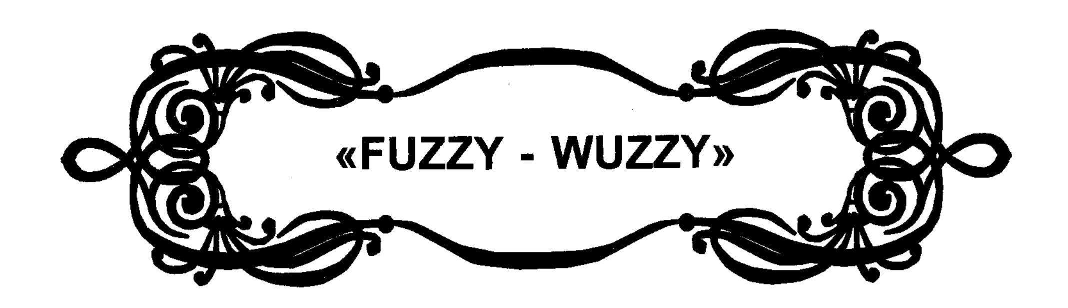
إليك هذا الإهداء أيها البجاوي ذو الشعر الكث. نعم، إليك أنت أيها المارد الأسود الجبار هذا الإهداء لأنك أنت حطمت المربع البريطاني.

**من**

**رديارد كبلنج**

**شاعر الإمبراطورية البريطانية**



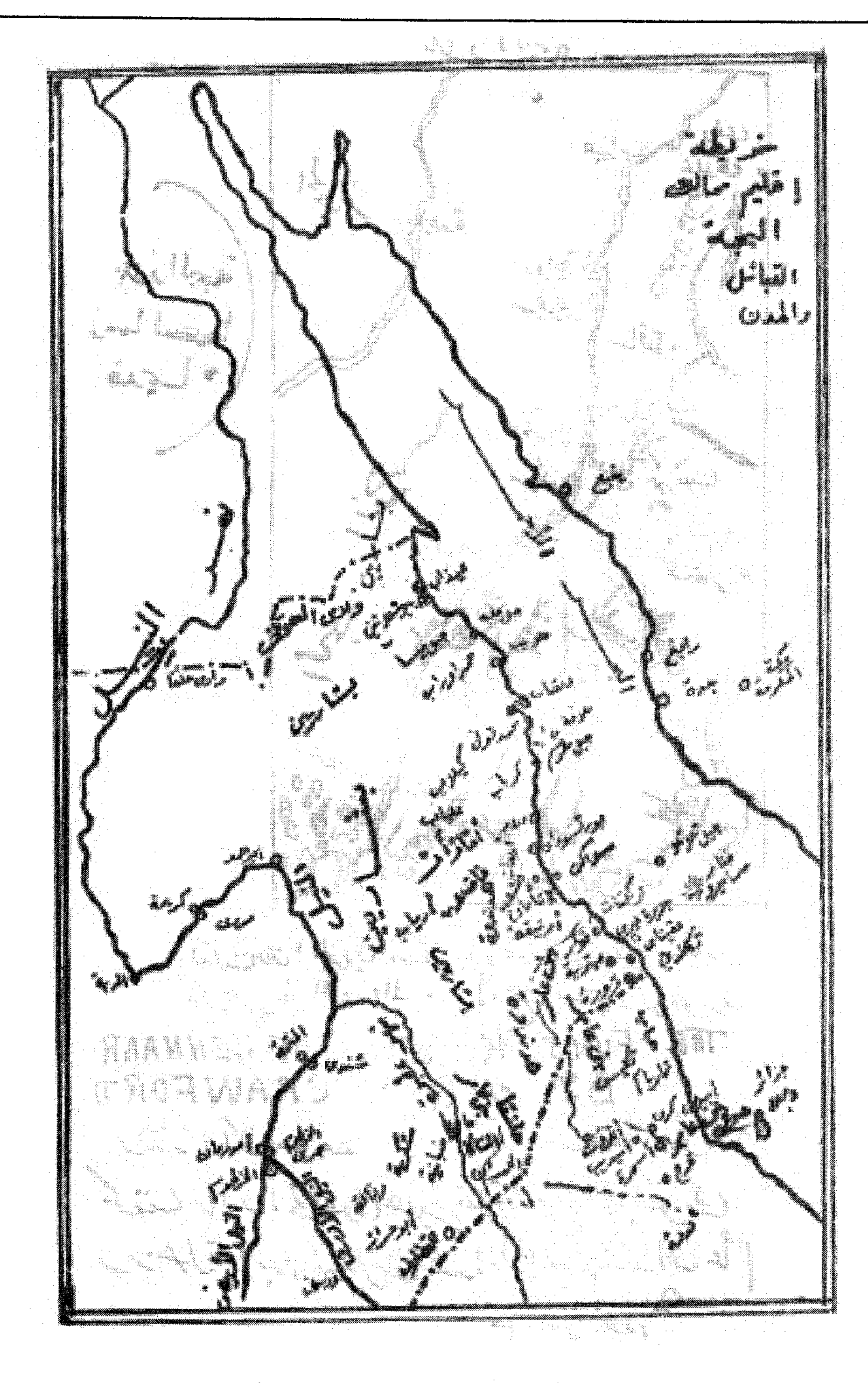



(Souban Expeditionary Force. Early Campaigns)
We've Fought With many men acrost the seas,
An'some of'em was brave an'some was not:
The Paythan an'the Zulu an'Butmese;
But the Fuzzy was the finest o'the lot.
We never got a ha'porth's change of'im:
'E squatted in the scrub an''ocked our'orses,
'E cut our sentries up at Suakin,
An' 'e played the cat an'banjo with our forces.
So'ere's to you, Fuzzy-Wuzzy, at your' ome in the Soudan;
You're a pore benighted' eathen but a first-class fightin' man;
We give your cetificate, an'if you want it signed.
We'll come an' 'ave a romp with you whenever you're inclined.
We took our chanst among the Kyber'ills,
The Boers knocked us silly at a mile;
The Burman give us Irriwaddy chills,
An'a Zuiu impi dished us up in style:
But all we ever got from snch as they
Was pod to what the Fuzzy made us swaller;
We' eld our bloomin' own, the papers say,
But man for man the Fuzzy Knocked us'oller;
Then'ere's to you, Fuzzy-Wuzzy, an' the missis & the kid;
Our orders was to break you, an' of course we went an'did.
We sloshed you withe Martinis, an' it wasn't ardly fair;

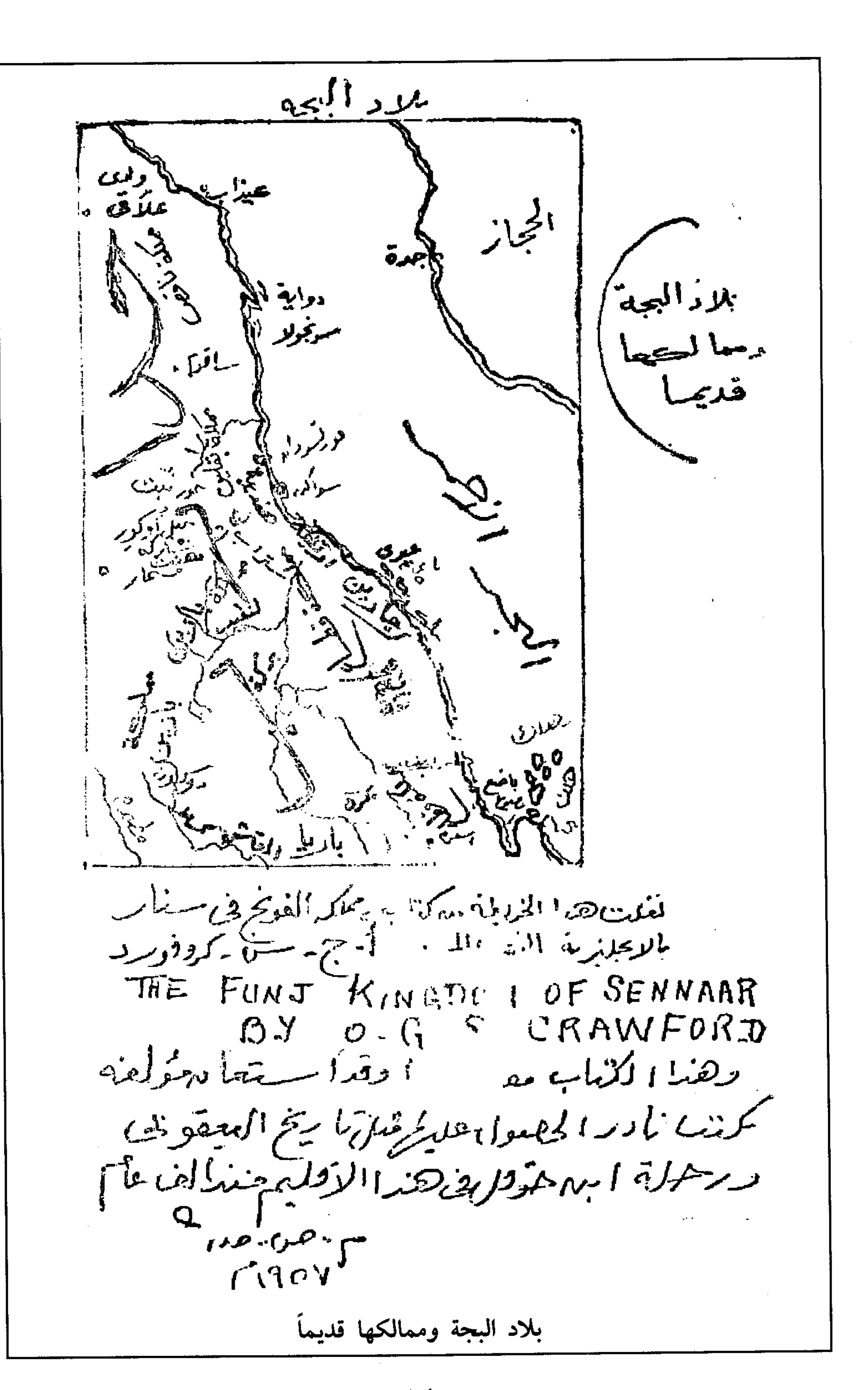
But for all the odds agin'yon' Fuzzy-Wuzzy' you broke the square.
' E'asn't got no papers of'is own,
'E asn't got no medals nor rewards,
So we must certify the skill'e's shown
In usin' of' is long two-'anded'swords:
When' e's'oppin' in an' out among the bush
With'is coffin'eaded shield an'shovel-spear,
An'appy day with Fuzzy on the rush
Will last an'ealthy Tommy for a year.
So'ere's to you, Fuzzy-Wuzzy, an'your friends which are no more.
Ifwe' adn't lost some messmates we would'elp you to deplore.
But give an'take's the gospel, an'we' II call the bargain fair,
For if you ave lost more than us, you crumpled up the squarel.
'E rushes at the smoke when we let drive,
An' before we know, 'e's ackin' at our' ead;
'E's all'ot sand an' ginger when alive,
An' e's generally shammin' when' e's' dead.
'E's a daisy, 'e' s a duck,'e's a lamb!
'E s a india-rubber idiot on the spree,
'E's the on'y thing that doesn't give a damn
For a Regiment o' British Infantree!
So 'ere' s to you, Fuzzy-Wuzzy, at your'ome in the Soudan;
You're a pore benighied eathen but a first-class fightin; man;
An' ere' to you. Fuzzy-Wuzzy, With your' ayrick' ead of' air.
You big black boundin, bagger- for you broke a British squars!








خريطة إقليم ممالك البجة: القبائل والمدن




بلاد البجة وممالكها قديماً

# الجزء الأول

## أقاليم البجة وأصلها

## مملكة قبائل بني عامر - قبائل وحوادثها

## تاريخ قبائل بني عامر - قبائل وحوادثها

## تاريخ قبائل الأمارأر والبشاريين





# محمد صالح ضرار

## ١٨٩٢ - ١٩٧٢

اهتم محمد صالح ضرار بتاريخ كل ما اتصل بإقليم البجة من قبائل وأحداث وتراث. وكرَّس وقتاً كبيراً في تدوين كل ما استطاع أن يلم به من تاريخ هذا الإقليم. وكما يبدو من سطور مقدمته، فإن النفثة الأولى التي جعلته يكتب تاريخ البجة، هي الكلمات الحماسية التي ألقاها الأستاذ الشيخ ماضي أبو العزائم على التلميذ الصغير محمد صالح ضرار. وهو في مدرسة سواكن، وكان أبو العزائم قد تحدث للتلاميذ حديثاً ثورياً عن أمير الأمراء عثمان أبو بكر دقنة. وجذبت شخصية الأمير المؤرخ محمد صالح ضرار وحملته على دراسة أفعال الأمير وتاريخ قيادته كما حملته على دراسة إقليم البجة.

والكاتب هو ابن الشيخ ضرار علي عمدة قبيلة العجيلاب والأفلندة. واسمه مركب من اسمين كما جرت عادة كثير من السودانيين في ذلك. ولكنه كان في بعض الفترات يدعى باسم صالح ضرار، ومن ثم فإن أبناءه كتبت أسماؤهم بدون ظهور اسم محمد فيها. ولكن بعد شبابه أصبح اسم محمد لا يفارق الاسم الثاني وعرف بأنه محمد صالح ضرار.

كتب مؤرخنا العديد من المؤلفات. فهو بالإضافة إلى كتاب تاريخ سواكن الذي ظهرت طبعته الأولى سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م)، فقد طبع كتاب «حياة تاجوج والمحلق»، وما زالت المؤلفات التالية معدة للطبع وهي:

١ ـ تاريخ إرتريا والصومال، باعتبار هذين القطرين كانا أجزاء من السودان في القرن الماضي (التاسع عشر الميلادي).

٢ - تاريخ إقليم البجة.

٣ - تاريخ قبائل الحلنقة والهدندوة والملهيتكناب والسيقولاب والرشايدة.

٤ - تاريخ قبائل الحباب والحماسين بالسودان وإرتريا.

٥ - تاريخ قبائل بني عامر بالسودان وإرتريا.

٦ - تاريخ قبائل الأمارأر والبشاريين.

وبالإضافة إلى ذلك فقد دوَّن حوادث المهدية في كسلا وكتب صفحات عديدة عن الأمير عثمان أبو بكر دقنة وغير ذلك من المقالات والمحاضرات. وربما كان من المفيد أن أنقل هنا بعض ما كتبه عن نفسه بخط يده في بعض أوراقه:

١ - الاسم: محمد صالح بن ضرار علي.

٢ - القبيلة: ملهيتكناب فخذ العجيلاب البكرية (أبناء أبي بكر الصديق).

٣ - القبيلة (العجيلاب) تسكن منطقة عقيتاي جنوب توكر على سواحل البحر الأحمر وتبعد نحو خمسة كيلو مترات عن ساحل البحر الأحمر حيث تقع جزيرة الريح التي كان يشكلها العرب حتى عام ٤٧٥هـ.

٤ - ولدت بعقيتاي في ١٣ ذي الحجة سنة ١٣١٠هـ.

٥ - درست القرآن بالجامع الشافعي بسواكن وأنا ابن عشر سنين.

٦ - دخلت مدرسة سواكن الأميرية سنة ١٩٠٣، وأتممت بها تعليمي. وقبلت بكلية عردون التدكارية بالخرطوم ولكن لم يكن باستطاعتي دفع المصاريف المدرسية ووقفت حائلاً بيني وبين الدراسة فيها، فآثرت البحث عم عمل. ونلت الشهادة بكلية غوردون سنة ١٩٠٨.

٧ - في سنة ١٩٠٩م، التحقت بالخدمة في شركة التلغراف الشرقي، EASTEREN TELEGRAPH وكنت أقضي أوقات فراغي في قراءة الصحف السياسية والمجلات العلمية والكتب التاريخية التي كانت تزخر بها «غرفة المطالعة الأدبية» بسواكن.

٨ ـ وكرست من وقتي ساعتين كل يوم لدراسة الفقه وقراءة القرآن بالتجويد على الشيخ بشير محمد كريت الأرتيقي[١] بجامع السيد محمد عثمان تاج السر (الميرغني).

٩ ـ وفي أول يناير سنة ١٩١٦م، تركت أكل اللحوم والأسماك وكل ما فيه روح واكتفيت باللبن والعدس حتى كانت سنة ١٩١٩، فعدت إلى ما قبل سنة ١٩١٦ من الحياة.

١٠ ـ كلما سافرت إلى أي جهة من إقليم البجة أو اجتمعت بوالدي (ولد سنة ١٨٤٥ تقريباً وتوفي سنة ١٩٢٠م) وأعمامي وكلهم اشتركوا في جميع حوادث شرق السودان وبايعوا الأمير عثمان دقنة سألتهم عن أحداث القبائل وتاريخها.

١١ ـ دوّنت أشعاراً كثيرة بلغة بني عامر (تيجري) والبجاوية. وبعضها يرجع إلى ما قبل أكثر من ثلاثمائة سنة ففيها الحوادث المهمة، والمواقع الحربية، والتكتلات القبلية، ووصف للمراعي، والمناهل، والأراضي، وذكر الشجعان والأجواد، والبخلاء، إلخ... ووجدت كثيرين ممن يصفون لي الحوادث الواردة في الشعر القديم، وفي لغة التيجري يلتزمون الروي بالقصائد الطويلة، أما بالبجاوية فهي مثل الدوبيت (بيتان فقط).

١٢ ـ طول خدمتي بهذه الشركة كان سبباً في اتصالي بكل شيوخ سواكن والبوادي خصوصاً نظار القبائل، وكلهم كانوا من القراء والكتاب، وقد عاصر أكثرهم الحكم التركي والمهدية.

١٣ ـ كنت تلغرافجياً، ثم اشتغلت محاسباً حتى سنة ١٩٥٣م فأحلت إلى المعاش.

١٤ ـ كنت أقتني دائماً كتب الأدب والاجتماع والتاريخ خصوصاً ما كان خاصاً بتاريخ السودان، ومذكرات رواد السودان منذ سنة ١٥٢٠م حتى يومنا هذا وأكثرها بالعربية والإنجليزية.

---

(١) من القبائل البجاوية وكانوا أصحاب مدينة سواكن.

١٥ ـ إجادتي للغتين السابقتين (التيجرية والبجاوية) أعانتني على الاتصال وفهم ما أريد معرفته من مؤرخي القبائل الذين لا يجيدون العربية، فكل ما دوّنته من الحوادث معرب إما من اللغة البجاوية أو التيجرية.

١٦ ـ عاصرت شيوخاً لا يتكلمون إلا في حوادث الماضي البعيد والقريب ودراستي للأدب العربي على بعض المدرسين حببت إلي البحث عن تاريخ حياة أمة البجة، بل كل السودان لأن الأمة التي ليس لها ماضي (قديم) ليس لها حاضر (جديد) وكرست أبحاثي عن إقليم البجة (شرق السودان) لثقتي بأن لهم تراثاً قديماً يجب أن يبعث.

١٧ ـ وفي سنة ١٩١١م نادى الدكتور.. صن يات صن.. بالصين للصينيين، وقبله في سنة ١٨٨١م نادى السيد أحمد عرابي باشا «مصر للمصريين» فكنت أنادي «بالسودان للسودانيين» ولم أحد عن هذا المبدأ في كتاباتي ومقالاتي منذ سنة ١٩٢٢م (وهو أول تاريخ لمقالي عن المهدي وعثمان دقنة). إذ كان يتلخص في: «لقد أحسن المهدي صنعاً بقتل غوردون إذ كفّ ضغط الجيش الإنجليزي على دقنة حول سواكن».

١٨ ـ أحب طبع كل مؤلفاتي الجاهزة (أولاً) مثل حياة تاجوج والمحلق، ثم تاريخ سواكن، إرتريا والصومال، وتاريخ قبائل الحباب والحماسين (بالسودان وإرتريا)، ثم تاريخ قبائل إقليم البجة مثل تاريخ كسلا والحلنقة وبني عامر والهدندوة والأمارأر والبشاريين والدقناب (رهط الأمير عثمان دقنة) وحوادث المهدية... إلخ.

١٩ ـ لما رأيت أن الأسانيد التاريخية متوفرة لدى كتب قديمة ومعلومات كثيرة عن قبائل البجة استحسنت الاشتغال بها.

٢٠ ـ ابن خلدون لم يذكر شيئاً عن الإقليم الذي أكتب عنه أو وقع عليه اختياري، ولكني أفضل عليه المقريزي الذي ألف كثيراً عن العرب والسودان ومصر، ثم نقل عن المؤرخ السوداني ابن سليم الأسواني الذي ضاع كتابه عن البجة وعلوة والنوبة... إلخ.

٢١ ـ أنا أعتبر أول مؤرخ عربي هو أحمد بن يعقوب الذي كان في أوائل القرن الثالث للهجرة.

٢٢ ـ الشاب من العشرين إلى الثلاثين تكون نفسه وثابة ودمه ثائراً، ومن الثلاثين حتى الأربعين يتردد، ومنها للخمسين يعمل (حساب) أي يعتريه التردد والهواجس وتربية الأولاد والمنزل... إلخ، ومن الخمسين لا يخشى إلا الله ويترفع عن كل الصغائر.

٢٣ ـ لم يستفد البجة كمجموعة أو أفراد من حكومات الأحزاب مؤتلفة أو مختلفة إلا الحزازات والضغائن وكراهية البعض وتحطيم كل المشاريع النافعة لتطويرهم، ولم تفتح هذه الحكومات عندنا حتى خلوة بسيطة، هذا بخلاف ما أغدقوه على سائر المديريات، انظر كيف كانت وزارة الأحزاب تنتخب من كل مديرية وزيراً وتحرم إقليم البجة من وزير بل من مدير لأي مصلحة، مع أن الكفاءات جمة وموجودة.

٢٤ ـ أحب أن يحكم السودان باللامركزية، أو النظام الذي اقترحه السيد عبدالرحمن علي طه وكان وزيراً للتعليم، كل مديرية أو ولاية على حدتها حتى التعليم الثانوي.

٢٥ ـ لم أجد أي صعوبة في رحلتي في بداوي أقليم البجة إلا من الوحوش الكاسرة ليلاً في الغابات والأحراش، وكدت يوماً من الأيام أن أموت عطشاً في سنة ١٩٤٢م لولا أن أدركني رفيقي بالماء من مكان سحيق.

٢٦ ـ كل بجاوي أو مؤرخ سوداني يستفيد جداً من مؤلفاتي ويمكن لكل باحث أن يعمل منها تحليلات علمية، ولو أنني قد عملت ملخصاً تاريخياً لكل قبائل إقليم البجة، لا أوافق على طبعه أو إخراجه إلا بعد استكمال التاريخ الكبير.

٢٧ ـ ليس لدي أي وقت لقراءة المؤلفات الحديثة، وأما السودان في قرن فليس فيه أي شيء عن إقليم البجة بتاتاً إلا بعض كلمات عن الأمير عثمان دقنة، والسبب أن الإقليم المذكور كان منفصلاً عن السودان لغة واتصالاً حتى سنة ١٩٠٥م إذ وصلت سكة حديد النيل بالبحر الأحمر (لا أدري ماذا في سائر الكتب عن الأمير عثمان دقنة الذي كتبت أنا عنه نحو خمسين صحيفة من الفولسكاب بعنوان: «حوادث المهدية بكسلا» وستكون

بسواكن وضواحيها أضعافاً مضاعفة)، وهذا جاكسون والمدام سارتوريس، فالأول: يمدح قومه ويشنع بالأنصار. والثانية: كانت بالعكس تذم الجيوش التركية المحاربة للأمير عثمان دقنة، وتمدح خططه الحربية وأساليبه العسكرية. ونحن نكتب في كل شيء الحقيقة المستقاة من الوطنيين الذين اشتركوا في المعارك وندع المستعمر لكتابهم وما يروق لديهم ولدى أنفسهم، فإن كتاباتهم كلها لا تخلو من الأغراض والتشنيع بالوطنيين.

٢٨ ـ كل الكتب المؤلفة عن السودان مفيدة جداً، ومن لم يستند عليها أو يقتنيها فلا يصح له أن يكتب حرفاً واحداً عن وطنه، ليت جمعية التاريخ بالكلية جامعة الخرطوم اليوم أو بوزارة الداخلية مركز الوثائق تسمح بطبع كتاب الشيخ إبراهيم عبدالدافع (الفونج والسلطنة الزرقاء). أو تاريخ الشيخ الزبير ودصنوه. وغيرهما من المخطوطات.

٢٩ ـ الاستعداد الفطري لدراسة التاريخ أولاً، ثم اقتناء الكتب الخاصة بما يريد المؤلف الكتابة عنه، وأهم شيء هو المراجع التاريخية.

٣٠ ـ لا مؤاخذة في تطرفي ضد عهد الأحزاب، وقد كنت حزبياً ولكني رأيتها تقبر الكفاءات وتجعل الشاة وراعي الشاة سيان، وهذا يتجافى مع ديمقراطيتي الإسلامية.

## ملحق ملحوظة:

لم أترك مكاناً مأهولاً، أو منهلاً مشهوراً في إقليم البجة إلا وزرته، واجتمعت بسكانه ومشايخه (من عيذاب شمالاً وحلايب حتى قرورة في الجنوب)، أما نهر أتبرة فقد طفته شرقاً وغرباً. وأقمت بين سكانه. ولكل قبيلة نطقها المختلف عن الأخرى لا يدركه إلا الخبير بالألفاظ البجاوية والتيجرية.

كنت أطوف هذا الإقليم وكان محظوراً على مثلي السير خلال ديار البجة لأنها كانت تسمى «مناطق مقفولة».

**محمد صالح ضرار**



هذا ما كتبه المؤرخ عن نفسه، ونعود الآن لنقول:

تبلغ عدد الصفحات التاريخية التي كتبها المؤلف ألفاً ومائتي صفحة من الفولسكاب، وهو بالإضافة إلى تدوين التاريخ والأشعار البجاوية باللغتين التيجرية والبجاوية، فإنه سجل بعض القصص التراثية، قصة عمر باشقير البني عامري وغرامياته وأشعاره باللغة التيجرية، وقصة محمود الفلج الهدندوي وغرامه وتعذيب ممتاز باشا له. وما جاء على لسان محمود من شعر بجاوي يفيض بالألم والأحزان. كما ترجم ذلك الشعر باللغة العربية.

كان مؤرخ قبائل إقليم البجة يهوى الأدب. وفي بداية حياته ألف بعض المقامات. وأهمها المقامة الترمسية، التي كان يذكرها أستاذنا الفاضل الشيخ مجذوب جلال الدين، عندما كنت طالباً في كلية غردون عام ١٩٣٧. وكان ينشد قول المؤرخ في المقامة.

كل النبات الغض دون الترمس ولبائعيه الفخر دون الأنفس

وهي من تراثه الباقي لدينا. كما أنه كان يتلذذ بإخراج المسرحيات التي كان يمثلها على حَمُو ومختار البَتَنُوني كأبطالها. وغيرهما من الشباب في بورتسودان، واتسع وقته لإنهاض كرة القدم في إقليم البجة. فكان مستشار فريق السواكنيين في بورتسودان منذ سنة **١٩٢٦**م، وكذلك في سنكات. فقامت على أكتافه وأقرانه نهضة رياضية بجلاء في الصور الفوتوغرافية التي احتفظ بها والتي ما زالت باقية مع مخلفاته.

ويُعتبر المؤرخ من مؤسسي نادي سواكن الأدبي الثقافي الرياضي في بورتسودان عام ١٩٠٠.

بذل هذا المؤرخ جهداً في الحصول على السيوف الأثرية في شرق السودان. وكان يجمع العصي النادرة أيضاً ويهدي من هذه وتلك لزواره في البيت مع ما يأخذون من علم دفاق في ساحته.

وما زلت أذكر ما رأيته في طفولتي في منزلنا من حشود لأفراد قبائل البجة من شيب وشيوخ أكل الدهر عليهم وشرب. وهم يسكنون في منزلنا

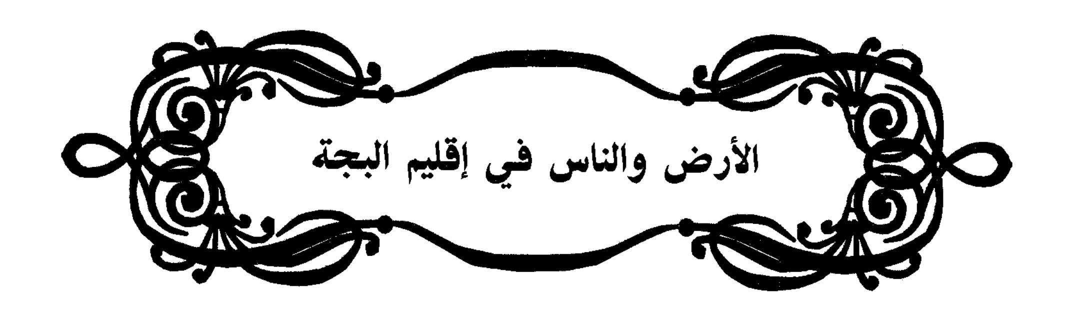
حيث تقوم أمي (رحمها الله) بإعداد الفطور لهم من اللقيمات بالسكر أو العسل، ومن العصيدة التي تعوم في السمن البلدي وقد تكدس السكر فيها أو طغى على جدرانها العسل. ولم تكن تقدم لهم الفول والبيض لأنهم لا يأكلون الأول ويحتقرون الثاني احتقارهم للدجاج وآكليه. وكانت أمي عليها الرحمة تملأ الأطباق باللحم والأرز والسمن ليأكل هؤلاء الأعاريب. وكنت أشاهد أبي المؤرخ وهو يجلس الساعات الطوال على برش الصلاة أمام أحد الأعاريب يستمع إليه وهو يتحدث بلغة غير العربية وينقل ما يقول في أوراق أمامه عرفت فيما بعد أنها باللغة العربية. لقد كان يؤم دارنا آحاد وعشرات من أولئك الشيوخ لينقل عنهم مؤرخنا. وكان في آخر النهار يدفع للواحد منهم عشرة قروش نظير ما أعطى من أخبار. لقد كان يقدر ما عندهم من أخبار قدراً عظيماً، وما كانوا يعلمون أن ما قصوه عليه يساوي كل ذلك المبلغ. كان ذلك على ما أذكر حوالى سنة **١٩٢٩**م وما بعدها، أما ما كان قبل ذلك فلا تعيه ذاكرتي.

إن ما كتب المؤلف من مخطوطات نأمل أن تظهر قريباً تباعاً حتى تظهر للعلم الحديث العطايا القيمة التي وهبها هذا المؤرخ لعالم التاريخ والاجتماع. والقراء والدارسون سيحددون قيمة العطايا التي قدمها محمد صالح ضرار. وسيرة هذا المؤرخ قد سارت بعيداً عند علماء الغرب بحكم اهتمامهم واتصالهم به منذ زمن بعيد والاعتراف بدائرة تخصصه. فما من دارس للدرجات العليا إلا وجلس إليه واستمع منه إلى ما لديه من معرفة وأحاديث.

وهذا الكتاب «تاريخ قبيلة الهدندوة والأمارأر والبشاريين وبني عامر والحلنقا والملهيتكناب والسيقولاب والرشايدة وغيرهم من سكان شرق السودان، إنما هي نموذج للجهد الذي بذله المؤلف في إخراج عطائه العلمي لطلاب الحقيقة وطالبي العلم والراغبين في دراسة علم الاجتماع وتطور الجماعات.

**ضرار صالح ضرار**

**ابن المؤلف**



# الأرض والناس في إقليم البجة

تبلغ مساحة السودان الشرقي ما يقرب من ١١٠,٠٠٠ ميلاً مربعاً تمتد من الشمال على الحدود المصرية السودانية من موضع بئر شلاتين شمال ميناء حلايب، وإلى الجنوب حتى ميناء مصوع بإرتريا. أما من ناحية الغرب فحدود هذا الإقليم تشمل الأراضي والتلال المحاذية للنيل من الشمال حتى عطبرة ولكن لا شأن لها بسهول النيل، ثم أنها تحوي نهر عطبرة وضفافه إلى الحدود الحبشية. أما من ناحية الشرق فإن شواطئ البحر الأحمر هي حدوده النهائية.

في هذه البقعة تسكن قبائل البجة المختلفة منذ آلاف السنين، وانتشرت جماعاتها وأفرادها يضربون في وديان السودان الشرقي، ويرقون جباله، ويقطعون صحاريه وسباسبه وهم على ظهور جمالهم يرعون بإبلهم وماشيتهم وضأنهم وأغنامهم، لا يزرعون إلا الذرة والدخن وهي الحبوب التي يصنعون منها خبزهم وطعامهم. ولا يغلون منها إلا ما يكفيهم مؤونة عامهم. فإن لم تهطل الأمطار في الموسم التالي ضاقت حالهم، ونضب ماؤهم، وماتت أنعامهم وضمرت أجسامهم.

والبجاوي في مظهره صغير المبنى، متوسط القامة، خفيف الحركة سريعها، يقفز إلى أعلى في خفة الطير، وإلى الأمام في سرعة الفهد، ووجهه نحيل بيضاوي وفكه غير عريض ولكنه ينزل في زاوية حادة إلى الذقن فتصبح كأنها زاوية المثلث. أما أنفه فحسن الاستقامة جميل التكوين ويبدو مثالاً حسناً للأنف القوقازي. وبشرة البجاوي بنية تشوبها حمرة. وشعره ناعم تغلب عليه الأمواج.

أما الأرض التي يسكن عليها فليست كلها بالأرض الكريمة التي تهب وتعطي، ولذلك فإن سكانها جبلوا على التقشف وحياة الجدب حتى أجسادهم ضامرة، ووجوههم نحيلة. ولما قلّت مطالبهم في الحياة احتفظوا بكبريائهم وكرامتهم، وبحبهم لحياة الاستقلال الفردي مع شعور عظيم بالشجاعة والتضحية والانتصار للقريب وللقبيلة، والابتعاد عن كل مظهر أجنبي، وعدم الثقة فيه أو الاعتماد عليه.

ماذا يريد البجاوي في حياته غير قليل من الماء والخبز، ومرعى لإبله وسائر أنعامه، وبضعة أدرع من قماش حول جسمه، ثم يتمنطق بسيفه، ويمسك برمحه ويعلق ترسه، ويمشي بعصاه الغليظة المحنية من أسفلها يضرب بها الحيات والثعابين، ويطرد بها الكلاب، ويلوح بها على ماشيته، وينزلها على رأس أعدائه! فهو يقضي النهار بطوله في صيف محرق دون أن يتجرع قطرة ماء، وتمضي عليه عدة ليال لا يتذوق فيها طعاماً، وهو بحاله راض قد وطن نفسه على أن تلك هي العيشة الهانئة التي لم يكتشفها أحد غيره بعد.

بالرغم من سعة الأرض التي يسكنها البجاوي إلا أنه حريص أشد الحرص على كل شبر فيها، فهو لا يتنازل عنها لغيره ولو أدى ذلك إلى القتال، وهو حريص على مرعاه وعلى ما في أرضه من كلأ وعشب وشجر، ويدافع عنها كما يدافع غيره عن أسمى ممتلكاته، ثم هو لا يسمح لغيره بحفر بئر في تلك الأرض مهما درت البئر من ماء له ولغيره، لأنه يعلم أن ذلك يعني نزوح عدد من الناس للسكنى في ذلك الرقعة من الأرض. ومن حفر بئراً في أرض البجاوي كمن حفر قبراً له، لذلك تراه يمانع ويجاهد دون ذلك مهما كلفه الجهد من جهاد، فهو لا يحب أن يجاوره أحد في أرضه، وقلَّ أن يؤمن بالتعايش السلمي والتبادل التجاري في منطقته لأنه بفطرته يشعر بأن ذلك إنما يجلب شر الأجنبي إلى بلاده لأن فيه استقراراً للغريب في أرضه، ومشاركة له في السيادة والملكية ومن ثم كان البجاوي دائماً يؤمن بالاكتفاء الذاتي في ملبسه وفي مأكله ومشربه، وفي ما يطلبه من متع الحياة.

كان البجاوي يرمق سواحله على البحر الأحمر بكثير من الشك والتهيب. ولعلهم الشعب الوحيد في التاريخ الذي سكن على شواطئ البحار ولم يشتغل بالملاحة والتجارة، أو يهتم بالتجارة بين بلدان العالم القديم. فسواحل السودان الشرقي لم يخرج منها ملاحون يجوبون الأقطار الأخرى، ولكنها كانت تستقبل رواد التجارة بموانئها دون أن يكون لهؤلاء التجار نفوذ على داخلية البلاد. فلم يبن البجة مراكب تجارية تجوب عرض البحر كما كانت الأمم التي عاصرتهم تفعل كالمصريين أو السبئيين أو الحميريين أو البطالسة والرومان. كلا فالبحر وأمواجه لم يستهو البجاوي مطلقاً. بل أن ما في جوف البحر من حوت ولآلئ لم يغر البجة لخوضه في سبيل الطعام والغنى، فهم اكتفوا بسفينة الصحراء واستعاضوا عن المراكب بالجمال، وعن لآلئ البحر بالأحجار من عقيق وغيره مما قد يجدونه في أرضهم، وعاشوا أمة برية طيلة حياتهم. وهم لا يستطيبون السمك فلا يأكلونه، ولا تجذبهم رائحته أو شكله، بل قد يعجبون من أولئك الذين يأكلونه بشهية، ولكنهم لا يقيسون شيئاً بلحم الضأن من بلدهم والتمر الذي تجلبه المراكب من العراق منذ قديم الزمن.

إن المنفذ الوحيد إلى أجزاء كثيرة من أفريقيا كان في موانئ السودان الشرقي وخاصة في مينائه العتيق التاريخ سواكن، فقد كانت سواكن تخدم كل أجزاء السودان الحديث، بل ومنها تمضي القوافل إلى أواسط أفريقيا وإلى غربها في عصور التاريخ المختلفة. ففي عصور الفراعنة كانت البهارات والأبنوس والفهود والأسود والقرود والعاج من أهم ما تتطلبه المدنية الفرعونية. لذلك صارت سواكن ميناء لها أهميتها الخاصة. وكذلك كان الأمر فيما تلا ذلك من عصور. وعندما انتشر الإسلام في أفريقيا ووصل إلى غربها أصبحت سواكن ذات مكانة خاصة في نقل الحجاج بين ضفتي البحر الأحمر. وهكذا نشأت هذه الميناء التي كانت أهم ثغر على البحر الأحمر منذ فجر التاريخ حتى نهاية القرن التاسع عشر للميلاد. ومع هذه المدينة نمت مدن أخرى في السودان الشرقي، وكانت لكل منها أهميتها الخاصة في حقبة أو حقب من تاريخ الجنس البشري. فتاريخ سواكن جزء مهم من

تاريخ السودان الشرقي إن لم يكن أهم الأجزاء على الإطلاق، فسواكن مدينة التقت فيها عدة حضارات عن طريق التجارة، وأسهمت في بث تلك المدنيات إلى كثير من أجزاء السودان. ومع أنها أثرت على من سكنها من البجة إلا أن تلك المدنيات أخفقت إخفاقاً عظيماً في أن تجد طريقها نحو حياة البجاوي لتغير في شكلها أو رتابتها. لقد وقف البجاوي صامداً ضد كل فن أدخلته مدينة سواكن على نفسها أو نقلته إلى بقية أجزاء السودان. أما أراضي البجة فإنها احتفظت بأصالتها وعراقتها حتى القرن العشرين. فلما تأثر السودان عامة بما نقلت سواكن بدأ التأثير يلحق بإقليم البجة حين أشرفت سواكن على الموت مبنى وإن لم تمت معنى[1].

ثم نعود إلى هذا البجاوي الذي سكن في هذه المنطقة لنرى أهميته في التاريخ العالمي قديمه وحديثه. ففي أرضه بالشمال تقع مناجم الذهب البراق الغنية، وقد بهر ذلك الذهب الفراعنة، ثم حذا حذوهم البطالسة والرومان ثم العرب، فكانت هناك خلافات وحروب بين البجة وبين تلك الأمم المتعاقبة. وكان السودان الشرقي يمثل الجسر بين المدنيات القديمة وما تتطلبه من حاجات أفريقية في سبيل العيش المترف الرغيد في قصور الملوك والأمراء والأغنياء. وكان رجال البجة دائماً بالمرصاد يعرقلون ويدافعون ويهاجمون ذوداً عن كل شبر من بلادهم. وما زالوا في دفاعهم المجيد ذلك حتى نهاية القرن التاسع عشر حين استولت على السودان قوات الحكومتين المصرية والبريطانية. ولم يتوقف كفاحهم قبل سقوط عدد منهم ضحايا للاستعمار حين هبوا مطالبين باستقلال البلاد في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

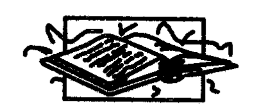
إنهم يعرفون مسالك وديانهم، ومسارب جبالهم، ودروب صحرائهم، ومنابع مياههم، ولكنهم قليلو الكلام مع الغريب، بعيدو التعاون معه، كثيرو الشك فيه، فلا يعطونه سراً من أسرار بلادهم، أو خبراً من أخبار حاضرهم

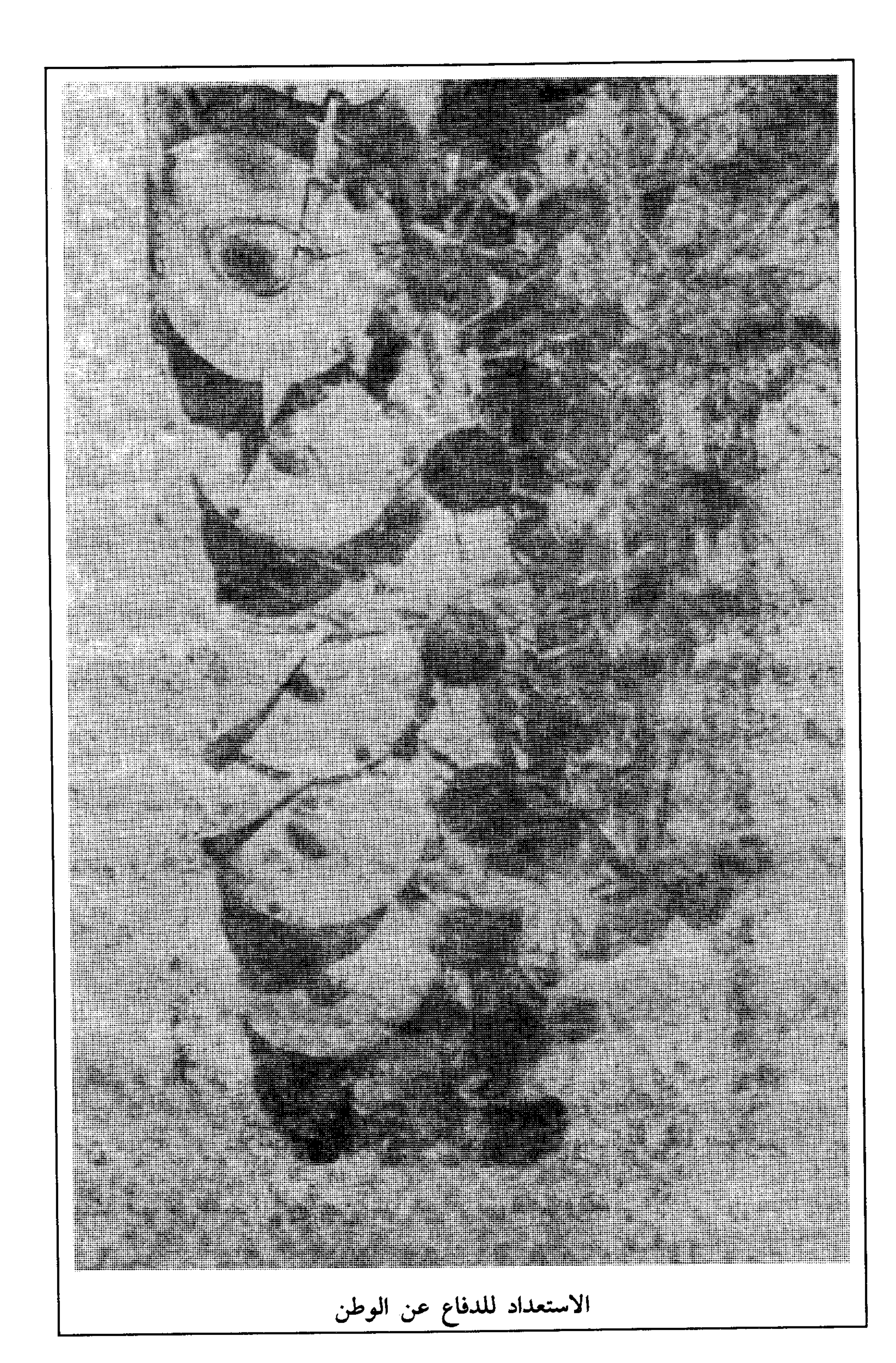
---

(١) ارجع إلى كتاب: تاريخ سواكن والبحر الأحمر، للمؤلف، نشر الدار السودانية للكتب ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، الطبعة الأولى.

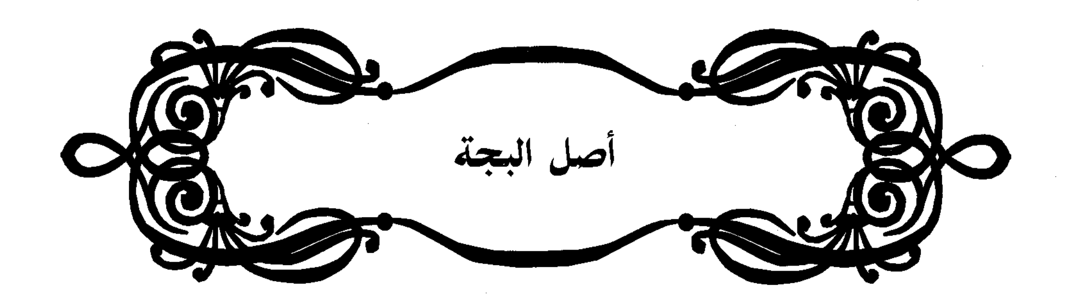
أو ماضيهم، فمن يدري عما إذا كان هذا الغريب صديقاً أم عدواً. وعلى كثرة ما يتحدث البجاوي مع ابن جلدته يقل حديثه مع الغريب فلا يكاد يرد على سؤال، أو يجيب على استفسار. وتكتنف أقواله ستائر الغموض العميق. فهو يبتعد عن كل مكان يكثر طراقه. ولئن سكن كل الناس في موطن نبع المياه، فإن البجاوي لا يروق له أن يكون قريباً من مصدر الماء لأن للماء طراقاً كثيرين، وهو يحب العزلة، ويبعد عن الجماعة. ففي العزلة استقلال فردي كامل، وفي الجماعة قيود يفرضها المجتمع. وهو لا يحب التقيد، ولذلك قلَّ أن نجد بجاوياً نزل بأهله في نبع للماء ويكفيه أن يملأ قربته مرة كل عدة أيام فيشرب هو وأهله قليلاً قليلاً، وقد يجود على من يطرق مكانه باللبن والحليب والثريد، ولكنه يفكر مرات ومرات قبل أن يقدم قدحاً من الماء خاصة إن كان الطارق حضرياً يرشف الماء من الظمأ رشفاً ينهك مدده المحدود من الماء.

ولا يتسنى للمؤرخ التدوين الصحيح لتاريخ السودان الشرقي ما لم يكن هو من أبنائه الذين يجيدون لغة المنطقة البجاوية، ويعلمون عاداتها وتقاليدها، فبيدهم وحدهم زمام الحقائق، لأن عاداتهم تقضي عليهم بعدم الاطمئنان لغير بني جلدتهم مهما كان البحاثة الأجنبي صديقاً أو مخلصاً أو مقرباً. ولذلك لا يعتد بكتابة الأجانب في كثير من الشؤون المتصلة بصميم حياة البجة، وخاصة ما كان له علاقة بالخلافات القبلية، أو الحرب أو الثورات، فإنهم يخفونها لئلا يحاسبوا هم وأحفادهم بموجبها ويجب على المؤرخ أن يكون حافظاً لأكثر أشعار السكان وأمثالهم بلغتهم لأنها النبراس الذي يعينه وينير السبيل أمامه على كثير مما حدث في الزمن السالف. ولقد قضيت زهرة شبابي وكهولتي كذلك أرتاد القرى والبوادي في الجبال والسهول الواقعة بين عيذاب شمالاً ومصوع جنوباً، وشرق النيل حتى سنار ثم أم حجر بالحبشة وأنا أستشف الحقائق والأخبار لأضعها بين يدي القارئ في هذا السفر.





الاستعداد للدفاع عن الوطن



# أصل البجة

تضاربت أقوال المؤرخين في أصل البجة الذين تحدث عنهم بعض المؤرخين الكلاسيكيين كما أورد أخبارهم مؤرخو العرب. وأخذ كل من هؤلاء المؤرخين يبحث عن أصل البجة وعن موطنهم الأول، كما أنهم وجدوا أن اسم البجة لم يكن هو الاسم السائد الذي أطلق على سكان إقليمهم البجة في كل العصور، بل إن هذا الاسم كان عرضة للتغيير بحسب تغيير الأمم التي كان لها اتصال بالبجة. ولكن تلك الأسماء لم تغير في حقيقة وضعهم كسكان لتلك المنطقة.

وقد اتفق كل من داود روبيني اليهودي والمسعودي على أنهم من أبناء كوش بن كنعان، وبذلك أصبح البجة في رأيهما من الساميين الذين نزحوا من بلاد العرب. وأورد الدكتور جواد علي نقلاً عن أسترابو أن العرب كانوا يسكنون إلى الطرف الثاني من الخليج العربي في البحر الأحمر ما بين مصر والحبشة على الساحل المسمى بمكان الكهوف تمييزاً لهم من عرب الجزيرة.

أما شقير، فإنه لم يختلف كثيراً مع الرأي السابق إذ قال: «إنه من الثابت المقطوع به والمؤيد بالقرائن التاريخية والطبيعية أنهما (أي البجة وشبه السود) من سلالة غير سلالة السود. وأنهما من أقدم شعوب إفريقيا بعد السود. ولم ينشآ فيها بل هاجرا إليها من آسيا عن طريق مصر والبحر الأحمر من عهد بعيد. أما ملامحهم وعاداتهم وأخلاقهم فجميعها عربية محضة، وأبدان البجة صحاح، وبطونهم خصاص، وألوانهم

مشرقة». فكل قول لا يعترف بأن أصل البجة من جزيرة العرب لا تسنده أي حقيقة.

انضم جرجي زيدان إلى رأي شقير أيضاً فذكر أن أمة الشاسو من عرب الشام هاجرت إلى إقليم البجة واستوطنت بين النيل والبحر الأحمر كما يتنقل فيها بدو هذه الأيام. وكان قدماء المصريين يسمون هذه البادية تَشَرْ TASHAR وتعريبها الأرض الحمراء تمييزاً لها عن وادي النيل واسمه (كيمي) وتعريبها الأرض السوداء. ولم يكن الشاسو يقتصرون في مضاربهم على تلك الصحراء بل كانوا يرحلون بينها وبين طور سيناء. وكلمة شاسو معناها عرب، واشتهروا بالسطو ونهب أموال سكان وادي النيل[1]، ويقال لهم: الهكسوس...اهـ. ويبدو أن زيدان ذهب بعيداً في محاولته لمعرفة أصل الهكسوس فجعلهم من إقليم البجة، ولكن ليس هناك حتى الآن من الأدلة التاريخية ما يثبت هذا الرأي.

قامت عدة محاولات من جانب الجيولوجيين لمعرفة أصول البجة، وكان من بين المشتغلين في ذلك السير ولاس بدج الذي ذكر بأن البحث في مقابر البلاس حول جبل مامان أوصل إلى نتيجة لا تقبل الجدل بأن جماجم أصحابها سامية أي أنها من عنصر راق[2]. وهذه المقابر تحفظ تحتها أجساد البجة الأقدمين وعثر عليها منتشرة في عديد من جبال البجة بالبحر الأحمر.

غير أن بعض المؤرخين كان يرى في أصل البجة آراء تختلف عما أوردنا، فهناك الهمذاني كان يرى أنهم من ذرية سام بن نوح، وذكر الطبري أنهم جنس من الأثيوبيين، وكان قول المسعودي يعارضه في الرأي إذ أنه كان يرى أنهم عرب قطعوا نيل مصر ثم افترقوا فسارت منهم طائفة ميممة بين الشرق والغرب وهم النوبة والبجة والزنج، وسار فريق منهم نحو الغرب

---

(١) وربما اقتبس البجه غزو مصر والنوبة من هؤلاء العرب، كما كانوا يغزون الحبشة.

(٢) مقابر البلامس حول جبل مامان (بدج: السودان المصري).

وهم أنواع كثيرة. وأما البجة فإنها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر، وتشعبوا فرقاً، وملكوا عليهم ملكاً.

ويقول الدكتور جواد علي بأن بقايا ثمود كانت على سواحل البحر الحبشي (الأحمر) وأن البجة في تلك العصور كان يطلق عليهم البلامس، ثم سموا البجة. وفي كتاب «الطواف حول البحر الإرتري» وصف شامل لأصول البجة.

ونحن أوردنا كل هذه الشواهد من عدة كتب ومراجع لنثبت لكل من يجهل أصول البجة أن يعلم أنهم أمة سامية وأنهم عرب. ويندر جداً فيمن يسكن هذا الإقليم أن يحرم من صلة وثيقة أو ضئيلة بهؤلاء البجة من الأمم العربية التي هاجرت قبل وبعد انتشار الدين الإسلامي.

وفي جزيرة العرب كانت تدور حرب طاحنة بين نفس السكان، أي العرب العاربة والمستعربة.

ظهرت في العراق عدة آثار كانت سبب هزيمة أولئك الذين أنكروا وجود عاد وثمود معتمدين على كتب التوراة، كما طبعت مراجع كثيرة وقيمة جداً في العراق عمّن بضفتي البحر الأحمر، وكذلك أساطيل بني الأحمر (الفينيقيين) التجارية، وكيف أنهم ربطوا المواصلات من «جنة عدن» (مسبوتيميا) العراق إلى الخليج الفارسي فالمحيط الهندي والبحر الأحمر إلى خليج العقبة والسويس، ثم مدينة صور والبحر الأبيض المتوسط.

وفي كتابنا «تاريخ سواكن والبحر الأحمر» ذكرنا كيف أن سفن عبدحورام كانت تزور موانئ البحر الأحمر بالواردات والصادرات كل ستة شهور.

أما ما كتبه الدكتور محمد عوض في تاريخه عن قبائل شمال السودان المنقول جله عما كتبه المستعمرون من الإنجليز الذين خانهم الحظ في الاطلاع على مؤلفات مؤرخي العرب، إذ كان كل اعتماده واستشهاده من (SUDAN NOTES AND RECORDS) مجلة السودان في رسائل ومدونات.

وإذا أساء الإنجليزي في كتابته عن البجة نقلها الدكتور بنصها وفصها وحللها برتوش من المثالب حتى توغر صدر أبناء البجة خصوصاً على الإنجليز. ونحن لا نلوم الإنجليز، ولكن نلوم أخانا المسلم الذي استعان بهم على إخضاعنا وإذلالنا، كما استعان بهم قبلنا لعرابي باشا وإخوانه. وإني لو أردت الرد على الأخطاء الموجودة في كتابه لذهب وقتي سدى، إذ لا يمكن أن نتفق لأنه يرى أن كلمة «بجة» من اختراع الإنجليز، وأنا أقول: إنها أقدم من ذلك عند الفراعنة والبطالسة والرومان والعرب. والدكتور ضرب بكل ذلك عرض الحائط. وكنت أود أن تؤلف جمعية من كل أبناء السودان ليدحضوا ما قاله عن قبائلهم، وإنكاره لعروبتهم التي سأبين فيما بعد كيف كانت هجرة العرب إلى السودان. أما ما ذكره الدكتور والمستر كلارك عن أخلاق البجة فقد بزّ كل منها صاحبه في معائبنا ومثالبنا، وأثبتا لكل منصف جهلهما عمن يكتبان، فكلاهما في جريه مذموم.

وبينما يرى سليمان عبدالرحمن المصري أن البجة عنصر من عناصر المصريين والأثيوبيين اتخذوا مساكنهم في الصحراء الشرقية يقرر الدكتور جواد بأنهم بقايا ثمود كانت على سواحل البحر الأحمر، وهو بذلك يؤكد ساميتهم.

هذه هي أقوال بعض المؤرخين في أصل البجة وفيها يرجع القول بأنهم أمة سامية، وذلك بحسب ما كتب، واعتماداً على ما اكتشف من جماجم في القبور.

وجاء في دائرة المعارف الإنجليزية... إن لفظة البجة تطلق على مجموعة من قبائل واسعة الانتشار، وهم من قدماء المهاجرين الساميين «ويقال لهم في كتب الأقدمين: البلامس وبليمس» وقد وصفهم هيرودوتس (سنة ٤٠٦ق.م) بطول القامة وجمال الجسم خاصة في الرجال. كما تحدث عنهم أسترابو (سنة ٢٤م) فأطلق عليهم عدة أسماء إذ يقول:... ويسكن الأجزاء السفلى على جانبي مروى على طول النيل من ناحية البحر الأحمر الميجاباريون والبليميون الخاضعون للأثيوبيين والمجاورون للمصريين. ويقع

التروجاوديثيون المواجهون لمروى على مسيرة عشرة أو اثني عشر ستاد[١] من النيل.

من هنا يظهر لنا أن في ذلك التاريخ كان البجة يسمون بالبليميين، كما أن هناك جماعة أخرى كان يطلق عليها التروجاوديثيون وذلك في العهد الكلاسيكي، ولكن لا شأن لهم بالبجة لأن تلك المنطقة لم يسكنها البجة مطلقاً.

وقد عرف قدماء المصريين سكان السودان الشرقي واتصلوا بهم وظهر في نقوشهم لفظ «البقة» وهو لفظ قريب جداً من البجة. أما جيرانهم من الجنوب الشرقي وهم سكان مملكة أكسوم فإنهم دوّنوا في آثارهم لفظة بوقيتة على سكان الإقليم الذي نحن بصدده وهو في حد ذاته لا يختلف كثيراً عن أضرابه من الألفاظ. ويضيف بعض المؤرخين أن هناك شعباً آخر يسكن مع البجة يدعى المزايو اتخذ مسكنه في الجبال بين سواكن وبربر على النيل، ولكن هذا الشعب لم يعد له وجود الآن.

ليس في الاختلاف بين الألفاظ المتقاربة من البجة ما يدعو إلى التشكك في أصل هذه الأمة البجاوية أو في موطنها. ومثل هذا الاختلاف طبيعي لأنه قد يكون ناتجاً من اختلاف لهجات البجة أنفسهم حسب مناطقهم، وإن نظارات البجة الخمس الآن يختلف نطق كل منهما عن الآخر في الكلمات والأسماء والمسميات والألفاظ.

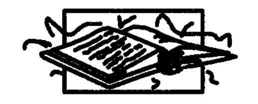
ومن بين الأسماء التي أطلقت على سكان إقليم البجة دون التحديد في أمرهم ما ذكره فوتيوس من أنه بعد خليج العقبة تأتي أرض جماعة يسمون بايثماني وهي أرض منبسطة سهلة وبها مياه غزيرة، وهي منخفضة تغطيها الحشائش والأعشاب والنباتات التي يبلغ ارتفاعها قامة إنسان، وهي مليئة بالجمال الوحشية وبالغزلان والأغنام والبغال والثيران، وبها أيضاً كثير من الأسود والذئاب والفهود. ويليها خليج يسكن عليه بيت مينروماني الذين

---

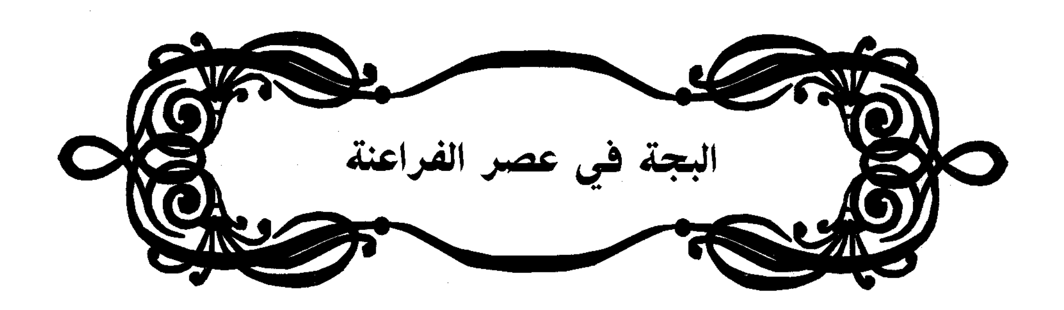
(١) كل ستاد يساوي ستمائة قدم أي ١٨٥,٣ متراً.

يصطادون الوحوش ويقتاتون بلحومها، وهم الذين تقع في مقابل ساحلهم تلك الجزر الثلاث. ويبدو أن حديث فوتيوس فيه خلط بين الحقيقة والخيال ولكن ما يسترعي الاهتمام هو لفظ مينروماني القريب من لفظ المزابو وهم الذين قيل: إنهم كانوا أيضاً من سكان إقليم البجة.

أما الاسم الحالي لسكان الإقليم فهو البجة وهم تحت نظارات هي الهدندوة، والأمارأر، وبني عامر، والبشاريون والحلنقا. أما ما جاء في دائرة المعارف البريطانية من أن العبابدة والشكرية من قبائل البجة أيضاً فليس صحيحاً لأن هذه قبائل عربية نزحت إلى السودان بعد انتشار الإسلام وليس لها علاقة بالبجة[1].



(١) أضيفت مؤخراً قبيلة الحباب ويطلق على رئيسها كنيباتي (ابن المؤرخ).



# البجة في عصر الفراعنة

يستدل من الآثار المصرية أن قبائل البجة المجاورة لمصر كانوا كما هم في هذا العهد يخالطون الحضر على النيل فيأتون من صحرائهم بالمواشي وخشب السنط والفحم والصمغ والصيد وجلود الحيوانات والحجارة الكريمة ويقايضون بها الأقوات والأنسجة. وكان المصريون يسالمونهم لمنع تعدياتهم والانتفاع بتجارتهم ويجعلون لمشايخهم جعلاً معلوماً يجرونه عليهم في كل سنة فيتعهدون بحماية الطرق وحفظ الأمن. قال ابن سليم: ولكنهم لم يكونوا يقيمون طويلاً على هذا الهدوء، بل كان خصب وادي النيل يغريهم فيغزون أهله من وقت لآخر، فينهبون ويسلبون ويعودون بمغانمهم إلى منازلهم الصحراوية. وكان المصريون كلما فرغوا من حروبهم في الشمال يبعثون السرايا إلى تلك الصحراء وغيرها ويبنون المراكب الكبيرة في القصير ويرتادون بها موانئ البحر الأحمر فيعودون بالجزية وهي من محاصيل تلك البلاد حتى سواحل المحيط الهندي.

وكان ملوك الفراعنة يضعون أيديهم على جميع المناجم كي ينفردوا باستخراج خيراتها. فآلاتهم لسحق أحجار الذهب والأنوار التي يدخلون بها إلى الكهوف متناثرة حول كل المناجم. وإني شاهدت أن التراب الذي كان الفراعنة يسحقونه أنعم من الذي تسحقه آلات العصر الحديث في كل المناجم. وتوجد مناجم مقفولة لم تلمسها الأيدي بعد الفراعنة[1]. وذكر

(١) طلعت قمة أحد الجبال فوجدت جميع أدوات استخراج الذهب المستعملة منذ قبل=

أحد الإنكليز في مذكرة ما كان يلاقيه البجة من الهلاك والمرض في البحث عن المعادن على أيدي الفراعنة.

وأول ملك مصري عرفه التاريخ كفاتح للبلاد السودانية هو سنفرو في حوالى سنة **٢٧٢٠**ق.م. وقد هاجم هذا الملك القبائل السودانية المتحدة من بلاد النوبة وأرض البجة، وأطلق على هذه القبائل ذات الأقواس، وذلك لأن السودانيين كانوا يستعملون القوس في حروبهم. واستطاع سنفرو أن يتغلب على خصومه بعد حروب دامية انتهت بأن أخذ كثيراً من الغنائم والأسلاب، كما أجبر البجة وسكان النيل على دفع الجزية إلى بلاط فرعون. ويذكر سنفرو أنه عاد إلى مصر من غزواته بسبعة آلاف أسير من النساء والرجال و٢٠٠,٠٠٠ رأس من الضأن والبقر.

ثم هدأت فترة الانتفاضات السودانية واستمر السودان تابعاً لمصر حتى عهد الأسرة السادسة (حوالى **٢٤٢٣**ق.م) إذ بدأت قبضة المصريين على وادي النيل والبحر الأحمر تقوى، واستطاع يونا الحاكم المصري على البحر الأحمر وشمال السودان أن يخضع كل السكان خضوعاً تاماً، بل إنه استطاع أيضاً أن يجند كثيراً من سكان إقليم البجة وشمال السودان في الجيش المصري، كما كوَّن منهم فرقاً أرسلت لمحاربة القبائل البدوية التي كانت تهاجم مصر عبر جزيرة سيناء. وبفضل هذه الفرق البجاوية السودانية تمكّن المصريون من تأمين حدودهم الشرقية الشمالية عبر شبه جزيرة سيناء.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا العهد كان عهد استقرار راجت فيه التجارة بين السودان ومصر. وكان من أهم دعائم هذه التجارة القبائل البجاوية التي كانت تستعمل جمالها في نقل البضائع من أجزاء إفريقيا الوسطى والشرقية إلى ربوع مصر. وكانت قوافل العاج وريش النعام والعطور واللبان وأخشاب السفن تسير على أوسع نطاق بين القطرين.

---

= الإسلام سليمة وعلى أبواب المنجم أحجار كبيرة حركنا أحدها لنتحقق مما خلفه فوجدنا الباب الذي يدخل منه المنقبون. وتركت ذكر اسمه لأن صديقي يريد أن يضع يده على امتياز البحث.

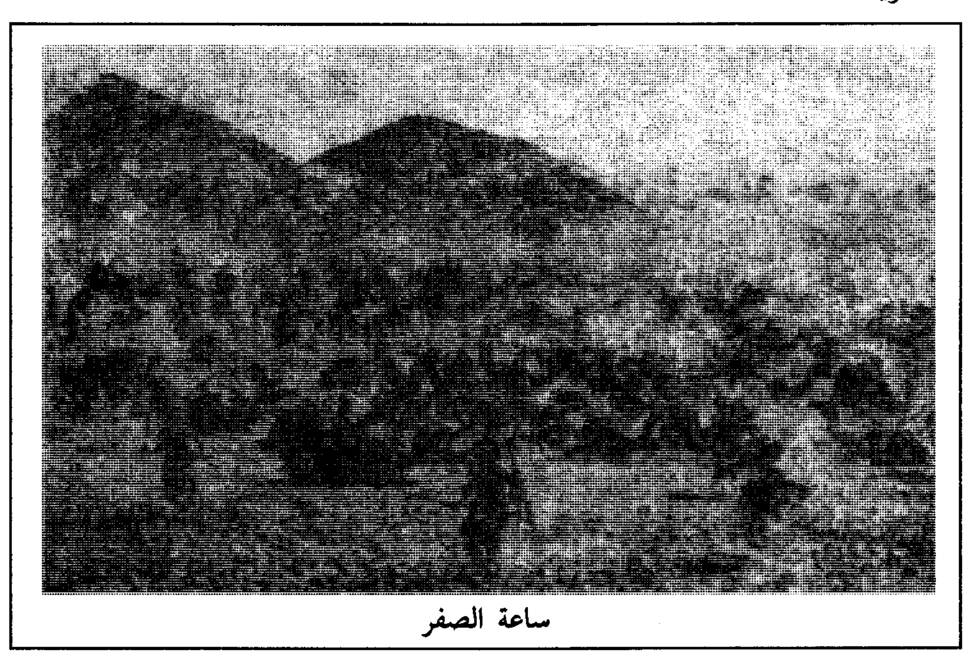
وعندما اعتلت المملكة المصرية الوسطى (٢١٥٠ ـ ١٥٨٠ق.م) العرش الفرعوني، بدأت بنشاط جديد نحو الجنوب والجنوب الشرقي من الحدود المصرية وخاصة في عهد الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ ـ ١٩٧٠ق.م)، إذ ظهرت حاجة الحكام المصريين إلى مزيد من الذهب والرقيق لإقامة مشاريعهم البنائية، وكان المصدر الوحيد لهذين الصنفين هو السودان: الأوسط للرقيق والسودان الشرقي أم الشرقية للذهب. وقام أمنحوتب الأول بحملات ناجحة ضد البجة حتى تم له إخضاعهم. وأجبرهم على استغلال مناجم الذهب الواقعة في وادي العلاقي. وقد كتب أحد كبار الموظفين المصريين في السودان آنذاك واسمه ساهاثور في مسلة كيف أنه أجبر البجة على العمل في المناجم هناك فكان شبانهم يحفرون لاستخراج الخام من الذهب ويطحنونه، بينما يغربله المسنون، وكان هذا التسخير مما سبب عديداً من الثورات البجاوية على الحكم الفرعوني. ولكن لم تكن كلها ناجحة إلى الحد الذي استطاع فيه البجة أن يستقلوا بأوطانهم استقلالاً كاملاً.

واستمر النشاط المصري نحو استغلال الأراضي السودانية بشكل أوسع في عهد أمنحوتب الأول وتحتمس الأول (١٥٥٥ و١٥٤٠ق.م) وأضعفا شوكة النوبة، وأجهزا على قوة البلامس في الصحراء الشرقية، حتى أن قواتهم لم تستطع أن تهدد طرق القوافل المصرية التي تحمل الذهب والأبقار وسائر المنتجات الأخرى. وكان لهذه السيطرة الأثر الكبير على الخزائن المصرية المملوءة ذهباً والتي اكتشفت في مقبرة توت عنخ آمون في القرن العشرين.

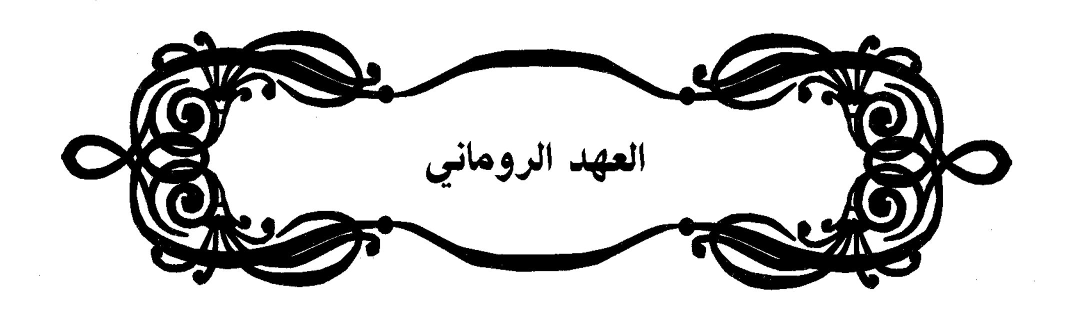
ولم تفتر همة المصريين عن زيادة إنتاج الذهب من مناجم البجة. ففي عهد سيتي الأول (١٣١٣ق.م) بدأت محاولات جديدة في هذا الشأن فحفر كثيراً من الآبار تدر دراً متواصلاً من الماء للقوافل والعمال المسخرين الذين كانوا يستخرجون الذهب. ولم يتوقف هذا العمل في عهد رمسيس الثاني (١٢٩٢ق.م) بل ازداد توسعاً وإنتاجاً. ولو لم يكن العمل يجري على طريقة تسخير الرقيق لما استطاعت مصر أن تستفيد الفائدة القصوى من تلك

المناجم. ولكن وجود الرقيق بأعداد كبيرة في تلك العهود جعل من الممكن أن تستغل تلك المناجم إلى الحد الذي أظهر مبلغ غنى قدماء المصريين ومبلغ ثرواتهم الضخمة من الذهب المستجلب من جبال البجة.

وضعفت مصر بعد ذلك، وضعفت قبضتها على القبائل البجاوية المحاربة فاستعادت قبائل البجة حيويتها واستقلالها، ثم ما لبثت أن ناوشت كل الدول التي استعمرت مصر بعد ذلك بإغاراتها المتكررة على الحدود المصرية.



ساعة الصفر



# العهد الروماني

لم يتصل الرومان بالبجة طوال القرن الميلادي الأول، ولم تكن إحدى الأمتين تعرف شيئاً عن الأمة الأخرى. ويبدو أن البجة كانوا بمثابة الأمة الخرافية بالنسبة للرومان الذين قال أحد مؤرخيهم: «إن البجة قوم تنمو رؤوسهم من تحت أكتافهم»، ولعل هذا يدل على أن البجة حتى ذلك القرن لم يبتدئوا في الهجوم على الرومان وعرقلة تقدمهم من الأراضي المصرية نحو بلاد النوبة والبجة.

غير أن فترة الهدوء التي كانت تسود الحدود الرومانية ما لبثت أن اعترتها سلسلة من الغارات والانتفاضات بسبب محاولة الرومان بسط نفوذهم على الأراضي الواقعة جنوبي أسوان ورغبة البجة في منع الرومان من التغلغل إلى تلك المناطق، وكان الرومان كسابقيهم من فراعنة مصر يريدون فتح التجارة مع السودان وعبور أراضي البجة، واستغلال الذهب والأحجار الكريمة من جبالها وأراضيها.

ولعل أول هجوم بجاوي على الرومان كان في سنة ٢٥٠م، وذلك في عهد الإمبراطور ديسياس. واستمرت المناوشات بين الجانبين حتى تم التوصل إلى هدنة والدخول في مفاوضات بين الجانب الروماني والبجاوي. فأرسل الملك (تيرمن) البجاوي بأزمون بن بيزي رئيساً لوفد المفاوضات وتباحث مع تريبونيوس إلسي في أمر الحدود الرومانية. ويبدو أن الجانبين توصلا إلى اتفاق مؤقت بحيث يمتنع البجة عن مهاجمة الإمبراطورية الرومانية المتاخمة لهم.

لكن سرعان ما رأى البجة أن الهدنة لم تعد في مصلحتهم، ولذلك فإنهم نقضوها في عام ٢٦١م، وتوغلوا في حدود مصر حتى صدهم يوليوس فيرمليانوس مما اضطر ملك البجة إلى الركون إلى الهدنة حتى تحين فرصة أخرى.

وفي عام ٢٧٢م زادت متاعب الرومان كثيراً في مصر لأن الملكة زنوبيا ملكة تدمر أبدت نشاطاً عظيماً في هجومها على الرومان في مصر، واستطاعت أن تعقد تحالفاً مع كثير من الفئات المصرية المتذمرة من حكم الرومان لمصر، واتفقت أيضاً مع البجة في جنوبي شرق مصر على فتح جبهة أخرى للرومان حتى يشتد الضغط الحربي عليهم. واستجابة للتحالف مع زنوبيا قام البجة بهجوم عنيف على الرومان واستطاعوا أن يتقدموا داخل الحدود المصرية، إلا أن حلفاءهم من التدمريين أصيبوا بالهزيمة مما أدى إلى خروجهم من المعركة، فاتجه الجيش الروماني لمساندة جيوشه بالحدود الجنوبية وتمكن من صد الهجوم البجاوي الذي وصل إلى مقربة من موقع سوهاج، وأخذ القائد الروماني بروبس في تعقب البجة حتى تم طردهم من مصر في عام ٢٧٤م. وقد وقع بعض البجة أسرى في أيدي الرومان. ويضيف المؤرخ فوبسكوس أن بعض أولئك الأسرى كانوا من العرب الذين عبروا إلى إقليم البجة وأصبحوا من رعايا ملك البجة.

لم تستسلم البجة لتلك الهزيمة واعتبروها هدنة يستجمون فيها استعداداً لقتال شديد وفي عام ٢٧٦م ذكر فوبسكوس أن بروبس النائب للإمبراطور الروماني الذي تولى مصر من ٢٧٦م إلى ٢٨٤م غزا البجة وقهرهم وأرسل منهم أسرى إلى روما، ولكن البجة جددوا الهجوم، وعبروا الحدود بجيش قوي استطاع أن يكسب انتصارات خاطفة على الرومان، واستولى بسرعة فائقة على مناطق كثيرة من مصر وتخطى موقع سوهاج الحالي وبات خطره عظيماً على الرومان. وذكر فوبسكوس أن بروبس النائب للإمبراطور الروماني الذي تولى مصر من ٢٧٦م إلى ٢٨٤م، أعد جيشاً قوياً لمجابهة الغزو البجاوي والتحم معهم في عدة مواقع غير فاصلة، وأخذوا هم في التقهقر إلى حدودهم حتى إذا وصلوها لم يستطع بروبس التوغل في أراضيهم خوف عصاباتهم وصحرائهم، ولكنه تمكن من القبض على عدد من الأسرى

البجاويين فأرسلهم إلى روما ليظهروا في استعراضاتها العسكرية المعتادة، وقد أذهل شكلهم ومظهرهم الرومانيين.

ازداد ضغط البجة على الرومان سنة **٢٩٧**م، وذلك في عهد الإمبراطور ديو كليشيان فاضطرت الإمبراطورية الرومانية إلى الانسحاب من كل الأراضي الواقعة جنوب الشلال الأول، واتخذت منه نهاية لحدودها الجنوبية. ثم أن ديو كليشيان أمر بإسكان أمة النوباتيين (وقد يكونون هم النوبة) ليسكنوا في تلك المنطقة أملاً منه في أن يكونوا درعاً حصينة ضد غارات البجة المتكررة. وبالرغم من هذا الإجراء فإنه كان مضطراً إلى مصانعة النوباتيين والبجة معاً حتى لا يغيروا على مصر، فاتفق معهم على أن يدفع جزية سنوية لكل من الأمتين. وطالب البجة بأن يسمح لهم بالحج إلى معابدهم الوثنية في جزيرة الفيل حيث كانوا يشتركون هم والنوباتيون والمصريون في عبادة الإله إيزيس الذي كانوا يعتقدون أنه واهب الخطب لبلادهم. ورضي ديو كليشيان بهذا الشرط إذ لم تكن المسيحية بعد قد أصبحت الدين الرسمي للإمبراطورية.

أما بعد عام **٣٢٣**م، وهو بعد اعتناق قسطنطين للدين المسيحي فقد بدأ البجة يشعرون بقوة الضغط المسيحي عليهم لا من الشمال فحسب ولكن من الجنوب الشرقي أيضاً، إذ أنه في عام **٣٩٥**م هجم الملك أزانا ملك أكسوم المسيحي على قبائل مملكة البجة، وتقدمت جيوشه من الجنوب في محاولة ناجحة لتحطيم مملكتي البجة والنوبة في عاصمتها مروى القديمة التي كانت ما زالت تدين بالوثنية، وتمكن الملك أزانا من الانتصار عليهم نصراً حاسماً. مكنه من تحطيم بلادهم، وبهذا أزال إحدى الدولتين السودانيتين الكبيرتين ولم يبق غير البجة ليواجهوا خطر مواصلته للغزو من الجنوب وخطر الرومان من الشمال. واستمر هذا التهديد للبجة حتى بلغ أقصاه في عام **٣٩٠**م حين قام ثيودوسيوس الأول الروماني بإغلاق المعابد الوثنية في جزيرة الفيل ومنع كلًا من النوبة والمصريين والبجة من عبادة الأوثان، ثم أجبر المصريين على اعتناق المسيحية، وتضايق النوباتيون من ذلك، وتمسك البجة بصلابة بحقهم في اعتناق الدين الذي يرون غير عابئين بالضغط الروماني وما يمكن أن يتبعه من اضطهاد.

وبدلاً من أن تنهار مملكة البجة بسبب ما تعانيه من أزمات حربية بسبب الحصار الروماني من الشمال والهكسوس من الجنوب استطاعت أن تشد من قواها مرة أخرى، وما حانت سنة ٤٠٧ إلا كانت مملكة البجة أقوى ما تكون عليه وجهزت كل إمكانياتها لحرب جديدة، حتى إذا جاءت سنة **٤٢٩**م عبرت جيوشها الصحراء الشرقية متدفقة نحو أسوان حيث عبروا النيل ووصلوا إلى «واحة خارجة» التي كانت معقلاً رومانيا مسيحياً، فأبادوا الحامية وأسروا سكانها المسيحيين وعادوا أدراجهم إلى بلادهم.

ومنذ حلول القرن الخامس للميلاد أصبح البجة سادة الموقف حتى في أراضي النوبة لا ينازعهم في ذلك أحد، وتقلص النفوذ الروماني إلى درجة استطاع معها البجة تأسيس مملكة ثابتة جنوبي أسوان. وتعاقب على تلك المملكة عدة ملوك مخلفين وراءهم بعض الآثار التي تثبت سطوتهم ومملكتهم، لكنهم لم يكتبوا انتصاراتهم أو يخلدوها بلغتهم البجاوية التي لم تكن تكتب، ولما أراد ملكهم خاراشين أن يسجل مقدرته لجأ إلى أحد الكتاب المصريين الذين يعرفون اللغة اليونانية فكتب له الوثيقة التالية باليونانية(١):

«وأنا خاراشين ـ ملك البجة ـ أكتب إلى أبناء خاراشين وشاراباتكور وشارحيبت أنني سمحت لك بإدارة جزيرة تناري، ولا أسمح لأحد غيرك بالتدخل في ذلك. أما إذا حاول الرومان خلق الصعوبات والمتاعب وامتنعوا عن دفع الجزية المعتادة فاعلم بأنه ليس في استطاعة فيلارخ أو هايبوترانواس أن يمنعاك من إجبار الرومان على دفع الجزية المعتادة لهذه الجزيرة».

شعر الرومان بأنهم أخطأوا بإحضار النوباتيين الوثنيين في أرض النوبة ليكونوا دولة حاجزة بينهم وبين البجة، لأن النوباتيين اتحدوا مع البجة في التخلص من الخطر الروماني، ورأى الإمبراطور ماشيانوس أنه لا بد له من كسر شوكة البجة والحد من تمرد النوباتيين، ولذلك فإنه أرسل قائده العظيم

---

(١) ماك مايكل. تاريخ العرب في السودان.

ماكسمينيوس سنة ٤٥٢م بجيوش عظيمة لضرب البجة الضربة القاضية. واستطاع القائد الروماني كسب بعض المعارك المبدئية، لكن البجة كانوا قد عقدوا العزم على عدم الخوض في معركة حاسمة مع جيش يفوقهم عدداً وسلاحاً، واكتفوا بالمناوشات والهجوم الخاطف ثم التقهقر إلى الصحراء ولما لم يجد ماكسمينيوس فرصة للقضاء عليهم لجأ إلى الدبلوماسية فدخل معهم في مفاوضات انتهت بصلح وإقامة هدنة بين الجانبين، فاحتفظ البجة لأنفسهم بالحق في إقامة شعائرهم الدينية الوثنية في معابد إيزيس بجزيرة الفيل سنوياً، ومن هناك يحملون الإله إيزيس إلى أوطانهم كما جرت العادة بذلك على أن تتوقف غاراتهم الحربية على مصر مدة مائة عام. ثم أطلقوا سراح أسرى الرومان كما قبلوا تسليم بعضاً من أبنائهم ليكونوا رهائن في أيدي الرومان حتى لا تتوالى اعتداءاتهم. ويبدو أن الرومان قد قبلوا استمرار دفع الجزية السنوية للبجة نظير محافظتهم على هذه المعاهدة.

غير أن البجة لم يكن من رأيهم إيقاف غزواتهم مدة قرن وكانوا في مفاوضتهم مع ماكسمينييوس يقولون بأنهم سيتعهدون بذلك طيلة قيادة ماكسيمينيوس بمصر أو طيلة حياته، ولكن القائد الروماني استغل قوته وأجبرهم على التعهد لمدة قرن فرضوا بذلك وهم يضمرون شيئاً آخر.

لما مات ماكسيمينيوس بعد ذلك بعدة أعوام زحف البجة نحو مصر وهاجموا القوات الرومانية وأجبروها على التقهقر أمامهم حتى خلصوا رهائنهم من أيدي الرومان ثم عادوا إلى ممتلكاتهم سالمين ولم يتمكن الرومان من ملاحقتهم.

كانت سنة ٥٤٣م[١] نقطة تحوّل في تاريخ السودان عامة والبجة خاصة، ففي تلك السنة أرسلت الإمبراطورة تيودورا بعثة دينية إلى السودان تدعو فيها ملك النوباتيين إلى اعتناق مذهبها المنونيزي، واستطاع المبشر جوليان الذي أرسلته من اكتساب قلب الملك إلى الدين المسيحي، ولكن ما

---

(١) السودان في رسائل ومدونات.

لبث أن أرسل الإمبراطور جستينيان بعثة تبشيرية مناوئة لبعثة زوجته واستطاعت أن تكسب الملك النوبي إلى العقيدة الأرثوذوكسية، وأصبحت أرض النوبة منذ ذلك التاريخ حليفاً دينياً للرومان وانتهت عداوتها معهم، وبقي البجة وحدهم منفردين، وأصبحوا هم الذادة عن الوثنية والمناهضين للمسيحية، وأضحت مملكتهم محاصرة، فإلى الشمال الرومان، وإلى الغرب النوبة وفي الجنوب أكسوم، وكلها دول معادية لها. ولما رأى الرومان العزلة السياسية التي صار عليها البجة أرادوا أن يضربوا ضربتهم القاضية، فأغلقوا المعابد الوثنية بجزيرة الفيل، وحملوا آلهتها الوثنية إلى القسطنطينية غير عابثين بغارات البجة التي قد تهددهم في مراكزهم. واتحد الرومان والنوبة ضد البجة، وربما بتشجيع وإعانات من الرومان نهض ملك النوبة المدعو سلكو في منتصف القرن السادس الميلادي وأعد جيشاً عرمرماً، فهاجم مملكة البجة والتحموا في قتال عنيف انتهى بانتصار القوات المسيحية على القوات البجاوية، وسجل الملك سلكو انتصاره ذلك على جدران معبد كلابشة ناقشاً[١]:

«أنا سلكو ـ ملك النوبة وكل الأثيوبيين ـ ذهبت إلى مدينتي تالميس وتافيس وهناك حاربت البجة مرتين حيث منحني الله النصر عليهم، ثم حاربتهم مرة ثالثة وانتصرت أيضاً، كما استوليت على مدنهم، وعسكرت بجيوشي هناك ثم عقدت صلحاً معهم بعد أن أقسموا لي بأوثانهم، فوثقت بهم وصدقتهم لأنني أعلم أنهم رجال صدق وأمانة».

يبدو أن ذلك كان آخر عهد مملكة البجة بالضراوة والحروب، ويعتقد بعض المؤرخين[٢] أن الضربة كانت نهاية مملكتهم. لكن التاريخ فيما بعد يثبت أن أمة البجة لم يحدث أن ضعفت حربياً لأنها استقبلت العرب بعد الرومان بنفس القوة الحربية التي ضعضعت سلطة الرومان في مصر، واحتفظوا بروحهم الحربي حتى الآن. لقد ألفوا الحرية والاستقلال فلم

(١) أمري: الكنز النوبي.

(٢) نفس المصدر.

يكونوا يقبلون أي سلطان عليهم ولم تكن هزيمة النوبة لهم إلا هزيمة مؤقتة إذ أنهم عاشوا في مملكتهم قروناً عديدة بعد انهيار ممالك النوبة المسيحية.

كان أول لقاء حربي بين البجة والعرب في أيام الفتح العربي لمصر بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه. وكانت العلاقات بين الرومان والبجة قد طرأ عليها كثير من التحسين والوفاق إلى الحد الذي طلب فيه القائد بطليموس الروماني النجدة من النوبة والبجة لمواجهة الغزو العربي. وخرج الملك البجاوي مسكسوح[١] لمساعدة مصر بخمسين ألف مقاتل من البجة معهم ألف وثلاثمائة فيل على كل فيل عشرة من الشجعان ويعززهم جنود ملك النوبة غاليق. وكانت بين هذه الجنود البجاوية جنود قبائل الأنَاكْ[٢]، وقد قدموا من وراء سواكن وجعلوا من جلود الفهود دروعاً لهم، ووضعوا على شفاههم العليا خواتم من النحاس. وهؤلاء الأناك هم الذين بنوا قبور مامان في جبال الهدندوة وبني عامر. وكثر القول في أصل الأناك، وبعض المؤرخين يرى أنهم من بقايا قدماء المصريين الذين هربوا من وجه البطالسة أو الرومان واختلطوا بالبجة. وعلى كل حال فإن جنود البجة التي وقفت في وجه عمرو بن العاص رضي الله عنه استماتت في قتال المسلمين، وهاجمتهم هجوماً عنيفاً، أما للنوبة فإنهم استخدموا سهامهم في ضرب المسلمين في أعينهم حتى أطلق عليهم العرب «رماة الحدق» ولكن لم تكن هذه النجدة البجاوية النوبية ذات أثر فعال في تقرير مصير المعركة لأن عمرو بن العاص رضي الله عنه استطاع أن يتغلب على جيوش الحلفاء بسبب الإمدادات العسكرية التي كان يرسلها له عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبذلك تم له الاستيلاء على مصر.

يقول بدج إنه كان هناك ملك اسمه (سنفرو) كان قبل المسيح بثلاثة آلاف وسبعمائة سنة وأراد فتح السودان لنفس الأسباب التي انتحلها محمد علي باشا وهي تجنيد السودانيين السود وتسخيرهم[٣].

---

(١) السير بدج.

(٢) يرد هذا الاسم في أكثر أجداد قبائل البجة خصوصاً البشاريين.

(٣) أما البجة فكان الغرض استرقاقهم عند التنقيب عن الذهب والزمرد وسائر الأحجار الكريمة (من بلادهم).



# الهجرة العربية قبل الإسلام

شهد السودان الشرقي عدة موجات سامية نزحت من جزيرة العرب إلى السواحل الغربية من البحر الأحمر. وكما رأينا من قبل فإن أكثر المؤرخين درجوا على القول بأن البجة من عنصر سامي نزح منذ قديم الزمان إلى ذلك الإقليم، واستمرت بعض القبائل العربية في هجرتها إلى السودان قبل الإسلام، وكانت أشهر تلك القبائل التي نزحت قبيلة بَلِيّ وقد كتبها القلقشندي في كتابه صبح الأعشى بفتح الباء وكسر اللام وياء مشددة بالفتح. ويضيف القلقشندي بأن هذه القبيلة هم بنو بلي بن عمرو بن الحافي بن قضاعة بن حمير، وكان قضاعة مالكاً لبلاد الشحر «وقبره بجبل الشحر» ولهم بقايا بالديار المصرية بصعيدها الأعلى منهم بنو ناب وغيرهم. والنسبة إليهم بَلويّ بزيادة واو مكسورة قبل ياء النسب[1].

ويقول جرجي زيدان: إن بليّ وجهينة هما القسم الغربي من بطون قضاعة اجتازوا البحر الأحمر وسكنوا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة حيث كثروا هناك، ولما زال ملكهم على يد قبائل البشاريين والأمارأر والهدندوة وبني عامر أنشأوا مملكة في مصوع سنة **٩٦٥**هـ (**١٥٥٧**م) ولا تزال سلطة قبائلهم بأيديهم[2].

---

(١) وفي الإسلام رحل إلى مصر من الشام ثلث قضاعة (بلي).

(٢) يقول شكيب أرسلان: ولا تزال بقايا هذا العنصر (بلي أو حدارب) الممتاز يحتفظ بعظمته وتقاليده وعاداته العتيدة محل احترام كل القبائل البجاوية ويكفيهم فخراً أن كل شيء عربي ينسب إليهم.

وتعد قبيلة بَلِيّ من أقدم القبائل العربية التي هاجرت إلى هذه الديار البجاوية بعد الشاسو وثمود وغيرهما، وكانت هجرتها قبل ظهور الإسلام بقليل، وهي بطن من بطون قضاعة التي يقال عنها في كتب المؤرخين بأنها أول من نزح من قبائل معد. وكان السبب في نزوحها حرب وقعت بينها وبين ربيعة بسبب فتاة ربيعية يعشقها رجل قضاعي من بني نهد، فانتصرت مضر وأنمار وإياد لربيعة، وانتصرت علّك لقضاعة، فأجلوا عن أماكنهم ويمموا نجد ما عدا قبيلة بليى فإنها يممت اليمن ونزلت مأرب ثم ارتحلت منها إلى ما بين تيماء والمدينة.

وقال ابن خلدون: «إنهم اجتازوا إلى العدوة الغربية من البحر الأحمر وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكثروا هناك سائر الأمم وغلبوا على بلاد النوبة وفرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة فأزهقوهم وضايقوا المصريين».

وقبائل بلي هي أول من نقل اللغة العربية إلى إفريقيا. فجاوروا قبائل البجة، ولكنهم لم يختلطوا بها. فأطلقت البجة كلمة «بَلَوْيِيْتْ» على اللسان الذي تتكلمه «بلي» أي اللغة العربية، وهي ما لم تكن مفهومة عندهم، ولذلك نسبوها لأول من تكلمها في ديارهم. كما أن «البلي» كانوا عنصراً عربياً يترفع عمن سواه من أمم أفريقيا، واعتبروه سيداً عليهم، إذ وفد ومعه أخلاق عالية، وادعى السيادة على أمة البجة بما جلبه معه من الفضائل. كما أطلق على كل سيد من «بلي» «بَلَوْيُونْ» وتعريبها رئيسنا أو سيدنا أو بَلَوِيبْ، وبالبني عامِريّة «بَلْوَايِّي» أو «بَلْوَاي» وكلها تؤدي معنى السيادة والزعامة. كما أن البجة والبجاوية تؤدي لمعنى عكس ذلك. وكان البلويون يأنفون من مصاهرتهم أو مخالطتهم حتى ضاعت عروبتهم اللغوية واتخذوا البجاوية لساناً إذ اضطرتهم سنة الحياة الاجتماعية كي يتزوجوا بنات رؤساء البجة، ونشأ أبناؤهم وهم يتكلمون لغة أمهاتهم. وكما يقول الإفرنج: إن أول ما يتعلمه الطفل من الألفاظ هو ما تنطقه أمه بلسانها: Mother's tongue ولا يزال هذا المقياس سارياً إلى اليوم. والأم التي تجيد العربية والبني عامرية والبجاوية يتكلم بنوها هذه اللغات الثلاث بطلاقة وسهولة. وأنا أقول لكم

هذا عن علم مقرون بتجربة وخبرة، ولا يكمن لأي باحث عن أصول البجة وتاريخهم أن ينجح ما لم يحسن الكلام بثلاثتها ويحفظ أمثالها وأشعارها. وهو لا يحتاج إلا إلى صبر وقوة وعزم وتمضية وقت الفراغ في تدوين كل صغرى وكبرى من الحوادث والأشعار خصوصاً ما كان منها بين شاعرين.

يقول شقير بك في تاريخه: إذا أردت أن تسأل البجاوي عن معرفته بالعربية فيجب أن تنسبها إلى «بَلِيِّ» فتقول له: بَلَوْيِيْتْ تِكْتِينَا (هل تعرف لغة بلي أي العربية) فإمّا أن يرد عليك بإحدى الكلمتين (كَاكَنْ) أي لا أعرف، أو (أَكْتِينْ) أي أعرف. وكذلك في البجاوية (بِدَاوِيِيتْ) والبني عامرية التي يقال: إن أول من تكلمها أهل اليمن وساحل إرتريا وقبيلة ثمود ويهود اليمن، وهذا موضوع يحتاج لبحث كثير في المستقبل. وقد وقفت قبائل بليِّ حائلاً دون انتشار المسيحية في شرق السودان حتى جاء الإسلام مع العرب فاعتنقوه[١]. واشتهر البلويُّون بالشجاعة والعزم حتى هابهم كل من حولهم من الأمم وخصوصاً الحدارب فهم شوكة القوم ووجوههم.

## العرب والبجة والنوبة:

كانت هناك قبل الإسلام وقائع حربية متعددة بين البجة والنوبة خاصة بعد أن اعتنق النوبيون الدين المسيحي وبقي البجة على وثنيتهم. وكانت البجة أقل قوة ونظاماً من النوبة حتى أنها قبلت سيادة النوبة الاسمية عليها. وفي هذا العهد الذي ضعفت فيه البجة قبيل الإسلام انصهرت فيه عدة قبائل من البجة في النوبة ومنها الزَّنافج أو زنافج كما كتبها الرحالة اللوزاني بورخهارت. وهذه إحدى قبائل البجة التي انتقلت إلى النوبة قديماً، وقطنت في ضواحي شنقير (بين أبو حمد وبربر) وهم على حدة في الرعي والكلأ واللغة (البجاوية)، لا يخالطون النوبة ولا يسكنون قراهم، وعليهم وال من النوبة واليوم لا يعرف لهم مقر إذ اندمجوا نهائياً في النوبة والعرب. وقبل

(١) بعض مؤرخي الغرب يدَّعي أنهم اعتنقوا المسيحية وهذا خطأ واضح إذ لو كان ذلك حقاً لما تنازلوا عنه بسهولة ولاعتبرهم أمراء العرب ذميين في معاهداتهم وهذا ما لم يكن.

هجرة (البلويب) من الجزيرة العربية كان الرنافج أكثر عدداً منهم غير أنهم أضحوا تبعاً لهم وصاروا خفراء لهم يحمونهم ويعدونهم المواشي. ولكل رئيس من البلويت (الحدارب) قوم من الرنافج في جماعته، فهم كالعبيد يتوارثونهم[1] بعد أن كانت الرنافج أظهر عليهم. وأسلموا في إمارة عبدالله بن سعد بن أبي سرح سنة ٢٠هـ. ولم أستطع العثور على بقاياهم الآن بين البجة، ولكن هذا لا يمنع أنهم موجودون في منطقة أخرى لأن كثيراً من القبائل السودانية كانت تنتقل إلى أماكن بعيدة، ومثال لذلك فقد وجدت بين قبائل الحباب في إرتريا بقايا من قبيلة بني هلبة التي تسكن أساساً في دارفور بغرب السودان.

لما ظهر الإسلام في السودان سكن جماعة من المسلمين[2] أماكن معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب، ونزح إلى تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، فاشتدت شوكتهم، وتزوجوا من البجة، وقويت ربيعة بالبجة على من ناوأها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكن في تلك المنطقة. ويضيف المسعودي بأن صاحب المدن آنذاك (سنة ٣٣٣هـ ـ ٩٤٤م) هو بشر بن مروان بن إسحاق، وهو من ربيعة يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مصر واليمن، وثلاثين ألف محارب على النجب من البجة والحدارب (البلويت) وهم مسلمون من بين سائر البجة. وكان بثغر أسوان بنو كنز الدولة، وهم خليط من الحدارب وربيعة، كما أنهم أمراء ممدوحون مقصودون، صنع لهم الفاضل الشديد أبو الحسن بن عزام سيرة ذكر فيها مناقبهم وأسماء من مدحهم ومن ورد عليهم، ولما أرسل السلطان صلاح الدين الأيوبي جيشاً إلى كنز الدولة

---

(١) كانت هذه العادة متأصلة في بني عامر والعجيلاب والحباب فإنهم كانوا يعاملون البجة الذين تحت سلطانهم هكذا طيلة تلك العصور التي ورثوا فيها ملك البلويب وأزالوه. فلما كانت سنة ١٩٤٧م في يوم ٣ مارس أعلن مدير كسلا المستر هانكوك بحضور المستر أندرو بول مفتش طوكر بأن القبائل المستعبدة قد تحررت. وكان أول عميد قبيلة وافق على ذلك هو الشيخ محمد ضرار علي.

(٢) المسعودي.

وأصحابه رحلوا من البلاد، فدخلوا بيوتهم فوجدوا فيها قصائد في مدحهم منها قصيدة أبي محمد الحسن بن الزبير قال فيها:

أُناسٌ إذا ما أَنْجَد الذُّل أَتْهَمُوا ويُنْجِدُه إن خانه الدهر أَوْ سطَا
وجادوا فما فوق البسيطة مُعْدمُ أجاروا فما تحت الكواكب خائف

وأنه أجازه عليها ألف دينار، ووقف ساقية تساوي ألف دينار.

وأبناء كنز الدولة قاتلوا النوبة وملكوها ثم اندمجوا فيها وهم الذين بنوا جامعاً بدنقلة يأوي إليه الغرباء.

تركت الإسهاب في حوادث النوبة لعلمي بأن في بنيها من يقوم بكتابة تاريخها مطولاً، ولا بأس أن نأتي بما قاله المقريزي عن بني كنز الدولة:

«فأصلهم[1] من ربيعة بن نزار، وكانوا ينزلون اليمامة، وقدموا أرض مصر في خلافة المتوكل على الله حوالى سنة ٢٤٠هـ في عدد كثير. وانتشروا في النواحي، ونزلت طائفة منهم بأعالي الصعيد، وسكنوا بيوت الشعر في براريها الجنوبية وأوديتها. وكانت البجة تشن الغارات على القرى الشرقية في كل وقت حتى أخربوها. فقامت ربيعة في منعهم عن ذلك حتى كفوهم. ثم تزوجوا منهم، واستولوا على معدن الذهب بوادي العلاقي، فكثرت أموالهم واستوت أحوالهم وصارت لهم مرافق ببلاد البجة، واختطوا قرية تعرف بـ «النُّماس» وحفروا بها آباراً. وكانت عيذاب لبني يونس من ربيعة ملكوها عند قدومهم من اليمامة. ولما قتل إسحاق بن بشر خلفه أحد بني عمه (من بلبيس) وهو أبو عبدالله محمد بن علي. وأشهر رجال ربيعة هم بنو مسروق، وإليه ينسب كنز الدولة حامي أسوان. فنزل إلى أسوان، وأنشأ مكانه المعروف بساقية شعبان. ولم يزل رئيساً على ربيعة حتى مات. فقام برئاستهم بعده ابنه أبو المكارم هبة الله ابن الشيخ أبي عبدالله محمد بن علي، وهو الذي ظفر بأبي رَكْوَة الخارج على الحاكم بأمر الله وقبض عليه.

(١) البيان والإعراب.

فأكرمه الحاكم إكراماً عظيماً ولقبه «كنز الدولة»، وهو أول من لقب بذلك منهم ولم تزل الإمارة فيهم وكلهم يُعرفون بكنز الدولة حتى قبل آخرهم في ٧ صفر سنة ٥٧٠هـ.

وبنو كنز الدولة هم الذين خضدوا شوكة البجة ومنعوهم من غزو صعيد مصر، كما أباحوا لقبائل العرب استثمار المعدن تحت حمايتهم، ونشروا بينهم تعاليم الدين الإسلامي حتى انتشر في جميع مناطقهم. واختصوا برعايتهم الحدارب[١] وجعلوهم في أيديهم قوة يعتد بها في توطيد الأمن وبث الطمأنينة في دائرة نفوذهم في الصعيد والأماكن القاصية من مملكة البجة.

ومن قبائل البجة الكبيرة في التاريخ «ديحيون»، قال عنهم ابن سليم الأسواني: إنهم جنس مولد بين علوة والبجة، وقد بحثت عنهم أو من يعرف عن اسمهم شيئاً فلم أعثر على أخبارهم؛ ولعل ممن يأتون بعدي من يوفق إلى محل وجودهم.

والمسافة بين وادي العلاقي وأول قبيلة بجاوية مثل الرنافج تبلغ خمس وعشرين مرحلة في بادية يقل فيها الماء ويكثر التبر. وهي المملكة الخامسة التي اتخذ ملكها «بقلين» عاصمة لإقامته. ويقول ابن سليم إن حدود الرنافج ربما امتدت إلى «شنقير» قرب بربر، ومن شنقير طرق إلى سواكن وباضع (مصوع) وجزائر دهلك الواقعة شمال مصوع على بعد ثلاثين ميلاً، وجزائر البحر (عبرى وكَلْفِيًا وأخواتهما) التي لجأ إليها من نجا من الأمويين[٢] بعد إخراجهم من أرض النوبة وذاقوا الأمرين في هربهم هذا إذ فقدوا كثيراً منهم. وفي تلك الجزائر الواقعة شرق قرى عقيتاي أنشأوا عمارات وحضارة عربية نجد آثارها هناك[٣] كتب عنها المهندس المعماري الميجر هبربرت في رسائل ومدونات السودان.

---

(١) البلاغ لسليمان عبد الرحمن.

(٢) لما رأى بنو أمية أن القتل بالجملة سيكون نهايتهم تشتتوا واختفوا في البلاد (اليعقوبي).

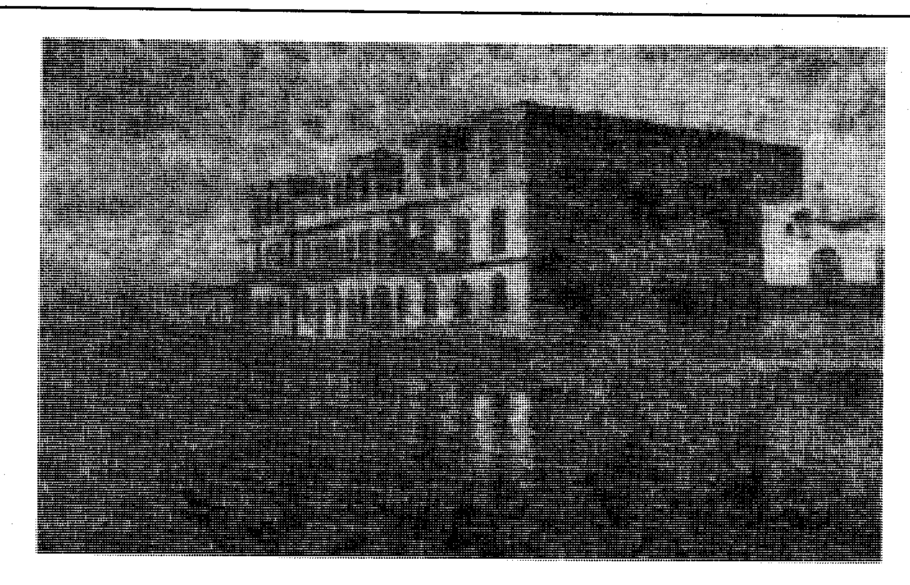
(٣) زارها قبلنا كثيرون من علماء الآثار ووجدوا أن تاريخ وفيات سكانها يبدأ سنة ١٣٣هـ (٧٥٥م) وكان خرابها سنة (١١٧٠م)، وكلنا دوَّنا مشاهداتنا خصوصاً المستر كروفوت.

وكانت مملكة البجة والنوبة تابعتين لمصر منذ الإسلام حتى استولى السلطان سليم التركي سنة ٩٢٤هـ على مصر فسلخ مملكة البجة عن القطر المصري وألحقها بإمارة الحجاز، وبقيت مملكة النوبة تابعة لمصر. وانضم إقليم البجة كله إلى السودان سنة ١٨٦٥م بما في ذلك إرتريا والصومال الإنجليزي، ولولا أن الخديوي محمد علي باشا استولى على السودان سنة ١٨٢٠م وقضى على إمبراطورية الفونج لبقيت ممالك البجة الخمس إلى اليوم (في السودان بكامل حدودها).

كان ملوك هاتين الأمتين يتبارون في غزو ريف صعيد مصر، كما كانت الانتقامات من كلا الأمتين باهظة جداً. ولم تكن بينهم هدنة محترمة، أو معاهدة نافذة المفعول، إذ تنقض قبل أن يجف مدادها، حتى في عصر الإسلام، فهم في قتال مع كل مستعمر يملك القطر المصري منذ أيام الفراعنة الشداد، ثم البطالسة والرومان والعرب والأتراك. فكان خراب المدن سهلاً جداً عند الغزاة، وهذا داود ملك النوبة يحدثنا التاريخ أنه غزا مدينة عيذاب (الميناء الرئيسي لحجاج بيت الله الحرام من المصريين والسودانيين) سنة ٦٧٤هـ، وفسد فيها وأحرق ديارها وقتل الرجال، وسبى النساء، واسترق الأطفال، وتوجه إلى أسوان وأحرق السواقي التي حولها، وعاث فيها فساداً. فلما سمع والي قوص بذلك توجه إليه بجيش كثيف، ولكن داود هرب وتمكن الوالي من القبض على قائد خيله وأسره ورجاله، وبعث به إلى الملك الظاهر بيبرس الذي أرسل جيشاً عظيماً لفتح دنقلة، فتم فتحها، وهرب داود وتعيَّن مكانه ابن أخته المدعو «سكندة» ووالده من بجة عيذاب. فحال توليه السلطة أفرج عمن كان بأيدي النوبة من أهل عيذاب وأسوان من المسلمين. ولم تقم بعد ذلك لعيذاب أي مدنية (مثل سواكن القوم) بعد إن كانت مدينة زاهرة بالعمران والتجارة. فتجار الهند واليمن والحبشة يقصدون الديار المصرية من هذا الطريق المشهور باستتباب الأمن فيه، فتقهقرت كثيراً بعد أن كانت من أعظم مراسي الدنيا، ولقد أطلنا في تاريخها عند ذكرها[1].

(١) تاريخ سواكن والبحر الأحمر للمؤلف: الدار السودانية للنشر سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م).

وكانت عيذاب مقر ملك البجة الحدربي في الإقليم الشمالي وفيها جامع ينسب إلى القسطلاني شهير البركة، وفيها قاض قد درس في الأزهر الشريف.



**منظر لأحد قصور مدينة سواكن في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين: منزل علي جاويش.**



# هجرة العرب إلى السودان بعد الإسلام

عندما فتح العرب مصر في أيام عمر بن الخطاب ﷺ، تدفقت أفواج من القبائل العربية نحو مصر طلباً للرزق والجهاد. ولم يكن كل الراحلين من المجاهدين، بل كانت هناك القبائل العربية التي ذهبت لتجد لنفسها حياة أفضل من تلك التي كانوا يجدونها في جزيرتهم، ولما وصلوا إلى مصر وجدوا أنها لا تناسبهم، وأخذوا ينزحون جنوباً وراء المراعي وتخفيفاً للزحام لأن مصر العديمة الأمطار لا تصلح لقوم رحل، ماشيتهم الجمال، فدخلوا دنقلة واندمجوا في مملكة النوبة وقبائل البجة[١].

وفي أيام الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، نادى رجل من قبيلة بَلِيّ في الشام «بالقضاعة»، فبلغ ذلك الخليفة، فكتب إلى عامله في الشام كي يرحّل ثلث قضاعة[٢]، فسُيِّروا إلى مصر. وكانت بلي متفرقة بأرض مصر أول أمرها في الإسلام، ثم اتفقت هي وجهينة واستوطنوا الأراضي التي حول ميناء عيذاب.

ولم تتوقف هذه الموجات العربية المهاجرة إلى السودان عن طريق مصر أو البحر الأحمر مطلقاً، فقد استمرت طيلة العهود، ودوّنها عدد من مؤرخي العربي في كتبهم فقد ذكر المسعودي أن النوبة كانت (قبل ظهور المسلمين) أشد من البجة إلى أن قوي الإسلام وظهر، وسكن جماعة من

(١) حضارة السودان أحمد عثمان القاضي.

(٢) كان بعضها قد رحل إلى السودان قبل الإسلام كما رأينا.

المسلمين بلاد معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب، وسكن في تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار.

وكانت أسوان أهم نقطة التقاء للعرب في مصر، وقد سكنها خلق كثير من العرب من قحطان ونزار وربيعة، وخلق من قريش[1]، وأكثرهم منتقل من الحجاز، ولهم نخل كثير هناك، وقد ابتيعت من النوبة في دولة الأمويين والعباسيين. ومن أسوان كان العرب ينزحون جنوباً إلى السودان في أوسطه أو شرقه حيث كانت تطيب لهم الإقامة. وكانت أسباب تلك الهجرات كما ذكرها ابن سليم الأسواني في تاريخه (المفقود) هي أن العرب المسلمين بعد فتح مصر هاجروا إلى السودان من مصر وبلاد العرب إما فراراً من الحكام أو طلباً للرزق حتى ملأوا بلاد النوبة العليا.

ومن بين أسباب فرار العرب من الحكام ما كان في مصر أيام حكم المماليك الذين ضيقوا الخناق على العرب بشتى الطرق مما اضطرهم إلى التوغل جنوباً نحو السودان. وفي عهد[2] المماليك كان العربان في الوجه القبلي يغيرون على المصريين ويقلقون راحة البلاد، وينهبون كل ما يقع تحت يدهم، ويستعملون القوة في النهب والسلب. وضج منهم أهل المناطق المتاخمة للسودان فأصدر السلطان أمره إلى الجنود بقتل العرب وحرق ديارهم. فاستنبطوا طريقة لا يمكن للعربي أن يفلت منها أو يتخلص[3]، وهي أنهم كانوا يقولون للعربي قل: «دقيق» فإن نطقها صحيحة بالقاف قتلوه، وإن نطقها خطأ بأن قال: «دِئِيء» كما هو النطق المصري تركوه لأنه غير عربي، وكانت هذه الحيلة والاضطهاد من أهم أسباب هجرة العرب إلى القطر السوداني فراراً من مصر.

كذلك كانت الهجرات عندما انتقل الملك من ذرية الظاهر بيبرس إلى المنصور قلاوون، فقد بعث سنة ٦٨٦هـ العساكر إلى النوبة بعد أن استنفر

---

(١) مواسم الأدب.

(٢) المقريزي.

(٣) نفس المصدر.

العربان من أولاد أبي بكر الصديق وأولاد عمر بن الخطاب وأبناء شريف وشيبان وأبناء كنز الدولة وغيرهم من العرب وبني هلال، وساروا جميعهم[1] مع النيل متجهين إلى السودان حتى بلغوا دنقلة، واقتتلوا مع النوبة وهزموها وتوغلوا خلفها مسيرة خمسة عشر يوماً.

ولما أسلمت النوبة في سنة **٧١٩**هـ، وذلك أيام السلطان الناصر بن قلاوون انقطعت عنهم الجزية، وانتشرت العرب وزاد عدد السكان، وأسلم سلطان دنقلة وتسمى بمحمد بن كنز الدين. وكانت تلك الحادثة من أهم الحوادث التاريخية في بلاد السودان عامة، إذ أفسحت المجال للسيطرة العربية الإسلامية على كل من الدين المسيحي الذي كان منتشراً في البلاد الواقعة في ضفاف النيل، وعلى الدين الوثني الذي كانت تدين به البجة قاطبة في السودان الشرقي. وكانت أهم تلك القبائل والبطون العربية التي نزحت إلى السودان من جزيرة العرب سواء عن طريق البحر الأحمر بالسفن أو عن طريق طور سينا والقطر المصري حسبما ورد في كتب المؤرخين هي:

**١** ـ أبناء أبي بكر الصديق وهم بنو عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، ومنازلهم بالبرجين وسقط وسكرة وطحا المدينة من بلاد الأشمونيين كما ذكر الحمداني. وقد اختلط كثير منهم بقبائل البجة.

**٢** ـ وأبناء الزبير بن العوام من بني مصعب بن الزبير، وهم جماعة يعرفون بجماعة محمد بن وراق استوطنوا الوجه القبلي أول أمرهم.

**٣** ـ بنو هلال وهم فرع من بني عامر بن معصمة من هوازن.

**٤** ـ بنو العباس وقال عنهم ابن سليم: إنهم أكثر القبائل التي هاجرت إلى السودان وتليهم في الكثرة جهينة.

ويضيف المقريزي[2]: أنه قد أخذ كثير من القبائل العربية الرحالة في

(١) المقريزي.
(٢) البيان والإعراب.

الهجرة إلى السودان في أوائل القرن الرابع عشر للميلاد فانطلقت جهينة[١] وحلفاؤها من فزارة نحو الجنوب والغرب تاركين بني كنز الدولة وعكرمة في شمال النوبة ومصر العليا.

وبسبب نزوح هذه القبائل العربية إلى السودان أصبح الكثير من السودانيين يرجعون نسبهم وأصلهم إلى العرب حتى قال أحد الكتاب الإنجليز: «يزعم كل الكواهلة والحسانية بأنهم من نسل الزبير بن العوام، وكذلك تزعم قبائل البجة الذين يقطنون شرق السودان أنهم من أولاد كاهل». ولكن تشكك ريد[٢] ليس في موضعه وذلك لأنه يجهل طبيعة علم الأنساب عند القبائل العربية واهتمامهم وحرصهم على ذلك. ولعل من أنجع الأقوال في مثل هذا الشك ما قاله جرجي زيدان من أن «أشعار العرب وأقوالهم وأمثالهم وأخبارهم شاهدة بمحافظتهم على النسب وعنايتهم بالرجوع إلى أجدادهم من قحطان أو عدنان». وكان الخلفاء يحضون المسلمين على حفظ أنسابهم والتدقيق بها. ولا يطلب من المهاجر أو المجاهد ممن لا يعرف القراءة والكتابة إلا أن يغزو وفي يده سلسلة نسبه، وقد كانوا يرحلون وبيد الواحد منهم المصحف الشريف والفروة وسلسلة النسب بين صفحات المصحف، وفي الثانية يحمل السيف للجهاد. وقد كان عمر بن الخطاب يحرص على المحافظة على الأنساب، وهو الذي يقول: «تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد إذا سئل أحدهم عن أصله قال: من قرية كذا»[٣]، وكان عمر يقسم العطاء على حسب الأنساب القبلية وما زال العرب في السودان حتى الآن لا ينتسبون إلى قراهم ومدنهم ولكن إلى قبائلهم وبطونهم.

ومن ثم نرى أن عرب السودان الذين احتفظوا بأنسابهم العربية لم

---

(١) عرب السودان: ماك مايكل.

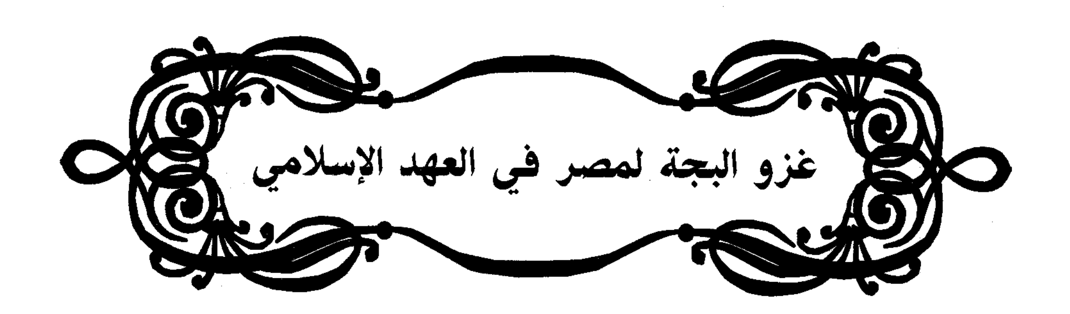
(٢) المستر ريد أحد الإداريين البريطانيين بالسودان سابقاً، وكان مدير مديرية النيل الأبيض.

(٣) ابن خلدون.

يبعدوا عن الحقيقة قيد أنملة. كما أن كل الشواهد التاريخية تثبت تلك الحقائق. وأما قبائل البجة التي شك ريد في عروبتها فهي قبائل الأمارأر والبشاريين والمسلمية والرغوباب والعامراب التي اندمجت في بني عامر والحباب. وكلها تحتفظ بسلاسل أنسابها منذ أن وطئت أقدام أجدادها البلاد واختلطوا بالبجة سكان البلاد الأصليين.

أما هجرة العرب إلى السودان الشرقي واختلاطهم بالبجة فقد كان أساسه الرغبة الملحة في تعدين الذهب من جبالهم كما كانت تفعل الأمم السابقة التي جاورت البجة. ولم يكن التعدين من السهولة بمكان لأنه تسبب عن حروب كثيرة بين العرب والبجة، كما سنبين في ما يلي من صفحات.





# غزو البجة لمصر في العهد الإسلامي

اشتد هجوم البجة على ريف صعيد مصر في أوائل القرن الثالث للهجرة، فرفع والي أسوان الأمر إلى أمير المؤمنين المأمون بن هارون الرشيد. فأمر بإخراج عبدالله بن الجهم إليهم سنة ٢١٦هـ (٨٣١م) فكانت له معهم الحروب سجالاً، ثم تهادنوا وكتبت المعاهدة الثانية مع العرب(١)، وكل المعاهدات كانوا لا يتقيدون بها خصوصاً بعد إنشائهم لمملكة البجة في شرق السودان، فناهضوا مصر العداوة والخصومة، وانتهكوا حرمة حدودها، وتوغلوا في بلاد الصعيد، فكانت الأموال تسلب، والمواشي تنهب، والأرواح تزهق لأوهى الأسباب، فلا حرمة الجوار تمنعهم، ولا دين فيقلعون عن الشر والأذى، ولا عهود أو مواثيق تقيدهم عن إتيان هذه المصائب مع جيرانهم(٢)، وكأنهم كانوا يرونها نزهة أو رياضة يتعرفون على إتيانها، حتى جاء الإسلام ورفرفت أعلامه على أرض الكنانة في سنة ١٨هـ (٦٤٠م)(٣)، وبهذا الفتح اختلط العرب المسلمون بالبجة في المملكة التي كانت قائمة في شمال إقليم البجة بالصحراء الشرقية، حتى كانت أيام خلافة سيدنا عثمان بن عفان فعزل عنها عمرو بن العاص وولي عليها أخاه من الرضاعة عبدالله بن أبي سرح الذي غزا النوبة سنة ٢٦هـ، فتجمع إليه بعد عودته من النوبة

(١) كانت بين البجة والرومان معاهدة سنة ٢٢٣ب.م، بأمر الإمبراطور ديوقليشيان وحفظت هذه الوثيقة في هيكل إيزيس.

(٢) هكذا كان حال البجة مع الحبشة فقد كان ضجيجها شديداً جداً ولكن لا يوجد تدوين يوضح لنا ما لاقوه على أيدي ممالك البجة الغربية والجنوبية.

(٣) وقبل سنة ٢٠هـ.

على شاطئ النيل لفيف من البجة، فسأل عن شأنهم فأخبر أنه ليس لهم ملك يرجعون إليه، فهان عليهم أمرهم وتركهم، فلم يكن لهم عقد أو صلح. وهذا التساهل هو الذي حدا بهم كي يستخفوا بما يصدر منهم، فطالما غزوا شرق مصر وجنوبها في الجاهلية والإسلام وخربوا قرى عديدة مما يليهم من الصعيد.

وكان أول من عقد معهم الهدنة في أواخر القرن الأول الهجري هو عبدالله بن الحجاب السلولي، فقد عقد معهم معاهدة أمان وحسن جوار على أن يعطوه ثلثمائة من الإبل في كل عام حين ينزلون ريف مصر مجتازين بتجارتهم غير مقيمين على أن لا يقتلوا مسلماً ولا ذمياً، فإن قتلوه فلا عهد لهم، وألا يؤووا عبيد المسلمين، وأن يردوا آبقيهم إذا وقعوا إليهم. وكان نائب ملك البجة مقيماً بالريف المصري رهينة. وهذا النائب هو من الحدارب (بيت المملكة) وهم شوكة القوم ووجوههم المشهورون بالشهامة والشجاعة ويخضع لسلطانهم أشد بطون البجة في ذلك العصر وهم الرنافج (زنافج)[1].

وكثرت أذية البجة للمسلمين الذين يريدون استعمار المناجم والاستيلاء عليها شيئاً فشيئاً حتى تذوب وتنصهر القومية البجاوية في العنصر القادم حديثاً من الشمال أو من جزيرة العرب حاملاً مشعل النور والهداية إلى طريق الحق والصواب. وقد تم كل ذلك ولكن بعد قتال عنيف ودماء زكية طاهرة أريقت في الدفاع عن الأوطان وكنوزها العامرة بالتبر والجوهر والفضة.

## معاهدة بين البجة والعرب سنة ٢١٦هـ:

هذا كتاب كتبه عبدالله بن الجهم مولى أمير المؤمنين صاحب جيش الغزاة عامل الأمير أبي إسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد أبقاه الله في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة ومائتين لكنون بن عبدالعزيز عظيم البجة بأسوان: إنك سألتني وطلبت إليَّ أن أؤمنك وأهل بلدك من البجة، وأعقد لك ولهم أماناً عليّ وعلى جميع المسلمين، فأجبتك إلى أن عقدت لك علي وعلى جميع المسلمين أماناً ما استقمت واستقاموا على ما أعطيتني وشرطت لي في كتابي هذا، وذلك أن

(١) كانوا يأخذون من البجاوي في كل شاة يأخذها أربعة دراهم وفي البقرة عشرة.

يكون سهل بلدك وجبلها من منتهى حد أسوان من أرض مصر إلى حد ما بين دهلك وباضع (مصوع) ملكاً للمأمون عبدالله بن هارون أمير المؤمنين أعزه الله تعالى، وأنت وجميع أهل بلدك عبيد لأمير المؤمنين، إلا أنك تكون في بلدك ملكاً على ما أنت عليه في البجة وعلى أن تؤدي إليه الخراج في كل عام على ما كان عليه سلف البجة، وذلك مائة من الإبل، وثلثمائة دينار وازنة داخلة في بيت المال، والخيار في ذلك لأمير المؤمنين ولولاته. وليس لك أن تخرم شيئاً عليك من الخراج. وعلى أن كل أحد منكم إن ذكر محمداً ﷺ أو كتاب الله أو دينه بما لا ينبغي أن يذكر به أو قتل أحداً من المسلمين حراً أو عبداً، فقد برئت منه الذمة ـ ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وذمة أمير المؤمنين أعزه الله وذمة جماعة المسلمين ـ، وحل دمه كما يحل دم أهل الحرب وذراريهم. وعلى أن أحداً منكم إن أعان المحاربين على أهل الإسلام بمال أو دله على عورة من عورات المسلمين أو أثر لعزلتهم، فقد نقض ذمة عهده، وحل دمه. وعلى أن أحداً منكم إن قتل أحداً من المسلمين عمداً أو سهواً أو خطأ، حراً أو عبداً أو أحداً من أهل ذمة المسلمين، أو أصاب لأحد من المسلمين أو أهل ذمتهم مالاً ببلد البجة، أو ببلاد الإسلام، أو بلاد النوبة، أو في شيء من البلدان براً أو بحراً، فعليه في قتل المسلم عشر ديات، وفي قتل العبد المسلم عشر قيم، وفي قتل الذمي عشر ديات من دياتهم، وفي كل مال أصبتموه للمسلمين وأهل الذمة عشرة أضعافه. وإن دخل أحد من المسلمين بلاد البجة تاجراً أو مقيماً أو مجتازاً أو حاجاً، فهو آمن فيكم كأحدكم حتى يخرج من بلادكم. ولا تؤووا أحداً من آبقي المسلمين. فإن أتاكم آبق فعليكم أن تردوه إلى المسلمين. وعلى أن تردوا أموال المسلمين إذا صارت في بلادكم بلا مؤونة تلزم في ذلك. وعلى أنكم إن نزلتم ريف صعيد مصر لتجارة أو مجتازين لا تظهروا سلاحاً ولا تدخلوا المدائن والقرى بحال، ولا تمنعوا أحداً من المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة فيها براً أو بحراً. ولا تخيفوا السبيل، ولا تقطعوا الطريق على أحد من المسلمين، ولا أهل الذمة. ولا تسرفوا المسلم ولا الذمي مالاً، وعليكم أن لا تهدموا شيئاً من المساجد التي ابتناها المسلمون «بصيحة» و«هجر» وسائر بلادكم طولاً وعرضاً، فإن فعلتم ذلك فلا عهد لكم ولا ذمة. وعلى أن

كنون بن عبدالعزيز يقيم بريف مصر وكيلاً يفي للمسلمين بما شرط لهم من دفع الخراج، ورد ما أصابهُ البجة للمسلمين من دم ومال، وعلى أن أحداً من البجة لا يعترض حد القصر إلى قرية يقال لها: «قبان» من بلد النوبة حد الأعمدة.

عقد عبدالله بن الجهم مولى أمير المؤمنين لكنون بن عبدالعزيز كبير البجة الأمان على ما سمينا وشرطنا في كتابنا هذا وعلى أن يوافي به أمير المؤمنين، فإن زاغ كنون أو عاث فلا عهد له ولا ذمة، وعلى كنون أن يدخل عمال أمير المؤمنين بلاد البجة لقبض صدقات من أسلم من البجة. وعلى كنون الوفاء بما شرط لعبدالله بن الجهم. وأخذ بذلك عهد الله عليه بأعظم ما أخذ على خلقه من الوفاء والميثاق، ولكنون بن عبدالعزيز ولجميع البجة عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين، وذمة الأمير أبي إسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد وذمة عبدالله بن الجهم،وذمة المسلمين بالوفاء بما أعطاه عبدالله بن الجهم ما وفى كنون بن عبدالعزيز بجميع ما شرط عليه فإن غير كنون، أو بدل أحد من البجة فذمة الله جل سمه، وذمة أمير المؤمنين، وذمة الأمير ابن إسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد، وذمة عبدالله بن الجهم، وذمة المسلمين بريئة منهم. وترجم جميع ما في هذا الكتاب حرفاً حرفاً زكريا بن صالح المخزومي من سكان جدة وعبدالله بن إسماعيل القرشي. ثم نسقه جماعة من شهود أسوان.

عمل البجة بموجب هذه المعاهدة نحو خمسة عشر عاماً ثم تغلبت عليهم عوامل أهمها حب السلب والنهب، فبدأوا غزو الريف من صعيد مصر وكثر الضجيج منهم إلى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله، فندب لحربهم محمد بن عبدالله القمي، وهو من الأمراء الحازمين وسنأتي على قتاله للبجة فيما بعد.

لما أراد ملك البجة إلغاء المعاهدة بدأ بطرد العرب من جميع المناجم والمدن وامتدت سرايا غزواته إلى بلاد الوجه القبلي، وهذا هو الذي أغضب الخليفة في بغداد خصوصاً منعهم دفع الخراج. ولا شك أن استثمار المناجم معتبر من أكبر أسلحة الاستعمار، ولذلك قرروا الخلاص منها بأي ثمن. وطلاب الحرية لا يمكنهم أن ينالوها أو يحصلوا عليها ما لم يتخلوا من

قيود مثل هذه المعاهدة التي كانت جميعها في صالح العرب. ومن يدرس أخلاق البجة يتحقق بأن أكره شيء عندهم هو السيطرة وأخذ الأموال بالقوة مثل «الخراج»، ونحن قرأنا في التاريخ كيف أن العرب أهل الردة رفضوا أداء الزكاة لأول الخلفاء إذ اعتبروها إتاوة تدفع لقريش. فما بالك بالبجاوي المقيم في وطنه بين أهله وعشيرته يأتيه الأجنبي من الخارج فيطلب منه أن يكون شريكاً له في نياقه وبقره ويضع يده عليها بدون أي تعب. فإذا رضيها تحت ضغط من القوة اليوم لن يقبل أداءها غداً وسيحطم قيودها عند سنوح أول فرصة، ولم يرض بها إلا بعد أن قهرته حكومة شديدة أزالت دولاً عديدة من الوجود، وغنمت تيجان ملوكها، وقذفت بهم في العراء، وقضت على ما كان لديهم من مدنية وحضارة. ولقد تعلمنا من المستعمر أن أغنى الأمم هي التي تملك مناجم الحديد والرصاص والنحاس والذهب والفضة والزيوت (حديثاً) وكل هذا متوفر بكثرة في إقليم البجة الذي كان أهله يقاتلون ويحاربون الغزاة الأوائل من الفراعنة والبطالسة والرومان وغيرهم. ولله در الملك كنون الذي رأى أن مصلحة أهله وعشيرته تمزيق تلك القصاصة من الورق بالسيوف البواتر.

## قتال البجة للعرب ٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ الموافق (٨٤٧ ـ ٨٦١م):

حافظ البجة على نصوص المعاهدة المبرمة بين كنون وابن الجهم، ثم عادوا إلى غزو الريف من صعيد مصر وقتلوا من وجدوه بالمعدن من المسلمين، وكان ذلك في أيام جعفر المتوكل على الله بن المعتصم. فكتب له صاحب البريد بمصر[1] بخبرهم. فأنكر المتوكل ذلك وشاور الناس في غزوهم. وأخبروه أنهم أهل بادية وأصحاب إبل وماشية، وأن الوصول إلى بلادهم صعب لأنها مفاوز، وأن بين بلادهم وبلاد المسلمين مسيرة شهر في أرض قفرة وجبال وعرة، وأن كل من يدخلها من الجيوش يحتاج أن يتزود لمدة يتوهم أن يقيمها إلى أن يخرج إلى بلاد الإسلام. فإن جاوز تلك المدة

---

(١) اسمه يعقوب بن إبراهيم الباذ عيسى مولى الهادي وهو المعروف بقوصرة.

هلك وأخذتهم البجة باليد. فأمسك المتوكل عنهم، فطمعوا وزاد شرهم حتى خاف أهل الصعيد على أنفسهم منهم. واستاء الحكام من نقض المعاهدة والغزو مع أن البجة كانت تأخذ نصف المحصول ممن يعملون في المعادن، ويدفعون منه للسلطان سنوياً أربعمائة مثقال تبر قبل أن يطبخ ويصفى. وتوالت السنون وكثرت الشكوى وخرجت قبائل البجة من بلادها إلى معادن الذهب والجوهر وهي على التخوم فيما بين أرض مصر وبلاد البجة، فقتلوا عدة من المسلمين ممن كان يعمل في المعادن ويستخرج الذهب والجوهر، وسبوا عدة من ذراريهم ونسائهم. وذكروا أن المعادن لهم في بلادهم، وأنهم لا يأذنون للمسلمين في دخولها[1]، وأن ذلك أوحش جميع من كان يعمل في المعادن من المسلمين. فانصرف المسلمون عنها خوفاً على أنفسهم وذراريهم. فانقطع بذلك ما كان يؤخذ للسلطان بحق الخمس من الذهب والفضة. فولى المتوكل أحد رجاله وهو محمد بن عبدالله المعروف بالقمي (من مدينة «قم» الفارسية ومن أبناء أبي موسى الأشعري)[2] محاربة البجة، وولاه معادن تلك البلاد وهي قفط والأقصر وإسنا وأرمنت وأسوان. وكتب إلى عنبسة بن إسحاق الضبي العامل على حرب مصر بإعطائه جميع ما يحتاج إليه من الجند. فخرج عنبسة إلى أرض البجة وانضم إليه جميع من كان يعمل في المعادن وقوم كثير من المتطوعة. فكانت عدة من معه نحواً من عشرين ألفاً بين فارس وراجل، وأرسل عن طريق القلزم (الضفة الغربية من البحر الأحمر) سبعة مراكب مملوءة بالدقيق والزيت والتمر والسويق والشعير. وأمر رؤساء السفن أن يوافوه بها في ساحل البحر من أرض البجة. وسار القمى حتى جاوز معادن الذهب، فخرج إليه ملكهم «علي بابا» (أولباب) وابنه الأمير «فيعس» في جيش كبير، وكانت البجة على إبلهم بالحراب. فجعلوا يتقاتلون أيام متوالية؛ فيتناوشون ولا يصدقون المحاربة. وجعل ملك البجة قتاله شبه مهادنة لكي تطول الأيام

---

(١) تاريخ الطبري.

(٢) منها كانت هجرة عائشة فضيلة القاضي عبد القادر حسين لتولي القضاء الشرعي بمدينة سواكن بعد الفتح التركي سنة ١٥٢٠م.

طمعاً في نفاد الزاد والعلوقة التي معهم فلا يكون لهم قوة، ويموتون هزالاً فتأخذهم البجة بالأيدي. فتقدمت الأزواد، ولكن المراكب قد وصلت بميناء يسمى «ضجة»[1]، فحمل جيش الملك علي باباً على الأمير القمى ورجاله، واستمرت الحرب بينهم سجالاً حتى اقترح أحد رجال القمي أن يستعملوا الأجراس وسلاسل الحديد في أعناق خيلهم[2]، ويهجموا بها على الجمال التي اشتد رعبها ونفورها من الضوضاء، ففرت بأصحابها إلى الجبال والأودية حتى أدركهم الليل وذلك في أول سنة **٢٤١**هـ. وبعد أيام جاءه مندوب الملك طالباً الهدنة. وكان القمي قد غنم تاج الملك. فأعطاه الأمان ورد إليه بلاده التي احتلها على أن يؤدي ما عليه من متأخرات الخراج. وعاد القمي ومعه الملك علي بابا بعد أن استخلف ابنه «فيعس» على مملكته وأن تستأنف حياة العمل في المعادن كما كانت قبل الحرب.

ولما وصل الملك علي بابا مع القمي العراق وجد الخليفة المتوكل بمدينة «سر من رأى» فخلع عليه وعلى المشايخ الذين[3] كانوا معه حللاً من الحرير والديباج، كما كسا جعل علي بابا رجلاً مليحاً واعترف له المتوكل بالسيطرة التامة على طريق ما بين مصر ومكة المكرمة، وانتدب عليهم سعداً الأنياخي الخادم فولى سعد محمد القمي فرجع إليها ومعه الملك «علي بابا» وهو على دينه، وكان معه صنم من حجارة كهيئة الصبي يسجد له. وأقام القمي بأسوان مدة وترك في خزانتها ما كان معه من السلاح وآلة الغزو فلم تزل الولاة تأخذ منه حتى لم تبق منه شيئاً.

واستلم الملك علي بابا دية البجة الذين قتلهم القمي وجيشه كتعليمات المتوكل، وأن يكون الدفع يوم عيد الأضحى سنة **٢٤١** هـ. وحافظ علي بابا

---

(١) واقعة بقرب محمد قول.

(٢) قبائل البجة التي تجيد القتال على الخيل أشهرها الحلنقة والكميلاب وبني عامر ورويلعلياب وبوقليني والهدندوة والحمران.

(٣) ووضع على رأس الملك عمامة سوداء (شعار بني العباس) بدلاً من التاج. وكان معه في رحلته هذه سبعون شاباً بحرابهم وزيهم الذي كان يمثل الفتوة البجاوية فكانت أنظار العامة والخاصة ملتفتة إليهم وهم بباب الخليفة.

بما تعهد به وهو عدم منع مسلمي العرب من استخراج الذهب، فكثر المسلمون في المعدن واختلطوا بالبجة وظهر التبر بكثرة طلابه، وتسامع الناس به فوفدوا من البلدان. والملك علي بابا هو من قبيلة «بَلِيّ» التي يقال لها بالبجاوية: «بلويب» وبالبني عامرية: «بَلَوْ[1] أو بَلاَوْ» كما في بعض الكتب. وهذه القبيلة كانت لها السيادة على البجة. وقال المقريزي: إن الملك علي بابا سافر معه ابن ملك النوبة[2]، فكانت تُزين لهما ويسيران على المدن حتى التقيا بأمير المؤمنين فنظرا إلى ما بهرهما من حال العراق في كثرة الجيوش، وعظم العمارة مع ما شاهداه في طريقهما.

في أواسط القرن الثالث للهجرة كان تنازع السلطة بين رجلين من قريش ببلاد البجة والنوبة على أشده، فهذا العلوي إبراهيم بن محمد من ذرية عمر بن علي بن أبي طالب جمع جموعاً كثيرة وعسكر حول مدينة أسوان، ووقف له بالمرصاد عبدالله بن عبدالحميد العمري ينازعه السلطان، ويجمع حوله القبائل لقتاله. فلما تمت استعداداتهما الحربية اشتبكا بجيشيهما في قتال شديد ثم انهزم العلوي واختلف مع أصحابه فانشقوا عليه وناهضوه العداء، فتركهم، ومضى إلى عيذاب. فأجاره نائب ملك البجة، وأعدَّ له سفينة أبحرت به وأهله إلى جدة ومنها إلى مكة المكرمة، وهنا خلا الجو في بلاد البجة والنوبة للعمري.

وفي رواية محمد بك موسى ناظر الهدندوة، أن الرياح عرقلت سير السفينة من عيذاب إلى جدة، فاتجهت نحو الجنوب وألقت مرساها في الشيخ برغوث حيث أقاموا أياماً، ثم هبت عليهم عاصفة هوجاء مصحوبة بأهوية وأتربة أخفت شمس الظهيرة، فتسابقوا إلى طلوع السفينة، وتخلفت بالبر إحدى بنات العلوي، فضلّت الطريق حتى أمسى عليها الليل، فرأت ناراً تضاء، فقصدتها. وكان الحي من السادة الكميلاب إذ أخذوها إلى

(١) هي القبيلة العربية الثانية في الهجرة إلى السودان قبل الإسلام وقد اعتمدنا أن البجة هي السامية الأولى بهذا الإقليم.
(٢) اسمه تيراكبي بن زكريا أي (جورج).

سواكن، وأصبحت هذه العلوية الهاشمية هي جدة الهدندوة، وسنبين ذلك في تاريخ الهدندوة إن شاء الله.

## البجة والعرب سنة ٢٥٥هـ (٨٦٩م):

في هذا التاريخ قدم على البجة أبو عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحميد العمري بعد محاربته للنوبة ومعه ربيعة وجهينة وغيرهم من العرب، فكثرت بهم العمارة في البجة حتى صارت الرواحل التي تحمل الميرة إليهم من أسوان ستين ألف راحلة غير الجلاب (السنابيك) التي تحمل من القلزم إلى عيذاب. ومالت البجة إلى ربيعة وتزوجوا منهم. وقيل: إن البجة تحالفت مع ربيعة على قتل العمري، وأخرجوا كل من خالفهم من العرب وحرموه من التنقيب عن الذهب في ديارهم. وتصاهرت ربيعة مع رؤساء البجة (البلويب) وبذلك كف ضررهم عن المسلمين.

وفي سنة **١٥٩**هـ (٨٧٣م) يوم العيد أقبل البجة نحو مصر فنهبوا وعادوا غانمين، وفعلوا ذلك مرات، وكان على مصر إذ ذاك عبدالحميد بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب فخرج غضباً لله وللمسلمين وكمن لهم في طريقهم فلما عادوا من آخر غزواتهم خرج عليهم وقتل مقدمتهم ومن معه، ودخل بلادهم فنهب ما لا يحصى. وتابع عليهم الغارات حتى أدوا إليه الجزية التي لم يدفعوها قبل ذلك. وسنأتي على كيفية قتله.

أجمعت جميع كتب مؤرخي العرب على أنهم كبدوا البجة خسائر فادحة في الأرواح والأموال أما هم، أي كتاب العرب مثل الحكومة الفرنسية اليوم بين أن تذكر خسائر الجزائريين بعشرات الألوف، وأن خسائرهم طفيفة أو لا تذكر، مع أن الواقع والمعروف عند كل الأمم والدول دائماً أن خسارة المهاجم ضعف خسارة المدافع، والمحقق المدقق فيما تنشره الدول المستعمرة عن خصومها يعتريه العجب عندما يحصى سكان مثل الجزائر أو كينيا، إذ يثبت الإحصاء أن السكان قد انقرضوا مع أن القتال بينهما على أشده. وهذا يذكرنا بحوادث المهدية وقتال الأمير عثمان دقنة للإنجليز الذين يقولون بأن خسائر الأمير خمسة آلاف وخسائرهم مائة وعشرون جندياً، ثم

تكون النتيجة عودتهم إلى سواكن منهزمين متسابقين إلى باب السور وخيل الأنصار تعمل في أقفيتهم، وفرسانهم يتلاعبون بالرماح والصوارم البيض.

قال المقريزي في خططه: ثم كثر المسلمون في المعدن فخالطوا البجة، وأسلم كثير منهم خصوصاً الحدارب وهم شوكة القوم ووجوجهم، وهم مما يلي مصر من أول حدهم إلى العلاقي وعيذاب التي يعبر منها إلى مدينة جدة.

وجاء في كتاب الإعلام عن عبدالحميد العمري أنه تأثر من الشجعان، وكان عابداً وصالحاً بمصر. حارب البجة بدون إذن من السلطان أحمد بن طولون سنة ٣٥٩هـ (٨٧٣م) فسير إليه السلطان جيشاً كثيفاً، فلما التقوا تقدم العمري وقال لمقدم جيش السلطان إنني لم أخرج لفساد ولم أوذ مسلماً ولا ذمياً، وإنما خرجت طلباً للجهاد. فاكتب إلى ابن طولون بخبري. فلم يجبه وقاتله فانهزم جيش ابن طولون وعاد من سلم منه إلى السلطان وأخبروه بالخبر. فلامهم على قتاله وقال: نصر عليكم ببغيكم، وتركه. وبعد مدة فاجأ العمري غلامان له فقتلاه وحملا رأسه إلى ابن طولون فسألهما عن سبب قتله فقالا: أردنا التقرب إليك فقتلهما.

## البجة والإسلام سنة ٣٣٢هـ (٩٠٤م):

قال شقير بك في تاريخه: وما زال الإسلام يمتد حتى عم صحراء البجة كلها وأزال منها عبادة الأوثان.

## أشهر ملوك البجة بعد الإسلام:

هو بشر بن مروان بن إسحاق وأبوه من ربيعة وأمه من البجة. وبسط أمراء هذا البيت نفوذهم على هذه المماليك المترامية الأطراف وتولوا حكوماتها بتقليد من مصر[1]، وكان يلقب أمير البجة «الحدربي» نسبة إلى ذلك العنصر الممتاز. وكان يكتب له في الأبواب السلطانية المصرية حتى أوائل القرن التاسع الهجري بالعنوان الآتي:

---

(١) من حدود ما بين دهلك ومصوع إلى أسوان.

**«المجلس السامي الأميري الحدربي»**[١].

قال الأستاذ سليمان عبدالرحمن: وأغلب الظن أن هذا الرسم بقي لأمراء البجة من أهل هذا البيت حتى آخر عهد المماليك.

### الأمير سمرة بن مالك:

قال القلقشندي في صبح الأعشى أن هذا الأمير كان في أيام دولة الناصر قلاوون وأنه كان أميراً جليلاً ذا عدد جم وشوكة ملكية يغزو الحبشة وأمم السودان، ويأتي بالنهاب وبالسبايا، وله أثر محمود وفضل مأثور. وفد على السلطان فأكرم مثواه وعقد له لواء وشرف التشريف وقلده وكتب إلى ولاة الوجه القبلي عن آخرهم وسائر العربان بمعاضدته ومساعدته والركوب للغزو معه متى أراد. وقلده إمرة عربان القبائل مما يلي قوص. وكتب له منشوراً بما يفتحه من البلاد وتقليده بأمرة عربان القبلة مما يلي قوص، وإلى حيث تصل غايته وتركز رايته.

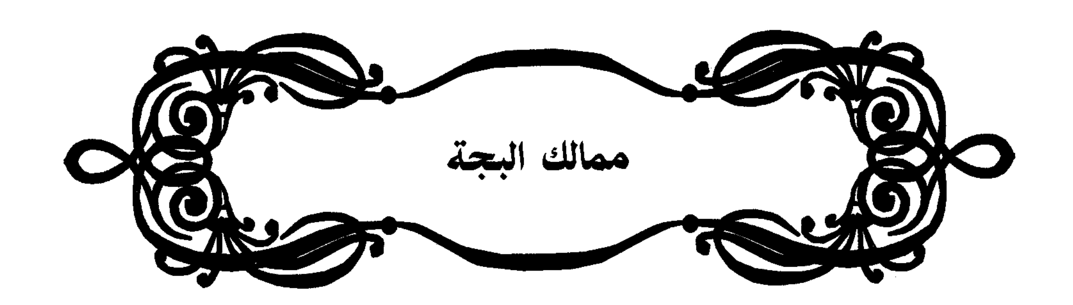
وبقيت مملكة البجة في العائلة الحدربية إلى عهد السلطان سليم سنة **٩٢٣**هـ، حيث أمر بسلخها عن مصر وولى عليها أمراء وأتبعها للحجاز، وكذلك سواكن ومصوع حتى سنة **١٨٤١**م، فانضم إقليم البجة للسودان (حكومة الخديوي محمد علي باشا) وذلك بعد زوال مملكة الفونج التي ظهرت سنة **٩١٠**هـ، واستولت على بلاد البجة سنة **١٠٠٠**هـ تقريباً برئاسة الشيخ عجيب المانجلوك[٢]، ثم انضمت سواكن ومصوع إلى السودان سنة **١٨٦٥**م، وخفضت سلطة أميريهما إلى عموديتين[٣].

---

(١) وهذا أيضاً عنوان أمير سواكن هو أيضاً من البلويب.

(٢) هو ثاني وزراء العبدلاب أما السلطنة فكانت بيد الأمويين. وكان أمراء العبدلاب يصاهرون نظار القبائل فإذا رزقوا ولداً جعلوا الرئاسة له بإهدائهم له كل الملابس والمراسيم حتى يضمنوا عدم ثورة القبيلة عليهم وسنفصل ذلك.

(٣) كانت إمارة سواكن محل عدة منازعات بين الحدارب والأرتيقة التي توطد مركزها في عهد السلطان محمود العثماني إذ أصدر مرسوماً بذلك في أواخر القرن الثاني عشر الهجري).



# ممالك البجة

حسب مقتضيات العصور المختلفة، كانت بالسودان ممالك تقوى وتضعف، والبحث عن كل الممالك التي قامت بالقطر السوداني يحتاج إلى أبحاث ومراجع لا تتسنى لعاجز مثلي أن يتحصل عليها بسهولة، ولو أنه لدي من المراجع عن إقليم البجة ما يضيء سبيل التدوين أمامي، اللهم إلا النزر اليسير فإني لم أقدر على الحصول عليه، وربما كانت أكبر مملكة بجاوية هي التي ذكرها الأستاذ سليمان عبدالرحمن في (البلاغ) عن ذكره للبجة.

❋ ❋ ❋

## البجة في القرن الرابع للميلاد

أقام البجة المملكة الرابعة[١]، في شرق السودان إلى ساحل البحر الأحمر فيما بين حدود الحبشة وسَمْت أسوان، واتخذوا حاضرتها «سواكن» ومرفأها «عيذاب».

وكانت هذه المملكة لا تفتر عن انتهاك حرمات الحدود المصرية

---

(١) كانت هذه الممالك الأربع قد قامت في المنطقة على النحو التالي:

الأولى: في السودان الأوسط وعاصمتها سوبة، والثانية على النيل في شمال السودان وعاصمتها دنقلة، والثالثة: مملكة البجة بين أسوان وصحراء قنا حتى مصوع، وعاصرت هذه الممالك مملكة أكسوم فترة من الدهر وهي المملكة الثالثة.

والتوغل في الصعيد، والتعرض للأرواح والأموال، لا ترهبها القوة، ولا تصدها المواثيق. وتمتد حدودهم من صحراء (قنا) إلى ما يقارب حدود الصومال، واتخذوا مساكنهم في الصحراء الشرقية من وادي النيل، وهم إلى هذا العصر قبائل جسيمة. وهم من حدود مصر إلى جنوبي مصوع وجزائر دهلك.

**وملوك البجة الآن هم نظارهم، وهم:**

١ ـ ناظر البشاريين: الشيخ أحمد كرّار أحمد.

٢ ـ ناظر الأمَّارْأَرْ: الشيخ محمد أَرْباب أحمد.

٣ ـ ناظر الهدندوة: الشيخ محمد الأمين تِرِكْ.

٤ ـ ناظر الحلنقة: الشيخ جعفر علي شَكِيلايْ.

٥ ـ ناظر بني عامر: الشيخ إبراهيم محمد عثمان.

ومنذ فجر تاريخ السودان كانت هناك أمتان اشتركتا في حوادثه، فكانت إحداهما: هي تلك التي تسكن في حوض النيل ببلاد النوبة والتي سميت ببلاد كوش أو النوبة وغير ذلك من الأسماء التي اشتهرت بها، أما الأمة الثانية: فهي أمة البجة التي كانت تجوب الصحراء الشرقية نحو البحر الأحمر، وانقسمت البجة إلى عدة ممالك متفرعة عن مملكتها الرئيسية، وكانت دائماً تقف صفاً واحداً وسداً منيعاً ضد المنيرين من المستعمرين والمعتدين. وبالإضافة إلى ذلك فإن مملكة البجة درجت على انتهاك حرمات الحدود المصرية والتوغل في صعيد مصر والتعرض للأرواح والأموال لا ترهبها القوة ولا تصدها المواثيق.

على أن الزمان فعل فعله في وحدة المملكة البجاوية حتى إنه لما زارها ابن حوقل قبل ألف عام[1]، لم يجدها متحدة في مملكة واحدة بل

(١) كذلك كتب اليعقوبي عن مملكة البجة وأورد هذا التقسيم الداخلي لممالكها الخمس، توفي اليعقوبي حوالى سنة ٨٧٢م. وابن حوقل حوالى سنة ٩٧٧م.

وجدها قد انقسمت إلى خمس ممالك لكل منها حدودها وسلطانها. وهذه الممالك هي:

١ ـ مملكة ناقص: وهي تبدأ شمالاً من أول الحدود المصرية وفي غربها أسوان.

٢ ـ مملكة بقلين: وهي تقع بين خور بركة وساحل البحر الأحمر المجاورة لمملكة جارين.

٣ ـ مملكة بازين: وهي تقع بين مملكة علوة وبقلين.

٤ ـ مملكة جارين: على السواحل الجنوبية حتى جبل رورا (بقلة) قرب نقفة.

٥ ـ مملكة قطاع: تبدأ من نقفة حتى سمهر (مصوع).

ومن يتأمل هذه الممالك على الخريطة يجد أن قبائل البجة الخمس الآن قد ورثت أراضي هذه الممالك، كما ورثت ألقابها فقد كان زعماؤها يحملون لقب ملك ولهم مظاهر خاصة في خلق الشعور العام نحو وظائفهم الملكية. فقد كان لكل ملك منهم كرسي للحكم عرف في السودان باسم «ككر» وهو العرش الذي يجلس عليه الملك، أما رأسه فقد كان يغطيه بتاج أو طاقية من الذهب تسمى «أم قرين» ويصحب ذلك من شعارات الملكية سيف أوربِّي صقيل ونقارة (طبل) يقرع في المناسبات وعند الأزمات. ولم يفقد هؤلاء الملوك ألقابهم الملكية إلا بعد أن فتح محمد علي باشا شرق السودان سنة ١٨٤١ فأزال الملك وألقابه وأبدلها بكلمة ناظر قبيلة. وما زال هذا اللقب مستعملاً لزعماء القبائل الكبار حتى اليوم.

لقد ورثت قبائل البجة الحاضرة ممالك أسلافهم السابقين وأصبح الموقف الآن كما يلي:

١ ـ قبائل البشاريين، ويسكنون في منطقة مملكة ناقص.

٢ ـ قبائل الأَمَّارْأَرْ، وهم يعيشون في منطقة مملكة بقلين.

٣ ـ قبائل الهَدَنْدَوة، وينتشرون في بقاع مملكة بازين.

٤ ـ قبائل بني عامر، ومواطنهم على السواحل الجنوبية.

٥ ـ قبائل الحَلَنْقَا، ويقطنون في كسلا وما حولها.



# البجة وابن حوقل

ذكر ابن حوقل في رحلته منذ ألف عام أنه وجد القبائل الآتية بإقليم البجة، ولي معرفة بأكثرها، وهي باقية إلى عصرنا هذا، فمثلاً يوجد منها في بني عامر:

١ ـ رِقْبات السودان[١].

٢ ـ عَيْدَكْ، وصوابها عَيْدَقْ: وتوجد بقاياها في جبل بهذا الاسم بجوار هجر.

٣ ـ سَتْبَوٌ، وصوابها سَتْبو[٢].

٤ ـ أيْتَمَة، أقليتها بالسودان.

٥ ـ أما جِنْدِيبَة.

٦ ـ وخيكيا (كيخيا) فرحلت إلى إرتريا بعد الوقائع بين البني عامر والبلويب في القرن الثامن للهجرة، وهم اليوم أقلية حول مصوع.

٧ ـ وأما مَنْسَعْ، فتنقسم إلى ثلاث نظارات كبيرة بإرتريا، وهي: بيت شَحَقَنْ، وبيت أبْرَهِي وجِمِّجان.

٨ ـ أرْتِيقَة، وهي معروفة وكذلك هدندوة، وتَنكِيكْ، والأخيرة من بقايا البجة التي انضمت للهدندوة، واحتفظت بمنازلها في أرْكَويتْ[٣].

---

(١) أما رقبات إرتريا فهي كثيرة، ولها نظارة خاصة هناك.

(٢) غالبيتها بإرتريا.

(٣) رؤساؤها من مسلمي كاليكوب الهدندوية، ويسكنون «تَكْ كِلِيدَانْ» بين أسمرة وكَرَنْ.

٩ ـ كُرْبَابْ، وهم من بطون «أتْمَنْ» (أي ذرية عثمان ابن الشيخ عجيب المانجلوك العهد اللابي) من قبيلة الأَمَّارْأرْ.

١٠ ـ حِرِمْبَابْ، وصوابها «حِرِمْ نَبَا»[١].

١١ ـ كابِرُو، :

١٢ ـ ونَجْرِيرو، فإنني لم أجد أي خبر عنهما.

فلو تمكنت وتحصلت على نسخة من رحلة هذا المؤرخ العربي لازدادت معرفتي بأهل ذلك العصر من قبائل البجة التي تعرف بغالبيتها المجاورة للجبال الساحلية (شواطئ البحر الأحمر).

ويظهر أن جهله باللغتين البجاوية والبني عامرية حالتا دون تعمقه في الداخل والوصول لشواطئ نهر عطبرة والقاش وكسلا.

ولقد عرَّبنا هذه النبذة من كتاب «دولة الفونج» تأليف المستر كروفورد، وهذا المؤرخ تحصل مني على نسخة من سلسلة نسب الأشراف (ذرية السيد محمد الحسيني) وكذلك سلسلة نسب الهدندوة، وقد تفضل فنشرهما في مجلة «السودان في رسائل ومدونات»[٢]، وعمل مضاهاة بين نسختي ونسخة السير دوجلاس نيويولد في أسماء أجداد الهدندوة، فأنا عَرَّبت الأسماء، وهو تركها بالبجاوية. فمثلاً قلت: «جعفر» بدلاً من «كِلاَيْ»، فالأول سماه به والده العربي تيمناً باسم «جعفر الطيار» ولمعرفة البجة بهذا الاسم اكتفوا باسم «كِلاَيْ» وهو «طيار»، وكان الصواب حليفاً لكلينا.

وقلت: «يوسف»، وقال: «نَأْشُوكْ» أبو هاكول، وقلت «حمزة أبو قايد»، وقال «حَمْلاَبْ» وقِسْ على ذلك في تصحيح أسماء سائر قبائل البجة وتعريبها.

---

(١) كانوا يسكنون بجبال بني عامر، ثم استقروا في جبل واحد أطلق عليه اسمهم، وقد بقيت منهم أقية ضئيلة اندمجت في قبائل الحماسين العامرية.

(٢) SUDAN NOTES AND RECORDS.

## البجة والصليبيون

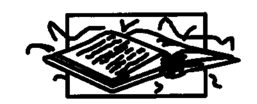
في سنة ٥٧٨هـ، طمع البرنس رينولد دي شاتيلون في الاستيلاء على أراضي الحجاز، فأنشأ المراكب ونقل أخشابها على الجمال إلى الساحل[١]، ثم ركبها وشحنها بالرجال وآلات القتال وجعلها قسمين: قسماً سار إلى جزيرة قلعة إيلة (سيناء)، فمنع أهلها من ورود الماء فنال أهلها شدة، وضيق عليهم. والقسم الثاني: سار نحو عيذاب وأفسد في السواحل، ونهب وأخذ ما وجد من المراكب الإسلامية وما فيها من التجار، وبغتوا الناس في بلادهم على حين غفلة لأنهم لم يعهدوا بهذا البحر إفرنجيا لا تاجراً ولا محارباً. وكان بمصر الملك العادل أبو بكر بن أيوب نائباً عن أخيه صلاح الدين، فعمر أسطولاً في بحر القلزم بقيادة الحاجب حسام الدين لؤلؤ، وشحنه بالرجال البحريين ذوي التجربة من أهل النخوة للدين. وساروا إليه فظفر بمراكب العدو بعدما حرقها وأخذ جندها ومن هرب منهم في البرية تتبعته العرب وأحضرته إليه. ثم سار نحو عيذاب مقتفياً أثر الباقي من مراكب الصليبيين فوجدهم قد قتلوا أهل عيذاب[٢]، وأسروهم ونهبوهم وساروا، فتبعهم فوجدهم قد قطعوا طريق التجار وشرعوا في القتل والنهب، وتوجهوا إلى أرض الحجاز، فعظم البلاء على الناس، وأشرف أهل المدينة المنورة ومكة المكرمة على خطر. وسار لؤلؤ يتبعهم، فوصل ميناء رالتج بالحجاز (ساحل الحوراء) فأدركهم هناك فأوقع بهم من القتل والأسر، فلما

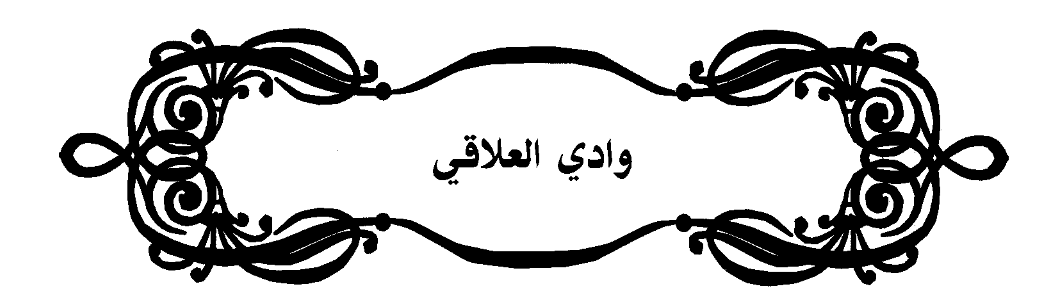
---

(١) الحروب الصليبية، أما رينولد فهو صاحب الكرك بالشام وكان من أشد أمراء الصليبيين عداوة للمسلمين وقد عزم على المسير في البر إلى المدينة المنورة. وكان دائماً ينقض عهوده فجمع جيشه واستعد لذلك، ولكن خوفه من عز الدين فرحشاه صاحب دمشق منعه من تنفيذ رغبته.

(٢) قال ابن جبير أن الإفرنج أخذوا سفينة للبجة أتت بالحجاج من جدة، وأخذوا في البر قافلة كبيرة أتت من قوص إلى عيذاب وقتلوا الجميع، وأخذوا مركبين كانا مقبلين بتجار من اليمن. وأحرقوا أطعمة كثيرة على ذلك الساحل كانت معدة لميرة مكة والمدينة. وأحرقوا نحو ستة عشر مركباً أخرى، وقد انتشرت أخبارهم وسلطتهم على شاطئ البحر وولجوا إلى برية الحجاز.

رأوا العطب وشاهدوا الهلاك خرجوا إلى البر واعتصموا ببعض تلك الشعاب. فنزل لؤلؤ من مراكبه إليهم وقاتلهم أشد قتال، وأخذ خيلاً من عرب البلاد فركبها وقاتلهم فرساناً ورجالاً، فظفر بهم وقتل أكثرهم وأخذ الباقين أسرى وأرسل بعضهم إلى منى لينحروا بها عقوبة لمن رام إخافة البلد الحرام. وعاد بالباقين إلى مصر فقتلوا جميعاً لئلا يدل من يظل منهم حياً على تلك الجهات، وكانوا على مسيرة يوم من المدينة المنورة فأدركهم المسلمين وأخذوهم عن آخرهم بعد جهاد طويل استمر أكثر من شهر ونصف.





# وادي العلاقي

في كتب التاريخ والرحلات ورد اسم هذا الوادي المشهور بكثرة الذهب في المنطقة الشمالية من إقليم البجة المجاورة اليوم لمساكن العبابدة والبشاريين وقد كتبنا عنه كثيراً فيما سبق. لكن عثرنا على فصل كتبه الدكتور جواد علي العراقي في كتابه «تاريخ العرب قبل الإسلام»، يكاد أن يكون المقصود به وادي العلاقي. قال الدكتور عن المؤرخ ديدورد روس: إن جبل (شابينوس CHABINUS) يسكنه شعب اسمه: ديباء DEBAE يعتني بتربية الإبل لأنه يعيش عليها فيشرب ألبانها، ويأكل لحومها، ويحارب عليها، ويتنقل عليها من مكان إلى مكان. ويخترق أرضه نهر يحمل مع مياهه تراب الذهب (التبر) ويصب في البحر، غير أن الناس لا يعرفون كيفية استخلاص الذهب وتنقيته. وهم لا يسمحون للغرباء بالنزول عندهم إلا إذا كانوا بيتياء BEATAE أو من بيلوبونس PELOPONESI لاعتقادهم أنهم ينحدرون وهؤلاء من صلب جد واحد هو «هريقلوس».

فقال الدكتور جواد: إن هذا الجيل وهذه القبائل في إقليم العسير، وأن النهر المذكور ينبع من مدينة صبيا SABYA ويصب بقرب جيزان. ونحن نقول: إن سكان وادي العلاقي من البجة كان جلّ اعتمادهم ومعاشهم على الإبل، وقد حاربوا الفراعنة والبطالسة والرومان والعرب على ظهور هذه الإبل بخلاف عرب الجزيرة الذين كانت حروبهم على الخيل من عهد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

وسأترك لأبناء البجة بحث الألفاظ والأسماء لأني أراهما أقرب إلى اللغة البجاوية.



# المعادن ببلاد البجة الزمرد

قال الجاحظ: إن منجم الزمرد لا يوجد إلا في بلاد البجة، وقال المسعودي إن الموضع الذي فيه الزمرد يعرف بالخربة وهي مغازة وجبال، والبجة تحمي هذا المكان وإليها يؤدى الخفارات من يرد حفر الزمرد.

**والزمرد الذي يقتلع من هذا المعدن أربعة أنواع:**

الأول منها: يعرف بالمر وهو أجودها وأغلاها ثمناً. وهو شديد الخضرة كثير الماء. تشبه خضرته بأشد ما يكون من السلق خضرة. وهذا اللون غير كدر ولا ضارب إلى السواد.

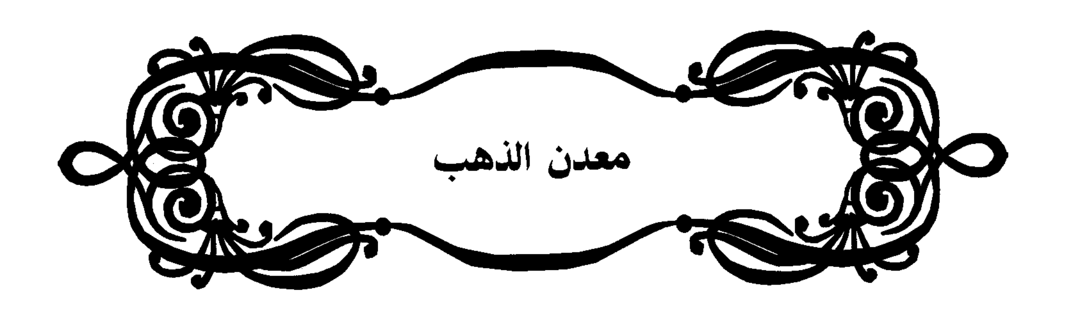
الثاني منها: يدعى بالبحري ومعناهم في هذه التسمية هو أن ملوك البحر من السند والهند والرانج (رانجون بورما) والصين ترغب في هذا النوع من الزمرد وتباهي في استعماله ولباسه في تيجانها وأكاليلها وخواتيمها وأسورتها، فسمي بالبحري كما ذكرنا، وهو ثاني المر في الجودة وتشدد خضرته.

الثالث منها: يعرف بالمغربي، ومعناهم في هذه التسمية وإضافته إياه إلى المغرب، هو أن ملوك المغرب من الإفرنجة والأندلس والصقالبة والروس وإن كان أكثر هؤلاء الأمم متصلين بالجربي وهو ما بين المشرق والمغرب على حسب ما ذكرنا من ديار ولد يافث بن نوح يتنافسون في هذا النوع من الزمرد كتنافس من ذكرنا من ملوك الهند والصين في النوع المعروف بالبحري.

الرابع منها: هو المسمى بالأمم وهو أدنى الأنواع وأقلها ثمناً لقلة مائه وخضرته. وهذا النوع يتفاوت في اللون من الخضرة والقلة. وجملة الوصف بهذه الأنواع الأربعة في الجودة والمبالغة في الثمن هو أكثرها ماء، وأصفاها وأكثرها خضرة، وأنقاها من السواد والصفرة، وغير ذلك من الألوان مع تعري هذا الجوهر من النموشة. فإذا سلم مما ذكرنا كان نوعه غاية في الجودة ونهاية في الوصف. وفي حجارته ما يبلغ الخمسة المثاقيل في الوزن إلى أن ينتهى إلى حد العدسة في المقدار. وآفات هذا الجوهر المنوع كثيرة منها الريم، والحجارة، والعروق البيض التي تشوب هذا الجوهر وتوجد فيه، ولا يتناكر بين ذوي الدراية بهذا الجوهر. والحيات والأفاعي والثعابين إذا أبصرت الزمرد الخالص سالت أحداقها. وإن الملسوع إذا سقي من الزمرد الخالص وزن دانقين على الفور آمن على نفسه من سريان السم في جسده. ولا تقرب الحيات من معدنه وأرضه. وهو حجر لين رخو يتكلس إذا ورد على الماس، وقد كانت ملوك اليونانيين ومن تلاهم من ملوك الروم تعظم شأن هذا الجوهر وتفضله على غيره من سائر الجواهر لما اجتمع فيه من الخواص العجيبة والمنافع الكثيرة. وقد يوجد على ظهر الأرض من هذا المعدن في وهاده وجباله وما انخفض وارتفع من أرضه نوعان منه، وهما المغربي والأمم المقدم ذكرهما. والزمرد يكثر في السنة التي تكثر فيها الصواعق والرعود والبروق. وبوادي البجة المالكة لهذا المعدن (الزمرد) تتصل ديارها بالعلاقي الذي فيه معدن الذهب. اهـ.

ولقد رأيت هذا الجوهر وهو غشيم أي بعد استخراجه من المنجم وقد اشتراه الشيخ محمد السيد البربري سنة ١٩٢٠م بمدينة سواكن.






يوجد ببلاد البجة خصوصاً الشمالية منها أي بأرض البشاريين والأَمَّارْأرْ عدة جبال كلها مناجم مملوءة بالذهب الكثير. وأقول هذا عن تجربة ومشاهدة بالعين. ولكن أين المال الذي يصرف على استخراج الذهب. والناس هنا في السودان يحاولون كأفراد استخراج الذهب والميجا والمنجنيز والحديد. وهذا مستحيل لأن هذه الخيرات يجب أن تتألف شركات وطنية كي تستخرجه من الكهوف والمغاور التي كان الفراعنة والبطالسة والرومان يسخِّرون البجة في العمل بها حتى جاء الإسلام فأبطل العمل في الجبال وانتقل إلى السهول والوديان وخصوصاً وادي العلاقي.

وحاول الخديوي محمد علي باشا البحث في البادية المذكورة، ولكن للأسف لم ينجح الخبير الفرنسي في العثور على آثار الفراعنة في الجبال ولذلك ألغى البحث عام ١٨٣٦م.

وجاء الرحالة المستر أوغسطوس وايلد Mr. A.WYLDE إلى سواكن وسار منها بالجمال حتى اكتشف عدة مناجم حول جبيت المعادن وأوبو وأونيب في أوائل المهدية سنة ١٨٨٥م. وبعد الفتح الثنائي جاءت عدة شركات إنجليزية لم تنجح منها إلا الأولى. فلما استنزفت ما حواه الجبل توفي مديرها فقفلت آبارها وورثتها شركة أبناء المرحوم الشيخ سعيد عبدالله باعشر، غير أن بحثهم لم يحقق رغبتهم، فانتقلوا من «أوكو وأوكوا إن» إلى جبال بر كتيب وهنالك استقر بهم المقام وبدأوا في البحث والتنقيب. وإنهم وإن كانوا في دور الإنشاء وجلب الآلات والمعدات (وما أغلاها وما أكثرها)

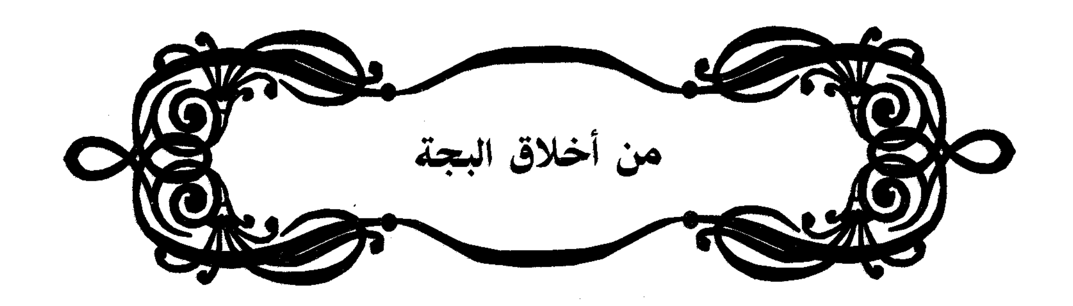
فإن تباشير عملهم تدل على أنهم رجال كد وعمل مع أولئك العمال الكادحين.

ويبعد هذا المنجم عن بورتسودان نحو ثلثمائة ميل. وله طريقان، أحدهما: عن محمد قول وجيبت المعادن وهو طويل، والثاني: عن طريق عقبة نكسيب ثم رقاق هندي وهو قصير.

ونأتي هنا لذكر الحقيقة، وهي أن بلدان وجبال البجة كلها معادن. وكلما صعد الباحث إلى داخليتها عثر على أجود وأكثر الذهب والتبر. قال المسعودي: «وخيره أن فيها الفضة والنحاس والحديد والرصاص وحجر المغنطيس والزمرد». والبجة تنقصهم رؤوس الأموال لاستخراجها فأين أرباب الثروات والمستثمرين فإن الأيدي العاملة متوفرة جداً في إقليم البجة. ولم تكن هذه كل الثروة البجاوية، بل في أوديتهم شجر الأهليلج والمقل والشيح والسنامكي وشجر البان والنخيل والسدر والدوم والرياحين وسائر الخضروات وغيرها مما ينفع الناس. وهذا وادي العلاقي الذي كان العرب يبحثون عن الذهب فيه.

قال ابن جبير في رحلته إنه واد فيه خلق كثير كالبلد الجامع. وفيه آبار عذبة يشربون منها. ومعدن الذهب عندهم متوسط في الصحراء. لا جبل حوله بل رمال لينة وسباسب سيالة. فإذا كان أول ليالي الشهر العربي خاض الطلاب في تلك الرمال، فينظرون التبر يضيء بين الرمل ويعلمون مواضعه، ويصبحون فيجيء كل منهم إلى كوم الرمل الذي عمله، فيحمله على هجينه، ويمضي إلى آبار فيغسله ويصوله ويستخرج منه التبر ويلغمه بالزئبق ثم يسكبه في البوادق (آلات لتصفية الذهب) فمن ذلك معاش سكان الوادي المذكور.

وننتقل إلى أخلاق البجة منذ القدم فإنها لم تتغير إلى اليوم منذ آلاف السنين وهي تدل على أنهم تحلوا بسهم وافر في مكارم الأخلاق قبل أن يختلطوا بالعرب أو يدينوا بالإسلام.



# من أخلاق البجة

قال نعوم بك شقير: «أما البجة فلونهم بني قاتم ويشبهون بدو العرب جداً في الملامح والأخلاق إلا أنهم أشكس أخلاقاً». وروى العارفون عنهم أخباراً تدل على كرم الأخلاق وطيب النفس، منها أن رجلاً من الهدندوة من عمودية البشكواب يدعى الشيخ محمد بن عبدالله جاء إلى إحدى عموديات القَلَّاب نِيو الهدندوية يسألهم الصفح عن قتيل قتله أهله من رجالها. فطعنه واحد منهم بحربة في جنبه ليمنعه التوسط في الصلح. فلم يلتفت إلى الطاعن بل لم يزل يرجو العفو والكف عن طلب الثأر والدم يسيل من جنبه. فلما رأى القلاب نيو أنه صابر على الضيم إلى هذا الحد حباً بحقن الدماء تنازلوا عن ثأرهم إكراماً له، وحملوه عندهم أياماً على الرحب والسعة. فهم يحتقرون الموت ولهم صبر على مضض الأيام. ومن غريب أخلاقهم أنه إذا جاء الجدب واشتد الجوع أغلق الواحد منهم باب داره على نفسه وأولاده وانتظر الموت جوعاً ولم يسأل أحداً خوفاً من التعبير بالسؤال. وفي سنة ١٣٠٦هـ بتوكر حدث كثير من هذا. والمريض مهما اشتد ألمه لا ينطق بكلمة تدل على تألمه وكذلك المضروب لا يبدي أقل توجع مهما اشتد عليه الضرب. والمسوق إلى القتل لا يبدي أقل جزع أو خوف. ومن أكبر العيوب عندهم الفرار من القتل، فإذا ارتكب أحدهم جناية استوجبت القتل وقف في مكانه ينتظره بالتسليم وكامل الصبر. وكثير مثل هذه الأخلاق في كل قبائل البجة لها حوادث مماثلة ولكل أجملناها وهي لدى كل سوداني اعتيادية.

مملكة قبائل بني عامر
قبائلها وحوادثها



محمد صالح ضرار
وهو يتقدم في أبحاثه وسنه



# مملكة قبائل بني عامر
# في مملكة البجة الكبرى نشأتها وتطورها

لقد سبق أن ذكر في الباب الأول من هذا الكتاب أن مملكة البجة الكبرى كانت تنقسم إلى خمس ممالك كما ذكر ذلك كل من اليعقوبي وابن حوقل. وكانت هذه الممالك هي: ناقص (أو نقيس)، ثم بقلين، وبازين وجارين ثم قطعة أو (قطاع) كما وردت في النصوص العربية أحياناً. وقد وجد أن هذه الممالك الخمس تحدد الآن مناطق قبائل البجة الرئيسية وهي من الشمال إلى الجنوب (البشاريين)، والأمَّارأر، والهدندوة، والحلنقا، وبني عامر، وهذا ما أوضحه المؤرخ في هذا السفر.

ولما كنا الآن بصدد الحديث عن مملكة بني عامر التي ورثت أراضي مملكة جارين بعد أن تناول المؤلف الحديث عن بقية الممالك الأخرى في هذا السفر، فإننا نود أن نقول بأنه لا يعرف بالضبط متى اتخذت هذه المملكة اسم «بني عامر». ولكن يبدو أنه عندما قوي ساعد هذا الرهط من السكان، وانتشر في كل أنحاء المنطقة تغلب اسمه على بقية السكان الآخرين من بجة أصليين، وعرب نازحين سواء أكان ذلك قبل الإسلام أو بعده.

ولهذا الاسم العربي الأصيل أهمية كبرى في تاريخ المنطقة لأنه من الأسماء العربية الأصل القليلة التي وجدت لنفسها مكاناً في إقليم لا ينطق سكانه باللغة العربية إذ أن سكان مملكة البجة يتحدثون كما نعرف لغتين، إحداهما: اللغة التيبراوية (أو الهدندوية)، والأخرى: البني عامرية أو التيجرية

السامية والتي يطلق عليها أيضاً «الحاساوية». وهذا الاسم العربي الأصيل يجعل من الأهمية بمكان البحث عن أسباب هذه التسمية وعن غربلة الأحداث والتكهنات التي أدت إلى إطلاق هذا الاسم العربي الأصيل عليها.

ويبدو أن هذا الاسم قد انتشر بعد أن توقفت رحلات مؤرخي العرب وجغرافييهم، ونجد أن ابن حوقل الذي زار المنطقة في القرن العاشر الميلادي لم يذكر هذا الاسم، بل إنه ذكرها على أنها مملكة جارين، كما أنه ذكر أسماء الكثير من القبائل البجاوية الأخرى والتي ما زالت تحتفظ بأسمائها حتى الآن، ولعل هذا الاسم (أي بني عامر) ظهر أولاً في المناطق الجنوبية من المملكة مثل مناطق باضع (أي مصوع) وما جاورها، ثم انتشر في بقية مناطق البني عامر بامتداد أراضيها وصولاً إلى تخوم سواكن وكسلا، وسائر منطقة التاكا.

وتمتد مملكة جارين (بني عامر) على سواحل البحر الأحمر من جنوبي سواكن حتى تصل إلى جنوبي مصوع وتشمل مصوع وجزائر دهلك، ويجري في أرض هذه المملكة خور بركة الموسمي الذي تزرع دلتاه بالقطن والحبوب منذ فجر التاريخ. وهذه المنطقة تمثل الجزء الجنوبي الشرقي من أراضي مملكة البجة. وتمتد مساكن هذه المملكة في أنحاء كثيرة من إرتريا الحالية، وتلتف جنوباً حتى تصل إلى التاكة (كسلا) التي كانت ملتقى عدد من قبائل البجة وهي الهدندوة والحلنقا وبني عامر.

ويجب ألا يغرب عن البال أن أراضي مملكة البجة الكبرى التي اعترفت بها الخلافة العباسية كانت تمتد من منتهى حد أسوان من أرض مصر إلى حد ما بين دهلك وباضع (مصوع). وقد جاء هذا التحديد في نص المعاهدة التي أبرمت بين الخليفة المأمون بن هارون الرشيد وبين الملك كنون بن عبدالعزيز ملك البجة وذلك في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة ومائتين للهجرة (سنة ٢١٦هـ). (راجع معاهدة العرب مع البجة في هذا الكتاب).

وقد قامت مملكة بني عامر التي كانت تدعى جارين في هذا الجزء من

السودان الشرقي، ووصفها اليعقوبي المتوفى سنة ٨٧٢م حين تحدث عنها بأن «لها ملكاً خطيراً»، مما يشير إلى أن هذه المملكة أخذت دوراً بارزاً في القوى الموجودة في المنطقة، وهي الحبشة والخلافة العباسية ومملكة البجة السودانية.

وكانت هذه المملكة قد تأثرت بالهجرات العربية المتلاحقة من شبه الجزيرة العربية كغيرها من الأجزاء الشمالية من مملكة البجة، وكما رأينا فإن البجة الأقدمين أنفسهم إنما كانوا من قدماء العرب الذين نزحوا من بلادهم، وقد أجمع علماء الأجناس على أنهم وقدماء المصريين من عنصر واحد وقد أصبحوا مزيجاً من الحاميين والساميين على مر التاريخ. ولم يكن البحر الأحمر في يوم من الأيام عائقاً عن مثل هذا الاتصال وهذه الهجرات، وما لم يكن يتم من نزوح عبر البحر الأحمر يتم عن طريق سيناء وصولاً إلى الساحل الغربي للبحر الأحمر كما حدث لقبيلة بلي قبل الإسلام وبعده، فقد انتشرت هذه القبيلة أوسع انتشار فبلغت الشام الكبير شمالاً وانتهى طرفها الآخر في مصوع (باضع) جنوباً في البحر الأحمر. ولكن على مر العصور كثرت الهجرات العربية إلى شمال شرقي إفريقيا حيث الأراضي البجاوية فوصلت إلى المنطقة التي بين عيذاب شمالاً على الحدود المصرية السودانية حتى مصوع جنوباً، بل وشملت أراضي الطراز الإفريقي جنوبي مصوع (سواحل القرن الإفريقي)، وتوغلت في الهضاب الحبشية داخل أراضي إثيوبيا، بل إن الحبش أنفسهم إنما هم إحدى تلك القبائل اليمنية التي هاجرت إلى الحبشة وأكسبتها اسمها القديم قبل أن تتبنى اسم أثيوبيا في هذا القرن.

ويقول السير ولاس بدج في كتابه تاريخ أثيوبيا[١]: «أما سواحل البحر الأحمر، فإنه منذ قيام أول مملكة حبشية في شمال شرق إفريقيا وهي مملكة أكسوم وذلك في القرن الميلادي الأول، فإنه لم يعرف كيان واضح ثابت لسلطان مملكة حبشية في هذه الجهات»، بينما كانت مملكة البجة قائمة على

(١) صفحة ١٠ من المقدمة.

وحدة أراضيها، وبجيشها الموحد الذي كان يدافع عن بلاده منذ أن خاض الحروب مع الفراعنة.

وكان من بين القبائل العربية التي هاجرت إلى إقليم البجة أفواج من قبيلة بَلِيّ، وقد انتشرت هذه القبيلة في سائر أنحاء مملكة البجة كما رأينا، وقُلِّد بعض أفرادها الزعامة على عشائر المملكة، وتوافدت عليها قبائل عربية أخرى من أكبرها ربيعة وجهينة وبعض بطون قريش وغيرها في العصور الإسلامية. وأخذت هذه الوفود تقلص من نفوذ الأسر الحاكمة السابقة لها عن طريق الزواج من بنات زعمائها وتوريث أبنائهن الحكم بدلاً من أخوالهم كما كان متبعاً في ذلك العصر، حتى لم يبق في آخر الأمر سلطان لأبناء قبيلة بلي إلا في مصوع حيث وجدهم الأتراك العثمانيون في القرن السادس عشر هناك، وأقروهم على حكمهم للجزء الجنوبي الشرقي من مملكة جارين البجاوية، واعترفوا بهم حكاماً على نواحي مصوع وما جاورها من قبائل بني عامر، وأطلقوا على هذا الحاكم البلوي لقب «نائب»، واستمر حكم هذه الأسرة على تلك الجزيرة وما حولها حتى الاستعمار الإيطالي.

وبالإضافة إلى قبيلة بلي العربية التي نزحت إلى مملكة جارين قديماً، فقد نزحت قبائل أخرى ربما كان من بينها قبيلة بني عامر اليمنية أيضاً، واستطاعت هذه القبيلة بسبب كثرتها وقوتها أن تجعل اسمها طاغياً على كل سكان المملكة في آخر الأمر كما حدث في قبائل البشاريين والأمارأر والهدندوة شمالاً. وقد امتصت كل هذه الشعوب العرب النازحين عن طريق الاختلاط والتزاوج، وجعلوهم يتكلمون بلسانهم التبداوي (البجاوي)، ويتزينون بزيهم ولباسهم، أما البجة فقد أخذوا عن هؤلاء النازحين الدين الإسلامي بعد ظهوره فاعتنقوه وناصروه أقوى مناصرة.

ويقول كل من ترمنجهام وكروفورد نقلاً عن الكونت روزيني: إن قبيلة بني عامر بن كنُو قد رحلت من اليمن إلى السودان الشرقي، وربما كان ذلك بعد انهيار السد، ثم انتشرت مع بلي وغيرها في جنوبي شرقي مملكة البجة لتكون إحدى ممالكها الخمس.

وقبيلة بني عامر بن كنو هذه ربما كانت إحدى المخاليف اليمنية التي ذكرها اليعقوبي حين أورد أسماء أربعة وثمانين مخلافاً في اليمن، وهم الذين كان يتكون منهم كُور اليمن، وكان من بين هذه المخاليف مخلاف بني عامر وربما رحل جزء كبير من هذا المخلاف إلى الشواطئ السودانية الجنوبية (بين مصوع وسواكن) مع من كان ينزح من القبائل اليمنية وانتشروا بين هاتين الميناءين كما فعل الرشايدة في القرن التاسع عشر الميلادي. واستقرت بني عامر هناك في مملكة جارين البجاوية، ولما تكامل عددها وقوى مركزها بعد عدة قرون تغلب اسمها على سائر أهل المنطقة من بجة وعرب، فأخذ ينتشر هذا الاسم ليطغى على غيره حتى إذا ظهرت مملكة الفونج ازداد نفوذاً وذيوعاً.

وقد ذكر أبرهة الحبشي في مخطوطة له عن سيره إلى البيت الحرام في غزوته المشؤومة التي كانت نكالاً عليه أن جيوشه التقت بمقاتلي قبيلة بني عامر في جنوبي الجزيرة العربية، وأنه بمساعدة كدّة استطاع أن يتغلب على بني عامر وربما كانت كدة هذه قبيلة كندة العربية التي كان لها شأن في تلك المنطقة كما أن قبيلة بني عامر التي ذكرها أبرهة قد تكون هي التي نزح بعض بطونها إلى السودان الشرقي على دفعات بين حين وآخر، وازدادت هذه الهجرة بعد منتصف القرن السادس الميلادي.

ومنذ انهيار سد مأرب قبل سنة **٥٤٢**م فإنه كانت تكتنف مناطق جنوبي الجزيرة العربية والساحل الإفريقي المقابل حركات هجرات نشطة سببتها معرفة المسالك البحرية عبر البحر الأحمر بواسطة المعينيين ثم السبئيين ثم الحميريين، وضعف الأحوال الاقتصادية والزراعية في اليمن وضيق العيش واضطراب الأحوال الدينية والسياسية، والصراع المرير بين اليهودية والمسيحية، وما حدث من اضطهاد ديني بمختلف الأشكال. فكان أن لجأت كثير من العشائر اليمنية إلى أراضي مملكة البجة التي لم تعرف الاضطهاد، والتي كانت تنعم بالرخاء وحرية اختيار المراعي الواسعة والأراضي الزراعية الوفيرة في خور بركة وغيره مع وفرة المياه في الخيران.

وعندما انهد سد مأرب تضاعفت حركة الهجرة للقبائل اليمنية فسارت

جنوباً وشمالاً، وشرقاً وغرباً حتى صدق فيهم المثل العربي: «تفرقوا أيدي سبأ».

ويبدو من ذكر أبرهة لبني عامر في وثيقته تلك أنه كان على علم بوجود بعض بطون قبيلة بني عامر في السواحل السودانية (الإرترية) لأنه لم يذكر أي قبيلة أخرى في وثيقته غيرها، ولعلها كانت ذات شهرة وقوة سياسية ونفوذ اقتصادي وعسكري إذ أنها تكاد تكون القبيلة العربية الوحيدة التي وقفت أمام جحافل أبرهة بأفياله وجنوده وهي التي قابلت جيشه حتى استعان عليها بكدَّة كما ذكر مما يدل على قوة شكيمتها، ولم تستطع أية قبيلة عربية أخرى أن تقف أمامه وهو يتقدم في محاولته الشرسة لهدم الكعبة المشرفة.

وهكذا نجد أن هذه القبيلة التي نزح كثير من أفرادها إلى السودان قبيل الإسلام قد تركت شيئاً فشيئاً آثاراً بعيدة على مملكة جارين البجاوية.

عندما نزحت قبيلة بني عامر وغيرها من القبائل العربية إلى الأراضي السودانية الساحلية لم تكن تتحدث اللغة العربية الفصحى، لأن هذه اللغة لم تكن قد أخذت معالمها المعروفة الآن، ولم تكن هي اللغة السائدة الوحيدة في الجزيرة العربية، بل كانت هذه القبائل تتحدث لغة سامية قريبة من العربية هي المسماة باللغة «البني عامرية»، والتي عرفت بين سكان المملكة البجاوية أيضاً باللغة «التيجرية». وكما يلاحظ القارئ فإن لفظة «تِيجْرَي» تبدو وكأنها مشتقة من لفظة «تجارة» ثم نسبت إلى «تويجر» تصغيراً لتاجر مع إحداث التبديل العربي في اللفظ، وهذا يعني أنه من الممكن أن تكون هذه اللغة المنسوبة إلى تاجر قد انتشرت أيضاً في تلك المنطقة بسبب تحدث قبائل بني عامر بن كنُّو وتجارهم القادمين من جنوبي الجزيرة العربية بها. وتحدث غيرهم من تجار العرب بها أيضاً، وربما كانت لغة عربية سائدة في ذلك العهد لأنه حتى الآن نجد كثيراً من كلماتها منتشراً في اللغة العربية الفصحى واللهجات اليمنية[1]. وهناك لفظ ثالث يطلق على هذه اللغة بل

---

(١) يقول المؤلف: إن ثلاثة أخماس اللغة البني عامرية من اللغة العربية.

وعلى بعض العشائر الساكنين منذ القدم في إقليم البجة، إذ يُطلق على هذه اللغة أيضاً اللغة «الحاساوية»، وقد تستبدل الحاء أحياناً خاء (كما يحدث في بعض اللهجات العربية أحياناً)، ولعل هذه الكلمة مشتقة من الحسا أو الإحساء التي ربما نزحت منها جماعة تتكلم لهجة كالبني عامرية أو ربما اختلطت اللهجات هناك في مملكة جارين البجاوية حتى خرجت منها لغة بني عامر الحالية، وربما كانت اللغة البني عامرية، لغة عربية بدائية لم تتبلور إلى الفصحى بعداً، أو ربما كانت قد تطورت واختصرت قواعدها وإعرابها؛ وعلى كل حال فإن مجال البحث لتحقيق مثل هذه التكهنات، وعلاقة السودان بسائر مناطق الجزيرة العربية، وتحديد موقع القبائل مجال واسع للبحث والتعريف، ويمكن التوصل إلى حقائق أوضح إذا أخذ الباحث في الحسبان العادات والملابس، وطرق دفن الموتى، والرعي وغير ذلك.

وقد ذكر المسعودي أنه عندما زار جزيرة سواكن حوالى سنة **٣٣٢**هـ، كان يحكمها ملك الحاسا (أو الخاسا) وهو ملك مسلم.

وكل هذا يدل على أن سلسلة الهجرات العربية النازحة إلى إقليم البحر الأحمر السوداني لم تتوقف على مدى التاريخ.

ويذكر ترمنجهام أن البني عامر «يمثلون الخاصية البجاوية برأسهم المستطيل، وحجمهم المتوسط، وتقاطيعهم المنتظمة كتقاطيع الأوروبيين، والأنف المستقيم الضيق، والبشرة الصفراء التي تميل إلى اللون النحاسي البُنِّي والشعر المتموج أو المجعد ولكنه ليس مفلفلاً، والشفاه التي غالباً ما تكون عريضة، ولكنها ليست مقلوبة، وباللحية الخفيفة القليلة الشعر».

ويبدو من كتابات المؤرخين، وما تناقلته الروايات، وما أطلق على اللغة التي يتكلم بها سكان هذه المنطقة. وما سميت به هذه القبائل سواء في المخطوطات أو المسلات أو غيرها أنها هي أصل كل القبائل التي تتحدث بهذه اللغة، ولكن كان يحدث أحياناً أن تهاجر بطون عربية كبيرة خاصة بعد الإسلام، أو زعماء قرشيون، أو من يدَّعون القرشية أو الشرف، أو غيرهم إلى هذه المملكة، فإنهم يتخذون من بعض عامة البجة شعوباً

صغيرة لهم، ويبسطون زعامتهم عليهم، ويتخذونهم عشائر لهم، فتنقسم القبيلة على نفسها رغم أن اللغة والدين والعادات لم يمسها التغيير. وهذا ما نجده يحدث عندما وصل زعماء قبيلة الحباب والألمدة وبيت أسقدة والعجيلاب وغيرهم إلى البلاد، وهم من قريش كما ظهر في تاريخهم. وكذلك قبائل الحماسين وسائر قبائل الإقليم أو المملكة حتى أصبحت هذه المملكة تتألف من عدة ممالك صغرى كبقية أنحاء السودان منضوية في تحالف (فدريشن) تحت مملكة كبرى. غير أن أصل الشعوب التي ضموها إليهم هي من البجة، ولكنهم انضووا تحت ألويتهم بسبب الطموحات الإنسانية، والأبعاد الجغرافية، والانقسامات السياسية، والاعتداءات الأجنبية، والاختلافات العائلية.

وإن كل هذه الممالك البجاوية الصغرى كانت في الأصل تحت راية ملك البجة وعاصمته هجر والذي اعترف له المأمون بالسيادة على أراضيه من حد أسوان إلى مصوع.

وفي القرن السادس عشر الميلادي انضمت مملكة بني عامر إلى الحلف السناري وهو الحلف الذي أقامته سلطنة الفونج في سنار، ودخلت فيه كل الممالك السودانية تقريباً التي تكونت من القبائل المختلفة التي كانت تدين في معظمها بالدين الإسلامي، وكانت مملكة بني عامر التي تقع في الطرف الشرقي البعيد من السودان من بين تلك الممالك التي دخلت في الحلف بسبب الروابط الدينية والعربية والتاريخية التي تربطها بممالك السودان الأوسط، وكانت سلطنة الفونج قد ورثت أراضي ممالك الغاية المسيحية التي كانت تربطها بمملكة البجة روابط المصير الواحد منذ فجر التاريخ ومنذ مواجهاتهم للفراعنة والأشوريين والفرس واليونان والرومان والعرب.

ولما استقر رأي مملكة بني عامر على تقوية السلطنة الزرقاء (سلطنة الفونج) بالدخول في حلفها، أرسلت وفدها إلى ملوك سنار، وهؤلاء أرسلوا مندوباً من السلطان السناري ليكون ممثلاً له في مملكة بني عامر. وكان هذا المندوب من قبيلة الجعليين العباسية، فأقام بين بني عامر وتزوج ابنة زعيمهم، وأصبح أبناؤه يمثلون العائلة الحاكمة لقبائل بني عامر نيابة عن

سلطنة الفونج ووزارة العبدلاب وذلك بعد أن اندمجوا بفعل تلك المصاهرة والمواطنة مع زعماء البلو السابقين. وهكذا استمرت مملكة هذه القبيلة في السلطنة السنارية وانضمت سواحل البحر الأحمر لها من سواكن حتى مصوع وكان أن أعطى زعيم قبائل البني عامر من قبل سلطان الفونج الطاقية أم قرون (رمز للتاج) والككر (رمزاً للعرش)، ونقارة (طبلاً كبيراً) رمزاً للسلطة والجيش التي قلدها له سلطان سنار، وقد استمرت هذه العلاقة السياسية بين مملكة بني عامر بحدودها حتى جنوبي مصوع بالمملكة الزرقاء حتى انهيار هذه المملكة على يد الأمير إسماعيل بن محمد علي باشا سنة **١٨٢١** ميلادية.

ولم تنقطع هذه العلاقة بين مصوع ومن فيها من بني عامر وبين سائر أنحاء السودان التي احتلها محمد علي باشا، إذ أن محمد علي باشا ومن بعده الخديوي إسماعيل كانا قد ضما تلك المناطق عن طريق استئجارها من السلطان العثماني إلى ممتلكاتهما في السودان بما في ذلك زيلع وهرر وملحقاتها وذلك في سنة **١٨٦٥** ميلادية، غير أن التغيير الكبير الذي حدث هو في الاسم الذي أطلقه محمد علي باشا على ممالك السودان المختلفة كما ذكر المؤلف، إذ أزيل اسم ملك أومَكْ من كل ملوك القبائل، وأطلق عليهم لقب «نُظار»، وبذلك فقدوا جميعاً صفتهم الملوكية العريقة، والهالة العظيمة التي كانت تحيط بهم عند التعامل مع بعضهم بعضاً أو عند التعامل مع الدول الأخرى.

ولكن لما ظهر الاستعمار الغربي في إفريقيا، وجرى تقسيمها بأسرها تقريباً إلى مستعمرات أوروبية، كان الجزء الجنوبي من مملكة بني عامر من نصيب إيطاليا، ووضعت مصوع كجزء من تلك المستعمرة لتكون ثغراً لها عندما تستولي إيطاليا على الحبشة في أول فرصة ممكنة، وذلك بالرغم من بعد موقع مصوع الجغرافي من الأراضي الحبشية المغلقة الشاهقة. وقامت الثورة المهدية بالسودان، وضعفت قبضة مصر على تلك المناطق في إرتريا التي كانت تسمى السودان الشرقي وحاكمها هو غردون حاكم عام السودان، ويحكم المنطقة مونزنجر وغيره، وسلخت إيطاليا هذه الأجزاء من أراضي

مملكة البجة وضمت إليها أراضي أخرى وأسمت المستعمرة إرتريا، إحياءً للبحر الإرتري الذي كانت ترد إليه السفن الرومانية المبحرة من مصر في العهود الرومانية، وبهذه السياسة فقدت مملكة بني عامر جزءاً كبيراً من أبنائها وأراضيها، وضاع على السودان ذلك الجزء من وطنه الذي اعترف له به المأمون بن هارون الرشيدي والذي ورثه السلطان العثماني حتى سلمه للخديوي إسماعيل، وفي الواقع فإن إيطاليا قد سلخت ثلثي قبائل بني عامر بأراضيها من مملكة البجة الأصلية ومملكة الفونج وضمتها إليها أولاً، ثم وضعتها الأمم المتحدة تحت الحكم الفدرالي الإثيوبي حتى ضمها الإمبراطور هيلا سيلاسي بطرقه الخاصة نهائياً إلى إثيوبيا في آخر الأمر. وقد أخذ أبناؤها الآن يحاولون إحياء أمجادهم التاريخية واستعادة ما فقدوه من حرية ومشاركة للعالم في بناء مدينة تقوم على مبدأ الحرية والمساواة والتقدم.

لم تكن قبائل بني عامر ومن معها من قبائل أخرى عندما نزحت من الجزيرة العربية قبائل رعوية فحسب، بل كانت أيضاً قبائل فيهم الزرع والفلاحون. وقد كانوا يعرفون الزراعة والحرث بفعل ما كان لديهم من مخلاف في كور اليمن إذ كانوا يعتمدون في معيشتهم على الزراعة من مياه سد مأرب، ولذلك فإنهم عندما استقروا في الأراضي السودانية التابعة لمملكة البجة لم يتوغلوا في أرض الحبشة كما فعلت قبيلة الحبش العربية من قبلهم إذ استقر هؤلاء في الهضاب، ولكن بقي أكثر قبائل بني عامر حول الوديان والأراضي الزراعية والخيران. وكانت الزراعة في خور بركة منذ قبل القرن الرابع الميلادي تقوم على سواعد البجة الأصليين من سكان المنطقة الذين اشترك معهم بنو عامر فيما بعد في هذا المجال الزراعي، وقد عرفت هذه القبيلة زراعة القطن من سكان إقليم البجة السابقين الذين كانوا يمارسونها من قبل، وكانت الأفواج الأولى من القبائل اليمنية التي نزحت إلى شرق السودان الجنوبي قد أخذت العمل في هذه الزراعة مع البجة. ويخبرنا الملك عزانا الأكسومي (حوالى سنة **٣٩٥م**) بأنه خرج في حملة عسكرية لتأديب البجة والنوبة الحمر والنوبة السود في تلك السنة، وأنه أحرق مزارع قطنهم التي وجدها أمامه، ولا شك في أنه اخترق أراضي توكر

وخور بَرَكة، تلك الأراضي التي كانت وما زالت تزرع قطناً وذرة ودخناً كلما جرى فيها الماء في الخريف كما هو الآن. وقد ذكر عزانا في كتابته هذه أسماء كل من البجة والحاسا والنوبة الحمر والسود على أنهم من بين الشعوب التي حاربها وانتصر عليها، مما يظهر على أنهم كانوا يقفون في حلف واحد ضد اعتداءاته التي تكررت دون أن ينجح في إخضاعهم أو الاستيلاء بشكل نهائي على بلادهم.

ولمملكة بني عامر وقبائلها أهمية استراتيجية وتجارية في التاريخ القديم والحديث، فهي بحكم مقاومتها الضارية لأبرهة عندما غزا مكة المكرمة، ومنذ خروجه من اليمن، كانت تحمل راية المقاومة الحربية ضده، وبذلك صارت حلفاً لقريش وخاصة زعيمها عبد المطلب، وربما يكون قد أدى هذا الاعتداء إلى تقارب في العلاقات بين قبائل البجة الجنوبية ومسلمي قريش من المهاجرين الأوائل، وما قدمته هذه المملكة البجاوية الجنوبية من مساعدة للمهاجرين الأوائل من المسلمين حين خرجوا من مكة المكرمة قاصدين نجاشي الحبشة. وربما كانت ميناء مصوع أو باضع حسب اسمها القديم هي موضع أقدام هؤلاء المهاجرين المسلمين. وقد ذكر كروفورد في كتابه عن مملكة الفونج في سنار (ص١٢٦): «أن مصوع كانت متصلة منذ البداية وعلى مر التاريخ بقبائل إقليم بني عامر والذي كان بكل تأكيد جزءاً من أراضي سنار، وأنها كانت آخر موطن لأصدقائنا البلو (بليّ) الذين أصبحوا يحكمون فيها باسم نائب».

وبسبب وجود مملكة البجة في مصوع فإن هجرة المسلمين الأوائل لم تواجه صعوبات أو اعتراضات من جانب سكانها، وكما عرف عن قبائل بني عامر حتى الآن فإنهم بطبيعتهم كزراع كانوا وما زالوا يعيشون حياة استقرار، ويستقبلون التجار الجوالة لبيع سلعهم، لهذا فإنهم قبلوا لجوء المهاجرين المسلمين بترحاب. ويصف السير ولاس بدج في تاريخه عن إثيوبيا هذه العلاقة فيقول بأنه في سنة ٦١٥م هاجر أحد عشر رجلاً وأربع نساء من مكة المكرمة ووصلوا إلى ميناء شعبة بالقرب من جدة حيث استقلوا سفينتين وأبحروا عليهما عبر البحر الأحمر إلى الحبشة بأجر قدره نصف دينار

للشخص الواحد، وطاردهم القرشيون ولكن وصلوا إلى شعبة بعد إن كانت السفن قد أبحرت بهم. وقد سميت هذه بالهجرة الأولى لتمييزها عن الهجرة الثانية التي كانت أكبر حجماً وأكثر نفراً.

ولنا أن نلاحظ أن المهاجرين الأوائل لم يسلكوا طريق البر إلى اليمن ومنها عبر باب المندب إلى سواحل البحر الأحمر الغربية، ولكنهم آثروا الإبحار من شعبة على طريق البحر الأحمر جنوباً إلى ميناء مملكة جارين وهي باضع (أي مصوع).

ولما لم تكن للحبشة سواحل إذ أنها أرض مغلقة، فقد كان لا بد لهؤلاء المهاجرين من أن ترسو سفنهم في ميناء مملكة جارين أي باضع مع ملاحظة وجود حرف الضاد في باضع مما يوحي بأنها عربية محضة، وقد كتبها البرتغاليون أحياناً BAZI مما يدل على أنه اختلط عليهم الأمر في مخرج حرف الضاد ونطقه فلم يستطيعوا أن يميزوا بينه وبين حرف الظاء، وما زال كثير من المتحدثين باللغة العربية يخلطون بين هذين الحرفين حسب القبائل التي ينتمون إليها. فإذا أخذنا في الحسبان ما ذكره كروفورد عن باضع تأكد لدينا أن المهاجرين الأوائل من المسلمين حلّوا ضيوفاً على مملكة جارين البني عامرية بحكم الروابط القديمة بين قريش وسائر العرب في كل مهجر، ولقد كان سكان هذه المملكة من بجة وعرب همزة الوصل بين العرب وأراضي الحبشة عبر مناطقهم في إرتريا الحالية وذلك في عهود ما قبل الإسلام وما بعده، وكانت لمملكة جارين تجارة رائجة بفضل نشاط أبنائها في الزراعة والصيد، وكان من أهم صادراتها عبر التاريخ القطن والدخن والذرة والسمن وريش النعام والإبل والضأن والحيوانات المتوحشة التي كان يؤم بسببها الصيادون والتجار بلادهم لشرائها منهم وتصديرها للعالم الخارجي منذ أقدم العصور. وقد كان البجة هم الذين ينقلون التوابل من العالم الشرقي عبر أراضيهم ويحرسون قوافلها حتى تصل قوص في صعيد مصر، ثم من هنالك تنقل إلى الإسكندرية فمناطق أوروبا المختلفة. وقد كان من الصعوبة بمكان نقل هذه التجارة عبر الأراضي الحبشية في الماضي بسبب مرتفعاتها الشاهقة ووعورة طرقها وانعدام الأمن فيها. ولكن سهول

ممالك البجة وممراتها وإبلها جعلت التجارة تروج في مناطقها. كما كانت جزرها القريبة من الشواطئ مثل سواكن ومصوع وعيري (جزيرة الريح) خير ما ترسو عليه السنابيك والجلاب والسفن في عهود التاريخ المختلفة[1].

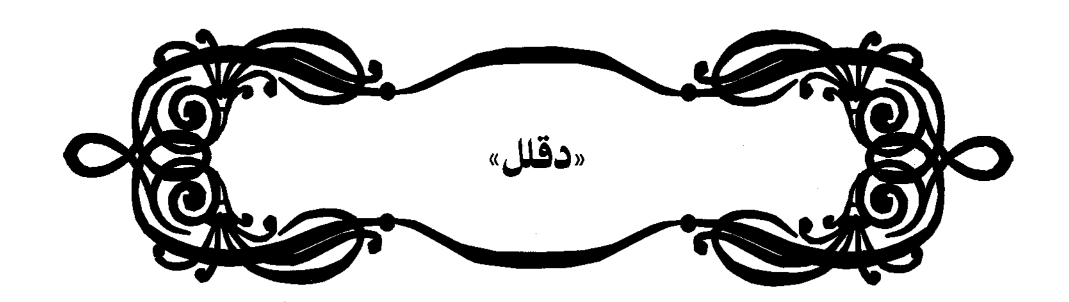
وكانت هذه المملكة ملجأ دينياً عندما يشتد الاضطهاد الديني كما حدث للمسيحيين في نجران حين قام ذو نواس اليهودي باضطهادهم وحرقهم في الأخدود، فقد فر من وجهه كثير من أبناء اليمن المسيحيين ورحلوا إلى سواحل البجة في مملكة جارين لسهولة العبور إليها ولكونها ملجأ أميناً من ذلك الاضطهاد الديني. ولما ظهر الإسلام بنوره، وزاد اضطهاد قريش للمسلمين نصح النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة ليبقوا فيها حتى تتفرج الغمة، وقد نزل هؤلاء المهاجرون على مملكة جارين البني عامرية كما رأينا حتى بلغوا نجاشي الحبشة، ولو أرادوا البقاء هناك لوجدوا من الترحيب والتعضيد ما وجدته مملكة سنار الإسلامية ودولة المهدي من نصرة وإعزاز، وما وجدته دولة الخديوي إسماعيل من مؤازرة.

وسواء أكانت هذه المملكة قد سميت على قبيلة بني عامر اليمنية المناضلة التي نزحت مع من نزح من القبائل العربية قبل الإسلام أو كانت هي من أبناء بني عامر بني كنو كما ذكر أبناء القبيلة للكونت روزبي في إرتريا كما حدثهم بذلك أبناؤهم، أو كان هذا الاسم يرجع إلى عامر بن علي نابت الجعلي العباسي كما يرى مؤرخنا، فإنه لا ريب في أن هذه مملكة عريقة الجذور في شرقي السودان، وأن أراضيها كان جزءاً من أراضي مملكة البجة الكبرى التي امتدت من أسوان حتى انتهت في مصوع وجزائر دهلك.

وفي الصفحات التالية يبين مؤرخنا محمد صالح ضرار تفاصيل تاريخ قبائل هذه المملكة أي مملكة بني عامر.



(١) انظر: كتاب تاريخ سواكن والبحر الأحمر للمؤلف.



## «دقلل»

تطلق هذه الكلمة على ناظر عموم قبائل بني عامر (باللسان العامري) ويقال له بالبجاوية عند متكلميها من البجة: «وَهَدْأَ»، والأخيرة يلقب بها كل نظار إقليم البجة عند متكلمي البجاوية وهم سكان غرب خور بركة والقاش، وأما سكان الشرق حتى سواحل البحر الأحمر فلا يجيدون إلاّ الأولى. وهي سهلة الكتابة غير أنها تحتاج للشكل (أوضحنا ذلك).

وسنبدأ ببيت النظارة أولاً، ونوضح عصر كل ناظر وحوادثه. ونبيّن الأسانيد التي اعتمدنا عليها في حقيقة النسب وصحته. فنقول: إن رهط النظارة يقال لهم: النابْتَابْ وهم ينتسبون إلى رجل من الجعليين[1] يقال له: «علي نابت»[2] ابن أبي القاسم بن محمد الطريح بن أحمد سُوِينِق بن شاع الدين بن عَرْمان.

تلقى علي نابت دراسة القرآن عند أخواله في جهة مَلْهابْ، وقد هاجر والده الشيخ أبو القاسم من مدينة المتمة حوالى سنة **٩٢٥**هـ، فدخل سوبة وسافر منها إلى بلدة عامرة يقال لها: «رِيرة»[3] وكانت تسكن حولها قبيلة

---

(١) وجدت هذه المقدمة مكتوبة في سجل صغير عند الشيخ الحسن بن صالح إبراهيم سنة **١٩٢٠**، وكان وكيلاً لنظارة بني عامر بكسلا. وكان أجداده يحتفظون بها حتى لا تضيع أصولهم وفروعهم.

(٢) أمه من قمود الملهيتكناب.

(٣) بقي من آثارها بئر مشهورة وقد أصبحت ملكاً لقبائل الشكرية. ولكن اللَّبَتْ إلى اليوم يحنون إليها ويتغنون بمائها العذب ومراعيها الطيبة. ويقول أحفادهم: لولا القوة والخيل التي استعملت ضدهم لما بارحوها.

من البجة تسمى لَبَت (LABAT)، فأقام بها زمناً ثم رحل منها إلى مدينة «التاكا» (كسلا) ثم أراضي القاش، ثم ارتحل إلى وادي «إمبوريبْ» «IMBOUREIB».

ثم سافر مع جماعة من المهليتكناب إلى جهة ملهاب وأقام مع القمود وتزوج بامرأة منهم، ثم رزق منها ولدان، سمى أحدهما: «القاسم» فمات صغيراً، أما الثاني: فسمى «علياً» وهو علي نابت[1] الذي بعد أن أخذ كفايته من العلوم الدينية قام للدعاية الإسلامية بين الوثنيين من سكان إقليم البجة فتوجه نحو جبال سَرُوباتْ وأَسَارَاما دِيرهيب[2] - ASARAMA DERHIB ونزل ضيفاً على ملك البجة المقيم في تلك الناحية وهو المدعو دقلل همد بن إدريس أَدَرْ أَيِيبْ ADAR AYEIB وتعريبها أحمر اليدين لأنه كان يصبغ يديه بالحناء. وأول عمل أتاه الشيخ علي نابت هو فتحه لخلوة لتدريس القرآن، وطلب ذات يوم من الملك أن يزوجه ابنته فرضي بعد أن استشار أقاربه، ولكن بعضهم اعترض على ذلك وقالوا: كيف نزوج ابنتنا لمن لا نعرف أصله[3]، وبيتوا النية على الكيد له. ولكن الملك زوجه إياها، واستاءت النساء من الزواج فقلبن واجهة البيت إلى الغرب وتطاولن بهجو الملك وصهره، وهذه العادة لا يجدها المرء إلا في القبائل الإثيوبية.

وبعد الانتهاء من مراسيم القران انضم الشيخ علي نابت إلى أصهاره ونجح في نشر تعاليم الدين الإسلامي، وأمر الملك كل القبائل أن تعتنق الدين الإسلامي سريعاً، فكان النجاح حليفه ولم يتخلف عن الدعوة إلا سكان عكات نَأَفْ من البلو، فهجموا ذات يوم على قرى بني عمومتهم، وقتلوا الشيخ علي وكل من دافع عنه. وانتزعوا النحاس من بيت الملك

(١) كان جماعة من البجة يسألونه عن مقدمه فيرد عليهم بقوله (متهكماً): «نبت من الأرض» ولذلك اشتهرت ذريته بأبناء «نابت». وملك البجة كان من البلو.

(٢) هي مثل قبور بلامس ماهان و«تندرة» بأرض الشبوديناب وتعريبها «التلال السبعة».

(٣) كانوا يسكنون في عكات نأف Akkat. na-af «وتعريبها ظفر الدوم».

هُمَّدْ، وبذلك انتقلت النظارة، ودمروا الخلوة وطردوا منها الطلاب وأنذروا الملهيتكناب بالحرب إذا حاولوا إرسال أحد طلابهم للدعاية الإسلامية. وبعد مضي زمن وضعت زوجة الشيخ علي غلاماً سموه «عامر» حسب وصية والده، وكان دائماً يذكر لأصهاره بأنه جَعَليّ من المتمة، وأنه محتفظ بنسبه في طي المصحف. ونشأ عامر في كنف جده وأخواله حتى بلغ سن الرشد، وتشاجر ذات يوم مع أحد الشبان وتشاتما، فقال له الشاب: «نحن قتلنا والدك، والرجل الذي تناديه بوالدي هو خالك، واتخذنا من جمجمة والدك مداً نكيل به الحبوب. فغضب عامر من كلامه وذهب إلى أمه وطلب منها أن تقول له الحقيقة. فحاولت إخفاءها، ولكن أمام إلحاحه اعترفت بكل شيء، وسلمته مخلفات والده[1]، وهي السيف والمصحف والفروة. فسافر إلى جهة مَلْهَابْ وأخبرهم بما أصاب والده الشيخ علي. فأرسلوه مع إحدى القوافل إلى التاكا ثم إلى شندي، وهنالك تقدم بنسبه إلى مَلكْ الجعليين، فتحققوا من صحة نسبه، فسرد لهم كل ما أصاب والده، وكيف أنه قتل مظلوماً. وذكر لهم زوال مملكة جده وأخواله واستيلاء خصومهم عليها. فاستاء الملك ووزراؤه وطلبوا أن يقوم مع عامر بعض المتطوعين من الشبان، وطلب من ملك سنار نجدة أخرى من أبناء العبد اللاب، فكانوا نحو مائتي فارس على خيولهم. فاشترط وزير العبد اللاب أن تكون البلاد تابعة لسنار وأن يكون ملكها «عامر»، فوافقوا جميعهم. فعاد عامر يقود فرسانه حتى وصل إلى قمود في ملهاب تتبعه جماعة من الخبراء بالطرق ومساكن خصوم عامر في عكات نأف. فأغاروا عليها وذبحوا كل من وجدوه من البلويب واستولى عامر على النقارة وشتتوا شمل سكان القرى، وأوقعوا فيهم الرعب بالخيول التي لم يألفوا القتال عليها. فطلبت القبائل الأمان، وخضعت لسلطة عامر. فنادى مناديه الأمان، وخضعت قبائل البجة والحماسين لسلطة عامر، وتبوأ عرش أخواله، ومنع الناس من مطاردة البلو ومن معهم، وأعلن العفو العام عن كل المخططين معه أو ممن اشتركوا في

(١) تتفانى قبائل بني عامر في أخذ الثأر وسرعة الانتقام إلى يومنا هذا.

قتل والده وذويه. وبعد عام أرسل الغنائم والزكاة من الإبل وسائر المواشي مع الفرسان إلى شندي وسنار[١].

فاعتمدت حكومة السلطنة الزرقاء «مملكة بني عامر»[٢].

ثم تزوج عامر بإحدى بنات أخواله، ثم بدأ بتعيين بعض القراء من الملهيتكناب لنشر الدين الإسلامي وإنشاء الخلاوي في القرى البعيدة والقريبة، وتنفيذ الأحكام الشرعية بين المتخاصمين، وأن تكون المعاملات بمقتضى الكتاب والسنة، وأن تدفع الزكاة في مواعيدها، وأن يكون لعامر عشر المحصول من السمن والعسل. واستمرت هذه العادة تعطى للرؤساء حتى انتهت المواشي وساءت حالة المراعي بجهات العقيق. أما في إرتريا فالحالة طيبة جداً ولم تتغير عما هي عليه في القرون السابقة. ويروى أن قبائل قمود أعطت للشيخ علي بعضاً من نياقها الزهيرية «جهيري» وسبق أن أعطوا لابنتهم مثلها حينما تزوجها أبو القاسم الشاع الدينابي. واليوم تسمى هذه الإبل «فوطات» لأنهم وضعوا على فمها فوطة، وهي عزيزة عند النابتاب.

وأشهر من نقلنا عنهم تاريخ بني عامر هو الشيخ هُمَّد نور علي ضرار، والشيخ أكد موسى (شيخ مشايخ بني عامر وقد توفي سنة **١٩١٩** بعد أن نيف على المائة عام)[٣]، والشيخ جعفرِ كشَّة، وكثيرون غيرهم أمثال الشيخ محمد بن إدريس محمد عبيد بيت معلا، إني أعتبر نفسي مقصراً في تاريخ بعض القبائل التي لم يتسنى لي بلوغها بسبب سوء المواصلات أو قلة تعدادها لأن كثيراً منها اعترتها الشيخوخة والهرم.

---

(١) لم يكن في حاجة لإبقائهم معه لأن القبائل البني عامرية كلها مسالمة ولا تميل للشر إلا في حالة الثأر فقط.

(٢) اجتمعت آخر عائلة من البلويب في جهة «قمرتة» فدحرها عامر بعد قتال استمر ثلاثة أيام. وتفرق باقيهم في أرض الحباب ومصوع واندمج من بقي منهم في البجة وخضع لسلطة عامر.

(٣) سجل اسمه المستر ريتشارد هل في كتابه (رجالات السودان).

قال نعوم بك شقير: «إن مملكة بني عامر» قامت في الصحراء الشرقية وخور بركة شرقاً وغرباً بين العقيق على البحر الأحمر وبلاد الحبشة، وشمالاً بالهدندوة حِذاء خور بركة حتى سواحل البحر الأحمر. وهي مؤلفة من أربع قبائل مختلفة وهي:

(١) البجة والخاسة. (٢) وبنو عامر (النابتاب). (٣) العجيلاب (ملهيتكناب). (٤) بيت معلا (الحماسين). قيل: إن بني عامر جاؤوا من الحجاز فملكوا البجة والخاسة، ثم جاء العجيلاب والنابتاب[١] وهم أبناء نابت من الجعليين فملكوهم جميعاً، وقد انضمت إلى سلطة عامر عدة قبائل أخرى.

ونحن نخالف نعوم في اسم «بني عامر» إذ أنه اسم أطلق على هذه القبائل من مملكة الجعليين (لأنه ابنهم)، وكذلك من مملكة الفونج، ولو أن في بطون بني عامر عدة قبائل عربية.

ونأتي هنا على وثيقة صحيحة تؤيد جعلية «عامر بن علي نابت»، ولإتمام الفائدة كنت قد كتبت ملخصاً طيباً وأسميته «حياة العباس وبنيه» ولكنه فقد مني في بطون أوراق التاريخ إذ كنت أريد أن أزين به تاريخ كل العباسيين خصوصاً بني عامر والجعليين والهدندوة والعباسية... إلخ. فإذا عثر عليه أحد الأنجال فليضعه في مقدمة تاريخ الأمير عثمان بن أبو بكر دقنة[٢].



(١) هم بيت نظارة القبائل اليوم.

(٢) وجدت هذا الملخص.




## أما بعد:

فإن معرفة الأنساب من الأمور المهمة الصعاب لقوله ﷺ: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم**». وقال رجل: «تعلم الأنساب علم لا ينفع وجهل لا يضر»، هذا في زمن التحابب والتوادد. وأما زمننا هذا وهو زمن التباغض والتحاسد واجب تعلم الأنساب لأن آخر الزمان تحصل فيه الفتن بين ملوك العرب والعجم، ويتغلب العجم بتملك العرب، وتجهل الأنساب ولا يتخلصون من ذلك إلا بالأنساب. والنسب يثبت بالإشاعة. والناس مأمونون على أنسابهم إلا من ادعى شرعاً فإنه يطالب بإثباته لضيق ذلك المجال، فإن لم يثبت يعاقب شرعاً[1]، وأما غير ذلك فلا. فإن من حفظ نسباً من أبيه وجده وحازه فإنه على ما حازه، ومن نفى عنه وادعاه لغيره كلف بالبينة. فإن لم يثبت ما ادعاه، حد شرعاً. ويوافق ذلك ما قاله مالك: «الناس في أنسابهم على ما حازوا وعرفوا كحيازة الأملاك». ومن ادعى خلاف ذلك كلف بإقامة البينة وإلا حُدَّ.

❋ ❋ ❋

(١) كان القاضي عبدالقادر حسين بمحكمة سواكن الشرعية ومن سبقوه من القضاة كثيري التحقيق في الأنساب القرشية ويحدون كل من يدَّعي كذباً النسب الهاشمي.

## (فصل)

في الشرف وما يحلق به، فأقول وبالله التوفيق قال عليه الصلاة والسلام:

«**الشرف لي ولعمي حمزة والعباس**». وكل حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلا حسبه ونسبه، فحسب الدين والتقوى ونسبة ذريته الخاصة وهو ذراري فاطمة بنت النبي ﷺ من الإمام علي رضي الله عنه. وهما ذرية سيدنا الحسن أو الحسين. وكل نسب يلحقه بالشرف يقدم على غيره قطعاً. وأما النسب إلى قريش فإنه يقدم على غيره حيث انتهى إلى عدنان، فيكون صحيحاً لقوله ﷺ: «**قدموا قريشاً ولا تَقْدموها**»، وعلى هذا إن ابن الشريفة ليس بشريف ـ الشرف الخاص على ما ذهب إليه ابن عرفة وأبو حنيفة ـ وإن التفاخر بالأنساب مذموم شرعاً. فلا ينبغي لأحد أن يفتخر بنسبه على غيره مطلقاً. إلا إذا رأى احتقاراً أو أراد أن يعرف نسبه لصلة رحم على ما ذكر في القرآن الشريف:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١] وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١].

فإذن الكرم عند الله يحصل للعبد بالتقوى. وقال ﷺ: «**إن الله أذهب عنكم غيبة الجاهلية وغمزها بالآباء والأجداد مؤمن تقي، أو فاجر شقي. أنتم بنو آدم وآدم من تراب**». إذا كان الأصل واحداً فكيف يتكبر الفرع بعضه على بعض إلا من خصه الله تعالى بالعلم والتقوى فإن له الشرف بذلك قطعاً.

❊ ❊ ❊

## (فصل)

في أصول العرب وبعض من قبائلها وأبناء العباس، فنقول وبالله التوفيق:

«إن قبائل العرب كثيرة على ما ذكر في كتاب السمرقندي، وكتاب

البحران، وغيرهما من كتب الأنساب، وهاك ما اشتهر منها وهي: حمير، وطي، وتغلب، ولخم، وجذام، وهمدان، ومفاخر، وبيصر، وحفصة، وكلب، والأزد، ومزينة، وجهينة وغيرها. فهذه كلها تجتمع في جد واحد وهو المحس بن قحطان بن المحس ابن النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام والله أعلم.

❋ ❋ ❋

## أولاد العباس

أما أولاد العباس المذكور عشرة وهم: الفضل، وعبدالله، وقثم، وعبيد الله، والحارث، ومعبد، وعبدالرحمن، وكثير، وعون، وتمام، على ما قاله الحافظ بن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري. وقيل أحد عشر: سعد على ما ذكره محيي الدين بن المربي في المسامرات. ويقوي العدد الأول قول ابن عباس: تموا بتمام فصاروا عشرة، يا رب اجعلهم كراماً بررة. وقال إن لكل منهم ذرية ببلدة نائية من بعضها لأنه لم ير بَنُو أب أبعد قبوراً من بني العباس. وكذلك فإن عبدالله بالطائف، والفضل بالشام، وعبيد الله بالمدينة، وقثم بسمرقند، وسعد بأفريقيا. وكان للعباس ثلاث بنات: أم حبيبة وآمنة وصفية، وأكثر أولاده من لبابة أم الفضل وأم جميل فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب ﵁، أما بنو ذراريهم فلم نعلم لها تفصيلاً سوى ما ثبت من أولاد ولده حبر الأمة عبيدالله ﵁، فإن المشهورين منهم ثلاثة: «علي والفضل وأحمد».

أما علي فذريته بيت الخلافة المعروف عند الأمة بالخلافة العباسية. وأما الفضل فذريته بنو أسعد المعروفة بذرية أبو مرخة وسيأتي سلسلة نسبه عند نسبة «جُعُل». وأما أحمد ـ على ما قيل ـ: لم يترك له ذرية. وقد توفي سيدنا العباس ﵁ في خلافة عثمان بن عفان ﵁ سنة **٣٢** هجرية، وله من العمر ثمانون عاماً.

❋ ❋ ❋

## «أسباب الهجرة»

أما سبب خروجهم إلى بر السودان والغرب والحبشة وذلك كان في ولاية الخليفة أبي محمد عبدالله السفاح وهو أول من تولى من بني العباس فنزع الملك من يد مروان الذي قيل فيه: إنه آخر ملوك بني أمية. ولم يزل السفاح المذكور في قتل بني أمية وأتباعهم حتى أخلى منهم الأرض، فهرب سليمان الأموي إلى أرض الحبشة، فأقام بها زمناً طويلاً، فبلغه أن السفاح جاد في طلب بني أمية بعد تفرقهم في البلاد حتى لحق بمحمد بن الوليد بن هاشم في بلاد الأندلس فقتله. وهرب سليمان المذكور من أرض الحبشة إلى أرض السودان وتزوج ببنت ملك من ملوك السودان واستولدها على ما سيأتي ذكره. واستوطن بسنار حتى صاروا ملوك السودان المشهورين بدولة الفونج. ولقد خرجت العرب أيضاً في زمن الحجاج إلى أرض السودان بطريق السويس والبحر الأحمر حتى وصلوا إلى بلاد الغرب. ثم عادوا إلى دُنقلة والنيل، وتغلبوا على النوبة وجهينة حتى صاروا أهلاً للسودان[1] إلى وقتنا هذا.

❋ ❋ ❋

## «نسبة الجعليين»

أما نسبة قبائل جُعُل فأقول وبالله التوفيق:

قال الشيخ الكامل المرشد الولي الصالح الفقيه العالم العلامة محمد بن عيسى بن عبدالباقي بن عبدالحق بن علوان بن صالح بن الحسين بن دهمش بن بدير بن سمرة بن سرار فإني نقلتها من مكة المكرمة من الشيخ الكامل المغرب العارف بأنساب الناس وهو نقلها من الشيخ سالم السنهوري فإن قبائل جعل من سرار ومن لم يتصل به فليس بجعلي أي «عباسي».

من جهة جعل، وهاك عمود نسبه، وهو سرار ابن السلطان حسن

(١) أعددنا بحثاً خاصاً لهجرة الأمويين من دنقلة عن طريق صحراء إقليم البجة نقلاً عن تاريخ اليعقوبي «م.م.ص.ض».

المعروف بكردم بن أبي الديس بن قضاعة بن خرقام بن مسروق بن أحمد اليماني بن إبراهيم المشهور بالجعلي إدريس بن قيس بن يمن بن الخزرجي (نسبة إلى أمه من الخزرج) ابن عدنان بن قصاص بن كرب بن هاطل ابن باطل بن ذي الكلاع الحميري (نسبة إلى أمه من حمير) ابن سعد الأنصاري (نسبة إلى أمه من الأنصار) ابن الفضل بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وهذا هو المتفق عليه. وعدنان بن أدّ بن أدَّد بن مقوم بن ناخور بن يترح بن يعرب بن يشجى بن ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بن تارخ بن ناخور بن شاروخ بن أرعرين بن فالح بن عير بن هُوٍّ بن شالنج بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لامك بن سهلابيل بن أبي خنيث بن يابيس بن شيث بن آدم عليه السلام، وآدم من التراب والتراب من الزبد، والزبد من الموج، والموج من البحر، والبحر من الظلمة، والظلمة من الدخان، والدخان من النور المحمدي، والنور المحمدي من النور الإلهي، والله أعلم بالصواب.

أما القبائل التي تنشأ من الأجداد ما بين سرار وعبدالله بن العباس ولم تحضر لبر السودان أو الحبشة أو بلاد الغرب أو مصر فإنها انتهت ببلاد الحجاز، وإلى الآن فروعها باقية بها وكذلك أولاد العباس الآخر.

❊ ❊ ❊

## «جعل»

أما تسمية جعل بهذا الاسم فإن لهم جداً أسود اللون مثل الجعل فسمته عمته «جعلة» فاشتهر نسبه بذلك، وسميت به القبيلة. ولنرجع إلى ذكر سرار وفروعه «أولاد سرار».

أما أولاد سرار بن كردم ثلاثة: سَمْرَة وسُمِّير ومسمار.

أما أولاد سمرة فأربعة: بدير، وعبدالرحمن أبو الشويحات، وتركي أبو الطريفية، وريّاش جد الرياشاب.

وسُمِّيرْ أولاده أربعة: القريَّات والقُننَ والقصاص والبطحان. وفي السمرقندي أن الباطحين من آل بطحت بن دجانة.

وأما أولاد مسمار فأربعة: سعد الفريد، والأشقاء معهم ثلاثة: صبح أبو مرخة ورباط ونبيه. أما أولاد أبو مرخة فثلاثة حمد الأكرت جد الماجدية والكرتان، وحميد النوام جد النوايميّة، وحميدان جد العوينية.

أما أولاد حميدان فثمانية: غانم وشايق (أشقاء أمهم حماقة بنت رباط)، وحسب الله ومطرق أشقاء: أمهم حاشية القمر الفونجاوية، وغنيم، وغنوم وجميع، وملك، الزين وهم أربعة أشقاء.

وأما أولاد غانم فثلاثة: ضياب وضواب وجموع. أما أولاد ضياب اثنان: بشارة وناصر. أما أولاد بشارة: الميرفاب والزيداب والعبدالرحماناب والفاضلات والرباطاب والسريحاب إلى غير ذلك من أولاد بشارة، ومسكنهم من بربر إلى أرض الزورة وناصر جد الناصراب. أما أولاد ضواب فاثنان: عرمان وأبو خمسين. أما أولاد عرمان فثلاثة عشر: جبل وجبر وعبدالعال وعدلان وزيد ومكابر وشاع الدين وسعد ونصر الله وعبد ربه ومسلم وشبيب وأبو بابة. وأما أولاد أو خمسين فاثنان: محمد وحمد البهكري «محمد» جاب الحماداب ناس الجريف والقرياب والبلياب والكتياب، وحمد البهكري جاب «الأوجاب ناس ولد فرج الله. أما أولاد عدلان فثلاثون: الكراسكة أربعة أمهم بنت علي كركوس، والشنّاب أربعة: نافع ونفيع أشقاء. أولاد الفونجاوية، ومحمد جد المحمداب، وعلي عبودة أشقاء أولاد بنت ولد شغل الكمالية. وعبدالمعبود وعبدالدايم أشقاء، وأبو سليمان وبركات أشقاء والملك محمد فريد والشيخ عبود فريد والعرض فريد وعبدالرحمن فريد وأبو بكر فريد. أما أولاد عبدالدايم فخمسة عشر

منهم الهرنقل وأبو بيصرون والعرشكول وأبو الحداد والكناوي وضواب وفارس والغدو والسدو وأبو ضربوة وعلي بوبو وأحمد أبو الغلاليت ومحمد دنقال. وأما أولاد عبدالمعبود فثمانية: محمد الأصفر وبلول القيدة وتبس شقل وكتكيت وبعبوش وعبدالسلام وموسى الحضير محمد الأصفر جاب الصقر وكتكيت جاب الكتكيتاب وموسى جاب الحميراب والتامراب والموسياب والحضير جاب القيال جد القلاب وبعبوش جد البعابيش وعبدالسلام جاب: سندو عبدالدايم جاب الحلواتيت والكيتولاب، وسعد وإدريس جاب الكلامين، وأبو بكر جاب أولاد عبدالدايم. وجضوعة جاب ناس عبدالله ولد الدليل.

وأبو حيس جاب غناوة وكلهم بجبال إدريس. وأما أولاد عبدالعال أربعة وعشرون: حمد جاب كبوش وقنديل ومحمد وعبدالكريم وجبارة وحسب الله وموسى وعمر وخضر وجاد الله ورافع ومجزور وكلتود وكشر وبشر وتسعة كلي والعاشر الشيح ناوي ذريته مع البطحاني. وأما أولاد رباط فخمسة عوض جد العوضية، وقريش جد القريشاب وخنفر جد الخنفرية وعبيط جد العبطية ومقبل جد المقابيل ونبيه جد النبيهات. أما أولاد سعد الفريد: قحطان وسلمه وفهيد. أولاد قحطان سبعة: صبح جاب المحمدية وفضل جاب الفضيلة ومحمد الضب جاب الضبابنية.اهـ.

وهذه النسبة قد نقلتها من عدة أنساب تزيد على ستة، وعدة كتب أشهرها السمرقندي وكتاب البحران وغيرهما من كتب الأنساب الصحيحة. نسأل الله تعالى أن يكون قرين الصحة وأن تستفيد منه الأمة العربية بالسودان حتى تكون أصلاً للمأخذ عند ذوي الشأن، يا رحمان وصلِّ يا منان على سيد ولد عدنان[1] واختم لنا بحسن الختام يا حنان آمين.

---

(١) لقد حذفت منها أنساب القبائل التي لا تنتسب إلى سيدنا العباس بن عبد المطلب، إذ جل غايتنا هنا هو حصر ذريته حسب ما دونها أحفاده بالسودان: محمد صالح ضرار.

**ملحوظة:** نقلها الشيخ العاقب نور الهادي:

قد تمت هذه النسبة بعون الله تعالى وحسن توفيقه على يدي الفقير إلى رحمة ربه القدير الخصر أحمد الباشا بن محمد ميرف غفر الله لنا ولوالدينا ولقارئها وسامعها وجميع المسلمين آمين يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❋ ❋ ❋

## «الشيخ عامر»

هو عامر بن علي نابت الشاع الدينابي الجعلي من نسل عرمان بن صواب وأمه بنت وَهَدْأ، الملك محمد بن إدريس أدارْ أيِيبْ (أحمر اليدين). وأما والدة علي فهي من قُمُّودْ[1]، الملهيتكناب البكرية، وكان وَهَدْأ محمد ملكاً على البجة، وأصله من قبيلة «بَلِيّ» بَلَوْ أو بَلَوِيبْ. وكانت سلطته ممتدة من حدود توكر حتى مصوع.

وكان عامر لا يعرف شيئاً عن حقيقة والده، فلما بلغ أشده سأل والدته عن أبيه فذكرت له أن أخواله البلو صاهروه ثم خالفوا ملكهم (أباها) وقتلوه، ثم أعطته مخلفاته كما أسلفنا في الروايات السابقة، فأخذها عامر وسافر حتى وصل مدينة شندي وعرض نفسه على الجعليين فعرفوا والده وأرشدوه إلى أقاربه (ذرية عرمان)، ثم تقدموا به إلى ملكهم كما جاء في الروايات السابقة.

ونحن بعد بحث وتدقيق في عدة من كتب الأنساب الخطية والمطبوعة اعتمدنا صحة كل هذه الأنساب القرشية. والشيخ عامر بن علي نابت أنشأ هذه المملكة مما يدل على أنه من أعظم رجال (البني عامر) عصره إذ أزال

---

(١) قيل أن الملهيتكناب أعطوا علي نابت ناقة من نياقهم التي هاجروا بها من الحجاز إلى السودان، ولأهميتها عندهم كانوا يضعون عليها فوطة حمراء ولذلك سميت «فوطات»، ولا يزال نسلها موجوداً عند جميع أبناء النابتاب.

دولة ثم بنى على أنقاضها مملكته المشهورة باسمه إلى اليوم، وهو معدود من الأفذاذ الذين سمحت بهم الأيام.

وعاش الشيخ عامر في توطيد مملكته حتى توفي ولم يعقب إلا ولداً واحداً هو الشيخ ناصح.

❋ ❋ ❋

## «الشيخ ناصح»

اشتهر هذا الناظر بالتقوى حتى إن القبائل جميعها ارتاحت لسياسته الرشيدة وأحكامه العادلة، وعاد إليه بعض القبائل التي فرت مع البلو عند انهزامهم من عامر.

وقد رزق الشيخ ناصر خمسة أولاد ذكور هم:

أبْسَعَدْ، وعلي، وأُكُدْ، وإدريس، وعوض الله. ولإدريس بن ناصح بنت تزوجها رجل من الأرتيقة (المنويات) ذرية الشريف علم الدين[1]، الذي كان أميراً على سواكن في عصور المماليك[2] وله من الأولاد تسعة هم: عمر، حامد، عوض، حَسَلْ، وحميرة (أبو الصرة) ويقال لذريته: وَدْنَايْ وشنيّا[3]، وهؤلاء سكنوا جميعهم في مكان واحد وضموا إليهم كل من جاورهم من قبائل البجة والحماسين حتى تكاثر نسلهم وازداد تعدادهم فأطلق عليهم اسم «عد عامر».

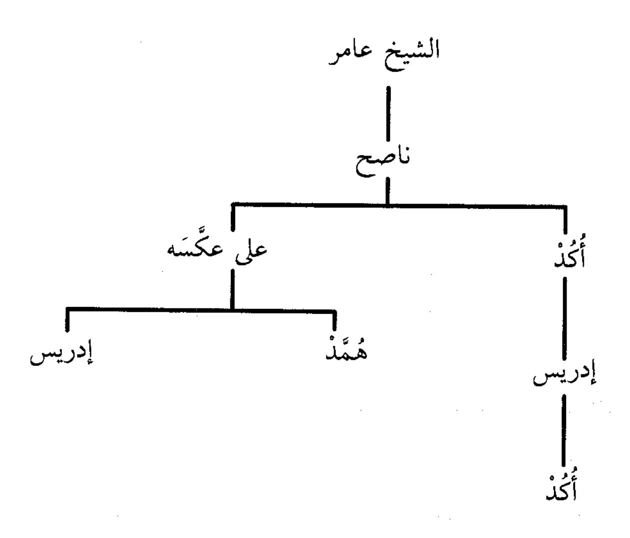
أما ناصح فقد أنشأ بنوه «عد أصح». و«عامر» الذي تفرع من بنيه «عد عامر» و«قلتانا» الذي تنتمي إليه حصة «عد قلتانا» وعد علي عَلَمْ (الأَلَمْ)، ولما توفي الشيخ ناصر خلفه على المملكة ابنه «علي» المشهور بعلي عَكَّسَة.

---

(١) يقول الشيخ جعفر كشة: إن علم الدين من الشكرية وهذا خطأ صححناه معه بعد أن أحضرنا جماعة من المنوياب الأرتيقة (علمن).

(٢) أوضحنا ذلك في تاريخ سواكن.

(٣) تعريبها قديم أو كبير وفاي معناها «زمام» للأنف أو الأذن.




حال توليته رئاسة القبائل أمرها بأن تلقبه بالشيخ علي ناصح. وكان شديد الأحكام، فأمر كافة قبائل بني عامر بألاّ ترحل بتاتاً من حوله حول جبل عَكَّاتْ نَأفْ[1]، أو شرقها إلى سهول توكر والعقيق، فأطاعته القبائل (وبدأت في الاستقرار) خوفاً من أحكامه الصارمة لمدة سبع سنين. وبعدها جاء رؤساء القبائل إلى أخيه أُكُدْ «واستشاروه في أوامر أخيه التي لا تطاق. فقال لهم: إن خير الطرق هي أن تتفرقوا من حوله ويرحل كل منكم إلى حيث يجد المراعي الطيبة. فاستصوبوا رأيه ونفذوه شيئاً فشيئاً. ولما سئلوا عن أسباب تشتيتهم وتفرقهم كانوا يجيبون: «ابتلانا الله برئيس يطلب عكس ما نريد». ولهذا السبب أطلق عليه اسم علي عَكَّسَة. فاستاء من رحيلهم عن عاصمته وسافر إلى سنار لمقابلة ملك الفونج وحمل معه مالاً كثيراً. فلما تقدم لملك الفونج أكرمه جداً وأرسل معه فرقة من السواري لتأييده. وحال وصوله إلى عَكّاتْ نَأفْ توفي إلى رحمة مولاه.

ويقول الشيخ إدريس صالح (ناظر بني عامر السابق): إنه سمع من الشيخ أُكُد موسى أن وفاة على عكسة كانت من الغيظ لأنه ربط ثوبه وحزم به بطنه بشدة لم يفتح عنها الثوب نحو شهرين، فجرحت بطنه وخرجت منها

(١) هذا المحل مشهور برداءة طقسه وقلة مائه وسوء مراعيه، واعتادت القبائل أن ترعى في أي مكان ترتاح فيه.

الديدان وسقط ميتاً من الألم. ثم تولى بعده أخوه الشيخ أكد، وكان محبوباً لدى القبائل.

❋❋❋

## «دقلل أكد» DIGLAL

لُقِّب أكد بعد وفاة أخيه بلقب «دِقْلَلْ» للتفخيم والتعظيم، ويرون أنه مماثل للملك، وتولَّى النظارة بعد وفاة أخيه بحضور قائد الخيالة التي حضرت من سنار، وتولى إرضاء كل القبائل الغاضبة وأعادها إليه. ويعادل وظيفة دقلل في الحساب «كَنْتِيبايْ»، وعند متكلمي البجاوية شمالاً تعادلها كلمة «وَهَدْأ» ويمتاز ناظر بني عامر باللقبين، فمتكلمو البجاوية يقولون له: «وَهَدْأ»، وبالتيجريْ يُدعى: «دِقْلَلْ»[1]، ويقال: إنها من ألقاب مملكة الفونج يوم قتل فارس قبيلة حَفْرة[2]. وقد أطلق على محل إقامة دقلل اسم «دَقَة دقلل» Daga، ويطلق اسم «دقة طَلِّيم Talleem، وهي عبارة عن قرى كثيرة مجاورة لبعضها البعض في سهل واسع فسيح ويكون غالباً معروفاً ومشهوراً بحسن طقسه. والأسود هو محل وجود «دقلل» (والسواد نسبة للسكان) ففي القنوب أو هاقنوب (سهول البحر الأحمر) يكون «الدقة» في «عَيْدِبْ» أو في «حَمَلَاييبْ» شتاء (قرب عدوبنة)، وفي الصيف يقيم في «هَوَشَايِتْ» بأعلى خور بركة بجوار أَغُرْدَتْ. أما «دقة طَدَا» فيطلق على القرى التي ترحل مع الإبل التي يملكها دقلل إلى المراعي الخصبة. ولقد شاهدت في سنة ١٩٣٣م «دقة «طَلِّيم»، ودقة «طَدَة» (وهو الأبيض نسبة لبياض الإبل)، وكان أكثر سكان الأول يقيمون في أغردت، وبعضهم في تِسِنَيْ وكسلا للانتفاع

---

(١) سنوضح ذلك عند ذكر «حفرة».

(٢) هذه الوظائف عربتها الحكومة التركية بكلمة «ناظر بني عامر، ناظر الهدندوة، وناظر الشكرية، وناظر الأمارأر، وناظر الحلنقة، وناظر البشاريين». وأما زعيم الأرتيقة بسواكن فكان يلقب «بأرتيقة» وتعريبها «أمير» حتى كات سنة ١٨٦٥م فخفضت إلى «عمدة سواكن» حينما ضمها الخديوي إسماعيل باشا للسودان.

بمياه خزانات القاش. والشيخ عمر ابن الشيخ محمد علي سمى منازله «دقة عد الشيخ حامد» بإرتريا. وكذلك أطلق على منازل الأفلندة أيام رئاسة الشيخ جمع بن عجيل «دقة افلنده» دمرته قبائل بيت معلا. وكذلك الشيخ هاسري خامد سميت منازله «دقة عد هاسرى» وقد أخنى عليه الذي أخنى على لبد. ويقال لقرى قبيلة بيت معلا: إيتْلِيلِي EYELLELI أي المنازل التي لا يمكن التحقق منها لكثرتها. ويقال لمنازل كنتيباي: حباب «دِقّي Diggi». ولا يسمح كل من هؤلاء الرؤساء أن تسمى منازله بدَقَة أو دِقّي، كما وأن بعضاً من رجال بني عامر يطلقون على أبنائهم اسم «كنتيباي» مع أنه لقب خاص بناظر الحباب. وبالعكس عند الحباب إذ يسمونه أبناءهم باسم «دِقْلَلْ» وهو ما لا تسمح بتسميته نظارة بني عامر وفي أيامه ظهرت حصة.

«إيتكمتي» وتعريبها أصحاب الإبل البيضاء. وقد خلف دقلل أُكَدْ من الأولاد إدريس - إبراهيم - علي - آدم - شاور - نور، وانقرضت ذريّة الأخيرين، وأما آدم فلم يبق من ذريته إلا ثلاثة رجال لهم قرية تسمى «شَدَّقْ Chaddaq».

ولهم شيخ امه محمد يتحصل منهم الضريبة. وقد ورث من آبائه سيفاً جيداً معدوداً من خبرة سيوف بني عامر. ولكثرة اختلافاتهم حكمت المحكمة على أن يحمله كل منهم ثلاث سنوات تنتهي بآخر يوم من رمضان الثالث وبذلك انتهى الخلاف.



## علیندوة Alendewa

هم ذرية علي، وقد ازدادوا سريعاً حتى أواخر القرن التاسع عشر للميلاد، فقلّ عددهم وكادت مواشيهم أن تنقرض، وأصبحوا حصة ضئيلة، وهم خلاف العمودية التي يقال لها: «عد علي».

❁ ❁ ❁

## عد إبراهيم

وأما إبراهيم فهو جد عمودية «عد إبراهيم» التي كانت تقاتل عد عمر و(سيأتي ذكرها)

❋ ❋ ❋

## «دقلل إدريس بن أُكد»

تولَّى النظارة بعد وفاة والده في حَمْلاييبْ: حيث كان دقة دقلل بالقنوب ودفن دقلل أكد في جبل عَدَارَتْ غرب قرى عدوبنة. أما ابنه دقلل إدريس فقد اشتهر بالتقوى وفي أيامه حضر الشيخ محمد بن فايد الشريف الحسني (أقدم الفايداب) وتزوج ابنة دقلل إدريس، ورزق منها ابنه الشيخ حامد شيكاي[1]. وقد انفصل عن دقلل إخوانه إبراهيم وعلي وآدم بعد توليه بزمن قصير وهذه عادة في أبناء الرؤساء فإنهم ينشقون على أخيهم الأكبر أو أبناء عمومتهم المصلح إذا تولى منصباً رفيعاً حتى يأخذوا منه شيئاً بما تحت يده، ويجتهدوا في حسن معاملة من تحتهم من العربان وغالبيتهم من البجة التي استوطنت هذا الإقليم منذ أقدم أزمنة التاريخ. وبعض أبناء المشايخ يرون أن العربان ميراث تركه والدهم الشيخ المتوفى فيرفعون الشكاوى والدعاوى العريضة لأرباب الحل والعقد كما حدث أن رفعت ضد كاتب هذه الأحرف في الخرطوم، وصرفوا أموالاً كثيرة بدون جدوى إذ انتشرت الحرية وذهب الاستعباد مع الاستعمار إلى حيث لا رجعة.

ولما توفي دقلل إدريس أكد خلف من الأبناء أربعة: أكد - موسى - حامد - علي. وقد فعلوا مع أخيهم دقلل أكد الأكبر كما فعل أعمامهم مع أبيهم وهو تقسيم العربان بينهم.

❋ ❋ ❋

---

(١) تصغير لكلمة شيك «شيخ» وهو لقب والده.

## «دقلل أكد بن إدريس»

تولّى النظارة بعد وفاة أبيه، ولكن إخوانه وأبناء أعمامه أفسدوا عليه أمر العربان وانضم إليهم صغار المشايخ، فلم يكترثوا لكلامه وخالفوا كل ما كان يقوله لهم. فاتفق مع أخيه الأصغر موسى بن إدريس أن يأخذ معه هدايا كثيرة من أموال والدهما ويسافر بها إلى ملك سنار ويهديها إليه حتى ينتدب لتأييد أخيه الناظر أكد فرقة من الخيالة تعيد إليه احترامه السابق. فلما وصل سنار قدم شكواه فنصره ملك سنار وأرسل الخيالة لتأييده واعترف له بالملك ومنحه «طاقية من الذهب الخالص» (يقال لها: أم قرين[1] وسيفاً جيداً يسمى (البِينَاي) وكگراً (كرسياً). فلما وصل الجيش ومعه هدايا الملك خضع كل العصاة واستقامت الأمور وهدأت المشاغبات.

وتزوج دقلل أكد بابنة رئيس بيت بَحَايلايْ وكيل بحر نجاشي في سواحل العقيق، ذكرنا ذلك في تاريخ حباب بيت بَحَايْلاَيْ (أَخوال كاتب هذه الأحرف). ولم يعقب منها دقلل أي ذرية، ويظهر أن زواجه كان سياسياً فقط ليأخذ معها بعض العربان أمثال وِلِنُّهُو التي رفض رئيسها الأمويّ أن يكون تابعاً، بل رفض دفع العادة، واكتفى بدفع الزكاة ورضي بها دقلل. وإلى اليوم هذا العنصر الأموي لم تفارقه حب الشهرة وحسن السمعة مثل جدهم «أبو سفيان ابن حرب». ولدقلل أكد من الأولاد: هُمَّد حَشِيْر إدَيُو (محمد القصير اليدين) وهو جد قبائل «واس»، والثاني: علي بكيت جد عد علي بكيت، والثالث: همد هو جد «عد أُكد».

❋ ❋ ❋

(١) لا تزال باقية لليوم عند دقال محمد طاهر بن جيلاني الحسين، وأما السيف فقد طلبه رجل من أبناء تكليس من دقلل همد بن أكد المذكور وكان متزوجاً بأخت التكليسي وبقي معهم نحو مائة سنة، ثم باعه التكليسي للشيخ عمر محمد علي بألف ريال، ثم اشتراه من الأخير دقلل الحسين بثمانمائة ريال نمساوي سنة ١١٣٠هـ، وفي سنة ١٣٤٩هـ أهداه دقلل الحسين إلى البرنس أمبرتو سافوي عمانويل (ولي عهد إيطاليا) عندما زار إرتريا سنة ١٩٢٨. وقد أعطيت طاقية مثلها من الذهب لدقلل حينما زار إيطاليا سنة ١٩٣٠م.

## «دقلل همد حشير إديو»

تولّى مملكة بني عامر بعد وفاة والده، ومكث سبع سنوات، ثم توفي في خور بركة. وكان يكره الرحيل إلى القنوب. وترك من الأولاد: إبراهيم وثلاثة صغار. رفضت قبائل بني عامر أن تولي ابنه إبراهيم وولوا عمه موسى بن إدريس.



**الطاقية أم قرين نقلاً عن كتاب «معالم تاريخ السودان» للأستاذ الشاطر بوصيلي**

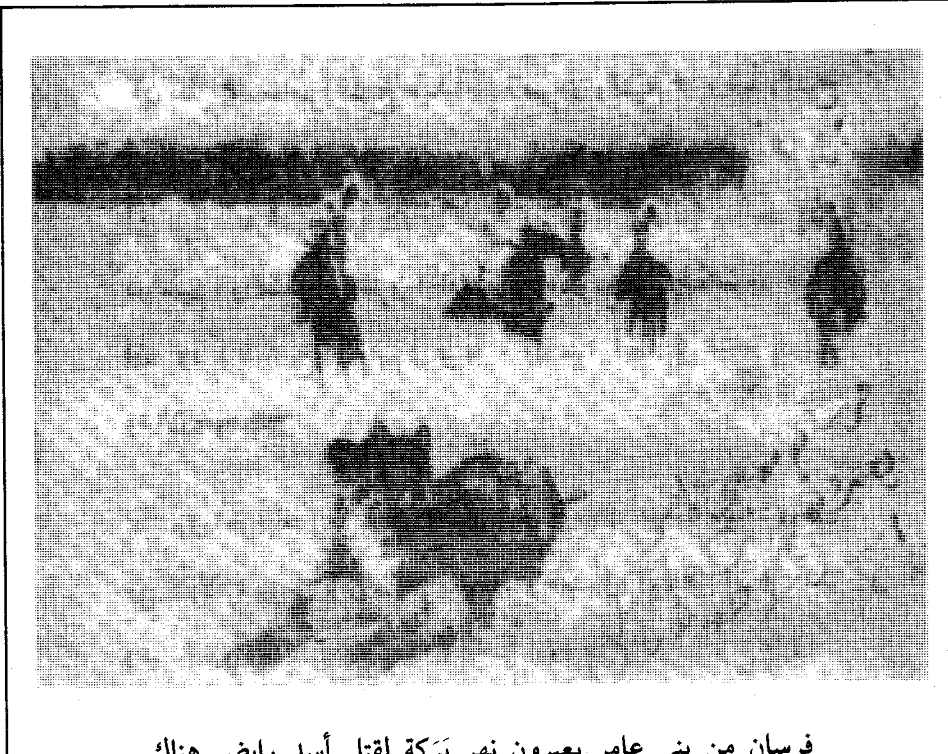
## «دقلل موسى بن إدريس»

كان موفقاً في جميع أعماله، وقد كثرت في أيامه قبائل النابتاب (ذرية عامر) واشتدت شوكتها وانتشر صيتها بين القبائل، وقد رزق خمسة من الأولاد، تشاكى ثلاثة منهم بعد وفاة والدهم في منصب النظارة، وادعى كل منهم أنه أحق بها من أخيه، واشتد النزاع بينهم، فقرروا كالعادة السفر إلى سنار وعرض الأمر على ملك السلطنة الزرقاء، (والمشتكون هم هُمَّد (أكبرهم) وعلي بكيت ومحمود). وبينما هم في الطريق انضم محمود إلى أخيه الأكبر (همد) حتى وصلوا سنار ورفعوا شكواهم، فطلب الملك أن يترك كل منهم رهينة عند أحد أقاربه الذين حضروا معهم، وقال: أجربكم فإن استقام الأمر لأحدكم وصيته القبائل أوليه الرئاسة، وإن نبذته أعزله وأجرب أخاه. ففرح همد بذلك وأحضر أخاه محمود وتركه رهينة، فقال علي بكيت: إنه أخي أيضاً ولا يحق له أن يرهنه. فسأل الملك محمود عن قبوله البقاء بسنار حتى تنتهي مدة التجربة فأجابه حقيقة إن علي بكيت أخي، أما همد فإنه أخي الأكبر، وهو بمنزلة والدي، وقد ربَّاني منذ صغري حتى صرت رجلاً كما ترى. فحكم الملك بأن يتولى النظارة «همد» بعد أن أخذ شهادة أكبر المشايخ وهم من سكان جبال وسهول البحر الأحمر أمثال الشيخ جِمِعْ بن عجيل بن علي (عن العجيلاب والأفلندة)، والشيخ همد بن هاسري (عن نابتاب الجبال)، والشيخ أحمد حسال[1] (عن أشراف بيت معلا الجبال)، فأيدوا جميعهم دقلل همد الذي رفع شكوى أخرى إلى الملك قائلاً له: إن أقاربي وأبناء عمي يسكنون مع الشكرية حول بئر يقال لها: «ريره» Reirah فإما أن ترسل معي قوة أرحلهم بها معي إلى دياري، أو أتخلف هنا في كنفه بسنار لأنني وعدت مشايخ القبائل بإحضارهم معي فأمر الملك بترحيلهم معه من ديار الشكرية. ولا يزال هذا الرهط من البجة يتغنى بهذه البئر (ريره) وطيب المقام حولها في أشعارهم التي ينبعث من سماعها الحنين إلى الأوطان.

---

(١) كان معهم زعيم البجة الشيخ عندل أدروب وتعريبها «الحنظل الأحمر».

وُلد لدقلل موسى من الأولاد همد ـ حامد ـ محمود ـ البكيت (علي[1] بكيت) وأحمد دَسى وهو جد قبيلة «الشِّكَّرابْ».



**فرسان من بني عامر يعبرون نهر بَرَكة لقتل أسد رابض هناك سنة ١٩٢٥م.م ص.ض.**

❋ ❋ ❋

## «دقلل همد بن موسى»

تولَّى رئاسة النظارة في سنار بحضور وزرائه من الفونج ـ وقد كساه الملك ثوباً من الدمور المخطط «ومَهَيْ كُولاَبِي»[2] أي أبو ثلاثة عكاكيز، ويسمى جَبَرتْ، وأقام زمناً بسنار. أما أخوه علي بخيت فقد سافر حالما

(١) علي بخيت.

(٢) باللغة البجاوية.

خاب أمله في النظارة وواصل سيره ليلاً ونهاراً حتى وصل دقة دقلل وجمع كافة زعماء القبائل وقال لهم: «إن ملك الفونج ولآني النظارة وطرد أخي دقلل همد». فصدقوه، فاختار أكثر القبائل غنى ورحل بهم إلى عَيْدِبْ، ولما حضر دقلل همد جمع ما بقي من القبائل حوله وأقام في هَوَاشَايِتْ بسلام طيلة مدة نظارته. كان دقلل همد معاصراً للشيخ حامد أحمد نافعوتاي والشيخ محمد بن فايد والشيخ أبو الرايات (عبدالله الحلنقي) وهؤلاء الثلاثة سافروا معاً لطلب العلم إلى أبي حراز عند الشيخ عبدالله ابن الشيخ دفع الله، ثم عادوا معاً بعد إتمام دراستهم، وذلك يوافق القرن الحادي عشر الهجري كما في طبقات ولد ضيف الله وذكرنا تاريخ كل منهم في قبيلته، ودرسوا أيضاً على الشيخ إدريس ولد الأرباب.

وفي آخر أيامه رحل دقلل همد إلى عيدب وهناك أدركته منيته. وخلف من الأولاد: موسى تَوْلى ـ وعلي بكيت ـ وحامد أَوَدْ (عوض) ـ وأُكد ـ وعمر الذي أنشأ بعد والده حصته «الشِّكّراب».

❋ ❋ ❋

## «دقلل علي بكيت بن همد»

نال منصب والده مع أنه كان أصغر إخوانه، وكان أعقلهم. وأول من رضي نظارته أخوه الأكبر «موسى تولى».

ويقال: إن في أيام نظارته قتل الرجل الذي يقال له: «مَلَسْ بن عتول» بيد أحد عربان دقلل. فاشتكى أخوه آدم عتول إلى دقلل علي بكيت لينصفه من القاتل. فصار دقلل يوعده ويماطله حتى طالت عليه مدة الانتظار لأخذ الثأر والانتقام، وكاد أن ينساه لولا أن أبناء دقة دقلل كانوا يعيرونه بقولهم: «متى تثأر لأخيك موسى»[1]. فيرد عليهم: «سأقتل لكم فحلاً كبيراً».

(١) ويقال بأنه من قرهباب الهدندوة عائلة (إيري) لجأ إلى ناظر بني عامر لما كثرت جرائمه في الهدندوة والأخير استعمله رئيساً للعصابات. وخشيت من بأسه كل القبائل.

فيضحكون عليه. وكان هو يتربص لغفلة من دقلل فيلقاه منفرداً فيطعنه. وفي أحد الأيام كان يتحادث دقلل مع أخيه حامد أود جاءهما ولد عقول وطعن دقلل علي بكيت بالحربة طعنة نجلاء قضت عليه، وسار نحو القرية يفتخر بأنه قتل دقلل بني عامر. فأدركه حامد أود وضربه بالسيف على عنقه فقتله. ودفن دقلل في هواشايت.

وتوجه دقلل علي بكيت في إحدى سنين الشتاء إلى عيدب، فوجد السيد أحمد نافعوتاي مخيماً بأهله وأتباعه هناك، فطلب دقلل منه أن يعطيه الزكاة بصفة عوائد مرعى، فرفض السيد حمد أن يدفع شيئاً. فقال دقلل أنا لا أسمح لغير قبائل بني عامر أن تخيم في عيدب فحدث بينهما خلاف رحل بعده السيد أحمد نافعوتاي ومعه كل قبائل ألمدة إلى أرض الحباب، وابن عتول أصله من قبيلة «شُمُّوس» - وهم قبيلة اشتهرت بالكبرياء والغطرسة، فكان الرجل منهم يحلق رأسه من الخلف ويترك الجزء الأمامي يتدلى على وجهه ثم يسرحه إلى الخلف.

ولم يخلف دقلل علي بكيت إلا بنتين، وكانت أمه من قمود ملهيتكناب ولم يبق من شموش إلا أبناء عَقيباي في الأفلندة[١].

ولقد أعاننا على معرفة حوادث دقة دقلل وبني عامر أشعار جدنا الشيخ محمد (عِيُّون)[٢] ابن شيك بن عجيل إذ كان رهينة عند دقلل حامد من قبل ابن عمه العميد الشيخ علي بن ضرار بن عجيل، إذ نظم قصيدة يتهدد فيها دقلل حامد بك، فأنشدها بينما كان دقلل يتحادث مع محمد أَسَاتَاتْ الذي كان متولياً تموين سكان دقة دقلل[٣]. فقال محمد عيون يخاطب ابنه فرج (وهو فارس مشهور):

---

(١) مشهورون إلى اليوم بطول قامتهم واعتدالها وبالشجاعة.

(٢) تعريبها معتوه أو مجنون، كانت أشعاره كلها في البسالة والسلب والنهب. يصف الوقائع أبلغ وصف، وكذلك أخوه همد شيك عجيل.

(٣) حرم محمد أساتات محمد عيون من تموينه لأنه مدح آل الشيخ محمد بن علي في قصيدة طويلة يستنجد بآل الشيخ حامد السادة المراغنة.

«فرج إجِلْ كسُّولْ اللِّي دِعِنَا بَلاَّ».

(يا فرج أخبر كسول (امرأة) بأشعارنا هذه)

«أبُوكَ لَئِتْ مَكْ نِمِرْوَتها[1] وِلَتْ وَألاَّ».

(إن أباك يعمل مثل عملية الملك نمر أو ما يدنو منها).

«مِي نِيدي جَبِّيْ لَئِتْ ود عتول لدقلل الضحى قَتْلا».

(أم نعمل كما عمل ابن عتول الذي قتل دقلل في الضحى).

«مي نيدي جَبِّيءْ حجاج جَبَيْءْ كانَّتْ كِيلبلْ ربي سَهَلاّ».

(أم نعمل عملاً يهز الأرجاء ونطلب من الله أن يسهله).

«مي ينجيس جَبِّيْءْ حجاج جَبَيْ لَتَكْرُورْ تِدَّايْرًا».

(أم نذهب كالحجاج إلى الطريق الذي تزوره التكارير).

ولا بأس أن نورد قصيدته التي أنشدها يوم ألقي القبض على الشيخ عمر ابن الشيخ محمد:

«لِيلِيتْ جِدَّة[2] رَدْأَتْ وأوُيْتَلاَ»[3].

(أتت النجدات ليلة أمس من جدة وأويتلا).

«رَجِيبْ[4] رَدِّيءْ بِيتْ وسَبْ تَحَرا».

---

(١) من أعظم ملوك السودان شهرة خصوصاً بعد حرقه للبرنس إسماعيل باشا ابن الخديوي محمد علي باشا، ومن أراد أن يكتب تاريخه فليجمع الوثائق والمؤلفات وينقب في بطون كتب الإفرنج والعرب عن تاريخ هذا البطل في الحرب والسياسة، فهل نجد مؤرخاً وطنياً ينقطع لتدوين حياة هذا البطل الذي قال لصموئيل بيرك: «ماذا تقولون عن أعمالي حينما أحرقت ابن الخديوي وجنوده، فأجابه أننا الأوروبيون نعتبرها بطولة ودفاع عن الأوطان ضد المستعمر.

(٢) جاء الشيخ حامد من قبره بجدة ومن أويتلا الشيخ محمود عثمان.

(٣) السيد عمر محمد علي.

(٤) السيد الأمين حامد وفي تحرا ابنة علي الأمين، ومن حستا السيد حامد، الأمين حامد.

(كما جاءت النجدات من رجيب وأهل تحرا).

«حَسْتا إتْردِّي بِيتْ وإتْدَبَّلا».

(وأَتت النجدات من حستا فتكاثرت الجموع).

«شيك قدم طَنْحَ وسيدي إب مِرَّ حَرْ رَدْأ».

(الشيخ محمد بن علي تلقاهم من الإمام وسيدي الميرغني من الخلف).

«ل دييت موفحورتبل إبْ مَجلاَ».

(الناس يقولون إن في يديه ورجليه قيود من الحديد جهلاً بحقيقة حَاله «الشيخ عمر».

«بديرْ ما إِب مَأَكَيْكُمْ من تعمدًّا».

(من الذي عاداكم فأصبحت داره عامرة).

«عد عمر من تآكِيكُمْ أدوج بَلْعَ لدقة حقولها إِيْتكَللا».

(أما عد عمير «ابن محمود» فقد انتابته المجاعة حتى أكلوا الحمير، ولم يستأنفوا إنشاء دقة عمير ثانياً «من بيت معلا».

«عَدْ مَدِينْ جباب من تَآكِيكمْ أرِضْ ملْحَا».

(أما عد مدين فإنه لما خاصمكم أخذته الزلزلة).

«عد إيلّوسْ من تآكِيكُمْ عَايَاتُ كرعا».

(أما عد إيلوس لما خاصمتكم فإن الوحوش قرضتهم).

«منتوا أمبل أبوك حقُو إنْوَ فلاَّ إيْتدَ هَرَا».

(مَن غير أبيك ارتقى للعلا ولم يهبط منها).

«ومَنْتُوا أمْبَلْ أبوكَ حَقُو إنشتم إيتشعرا».

(ومن غير أبيك تولى الزعامة ولم يعزل منها).

وهي طويلة، تركنا أكثرها.

❋ ❋ ❋

## «دقلل حامد أود بن همد»

تولَّى النظارة بعد مقتل أخيه علي بكيت، وكانت منازعات بين المذكور وإدريس موسى تُولى المشهور باسم «ألولَّباب» وهو فارس شجاع، وقد عارض رئاسة دقلل حامد أود وقال: لن أسمح بتوليته أو أعترف له بأي سُلطة. فوقع المشايخ في حيرة شديدة من أمرهما حتى جاءهم رجل نابتابي اسمه «عمر بن أدَاريَا» من حصّة عد، عامر فقال لهم: أنا أتعهد لكم بتبليغ أولباب كراهيتكم لتوليته فاجعلوا لي أجراً، فرضوا شرطه(١). فتسلق عمر جبلاً ونادى بأعلى صوته: «يا إدريس أولباب اسمع نصيحتي وهي أن قبائل بني عامر لا تريد أن تُنَظِّرَك عليها لأنك مشهور البطش والجبروت والقساوة في الأحكام. وقد رضوا عمك وفضلوه عليك ومن الخوف سيسكتون عنك». فقال أولباب للسامعين: «هل كلام هذا الرجل صحيح» فقالوا له: «نعم». وانفضوا من حوله، وركب فرسه وأطلق له العنان ليقتل كل من يصادفه من المشايخ. ففروا من وجهه. وأقام ثلاث سنوات راضياً بالهدوء، ثم رحل إلى القنوب عن طريق عَنْسَبَة (عين سبأ)، وأخضع قبائل بني عامر القنوب. فأرسل دقلل إلى الشيخ عبدالله أبو الرايات الحلنقي والفقيه محمد القرْجِناوي (من علماء بني عامر) ليصلحوا بينهما فذهب المشايخ وأتباعهم إلى أولباب وعرضوا عليه أن دقلل تعهد بإعطائه ثلث إيراد القبائل فرضي، وتصالحا حتى كانت وفاة دقلل حامد أود في «همبوليف» بخور بركة.



## «وفود ضرار»

وبينما دقلل في عيدب جاءه الشيخ ضرار بن عجيل الملهيتكنابي عميد العجيلاب والأفلندة بالسواحل بالزكاة، فأكرمه وأعطاه بعضاً من أبقاره الخصوصية (لِعِي) قُوبَايِتْ دقلل، وهي محترمة عندهم مثل بقرتهم «لِيبِي»

---

(١) أن تعطى له عشر نياق.

التي أحضرها محمد ضرار من القاش[١].

ولنعد إلى دقلل حامد أَوَدْ الذي امتدت سلطته إلى ما بقي من قبائل الحماسين وسواها من القبائل حتى توفي.

وقبل وفاته دعا إليه المشايخ، فلما حضروا، قال لهم: «أوصيكم بأن تولوا بعدي ابن أخي إدريس أولباب»، وخلف دقلل حامد أودْ ولداً شجاعاً وعاقلاً اسمه هُمد وهو والد الشيخ محمد همد الفيل، ودقلل علي بخيت بك، ودقلل موسى وسنأتي على ذكرهم فيما بعد كل في عصره وأيامه.

❋ ❋ ❋

## «دقلل أولباب بن موسى تولى»

واسمه إدريس، ولكن اشتهر بالاسم الأول[٢]. تولّى نظارة بني عامر بعد وفاة عمه حسب الوصية. ولما شب ابنه إبراهيم أولباب نزع النقارة من والده وانفصل بنصف المشايخ والعربان لأنهم يكرهون أحكام والده الذي استنجد بابن عمه محمد أُكُدْ، وهذا جمع جيشاً من أنصاره وأنصار دقلل وقاتل إبراهيم حتى تمكن من استرداد النقارة منه وسلمها لدقلل، فحفظ دقلل له هذا المعروف حتى دنت وفاته، فأرسلها إلى محمد أكد وقال لمشايخ بني عامر: «إن ابني إبراهيم لا فائدة لكم في ولايته ولو كان فيه خير لما قاتلني. فإذا أسلمت الروح ولُّوا مكاني محمد أكد. وقد تركت معه النقارة» فلما توفي عملوا بوصيته. واشتهر دقلل إدريس بكثرة سفرياته بين خور رَجَبْ والخرطوم وسنار، وكان له شاعر مشهور اسمه «دَرَقي» له قصائد يصف فيها الأهوال والمتاعب التي كان يقاسيها ممدوحه في رحلاته، ولم ينسى شجاعته على خصومه واستيلائه على الغنائم والأسلاب ممن كان يغزوهم.

---

(١) كثيراً ما تغنى بها شعراؤهم منذ ثلثمائة عام.

(٢) هذا بالتيجري، أما بالبجاوية فيقال له: أولباب Oulbab الذي عربه مؤرخو العرب في مؤلفاتهم باسم «علي بابا».

ودفن دقلل أولباب في مكان يقال له: «جارقي» بجهة «إنْكُوليشْ» وله من الأولاد: إبراهيم وأكد (الذي تزوج بنته الشيخ محمد بن المحلق الحمراني جد تاجوج الحمرانية المشهورة في السودان[١].

❊ ❊ ❊

## «دقلل محمد بن أكد بن همد»

حسب وصية سلفه تولّى نظارة بني عامر وفرحت القبائل بولايته ورفض إبراهيم أولباب أن يخضع لسلطته فعرقل مشاريعه الخاصة بالعربان[٢]، فتبرع له دقلل بثلث ما يجيئه من الهدايا القبلية، ورضي إبراهيم بذلك وقضيا أيامهما في هدوء وراحة حتى توفي بايان تَكْرِيرِيتْ Bayalm Takrire. ويقال: إن إبراهيم أولباب زار دقلل محمد[٣] عند اشتداد المرض عليه، وضحك لما رآه يشكو من شدة الألم. فقال له دقلل: لا تفرح لموتي لقد خلفت لك ابني إبراهيم فإنه لن يمتعك بالنظارة ـ وفعلاً أتعبه.

وكان لدقلل محمد شاعر اسمه «ودقَّة» انتشرت قصائده في مدح دقلل محمد. وهو رجل من الحباب يزور النظار والمشايخ أمثال كنتيباي جاويد وأخيه هداد بن فكاك والشيخ حمد أكد هاسري.

واشتهر هذا الشاعر بنصيحته الشعرية (لغزاً) لأبناء تكليس حين جاؤوا لزيارة كنتيباي جاويد الذي أعد رجالاً للقضاء عليهم وهم يأكلون، ولكنهم سلموا بسبب أشعار ودقبة.

وخلف دقلل محمد ثلاثة أنجال هم: إبراهيم وعلي بكيت وحامد.

---

(١) اقرأ كتابنا «حياة تاجوج والمحلق». وقيل: إنه لما خرج من بطن أمه كان قابضاً في كفه «دماً» ومثاله الأمير عثمان دقنة وجنكيز خان.

(٢) انفصل الشيخ محمد بن أولباب بقبيلة «سنكاتكناب» وأصبحت عموديتها في ذريته حتى تحررت.

(٣) في عام وفاة دقلل محمد توفي بالقنوب شيخ المشايخ الأفلندة الشيخ عجيل بن ضرار وأخوه همد، كما توفى زعيم بيت معلا الشيخ إدريس حامد إيتدكل.

اشتهر إبراهيم أولباب بميوله الشريرة وعدم رغبته في السلم والاستقرار، فجمع إليه ذات يوم كل أقاربه من أبناء «تولى» وقال لهم: اتبعوني، وهجم سراً على منزل دقلل محمد وسرق النقارة وأخفاها في مكان مجهول، وضيق الخناق على كل من يعصي أوامره. فاستنجد دقلل محمد بأخواله[1]، فجاءه الشيخ موسى قرقم وإخوانه وأولاد عمه حامد ورار بن علي موشَّاي ونُصُّور وَلدْ بيلي، ومحمد علي طليم (أسود)، وإدريس أكد بَرْهَمَيْ، وكلهم فرسان وأغنياء، وأخذوا معهم لفيفاً من كل قبائل «عِلِيتْ» وحضروا إلى دقة دقلل في مكان يقال له: «دَنْبَع»، فجمع موسى قرقم الفريقين ومكر عَلَى إبراهيم أولباب بأن أوعده بمركز وكالة دقلل، ووزع أقاربه بين أتباع إبراهيم، وهددوهم بالنهب إذا لم يرجعوا إلى طاعة دقلل محمد. فامتثلوا وتفرقوا منه وخضعوا هم ومشايخهم لدقلل. ثم سألوا إبراهيم عن محل النقاره فأنكر مخبأها وإذا بعجوز تخبرهم بمحلها، فأخرجوها وسلموها لدقلل محمد.

فلما سمع بعثورهم عليها قال: «ستعودون غداً ويموت دقلل وأتولى أنا النظارة».

❋ ❋ ❋

## «دقلل إبراهيم بن إدريس أولباب»

تولَّى النظارة بعد وفاة دقلل محمد بن أكد، وأظهر فرحاً عظيماً لوفاته، ولم يخرج لتشييع جنازته، فاستاء منه ابنا عمه إبراهيم وعلي بكيت، ورحلوا من دقة إلى قرى عد كلب[2]. أما أخوهما الصغير حامد فإنه رحل إلى عد هاسري بالقنوب حيث كان متزوجاً منهم[3].

---

(١) وهم عد هاسري (نابتاب البحر الأحمر) أهل والدته هجوه بنت هاسري بن حامد.

(٢) تزوج الشيخ همد كلب بابنة «قويلاي» من نسل علي بن دقلل أكد بن ناصح وتزوج ابنة الشيخ علي فكاك بابنة دقلل همد موسى.

(٣) كان متزوجاً بابنة الشيخ حمد بن أكد عمدة هاسري وهي والدة ابنة دقلل محمد بن حامد بك الذي خلف والده سنة ١٨٧٥م.

أما عد كلب فإنهم أجاروا إبراهيم وعلي بكيت وناصروهما، فسار إبراهيم محمد أكد بجيش من عد كلب وبعض القبائل التي أطاعته إلى دقة دقلل، وألقى على دقة الحصار سبعة أيام متوالية لا يسمح لأحد منهم بالخروج إلا لأخذ العهد على يده بالطاعة لنظارته. فكثر أتباعه وأنصاره وهجموا على بيت دقلل إبراهيم في إحدى الليالي وانتزعوا منه النقارة، واحتفظوا بها في قريتهم. وسارت القبائل وكل منازل دقة دقلل خلفه. فاستاء دقلل إبراهيم أولباب ورحل إلى الهدندوة مستجيراً بهم لينصروه، فلم يهتم بأمره الشيخ محمد دين (ناظر الهدندوة) في ذلك الوقت لأنه كان يقاتل الجيوش التركية سنة ١٨٤١م بجهات أروما وتندلاي، وكذلك فعل ناظر الشكرية. وبعد تمام الصلح بين الهدندوة والجيش التركي قدم دقلل إبراهيم الطاعة لأحمد باشا أبو ودان، فأبقاه معه بكسلا زمناً، ثم جاء مندوب[١] من إبراهيم محمد (الذي تسبب في عزله) وطلب منه زيارة دقة دقلل. فامتثل إبراهيم وتولى شياخة المشايخ، وتنازل عن النظارة حتى توفي وهو شيخ كبير في وادي عنسبة. ولم يَنتظر إلا عاماً واحداً.

ولما حانت وفاته أمر دقلل إبراهيم بن محمد أن تحمل النقارة إلى أمام منزله، ثم أخبر عبده أن يضربها له، فلما سئل عن ذلك قال لهم: إن إبراهيم إدريس كان يحب أن تبقى لديه حتى الممات ولم يتنازل لنا عنها إلا بعد أن فنيت أكثر فرسان بني عامر. فسمع إبراهيم إدريس مقالته. فأجابه «الدنيا دول ـ نحن شمتنا يوم وفاة أبيك ولم نخرج في جنازته، والآن أنت تمثل معنا نفس العمل الذي عملناه مع أبيك ـ ألا فليعلم رجال بني عامر أنني بذلت كل جهدي في الحصول على النظارة فلم أنجح، وصرفت أموالاً كثيرة فمن ذلك أنني أعطيت لمن ظننتهم أصدقاء نحو تسعين سيفاً إفرنجياً (نكري)[٢]، ونحو مائتين من خيرة أبقاري (لِعِي)، ومائة من نياقي (فُوطات)، وتسببت في قتل سبعين فارساً على ظهور خيولهم في واقعة

(١) قيل: إن المندوب كان ناصح بن إبراهيم أولباب.

(٢) السيف الذي فيه نهر أو بحر واحد لا يزيد طول نهره عن الشبر (٢٠ سنتيمتراً) ولا يقل ثمنه عن عشرة جنيهات.

واحدة بقيادة الشيخ محمود تيتة، وصاهرت أشهر القبائل لأستعين بهم في رد النظارة فأبى الله ذلك». وقد سمعت وصف واقعة محمود تيتة من الشيخ علي حتب ابن موسى محمد[1] وكانت هي نفس السنة التي تقاتل فيها الحباب وتكليس (شنقيرة). وفي أيام إبراهيم إدريس أمر الشيخ محمد دين ناظر الهدندوة ابن أخيه موسى بك إبراهيم أن يأخذ جزية عن عد عشير (ابنا همد راكب) وهي إحدى حصص بني عامر، فضمها موسى بك إلى الهدندوة. وقيل: إنها كانت في أيام دقلل إبراهيم بن محمد وهو أقرب إلى الصواب لأنه كان دائماً يفرق الحصص على نظار ومشايخ القبائل التي يرضى عنها أو يعقد معها صداقات كي يكيد لخصومه.

وفي عصره دارت معركة عنيفة بين حزبه وحزب إبراهيم بن محمد انتصر فيها الأخير ونزع النقارة من دقلل إبراهيم الذي قتل في الواقعة اثنان من أنجاله وجرح ثلاثة.

قيل: إن السيد الأمين بن حامد حضر الواقعة ومنع إبراهيم محمد من ركوب فرسه فقال له: «دع خصمك يمتطي جواده فإن جيشه مغلول» وفعلاً انهزم جيشه وتشتت حزبه وتولى النظارة إبراهيم بن محمد. ورحل دقلل إبراهيم إدريس إلى كسلا محاولاً أن يجد من ينجده على استرداد نظارته.

❀ ❀ ❀

## «دقلل إبراهيم بن محمد»

لما طالت غيبة سلفه ببلاد التاكا ولّته القبائل النظارة وبعد توليته بأسبوع وصلت قوة من الجيش التركي بقيادة إلياس بك نائب مدير كسلا واحتل الدقة والجبال الحصينة.

تفرقت قبائل بني عامر في أيام دقلل إبراهيم محمد، فأعطى بعضها لنظارة الهدندوة (موسى بك إبراهيم)، والبعض لعوض الكريم بك أبو سن

---

(١) في سنة ١٩٠٥م سمعت منه هذا الوصف بالعقيق.

(ناظر الشكرية)، ومنع النابتاب من معارضته أو التدخل في شؤون القبائل، والتدخل حتى في شؤون الفقهاء، وأكثر من جمعهم حوله في الدقة، وكانوا يمدحون النبي ﷺ، وبعد فراغهم من المدح كان يأمرهم بمدح أبي بكر الصديق ﷺ لأنه جد عامر بن علي نابت من جهة أمة الملهيتكنابية عائلة قمود، فيطيعون أمره ويستمرون في المديح زمناً أطول حتى توفي إلى رحمة الله سنة **١٢٥٩**هـ فاحتفظ بهم خَلَفُه، ونشر القراءة والكتابة في كل قبائل بني عامر، أما إلياس بك فإنه سار بقوة من جنده نحو القنوب ومعه دقلل إبراهيم حتى وصلوا حملاييبْ، وهنالك نصبوا خيامهم، وهربت القبائل من وجه الجيش، وتفرقت في البوادي والقفار، وأمروا الجند بالبحث عن المواشي وإحضارها، واستعملوا النار مع أصحابها، وأخذوا إبل الشيخ محمد أكد بن محمد هاسري (شيخ مشايخ) ووضعوها في عدة زرائب، فسمع حفيده أكد موسى وكان ابن اثني عشر عاماً، فسلم نفسه لدقلل وإلياس بك، وقال لهم: «إذا ما اعتقلتموني عندكم فإن جدي الشيخ همد أكد ووالدي يحضران سريعاً ويستسلمان». فاعتقلوه وأطلقوا المواشي اكتفاء به، فلما سمع جده الخبر أمر كل القبائل بالحضور حالاً وتقديم الولاء والطاعة. وكان لدقلل سكرتير بارع من الفلاتة اسمه آدم ولد حاج عبدالله. وفي أواخر سنة **١٣٦٠**هـ توفي دقلل إبراهيم محمد، وله من الأولاد حامد وصالح، وخلفه على النظارة حامد بك محمد في سنة **١٢٦١**هـ.

ذكرنا أن دقلل إبراهيم كان يتودد لنظار القبائل الأخرى بتوزيع عربان البجة عليهم، مثال ذلك إعطاؤه قبيلة سنكاتكناب (أصحاب سنكات) الذين طردهم بَارِكوينْ الهدندوي من أوكَاكْ «سنكات» إلى الشيخ موسى بك إبراهيم (ناظر الهدندوة)، ووهب «مَنّعَا» للشيخ عوض الكريم بك أبو سن، وأعطى بعضاً من اللَّبَتْ للشيخ محمد بك إيلَة (ناظر الحلنقة)، والبعض للأرْتِيقَة، وأعطى قرى بأكملها لعمد عد علي بكيت وهاسري وأكد وواس حتى إن بعض هؤلاء المشايخ طمعوا في النظارة.

❋ ❋ ❋

## «دقلل حامد بك محمد»

هو أشهر نظار بني عامر في القرن الماضي، تولَّى في سنة ١٢٦١هـ بعد وفاة أخيه إبراهيم محمد، وقد بذل مجهوداً جباراً بمساعدة مدير كسلا حتى استرد كل القبائل التي وزعها سلفه (أخوه إبراهيم) على النظار السابقين وخصوصاً قبيلة «عد عَشِير» وهي من أغنى القبائل البجاوية، وكانت قد أعطيت لموسى بك إبراهيم. فلما استردها أنشد أبياتاً من الشعر بالبجاوية يخاطب موسى بك هذا رد عليه بمثلها، ولهما مساجلات شعرية لا تخلو من بعض النوادر والنكت، وأحياناً يفتخر كل منهما بالإصلاحات التي كان يعملها في قبائله، كان حامد بك صديقاً لمحمد بك إيلَه، والشيخ محمد بك آدم نايب (مصوع)، وقد توفوا جميعهم في واقعة «قُرَعْ» بوادي قُنْدَتْ (التي حدثت بين الجيش المصري والحبشي سنة ١٨٧٥م)[1]. وفي السنة الأولى من ولايته عصى أوامره كل مشايخ وعمد عَدْ عمر. ولما أرسل إليهم خادمه لتحصيل الضريبة قتلوه، فأرسل إليهم قوة من الجند الذي كان معسكراً في دقة لتأديبهم، فعاد القائد بعد أن أخضعهم لسلطة دقلل حامد. واشتدت شوكة قبائل بني عامر بين أتْبرة وسِيتيتْ والقاش وبَرَكَة وسواحل البحر الأحمر وجميع القبائل المتفرقة حوله، وولى على من بالقاش الشيخ يونس علي بكيت، وضم إليها عد عشير، وجعلها عدة عموديات، فأصبحت ذات شوكة. ودقلل حامد هو الذي نظم مراكز اجتماع المشايخ فجعل أربعة أشهر في الشتاء (في القنوب) بجهة عدوبنة وحَمَلاييبْ، وثمانية أشهر في هواشايت. وكان الخديوي سعيد باشا قد أمر بأن يكون في محل إقامته الأخير مكتب تلغراف له بناء خاص وجند يحميه، وكذلك فعل في فِلِّكْ عاصمة الهدندوة (موسى بك إبراهيم) وأحضر معلماً من مصر لتدريس أبنائه القراءة والكتابة، فنبغ فيهما ابنه الأكبر (محمد) وفي أيام دقلل المذكور

---

(١) سنلخصها فيما بعد نقلاً عمن حضروها أو كتبوا عنها أمثال محمد منتاي أبقلاي وكشف الستار لأحمد باشا عرابي مأمور حملة الجيش، ومن كتاب جبر الكسر لمحمد باشا رفعت، وتاريخ السودان لنعوم شقير والمستر أوغسطوس وايلد.

انفصلت قبيلة العقايقه (بهدور) عن نظارته وسنبين ذلك في قبيلة «بهدور».

ونوضح هنا كيف كانت الحرب بين الإمبراطور يوحنا والخديوي إسماعيل باشا. في شهر أكتوبر **١٨٧٥**م عهد إلى أرندروب[١] بقيادة حملة جديدة على الحبشة وكان بين أركان حربه ضابط أمريكي يدعى ماجور دينيسون Maj.Dennison وضابط سويسري يدعى ماجور دور هولتز Maj. Dor Holtz وضابط هنغاري الكونت زيشي Count Zichi، وكانت الحملة مؤلفة من ألفين وخمسمائة جندي من المشاة يحملون بنادق رمنجتون Remington ومعهم ست بطاريات من المدافع الجبلية وستة مجانق ثم قسمت الحملة إلى فصيلتين، يقود أولاهما: الكولونيل أرندروب ومعه الكونت زيشي، والثانية أراكيل بك محافظ مصوع.

فالتقت هذه الفصيلة بطلائع الحبشان يوم **١٨٧٥/١١/١٥** على ضفاف نهر مأرب في قندت، ولم تستمر المعركة سوى بضع دقائق وقد خلوا من جميع آثار الرحمة والإنسانية، وقتل أرندروب وزيشي وإلى جانبهم أراكيل وكل الجنود والعربان، ولم تبق لدينيسون قوة، فرأى الحكمة في التقهقر وطلب السلامة بما بقي لديه من الجند.



## «أسباب هذه الحروب»

تاقت نفس الخديوي إسماعيل باشا بعد احتلال بلاد خط الاستواء أن يستولي على إقليم الحماسين جمعيه[٢]، فأرسل الحملة السابقة، فلما علم به الإمبراطور يوحنا (الذي قتله الأنصار في واقعة القلابات يوم **١٨٨٩/٣/٩**م)

---

(١) كان أرندروب هذا ضابطاً برتبة ملازم في الجيش الدانمركي وذهب إلى مصر مستشفياً ثم دخل خدمة الحكومة المصرية ومنحته رتبة قائمقام Colonel.

(٢) كان الملك يوحنا لا يزال يحتج لدى الدول لاستيلاء مسنجر باشا محافظ مصوع على شراء بلاد عايلت وقمهوت وعسوس واحتلال سنهيت (كرن)، وللخديوي أمل في الاستيلاء على منابع النيل وشرق أفريقيا حتى زنجبار وممباسة ودار السلام.

جرد جيشاً عرمرماً للقائها في قندت وصمد لها هناك حتى تبتعد عن السهول أميالاً عديدة فيتمكن من دحرها بسهولة، وهذا ما حدث.

## كيف كان قتل نظار القبائل:

قال محمد منتاي أبقلاي: حالما ابتدأ تبادل الرصاص من الجانبين أصدر أراكيل بك أمره إلى محمد بك إيلة (ناظر الحلنقة) كي يهجم بفرسانه على الأحباش، فخاض المعركة على جواده وتبعته خيل الحلنقة بفرسانها، فلم يعودوا فاستعد دقلل حامد لاقتفاء أثرهم[١]، فجاءه أحد المشايخ وقال له: انتظر حتى يخف ضغط الأحباش بسبب كثرة الرصاص المنصب عليهم من الجيش المصري ثم اهجم بفرسانك. فأجابه: «كلا وأبيك أنا لا أريد العودة إلى دقة دقلل أسير في ساحته أو في شوارع كسلا بعد وفاة صديقي مجد بك إيلة» ثم أطلق لفرسه العنان، وقال لجماعته: اتبعوني. فتبعوه وخاض المعمعة بفرسانه وسبدرات والقدين بفرسانهم أيضاً[٢] فلم يسلم من بني عامر أحد غيري أنا (محمد منتاي) وقد أسرني أحد أمراء الأحباش[٣] ثم عرفني إذا كان دقلل يرسلني إليه، فسألني عنه فأخبرته بوفاته، فاستاء جداً وتأسف، ثم أطلق سراحي وسلمت من العقاب الذي أصيب به أسرى الجيش (التطويش أي إخراج الخصيتين من كل محارب) قال عرابي باشا: «إن الأحباش (قطعوا) مذاكير الأسرى»[٤] ومات في هذه الواقعة غير المذكورين محمد آدم نايب وسلم خادمه مثلي. وحكى لي أنه شاهد دقلل حامد لما هجم بجواده على الأحباش وسيفه مسلول في يمناه يقطر دماً ثم

---

(١) قيل: إنه كان يلبس حجاباً عمله له السيد الأمين حامد لئلا يصيبه الرصاص أو أي شيء من الحديد. ولكن دقلل حامد كراهية في الحياة أعطى الحجاب لخادمه محمد منتاي أبقلاي.

(٢) كانوا برئاسة الشيخ أحمد حجاج قد عاد من الواقعة وهو مصاب بعدة جراح.

(٣) هو الرأس ود دبكيل.

(٤) اشتهرت قبيلة طلطال Tiltal باستعمال الفظاعة مع أسراها إذ يفتخر رجالها لدى نسائهم بجلب أعضاء تناسل الأسرى من أعدائهم، ويقول رفعت بك في جبر الكسر: إن النجاشي لا يوافق على هذا العمل الشنيع.

كر ثانياً ولكن خرج مجروحاً في رأسه ثم كر ثالثاً ولم يعد بعدها فعلمت أنه قد مات. وهجم بعد دقلل حامد الشيخ محمد آدم وقال: لا تطيب لي الحياة بعد دقلل فقتل حال هجومه، وكذلك فعل محمد أكد جامبيل.

لقد استفاد الأحباش مما غنموه من الأسلحة في واقعة «قندت» ما قوى به جيشهم في واقعة «قرع» التي حدثت بينهم وبين المصريين في يوم الثلاثاء ١١ صفر ١٢٩٣هـ الموافق ٨ مارس ١٨٧٦م وقتل فيها إدريس أرَيْ (عمدة عد تولّى) والشيخ أرَيْ همد، وقد قتل في واقعة قندت مع دقلل خيرة الضباط المصريين: أمثال البكباشي على رائف، والبكباشي أحمد فوزي، والبكباشي أحمد سعيد (قومندان الطوبجية)، والبكباشي عمر رشدي أركان حرب الجيش المصري الذي كان من رأيه أن تسير الفرق كلها معاً، ولكن رئيسه الماجور دينيسون فرقها في الجبال والأودية، فأحاط بها الأحباش إحاطة السوار بالمعصم وأفنوهم عن آخرهم، ومن الصدف العجيبة أن النجاشي يحب أن يكون القتال بينه وبين عدوه في يوم الثلاثاء، وهكذا كانت واقعة قندت، ثم قرع. ولقد بحثنا كثيراً في كتب الأقدمين وها هو ما وجدناه مدوناً في جبر الكسر. قال رفعت بك: كانت الجواسيس توافينا كل آن بأخبار جيش الحبشان، وكان من ضمن بلاغاتهم أن النجاشي صمم على أن يكون الهجوم في يوم الثلاثاء الذي اعتاد المحاربة فيه تيمناً به وتبركاً بطلعته. وقد كانت محارباته لأرندروب وغيره في اليوم المذكور فحررنا بذلك إلى الخديوي المعظم تلغرافياً. فصدر أمره بأنه وإن كان هذا الاعتقاد فاسداً لكنه كاف بسبب كونه اعتقاداً بثبات جأش الحبشة وتقوية قلبهم. ولهذا أشار سموه إلى اتخاذ الطرق المؤدية إلى منع وقوع المحاربة في اليوم المذكور. ولكن إذا تحكم القدر لا ينفع الحذر إذ عادت الجواسيس في يوم الثلاثاء الموافق ١١ صفر ١٢٩٣هـ مخبرة بقيام إمبراطور الحبشة بخيله ورجله بقصد المحاربة في اليوم المذكور فكان النصر حليفه في هذه الواقعة أيضاً.

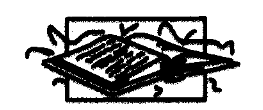
وفي سنة ١٨٧٩م سافر الجنرال غوردون من مصر إلى موضع لعقد صلح بين المصريين والأحباش. فلما قابل النجاشي يوحنا عرض على غوردون شروط الصلح الآتية:

١ ـ إعادة مدينة المتهة الحبشية التي كانت مقر أحفاد الملك نمر، وكذلك سنهيت إلى أثيوبيا.

٢ ـ أن تتنازل له الحكومة المصرية عن ميناء زيلع لشدة حاجته إلى ميناء في الجنوب الشرقي، وكذلك جزء من مدينة هرر.

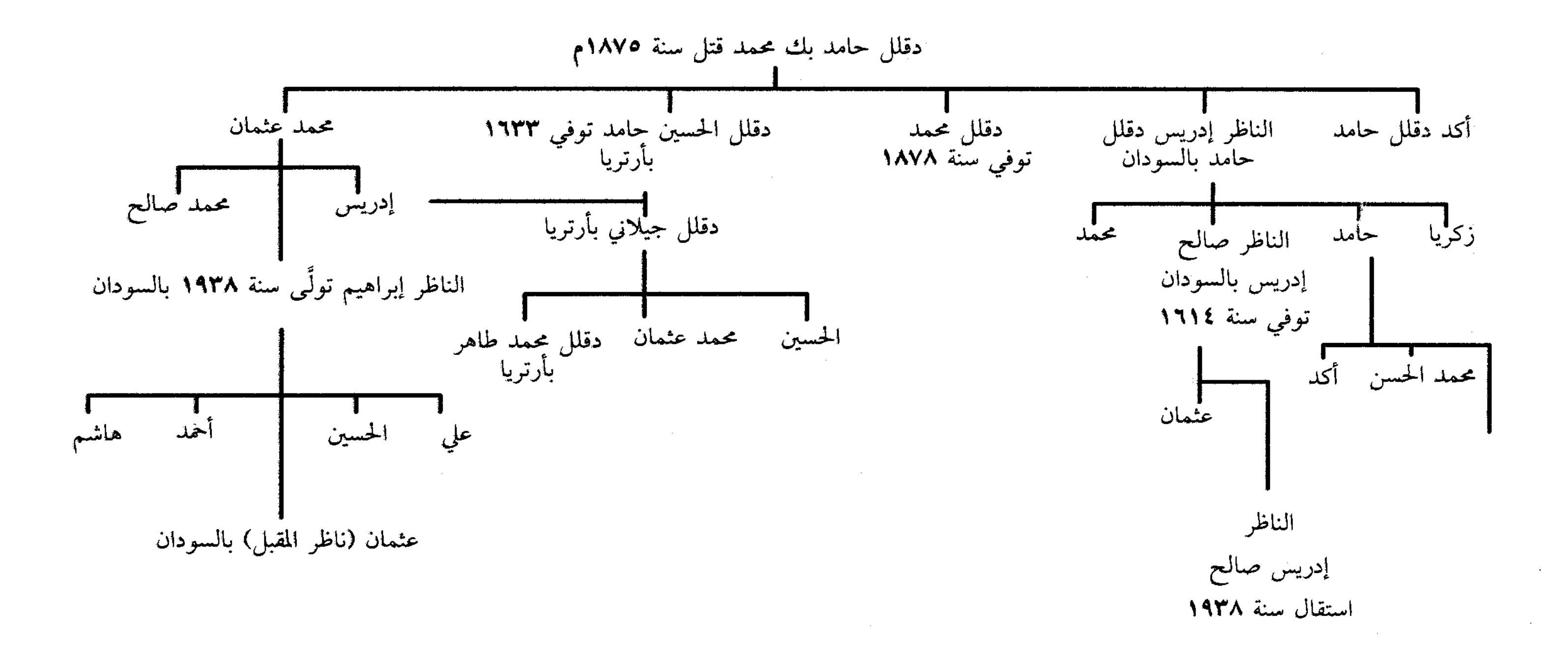
٣ ـ أن تتنازل الحكومة المصرية عن ميناء مصوع وتدفع له مليون جنيه مصري. فحمل غوردون هذه الشروط وسافر عن طريق القلابات إلى الخرطوم وقبل وصوله إليها ألقى القبض عليه وعذب ثم أمر بالعودة عن طريق قرع ومصوع فلما وصل مصر استقال من منصبه وعاد إلى أهده[١].

ونأتي هنا على ذرية دقلل حامد بك محمد لأنهم هم الذين يتولون نظارة قبائل بني عامر في السودان وإرتريا[٢].



(١) تاريخ السودان لنعوم شقير.

(٢) دقلل محمد طاهر جيلاني تولى أخيراً نظارة النابتاب لأن القبائل تحررت وأصبح لكل قبيلة ناظرها من (خشم بيتها).


دقلل حامد بك محمد قتل سنة ١٨٧٥م
أكد دقلل حامد
الناظر إدريس دقلل
حامد بالسودان
دقلل محمد
توفي سنة ١٨٧٨
دقلل الحسين حامد توفي ١٦٣٣
بأرتريا
محمد عثمان
زكريا
حامد
الناظر صالح
إدريس بالسودان
توفي سنة ١٦١٤
محمد
محمد الحسن
أكد
عثمان
الناظر
إدريس صالح
استقال سنة ١٩٣٨
دقلل جيلاني بأرتريا
الحسين
محمد عثمان
دقلل محمد طاهر
بأرتريا
إدريس
محمد صالح
الناظر إبراهيم تولّى سنة ١٩٣٨ بالسودان
علي
الحسين
أحمد
هاشم
عثمان (ناظر المقبل) بالسودان

## «دقلل محمد بن حامد بك»

تولّى النظارة بعد قتل أبيه في سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٥م) وانفرد بإدارة القبيلة وأحكامها، وجعل نفسه المرجع لكل صغرى وكبرى. فاستاء منه أقاربه لعدم استشارتهم، فتألبوا عليه مع أنه لم يعترض على حقوقهم التي كانت لهم في أيام والده الأخيرة، وهي أن مدير كسلا اخترع وظيفة «شيخ المشايخ» القديمة وعين فيها علي بَكِيتْ بن همد[(١)] وعين همّد محمد همد[(٢)] في وظيفة «شيخ القنوب» رغم إرادة المرحوم دقلل حامد بك الذي لم تبق بيده إلا سلطة دقة دقلل فقط. أما مشايخ قبائل خور بركة فصار أمرها إلى علي بكيت بك، ومشايخ القنوب إلى ابن أخيه. واستاء دقلل حامد بك من تحديد سلطته. ولما جاءه الأمر بقتال الحبشة اقترح عليه بعض المشايخ بأن يعصى فأبى، وقال: سأمتثل لأمر الخديوي إسماعيل باشا سواء على الموت أو النصر فسأكون أنا الفائز في كلا الحالين لأن دمي سيحفظ لأبنائي الحق في تولي نظارة بني عامر. وقد تحقق ما تنبأ به ـ فقد تولّى ابنه دقلل محمد النظارة وخشي بأسه المشايخ، ويقال: إنهم اتفقوا مع نايب مدير كسلا أن يتخلص منه بإسقائه سماً، وفعلاً دعاه للحضور إلى سبدرات مع المشايخ، فلما حضروا جميعاً قدم لهم نائب المدير لبناً فشرب منه دقلل محمد وشعر أن طعمه غير اعتيادي، ثم وضعه على الأرض. فقال له النائب: أعطه للحاشية، فأجابه دقلل: محمد كلا وأبيك لا أعطيه لأي إنسان وسترى الحاشية عاقبته في شخصي. وفعلاً تورم جسمه في الحال فاستأذن في العودة إلى دقة في هواشايت، فلما وصل عاصمته بدأ جسمه يتساقط[(٣)] شيئاً فشيئاً ولم يجد من يسعفه حتى بالعلاج البلدي لأن

---

(١) هو دقلل علي بخيت سنفصله فيما بعد.

(٢) هو ابن محمد أساتات (النيران) لشدة بأس أبيه واشتهاره بالجود والكرم.

(٣) يذكرنا بالملك الضليل امرئ القيس ابن حجر حين يقول (لما تسمم جسمه):

وما خفت تبريح الحياة كما أرى ... تضيق ذراعي أن أقوم فألبسا

فلو أنها نفس تموت جميعة ... ولكنها نفس تساقط أنفسا

وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة ... فيا لك لمن نعمي تحولن أبؤسا

المؤتمرين أشاعوا بأنه أصيب بالجدري. وهكذا رحل دقلل محمد من الدنيا رحمة الله عليه.

بعد وفاة دقلل محمد باثني عشر عاماً تقريباً كانت نظارة بني عامر هكذا: «دقلل الحسين» في إرتريا وأخوه الشيخ إدريس ناظر البني عامر بالبحر الأحمر (العقيق) وأخوه الشيخ محمد عثمان وكيلاً له بكسلا.

وكان الشيخ محمد بن علي في إمبيرمي يقول: لبيت الأيام تسمح لنا بلقاء ولدنا دقلل محمد، وهكذا لم تسمح الأيام بلقائهما. وقد رثى دقلل حامد بك بعض الشعراء أمثال جمع بن شيك عجيل ومحمد إداد هداد وفايد دنكلاي بعدة قصائد.

ولم يعقب دقلل محمد.

❋ ❋ ❋

## «دقلل علي بكيت بك همد»

هو الناظر البخيت بك تولَّى منصب دقلل عقب وفاة دقلل محمد بن حامد بك، ولكن الحسين حامد بك محمد عارض في تنظّره فلم تسمع معارضته. فرفع شكواه لمدير كسلا، فلم ينصفه، فسافر إلى سواكن، وبمساعدة أخواله الأرتيقة توجه إلى القاهرة مطالباً بمنصب أبيه لأحقيته به بعد وفاة أخيه محمد. فقبلت شكواه وأخبره (ناظر) وزير الداخلية بأنه كتب بالبريد إلى مدير كسلا[1] كي يحل محل أخيه، ويعزل دقلل علي بكيت بك حالاً. فلما وصل الحسين كسلا لم يجد أثراً لعزل دقلل علي بكيت، بل كان يمارس كل سلطاته. فتدخل ناظر وأعيان الحلنقة في الموضوع واجتهدوا في الصلح بينهما، وعرضوا على الحسين أن يتولَّى منصب «شيخ

---

(١) عبدالرازق بك.

المشايخ»، فأجابهم هذه وظيفة عمي علي بكيت الحقيقية. أما أنا فوظيفتي هي النظارة فأصلحونا على هذا الأساس وإلا فإني عائد لاستئناف شكواي. وسافر إلى سواكن.

أما دقلل علي بكيت فلم يذق طعم الراحة من أول يوم في ولايته إذ بدأت شرارة الفتن بين قبائله وجيرانه. ففي أول سنة نشبت حروب بين الأشراف والكميلاب، فحالف الأولى ووقف بجانبها بالقوة المسلحة. وفي العام الثاني تقاتل عد عمر وعد إبراهيم، فانحاز للأخيرين، ومال الشيخ أكد موسى (عمدة هاسري) إلى صف عد عمر لأنه كان يرى عدم أحقية دقلل علي بكيت للنظارة ويعتبره مغتصباً لحق أبناء دقلل حامد بك. وفي السنة الثالثة حدث القتال بين عد هاسري وبيت معلا. قال الشيخ إدريس محمد (عمدة الأخيرة): زرت دقلل علي بكيت قبل القتال بسنة وشكوت له من عصابات الشيخ أكد موسى التي تزعج أهلي وتنهب مواشيهم، فأجابني إن الشيخ أكد موسى عصاني وخالفني، فعامله بمثل معاملته. فقلت له: وإذا قتل مني رجلاً هل أنتقم[1]؟ فقال لي: نعم انتقم وانهب مالاً بمالك.

واندلعت نيران الشر في كل مكان بشرق السودان. فدار القتال بين عد تماريام ومَنْسَعْ وجاء الأمير عثمان بن أبي بكر دقنة في صيف سنة **١٨٨٣**م ورفع راية الحرية والاستقلال ونادى بالجهاد، ودعا إليه كل رؤساء القبائل المتخاصمة، وأصلح بينهم، وأمرهم بتوحيد الصفوف أمام العدو المستعمر. فأطاعوه، ووزع منشورات الإمام المهدي على كل المشايخ الروحيين والمدنيين والنظار. ومما يؤسف له أن كل أمور دقلل علي بكيت كانت معقدة ولم يصادفه التوفيق إلا في استرداد عد كوكوي الذين استقدمهم الرأس الولا إلى أسمرة، إذ أرسل إليه دقلل علي بكيت أموالاً كثيرة من النقود وأهدى إليه فرساً جيدة، فأمر الرأس بإعادتهم إلى محلهم بجهة أغردت من غير أن يأخذ شيئاً من مواشيهم. وفي أوائل **١٨٨٤**م سمع دقلل

(١) كان علي سقوتة مقتولاً بيد الهاسريين.

باحتلال الطليان لمصوع، فسافر للقاء القائد الإيطالي وقدم ولاءه وأخذ منه أسلحة كثيرة، لقتال جيش الأنصار[1]. فأعطاه أسلحة ونقوداً ومؤونة كثيرة، وحمله على جماله إلى دقة وهناك قسمه على الشبان، وبدأ في تعبئة الجيش، وأرسل كثيراً من المؤونة إلى مدينة كسلا المحاصرة بجيش الأمير مصطفى علي هدل، حتى إن المدير أحمد باشا عفت أرسل خطاباً إلى وزارة الداخلية في **٢٩** مارس **١٨٨٤**م يثني فيه على دقلل علي بكيت بك ويذكر مساعداته التي كان يؤديها لأهل كسلا أيام حصارها[2]، ولم تنقطع قوافله بأكولاتها عن الخاتمية وما حولها، وكانت بين دقلل علي بكيت وناظر الحلنقة علي شكيلاي صداقة متينة جداً[3] حتى إنهما قتلا معاً في واقعة سبدرات سنة **١٣٠١**هـ (سبتمبر **١٨٨٤**م) تجد ذلك في حوادث المهدية بكسلا.

وقد خلف دقلل علي بكيت بك ولداً واحداً هو الشيخ يعقوب عمدة بدنة دقلل ببني عامر كسلا، واشتهر بسرعة فصله في القضايا بين المتنازعين، ولذلك كان يتمتع بثقة الناظر والعمد لنزاهته وعدله وإني أشكره إذ سافر معي في إحدى رحلاتي إلى تمرات (سبدرات) لمشاهدة محل الواقعة المذكورة بين جيش والده وجيش الأمير بلان السَّمَريْدِوابِي، سألت الشيخ يعقوب عن أسباب تخلف والده عن الغزو مع دقلل حامد بك محمد، فقال لي إن مدير كسلا أمر والدي بالسفر، ولكن دقلل حامد قال: لا يصح أن يقوم كلانا ونترك القبائل بلا شيخ مشايخ (المسؤول عن الضرائب والأمن) فوافق المدير وسمح له بالبقاء، ولم يذق والدي الراحة بسبب الشيخ أكد موسى إذ أفسد عليه كل تدبيراته في القنوب. كما أوجد

---

(١) قبل المهدية كان الأمير قد أخذ عهداً من دقلل حامد بك وعلي بكيت بالبيعة مقدماً سنة **١٨٧٢**م بالعقيق.

(٢) يذكرنا هذا الموقف بشهامة عبدالمجيد سلطان وما أتاه من جميل الفعال في حرب الطليان سنة **١٩٤٠**م.

(٣) قيل: إن الفضل في تولي دقلل علي بكيت النظارة يعود إلى علي بك شكيلاي الباشكاتب العوض المرضي.

هو وابن عمه خليفة حامد (صهر الدقناب) خصومة بيننا وبين آل الأمير عثمان دقنة.

فقلت له: لولا أن والدك كان لين الجانب من جهة عمدة البيت معلا لما تجرأوا على قتل ذلك العدد[1] من النابتاب بسبب قتيل واحد وكثرة السرقات في المواشي بين عد عمر في قتالهم مع عد إبراهيم. ثم سارت الحوادث حسب المقادير.

❊ ❊ ❊

## «دقلل موسى بن همد»

بعد وفاة دقلل البخيت عاد الشيخ إدريس دقلل حامد بك إلى دقة وأمرهم بالرحيل إلى بلاد الحبشة. فنصبوا خيامهم في جبل منصورة، وإذا بالرأس الولا يصدر إليهم تعليمات كي يولوا النظارة «دقلل موسى بن همد» (أخ دقلل علي بكيت)، فأطاعوه. وسار دقلل موسى همد مع الرأس الولا أينما رحل حتى قام الرأس بجيوشه إلى ملاقاة الأمير عثمان دقنة في كسلا. فتلاقى الجيشان في «كوفيت»، وكان دقلل موسى واقفاً بجانب الرأس الولا، وإذا بالأخير يقول للأول: إنك الفائز في هذه الواقعة لأن انهزام الأحباش وموتهم يسرك لأنهم قتلوا ابن عمك دقلل حامد بك، وكذلك إذا هزم الأنصار فإن في موتهم انتقاماً لأخيك علي بكيت. فتبسم دقلل موسى وقال: لن أنسى قتلي واقعة قرع أو سبدرات.

أسهبنا في وصف واقعة سبدرات وكوفيت في حوادث المهدية بكسلا. وبعد مضي ثلاث سنوات من واقعة كوفيت يوم **١٩٨٥/٩/٢٣**م أصيب دقلل موسى بالجدري ثم توفي. وخلف ولداً واحداً هو الملقب كَوَلِّيري «الشيخ محمد موسى همد شيخ مشايخ بني عامر بإرتريا، وعين في هذا المنصب

(١) قتل من النابتاب سبعة من ضمنهم همد بن العمدة أكد موسى.

سنة ١٩٢٨م. ولا يزال قائماً بها أحسن قيام، وهو مسؤول عن تحصيل الجزية من العمد وتوريدها لخزينة الحكومة.



محاربون من قبائل اللَّبَتْ (البجة الأصلية) بأرض بني عامر

❋ ❋ ❋

## «دقلل همد بن محمد بن همد»

تولَّى نظارة بني عامر إرتريا بعد وفاة عمه دقلل موسى في جبل منصورة، وأقام حولاً في حماية الرأس الولا، ثم سافر ومعه الشيخ الحسين بن دقلل حامد إلى مصوع وقدما ولاءهما لمحافظها. فقال لهما: أنتما شريكان في رئاسة القبائل البني عامرية. وجعل لكل منهما مرتباً شهرياً وقدره[1] مائتا ريال. فعادا إلى الدقة، ثم رحلا بالمنازل إلى جهة «قِرَزْ كَلِبْ، بقرب أغردت». فجاءتهم خيّالة من الأنصار وعليها فرسانها على حين غفلة، فقتلت دقلل همد محمد، وأما الحسين فإن مماليكه ضربوه بالعصي وكتفوه وأخفوه في غار. واستاق الفرسان جميع أموال الدقة قاصدين بها

(١) أطلق على هذه السنة «عام سواء سواء».

مدينة كسلا وبينما هم في الطريق أدركتهم فرقة من[1] عساكر إرتريا الوطنية واستردت منهم كل ما أخذوه من دقة دقلل.

كانت بين والدي ودقلل همد محمد صداقة متينة حال تقسيم شرق السودان بين الحكم الثنائي والطليان.

* * *

## «دقلل الحسين بك حامد بك»

بعد مقتل دقلل همد محمد أرسل محافظ كرن (سهنيت) في طلب الشيخ الحسين حامد والشيخ أكد بن همد محمد، وقال للأخير: يجب أن تحل محل أبيك وتكون إدارة العربان ورئاستها بينك وبين الحسين، غير أنه يتولّى النظارة العامة ويلقب بدقلل وأنت تلقب «بشيخ المشايخ». فقال الشيخ أكد: لا أقبل شراكة في منصب والدي، ولا أرضى بأي مساومة في ذلك. فاستاء المحافظ من رده وأمر بالقبض عليه، وأرسله إلى مدينة عصب (منفى أهل إرتريا)، فبقي هناك، وخلا الجو هنا لدقلل الحسين من المعارضين. وبعد مضي ستة شهور عاد أكد من عصب، واجتمع ذات يوم هو ومحمد بك موسى (ناظر الهدندوة) ودقلل الحسين في كرن، وكان كل منهم ساكناً في منزل منفصل. وإذا بصوت رصاصة تطلق من بندقية. فجاء ضابط بوليس إيطالي للبحث والتحري، وإذا به يجد الرصاصة على باب منزل دقلل الحسين، فعلم أن مؤامرة دبرت لقتله، فأجرى تحقيقاً دقيقاً في الحادث، ثم حكم على أكد همد بالعودة ثانياً إلى عصب، وعلى محمد بك موسى بالسفر إلى سواكن. وقد برأ لي محمد بك نفسه من المؤامرة أو إطلاق الرصاص، وذكر أنه كان ضيفاً محترماً يترفع عن مثل هذه الصغائر، وكذلك الشيخ أكد، ولكن أشيع بأمرهما على دقلل الحسين، ولولا نزوله للسجود لأصابته الرصاصة. وكل هذا غير حقيقي إذ أن

---

(١) كان معها دقلل الحسين سنة ١٨٩٧م.

الرصاصة الطائشة استقرت في الباب ولا يعرف مطلقها أو البندقية التي أطلقت منها.

اشتهر دقلل الحسين بكثرة سفرياته إلى مصر في طلب وظيفة والده دقلل حامد بك. وقد أقسم في أشعاره بأن لا يطأ برجله دقة دقلل ما دامت النظارة بيد دقلل علي بكيت. وفعلاً أقام بسواكن عند جده الأمير جيلاني بك أرتيقة، ولم يبرح سواكن إلا بعد مقتل دقلل علي بكيت بك. ورفع دقلل الحسين عدة شكاوى إلى حاكم عام إرتريا كي يضم إلى نظارته قبائل عد أكد وأفلندة وبيت معلا فقال له الوالي:

«بأن الأولى والثانية تابعتين لمحافظة كرن، والثالثة لمصوع وأنت لأغردت، ولذلك لا يمكن أن يكونوا تابعين لك». ولما توفي الشيخ محمود شريف عميد عد أكد حاول دقلل الحسين ضم القبيلة إليه، فوافق على ضمها إليه. وقد زرت دقلل الحسين في سنة ١٩٣٣م، ولقيت منه كل إكرام واحترام، وقال: إنه لا ينسى عرى الصداقة التي بين والده وجدي الشيخ علي ضرار عجيل، وأهدى إلي فرساً بلبنها، وناقتين وخمسة من أبقاره الخاصة. وفي أيام تعيين دقلل الحسين انتخب الشيخ محمد إسماعيل[١] في منصب شيخ مشايخ حتى توفي فخلفه الشيخ محمد موسى همد.

❋ ❋ ❋

## «وفاة دقلل الحسين»

نشرت صحيفة الإرترية اليومية التي تصدر في أسمرة باللغة العربية والحبشية في عددها الثالث والثلاثين يوم **٩** فبراير **١٩٣٤**م الآتي:

«توفي إلى رحمة الله بعد مرض دام طويلاً في يوم الجمعة الموافق **٢**

---

(١) كان يملك سيفاً جميلاً قيل: إنه سيف الإمام محمد الشافعي وقد انتزعه أحد جنود الجيش الهندي الذي فتح أغردت من كتف ابنه سنة **١٩٤٣**م ورفض أن يعيده إلى صاحبه، وأخذوا أسلحة أخرى من أبناء دقلل ما بين سيوف ومسدسات مهداة إليهم من حكومة إيطاليا.

فبراير الجاري الغراند أوفيشيالي الدقلل الحسين حامد بك رئيس قبائل بني عامر.

ينتسب المرحوم إلى عشيرة عد موسى (فرع دقلل محمد) التي تأسس حكمها منذ زمن الفونج، وتولَّى الدقلل الحسين الحكم خلفاً لدقلل همد الفيل (همد محمد) في عام ١٨٩٠م، وكان ذلك شيخ مشايخ بني عامر، وهذه الرتبة ليس أرفع منها غير الدقلل في قبائل بني عامر، ومنحته ذلك الدولة المصرية اعترافاً بالخدمات الجليلة التي أداها والده الذي قتل في ميدان الحرب» قودا وقودي (قندت وقرع) حيث كان قائد الخيالة المصرية الغير نظامية. كان المرحوم مخلصاً للدولة الإيطالية، وامتاز بشجاعة عظيمة في واقعة أغردت الثانية ضد الأنصار. وفي يناير وفبراير **١٨٩٧** أثناء غزوات الأنصار على بلاد خور بركة أظهر المرحوم رغم قلة البنادق والرجال الذين كانوا تحت تصرفه في بلدة «دقة» الثبات والهدوء والشجاعة النادرة أمام ذلك الخطر العظيم. وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ حكيماً وذا حزم وعزم ونشاط. ومخلصاً ودوداً للحكومة الإيطالية، ومتحلياً بالذكاء ورجحان العقل، مراعياً دائماً على حسن العلاقات مع الرؤساء المجاورين لبلاده سواء كانوا من رعايا الدولة الإيطالية أم دول أخرى متاخمة لإرتريا، وقد اشتهر بسداد الرأي والنصائح الصائبة حتى كان يسترشده كثير من الرؤساء والمرؤوسين. واكتسب بهذه الخصال الحميدة محبة الخاص والعام. ونظراً لخدماته القيمة، وإخلاصه الصادق، وتفانيه في حب الدولة، وقيامه بأعمال باهرة في طاعة الحكومة ورفاهية قبائله، قد أنعم عليه صاحب الجلالة مليكنا المعظم بوسامات وألقاب فخرية عديدة آخرها وسام الغراند أوفيشيالي من صف النجمة الإيطالية، وهو وسام غالي الشأن. وقد انتخبته حكومة إرتريا مع الرؤساء الذين ذهبوا إلى روما لتمثيل أهالي إرتريا في حفلة المهرجان الذي أقيم في عام **١٩٢٥** بمناسبة مرور خمسة وعشرون سنة لارتقاء صاحب الجلالة الملك فكتور عمانويل الثالث على العرش الإيطالي. وكذا في سنة **١٩٣٠** لحضور حفلة قران صاحب السمو أمبرتودي تيمونسي.

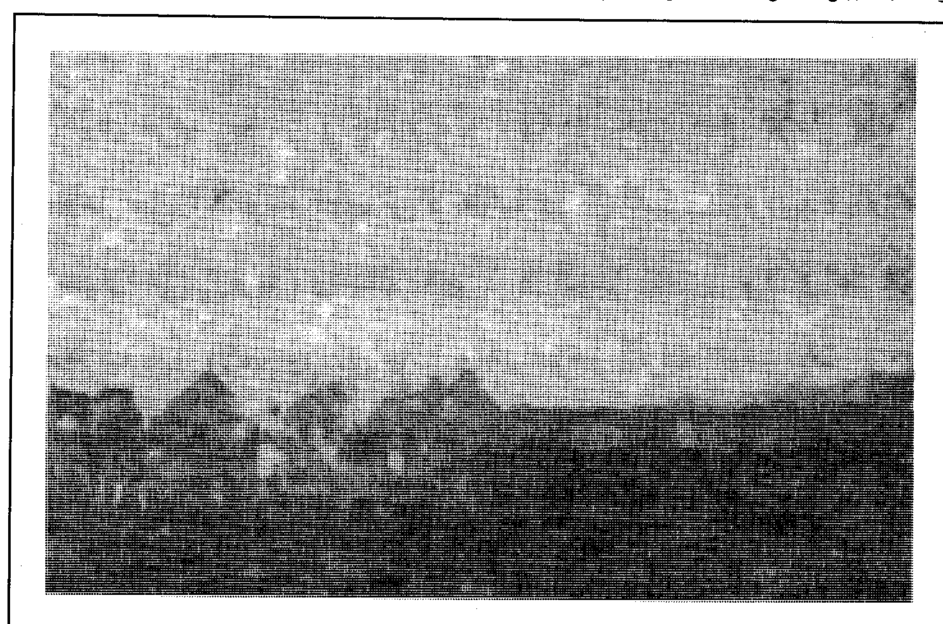
وعندما انتهى خبر الوفاة إلى جناب الدكتور الكافليري نونسي القائم

بأعمال محافظ البلاد السفلى الغربية ذهب تواً إلى دار المرحوم لمشاهدة الجنازة وتقديم مراسيم أخلص العزاء بالنيابة عن الحكومة وبالأصالة عن جنابه إلى أسرة الفقيد وذويه وأهالي البركة جميعاً.

وتقرر نقل جثمان المرحوم إلى بلدة دقة حيث دفن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقبرة أسرته النبيلة بعد أن أقيمت له حفلات التأبين اللائقة لرئيس كبير بذل مجهوداته في صالح الدولة والأمة زمناً طويلاً. وقد أحدث نبأ وفاة الدقلل الحسين الذي شاع بسرعة البرق إلى كافة أنحاء المستعمرة تأثيراً عميقاً في جميع الطبقات. ونحن نتقدم إلى أقارب الفقيد وذويه وسائر قبائل البركة بمراسم أخلص العزاء لهذه الكارثة العظيمة متمنين الصبر والسلوان، ونبتهل إلى الله تعالى أن يجعل في ذريته خير خلف لخير سلف.

أسمرة ٨ فبراير ١٩٣٤م.

(السنة الثانية عشر المعهد الفاشستي). ولقد نشرت جريدة حضارة السودان التي تصدر في الخرطوم ملخص تاريخ حياته وجليل أعماله من مراسلها ببورتسودان وهو كاتب هذه الأحرف.

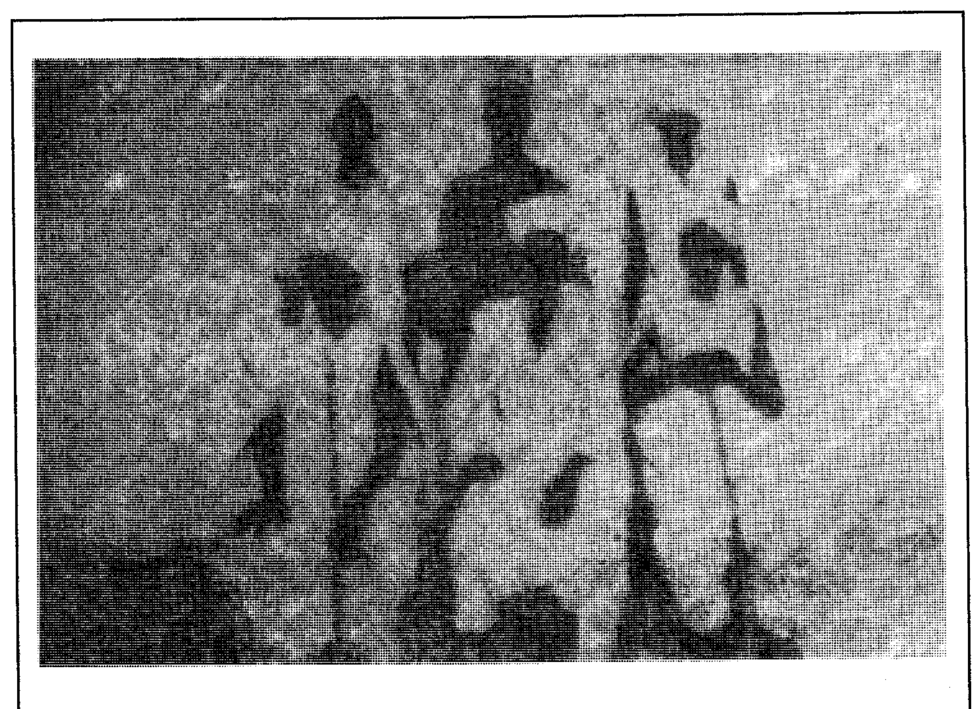


**الخيل في دقة دقلل الحسين حامد بك سنة ١٩٣٣م**

## دقلل جيلاني بن الحسين

تولّى النظارة بعد وفاة والده، وقد أنعمت عليه الحكومة الإيطالية برتبة كوليري اوفيشيالي. ومراراً ما سافر إلى روما وكانت آخر سفرياته لإيطاليا سنة **١٩٣٦** لتهنئة الحكومة بروما.

وفي حرب إيطاليا وإنجلترا سنة **١٩٤٠** أخلص دقلل للأولى لأنه من رعاياها حتى اندحرت الجيوش الإيطالية في كل الميادين وتم للإنجليز الاستيلاء على إرتريا. واعتقله مدير كسلا المستر كَنَدي كُوكْ في الخرطوم، فاضطرب حبل الأمن بين بني عامر والهدندوة وكثرت العصابات، فلم تر الحكومة بداً من إحضاره، فهدأَت الأحوال واستتب حبل الأمن. وفي شهر فبراير **١٩٥٢** توفي دقلل جيلاني الحسين إلى رحمة مولاه، وخلف ثلاثة أنجال هم محمد طاهر، ومحمد عثمان، والحسين وكلهم أخذوا قسطاً كافياً في العلوم والمعارف، والأخير التحق بجامعة أديس أبابا.



**لفيف من شبان بني عامر بمدينة أغردت**

## «دقلل محمد طاهر بن جيلاني»

حال وفاة والده سافر مع عمه الشيخ حامد إدريس إلى أسمرة ومعهم كل مشايخ وعمد النابتاب وأقروا نظارته أمام الحاكم العام.

أما قبائل بني عامر التي ليست من أصول النابتاب فإنها أصبحت بنظارات منفصلة عن رئاسة دقلل نهائياً لأن تحرير القبائل أراح الحكومتين السودانية والإرترية.

ودقلل محمد طاهر حكيم جداً لا يتسرع في أموره مهما كانت صغرى.

ونورد هنا أسماء كافة القبائل التابعة لبدنة دقلل بإرتريا منذ أقدم الأزمنة إلى يوم كتابة هذه الأحرف وهو سنة **١٣٥٩** والموافق سنة **١٩٤٠**م.

❋ ❋ ❋

## (شموس)

هي إحدى قبائل البجة العريقة في القدم، واشتهر رجالها بالكبرياء والغطرسة. والمفهوم عن رجالهم إطالة شعر الرأس حتى يتدلى على الوجه ويسرحونه تسريحاً جميلاً يميزهم عن سائر قبائل البجة الذين يتسمون وسمهم إلى قسمين كما بالصورة. وبقي اليوم من شموس عائلتان إحداهما: في دقة دقلل[1] والأخرى: أعطاها دقلل إبراهيم إلى الشيخ محمد ضرار بَلْتقوةُ مؤسس قبيلة العجيلاب والأفلندة بالسواحل وخور بركة أما تفرقهم فقد حدث بعد زوال مملكة البَلَوْ على يد عامر بن علي. قال الشيخ عمر علي تيته عميد شرعاب أركويت حسين ملاك منهم وأمه الذي استجار بزعيم السَّمْرأَرْ (همرور) (هدندوة): إن شنشروت من السَّمَرْأَرْ.

وكانت شموس دائماً في قتال مع أبناء النابتات بسبب الأنفة والكبرياء حتى انقرضوا.

---

(١) عَدْ عَدْلاَن.

ناظر نابتاب بني عامر إرتريا
دقلل محمد طاهر بن جيلاني الحسين



## «أنْبُوش»

وهذه القبيلة من بطون البجة التي لم أستدل على أصولها، ولم يبق منها اليوم إلا عائلة صغيرة في الأفلندة قد أعطاها دقلل إدريس بن أكد إلى الشيخ جمع بن عجيل جرابين مملوءين بالسوميت.

ويقال لهذا البطن: عد عقيّبَايْ، وكانوا دائماً في قتال مستمر بشموس[1].

❋ ❋ ❋

## «الحسيناب»

هم أشراف حسينية اختلطوا ببني عامر غير أنهم لازموا مكاناً واحداً وكثرت ذراريهم حتى كانت المهدية فأصيبوا بالجدري ومجاعة سنة ١٣٠٦هـ، فانقرضوا وبقي منهم خمسة أشخاص انضموا إلى قبيلة كَرْبكْناب وانقطعوا للعبادة وتعليم القرآن للأطفال.

❋ ❋ ❋

## «الحصص التابعة لبدنة دقلل»

توجد عدة حصص كانت في الزمن السابق بدنات كبيرة لها عموديات، ولكن بعد حوادث مجاعة سنة ١٣٠٦هـ والجدري ماتت مواشيها وأهلها فلما قلّوا انضموا إلى بدنة دقلل.

❋ ❋ ❋

## «عَدْ نور»

هم أبناء نور بن أكِد بن ناصح وقد انقرضت ذريته.

---

(١) في سنة ١٩٢٢ وجد عميد الأفلندة الشيخ محمد ضرار علي حفرة مملوءة بالسوميت بقرب قرورة بدمنة الشيخ إدريس يوسف ميكال.

## «عد عوض الله»

هم أبناء عوض الله بن ناصح ويقال: إنهم من إيتْكَمْتِي، وسبق أن ذكرناهم.

❋ ❋ ❋

## «عد همد آودا»

هم أبناء همد آودا بن آكد بن إدريس بن أكد بن ناصح ويرأسهم الشيخ جيلاني علي عمر.

❋ ❋ ❋

## «عد شاور»

هم أبناء شاور بن أكد بن ناصح وقد انقرضوا.

❋ ❋ ❋

## «عد حامد»

هم أبناء حامد بن إدريس بن أكد ويرأسهم الشيخ حامد بن محمد بن عبدالله.

❋ ❋ ❋

## «عد رِفُّعوتَاتْ»

هم أبناء علي بن همد شيك بن علي عكسة، وقد انضمت بقاياهم إلى سائر بدنات دقلل والنابتاب الأخرى مثل عد عمر حُور وعد أكد لَلُو Lalou.

❋ ❋ ❋

## «عد أَوَلِّبَابْ»

هم أبناء إدريس أولباب من موسى تولَّى ويرأسهم الشيخ همد علي بخيت إبراهيم إدريس.

❋ ❋ ❋

## «عد دياب»

هم أبناء إدريس دياب بن حامد موسى وشيخهم هو الشيخ همد لباب بن إدريس بن دياب.

❋ ❋ ❋

## «عِرِّيْ»

هم من الحماسين التابعين لبدنة دقلل ويرأسهم الشيخ أَبِّرْ بن عثمان جنجون وفي رواية أنهم من أقارب اللابيْعَا. وهم عدة عائلات.

❋ ❋ ❋

## «عد نَوِيتْ»

هم ذرية علي نويت (تعريبها شوكة) وهم ميالون للمشاكسة أكثر من المسالمة وذلك لقلتهم ويطمع فيهم الغير ما لم يقاتلوا في أصغر إساءة تمسهم.

في أرتريا يسمون الفروع الصغيرة من العائلات «شرفف» وهي أدنى درجة من الحصة، وغير مستعملة في قبائل السودان، ولذلك اعتبرنا كل شرفاف حصة كما كان في الأزمنة السابقة وتركنا الاسم الحديث لأن أكثر المشايخ يكرهون سماعه.

❋ ❋ ❋

## «عَدْ قَنَّادْ»

ويرأسهم الشيخ حامد محمد إبراهيم قنَّاد، ويسكنون جنوب جبل آدم كشة على مسافة عشر ساعات من مدينة أغردت، وقد أقمت معهم أياماً لزيارة عمة لي هناك ألحَّت في حضوري عندما سمعت بقدومي في تلك الأنحاء، فزرتها ومررت ببلاد البازين، وكان معي حفيدها السيد الأمين محمد علي. وفي سنة **١٩٥١** حدثت حوادث سلب ونهب بينهم وبين البازين فأمرهم دقلل جيلاني بالرحيل إلى قرب قرى بني عامر، فامتثلوا. وفي سنة **١٨٨٦**م وفد حامد إبراهيم قناد (عم الشيخ المذكور) على الأمير عثمان دقنة في سلهات مع مشايخ بني عامر، فحالما شاهده عرفه وقال له: «يا ابن إبراهيم قناد أنا بريء من دم خالك دقلل علي بكيت إذ كانت بيننا معاهدة على أن يبايع الأمير باشريك السمريدوابي ولكنه سمع كلام صديقه علي بك شكيلاني واشتبك في قتال مع بلال والفكي عيسى الفلاتي بدون إذن مني، وقد تأخر عن موعد نجدته أحمد باشا عفت (مدير كسلا) والشيخ أحمد حنجير. وإني يا حامد إبراهيم أعلم أن عائلة دقلل حامد أود كانت تنزل عندنا في سواكن، وأما عائلة دقلل محمد فإنها تنزل عند أمير الأرتيقة الكربابي، فساءني وقوف خالك ضدنا وتخلفه عن نصرتنا وذلك ما لم أكن أنتظره منه، عفى الله عنه».

انتهينا من نظارة بني عامر إرتريا وسنأتي على تدوين من كان مجاوراً لها من القبائل المنقرضة ونذكر شيئاً عن تاريخها حسب ما سمعناه.

❋ ❋ ❋

## حَفَرة Hafara

هي من بطون البجة القديمة، ويسكنون في جهات سبدرات وأغردتْ وضواحي كسلا. ورأيت منازلهم ودمنهم في المحلات المذكورة، قيل: إنهم كانوا أصحاب بأس وشدة تهابهم كل القبائل

المجاورة لهم. واشتهروا برفضهم الخضوع للسلطنة الزرقاء حتى ظهرت بنو عامر بجوارهم. وهم الذين أزالوا ملك البَلَوْ في خور بركة والقاش قبل هجرة العرب إلى السودان، وبسطوا رئاستهم على من جاورهم من البجة.

ولما تكاثرت قبائل بني عامر بدأ التحرش بينهم وبين حفرة، ثم التراشق والمواقع الحربية التي كانت بينهما سِجالاً حتى تولَّى النظارة البني عامرية دقلل أكد بن ناصح، فزار سنار واتفق مع مليكها على أن يحد من شوكة حفرة، وعندما يتم إخضاعها تضم إلى نظارة دقلل. فعاد أكد بعد الاتفاقية المذكورة وجمع رجاله الصناديد لقتال حفرة التي لم يكن رئيسها أقل همة عن بني عامر ودقللها، وقد وصف زعيمهم بالجبروت والعناد وكان لا يقاتل إلا مبارزة بين الصفين. وهذا ما فعله في أحد أيام الثلاثاء[١] إذ نادى دقلل أكد لنزاله، فخرج إليه دقلل وكلاهما على جواديهما، واستل دقلل حسامه من غمده وكانت بيد زعيم حفرة جلن Jalan (الحربة الطويلة)، فجالا جولة ثم طعن الحفراوي دقلل بالرمح في فخذه نفذت إلى سرج فرسه فأضلاعه وبطنه، فتجلد دقلل وضرب خصمه بالسيف على رأسه فشقه نصفين. فحمل عند ذلك فرسان بني عامر على فرسان حفرة الذين انهزموا حالما شاهدوا موت قائدهم، فاقتفى العامريون آثارها وهي منهزمة فنهبوا أموالها وعادوا إلى أهليهم بعد النصر. أما دقلل أكد فقد أسعف بالعلاج الشافي لجرحه غير أن فرسه قد ماتت. وسمع ملك السلطنة الزرقاء فأرسل إليه هدايا كثيرة وأكثرها من السيوف والملابس، وأيد سلطنته ووافق على ضم جميع قبائل حفرة إلى نظارة بني عامر فاستاء من امتداد سلطانه أبناء عمومته إذ كانوا يسعون لعزله، ورفضوا دفع الزكاة التي اعتدوا تأديتها لسلفه. وبعد مضي ثلاث سنوات

(١) قبائل حفرة لا تقاتل إلا في أيام الثلاثاء من كل أسبوع ولذلك يقولون (في بلاد البجة والحبشة): إن من أراد أن يرسل ولو عصابة للسلب والنهب فليرسلها في يوم ثلاثاء. ويتشاءمون فيه من مقاتلة الحكام، ولا يعملون شيئاً حديثاً أو يسافرون فيه والحبشة وهي إمبراطورية كبيرة لا تغزو إلا في هذا اليوم وتنتصر.

من هذه الغزوة اجتمعت الحفرة على قائد آخر وخلعت سلطة دقلل أكد، فأخبر ملك الفونج بعصيانهم واقترح على دقلل أن يولى «عد كلب» قتالهم فوافقه الملك على اقتراحه وتولّى أمر حربهم الشيخ أُكدْ بن علي بن فكاك عمدة عد كلب، فانتصر على الحفرة وشتت شملهم، فأنعم عليه الملك بلقب دقلل وأن يكون ناظراً على كل القبائل التي تسكن حول نهر القاش[1]، وأن يتولّى دقلل بني عامر رئاسة كل من يسكن خور بركة. قيل: إن حفرة كانت تملك سبعة آبار، وكل بئر حولها سبعة أحواض متينة وكبيرة تشرب منها سبع مراحات من الإبل، وكل إبل يرعاها سبعة فرسان على ظهور خيولهم[2]. وأما الآبار فهي واقعة حول مدينة أغردت على مسافات بعيدة عن بعضها[3]، فإحداها: في «حَشَلَة» والثانية: في «دَرَتْ» والثالثة: في «تركينة» والرابعة: في «شَغْلَت» والخامسة: في «إندراييبْ» ويقال لها: «كَلَمَتْ» والسادسة: في «بناغوا» والسابعة: في «دَقاسي» ولهم غيرها عين ينبع منها الماء واقعة في قمة جبل السلطان (هو جبل هَرْوَا) وأما آثار منازلهم ودمنها فهي في آدم كشّه.

وكان الفارس من حفرة يملك مراحات كثيرة من الإبل يستأجرون لها الرعاة ولا يرعونها بأنفسهم إلا عند الملمات (انظر طَوْرَه في قبائل الحباب)، وهذه أسماء المناهل السبعة بالإفرنجية:

Hashala, Darat, Tarkina, Shaglat, Indirayeeb (Kalamat) Banago, Daqasi, Harwa.

---

(١) كانت بيد حفرة نظارة القدين، وأما قبل الإسلام فإنهم يقولون: إن سلطتهم كانت ممتدة على ضفتي نهر عطبرة، ولما انقرضت قبيلة عد كلب انضم باقيهم مع من كان تحت سلطتهم إلى نظارة بني عامر.

(٢) سمعت أن هذا الكلام قالته إحدى بنات حفرة لما جاءتها عصابة لصوص من بني عامر أو عد كلب تهديداً لهم لئلا يطمعوا في قبيلتها فنجت وأهلها بهذا التنويه.

(٣) لما وقفت على إحداها قدرت المسافة بين كل بئر والثانية خمسة أميال.



ALMAYONAB أَلْمَيُونابْ

أو عِلْمَن، أوْ عَلَم الدِّينَابْ تتألف منهما عموديتان وهم من ذرية رجل وفد على الشيخ ناصح بن عامر، يقال: إنه من نسل الشريف علم الدين الأرتيقي، فزوجه ناصح ابنته شقيقة علي عكسة، فرزق منها ولدان هما «علم الدين» و«نور» ولما تزوجا أعطاهما جدهما قريتين من البجة بأموالهما فأطلق عليهما «عِلْمَنْ، ونور» حتى كثرت أموالهما فانفصلا عن بعضهما، ولا تزالان عموديتين تابعتين لدقلل - وقرر دقلل جيلاني فصلهما تحت عميد واحد سنة **١٩٣٥**.

وعيَّن عليهما عميداً هو الشيخ محمد عثمان عبدالله (إهداء القرى البجاوية والمال والسيوف الجيدة والخيل لابن البنت عادة مستأصلة في بني عامر ولكنها زالت في السنين الأخيرة من الوجود إذ تحررت القبائل). ويوجد كثيرون من أبناء الأرتيقة في إرتريا، وكل من تلقاه منهم تجده يحتفظ بسمعة قبيلته وهم موفورو الكرامة يحترمهم كل من معهم لتحليهم بالكرم والشهامة. ولو لم يكن منهم في إرتريا غير السيد عبدالله مربقاي لكفى، لأن دماثة أخلاقه وحسن معشره جعلته مرموق المكانة مهاب الجانب سباق إلى الفضائل.

## «مَنَّعَابْ» Mannaab

أو مَنَّعَة، هي قبيلة اشتهرت في أيام نظارة بني عامر الأولى بالظلم والاستبداد. وكانت تسكن بجوار بني عامر وحفرة، فنزل عندها الشيخ علي بن البدوي[1]، ضيفاً بقرب جبل كسلا فلم يكترثوا به. وكان كلما قرأ القرآن أساؤوه حتى إنه إذا أقام للصلاة لكزوه بعصيهم وأيديهم وسحبوا من تحته فروة الصلاة، وإذا أراد الوضوء خطفوا منه الإبريق وهو صابر على أذيتهم. ولشقائهم اتفقوا فيما بينهم ذات يوم على قتله، فقتلوه، ثم قطعوا يديه، وصاروا يضربون بهما على النقارة بدلاً من ضربها بالعصي.

قال صاحب طبقات ولد ضيف الله عن الشيخ صالح ولد بانقا: «لم يصل إلى الشيخ إدريس (من الهدايا) شيء قط من أموال هذه القافلة إلا العشرة الملحقات المصرورات في شملة الشيخ بدوي ناولها إياه والشيخ أعطاها لامرأة جالسة على سرير لا أدري هل هي زوجته أو أجنبية».

وذكر صاحب الطبقات وفود الشيخ علي بدوي مع الشيخ محمد فايد إلى الشيخ إدريس محمد الأرباب، فقال: «ثم يأتون الشيخ محمد فايد وجماعته» المحل الذي فيه حلة ولد أبو دِليق وفي وقت حضر معهم الشيخ بدوي شاب صغير في السن لابس شملة رباعية ووالدته قد كانت توسلت إلى الله بالشيخ فيه ونذرت بقرة وعشرة محلقات فضة فقالت لولد فايد: ولدي لا ينقطع منك لكثرة الخلق فإن العير لا تسعهم الحلة، ونزولهم عادة خارجها». وبعد أن فرغت مَنَّعَة من قتل الشيخ علي بن البدوي سلط الله عليهم بني كلب فقطعوا دابرهم وانقرضوا جميعهم، هذا وقد مررت بمقابرهم في طريقي إلى دقة دقلل بأغردت.

وبقي اليوم من نسل الشيخ علي البدوي بجهة كسلا الشيخ موسى بن شيك قد استوطن مع بقايا قبيلة حفرة وله بينهم مكانة سامية واحتراماً كثيراً، وتوجد في تلك مدرسة صغرى.

---

(١) قال لي حفيده إنهم من ذرية الشيخ عبدالقادر الجيلاني، وأما قبيلة «منعاب» هذه فإنها عبرت إلى مصر عن طريق طور سيناء ثم السودان مع قبيلة «محمد كلب الشامي».



لفيف من أبناء بني عامر في دقة دقلل

## «عَدْ كَلِبْ»

يطلق هذا الاسم على القبيلة التي أنشأها الشيخ همد بن كلب وكان قد حضر ومعه بعض الأشخاص إلى قرية «عَلينْدِوَة» (Alendewa) ونزلوا ضيوفاً عند الشيخ «قِويلايْ» (قصير الأذنين)[1] ابن علي، ومعهم كلاب صيد. فسأل قويلاي الشيخ همد بن كلب عن محل حضورهم، فقال نحن جئنا من أرض الشام عن طريق الحجاز إلى السودان بتجارة، ثم بعنا منها في سواكن وكسلا (التجارة كانت سبح من اليسر والكهرمان والسوميت وسائر الخرز) وأصاب في كسلا تجارتي بعض الركود، وضاقت بنا سبل المعيشة، فاقتنينا الكلاب للصيد والحراسة. ورزق همد كلب من بنت قويلاي ولداً أسماه «علي فكاك»، ثم تزوج الأخير بابنة همد بن موسى ورزق منها إبراهيم وإدريس، ثم تزوج بابنة عيسى المشولابي من البشاريين فرزق منها أكد (الذي أنشأ قبيلة المنعاب) وأما إبراهيم وإدريس فقد أنشا قبيلة «هاشبري Hashbirri.

❋ ❋ ❋

---

(١) وفي رواية أنه حضر ومعه خادمه.

## «علي فكاك بن همد كلب»

كان معاصراً لدقلل إدريس أولباب وقد قاتل قبيلة «عَطَوِي» Atawi (وهي فرع من حمران الأرتيقة) زمناً طويلاً حتى كادوا أن يبيدوا قبيلتهم. ولكن أعانه الله عليهم واستولى على نقارتهم وكذلك وترهم[1] المسمى باسمهم وقد انقرضوا.

كانت مع علي فكاك نقارة أخرى وجدها والده همد كلب في إحدى الدمن[2]، واشتهر علي فكاك بانتصاره على اثني عشر فارساً من عطوي هجموا عليه ففرق جميعهم قتلاً وجرحاً ولسان حاله يقول:

ولقيت الأبطال في كل حرب ... وهزمت الرجال في كل واد

وتركت الفرسان صرعى بطعن ... من سنان ويحكي رؤوس المزاد[3]

❋ ❋ ❋

## «دقلل أكد بن علي فِكَاكْ»

هو الذي قتل ناظر حفرة الأخير الذي خضعت بعد وفاته حفرة نهائياً للسلطنة الزرقاء. واشترك دقلل أكد بن ناصح في القتال. فلما سمع ملك الفونج بنصرهما أنعم عليهما بوظيفة «دقلل». وكان أكد ناصح يتحصل الزكاة من كل من سكن خور بركة حتى سواحل البحر الأحمر، وأكدْ علي فِگاكْ يتحصل ممن حول نهر القاش حتى حانت منيته وتوفي ونشأت بين عد كلب ومنَّعاب عداوة مستحكمة تطورت إلى حروب يومية تبدأ من شروق الشمس حتى غروبها. ثم يتهادنون إلى الصباح كما قال محمود باشا سامي البارودي.

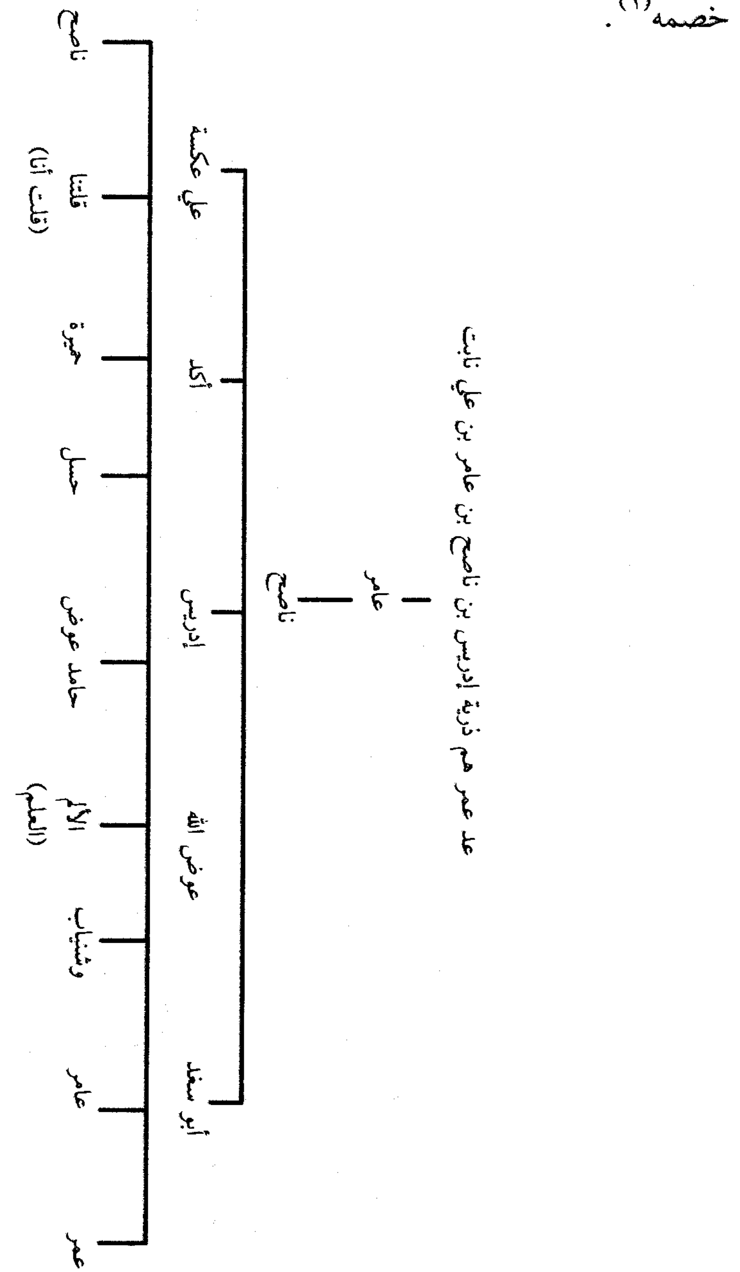
---

(١) كان اسمه عطوي وهذا من قبائل البجة وهو سلب النقارة والأوتار من المنقرضين.

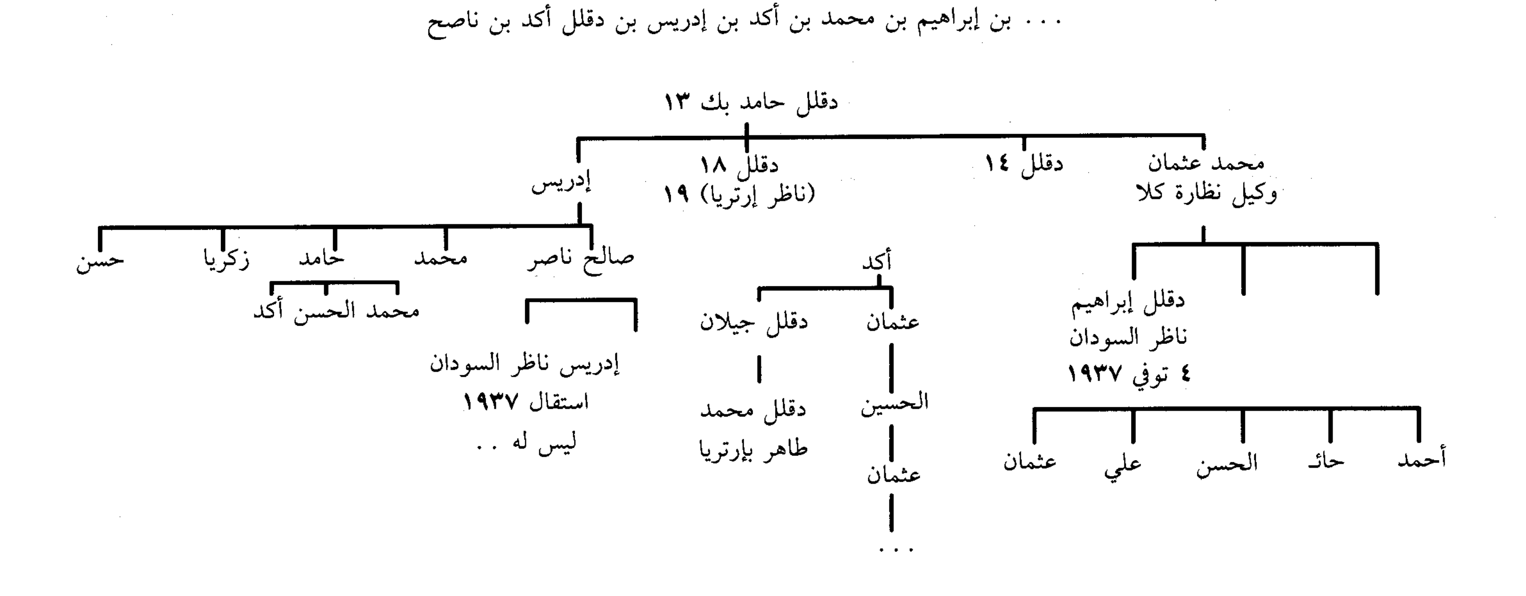
(٢) قيل: إنه وجدها بقرب تومات الضبانية آل وزائد.

(٣) الراوية للماء.

ووضعوا السلاح إلى الصباح وأقبلوا يتكلمون بألسن النيران، وكان بعض مشايخ بني عامر يضمون إليهم كل من ابتعد عن القتال ويحمونه من خصمه[1].

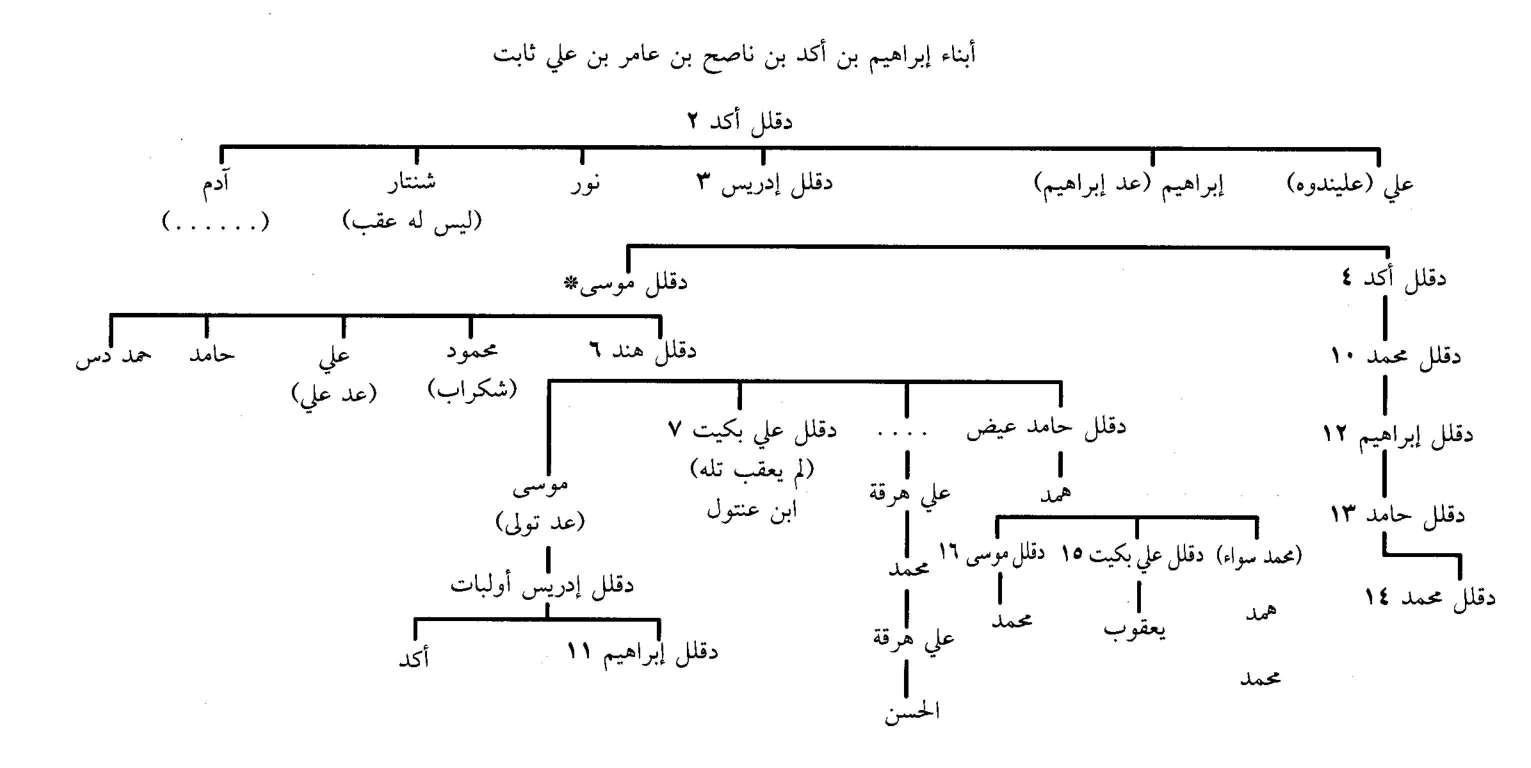


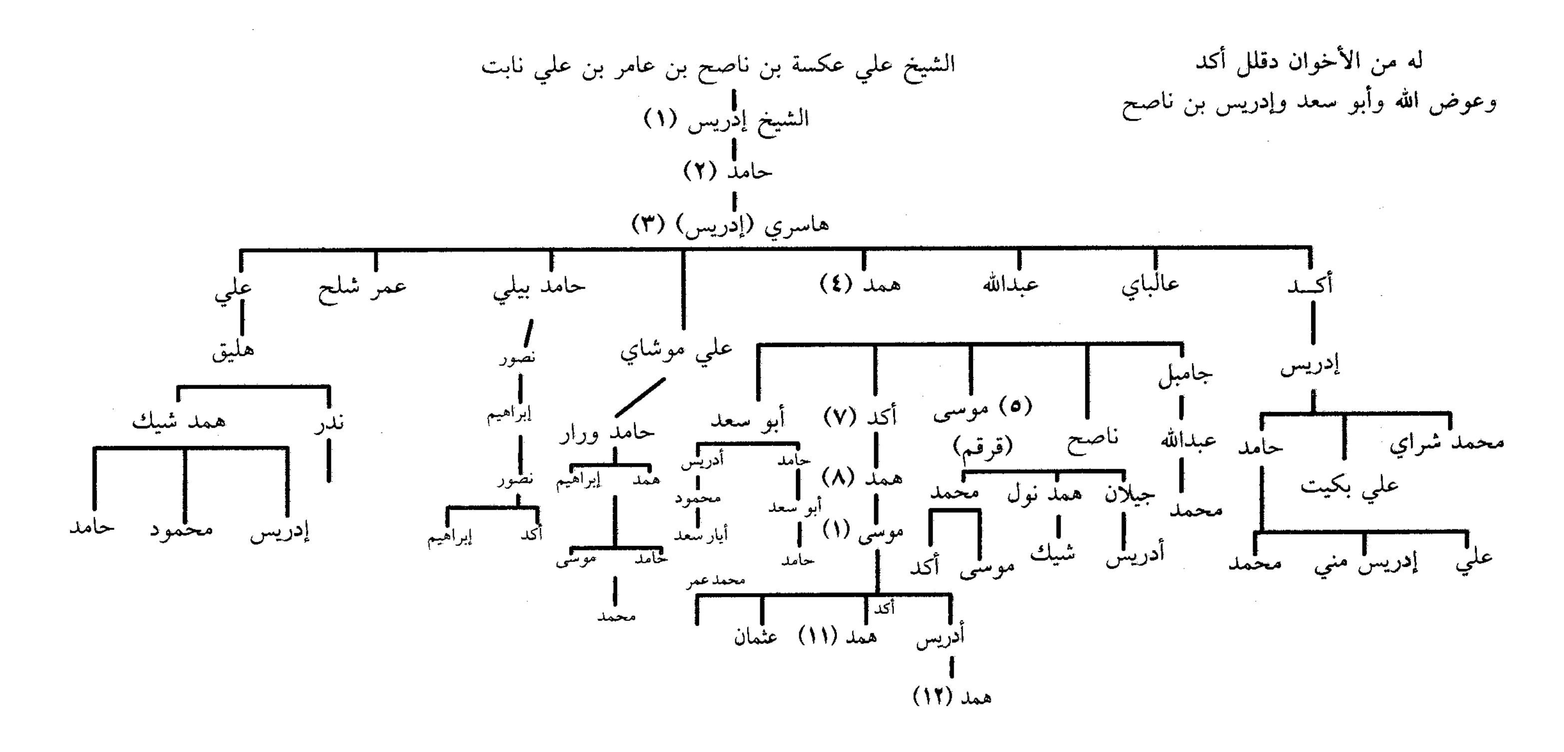

(١) ذكرنا بعض حوادثهم في دقلل موسى بن إدريس.



... بن إبراهيم بن محمد بن أكد بن إدريس بن دقلل أكد بن ناصح
دقلل حامد بك ١٣
محمد عثمان
وكيل نظارة كلا
دقلل ١٤
دقلل ١٨
(ناظر إرتريا) ١٩
إدريس
دقلل إبراهيم
ناظر السودان
٤ توفي ١٩٣٧
أحمد
حائـ
الحسن
علي
عثمان
أكد
عثمان
الحسين
عثمان
...
دقلل جيلان
دقلل محمد
طاهر بإرتريا
صالح ناصر
إدريس ناظر السودان
استقال ١٩٣٧
ليس له . .
محمد
حامد
محمد الحسن أكد
زكريا
حسن

أبناء إبراهيم بن أكد بن ناصح بن عامر بن علي ثابت





له من الأخوان دقلل أكد
وعوض الله وأبو سعد وإدريس بن ناصح
الشيخ علي عكسة بن ناصح بن عامر بن علي نابت
الشيخ إدريس (١)
حامد (٢)
هاسري (إدريس) (٣)
أكـد
عالباي
عبدالله
همد (٤)
علي موشاي
حامد بيلي
عمر شلح
علي
إدريس
محمد شراي
علي بكيت
حامد
علي
إدريس مني
محمد
جامبل
عبدالله
محمد
ناصح
جيلان
أدريس
همد نول
شيك
محمد
موسى
أكد
موسى (٥)
(قرقم)
أكد (٧)
همد (٨)
موسى (١)
أكد
أدريس
همد (١٢)
همد (١١)
عثمان
محمد عمر
أبو سعد
حامد
أبو سعد
حامد
أدريس
محمود
أيار سعد
حامد ورار
همد
إبراهيم
حامد
موسى
محمد
نصور
إبراهيم
نصور
أكد
إبراهيم
هليق
ندر
همد شيك
إدريس
محمود
حامد

وكان آخر مشايخ عد كلب في الحكومة التركية هو الشيخ همد بن حامد واليوم يتولّى بقايا هذه القبيلة الشيخ حامد بن همد حامد. وقبل تسهيل سبل المواصلات بين القاش وسواحل البحر الأحمر يقولون لنا: إن سكان القرى هم الكلاب والنساء ولا يتناسلون إلا إذ جاءتهم كلبة أنثى. وقالوا: إن الضيف يستقبله الكلب ويأخذ منه الجراب والسيف ويضعه في المنزل. فكنا نعجب من سماع هذه الخرافات.

إلى هنا، وقد انتهينا من قبائل النابتاب بما في ذلك بيت النظارة ومعاصريهم من الأمم التي نالت الشهرة.

وأما بقية بني عامر فقد كانت مهضومة الحقوق، ولم يكن لها أي كيان مع هذه العناصر التي تغطي على سواها. والحمد لله قد ظهرت نظارات كثيرة تفرعت من النابتاب وأخرى من الحباب، وكلها تحتاج إلى تدوين حوادثها أو ماضيها القديم وحاضرها الحديث إذ لم يكن للعنصرين السابقين أية قوة أو بطولة إلا بالقبائل التي تحررت، فهم قراة الضيوف، وحماة الألوف، ورجال الضرب بالسيوف. إن القليل الذي كتبناه عن النظارات الآتية لا يفي بغرضنا. لذا نطلب من الله أن يحقق لنا ما نريده من الإسهاب على يد أبناء الجيل الجديد.

وهاك أسماء القبائل التي تحررت فيها قبائل ونظارات كبيرة بإرتريا في مديرية أغردت:

| أسماء القبائل | أسماء النظار: الشيخ |
|---|---|
| أبو حشيلا (أبو حشيلة) | فرح إدريس |
| أسْفَدَة | داود إدريس |
| أفلندة وعجيلاب | عبدالله محمد فِريتايْ |
| القدين | أبو بكر حامد |
| القُعُوداب | محمد علي دافوت |
| ألْمَدَة | عثمان عبدالرحمن |
| باريسا | محمد أرى عقبه |

| | |
|---|---|
| بيت عوض | حامد نوراي عبدالله |
| حماسين | صالح على تكوش |
| رقبات | محمد إبراهيم علي شاطر |
| سبدرات | حق الدين أحمد |
| شكَّراب | محمد ولد حسب الله |
| عد محمود | الحسين صالح حاج |
| عد يعقوب | آدم سليمان |
| كربكناب | محمد حاج أدَرَة |
| كوناما | فايد توفعالو |
| لسبت (بجة) | إدريس كيرو |
| وِلِنهُو (ولد نهو) | حامد علي محمود |
| نابتاب | محمد طاهر دقلل جيلاني |
| مختلطة | حامد محمد إسماعيل |

❊ ❊ ❊

## «عَدْ عِمرْ»

كما تنطق بالتيجري وتعريبها «آل عمر».

أنشأ هذه القبيلة الشيخ عمر[١] بن همد بن إدريس بن ناصح بن عامر النابتابي، وأشهر مشايخها هو الشيخ أكد بن هِرُودَة[٢]. وسار عمر وبنوه من

(١) لما أراد عمر الانفصال اتفق مع أخيه «قلتنا» Gultana أو «قلت أنا» وضم إليه أعمامه ناصح وعامر وتألفت من بنيه الثلاثة «حمبرا وحامد عوض (أود) وعلي علم (الألم).

(٢) قتل في دقة دقلل بيد بعض من أقاربه وتمكن ابنه الشيخ محمد أكد من الفتك بقاتلي أبيه بعد أن انضم إلى جيش المهدية.

بعده على العادة المشهورة في القبائل العربية وهي ضم كل عائلة أو قرية ينوخ عليها الدهر بكلكله فيجد زائرهم بعضاً من أسْفَدة وأَلْمَدَة وفضل ولبت وطارجيلي وسقعيت وكثيراً من التيجري والحماسين والبجة. وينقسمون إلى ست عموديات (بدنات) كبيرة، وكل عمودية تنقسم إلى عدة حصص[1]. ويرأس الجميع اليوم الشيخ أكد بن محمد بن أكد بن هرودة.

وكانت هذه البدنات قبل المهدية يسكن نصفها بالقنوب وهم:

١ ـ عد حامد أَوَدْ وعمدتها هو الشيخ همد كِسُولاَيْ.

٢ ـ عد حميرة وعمدها هو الشيخ محمد شَقَرايْ.

٣ ـ عد الألم وعمدتها هو الشيخ إدريس عبدالله نَصُّور.

ويدفعون جزيتهم إلى دقلل (ناظر بني عامر) بعد أن ينصب خيامه في حملاييب أثناء شهور الشتاء، والثلاث البدنات الآتية تسكن خور بركة والقاش وهم:

٤ ـ عد ناصح.

٥ ـ عد قُلْتَنَا.

٦ حَسَلْ.

وهم اليوم خمس بدنات ولهذه الثلاث شيخ خط يقيم في محكمة تَسْنَيْ هو الشيخ أكد بن محمد أكد هرودة واشتهرت هذه القبيلة بحب الغزو لكثرة عددها، ومساحة أراضيهم الواسعة تساعدهم على التمادي في الشغب وتصفهم القبائل بشدة الشكيمة، وهم مجاورون للهدندوة من الشرق حتى نهر عطبرة وسيتيت، ويرحلون على ظهور الثيران إلا مشايخهم فيمتطون الإبل والخيل، ويقضون الشتاء في ضواحي عقيق وعَدُوبَنَة والجبال المجاورة لها. ويصيفون بين كسلا وضواحيها بإرتريا، ومثلهم الفايداب وعد إبراهيم. وكلهم يعتنون بتربية الإبل والبقر والضأن والغنم ـ واليوم فيهم مفتش حازم في منتهى الجود والكرم هو السيد محمد بن أكد هرودة يحكم مركز تسنَيْ وضواحيها.

---

(١) وإلى وقت قريب كانت تتفرع من الحصص أجزاء تسمى شرفاف (Shirfaf).

وفي إحدى سنين الشتاء السابقة جاء إلى شيخهم رجل يقال له: «إدريس بن قَيخ مُورْهُو[١] وقال له: «أنا قتلت تكليس بن كنتيباي إداد (ناظر الحباب)». فقال له: لقد أتيت بمصيبة عظيمة ـ لماذا قتلته؟ فأجابه بينما أنا أبحث عن قاتل أخي إذا بي أشاهده في ركاب تكليس، فانتظرت حتى نزلوا بقرية حاج موسى بجوار جبل شابري ونزلت بقريتهم حتى أظلم الليل، ثم جئتهم وهم نيام، فطعنت أحدهم متأكداً أنه قاتل أخي[٢]، وإذ به يكشف عن وجهه ويحاول القبض علي، فعلمت أنه تكليس وأنني أخطأت. فأيقظ القتيل رفاقه وجروا خلفي، ولكني نفدت منهم بسرعة الجري. والآن جئت إليكم مستجيراً من الحباب لعلمي بأنكم أكبر قبيلة في بني عامر. فهل تجيرونني أم تسلمونني للحباب؟ فأرسل العميد في طلب المشايخ وذكر لهم القصة. فقالوا (جميعهم): نجيره ولو أننا لا نعرفه ولا هو يعرفنا. فقال له الشيخ: ادخل واندمج في رحالنا فقد أجرناك، ولن يصيبك إلا ما يصيبنا. فارتاحت نفسه وعاش معهم مطمئناً.

وسمع إداد[٣] خبر مقتل ابنه وهروب القاتل فاستاء جداً من مشايخ عد عمر ولكنه كتم غيظه حتى انتهى فصل الشتاء وبدأوا في الرحيل لخور بركة. فسار خلفهم بعصابة من أبناء الحباب، فأدركهم في خور عنسبة وقد اندمجوا في قرى أبناء عمومتهم (عد أكد) فحاول أن يجد منهم غفلة فلم يقدر على لقاء رجل من عد عمر. وكلما هَمَّ بقتل أحد وجده من عد أكد. فأرسل رسولاً إلى الشيخ بَيذْ عمدة عد أكد وطلب منه «إما أن يسلمه لفيفاً من أبناء عمر ليقتلهم بابنه، أو ينبه على رجال قبيلته أن لا يفارقوا منازلهم في يوم يتفق عليه قبل طلوع الشمس. فوافق الشيخ بَيَذْ على الرأي الأخير وعمل به هو ورجاله. فهجم إداد بعصابته على القرى، فوجد سلمان بن لباب (من فرسان عد عمر) يضع السرج على فرسه.

---

(١) وتعريبها إدريس بن «قيح» أحمر ومور هو «عصاه» ابن أبو عصا حمراء.

(٢) كان خادماً لتكليس.

(٣) كانت نظارة الحباب كنتيباي هداد بن فكاك والد إداد. وهذه الحادثة كانت في أوائل القرن التاسع عشر للميلاد.

فقطع إداد رأس سلمان[1] والتفت بعد ذلك إلى يمينه فوجد عدلان بن همد لباب يريد أن يضع رجله على ركاب فرسه، فأدركه وقطع رأسه. ثم أدخل إداد سيفه في قرابه وهو يقطر دماً، وقال: إن قتل هذين الفارسين يكفيان دم ابني تكليس. ولكن حبابي آخر قتل الشيخ ناصح (من رؤساء النابتاب).

❋ ❋ ❋

## «قتال عد عمر وعد إبراهيم»

هما أبناء عمومة ولكن إذا كثرت القبائل تتباعد الأنساب بينها ولا يوحدها إلا غزو قبيلة أجنبية عنهم. ونذكر هنا كيف في سنين الشتاء في جهة العقيق حدث هذا القتال، فكانت إحدى قرى عد عمر ضاربة خيامها بين توكر والعقيق وبجوارهم قرى عد إبراهيم. فتشاجر أبناء أسنَاي بن شيك بن ناصح (من عد عمر) مع أبناء همد هِجِّينا (حاج) من ذرية إبراهيم، فذهب والد الأخيرين إلى أسناي ومعه بعض مشايخ عد عمر، فقال لهم: يا أبناء العمومة أصلحوا بين أبنائي وأبناء أخي أسناي. فضحكوا عليه واحتقروه وتهكموا عليه كلما ازداد في الشكوى واستصغروه. فقام من مجلسهم غضبان وفي اليوم التالي تراشق الأبناء بالحجارة واشترك فيها الآباء. وأراد شيك بن أسناي أن يضرب أحد أبناء همد هجّينا بالسيف، فتلقاه الأخير بالدرقة، ثم حمل عليه وقطع يده وقال له لا تجزع يا عمي شيك فإن هذا أول الشر بيننا، وقُتِل رجل آخر من أبناء عمر وجرح نحو اثني عشر رجلاً، ولم يقتل من أبناء إبراهيم إلا ثلاثة منهم جرحوا، ثم تهادنوا لحين مجيء ناظر بني عامر.

وفعلاً حضر دقلل علي بخيت همد وابن أخيه همد محمد فمنعوهما

---

(١) كان مع إداد بعض أقاربه أمثال «همد حمبوري بن كنتيباي إدريس» ويقال: إنه قطع فخذ سليمان ومحمد علي عتيل نصر الدين من أبناء عمدوي، اشترك مع إداد في قتل عدلان إذ ضربه على جمجمته فشج رأسه.

من استئناف القتال فامتثلوا ظاهراً وتواعدوا سراً على القتال في شابَّابِيتْ بخور بركة. ثم ارتحلوا، وبعد شهر من رحيلهم حدث القتال بين الأشراف والكميلاب كما حدث قتال بيت أسْقَدِة وعَدَّقَيءْ، وفي ربيع الأول سنة ١٣٠٠هـ حدث قتال هاسري وبيت معلا.

سبق أن ذكرنا إجارة أبناء عمر (حتى) لمن يجهلون، وهذا مدون لهم بسداد الفخر مثل حادث «أمْ ألْتُو «Om-Alto» وهي امرأة من نساء عد عمر كان لها ولد واحد، فأخذ ذات يوم بقرة من أحد رعاة بني عامر من غير إذنه وذبحها، فجاءه الراعي وقال له: «إنني ائتمنت على البقر من حيوانات وحشية وآدمية فيجب أن تسلمني بقرة عوضاً عنها. فقال له: اذهب لبقرك لأنني بعد أكل هذه سأعود إليك لآخذ أخرى. فاغتاظ الراعي وطعنه بحربة ثم جرى خلفه جماعة عد عمر حتى ضيقوا عليه السبيل وعجز عن الإفلات منهم، فرأى بيتاً بعيداً عن القرية فجرى حتى دخله فوجد فيه امرأة فقال لها: «أجيريني من الرجال الذين خلفي لكي يقتلوني» فأخفته، فجاء أهلها وقالوا لها: سلمينا الرجل الذي دخل إليك الآن لنقتله. فأقسمت أن لا تخرجه لأنه استجار بها. فقالوا لها: إنه قتل وحيدك، فقالت: وإن يكن فإني أجرته وكفى، وكل من يمسه بسوء أعتبره قاتل ابني وأطالبه بدمه. واشهدوا بأني تبنيته بدلاً من ابني فرجعوا منها وهم يحمدونها ويثنون على شهامتها.

وقد أثنى عليها كثير من شعراء القبائل، وأصبحت مضرب الأمثال كالسمؤال في العرب. وقد ذكرها محمد عيون بن شيك عجيل في إحدى قصائده التي عدد فيها الأبطال الذين أجاروا المستجيرين ووفوا[١] لمجيريهم أمثال أم ألتو وجِلْوَدْ الذي استجارت به إحدى قبائل التيجري فساعدها على الهرب من الرأس الولا سنة ١٨٨٤م، وكذلك أبناء تكليس[٢] الذين أجاروا كنتيباي هداد بن فكاك وأولاده بعد أن عزلهم من النظارة الحبابية جرجيس بن قرنيت وولاها لكنتيباي محمد بن جاويد.

(١) قال قصيدة يعاتب فيها نايب مصوع وذويه لأنه رفض أن يجيره من الحباب.
(٢) تجد ذلك في حباب تكليس (واقعة شنقيرا) وجلود في جمجان حماسين حباب.

وحوالى سنة ١٨٨٧م، جاء الشيخ محمد عمر كَسُولاَيْ عمدة عد عمر إلى الأمير عثمان دقنة وطلب منه أن يأذن لقبيلته بالعودة من خور بركة إلى شِعْيَتْ (جنوب توكر) في فصل الشتاء، فأذن له بذلك ولكنهم لما وصلوا «عَكَّاتْ نَأَفْ» قابلتهم عصابة لصوص من بيت معلا وحباب وهاسري فقتلت منهم ثلاثة رجال ونهبت بعض الإبل والأبقار والأغنام فشكاهم الشيخ كسولاي إلى الأمير عثمان دقنة وحصر التهمة في الشيخ أكد موسى عمدة هاسرى، وادعى أنه هو الذي حرضهم على النهب والسلب. ولكن أكد تنصل من التهمة وأحضر شهوداً ببراءته فاستاء كسولاي من الحكم ببراءة أكد وفارق هذه الديار نهائياً ما دام فيها أكد الذي يقلق راحة جيرانه وإخوانه فهو الذي يؤلف العصابات لكل من لا يخضع لسلطته. ويروى أنه أرسل عصابتين للعجيلاب (أصهاره وجيرانه) فجُرح قائد الأولى وأثخنوه بالجراح حتى عجز عن الحركة وهو همد إيْلاَيْ وثلاثة آخرون واستردوا منهم كل ما نهبوه[1]. وأرسل الثانية في سنة ولايته العمودية.

***

## (واقعة عَكَاتْ[2] نَأفْ)

كانت تقيم في هذا المكان قبيلة عد عمر وهي أقوى وأغنى قبائل النابتاب، وكان عميدها قد اشترك في مساعدة أبناء عمه هاسري[3]، على المعلاويين، وأرسل أخاه بعصابة[4] أخرى إلى جهة عَرَقَلاَدْ، فوجدت قرية

(١) استجار الفارّون بكنتيباي حامد وأجارهم فعادت منهم النجدة، وكانت برئاسة الشيخ ضرار علي.

(٢) عكات تعريبها دوم وهي تيجرية. ونأف بجاوية ومعناها «ظفر وهو اسم لجبل حوله سهل».

(٣) أرسل ثلاثة من أشجع رجاله وهم محمد عمر كسولاي، ومحمود آدم فسلي، وآخر اسمه همد عمراي.

(٤) اشترك في المعلاويين إلا العجيلاب لأن عمدتهم الشيخ إدريس محمد أمه بنت عجيل ضرار.

الشيخ حامد وسُوكْ فقتلوه ومن معه، واستاقوا جميع المواشي التي وجدوها. فاستاء لمقتل حامد كل ذرية حمد حسال (إخوانه) بيت العمودية وقرروا غزو عد عمر في عكات نأفْ بوجه السرعة، فجمعوا جموعهم واستنجدوا بكنتيباي حامد حسن الذي أرسل إليهم ثلاث عصابات إحداها: برئاسة فيتاً ووراري بَرَمْ بَلَاسْ كافلْ، وبَهْتَا حَقُّوسْ[1]، وأبو قردمة. قال لي محمد بن جمع بن مداين (من مشاهير بيت معلا): أرسلنا ثلاثة أشخاص برئاسة حامد كامل كَلَواناي لينظروا حال القرى والمواشي وقوة رجال القبيلة المعنوية، فعادوا إلينا وأفهمونا أن القوم مضطربون منذ قتلهم لحامد وسُوك خطأ وأهل قريته، واجتمعوا بكل ما يملكون في محل واحد، وانتدبوا بعضهم لمراقبة الدروب والمسالك والمضايق، كما سوروا منازلهم بزرائب من الشوك. وأخفوا مواشيهم بحظائرها (قال محمد جمع: كنا نحن المعلاويين في غاية البؤس والفقر إذا استولى الهاسريون على أكثر ممتلكاتنا وأصبحنا في حالة يرثى لها من الفقر المدقع، فطمعنا فيما يملكون ولو كان قليلاً). وشجعنا كلواناي على سرعة الغزو لأن الفرصة مؤاتية (كان همهم الأخذ بثأر حامد وسوك) وكانت المسافة بين الفريقين ثلاث مراحل يجب على الغزاة أن يقطعوها في ليلة واحدة وإلا انكشف أمرنا للخصوم (عد عمر)، وعندئذٍ لن نتمكن من الهجوم الخاطف الذي نريده. فقال لنا الشيخ همد شوم بن إدريس: يجب أن تستولوا على كل شيء لأن موتكم صفر اليدين، والحذر من قتل المواشي. وأجابه كلواناي: نحن اليوم مائة رجل مسلحين بالرصاص والسيوف والدالق والحراب وستسرك نتيجة غزوتنا هذه. فودعناه ويممنا عد عمر، وكلما التقينا بجماعة سألونا عن مقصدنا كنا نقول لهم: إن الأمير عثمان دقنة أمرنا بالحضور إلى توكر، حتى كان المساء أسرعنا[2] المشي وأحياناً الجري لكي نفاجئ القوم عند الفجر الباكر وفعلاً أحطنا بالمنازل، وإذا بأحد العساكر يعثر فيقع وتنطلق من بندقيته الرصاصة،

---

(١) الأول والثاني وفدا على الأمير عثمان دقنة في سنة ١٨٨٤ وأسلما على يده وبايعاه.

(٢) قال محمد كميل في قصيدته: «حتى معلاي ودينه بلش Balach وشيرب وحمبر الثلاثة الأخيرة أسماء محلات، يقول: قطعناها في ليلة واحدة.

ويسمع لها دوي شديد ارتاع منه أهل القرية، وخرج كل منهم بسلاحه، وفرَّ الأطفال والنساء إلى الخلاء، وتسلقوا جبل عكات نأف وتركوا كل ما يملكون. فوقفت (محمد جمع) على باب زريبة، وإذا بشاب من نابتاب «عد قرين» ذرية كسولاي في منتهى القوة والشجاعة يكر عليّ وعلى من حولي، ونحن نفر من لقائه وهو يزداد جرأة وإقداماً، ويحلف بالله أنه لن يمكننا من أخذ المواشي ما دام حياً، ويقذفنا بالحجارة والعصي، وبجانبه عروسه تناوله كل ما يقذفنا به من الأوتاد، وعليها ملابس فاخرة، وتزيده حماساً كلما خارت قواه بقولها: اليوم يومك يا حامي الحمى والنساء من السلب والنهب. فهجمت عليه من الأمام وأخي إدريس من الخلف وقتلناه بعد أن دوخنا رأسه بالحجارة والأوتاد. فخارت قواه وفتحنا باب الزريبة وقتلنا كل من صادفنا، وإذا بحامد كلواناي يلقي عمدة القبيلة ويقول له: ألا مفر لك اليوم: نحن جئنا في طلبك وإذا بأخيه شريف بن كامل يمسكه ويقول له: يا حامد نحن أبناء كامل شبعنا من سفك الدماء فليقتله أحد إخوان حامد وسوك. وتنحى بأخيه ونادى أبناء إدريس حامد وقال لهم: اقتلوا هذا العميد بأخيكم. فقتلوه، ثم خرجت إليهم زوجته بملابسها فجردها خادمهم من ملابسها[1]، وقال لها: لا تجزعي فإننا نعاملك كما عامل أهلك يوم واقعة «عَرَقلَادْ». وبعد الانتهاء من واقعة عكْات نَأَف أنشد شاعر المعلاويين الشيخ هُمَّد كميل بن حَيَتْ الضحى وتعريبها (ابن أسد الضحى)[2] يخاطب في قصيدته فتيان عد عمر ويصف الواقعة وكيف دار القتال وانتصار العصابات وانهزام عد عمر وكيف شتتوا شمل القرى شذر مذر كما في القصيدة وسنقتطف بعض أبياتها فيما بعد.

وزعيم أبناء عمر هو الشيخ الوقور أكد بن محمد هرودة يرأس محكمة مركز تِسِنَيْ، ويتمتع بسلطة واسعة وامتازت أحكامه بالخبرة والدراية، وله

---

(١) اسمه بتعاي خادم حامد وسوك.

(٢) لقب به لشجاعته وكفى عد عمر فخراً «أم ألتو» التي أصبحت مضرب الأمثال فيقال «حسب أم ألتو» (أي المستجير بأم ألتو). وأطنب شعراء عدة قبائل في مدحها.

ابن يجيد الإنجليزية والطليانية واللغات الإثيوبية صاحب خلق عال جداً، ويشغل وظيفة مفتش تلك المنطقة ويدعى السيد محمد أكد هرودة فعند توليه هذا المنصب قطع دابر كل عابث بالأمن.

كنا نريد الاكتفاء برواية محمد بك موسى (ناظر الهدندوة) في وصفه لقتال «عد عمر والويلعلياب» في مقتل إبراهيم رَهَلْ، وها نحن نصف ذلك هنا حسب رواية «عد عمر» أنفسهم وهو ما رواه لنا الشيخ أكد بن هرودة[1] الذي امتدح شجاعته كثير من شعراء بني عامر.

❋ ❋ ❋

## «مقتل إبراهيم رَحَل (رَهَلْ)»

هو من ويلعلياب الهدندوة، كانت له إبل كثيرة ترعى في جهة شكبرب Shakbrab بقرب «علي جَبَرَتْ» زمناً طويلاً، وهذا المكان مشهور بجودة مراعي الإبل. وفي أحد الأيام سطت عصابة من نابتاب عد عمر (أبناء ناصح بن عمر) على الإبل المذكورة، فسمع إبراهيم رحل بذلك، فجمع كل الويلعلياب المجاورين لحدود بني عامر لاستردادها. وبينما هم في الاستعداد امتطى جواده وسار خلف العصابة التي كانت بقيادة عمر ناصح كامنة في غابة هناك، وإذا بإبراهيم يمر بشجرة اختفى فيها عمر، فلما حازاه طعن عمر بحربته إبراهيم رحل في جنبه الأيسر نفذت من الأيمن فسقط من على جواده وقطعه عمر بسيفه إرباً، وركب جواده وغنم سيفه، وذهب إلى أهله. فاستاء دقلل إبراهيم (ناظر بني عامر) من قتل إبراهيم رحل - وجاءت نجدة الويلعلياب فدفنت القتيل ولم تجد أثراً للعصابة. فتجمعوا هناك - كل من الفريقين - حتى جاء الشيخ موسى إبراهيم وعاتب الويلعلياب على التجمهر والتجمعات، وقال لهم: إن أبناء عمر هم جيرانكم المستديمون ومراعيكم ومناهلكم وإياهم واحدة دون سائر بني عامر، فلا يصح أن يضطرب حبل

---

(١) توفي سنة ١٩٦٢ بمدينة تسني، واشتهر بالحزم وكرم الضيافة بين جميع مشايخ بني عامر، وله ابن اسمه السيد محمد أكد مفتش بني عامر الغرب تسني.

الأمن بينكم، ولا تنسوا أنهم في بني عامر مثلكم في الهدندوة، فإذا مات منكم رجل غداً تجدون من تقتلونه بثأره، وإذا نهبت منكم إبل فها هي إبلهم بينكم يمكنكم أن تأخذوها. وأمر الهدندوة بالانفضاض والرحيل إلى ديارهم ما عدا خليل وأخيه محمد رحل وبعض ويلعلياب العثمانيين (وهم التنكيراب والعَشَّرْ أبناء الشيخ وِيلْ علي الكبير[1]، ووالدتهم من الشّرَعاب)، وأقاموا في الحدود لأخذ كل ما يقع تحت أيديهم من مواشي بني عامر.

❋ ❋ ❋

## «مقتل إبراهيم رهل»

واشتهر، بعد أبناء رحل، بإقلاق حبل الأمن في حدود القبيلتين، رجل من أبناء عمر اسمه «محمد بن هَرْقَمْ». وكان قوياً وشجاعاً وشريراً عاتياً، ويغير على كل قبيلة لا تعطيه ما يطلب سواء من بني عامر أو الهدندوة أو غيرها. فلما كثر ضرره وضجت القبائل من أذاه قام شرير مثله من الهدندوة «أحمد بن موسى باتر (من ويلعلياب القلاّبْ نِيوَ) ومعه صديق اسمه قِليب Gileeb (من عَمَرْ)[2]. فركبا ذات يوم جواديهما ونهبا مواشي محمد هرقم، فركب جواده ولبس درعه وسار وحده خلفهما، فلما دنا منهما برز له أحمد موسى ورماه بالحربة وطعنه في صدره فسقط من على جواده، فأدركه أصحابه وهو على قيد الحياة فقال لهم: «قتلني قليب[3]، فحملوه وعادوا به إلى القرية، وكل من الناظرين يتمنى دائماً الخلاص من رؤساء العصابات لأنهم يعرضون حياتهم للخطر، وأمن القبائل للاضطراب والاستهتار بالشرائع والقوانين.

نقلنا مقتل إبراهيم رهل هنا حسب رواية بني عامر نابتاب، كما نقلناها

---

(١) المدفون في «توقنوف» قرب سنكات.

(٢) العمر والعقر هما من قبائل الهدندوة التي كانت تقاتل بعضها بعضاً على ضفاف نهر عطبرة الشرقية وقد مررت بمقابرهم هناك.

(٣) مع أن قاتله كان أحمد، ولكن لشدة بأس قليب أحب أن يتخلص منه.

في الهدندوه عن محمد بك موسى، ولا يوجد فرق أو خلاف في الروايتين أبداً، وهذا يدل على توخينا الصدق حتى في الحوادث القريبة من عصرنا.

قالت شاميت بنت أدرات درجاته عد عمر، تخاطب كنتيباي إداد بن هداد فكاك[١]:

إداد وَدْ هِدَادْ أكَيْ جَادِيْ كفْأَكَ.

(يا إداد بن هداد لقيت أتيت شيئاً مخجلاً)[٢].

«سَكيْ إيكُونْ إبْ مِسُّولْ حَقُو دِجِّي إتْدَمَّتَا».

(ليت هروبك كان بعد نهب القرى لنلتمس لك العذر)[٣].

«شايِبْ سِنَّتْ إنْتِلْكَ إتَّ عَدْنَا بني عامر وإِيْ سَكَا».

(إن شيخاً في سنك عندنا في قبائل بني عامر لا يهرب).

«علي بكيت وَدْ إدريس لَمَدْ جَمِيتُو سَعَكْهَامى إيسَعَكْهَا».

(ألم تسمع بأخبار علي بخيت بن[٤] إدريس).

«شك ود عجيل إجِلاّ بارود أشَّهَدَا»[٥].

(وهذا شيخ بن عجيل استشهد بالرصاص).

وكانت شاميت جميلة جداً يتسامر شبان عد عمر في منزلها ويتطارحون الأشعار ويحتكمون إليها بقصائدهم.

---

(١) كانت حالقة عليه مثل كل أهلها لأنه قتل ثلاثة من فرسان عد عمرهم سلمان وعدلان وثالث، أخذاً بثأر ابنه تكليس من كنتيباي إداد.

(٢) هروب قبيلتك.

(٣) كان الهروب قبل وصول الجيش.

(٤) أحد شجعان عد عمر.

(٥) هو من زعماء العجيلاب كان مخيماً بقراه في عيتربة فأصبح عليه إلياس بك مدير كسلا والشيخ ليمان علي أبي طالب الويلعيابي وكيل نظارة الهدندوة بفرقة من الجيش وأطلقوا الرصاص على القرى حتى أبادوها هي وقرى الحسناب وهربت عدة قبائل من وجه إلياس.

ورد على شاميت محمد بن شيك عجيل مدافعاً عن الحباب ومهزئاً بالنابتاب فقال[1]:

«دَجِّيهُمْ دَمْتكم إثْ دجيكم تَرَّدُو».

(أنتم نهبتم قراهم فدافعوا عن قراكم إذا هوجمتم).

«أكْبُودُ حَطُر طْو دِيْب مَسَنْقُو اتسَادُو»

(شجعوا أكبادكم وأعرضوا على الربابة)

«بَأَسُ بديرْمَ تِرَابْ إيكونْ ووضوء».

(البأس والقتال لا تظنوه مثل التيمم بالتراب أو الوضوء)[2].

ولم يقلع محمد عن هجوه إلا بعد أن تناولته في قصيدة لها فاعتذر إليها.

وكان في العجيلاب قبل محمد عيون شاعر آخر اسمه همد تانجي بن عجيل يكره أبناء هاسري، وقد هجا كل القبائل التي فرت من قتال إلياس بك وأصيب هو بجراح شفي منها. ونأتي هنا على بعض من أشعاره قال:

«حَدِّرْ إجِلْ بَارَكْوِينْ[3] قِيشُّوتَايَّ أَفْلَنْدَا».

(تحضر لأجل ملاقاة أبناء باركوين قوى الأفلندة القليلة)

عد شيك ود حامد من رِكِبْ إثْ طَوَشِّي مِنْ ودَّا».

(لما فرت القبائل من وجه سليمان بك وإلياس بك «اضطر آل الشيخ حامد أن يتوضأوا في الأقداح بدلاً من الأباريق).

---

(١) كان يكره الشيخ موسى همد عمدة النابتاب «هاسري» مع أن شاميت مدحت والد محمد عيون هذا في شعرها.

(٢) يقصد أنكم تكثرون من الصلاة وهي ليست كالقتال الذي هو ضرب بالسيوف وقطع المفاصل والأجسام.

(٣) جد الهدندوة يقصد الشاعر أن غير قبيلته لا يتحمل الاصطدام بالهدندوة لشدة بأسهم وكثرة عددهم. واعتاد الهدندوة والأرتيقة والكميلاب غزو أراضي الحباب كلما أعوزتهم الحاجة للمواشي والإبل التي هي بأرض الحباب تفوق الحصر.

«عد هاسري ود حامد لأَنْسه إنْدِمُنَتْ حَدْجَا»[1].

(آل هاسري بن حامد فروا بأنفسهم وتركوا نساءهم في الدِّمغة).

وهي طويلة وهجوها غير مستملح لنا تركناها وكره بعض المشايخ حفظ مثل هذه القصائد لكثرة ما فيها من الهجو الممقوت.

❋ ❋ ❋

## «عد عمر»

بمناسبة انتصار بيت معلا في واقعة «عَكَّاتْ نأَف» حوالى سنة **١٨٨٥**م على قبيلة عد عمر نقتطف بعض الأبيات من قصيدة شاعر المعلاويين محمد كميل بن أسد الضحى يخاطب بنات عد عمر[2]:

«عَدْ كِنْ وَحِنَا تَحَامِينَا جِبِّعِي إيكُونْ وِسِتِرْ».

(لقد اختلفنا نحن وأهاليكنْ بلا إخفاء أو إفشاء).

«إجِلْ وَلَتْ عد عمر حَاكِي إلى وأسِّلْ».

(فأخبر بنت عد عمر ولا تخفي وَاحاً لها).

«حنجرياي سِبحاده لَعَاله مِلْوءُ مِنْ إكِلْ».

(طويلة العنق كأنها عود المقد المملوء عاليه بالذرة).

«بَرْأَرَيْ جَرُوبْ مَحْوَاتْ مِلَوءْ مِنْ عطر».

(من جسمها اللامع وأفخاذها المملوءة بالعطر).

«سِجَاذْ مِرْ بيت شِئْيَابْ لَكِينْ وإنْدى تبل».

(رقبتها كأنها ناقة (قبيلة) الشَّئياب الذلول تتحرك جيئة وذهاباً).

---

(١) كانت حوادثها بين سنة ١٨٤٦م وسنة ١٨٥٠م.

(٢) كتبنا الثاء في نطق CH، والجيم في نطق G.

(يعني إذا مشت لا يتحرك من جسمها إلا رقبتها).

«عَارُوسْ نَايِدْ كَرِينا دِيبُو جَرُوبْ لَبَفْنَا إي يِكْهِلْ».

(وضعنا على هذا الجسد الناعم جلود الغنم مع أنه لا يتحمل).

(قماش البفتة الدبلان).

«إِتَّقَسِّنْ جَبِّيءْ مِي إِيتْقَسِّن عَوجَلَادْ لَفَجُرْ.

(هل أخذنا بثأرنا أم لا يوم واقعة عَوَجَلَاد صباحاً).

«فجر عكَّات نَأَفْ بَاتْكَام إنتم إب إسر».

(في فجر واقعة عكات نأف قد تعاقدتم بالثبات).

«دِيبْ حُونَا وَدِيْنها لَمِسِخْ موت إتْ شِفِرْ».

(فعلنا هذا أخذاً بثأر أخينا الذي قتل في وسط القرية).

«سِمُه حامد أنت وُوسُوكْ ناسِئ إتْ شِكِرْ».

(اسمه حامد مضاف إليه وزائد لاستحقاقه للزيادة).

«أَدَّا مكن قاتلنا اللي وودوقتو إت شِفِرْ».

(قتلنا رجالكم وها هم ميتون في وسط القرية).

«تايبوت امكن أشْكِينا إي إنْسكِّن إتْ لِبِلْ».

(وهرب من قتالنا شجعانكم الذين كانوا يقولون لن نهرب).

«إبْ أَسَيِّفْ رايَطْنُهُم سَافيات لُحَروبْ مَنَاكِلْ».

(ضربناهم بالسيوف الحادة القاطعة للجسم).

«وإبْ مَنَادوقْ لا كَفْنَهُم بارود لأَسَاتْ لأَفَجِّرْ».

(أطلقنا عليهم من البنادق باروداً تخرج منه النيران).

«إجِلَّ هَلاّ إي حَمِينَا أَمْبَلاّ جَابىءْ حَنْ قَبِرْ».

(لم نعمل حساباً للمتبقين بل كان حسابنا لمن تحت القبر).

«وسَرُّه بَرْكَه كِرنينهو أجل ليموت إب دِبِرْ».

(وهرب بعضكم إلى خور بركة وحتماً سيموت بالجوع).

«إنْساكُنْ نَسَأْنا مَيّلا حِذْجَت إي تَأَسْتَهِلّ».

(لقد استولينا على نياقكم، «متيلاً» لا تستحق أن تتركوها خلفكم).

«حَاكِنْ نَسَأْنَا نطوف وحِلِبْ وإجِلْ».

(أخذنا أبقاركم الوالدة منها والحامل حتى العجول).

«أطالْكِنْ نَسَأْنَا أَسِكْ نَايِدْ وأتجل».

(أَخذنا أغنامكم حتى الحاملات والسخلات).

«كِرَّيْ إديتُو بَدِيرْمَا جَلْجَلاَيْ عَدْ حِذْ إي طَبِّرْ».

(هذا بوضع اليد، والصديق لا يقطع الأمل من صاحبه).

❋ ❋ ❋

## «عَدْ إبراهِيمْ» A'd - Ibrahim

هم إحدى عموديات النابتاب مثل عد عمر وهاسري وأُكد، غير أنهم أقل عدداً من الجميع، ولكنهم شجعان للغاية، ولهم ثبات وجلد على القتال مع تحليهم بالأخلاق السامية، وترفعهم عما ترتكبه القبائل الأخرى من سلب ونهب وتكوين عصابات... إلخ. ولا يبالون بكثرة خصومهم، وكفاهم فخراً أنهم دائماً في قتال مستمر مع أبناء عمهم عد عمر الذين يبلغ تعدادهم نحو خمسين حصة (ست بدنات)، وعد إبراهيم بدنة واحدة تتفرع منها تسع حصص. سبق أن ذكرنا في عد عمر تواعدهما للقتال في شابَّايِتْ فسبق إلى احتلالها عد إبراهيم، وخيموا فيها واستعدوا للقتال فأدركتهم عد عمر وبدأوا القتال. فانتصر عد إبراهيم في اليوم الأول، وفي الثاني حضر دقلل علي

بخيت بخيله ورجله ونزل عند آل إبراهيم وأخذ منهم عهداً بأن لا يغزوا عد عمر لحين عودته منهم. فامتثلوا، وذهب إلى عد عمر وهددهم إذا لم يتركوا قتال عد إبراهيم فإنه سيغير عليهم بفرسانه فلم ينصتوا لكلامه ورشقوه بالحجارة[1]. فلم يتزحزح من مكانه، فلما رأى عميد عد عمر وقوف دقلل بين الصفين خرج وأقسم بعدم القتال حتى كانت المهدية. وقتل دقلل علي بخيت في سبدرات سنة **١٨٨٤**م. ولجأت عموديات النابتاب إلى جهة منصورة بقرب أغردت شهوراً، ثم عادوا إلى جهات خور بركة والقاش، وتولى إمارتهم الأمير مصطفى علي هدَل بأمر من الأمير عثمان دقنة. اجتمعت بعمدتهم الشيخ إدريس آدم شِئِيَا سنة **١٩٣٢**م ونحن نسير على ظهور الخيل[2] لزيارة قرى النابتاب ومعنا لفيف من الأصدقاء، فوجدته سريع التأثر للحوادث البسيطة ثم توفي سنة **١٩٣٥**م وخلفه الشيخ محمد بن علي كرار شِئِيَا بن إدريس آدم بن إبراهيم بن أكد بن ناصح.

وكانت شجاعة عد إبراهيم سبباً في قتالهم لإخوانهم وجيرانهم عد عمر وعدم تحملهم للضيم والحيف مع أنهم عشر عد عمر.

قيل: إن حامد بن عمر جُور ومحمد بن حِمْيرَّة (عد عمر) ذهبا لقتل الشيخ شِئِيَا عمدة عد إبراهيم، فقتلاه وعادا إلى ديارهما. فشكى ابنه عمر إلى دقلل، فأرسل معه عسكريان لقتل القاتلين، فلما التقوا أطلق العسكريان الرصاص على حامد عمر ومحمد موسى فقتلاهما، فنادى منادي عد عمر بالويل والحرب، واستعد لهم عد إبراهيم، واستمر القتال بين الفريقين زمناً طويلاً حتى اعترى القبيلتين السأم والملل. وأرسل قائد عد عمر إلى خصمه بأنه سيحضر إليهم بكل فرسانهم، فاستعد عد إبراهيم وبدأ في عد فرسان عد عمر، فوجدوهم أضعاف أضعافهم، فقال لرجاله: ماذا ترون في كثرتهم وقلتنا؟ فأجابه محمد موسى «تَكْ تكْ رَادِفْنَا Tuck- Tuck - Radifma.

أي: فليبرز الرجل منا لرجلين منهم. فذهبت مثلاً، ووافقوه،

---

(١) كان دقلل علي بخيت كثير العطف على عد إبراهيم لقلة عددهم وبسالتهم.
(٢) كان دقلل جيلاني أعطاني فرساً ومهرتها.

وانتصروا عليهم. ومن أمثال بني عامر أن النصر في بيت أسقدة حباب (أبناء هتيس وتكليس وتماريام) يكون حليفاً لأبناء تكليس، وهم مثل عد إبراهيم وعلي بخيت في النابتاب، وعد إبراهيم اليوم يسكنون في أومال Owmal وأحياناً تجد منازلهم في قنروشي Qanrouchi.

❋ ❋ ❋

## «عد أُكَدْ»

أو إِكِدْ، فالأولى: بجاوية، والثانية: تيجرية، وكلتاهما صواب. وهم أبناء أكد بن ناصح بن عامر (الذي تولى ملوكية بني عامر) بعد أخيه الشيخ علي عكَّسَة. وبعد وفاة أكد تولى مملكة بني عامر ابنه إدريس، فانفصل عنه إخوانه بكثير من العربان وتسموا بعد «أكد» وأصبحوا عمودية واحدة برئاسة الشيخ محمد بن إدريس[1] قُمُعْ، ولما توفي خلفه الشيخ حسب بَيَدْ، ثم محمد حسب، ثم الشيخ أسَنَايْ بَيَدْ الذي قتل أيام المهدية، ثم خلفه أخوه الشيخ محمود شريف الذي في أيام عموديته نهبت إبل عد أكد عصابة من الحباب بقيادة «بَرَمْ بَلاسْ كافل» وأحضرها إلى كَنتيباي حامد بك حسن، وحضر إليه خلفها من أبناء أكد الشيخ همد عوض بن حسب بن بَيَدْ. فسأله كنتيباي عن أسباب حضوره فقال له: جئت في طلب إبلي، فأمر برد إبله كلها إليه، فردت، وبعد عام استأنف كنتيباي إرسال عصابة بقيادة «بَهتَا حَقُوسْ (حقوس الأبيض)» فعاد من عد أكد بابل كثيرة جداً وأقسم كنتيباي بأن لا يردها إليهم ما لم يدفعوا له نقوداً كثيرة. فدفعوها له من الريالات النمساوية، وساعدهم السيد الأمين عمر محمد بن علي[2]، فبعد استلام

---

(١) كان شاعراً مجيداً بالبجاوية له مساجلات مع شاعر من علمن «الألم عد عمر» يقال له: «أدرميك» وهو اسم بجاوي تعريبه (حمار أحمر) وهو زوج ابنة الشيخ إدريس حامد إيتدكل (عمدة بيت معلا في القرن الثامن عشر للميلاد).

(٢) أعمال كنتيباي حامد هذه كانت من أكبر الأسباب التي أغضبت عليه الحكومة الإيطالية (فصلنا في قبائل الحباب).

كنتيباي للنقود سمح لخمسة من أبناء أكد أن يذهبوا لأهليهم، وحجز باقيهم عنده كرهائن فتدخل في الأمر السيد إبراهيم محمود حامد، فقال كنتيباي إجلالاً لخاطرك يا سيد لا بأس، فعادوا إلى أهلهم.

وعاصمة عد أكد تسمى سهول «شَرْعِيتْ» قرب وادي عنسبة (على بعد عشرين ميلاً من كرن)، واختاروا سكناهم بعد قتالهم للأمير ابن الصوفي الأنصاري وهو الذي أمرهم بأن يرحلوا معه إلى كسلا، فساروا معه غير بعيد فقاتلوا جيشه ومات منهم ثمانية عشر رجلاً من خيرة شجعان عد أكد أمثال الشيخ أكد محمود، وعمر ناصح، وإدريس أسَنَّاي، وثلاثة من عد إبراهيم، وثلاثة من عد ناصح، وثلاثة من النابتاب، وانتهت الواقعة، وبعدها سافر عمدتهم الشيخ محمود شريف إلى مصوع وقدم الطاعة لقائد الجيش[1] الإيطالي (وكان شديد الاستياء من كنتيباي) ومن الأمير مصطفى علي هَدَلْ الأرتيقي الذي في سنة ١٨٨٦م أمر عد أكد وناصح وإبراهيم وعمر وآل السيد الأمين ابن الشيخ حامد والفايداب وأبناء تكليس أن يجتمعوا في الجبال التي بين كرن وأغردت وسكن معهم وصار يرسل زكاة أموالهم إلى الأمير عثمان دقنة في سَلهات.

وفي أحد الأيام جاءته أنباء من الحباب باستعدادات كنتيباي حامد وجمعه للجيوش واستئجاره لعساكر الأورط السودانية الذين تفرقوا بعد إخلاء المصريين للسودان ووزع عليهم الأسلحة النارية، وانضمام برم بلاسْ كامل وبهتا حقوق بجنودهما الحبشية إليه. وكون فرقة أخرى من شبان الحباب بقيادة أخيه هذاد حسن، وجعل الأورط السودانية بقيادة محمود حامد. وبينما كنتيباي يعبىء الجيوش ويجمعها توفي ابنه محمد بالجدري وكان رهينة لدى الأمير عثمان دقنة في سلهات، وقبل وفاته استعان ببعض أصدقاء والده وهرب من الرهن إلى توكر فحال بلوغها أصيب بالجدري.

(١) تقديم الطاعة كان قبل وفود دقلل همد محمد والحسين حامد بك إلى القائد ولذلك اعتبرت حكومة الاحتلال منفصلاً (محمود شريف) عن نظارة بني عامر حتى توفي، ومراراً ما حاول دقلل الحسين إرجاعه فلم ينجح وعلى فصل الأفلندة بمصوع.

فادعى والده بأن أنصار المهدي قتلوه ولذلك أعلن الزحف على معسكر الأمير مصطفى علي هدل، وأمر الأمراء الأربعة بالغزو في الحال، وتنبه الأمير مصطفى لكل حركات كنتيباي، فجمع إليه رؤساء القبائل وأعيانها وقال لهم: «سأرحل عنكم قبل مجيء جيش كنتيباي لئلا يصيبكم منه مكروه بسببنا، واستشرت الأمناء[1] الذين معي فوافقوا على ذلك لأن قوة جنودنا ضعيفة بالنسبة لقوتهم، ثم رحل عنهم.

أما كنتيباي فإنه عمل استعراضاً عاماً واشتركت فيه كل القبائل المجاورة له بعد أن تبرعت بمؤونة الجيش من الإبل والبقر، وسارت الألوية الأربعة قاصدة معسكر الأمير مصطفى علي هدل. فلما بلغ الجيش جبل بادن قرب هجر قابلهم الشيخ محمد أسنّاي بمواشي كثيرة وقال لهم: إن الأنصار رحلوا عنّا ونحن من أخلص الناس لكنتيباي حامد ومستعدون لإعطائه زكاة أموالنا من غير أن يبعث إلينا بهذه الجيوش الجرارة، فوافق القواد واتجهوا[2] نحو بلاد الحماسين والبجة[3] التي كانت قراها حول هَجَر التي ارتاعت منهم عندما سمعت إطلاق النيران واستاق الجيش[4] كل المواشي التي وجدها هناك وعادوا بها إلى كنتيباي حامد في «رحيب» فأعلن وفاة ابنه محمد وجلس لنظار ومشايخ القبائل المجاورة له للعزاء. فوفدوا عليه من كل الجهات بالمواشي للمساعدة في مأتم ابنه. وبعد شهرين من الوفاة مرض كنتيباي. وكان الرأس الولا قد وصل إلى نقْفَة ومعه دقلل موسى بجيوشهما، فوجدوها خالية، فاحتلوها وأرسلوا ست عصابات إلى عدة جهات وأمرها باحتلال المناهل وإحضار مؤونة للجيش. فعثرت إحداها على إبل السيد عمر

---

(١) ومما قالوه له: إن أكثر هذه القبائل ستنضم إلى جيش كنتيباي، وخصوصاً عد تكليس والنابتاب الذين قتل أقاربهم يوم قتال واقعة ابن الصوفي. وكان الشيخ محمد أسناي متفقاً مع كنتيباي.

(٢) يقال: إن الذي أشار عليهم بغزو القبائل الحماسينية هو محمود موسى فتك (بيت عوض).

(٣) وجدوا قرى سقعيت «أفلندة» ولبت وبعضاً من عد عمر وبيت قريش وهاسري وعد علي وما جاورهم.

(٤) ذكر هذه الغزوة شاعر الحباب «همد محمد عوال».

(آل الشيخ حامد) فغنمتها، وعثرت الثانية في وادي مطِبَّت على مراحات كثيرة من إبل والدي الشيخ ضرار علي ضرار[1] الذي كان أخوه همد نور ضمن رهائن الأمير عثمان دقنة، وكذلك السيد محمد عثمان محمد وخليفة حامد موسى (نابتاب)، فالعصابة الثانية قتلت من رعاة بقر الوالد بالرصاص: همد لباب ولده محمد سعيد وهمد هِسُغْ. وأما إبل آل الشيخ حامد فقد سلم رعاتها. والعصابة الثالثة عثرت على بقر جدي الشيخ علي بن ضرار وعلي بن عامر وفايد محمد فايد. وبقية من العصابات غزت جبل هجر وما حوله وعادت فعادت بمواشي كثيرة.

وبعد توطيد مركز الحكومة الإيطالية في إرتريا خصوصاً مصوع وفد الشيخ محمود شريف إلى مديرها وقدم له الطاعة، ففرح المدير وقال: إن هذا مكسب عظيم وربط له ناظر حتى توفي في سنة **١٩٣١**م. ثم خلفه ابنه الشيخ علي محمود شريف واستمر منفصلاً بنظارته لمدة ثلاث سنوات، ثم حدث خلاف بينه وبين أخيه، وانقسم المشايخ شطرين. ولكن وفاة الأخير أخلت الجو للشيخ علي، واستمر الخلاف بينه وبين مشايخ القبيلة حتى كانت سنة **١٩٣٣** فعزل عن منصبه وتولى الرئاسة عمه الشيخ محمد أسناي وعاد بالقبيلة تحت نظارة دقلل جيلاني الحسين (ناظر عموم قبائل بني عامر)، وأصبحت القبيلة عموديتين كبيرتين تتبعها عدة حصص. وأما عربهم فكثيرون جداً بعضهم من البجة الشوتيراب وهَدَاي قَبَة، وبعضهم من الحماسين مثل بيت هلال وبيت أندول (أمهما من الملهيتكناب عجيلاب) وبعضهم من مسلمي تيجري الأحباش.

وفي سنة **١٩٣٩**م انتخب لعمودية عد أكد الشيخ محمد همد محمود شريف. وكانت قبائل عد أكد عبارة عن اثنتي عشرة حصة - كنا نود تدوينها ولكن العربان كلها تحررت من سلطة النابتاب والعجيلاب والحباب بسبب مقالات كان ينشرها المستر نادلر (بكباشي

---

(١) أرسل همد بن محمد بن دقلل همد صديقاً لوالدي فاحتجز الأبقار، ولكن والدي منعه من السفر إليه. آل سادة آل الشيخ حامد.

بكرن). Mr. Nadler في مذكرات ومدونات السودان سنة ١٩٤٥م نقلاً عن الشيخ علي محمود شريف ذكر فيها سوء المعاملة التي يعامل بها النابتاب هؤلاء العربان المساكين وهي أشياء تقشعر منها النفس بل والخلق الإسلامي. فنادى كاتب هذه الأحرف بتحرير العربان أولاً من سلطة العجيلاب ثم - أي بعد ثلاث سنين - تم تحريرهم في ٣ مارس سنة ١٩٤٧. وأول من تحادث معي في طريقة التحرير هو المستر كيرلوس ألكزندرلي Mr. C. A. Lea والمستر بيتون Mr. Beaton وتم التحرير على يد المستر أندرو بول Mr. Andrew Paul مفتش مركز توكر - فرددنا كل عائلة إلى أصولها وكل الإخوان المنقسمين بين الإخوان إلى بطونهم الأصلية. واقتضى هذا العمل مجهوداً جباراً إذ خرجت من بعض العموديات عدة عموديات بل ظهرت نظارات جمة من عدة أفخاذ وبطون. فصب الرؤساء جام غضبهم علينا ولكننا لم نكترث إذ كنا نريد الأخوة والمساواة مع أبناء قبيلتنا ووطننا العزيز، فأصبحنا إخواناً على سرر متقابلين وأينما حلت ركابي في هذا الإقليم كنت أجد كل إكرام وتقدير. وما دام المرء ذا عصبية قوية ينال احترام سائر القبائل. وعد أكد أكثر اعتنائهم بتربية الإبل التي ترعى ما بين كرن وأسمرة وكذلك البقر.

ومما تجب إعادته المعلومات القيمة التي ذكرناها الشيخ علي محمود شريف في «السودان في مذكرات ومدونات Sudan Notes & Records سنة ١٩٤٥» وكلها توضح للقارئ المعاملة القاسية التي كان يلقاها هؤلاء العربان على يد رؤسائهم، وكلها اضطهاد واستعباد كأنهم (خدم Serf)، فلما تم تحريرهم استاء هؤلاء الأسياد خصوصاً جيراننا بالسودان (نابتاب هاسري وأسقدة حباب، ويأمل بعض مشايخهم المرفودين بسبب عدم النزاهة والأمانة من وظائفهم رجوع سلطتهم وسيادتهم على العربان خصوصاً أمثال حامد عثمان أكد الذي ذهبت به الآمال وقال لي يوماً: ما ذلك؟ فقلت له: «إن اللبن إذا خرج من الشطر لن يعود أبداً». وهكذا كان تحرير العربان من سلطتكم).

❋ ❋ ❋

## «عد صالح»(١)

يسكنون عَدَايَتْ A'dayat بقرب شَقَلقَلْ بإرتريا، وقد أنشأ هذه العمودية الشيخ أبو سعد بن ناصح بن عامر إذ استولى على بعض من عربان البجة عندما حدث الخلاف بين أخويه الشيخ علي عكسه. . . وأكد.

وفي رواية أن ذرية أبو سعد هم أول من صاهر الترك. وهم مشهورون بالشجاعة والبأس حتى إن الفئة القليلة منهم تقف لضعفها كأنها بنيان مرصوص ولا يعتنون إلا بتربية البقر والضأن، ويفخرون في المجالس بأنهم لا يموتون إلا في الدفاع عن أبقارهم، ولهم في ذلك عدة حوادث أشهرها قتالهم لقبيلتي ماريا وبلين قبل المهدية (سنة ١٨٨١م)، فقد اتفقت الأخيرتان على غزوهم، وسمعوا بتحالفهما. فاستعد بعض شجعانهم أمثال آدم شمارين وعيسى آدم وعلي قبشا «Gabcha» وعيسى قَنَفْ Ganaf وهمد عمر همد صالح وآخرون، فكانوا كل صباح يخرجون لمراقبة العصابة ولا يعودون إلا بعد الغروب (يقيمون بأعلى جبل «كُوكَنْ» بقرب أغردت، ولا يمكن الوصول إلى عد صالح إلا من مضيق في كوكن. وفي أحد الأيام التقوا بخصومهم ودار بينهم قتال شديد أصيبت فيه عصابة الماريا والبلين بهزيمة منكرة، نظم فيها شعراؤهم قصائد كثيرة. وجرح في هذه الواقعة من عد صالح جماعة وقتل قائدهم علي قبشا. ولما انتشرت المهدية ذهب عميدهم الشيخ إدريس عمر همد صالح إلى الرأس الولا ومعه بعض أعيان قبيلته، فقدموا له الطاعة (لم يكن الجيش الإيطالي قد بارح مصوع)، فقال له الرأس الولا: «اترك معي بعض الأعيان ليكونوا أدلاء لجيشي في الطرق الوعرة والمسالك الضيقة. فوافقه وذهب إلى أهله حتى استولى الطليان على أغردت، فاستسلم لهم وتوفي سنة ١٩٢٠م، وخلفه أخوه الشيخ كشة عمر الذي توفي سنة ١٩٣٠، وخلفه الشيخ همد صالح إدريس وهو شاب ذكي يرجى منه خير للقبيلة(٢).

---

(١) أو صالحيندوة «آل صالح».

(٢) تتفرع من هذه العمودية خمسة حصص لها مشايخ، أما أخوه عوض الله فقد أخذ من الناظر أكد بعض الإبل برعاتها واسماها باسم إيتكمتي Etkamti.

## «عد وَاسْ Wessª»

يسكنون «مَقَاوْدَة Magawda وهي إحدى عموديات نابتاب إرتريا الصغيرة - وقد أنشأها الشيخ أرَيْ إدريس أرَي بن إبراهيم أكد - وهي قبيلة مسالمة غير أني سمعت أن عدكُوكُويْ يتهمون عمدتها الشيخ إسماعيل أري بتحريض الرأس الولا على غزوهم ونهب مواشيهم. ولما سئل عن سبب الإضرار بهم ادعى أن حامد دمات بن أكد هو الذي سعى عند الرأس الولا ضدهم بسبب ثأر قديم(١) واشتهر الرأس الولا بالتحقيق في كل الوشايات لأنه اشتبه في كل ما يقال له، واعتبره نكايات ببعضهم البعض. وما بلغه عن عد كوكوي كان سببه عثوره على خطابات تبودلت بينهم وبين الأمير عثمان دقنة فقد أطلعوه على كل شيء في أراضي إرتريا.

ويرأس عمودية واس الشيخ محمد نُصُّو. وهم يعتنون بتربية الخيل والبقر والإبل. مثل أبناء عمومتهم عد صالح وكلاهما معدودان من أغنى عموديات النابتاب. وتوجد من واس حصة تابعة لبدنة دقلل تسمى «الْبَكَتْ» أو البخت، ومراراً ما طلبها الشيخ أري أن ترد إليه لأنها من أقاربه. وتتألف من يدنة واس خمسة حصص.

❋ ❋ ❋

## «عد علي بكيت»

أو علي بخيت نسبة إلى مؤسس العمودية الأولى الشيخ علي بكيت بن موسى، إذ انفصل ببعض العربان لما يئس من النظارة (وقد وضحنا ذلك في دقلل موسى وابنه دقلل همد).

وتؤلف منهم اليوم بدنة قوية وغنية جداً. ولهم عطف كبير على عد

---

(١) قيل: إن الشيخ علي بن همد هجينا تشاجر مع والد دمات أكد بسبب ناقة أراد الأخير أن يأخذها عنوة ليعطيها للشيخ أري إبراهيم، فرفض الشيخ علي وأساء إلى حامد وأري، وأسمعهما ما يكرهان من الألفاظ القبيحة وكتما الإساءة حتى توفيا من الكمد.

إبراهيم، وعد أكد، وعد موسى دقلل، ولا يميلون إلى عد هاسري وعد عمر. ويسكنون عند منبع خور بركة في عدة محلات أشهرها «شِيتَلْ» و«شَلاَبْ» و«وادي مقاوْدَة»، وتجاورهم بعض القبائل الحبشية.

وتتألف عموديتهم أربع عشرة حصة.

وعتد قيام المهدية في السودان استفادوا بالسلامة بسبب بعد ديارهم من حدود مديرية كسلا وسبدرات. ولما هرب دقة دقلل سار عد علي بكيت خلفه إلى مدينة أسمرة ثم كرن، وكانوا هادئين حتى قتل دقلل علي بخيت في سبدرات سنة ١٨٨٥م ثم عادوا سريعاً إلى هواشايت، وسافر عميدهم الشيخ محمد أرَيْ بَيَدْ ومعه حامد دمات وقدموا الطاعة إلى الأمير فكي حامد بكسلا، ومكثوا معه سنة كاملة، ثم حضرت إليهم قافلة لشراء ذرة من سوق كسلا. فقال الأمير لا أسمح للقافلة بالشراء أو العودة إلى أهلها ما لم تحضر كل أهلها بمواشيهم وأهليهم إلى كسلا، فقال له الشيخ محمد أري: لولا بعد المسافة ووعورة الطريق وقلة المراعي لحضرنا إلى كسلا. فسمح الأمير بنصف حمولة القافلة، فحملت وعادت بعد أن اتفقوا جميعهم علي الهرب من كسلا، ثم الرحيل من هواشايت. ولم يبق منهم بكسلا إلا عميدهم فقد كان يساوم أحد أمراء المهدية المدعو موسى بن البشير على شراء حصانه، فقال العمدة: أدفع له ثلثمائة ريال أبو طيرة (نمساوي).

فقال موسى إذا أردت شراءه فسلمني أربعمائة ريال. فدفعها له الشيخ محمد أري وركب حصانه ولحق بأهله[1]. واشتهر في هذه القبيلة رجال اشتهروا بالكرم والشجاعة أمثال الشيخ همد فكاك وابنه أكد وأري بن بيد وابنه محمد أري وابنه الشيخ الحالي العمدة محمد صالح، ووجدت معهم عائلة من عجيلاب الأفلندة اسمها «موسى لي» يرأسهم آدم دووي تابع لحصة

---

(١) رأيت كثيراً من نسل هذا الحصان في قرى عد علي بكيت، وكانوا دائماً ينالون الأولية في كل سباق للخيل خصوصاً معرض سنة ١٩٢٠م.

الشيخ حسب محمد علي فكاك. وأظنهم لغاية اليوم انضموا إلى أهلهم الأفلندية وسائر ملهيتكناب إرتريا.

أما دمات أكد، وعمه حامد دمات، وهمد أكد فقد هربا بعد مقتل الأخير.

❋ ❋ ❋

## «عد علي»

هم أبناء علي بن دقلل إدريس بن أكد بن ناصح، وعمدتهم هو الشيخ عمر بن علي بكيت، ويغلب على خلقهم الهدوء والسلامة وهم من بدنات النابتاب الصغيرة في إرتريا.

❋ ❋ ❋

## «عد تولي»

يطلق هذا الاسم على ذرية الشيخ موسى تولي بن همد بن موسى بن إدريس بن أكد بن ناصح، وعمدتهم هو الشيخ همد محمد أوَلِّبَابْ AWALLIBAB، وتتألف منهم ثلاث عموديات كبيرة:

١ ـ بدنة سنكاتكناب بإرتريا ويرأسهم الشيخ عبدالله بن همد وَهَدْأ.

٢ ـ وواحدة بالسودان يرأسها الشيخ محمد همد وهدأ (فلما توفي في سنة **١٩٤٤**م أمرهم المستربيتون المفتش بكسلا بأن ينتخبوا عمدة من نفس السنكاتكناب بدلاً من تعيين النابتابي ابن العمدة الراحل. وكان هذا أول التحرير.

٣ ـ هي البدنة المؤلفة من نفس عائلة تولي.

في سنة **١٩٣٣**م علمت وأنا ببادية أغردت أن خمسة عشر شاباً من عد تولي نزلوا ضيوفاً عند رجل من عد علي بكيت فأطعمهم عصيدة في عدة

أقداح، فكسروها بعد أن أكلوا ما فيها جميعه. ولما أصبح الصباح سألهم المضيف أن يقيلوا حتى يذبح لهم بقرة. فقالوا له: لماذا لم تفعل ذلك ليلة أمس قبل أن نكسر أقداحك؟ فقال لهم: وهل كسرتموها؟ قالوا له نعم حتى لا تعود لمثلها، لأن مثلك يجب أن يذبح لمثلنا. فاستاء ابنه منهم وأخذ سيفه لقتالهم، فمنعه والده وبينما هما متماسكان هجم أحد الضيوف على الوالد وضربه بالسيف فقتله واعترفوا جميعهم بأنهم جميعهم اشتركوا في قتله، وكرروا هذا القول عند المحاكمة، فوضعوا كلهم في السجن فمات منهم عشرة قبل أن يغيروا أقوالهم الأولى. فتدخل دقلل الحسين والمشايخ لدى المحافظ الإيطالي وتنازل ابن القتيل عن ثأر أبيه فأطلق المدير سراح الخمسة الباقين.



## «عَلِيْذِوة»

هم أبناء علي بن إدريس بن أكد بن ناصح.

يتولى عمودية هذه القبيلة اليوم الشيخ إدريس بن أكد، وقد استقل الشيخ علي ببعض القبائل من البجة وأنشأ البدنة المذكورة، وسميت باسمه. ولقلة تعدادهم عن سائر النابتاب لم ينالوا شهرتهم.



## «عد شِقْلِي» Shigli

يطلق هذا الاسم على البدنة التي أنشأها همد دسي Dasey بن موسى بن إدريس بن أكد بن ناصح. وقد انقرضت قبل المهدية ولم يبق منهم أحد.



## «عد عمر»

كان أحد شعرائهم يرعى أبقاره على سواحل عقيتاي بمنطقة العجيلاب فرساً في راس كسار عنخة (سنبوك) محمد بك الشناوي سردار سواكن وهي عائدة من البصرة محملة بالعجوة، فاشترى القبطان بقرة من الراعي (خميس)، فكانت كثيرة الشحم. فتعجب منها البحار الصغير «علي نَدَلاَي» من الأفلندة، وجاهر برأيه في اللحم والشحم. فقال خميس يمدح أبقاره واختيار المراعي الطيبة لها فأنشد[1]:

«دريت ولت عد عمر الأبَلاَّ نَدَلاَيْ».

(قل يا ندلاي الآتي لبنت عد عمر دريت «السوداء».

«عِرِمْرِيتُ سِتَادا إِتِبْ ميبو وملوايْ».

(طويلة العنق ليس فيه تجاعيد أو قصر).

«حَانَا قرورة أي تورد كَبِدْ جِبَرْ بِدُحْ ونقايْ».

(أبقارنا لا ترد بقرورة مثل أبقاركم في زحام مع أبقار أخرى).

«وحانا قليل إي تِبَلِّيْ ولقرده لتَبْلايْ».

(ولا تأكل التمام أو عروقه المغروسة في الأرض).

«مسكب بَنَّ نَأَتِّي بها إجِلْ تيفيد من نُوَايْ».

(نرعاها في مكان ناء عن غيرها حتى تستفيد من المراعي).

«دريت دريني سبكي أجل قِدِيتْ ويلأَيْ».

(يا دريت اهبطي إلى السهول من الجبال خلفي لشراء الملابس والعطر).

---

(١) أولها: «بل بيلا اب برق ليليت من رأس أم عباي» (بدأ البرق ليلة أمس من رأس أم عباي من جبال عد عمر).

وهي قصيدة طويلة ضاع أكثرها، وكان هذا السنبوك قد كسر على الشعب في سنة ١٣٠٠هـ.

فردّ ندلاي على خميس وقال له: ما اسمك يا ابن عد عمر؟ قال له: اسمي خميس، فقال له: اسمع قصيدتي رداً على قصيدتك[١]:

«دريت كيفتو مَسْكَبْ سلم دِيبَ وَخَميسْ».

(دريت تسكن في القيف (سواكن) فسلم لي عليها يا خميس).

«حَمِس حَمِسْ فَدْ قبوتات من دهب مِلْئِتَّ وسِرْحبت».

(في كل من أذنيها خمسة تلالات ذهب وكلها مملوءة بالمصاغ).

«ولاَدْ أَبتَّحْت تَحاسِسْ طَدَا رَأْسَ وقَدِيثْ».

(تدهن شعور الشبان بالودك والعطر الناشف)[٢].

«حَانا وحَاكَمْ ديب حد عودل إيكُونْ وخميس».

(لا يمكن التعادل بين أبقارنا وأبقاركم يا خميس).

«حاكم سنيت إي تَامِّرْ أَمْبَل دباط هَرَدِّيثْ».

(أبقاركم لا تعرف المعاملة الطيبة غير ضربها بالخشب).

«وحاكم مَهسَيْ إي تَأَمِّرْ أَمْبَلْ وذْحي كم طَليثْ».

(إن أبقاركم لا تعرف أكل المراعي طوال الليل إلا في الضحى مثل الغنم).

«بَرِّقْ بيت أَفخارِينْ من رأس حناقيثْ».

«مَثْبَايِي ضرار ود عجيلتُو ومثبايي أورو أَبْ نَصْرِيثْ (نصره)».

---

(١) أولها: «بل بيلا اب برق ليليت من رأس حناقيت» (بدأ البرق يلمع ليلة رأس جبل حناقيت).

(٢) مثل المحلب والريحان هندي والحمبوك والجوز «الضريرة» وقال: «كلئوت حوجب قرونام وكلي ملتح شمليت» (لها حاجبان مقرونان كما لها خدان ممنوعين وناعمين).

(شيخي هو ضرار بن عجيل ويليه ابنه أبو نصريت أي علي بن ضرار).

«ثم كرر قوله: بل بيلا أب برق من راس حناقيت».

(لاح البرق في أفخارين (سهول العقيق) من رأس جبل حناقيت).

«من عين وعَيْلقة ومن دَبِرْ يمانِتْ».

(وأبرقت وديان عين وعيلقة وكذا جبل يمانيت).

هذه المحلات تقع بين توكر والعقيق.

ثم ذكر في أشعاره شجاعة أبناء العجيلاب ودفاعهم المجيد عنها ورحيلهم معها في الصيف والحرور.

ومن شعراء عد عمر رجل اسمه «إدريس» ويلقبونه اسم «أكنْ دُولي» أي سيىء الخلق، كان ينقش على الحجارة كثيراً من الرسومات كما يضع اليوم الرشايدة نقش وسم إبلهم على كل حجر يرعون حوله مؤملين ملكية ذلك المحل يوماً من الأيام. وهذا محال ما لم يختلطوا بالبجة وينصهروا فيهم كما فعل إخوانهم بالاندماج في الحباب بإرتريا.

واستمر الهجاء بين أَكي دولي وتكوش بن مندر (بعشو) زمناً طويلاً ولكليهما أشعار.

❋ ❋ ❋

## «الشيخ إدريس دقلل حامد بك»

انتهينا من قبائل بني عامر التابعة لحكومة إرتريا، والآن نبدأ بقبائل بني عامر التابعة لجمهورية السودان، ولغاية سنة ١٨٩٦م كانت تابعة للسودان كل هذه القبائل، بل وكل بلاد إرتريا والصومال كانت جزءاً من السودان وفي أواخر سنة ١٨٧٢م عين الخديوي إسماعيل باشا مسنجر باشا السويسري حكمداراً لشرقي السودان، كما عين أحمد باشا ممتاز حكمداراً لباقي

السودان فأصبح كل من الحكمدارين يتلقى تعليماته رأساً من القاهرة، ولم يعش هذا البتر أو الانفصال أكثر من ثلاث أو أربع سنوات، فقتل الأول في سنة ١٨٧٥م، ومات الثاني بعد اعتقاله بسبب الرشوة حوالى سنة ١٨٧٥م[١]، فرجع شرقي السودان إلى القطر حتى كان الاحتلال الإيطالي لإرتريا سنة ١٨٨٤م فبدأت عملية بتر أوصال القطر الواحد.

وبعد أن فتحت جنود الاستعمار توكر سنة ١٨٩١م[٢] عين محافظ سواكن الجنرال هولد اسميث باشا الشيخ إدريس دقلل حامد ناظر على قبائل بني عامر بتوكر وضواحي العقيق[٣]، وكان معه عمدتان هما الشيخ ضرار علي ضرار (عمدة العجيلاب والأفلندة)، والشيخ أكد موسى عمدة عد هاسري وغيرهم. وفتحت ميناء العقيق للتجارة وانتعشت الحالة الاقتصادية ووردت المواشي بكثرة هي والحبوب من اليمن، وعادت قبائل كثيرة من إرتريا وخور بركة، وكان الهدوء شاملاً كل مناطق السواحل، وبعض الجهلاء لا يزالون يحلمون بانفصال شرق السودان التي استنبطت لمسنجر باشا وانتهت بوفاته سنة ١٨٧٥م[٤].

❋ ❋ ❋

## «الشيخ إدريس دقلل حامد»
## «ناظر بني عامر السودان»

لم يكن لبني عامر منذ أيام دولة الفونج إلا لقب «دقلل» الذي استبدلته الحكومة التركية (محمد علي باشا) بلفظة «ناظر» التي كانت تطلق أيضاً على

---

(١) كان اعتقاله سنة ١٨٧٣، وتوفي سنة ١٨٧٥م وفي عهد حكمداريته قسم الخديوي إسماعيل السودان قطرين «السودان والسودان الشرقي إرضاء لخاطر مسنجر باشا حكمدار الأخير.

(٢) نقل الأمير عثمان دقنة معسكره إلى مدينة «أدار أمة» على ضفاف نهر أتبرة.

(٣) كانت كسلا وضواحيها تابعة للأمير حتى احتلها الطليان.

(٤) تبدد هذ الحلم باحتلال إنجلترا للصومال وإيطاليا لإرتريا ثم انضمت لأثيوبيا، واستقل السودان بشرقه وغربه وشماله وجنوبه.

«وزير» ويسمى رئيس الوزراء «ناظر نظار»، ويتولاها شخص واحد في عموم القبائل المنتمية إلى مؤسس واحد مثل «شكِير» (جد ناظر الشكرية) وعَمّار (جد ناظر الأَمَّارْأَرْ)، وبَشَّار جد ناظر البشاريين، وعامر جد ناظر بني عامر، وَهَدْأَ جد ناظر الهدندوة. ولما أخْلت الحكومة المصرية القطر السوداني في يناير سنة ١٨٨٥م تولّى إدارته بنوه، فكان أمير هذا الإقليم أمير الأمراء «عثمان أبو بكر دقنة» الذي لم يغير شيئاً في المناصب أو في أصحابها، بل كان يسير كعادات القبائل، وقيد رؤساءها بعهود ومواثيق كي يكونوا يداً واحدة ويدفنوا الضغائن والأحقاد، ويستقبلوا عهداً جديداً هو عهد المودة والإخاء والعفو عن كل ما مضى. فلغى الدماء السالفة وصلح بين أصحابها، ومنع الخرافات والبدع والعادات المخالفة للكتاب والسنة، وجعل لكل قرية إماماً للقضاء وتعليم الأهالي الفرائض والسنن[1]، فلما دالت الدولة الوطنية انقسم هذا الإقليم بين حكومتي السودان والإرتريا، وأصبحت أكثرية قبائل بني عامر العظمى تابعة للحكومة الأخيرة وصارت دقة دقلل ودقة الشيخ حامد ودقي كنتيباي تابعين لإرتريا بحكم تبعية أراضيهم، وبقي الجزء الضئيل للسودان[2]، فكان فيه الشيخ إدريس دقلل حامد بك منذ سنة ١٨٨٨م حتى كانت وفاة دقلل همد بن محمد همد على يد الأنصار سنة ١٨٩٠م فوصلت البشاير إلى كسلا بانتصاراتهم على سكان دقة دقلل.

ووصل الأمير عثمان دقنة من البقعة[3] في نفس يوم الأنباء. قال الشيخ إدريس دقلل «فجئت إلى الأمير وسلمت عليه، ثم طلبت منه أن يكتب لي خطاباً إلى الخليفة عبدالله كي أسأله العفو عمن أسر من أهلي بالدقة واستلام كل ما غنم وسلب منهم خصوصاً النقارات الأثرية والمواشي» فأعطاني الأمير الخطاب وأخذت آخر من الشيخ محمد بن الطاهر المجذوب

(١) أهم حاجيات قرى بادية البجة هي إمام راشد يرفع الأمية وينصح الأمة إلى طريق الهدى والرشاد ومحاربة الخزعبلات.

(٢) استحسنت أغلبية المديريات المجاورة للسودان مثل أغردت وكرن ونفقة الانضمام إلى أثيوبيا بدلاً من السودان.

(٣) سماها بذلك المهدي (البقعة المباركة).

إلى الأمير يعقوب (أخ خليفة المهدي وصاحب الراية الزرقاء)، وبحثت عن قافلة تؤم البقعة كي أسير فيها، وبينما أنا في تلك الحال جاءت أنباء أخرى من إرتريا بأن أخي دقلل الحسين أدرك جيش الأنصار بالفرق الوطنية واسترد منهم كل ما غنموه من دقة دقلل. فرأيت ألا داعي للسفر، وعدت إلى الأمير والشيخ محمد وسلمتهما الْجوابين لعدولي عن السفر وبعد أيام دعاني الأمير إليه وأعطاني خمسين ريالاً وأعطى عشرة للشيخ أحمد حِنْجِير[1] وقال لنا: قوما معي إلى توكر لأننا سننقل المعسكر إليها وتبقى كسلا قرية صغيرة. فلما وصلنا توكر تسلمت راية بني عامر وأرسل الأمير عدة خطابات لمشايخ بني عامر المجاورين لسهول رحيب وقرورة أمثال الشيخ ضرار علي ضرار والسيد الأمين[2] عمر محمد والشيخ أكد موسى همد والشيخ إدريس محمد إدريس. وهذه الخطاباب أرسلت مع الشيخ حامد حسن (ناظر الكميلاب)، وذكر لهم الأمير أنه أصبح صاحب السلطة المطلق التصرف في هذا الإقليم، وأن الأمراء الذين سببوا الخلافات عزلوا من هذه الأنحاء ورحلوا إلى جهات أخرى في السودان لجهلهم بلغات أصحاب البلاد وعاداتهم، ونشأ من ذلك ارتباك في الإدارة، ووقع بينهم وبين القبائل قتال عنيف فتفرقت قبيلة هاسري في الجبال بعد سفر الأمير محمد عثمان أبو قرجة. وكانت واقعة بلاتات صدمة عنيفة للأمير أبو عاقلة، فإن القتال استمر بينه وبين العجيلاب ليلة كاملة بقيادة عميدها الشيخ ضرار علي ضرار[3]، فأكرم المشايخ الشيخ حاج حسن جداً وأعطوه هدايا كثيرة وردوا على جوابات الأمير بالقبول والعودة إلى منازلهم في زمن الشتاء.

---

(١) قال الشيخ إدريس حال وصولنا إلى توكر: اختفى أحمد حنجير ودخل مدينة سواكن خلسة ومنها سافر بالسنبوك إلى مصوع وهنالك قبض عليه وأرسل إلى سجن عصب وفر منه إلى داخلية الحبشة وفيها سكن وتوفي وله ذرية بها.

(٢) مشايخ قبائل عجيلاب ـ عد الشيخ حامد ـ هاسري ـ بيت معلا.

(٣) قيل: إن السردار أوصاهم بأن لا يتبعوا الأمير إذا ما عاد إليهم، فطلبوا منه أسلحة نارية، فأعطاها لهم وجعل لبعضهم مرتبات شهرية زالت بعد اعتقال الأمير سنة ١٩٠١.

ولكن حدث ما ليس في الحسبان إذ تم فتح مدينة توكر في يناير ١٨٩١م ونقل الأمير عثمان معسكره إلى «أَدَارْأَمَة» بنة وأتبرة وقدم أهل توكر الولاء للجنرال هولد اسميث باشا (محافظ سواكن)، وهذا أمر محمد بك عبود (مأمور العقيق) كي يهجم على عَدُوبَنَة التي كانت بها أسواق لتجارة الرقيق والتهريب.

وفي يوم **٢٣** فبراير **١٨٩١**م طلب غرانفيل باشا (سردار الجيش المصري) كافة نظار القبائل والعمد والأعيان[١] كي يحضروا إلى سواكن لاجتماع هام في يوم **١٨٩١/٣/٨**. وسافر المحافظ ومعه الشيخ إدريس دقلل عن طريق البر[٢] إلى العقيق، فلما وصلوها وجدوا في أسر محمد بك عبود سبعة عشر تاجراً من أهل مصوع، وبعض الحجازيين الذين كانت لهم تجارة واسعة كانوا على وشك ترحيلها إلى الأمير بتوكر[٣]، وفي ثاني يوم وصولهم عثروا على قطيع من الرقيق يسير محازياً للجبال في طريقه إلى ميناء رارات (تَكْلاَيْ) للعبور به إلى الضفة الشرقية من البحر الأحمر، وصودرت جميع هذه الأشياء، واقتسم المستخدمون الرقيق بعد نقله إلى سواكن. وفي سنة **١٨٩٢** عين هولد اسميث باشا الشيخ إدريس دقلل حامد بك محمد ناظراً عاماً على كل قبائل بني عامر بحضور الشيخ ضرار علي ضرار والشيخ أكد موسى همد[٤] والشيخ إدريس محمد إدريس، فوافقوا جميعهم على نظارته. وسارعت القبائل

---

(١) وكان معهما إبراهيم باشا رفعت بفصيلة من الفرسان المصريين.

(٢) أرسل الأمير سبعة وثلاثين جملاً لترحيل البضائع.

(٣) في سنة **١٩٠٣** شاهدت محمد بك عبود ومعه قوة من البوليس خارجاً من سواكن، ثم عاد بعد أسبوع ومعه نحو مائتين من الرقيق أتى بهم من ميناء الشيخ برغوت «بورتسودان اليوم»، وقد هرب بالسنيوك الذي أحضره النخاسون لتهريبهم إلى الحجاز، كما اختفى التجار الذين أحضروهم من داخلية السودان عن طريق بربر ثم بادية الأمارأر، ثم فرقوهم كالعادة على الموظفين إذ لا يوجد طريق يمكن إعادتهم منه إلى أهليهم. ولم يقبض بعدها على أي رقيق إلا أفراد وخصوصاً بعد وصول سكة حديد النيل ـ البحر الأحمر.

(٤) حضر جدي الشيخ علي ضرار عجيل هذا الاجتماع معتذراً بشيخوخته وأنه قد أوكل ابنه الأكبر «والدي» فقبله المدير.

النائية بإرتريا والجبال بالعودة إلى العقيق. وفي تلك الأيام هطلت أمطار غزيرة، فازدادت القبائل تفاؤلاً بنظارته وأخصبت السهول والجبال وحسنت المرعى، واخضرت الأودية وفي سنة ١٨٩٨م أراد الله أن لا يتمتع (بني عامر) بهذا الناظر السعيد إذ كتب عليه أن يستشهد على يد أحد الأشقياء الذين لفظتهم بلادهم. وأنكرت جريمتهم قبائلهم حتى اختفى عن الأعين[١].

وأما كيفية قتله فإننا نوردها كما سمعناها من ياورة الذي كان مرافقاً له (إدريس جرط) قال: خرجت من العقيق مع الناظر ومعنا الشيخ هِمَّدَايْ ابن حاج حسين (عمدة سنكاتكنات) إلى جبل[٢] سَرُوبات للاستراحة في منازل القبيلة المذكورة شهراً لأن شدة الحر وأعمال القبائل ومشاكلهم أتعبت الناظر. فبتنا ليلة بالقربة ثم سمعنا أن جيش الأمير عثمان دقنة قريب منّا، فأمر الناظر كل القبائل التي حول سروبات كي تهرب حالاً من وجه الغزاة. فامتثلت لأمره وهرب كل امرئ بأهله ومواشيه ولم يبق في الدمنه[٣] إلا الناظر وإذا بالخيل تحيط به، فاستل حسامه ووقف في انتظار من يتقدم لنزاله منهم. فأطلق عليه أحد أفراد العصابة عدة رصاصات أصابته إحداها في قلبه فتوفي لساعته. ثم سلبت العصابة سيفه وفروته. قال إلياور: لولا وقوع عين الناظر على امرأة مرضع عجزت عن إدراك الهاربين وصراخ جنينها لسلم من الخطر. ولكنه أركبها حماره فمنعته من النزول من حماره، فقال لي: إنها مسكينة، فقلت له: إن القوم أدركونا. وهممت بالفرار، فقال لي: سلمني البندقية. فلم ألتفت لقوله، وأطلقت رجلاي للريح حتى وصلت العقيق وبلغت خبر وفاته للشيخ إدريس أكد إبراهيم رئيس البوليس، فلم يكترث لقولي لأنه لولا الحزازات التافهة بين الهاسريين وأبناء دقلل لما تأخر عن نجدته أحد ولأخذ بثأره ممن قتله.

---

(١) هو رجل من قبيلة الحمران الأرتيقية.

(٢) في سنة ١٩٠٩ حضرت الواقعة التي دارت بين السنكاتكناب والهاسريين كان النصر فيها حليف الأولى، ولكن بعد مجيء قبيلة الفاضلاب «عد فضل» ولم ينتصروا.

(٣) قال لي محمود كرجو: إن أهل العقيق يلامون لتقصيرهم يوم وفاة الناظر إذ لم يتحرك مع ياورة إلا موالي دقلل، وهؤلاء حملوا الجثة إلى جبل أنقا «عنقاء» حيث دفنت.

أما العصابة، فإنها بعد قتله عثرت على أغنام كثيرة، فاستاقتها أمامها بعد أن أثخنت راعيها بعدة جراح. وذهب قسم من العصابة إلى قرية الأشراف وغنم أبقاراً من عد عمير وعد هاسري. وأقامتا في شِعْبَتْ يومين ثم سارتا في طريق خور بركة، فاقتفى أثرهما الشيخ موسى حمد محمود[1]، والشريف همد محمد همد أبو فاطمة الحسيني[2] وكل ذي مروءة ونجدة[3] ممن كان بتوكر من الشجعان، فأدركوا العصابتين في «لِئويْ» بقرب هَرْبَقَادْ مجتمعين. وكانت هناك محطة بوليس برئاسة الشريف أوشيك أوتكول. فدار بينهما حديث على تسليم كل شيء للشريف، فرفضت العصابة وأقسم هو على قتالها. ثم تبادلا إطلاق الرصاص حتى حال الليل بينهما وهربت العصابة تحت جنح الظلام بعد أن خسرت بعض رجالها وخيلها وجمالها.

كان الشيخ إدريس دقلل مشهوراً بالصلاح والتقوى، وهو شديد الورع حسن الخلق. وهو أول ناظر (بني عامر) أدى فريضة الحج مع أخيه الشيخ محمد عثمان دقلل، وبعد عودتهما من الحجاز جعلت الحكومة مرتباً شهرياً لهما سنة ١٨٨٩م حتى كانت سنة ١٨٩٠م، فأمرت الشيخ إدريس بأن يذهب إلى توكر ويمنع قبائل بني عامر من متابعة الجهاد مع الأمير عثمان دقنة. فامتنع عن مبارحة سواكن، ولكن فهم من الأهالي أنه سيعتقل إذا لم يخرج منها، فخرج ووصل توكر، وإذا به بين لفيف من الرقباء، فقابل الأمير وقال له: «أنا أرفع من أن أتجسس. ولكن حكومة سواكن كثر عليها ما تصرفه علي شهرياً فأقصتني عن المدينة بلطف، ففهمت مرادها، فخرجت، لأن وجود قبيلتي بين رجال جيشك لا يبرئني من التواطؤ معك، فثق أنني لن أخون الأمانة والعهد الذي بيننا لنيل مرتب الحكومة التافه. وتمثل بقول الشاعر العربي:

---

(١) عمدة عد عمير وهاسا توكر.

(٢) هو الذي حمل الأمير محمد فاي دقنة لما سقط شهيداً من جواده يوم واقعة المشيل بسواكن، وأوصله إلى هندوب ومعه السيد حاج يعقوب.

(٣) بعد مقتل الناظر قاتلت العصابة الشيخ حسين عبدالقادر عميد الكميلاب فهزمها وقتل ثلاثة من رجالها وغنم خيولهم.

وفيت وقد جزيت بمثل فعلي ... فها أنا لا أخون ولا أخان

فوثق منه الأمير وسلمه قيادة قبائل بني عامر. وقبل الفتح بأيام أرسلت مخابرات سواكن خطاباً باسمه تقول فيه: نوصيك بأن تقوم بما عاهدتنا عليه من خذلان قبائل بني عامر عن مناصرة جيش الأنصار. وقع الخطاب في يد الأمير فاعتقل الشيخ إدريس دقلل تحت المحاكمة التي لم تتم لأن الفتح سبقها.

وكثيرون من نظار ومشايخ وعمد إقليم البجة قتلوا بمثل هذه الخطابات المزيفة التي كان يرسلها المستعمر للإيقاع بين أهل البيت الواحد. وتم إعدام الكثيرين بسبب هذه الوشايات من الأَمَّارْأَرْ والكميلاب والهدندوة وبني عامر وغيرهم، وكان غرض المستعمر من تزوير هذه الخطابات إظهار هؤلاء الزعماء بمظهر الخيانة ليعدموا قبل استيلائهم على البلاد ليسيروا الوطنيين كيف شاؤوا، ويأتي جيل لم يتمتع بالحرية والاستقلال فيتمشى مع أهوائهم ويكون قد بذر بذور الشقاق بين أبناء البلد الواحد، وينفضون من حول أميرهم شيئاً فشيئاً. وفعلاً هذا الذي حدث. وبعضهم لجأ إلى الحكومة بسواكن واستكتبتهم خطابات لإخوانهم الذين مع الأمير[١] وبعض أهل أغردت يتهمون عموم الهاسريين بالقنوب إذ لم يرسلوا عصابة خلف الذين قتلوا إدريس[٢]. وهؤلاء يتنصلون منها ويقولون: إن الشيخ همداي حسين كان يعلم بوجود العصابة وهو الذي اتفق معهم على إخراجه من العقيق ثم قتله وحيداً. ويزيدون على ذلك قولهم: إن السنكاتكناب هي التي قتلت قبله عمه دقلل علي بكيت بك. ومن مناقب الشيخ إدريس التي لا ينساها أهل العقيق كرمه الحاتمي إذ كان لا يحتفظ بشيء من النقود أو المواشي أو سائر الهدايا كالسمن والعسل وجلود الفهود فقد كان يوزعها على أهل المنازل

---

(١) الحقيقة هي أن المخابرات تولت ذلك بدون علم من الناس.

(٢) يوجهون التهمة للشيخ أكد موسى، ولكن هذا لما رحل إلى إرتريا بعد سنة ١٨٨٨م مات جميع رجال عصاباته هناك في «حبوب» ولم يجد من يستمع كلامه إلا أبو بكر قالع، وهذا اجتمع به بعد هذه الحوادث «ذكرنا حوادثه في الحباب».

بالترتيب حتى لا يحرم من عطاياه بيت ولو صغير، فإذا أتم المنازل استأنف الإهداء من أول منزل إلى الآخر، ولذلك كان بكاء أهل العقيق عليه كثيراً جداً.

ولولا أن المنية عاجلته لما أدرك غباره أحد في التقوى والوفاء والجود والإخلاص والأمانة وسلامة الطوية رحمه الله رحمة واسعة.

وقد خلف من الأنجال الشيخ صالح إدريس وحامد ومحمد وكلهم في منتهى التقوى.

وقد أحضر الناظر لبنيه معلماً أتموا الدراسة على يديه كي يعلمهم القراءة والكتابة ثم الفقه في الدين وبزوا أقرانهم في ذلك.

وهؤلاء الثلاثة كانوا ولا يزالون الحي منهم في منتهى الجود والكرم ودماثة الخلق ـ تكاد أن تكون هذه الأخلاق الفاضلة في عموم ذرية دقلل حامد بك محمد ـ ويتمتعون باحترام كل القبائل.

***

## «الشيخ صالح إدريس دقلل»

هو ثاني ناظر لقبائل بني عامر السودان بعد المهدية تحت إشراف عمه الشيخ محمد عثمان بن دقلل حامد الذي كان (محمد عثمان) مقيماً بسواكن. فلما سمع بمقتل أخيه إدريس حضر إلى العقيق ومعه المستر بِرْجِسْ المفتش الإنجليزي، وبعد تحقيق قصير في أسباب مقتل الناظر إدريس قرر أن يكون الشيخ صالح خلفاً لوالده بالعقيق، والشيخ محمد عثمان وكيلاً له في كسلا. واستمر بها الأخير حتى كانت وفاته سنة ١٩١٠م، وخلفه ابنه محمد صالح، وهذا توفي فخلفه أخوه الشيخ إبراهيم محمد عثمان في كسلا. ولم يحدث في أيام الشيخ صالح إدريس ما يستحق الذكر إلا قتال سروبات بين قبيلته والهاسريين. وتوفي الشيخ صالح إدريس في سنة ١٩١٤م.



الجالس في الوسط هو الشيخ إدريس صالح دقلل ناظر قبائل بني عامر بالسودان، وهو هنا بملابسه الرسمية ولكنه اختلف مع موظفي الحكم الثنائي من الإداريين الإنجليز فأعفي من منصبه رسمياً سنة ١٩٣٩ ، ولكن ظلت مكانته باقية في نفوس أبناء قبيلته فمنع الإنجليز دخوله إلى أراضي بني عامر وحددت إقامته بين كسلا وبورتسودان وسنكات حتى توفي سنة ١٩٥٦م
(الصورة أهديت للكتاب من الأستاذ كامل يوسف)

## «الشيخ إدريس بن صالح»

تولَّى نظارة بني عامر حسب تقاليد القبيلة بعد وفاة والده ولبث فيها حتى سنة **١٩٣٩**، فقدم استقالته فقبلت. فخلت القبيلة من الناظر، لذلك ظهر في المسرح حامد عثمان أكد موسى ليكون محصلاً لحين تعيين ناظر للقبيلة. وهذا الشيخ حامد، ولكن للأسف، إنه عزل شر عزل من منصبه بعد قليل لأن يده امتدت إلى أخذ تموين القبيلة في السكر والملابس والبن، وهذا التلاعب في تموين القبائل خصوصاً الأفلندة جلب عليه كل المصائب إذ اختفى عن أعين الناس. وتوفي الشيخ إدريس صالح بكسلا في فبراير **١٩٥٦** عليه رحمة الله.

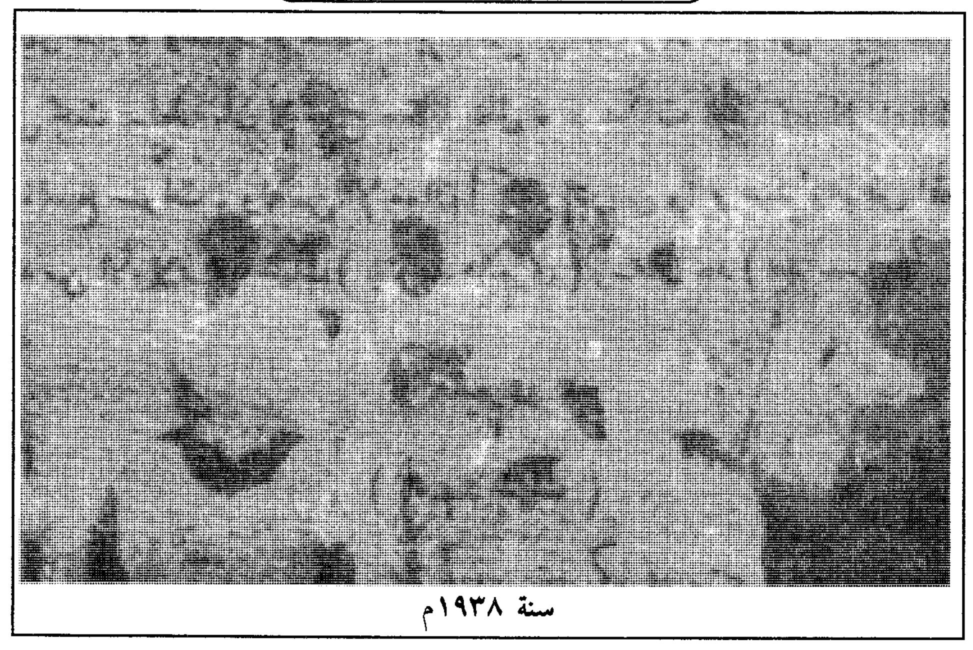
❋ ❋ ❋

## «الشيخ إبراهيم محمد عثمان»

تولَّى نظارة بني عامر في مديرية كسلا عقب استقالة ابن أخيه (إدريس صالح) في سنة **١٩٣٧**. وبعد عدة محاولات لنقل النظارة من بيت دقلل تشبث العمدة محمد ضرار علي بأن لا يكون هناك وكيل أو غيره إلا بعد تعيين الناظر إبراهيم. وكان آخر اجتماع حضره المدير (المستر كندي كوك والمستر لي، في عَيَتْ تقرر فيه تعيينه ناظراً على عموم قبائل بني عامر كسلا والبحر الأحمر.

❋ ❋ ❋

## عد هَاشْرِي Hasri
## (نابتاب السودان)



سنة ١٩٣٨م

١ ـ الشيخ إبراهيم محمد عثمان دقلل حامد.

٢ ـ السيد محمد إبراهيم عد الشيخ.

٣ ـ الشيخ إبراهيم أبو جميل العجيلابي.

٤ ـ الشيخ علي إدريس أكد.

٥ ـ الشيخ عثمان موسى أكد.

❋ ❋ ❋

## «عد هاشْرِي»

أما أبناء هاسري هم ذرية الشيخ علي بن ناصح الذي جلس على كرسي نظارة بني عامر[1] (مِلِك) خمسة عشر عاماً، ويلقب بالشيخ علي

(١) اقرأ نظار بني عامر فيما سبق إذ ذكرنا نتفاً من أعماله.

عَكَّسَة. وكان صارماً وشديد الأحكام، مجرداً من الرأفة. وقد حكم على جميع القبائل التي تحت سلطته بأن لا تبرح مكاناً يقال له: «عَكَّاتْ نَأَفْ Akkat Naaf» لمدة سبع سنوات. وله من الإخوان أكد وإدريس وأبو سعد وعوض الله. وله من الأولاد همد شيك (جد عد هاسري) وسلمان جد (عد حسن)[١].

❋ ❋ ❋

## «هاسري» (همد شيك)

بعد زوال النظارة من علي عكسة وافق دقلل على أن تكون لابنه همد شيك عمودية الذي تزوج بنت عميد البَلَوْ في جهات العقيق يسمى الشيخ عيسى درهيب، وقبره ظاهر بغرب مقابر العقيق ورزق منها إدريس وعالياي[٢] وعمر جور[٣].

❋ ❋ ❋

## إدريس همد شيك[٤]

تولَّى العمودية بعد وفاة والده، وتزوج بابنة دقلل أكد بن دقلل إدريس، ورزق منها ولداً واحداً هو حامد، وله من غيرها إبراهيم الذي توجد ذريته في عد بِيلي بخور بركة، وعلي وناصح، وسلمان[٥]، ولما توفي إدريس اقتسم بنوه العربان (التي هي العادة من قدماء البجة).

---

(١) استفينا تاريخ عد هاسري وأكثر النابتاب من عمنا الشيخ همد نور علي ضرار ومحمد أكد نصور ومحمد موسى همد.

(٢) لم يعقب.

(٣) له ذرية واشتهر ابنه محمد بالشجاعة والشهامة وتوفي بجهة «طقت» وخلف ابناً اسمه موسى كان شاعراً باسلاً.

(٤) صوابها شيخ ولعدم وجود حرف الخاء في التيجرية والبجاوية تقلب «ك، كاف».

(٥) أمهم من عد عمر وليس للآخيرين عقب.

## «هاسري»
## (حامد بن إدريس)

بعد وفاة إدريس، عَيَّن دقلل ابنه حامد خلفاً لأبيه، ولكن حامد زهد في الوظيفة واشتهر بالتقوى وانقطع للعبادة وترك إدارة القبيلة لابنه الشيخ هاسري (إدريس) الذي تسميت العمودية باسمه. وتوفي الشيخ حامد بعدوبنة ولا يزال قبره ظاهراً هناك. وله من الأولاد إدريس وهمد وناصح وهُومات Howmat[1].

❋ ❋ ❋

## «إدريس هاسري بن حامد»

ولد في سنة ١٠٢٠هـ، فاهتم بشؤون القبيلة لما أنس في والده الزهادة في الدنيا. وأمر الشيخ هاسري كل من يقيم في سهول عدوبنة أن يكون تابعاً له ولقبيلته لأنه لا يسمح لغير عشيرته أن ترعى في بلاده. فامتثل كل المقيمين لأمره وخضعوا لسلطته حتى أصبحت قبيلته كبيرة جداً، وتألفت منها أكثر من عشر حصص سنأتي على أسمائها وأسماء مشايخها في النهاية.

ورزق هاسري ثمانية أولادهم: همد وعبدالله وأكد وعمر شُلُخْ (ضعيف) وعلي وعالياي وموشاي (اسمه علي الثاني) وحامد بيلي. وكان يقال: إن الشيخ هاسري هو من الأفذاذ الذين توفرت فيهم الشهامة وحب الإصلاح مع ميل لحسن السمعة الحسنة وحب السلم. وهذه الخصال هي التي ساعدته لجمع العربان تحت عموديته. ومما يروى عنه أنه لما عاد من مصيفه بخور بركة ووجد قرية كبيرة قد سبقته ونصبت خيامها محل مضارب

---

(١) قتلته قبيلة عد عمر عند جبل «ود دهرا» وانتزع أخوه إدريس أبناء فقيراي من عد عمر انتقاماً لأخيه وهم فرع من «أبحشيلا»، واليوم تحرروا من سيطرتهم وأصبحوا مع إخوانهم عمودية كبيرة. وعاش حامد إدريس نحو ١٢٠ عاماً.

خيامه فسأل عن اسمها فقيل له: هؤلاء هم «عَدْ جَامِع». فأمر قبيلته أن تخيم حولها وضم إليه شيخ القبيلة. وكان من بقايا البَلَوْ الذين هربوا بلفيف من البجة بعد واقعة «أَسَرَمَ دِيرهيبْ» واشترط هاسري على الشيخ جامع أن يقدم إليه صدور الذبائح بدلاً من أن يأكلها (جامع) فامتثل[1]. هو وأهله لذلك.

ولم تكن أيام هاسري تخلو من بعض مشاجرات بين قبيلته وأبناء عمه (عد عمر). لأن القبيلتين كانتا متجاورتين، فلم يسلم رجالهما من المنافسة والمشاكسة. ونزع من الحماسين بعض عائلات من أبحشيلا وموشُّة وضمها لرعيته.

قال محمد أكد نصور: إن الشيخ إدريس هاسري ولد سنة ١٠٢٠هـ، وناب عن والده في سنة ١٠٥٠هـ.

❋ ❋ ❋

## (همد هاسري)

عقب وفاته تولَّى وظيفته ابنه «همد هاسري حامد» ويقال: إنه أول عمدة (من النابتاب) كساه الشيخ حامد بن أحمد نافعوتاي ثوب العمودية وقدم إليه لبناً فشرب منه، ثم ناوله ثلاث حبات من الذرة كي يذوقها. وسار بنوه على أثره كلما حضروا تولية ناظر أو عمدة من بني عامر أو العجيلاب أو الحباب أو الحماسين عملوا الطقوس التي عملها جدهم الشيخ حامد.

وفي أيام الشيخ همد المذكور قتلت قبيلة بيت معلا أخويه أكد وعبدالله وخالهما هَبُوسيتْ فضم إليه بعضاً من عائلات القاتلين (تجد ذلك موضحاً في حماسين (بيت معلا) أيام شيخهم إيتدكل بن حمد حسال). ومن عادة

(١) لم يبق من هذا الرهط اليوم أحد بل انقرضوا.

النابتاب أن يستعبدوا قاتليهم من البجة أو التيجري أو الحماسين[١]. وأما إن كان عربياً فإنهم يقتلونه بثأرهم[٢]. وأقل عدد يستعبد من أهل القاتل لا يقل عن عشرة أشخاص بأهلهم وذراريهم، وربما استعبدوا عائلة بأكملها أو قرية برجالها ونسائها ومواشيها[٣]. وسمعت من الشيخ أكد موسى يقول: إن الرجل العربي إذا قتل رجلاً من البجة أو التيجري يغرم العربي نحو عشرين من الغنم، ولذلك تجد البجة دائماً في تقسيم بين أبناء النابتاب[٤] والعجيلاب وبيت أسقدة حباب، وبيت معلا، والبلو وغيرهم أمثال آل الشيخ حامد والشيخ محمد فايد.

وأمر همد هاسري كل أصحاب البقر أن يتفرقوا في المراعي لكثرتها، وقال: إنني سأسمي القرى التي تبقى معي «دقة هاسري» وهو اسم يطلق على المنازل الكثيرة التي لا تدخلها إلا الإبل، وأما الحباب فإنهم يسمون قراهم «دقي كنتيباي» وهو اسم لمنازل المزارعين للحبوب، وتدخلها البقر والغنم والضأن ودقة حباب ليس له إلا مركزين رئيسين، يمكث في أحدهما: أربعة أشهر وفي الثاني: ثمانية وهو محل الزراعة.

وهو أول من ألغى المصيف في خور بركة واكتفى بالمصيف في جبال «أَدُويَحَة» و«رَبَعْ» و«حَسْتَه» و«يَادِنْ». هذه المحال اليوم (سنة **١٩٢٥**) تابعة لحكومة إرتريا ولذلك اكتفى دقة هاسري بالمصيف في «عَرِيرِبْ» و«عَيَتْ» و«عَيْتَرْبة».

والشيخ همد بن هاسري هو أول عمدة سافر إلى سنار مع الشيخ

---

(١) أذكر أن أحد الألمدة أصاب هاسرياً في كسلا بحجر سقط عليه من دومة فأصاب أذنه فقتله، فرفع النابتاب هاسري قضية ضد القاتل وطلبوا تنفيذ عادتهم هذه وأيدهم الناظر السابق إدريس صالح واعترض المفتش الإنجليزي والمدير (المستر ريد فيرن Red fren، ولكنهما وافقا أخيراً ووقعا على وثيقة الاستعباد.

(٢) وهذا حالهم مع الهدندوة لأنهم عباسيون مثلهم.

(٣) كل مواشي النابتابي يعطيها لعربانه ويتحصل منهم السمن وسائر حوائجه.

(٤) حاربت هذه العادة مع المستر أندرو بول سنة **١٩٤٧**م مفتش توكر فنجحنا. وكان أول من وافق عمدة العجيلاب أخي الشيخ محمد ضرار علي.

جمع بن عجيل، ودقلل همد بن موسى، والشيخ حمد حسال، واحتفل ملك الفونج بقدومهم ولقوا إكراماً كثيراً من أبناء عجيب (وزراء الفونج) وسمع همد هاسري جماعة يضربون على الربابة وترين، أحدهما يقال له: (سَبَبْ) والثاني: «بيطَايْ» فطلب الأول لنفسه والثاني لجمع عجيل. فوافق الملك على إهدائهما لهما وصار هذان الوتران خاصين بهاتين القبيلتين[1]، وسنوضح ذلك في الأوتار. وبعد أن عاد همد هاسري إلى أهله أقام زمناً في راحة وهدوء، ثم توفي ودفن مع والده هاسري في «قُمْرُتَة سنة **١٢٤٠** (Gumrouta)». وخلف همد خمسة أنجال هم: موسى قِرْقِمْ[2]، وحامد جامبيل وناصح وأبسعد وأكد وحسن (أمهم من أبناء عمر) وتزوج من الشِّكرَابْ فرزق منها صالح وعلي بخيت ومحمود، وتزوج من الحباب (سَمَرْ عَرْعُورْ) فرزق منها حِجَّايْ ونور وأَرْبَدْ.

❋ ❋ ❋

## «هاسري»
## (الشيخ علي موشاي)

تولَّى المشيخة بيده بعد دفن والده، ولغياب أخيه موسى قرقم لم يجد من يعارضه فلما جاء موسى من عيينة اتفق إخوانه وأبناء عمه على طرده وعزله.

وكانت مدة عموديته قصيرة جداً، قيل: إنه لم يتم الشهر. وقد انضمت إلى أبناء هاسري أثناء عمودية الشيخ همد هاسري، وهي التي استجارت به من تهمه قتل[3] إخوانه فضل وبِهِيْر وموشا ومَغْلَايِتْ وبَعَشُّو وكِمِيل وناصر وسِلَّايْ وحماسين وإِنْدُولْ، وجعل على باقي قبائل معلا رسوماً سنوية من السمن والبقر في المرعى الخصيب وفي الأفراح وغير

(١) لكل قبيلة في إقليم البجة وتر خاص بها.
(٢) أمهم من الأفلندة.
(٣) قتله آدم بن عتول.

ذلك، فألغيت كل هذه الرسوم بعد مارس ١٩٤٧م وبعضها ألغى في المهدية سنة ١٣٠٠ (بعد واقعة عَيَت)، وقيل: إن والده همد هاسري كان معاصراً لدقلل علي بخيت بن همد بن موسى، وكذلك عاصر دقلل أولِّباب ودقلل حامد عوض. وفي أيامه حصل قتال هاسري وبيت معلا الأول[١].

❋ ❋ ❋

## «هاسري»
## (الشيخ موسى قرقم)

تولَّى العمودية بعد وفاة والده، وهو الذي سميت باسمه قرية عد موسى. وكانت منازلهم كثيرة جداً، وهي أكبر حصة في قبيلة هاسري. وبدأ خصومته مع جيرانه العجيلاب كراهية في عمدتها الشيخ ضرار بن عجيل، واتخذ تكروراي بن علي طالب عجيل صديقاً له. وكانت بينهما مصاهرة، ومراراً ما سافر موسى إلى دقة دقلل للقاء دقلل وطلب منه تعيين صهره تكروراي بدلاً من ضرار. وتأثر دقلل بميوله[٢]. وانتدب من يعين الشيخ تكروراي عمودية الأفلندة[٣]. فلما تولاها التبس عليه أمر تحصيل الزكاة، فتطوع خادم الشيخ ضرار واسمه «حميراي» ليطلعه على الطريقة التي كان يجبي بها المال من العربان فاطمأن له تكروراي، ولكن حميراي ضلله بقوله: إن العمدة يحق له أن يأخذ لبن بقرة من كل مراح أو خمسة أغنام سنوياً من كل قرية، وهذا بخلاف الزكاة التي تورد على يد دقلل وكان حميراي يستعين بستة من إخوان تكروراي في تنفيذ ذلك، فضجت الأفلندة من سوء تصرفاته لأنها لم تعتد ذلك. فسافر وفد مؤلف من عشرين رجلاً إلى دقة دقلل شاكين من استبداد تكروراي، فعزله دقلل ورد العمودية إلى الشيخ ضرار، فاستاء موسى قرقم وشقيقه جامبيل، وفرح أكد، وأبسعد،

---

(١) ذكرنا ذلك في تاريخ بيت معلا.

(٢) هو دقلل إدريس المشهور بلقب أولباب بن موسى.

(٣) تطلق على العجيلاب وتوابعهم.

وأرسل موسى رسولاً إلى دقلل يتوعده بالعصيان ما لم يعين صهره ثانياً. وقبل الاستجابة لطلبه سمع السيد علي ابن الأمين حامد وهو في (القينا) وكذلك الشيخ أكد همد وهو في «قِنْ حَسَكِبْ» قرب «تَبِخْ» فسافر كل منهما من مكانه إلى دقة وانضم إليهما همد قَنَّاد لعدم تنفيذ رغبة موسى قرقم، وكان ضرار عجيل يجاهر بكراهيته له. ومرض موسى بحصر البول فزاره ضرار وهو يلفظ النفس الأخير، فقال موسى: سنِّدوني لئلا يشمت بي، فدخل عليه ضرار، ثم خرج، وقال: رحمة الله على موسى فاحفروا قبره فإنه لا محالة ميت قبل انقضاء النهار[1]، ثم توفي ودفن في «قِنَتْ» وأقام بعض رجال القبائل حول قبره نحو عشرة أيام ومعه ابناه محمد وهمد نَوَّل، فقال لهما الشيخ ضرار: اذهبا إلى أهلكما لتنظروا في لوازم المأتم. فتسابقا على ظهر فرسيهما إلى القرية، وأما ضرار فإنه اتفق مع أصحابه وولى العمودية «أبسعد» أخ المتوفى ووافق السيد علي الأمين[2] على ذلك فعينوا الشيخ أبسعد عميداً للقبائل.



## «هاسري»
## (الشيخ أبسعد)

تولَّى العمودية بعد أن نيف على السبعين عاماً، وكان له ابن أخ مشهور بالحزم يدعى أكد فنزع منه السلطة التي وُلِّيها مع كل عائلات هاسري وعربانهم. فغضب الشيخ أبسعد واستنجد بكنتيباي جاويد، وانتدب لنجدته رسولاً خاصاً. فرجع الرسول ومعه قرار كنتيباي جاويد وهو قراره على نهب أموال ومواشي هاسري عندما يصلون في رحليهم إلى وادي عنبسه في شهور الصيف.

---

(١) توفي سنة ١٢١٨هـ.

(٢) كان المذكور يكره تكروراي وإخوانه لأنهم ضربوا رعاة أبقار السيد وأوجعوهم جداً وطردوا الأبقار من المراعي والمياه. وموت موسى قرقم مثل موت كنتيباي محمد جاويد.

فلما آن الأوان أرسل كنتيباي العصابة، فالتقت برجال هاسري ومواشيهم في بئر ماء يقال لها: «فَلْحِيتْ» وبعد هذه الغزوة بشهر توفي أبسعد ودفن في مكان يقال له: (سِقَا دَحَسْتَه) بقرب «طَدَا مَايُو». ولما قرب موعد عودتهم من عنسبة إلى عَدُوبَنَة أرسل هُمَّد أكد عصابة إلى الحباب، فنهبت أبقاراً وجدتها في جبل «عَنْقَرْ» قرب جبل أقرع وارتحلوا بها إلى عدُوبَنَة، فاجتمعوا جميعهم بكافة قراهم ومواشيهم، فأرسل إليهم الشيخ ضرار عجيل بأن يجتمع كل أبناء هاسري في يوم معين ومعهم مشايخ الحصص لأنه سيزورهم بمشايخ حصصه، فلما تم الاجتماع قال لهم ما معناه: «أنا أقرب جار إليكم، وقد اختبرتكم جميعاً، ويهمني أمركم، وعليه أقترح عليكم أن تولوا العمودية الشيخ هُمَّدْ بن أكد فإنه أصلح رجل للقبيلة، وقد اتفقت مع السيد علي الأمين أن يحضر بعد يومين لكي يكسوه ثوب العمودية. فوافقوا على رأيه، وحضر السيد علي، وكسا الشيخ همد أكد، وعملت كل شعائر العمودية. ولا تزال العمودية في أحفاده إلى يومنا هذا سنة **١٣٧٩**هـ - **١٩٦٠**م.

وانقضت أيام أبسعد، ولم يحدث فيها أي نزاع إلا ما كان في نزع السلطة من يده لكبر سنه، ولكن الأحكام كانت تنفذ باسمه والضرائب تورد للحكومة باسمه أيضاً. وكانت الحكومة التركية بدأت في إخضاع قبائل مديرية كسلا حوالى **١٨٤٥**م، أما الرجل الوحيد الذي كان يبذل جهده في انتزاع العمودية من أبسعد فهو محمد موسى قرقم، وقد سافر مراراً إلى سواكن وساعده أمير الأرتيقة على رفع شكواه لوالي الحجاز، فلم يجد أي تعضيد. وأخيراً طلب من الأرتيقة أن يبعثوا معه عصابات يقلق بها راحة قبيلة هاسري فيضطر مشايخها لطلب الاستقالة من أبسعد ويتولاها محمد موسى. ولكن السلطة الحقيقية بيد همد أكد الذي قبض عليها بيد من حديد، وتحملت القبيلة كل أذى محمد موسى بصبر. ولما توفي محمد خلفه ابنه موسى في الشكوى، فأرسل إليه كنتيباي هدَاد رسولاً يخبره بأن يرضى برئاسة الحصة (عد موسى) لأن والده ترك له نحو ثلث عربان قبيلة أبناء هاسري والثلث مع همد أكد والثلث الباقي لأبناء علي، ويقال لهم:

«بَهَرَمِي». فاستاء موسى من نصيحة كنتيباي وأضمر له الشر في قلبه[1]. وفي أيام أبسعد كثرت العصابات البنى عامرية بين توكر وقَرورة. ولد الشيخ أبسعد سنة ١١٦٠هـ ـ ١٧٤٧م وتوفي سنة ١٢٢٤هـ، وخلف أربعة أنجال هم حامد وإدريس وعلي وَطَبِخْ. قيل: إن قلة الأمطار اضطرت ابن أخيه (همد أكد) أن يجمع كلمة كل قبائل هاسري تحت سلطته، وأخذ من كل مراح بقرة. فسمع حاج همد ضرار (زعيم فضل) وأخبر بذلك الشيخ أبسعد محرضاً إياه بالاتصال بكنتباي جاويد ابن فكاك كي ينهب مواشي عد هاسري، وفعلاً نهبتها عصابة حبابية من جهة عنسبة.

واستمر الحباب في النهب خصوصاً من مراعي «فلحيت» وبعد هذه الغزوة بشهر توفي أبسعد في مكان يقال له: «سِجَادْ حَسْتَه Sigad-Hasta»، أما همد أكد فإنه بعد أن استكفى من مراعي الحباب عاد إلى عدوبنة وأرسل إليهم عصابة فنهبت أبقار الحباب من «عنقر» قرب جبل أقرع. وكانت الأمطار كثيرة في عدوبنة أغنتهم عن أرض الحباب.

عجز محمد بن موسى قرقم من نزع العمودية من أبسعد، ومراراً ما حاول الاستعانة بالحباب فلم ينجح. وأخيراً أخذ عصابة من أهل توكر وغزاهم ونهب إبلهم. وحارب ابنه موسى محمد الشيخ همد أكد (صهره) ولكنه لم يفلح في نزع العمودية.



## «هاسري»
## (الشيخ همد أكد)

ولد سنة ١١٧٤هـ ـ ١٧٦٠م، واستولى على المشيخة بعد وفاة عمه الشيخ أبسعد سنة ١٢٢٤هـ ـ ١٨٠٩م، وتوفي سنة ١٢٧٤هـ ـ ١٨٥٧م، وفي

(١) تفرعت من كل ثلث عدة حصص وآخر إحصاء كان سنة ١٩٤٧م لها ثلاث عشرة حصة، تحررت منها أربع عموديات أشهرها أبحشيلا وآل فضل «فاضلاب» وولد نهو وبارقلي (Bargilli).

أيامه حضر إلياس بك مدير كسلا بجيوشه إلى العقيق وعدوبنة بعد أن عين دقلل إبراهيم ابن دقلل محمد ناظراً على عموم قبائل بني عامر وأمر الشيخ همد كافة القبائل أن تهرب من وجه الحكومة إلى الجبال أو جهة مصوع، فهربوا ما عدا عائلة «بيلي» كانت مجاورة للأفلندة، وانتدبت الحكومة العساكر كي ينهبوا كل ما يقع تحت يدهم، وعملوا زريبة لحفظ المنهوبات فيها. وبعد شهر جاء إلى المدير في «حملاييب» ولد صغير[1] لا يزيد عمره عن خمسة عشر عاماً كان يسكن مع جده (لأمه) الشيخ حامد علي بخيت ومعه خادمه، فقال للحاكم: اعتقلوني وأطلقوا صراح المواشي لأن جدي الشيخ همد أكد إذا سمع الخبر لا يلبث أن يحضر إليكم ويقدم ولاءه. وفعلاً حضر وقبل الضريبة التي وضعت على قبائله وأنعمت عليه الحكومة التركية بشيخ مشايخ القنوب[2]. وله من الأولاد موسى وحامد. وفي أيامه نهبت إبل محمد بن جاويد من «مِطّبتْ»[3] بواسطة محمد موسى قرقم الذي قتل في إحدى سفرياته إلى كسلا بواسطة عصابة من الهدندوة، كما قتل اللَّبَتْ الشيخ علي بخيت بن إدريس شيخ بِهْرِمَيْ وعشرين من أصحابه، وأخذت منهم الجمال التي كانت معه لحمل الذرة من جهة هِمْبُولْ في مكان يسمى «حبوب ود جِعْبِرًا»، فأرسل دقلل إبراهيم من قبض على المجرمين وسلمهم للشيخ همد أكد الذي سجنهم حتى ماتوا. وفي إحدى السنين أغارت عصابة من عد عمر على قرى بَهْرَمَيْ وعَدْ ورار يسكنون «قِهْتَبْ». فوصلت العصابة ليلاً وكان أحد أفرادها[4] قد دخل إلى سرير شيخ هذه القرى المدعو حامد بن إدريس وقال له: «هل لك أن تتكرم علي بالحقة آخذ منها سفة» فعرف حامد صوته فناولها له وسأله هل وصلت عصابتكم؟ فرد عليه: «سنصبح بكم» وذهب بالحقة. فقام الشيخ إدريس ونادى في أهله

---

(١) هو المرحوم الشيخ أكد موسى الذي نقلنا عنه أكثر تاريخ هاسري وغيرهم من النابتاب.

(٢) زال هذا اللقب من حفيده بسبب أخطاء حامد عثمان أكد في أخذ تموين الأفلندة سنة ١٩٤٧م.

(٣) من هذا المكان نهب الرأس الولا أبقار والدي وقتل رعاتها.

(٤) يقال له: مكاد، أي مولع بشرب التمباك.

بالاستعداد للقاء العدو. ودارت بينهما المعركة وقتل فيها ثلاثة من نابتاب أبناء عمر[1]، فانهزموا، ولكنهم بعد زمن استأنفوا القتال ونهبوا أبقار هاسري من «عدَارَتْ» وقتلوا أصحابها علي إدريس جامبيل وإبراهيم إدريس أكد، إبراهيم وإدريس مِنّي، وأكد نصور. فاستاء الشيخ همد أكد من عد عمر وأرسل إليهم عصابة حيث كانوا في جبل «دِبِّر» وقتلوا منهم «علي فسلي» وأربعة آخرين.

واستأنف عد عمر ثأر قتلاهم وغزوا قرى «أتِيْمحَا» واستاقوا أبقار عد هاسري، فتعقبتهم نجدة بقيادة محمد باقمين وأخيه أحمد وأمير بن طارقيلي فاستردوا بعض الأبقار[2]. وأسف الشيخ همد على موتهم.

❋ ❋ ❋

## «واقعة عَيْتَرْبَة»

لما سمعت بعض القبائل[3] بتعقب إلياس بك وسليمان علي طالب للعصابات المقلقة لراحة القبائل الآمنة رحلوا من حول توكر ومقدام إلى عيتربة وعَيَتْ وقَرُورَة، فدعا الشيخ شيك بن عجيل (وكيل عميد الأفلندة) زعماء القبائل إليه واستشارهم في الخطة التي يجب عملها. فأجابوه «إننا لا نخالف رأيك». فقال: أرى أن يرحل الأرتيقة والكميلاب إلى عَيَتْ حيث الجبال والغابات، والحسناب إلى رحيب، والأفلندة إلى قرى عميدها في قرورة. فرفض اقتراحه الأفلندة والحسناب خصوصاً أخواه حجاي وعامر، فلما سمعوا بدنو الجيش من عدارت[4] تبينوا خطأهم، فقالوا لشيك: إن العدو على الأبواب ومعه الرصاص، فنحن نريد أن نعمل برأيك. فقال

---

(١) كانوا مع العصابة.

(٢) ولكن بعد أن قتلهم عد عمر، وهؤلاء الثلاثة كانوا يكرهون العجيلاب خصوصاً الأول فإنه من بقايا بيت بحايلاي الذين أبادهم الشيخ عجيل بن علي.

(٣) وهي الأرتيقة والأفلندة والحسناب والكميلاب.

(٤) المسافة بين عدارت وعيتربة هي عشرون ميلاً.

لهم: معاذ الله أن نهرب بعد أن وصل العدو عدارت وسأموت أنا بين أخوالي أبناء أَلَلُوتْ Alalout، وسيذهب الحسناب ضحايا الغرور هم والأفلندة بسبب حجاي وعامر[1]. وبلغت قبيلة هاسري سطوتها وفتوتها في أيام هذا العميد، وقسم كثيراً من العربان بين أقاربه، واحتفظ لنفسه بالسهم الراجح، فتألفت من العمودية الحصص الآتية:

❋ ❋ ❋

**«هاسري» (الشيخ همد أكد وخلفه)**

| عدد | اسم مؤسس الحصة | اسم شيخ الحصة |
|---|---|---|
| ١ | عد همد | همد إدريس أكد موسى |
| ٢ | عد موسى قِرْقِمْ | علي إدريس أكد محمد |
| ٣ | عد بَرْهَمِي | حامد علي حامد |
| ٤ | عد أبسعد | حامد أبسعد |
| ٥ | عد هاسري أكد | محمد إدريس أكد هاسري |
| ٦ | عد جامبيل | عبدالله محمد عبدالله جامبيل |
| ٧ | عد ود حامد | محمود حامد أبو سعيدة |
| ٨ | عد حسن (هَدَدِي) | همد حامد عوض |
| ٩ | عد إبراهيم حامد ورار | صالح إدريس أكد |
| ١٠ | عد همد حامد ورار | همد محمد همد |
| ١١ | عد بيلي | محمد أكد نُصُّورْ |
| ١٢ | عد بلع شَبَل[2] (Chapal) | محمد علي بلع شبل |

---

(١) عند أول صدام بين الجيش والأفلندة هرباً إلى قرورة ومعهما شرذمة ممن حالفهما.

(٢) بالع التراب.

| عدد | اسم مؤسس الحصة | اسم شيخ الحصة |
|---|---|---|
| ١٣ | عد حامد عوض | سليمان همد حمد |
| ١٤ | عبد عبدالله | إدريس آدم عبدالله |
| ١٥ | عد همد نِوَّل | أكد محمد موسى |
| ١٦ | عد علي بخيت | حسب محمد همد فكاك |
| ١٧ | عد علي هاسري | محمود همد شيك |
| ١٨ | عد حامد إدريس | محمود سعيد |
| ١٩ | عد علي | محمد علي شريف |

وكل هؤلاء مقيمون بالسودان. أما في إرتريا فتوجد من أبناء هاسري ثلاث حصص يرأسها العمدة (شرم) وإدريس حمد بدوي وفي اجتماع أم مُكْبَانْ غرب العقيق يوم ٧ مارس سنة ١٩٤٧ بحضور مدير كسلا المستر هَانْكُوكْ Mr Hancook والمفتش المستر أندرو بول Mr Androw Paul وحضور الناظر (الشيخ إبراهيم محمد عثمان دقلل وكل عمد بني عامر وكانوا ثلاثة الشيخ محمد ضرار علي، والشيخ همد إدريس أكد موسى همد، وأخيه وكيل الناظر[1] حامد عثمان أكد، قال المدير: «أنا منحت كل العربان الذين تحت عموديتيْ العجيلاب والنابتاب كامل حقوقهم في الحرية الشخصية، وسمحت لكل عائلة أن تنضم إلى أصولها. فقال الناظر: بما أن الشيخ همد إدريس هو رئيس أكبر قبيلة وأكثرهم جزية فلا بأس من أخذ رأيه فلما سئل قال: إنني لا أوافق على تحرير العربان من سلطتي فسئل بعده عمدة الأفلندة (الشيخ محمد ضرار) فقال: أنا أوافق على التحرير، وقد منحتهم كل حقوقهم منذ خمس سنوات. فقال الشيخ همد إدريس: إن هؤلاء العربان لم يخضعوا لسلطتنا إلا بعد أن قتلوا أباءنا وأجدادنا،

---

(١) هذا الوكيل أقيل في ديسمبر ١٩٤٧ لتلاعبه في ملابس تموين القبيلة بسبب شكوى الشيخ محمد علي محمد عمر أبسعد.

وأخذناهم بدلاً من أن ننتقم منهم ومحمد ضرار وافق لأنهم لم يقتلوا أحداً من أجداده فرد عليه الأخير: بأن الموضوع انتهى بموافقة المدير على التحرير فكلام النابتاب لا يفيد لأن العرب كالبنزين والسيادة التي يدعيها همد هي مثل العربة التي فقدت البنزين. وصفق الحاضرون. وتألفت خمس عشرة عمودية من العموديتين.

فرفض أبناء هاسري دفع أي مليم ضريبة على أموالهم وفضلوا «الدقنية»[1] مدَّعين أن ليست لهم مواشي (انظر تقارير مدير كسلا المستر همفري (Humphry) قبل سنة ١٩٤٧م، كما تحررت قبائل الحباب بالسودان[2] وإرتريا من رئاسة آل كنتيباي، وكذلك بني عامر خور بركة. وأصبح دقلل لا يرأس إلا أهله النابتاب. وتألفت من قبائل إرتريا عدة نظارات[3]، أما قبائل الحباب الثلاث التي كانت تابعة لكنتيباي حسين محمود (وهي رقبات وأسفدة وألْمَدَة) فقد انضمت لنظارة بني عامر لسوء معاملة الأول لهم. وقد صب رؤساء المتحررين جام غضبهم على آل ضرار العجيلابي ولكن رضاء الآخرين يكفينا:

«إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضباناً على لئامها»

ولقد طغت شهرتي إرتريا والسودان والصومال بسبب هذا التحرير، ولقيت منهم إكراماً واحتراماً وعطفاً لا حدّ له أينما حلت ركابي، ولن يضيرني غضب أي ظالم ما دمت أنا على حق ولو سمعوا قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما غضبوا: «متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

ونحن ذكرنا التحرير هنا لأن الاستعباد بلغ ذروته في عهد هذا العمدة ومعاصريه، ولاقى في أيامه مصاعب كثيرة من موسى محمد موسى (صهره)

---

(١) وهي تحصيل ريال من كل رجل بالغ.

(٢) وتحررت ألمدة وأخواتها من آل الشيخ حامد ومن آل محمد فائد «فايداب».

(٣) في مديرية أغردت سبع عشرة نظارة ومثلها في مديرية كرن والسواحل.

وأخيه أكد محمد فقد غزيا الحباب بعصابات انتقاماً لإبلهم التي نهبها الحباب بقيادة إدريس محمد همد فِگاك المشهور بولد مَلْهِيت Malheet، فأدرك موسى وأكد العصابة فبرز لموسى ولد ملهيت وضربه على ساقه بالسيف فكسرها، فاتكأ موسى على رجله الثانية وضرب إدريس على ساقه فقطعها، ورمى أكد بعدة حجارة كسرت فخذه من الأعلى، وعاد كل من الفريقين إلى أهله بجرحاه إلا أن إبل موسى لم تعد. وبعد عام استنفر موسى محمد عصابات من توكر على ظهور الجياد وغزا الحباب حتى بلغوا (نارو) شرق أقرع، فوجدوا إبل أبناء كنتيباي جاويد فكاك، فنهبوها حتى بلغوا (نارو) شرق أقرع فوجدوا إبل أبناء كنتيباي جاويد فكاك، فنهبوها حتى بلغوا عدوبنة وإذا بكنتيباي محمد جاويد خلفهم على فرسه التي أدركها التعب والإعياء، فوقفت بأعلى دبة «سميت دبة ولد جاويد»، فنزل عنها راكبها وقتلها. وجاءه محمد عالياي الحبابي (خبير العصابة) وهو أخبر أهل زمانه بأراضي ومراعي أهله الحباب[1]، ووضع بجواره جراباً مملوءاً باللحم وقربتين من المياه. فقال له كنتيباي: اقترب مني يا محمد وأعطي أخبار من معك. فأجابه لو لم تكن بيدك «قطان»[2]، لسلمت عليك. ثم أطلق لفرسه العنان، وأدرك أصحابه. فلما وصلوا توكر اقتسموا الإبل. وذكر الشيخ موسى محمد في شعره[3] هذه الغزوة، ووصف المحلات وصفاً دقيقاً خصوصاً ما عانوه من الأتعاب في عودتهم، ولم يسلم من شعره وتهديده صهره الشيخ همد أكد بسبب العمودية التي انتزعها أبسعد ثم همد أكد.

وكانت العداوة مستحكمة بين دقلل إبراهيم إدريس (أولِّبابْ) وإبْرَاهِيم[4] ابن دقلل محمد. وكان الشيخ همد أكد صديقاً للأول ورفض

---

(١) أخذت كثيراً من هذه الحوادث عن ابنه إدريس محمد عالياي وقد أدركه وهو ابن ثمانين عاماً.

(٢) سيفه وهو حاد ومسموم.

(٣) هو شاعر مهول وكذلك ابنه علي جنب، وهما لا يقلان في بلاغتهما الشعرية من أبناء شيك بن عجيل.

(٤) تولى النظارة بعد الأول.

الاعتراف بغير نظارة صديقه[1] وفي أيام همد خضعت بقية بني عامر للحكم التركي، وعادت إلى العقيق سنة **١٨٤٩** فرقة من جيش كسلا ومعها محمد بك محمد إيلَة، ودقلل إبراهيم محمد، والسيد محمد إيلة أبو بكر، وموسى محمد موسى[2]، والسيد الأمين علي الأمين وفرقة من العساكر لتحصيل الضريبة، فرفض همد، وتوفي قبل مجيئهم بشهر الشيخ ضرار بن عجيل وانشغل بنوه بالمأتم، فلم يجد دقلل إبراهيم من يقابله، فعاد إلى أغردت (هواشايتْ)، وأكرمهم الشيخ محمد سُنْقَبْ بناقة وهو من عد قَبِيءْ حَباب، فسأله دقلل ماذا تطلب، فقال: أن تولّى صهري فكاك بن شيك على الأفلندة بدلاً من نور الدين ضرار. فولاه ولكن الأفلندة وجيرانهم أبوا الاعتراف بسلطته.

يقول كنتيباي: إن اتفاق الأفلندة والنابتاب ضد مصلحة كل القبائل المجاورة لهما، فتجد العصابات الصادرة الواردة من الحباب تمر بقراهم ومناهلهم، فإذا أخلصوا لنا حمونا وإلا فلن تهدأ حالة قبائلنا.

وتخلف دقلل في أهله أما محمد إيلة أبو بكر وموسى محمد فسارا مع فرقة الجيش إلى كسلا، ثم أرسلهما محمد بك إيلة الحلنقي بعد أن زاد قوة الجيش لإخضاع الهدندوة، فعلم الأخيرون بغرضهم وهجموا عليهم ليلاً في القاش وهم نيام، فأوقعوا بهم القتل والطعن والذبح بالخناجر حتى أصيبوا بفشل ذريع إذ كان أكثرهم يطعن أخاه الجندي بالسنجة ويطلق عليه الرصاص، فأبادوا أنفسهم بأيديهم في ذلك الظلام الحالك.

لنعد إلى الشيخ همد أكد فإنه تهدد مشايخ عد عمر وأرسل إليهم عصابة وكذلك فعل أبناء عمر ونهبت كل عصابة من مواشي خصومها.

واتهم عمدة بيت مَعْلا[3]، الشيخ همد أكد بأنه يوقع خلافات بينه وبين أبناء عمه. وبعد مضي عامين عاد دقلل إبراهيم ثانياً لتحصيل

---

(١) أوضحنا ذلك في دقلل إبراهيم إدريس أولباب.

(٢) كان يأمل أن يوليه دقلل على أبناء هاسري.

(٣) هو الشيخ إدريس حامد إيتدكل.

الضرائب، ونصب خيامه في حَمَلاَييبْ فلم يحضر إليه الشيخ همد أكد، فتداولوا الرسل، وسئل همد أكد عن أسباب استيائه، فقال: «إن دقلل إبراهيم ومحمد بك إيلة كانا يطوفان ومعهما موسى محمد قرقم ويغريانه بتولي عمودية عد هاسري، وأنه ولى على الأفلندة فكاك بن شيك عجيل مع أن أبناء ضرار عجيل كانوا موجودين وأحق بها منه، فتضامنت وإياهم على عدم دفع الضريبة أو مقابلة دقلل، فرفض الأخير الصلح، ولكن المأمور الذي كان مع دقلل تدخل في الموضوع وقال: يجب أن نجعل انتخاب عمدة الأفلندة لجميع رجال القبيلة، فرضوا جميعهم ذلك، وفاز الشيخ نور الدين ضرار بالرئاسة[1]، وعزل فكاك بعد أن تولاها ثلاث سنوات، وسُمِّي الشيخ همد أكد بشيخ القُنُوبْ ولقب أيضاً بشيخ المشايخ. وبعد هذا الصلح توفي حاج همد ضرار (فاضلاب) وسافر أبناؤه آدم وحامد شيك ومعهما علي بخيت إدريس هاسري إلى دقة دقلل لشراء ذرة وحصير (بروش وتسمى بالتيجري تَكَايِبْ)، وفي عودتهم قابلتهم عصابة من لَبَتْ (بجة) وسقعيت وقتلتهم وأخذت كل ما كان معهم، فسمع دقلل إبراهيم محمد الخبر فأرسل في طلب مشايخ المجرمين وعاقبهم عقاباً صارماً.

وتوفي الشيخ همد أكد (على حسب رواية محمد أكد نصور) سنة ١٢٧٤هـ - ١٨٥٧م.



## «هاسري»
## (الشيخ موسى همد)

تولَّى الشيخ موسى[2] عمودية أبناء هاسري بعد وفاة والده وحضر توليته السيد محمد بن علي، وقال لرجال القبيلة «جعله الله عمدة مباركاً ميموناً على جميع القبائل». وبعد زمن قصير جاءت الأخبار من دقة دقلل

(١) أقام فيها سبع سنوات ثم توفي وخلفه عليهم أخوه الشيخ علي بن ضرار.
(٢) ولد سنة ١٢١٦هـ - ١٨٠١م.

بوفاة دقلل إبراهيم. فسافر الشيخ موسى ومعه عمدة الأفلندة الشيخ نور الدين ضرار لتقديم التعازي بناء على دعوة وصلتهما من الشيخ[1] حامد محمد إذ حدث خلاف بينهم (أي عائلة النظارة) على من سيخلف دقلل إبراهيم من النابتاب فقال الشيخ حامد للحاضرين في الاجتماع: «إن هؤلاء العمد والمشايخ جميعهم أبناء عمومة، وكلهم يطمعون في النظارة. ولكن في القنوب عمدتان نزيهان وبيدهما سلطة قبيلتين كبيرتين أرسلت في طلبهما ليؤديا الشهادة النزيهة ثم يختارا من يشاءان للنظارة ومن أحق بها مني ومن مخالفيّ في الرأي». وفعلاً أمر مدير كسلا بانتظارهما فلما وصلا قالا: «لا نؤدي ضريبة لأي ناظر غير الشيخ حامد محمد» فنفذ المدير رغبتهما وتعين دقلل حامد بك محمد ناظراً على كل قبائل بني عامر فعاد العمدتان إلى أهلهما وقبيلتهما.

في هذه السنة قتل رجل حبابي فرس الشيخ موسى همد وهي حامل، فأرسل إليه كنتيباي إداد بن هداد رسولاً يعتذر له عما أتاه الحبابي ويطلب حضور موسى إليهم ليدفع له قيمة الفرس حفظاً لمودتهم. فحضر الشيخ موسى لاستلام القيمة فأعطاه أبقاراً. ولما أظلم الليل جاء إلى موسى أحدهم (علي نور أدماتي) وقال له: إن العساكر وضباطها حضروا خلفك في قبيلتك وأخذوا ابنك أكد رهينة واتهموك بالهروب منهم، وأما كنتيباي إداد فقد صار يتهكم عليك بأشعاره التي ينشدها أمام خادمك عمر بن عاقة ابن واقي وحامد شربوب. فلما أصبح الصباح قام موسى غاضباً وامتطى صهوة جواده وودع كنتيباي ورحل عن الحباب وفي نفسه أشياء مما حدث له منهم. فقابل دقلل حامد في عدارت وحملاييب وعدوبنة[2]. وأمر كل القبائل أن تجتمع في المحلات السابقة، وكانت العساكر قد توزعت في القرى لتحصيل الضريبة، واستاقت بعضاً من الإبل والبقر. ولكن بعد حضور الشيخ موسى ردوها إلى أصحابها ودفع الضريبة المطلوبة منه وكذلك فعلت قبائل

(١) لم يكن قد تعين ناظراً على بني عامر.
(٢) كان دقلل حامد ساكناً مع هاسري قبل ولايته حيث كان زوجاً لأخت الشيخ موسى همد.

الحماسين وسائر عموديات النابتاب (عد عمر وإبراهيم)، ولكن الأفلندة رفضت الدفع ورحلت إلى مصوع ومعها بعض من هاسري. فمنع دقلل العساكر من تعقبهم فأقاموا عاماً كاملاً، ثم دارت المكاتبات بين مديرية التاكا ومحافظة مصوع على إعفائهم من الضريبة عن سنتين وطيلة مدة وجود دقلل مع موسى، كان جاسوس كنتيباي إداد موجوداً بينهم يرى ويسمع ما يحدث أو يدور في ذلك الاجتماع لأنه كان يخشى من الشيخ موسى أن يغزو الحباب بفرقة من العساكر تضطرهم لاتباع نظارة دقلل ومديرية التاكا بدلاً من محافظة مصوع (تحت نظارة نايب) التي كانت تقنع منهم بقليل من الضريبة. ولما أراد دقلل العودة طلب منه الشيخ موسى أن يترك معه فرقة صغيرة من العساكر كي يغزو بها جيرانه من الحباب[1]، فسمح له بذلك بشرط أن تكون الحباب تابعة لدقلل كسلا ويصبحوا عموديات بدلاً من النظارة[2]، وقاد الشيخ موسى الفرقة إلى دقة حباب الذين بلغهم خبر تحركه إليهم فرحلوا بمواشيهم وأموالهم وتركوا المنازل خاوية على عروشها ولم يجد الجيش شيئاً فأحرق المنازل.

وفي هذه الواقعة أنشدت شاميت بنت أدرات[3]، تمدح بني عامر وتعير الحباب بالهروب، ولكن رد عليها محمد شيك بن عجيل مدافعاً عن الحباب، فعادت العساكر إلى معسكراتها ولحقت بدقلل حامد في هواشايت وانقسم الحباب إلى حزبين كبيرين بعد عودة العساكر منها[4]، فاستنجد إدريس هداد وحزبه بأبناء هاسري وكنتيباي بدقلل حامد ولكنه لم ينجده بخلاف هاسري فإنهم حاربوا مع إدريس لإضعاف قوة الحباب والتقت الجموع كلها في واقعة «نقب»[5].

---

(١) علم الشيخ موسى بمحل جاسوس كنتيباي فقبض عليه وكبله بالحديد.
(٢) كل من يدفع مائة وخمسين جنيهاً فما فوق يعتبر عمودية، وكل من يدفع ألفين جنيه له حق النظارة.
(٣) هي جارية عد عمر.
(٤) كان ضد كنتيباي إداد إخوانه إدريس وعجيل وعلي وابن أخيه محمد حسين هداد.
(٥) تجد ذلك مفصلاً في الحباب.

وفي أيام الشيخ موسى انتشر الجدري في بني عامر والحباب، وأصيب به العمدة المذكور، ثم شفي منه وتوفي به ستة من أقاربه وهم من خيارهم وعقلائهم، وسلمت منه الأفلندة لأنها طلبت طبيباً من سواكن لتطعيم أفرادها.

وحدث خلاف بين الشيخ علي ضرار (عميد الأفلندة) ورجل من هاسري اسمه «أبو سعيدة محمود» على عربي اسمه «همد أحمد داين» من عائلة أمور أفلندة وكثر النزاع بينهما وأقسم الثاني بأن همد أحمد من عربانه وتألفت منهم قرية «بردو».

وتوفي الشيخ موسى همد سنة ١٢٨٨هـ ـ ١٨٧١م ودفن في مقابر «حَسْتَا» بجوار السيد حامد الأمين حامد، وله من الأولاد الشيخ أكد موسى همد وإدريس آدم وهمد وحامد وللجميع عقب طيب، واشتهر بكراهيته للحباب خصوصاً كنتيباي إداد وكان بين ولديهما (أكد ومحمد إداد) صداقة متينة تولَّى بعد وفاة والده وحضر توليته الشيخ الكبير السيد محمد عثمان تاج السر، والسيد محمد عثمان ابن الشيخ محمد بن علي، وكساه الثاني ثوباً عقب الدفن، وأما الأول فكساه جبة وعمامة حجازية من أفخر نوع[١].

وأشهر ما حدث في أيامه هو قتال قبيلته (هاسري) وبيت المعلا وقد فصلناه في تاريخ الأخيرة بقبائل الحماسين. واشترك الشيخ أكد في حوادث المهدية وبَايع الأمير عثمان دقنة، ولقي من جميع الدقنابْ غاية الإكرام لما بينهما من صلة النسب[٢]، وسافر إلى أم درمان سنة ١٨٨٨م[٣] لمقابلة الخليفة فتبعه من أقاربه صالح محمد لباب وهمد شيك هَلِّيق، فأقام بالبقعة نحو أربعة أشهر، ثم أرسل الأمير عثمان دقنة في طلبه بإلحاح شديد، وذكر

(١) كانت التولية في «قاقت Ga gat».

(٢) كان محمد نول بن علي بك دقنة متزوجاً بابنة عم الشيخ أكد.

(٣) قيل: إن أحد أشراف بيت معلا وشى به عند الخليفة عبدالله بأنه رجل خطر جداً فإذا لم يقتل أو يعتقل لا تبايعه بني عامر وربما يثور على عامله بالشرق أخذاً بثار دقلل علي بخيت بك في سبدرات سنة ١٨٨٥م.

له أن بني عامر على وشك نقض البيعة إذا لم يعد زعيمهم. فعاد مع أصحابه ومعه يعقوب حامد عوض، ومحمد عمر كسولاي، وعبدالله نصور (من عد عمر). وفي مدة غياب الشيخ أكد بأم درمان حدث قتال جبل هجر، ونهبت أكثر أموال ومواشي بيت معلا[1] وأقام بعد عودته هادئاً حتى كانت أيام الأمير محمد عثمان أبو قرجة الذي أصدر أمره لرحيل الشيخ أكد وقبيلته إلى مدينة توكر لئلا يهرب منه إلى إرتريا[2]، بسبب مجاعة سنة **١٣٠٦**هـ، فامتثل لأمره وقبل تنفيذه. وحدث بين الأميرين (دقنة وأبو قرجة) خلاف اختل فيه نظام السياسة والحرب، فانتهز الشيخ أكد هذه الفرصة وهرب بقبيلته إلى نَقْفَة بعد أن قاسوا أتعاباً كثيرة لبعد المسافات ووعورة المسالك التي ساروا فيها ليكونوا بعيدين عن عيون النجدات والرقباء. وأما الشيخ أكد محمد (ابن عمه) فلم يتمكن من مبارحة عدوبنة.

ثم عاد الشيخ أكد بأهله سنة **١٨٩١**م بعد أن نقل الأمير عثمان دقنة[3] رئاسة قواته من توكر «أدارأمة Adarama بنهر عطبرة، فوجد أبناء هاسري الشيخ إدريس دقلل حامد قد تعين ناظراً على بني عامر السودان واتخذ العقيق مقراً لإقامته. وسافر الناظر والشيخان ضرار علي ضرار وأكد موسى همد إلى سواكن وقابلوا محافظها «هولد اسميث باشا»، فأنعم عليهم بملابس وكساوي شرف وهدايا جمة وملأ لهم سفينة من المأكولات كالسمن والأرز واللبن والعجوة والذرة، فعادوا إلى العقيق واقتسموا ما أحضروه من أموال المستعمر الجديد. وفي سنة **١٨٨٩**م توفي إدريس أكد موسى[4] بالجدري،

(١) كانت هذه الواقعة بأمر من كنتيباي حامد وقيادة أخيه همد كنتيباي، وكانت أكبر وآخر واقعة كسرت فيها بيت معلا إذ استعمل فيها الرصاص من جنود كنتيباي والرشايدة.

(٢) بدأت القبائل البني عامرية في التسلل إلى إرتريا حيث وجدوا عملاً متواصلاً من الطليان.

(٣) أرسل الأمير سنة **١٨٩٠**م إلى كل من كان بإرتريا من قبائل بني عامر كي يعودوا إلى ديارهم وأنه عفا عن كل ما سلف. وعاد مع هاسري الأفلندة برئاسة الشيخ ضرار بن علي وقد اقتتلوا مع الخيالة ثم ركبوا سنابيكهم بحراً إلى جزيرة ابن عباس ومعهم بعض من الخيول.

(٤) والد العمدة الحالي.

وتوفي بعده أخوه عثمان أكد سنة ١٩١٠م، وأما أخوهما الأكبر (همد) فقد قتلته بيت معلا في أول واقعة سنة ١٣٠٠هـ. وكان الشيخ أكد موفقاً في كل حوادث الشر ودائماً يسعى لجعل العصابات تلتف حوله فيبعث منها لكل من يغضبه أو يكرهه، كما اشتهر بالوفاء والمحافظة على العهد.

ومن محاسنه إجارة المستجير به مهما كلفه الأمر. وسألته مرة لماذا لم يرسل هو ووالدي مندوباً إلى الأمير عثمان دقنة في أَوَرِّبَة بالجميلاب لترحيله لجدة؟ فقال لي: جاءتنا تعليمات من مشايخ توكر ومندوب من الشيخ أبو بكر الأمين الجميلابي (خال حامد بك سليمان) بأن نعد أنا ووالدك السنبوك في ميناء هَنْبَيسْ وكَرَايْ، فأعددناه وبقي الريس إبراهيم عروض في انتظاره. وفجأة ألقي القبض على والدك وسنبوكة، ثم اعتقلت أنا بعده في سنة ١٩٠٠م.

قال الشيخ أكد: كنت أجير زعماء العصابات الذين أقلقوا راحة إرتريا والسودان أمثال إدريس بَشَهُو وأبو بكر قالع وغيرهما، وكنا نحن المشايخ نطوف مع البوليس والحكام في الجبال بحثاً عنهم. وكلما وردنا منهلاً أرسلنا إليهم ليختفوا وقبائلنا كما تعلم إذا عزمت على شيء يحسن سمعتها تتسابق في الوفاء به. ربما ظن الأمير عثمان دقنة أنني لا أجيره لقتله لدقلل علي بخيت بك الذي كانت الخصومة بيني وبينه مشتدة[1].

ويلتف حول الشيخ أكد موسى كثيرون من الشعراء يمدحونه ويثنون على أعماله مع خصومه، فكان شاعره ضد بيت معلا الشيخ محمد بن كنتيباي إداد، وضد نابتاب خور بركة ابن دروباي فإنه يجعل الأفضلية لنابتاب القنوب (العقيق)، والثالث هو «أكيْ دولي» من عد عمر. ولكل من هؤلاء خصم عنيد، فمثلاً أبو بكر طراي هَرَنْرِوَايْ من بيت معلا كال له

(١) كان الخلاف بينهما بسبب قتال أبناء عمر وإبراهيم فالأخيرون من أقارب دقلل علي بخيت والأول أبناء عم الشيخ أكد موسى «هاسري». وتجد نابتاب خور بركة لا تعترف لنابتاب القنوب بأي زعامة عليها، وسنبين ذلك في عد عمر، وكل أشعار هؤلاء محفوظة بردودها لدينا كاملة.

الهجاء أصنافاً والذم زعافاً، وانبرى للأخير الشيخ تكوش بن موسى من رؤساء بيت بعشو كان هجوه لاذعاً ومسيئاً للغاية.

كانت شكوى الشيخ أكد ووالدي مرة جداً من الحديد الثقيل الذي كُبِّلا به مع الشيخ أبو بكر والرئيسين معهما[١] (إبراهيم عروض ومفتي أبو فاطمة).

وفي سنة **١٩٠٣**م جيء بجميع مشايخ بني عامر إلى سواكن، ووضعوا في السجن لأنهم عجزوا عن القبض على أبو بكر قالع. وبعد شهر سمعوا بأن رئيس العصابة المذكور مات بلسعة ثعبان، فأطلق صراحهم. ويحتفظ الشيخ أكد موسى بسيف جميل وصل إلى أجداده من أحد بقايا ملوك البجة[٢] (بلو)، أما الكتابة التي على السيف فهي من عمل السيد حامد الأمين. ولدى أبناء هاسري سيوف جيدة مثل الذي عند الشيخ مِنِّي حامد (نفس) وآخر عند الشيخ إدريس أكد محمد شيخ (الأول من بَرْهَمَيْ والثاني عد موسى) ورابع عند همد نَوَّلْ.

وتوفي الشيخ أكد موسى سنة **١٩١٩**م بعد أن نيف على المائة عاماً، وبوفاته انتهت هيبة العنصر النابتابي في سهول وجبال البحر الأحمر إذ انتشرت الحرية الشخصية ثم القبلية، كما ذهب الصيت الحسن. وقد ذكر المستر ريتشارد هل نتفة من حياته الحافلة بالخير والشر عندما تمس كرامته وهيبته ـ وفي مجالس القبائل دائماً قوله هو الفصل ـ ويظن الكثيرون أنه حضر واقعة هجر وما قرب منها، مع أنه لو حضرها لما كان هناك إسراف في القتل الذي أتاه محمد عمر أبسعد وأبناء عمومته[٣].

---

(١) بقوا في السجن حتى أوائل فبراير سنة **١٩٠١**م إذ سافر الأمير عثمان دقنة إلى مصر مسجوناً.

(٢) وأول من نال السيف هو الشيخ همد هاسري حامد وانتقل منه إلى حامد همد، ولكن أخذوه منه وسلموه للشيخ موسى قرقم، ومنه انتقل إلى الشيخ همد أكد.

(٣) كان حوله علماء أتقياء من السادة آل نافع أبو بكر، ومحمود إبراهيم، ومالك محمد بن علي، وحسن حيوتاي، وحاج أحمد وأخوانه محمد وعبدالصمد الذين نشروا الدين في أبناء هاسري.

## «هاسري»
## (الشيخ همد إدريس أكد)

تولَّى العمودية على عموم قبائل هاسري بعد وفاة جده أكد سنة ١٣٤٧هـ ـ ١٩١٩م وقد كساه السيد نافع أبو بكر والسيد محمود إبراهيم. ومما امتاز به الشيخ همد أنه حال ولايته منع قبيلته من أي عمل مشين أو تعد على جيرانه من القبائل بخلاف ما كان في عصر جده ولم يحدث في أيامه إلا خلافه مع ناظر بني عامر (الشيخ إدريس صالح) طيلة مدة نظارته. ولم تتقدم قبائل بني عامر في أيامهما أي خطوة، بل تزداد الهوة دائماً بينهما، ومراراً ما حاول نزع العمودية من آل همد أكد وإعادتها إلى آل موسى قرقم، ولكن الأخيرين أظهروا زهدهم في توليتها. وقيل: إن المأمور المؤرخ أحمد حسن حسين باشا خليفة العبادي كاد أن ينجح في تنفيذ هذه الرغبة سنة ١٩٢٥[١] وكلما جاء حاكم لبني عامر يجد التراشق بالتهم وعدم التعاون ظاهراً إلا دفع الضريبة.

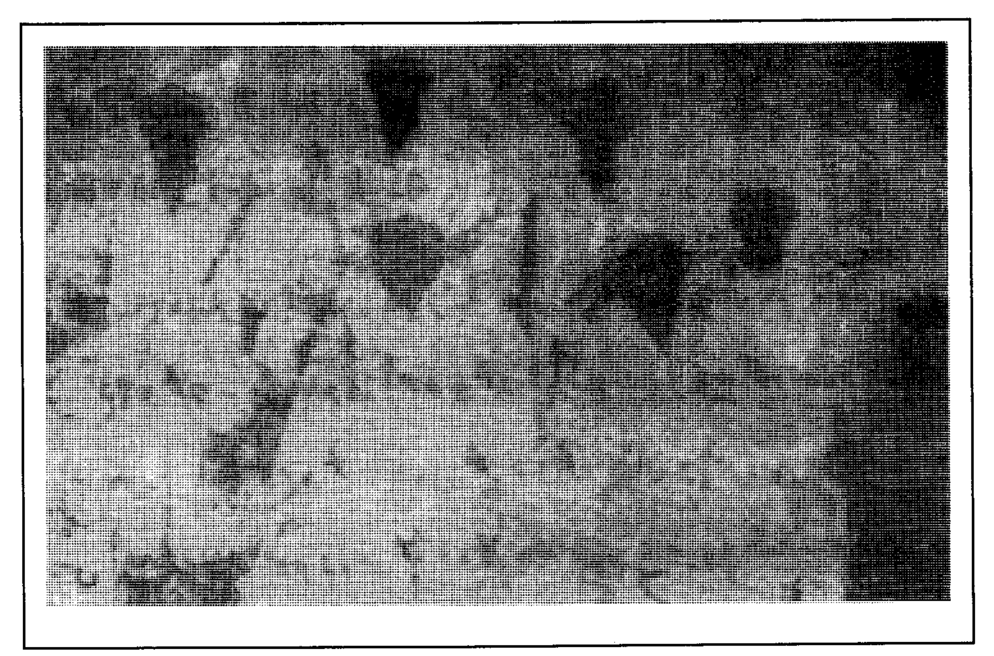
فلما استقال الشيخ إدريس سنة ١٣٥٨هـ /١٩٣٩م خلفه الشيخ إبراهيم محمد عثمان (الناظر الحالي) وبذلك افتتحت قبائل بني عامر عصراً جديداً وانتهت كل الحزازات.

وتعين العلامة المستشرق لمستر كيرلوس ألكزندرلي Curloss AlexanderLea مفتشاً لبني عامر سنة ١٩٣٦م واهتم المشايخ بأعمالهم وقد لمس جنابه اضطهاد النابتاب والعجيلاب والحباب للعربان فدرس اللغة التيجرية تمهيداً لإزالة هذا الحيف الصارم[٢].

---

(١) كان يتمنى تولية إدريس منياي محمد موسى.

(٢) قضي عليه في سنة ١٩٤٧م.



١ ـ القاسم صالح ضرار.

٢ ـ محمد علي بلع.

٣ ـ الشيخ همد إدريس أكد عمدة هاسري.

ولو وافق الشيخ همد إدريس على حرية القبائل لاحتفظ بمركزه الأدبي وعموديته الكبيرة من النابتاب الأصلية، ولكنه إلى اليوم يتبع آراء مستشاريه الذين يرون في دفع ضريبة أو عوائد أو رسوم قطعان حصة في قدرهم، بل بعض من حوله يحلمون بعودة العربان إلى سيطرتهم بعد أن تحرروا منهم، وسألني أحدهم عن موعد عودة تلك الأيام، فقلت له: إنها لن تعود ما لم يعد اللبن المحلوب من الضرع إلى ضرعه (أي محال)[١].

وحدث نزاع على وكالة نظارة بني عامر توكر بين حامد عثمان أكد (كان يؤيده الشيخ الحسن أبو الحسن) والشيخ محمد علي محمد أبسعد (كان ينصره المستر بورترْ مفتش الزراعة) فولى الأول ثم عزل لاستيلائه على تموين القبائل وشهد عليه الثاني فخلفه على الوكالة.

(١) صرف النابتاب أموالاً طائلة للمحامين حتى يعيدوا لهم عربانهم بدون أي جدوى.

وفي أبناء هاسري المقيمين بعَيْتَرْبَة صبر على نوائب الأيام منهم موسى إدريس آدم ومحمد موسى بدوي أحمد ومحمد أكد نصّور وصالح حامد شيكاي ومحمد إدريس أكد محمد ومحمد الحسن محمود ومحمد عثمان وإدريس صالح أكد وإدريس أكد إبراهيم وإخوانه، ولاحتفاظهم بماضيهم العتيد وعدم اختلاطهم ببقية القبائل يسيرون نحو القهقرى مثل العجيلاب، فإذا لم يندمجوا فيمن حولهم فإنهم لا محالة يوماً ما زائلون، ولا ترى إلا مساكنهم كسائر الأمم التي لا تجدد دماء مصاهرتها، ونحن اليوم في عصر يقتضي التخلص من القيود الواهية البالية. وللشيخ إدريس أربعة أنجال هم: إدريس وموسى وعثمان وأكد.

يقول المستر بول (مفتش بني عامر توكر) لو رضي الشيخ همد بأن يكون رؤساء كل حصة ممن تحته من «عَلِيتْ» مثل أخيك لما وافق المدير على تحرير العربان منه. ولكنه أصر على أن تكون سيادة النابتاب على إخوانهم السودانيين وهذا ما لا تقبله الحكومة.

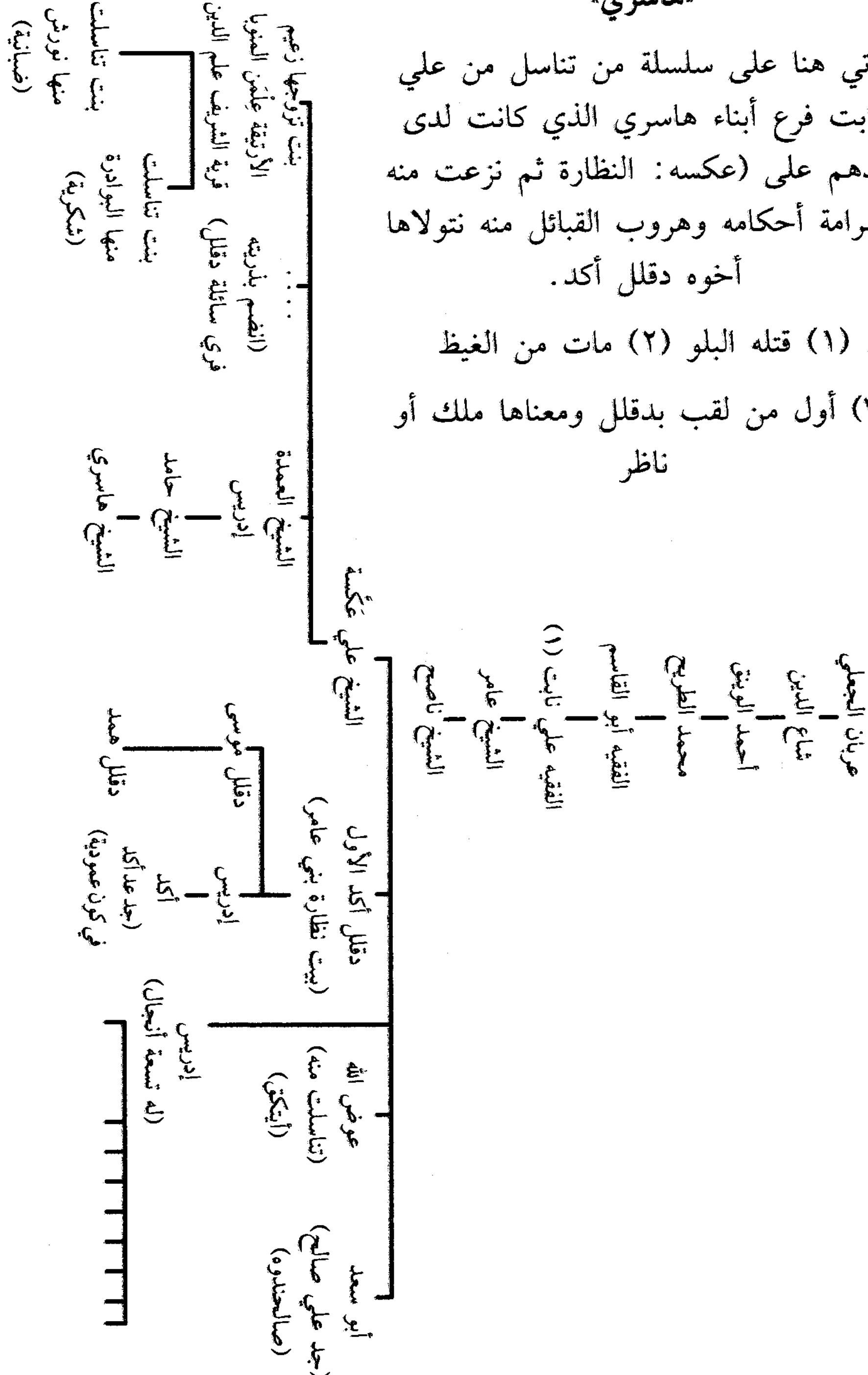
فلولا هذا التشبث لبقوا معه إلى اليوم لأنهم يسكنون في أرض أجداده وآبائه، وفي أنحاء السودان الأخرى كل من يسكن أرض أي عمدة يكون تابعاً له في كل شيء خصوصاً في دفع الجزية أو العوائد، وله حق في المرعى والماء ولكن ملكية الأراضي فهي لبيت العمودية والرئاسة.

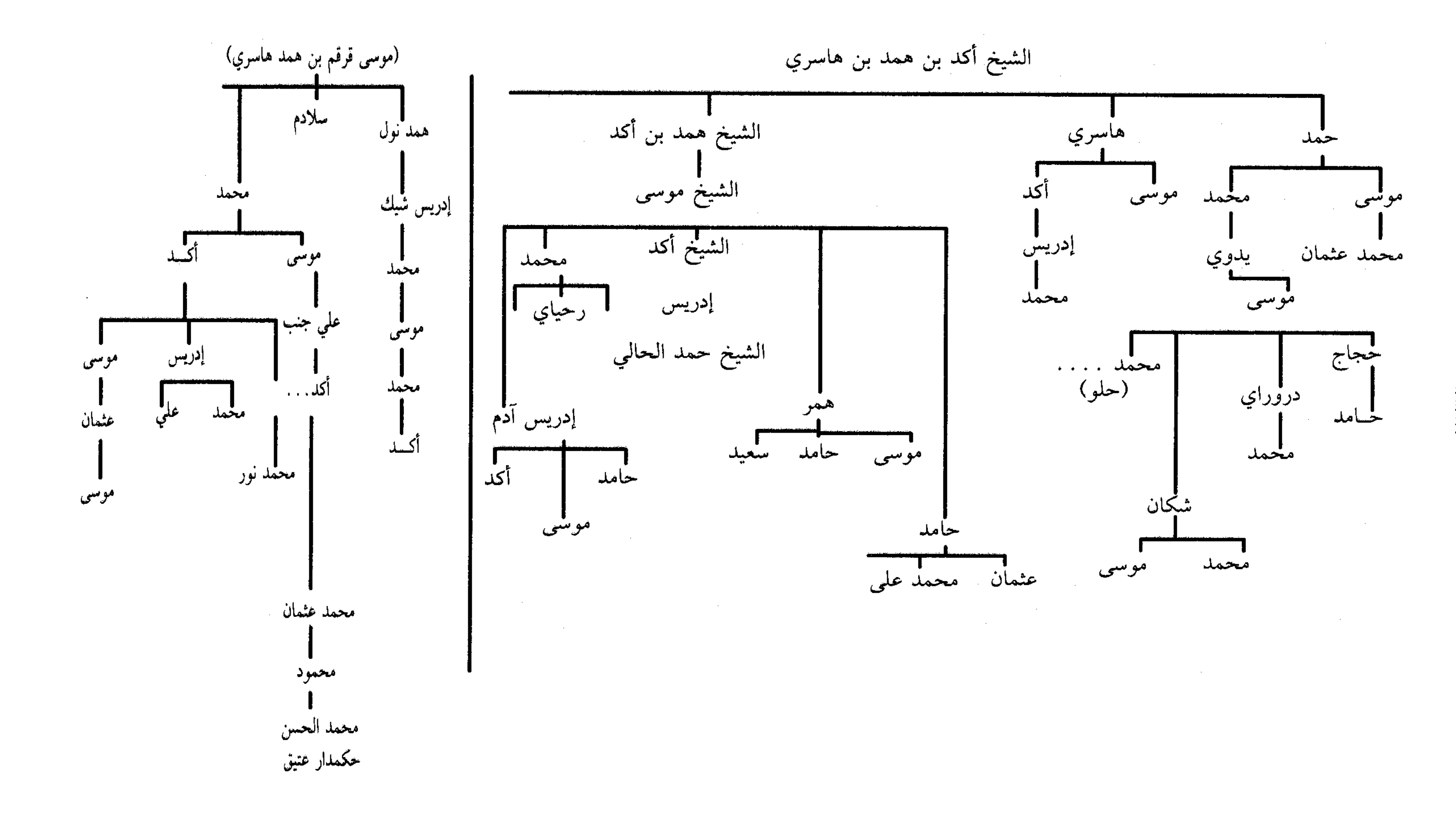
## «هاسري»

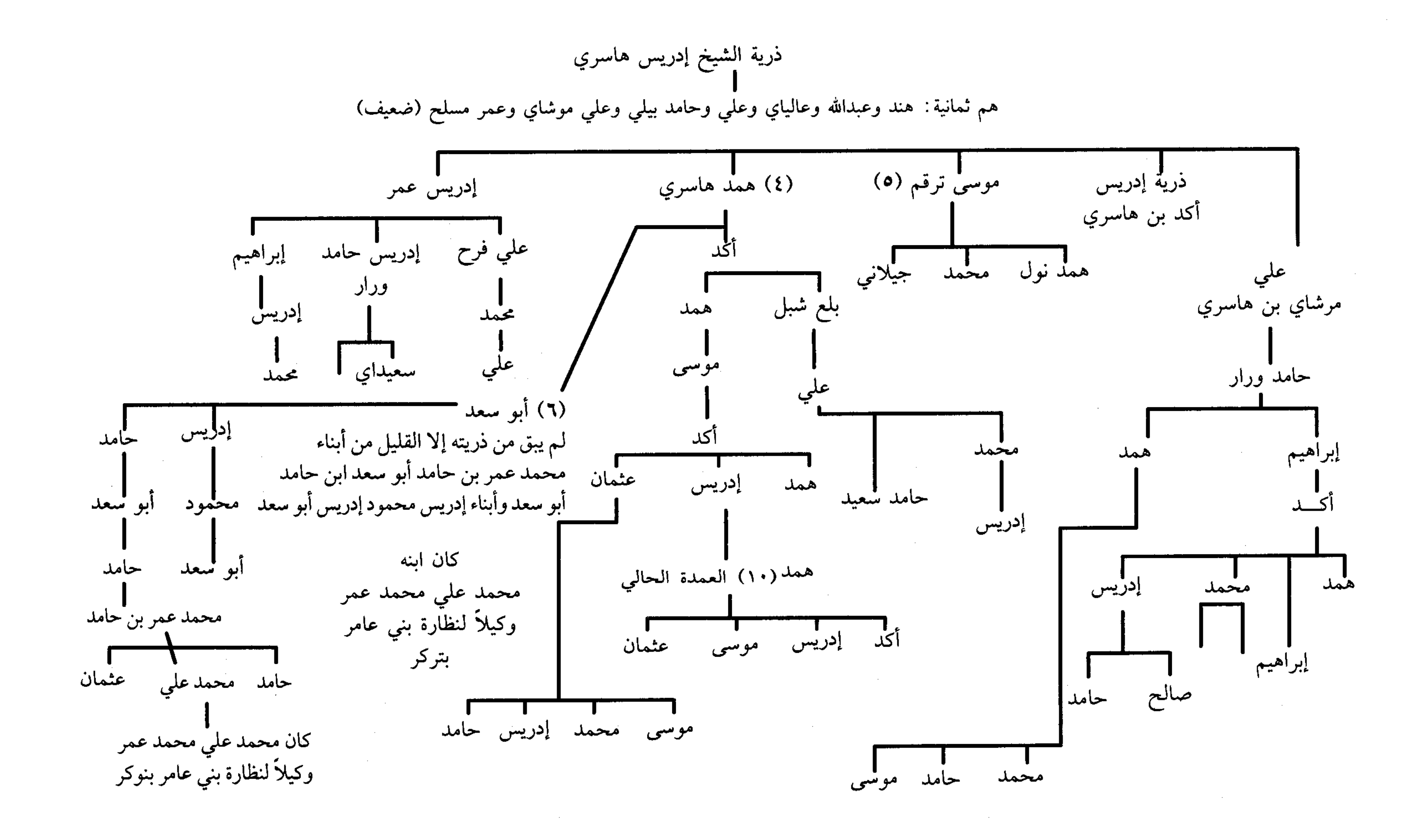
نأتي هنا على سلسلة من تناسل من علي نابت فرع أبناء هاسري الذي كانت لدى جدهم على (عكسه: النظارة ثم نزعت منه لصرامة أحكامه وهروب القبائل منه نتولاها أخوه دقلل أكد.

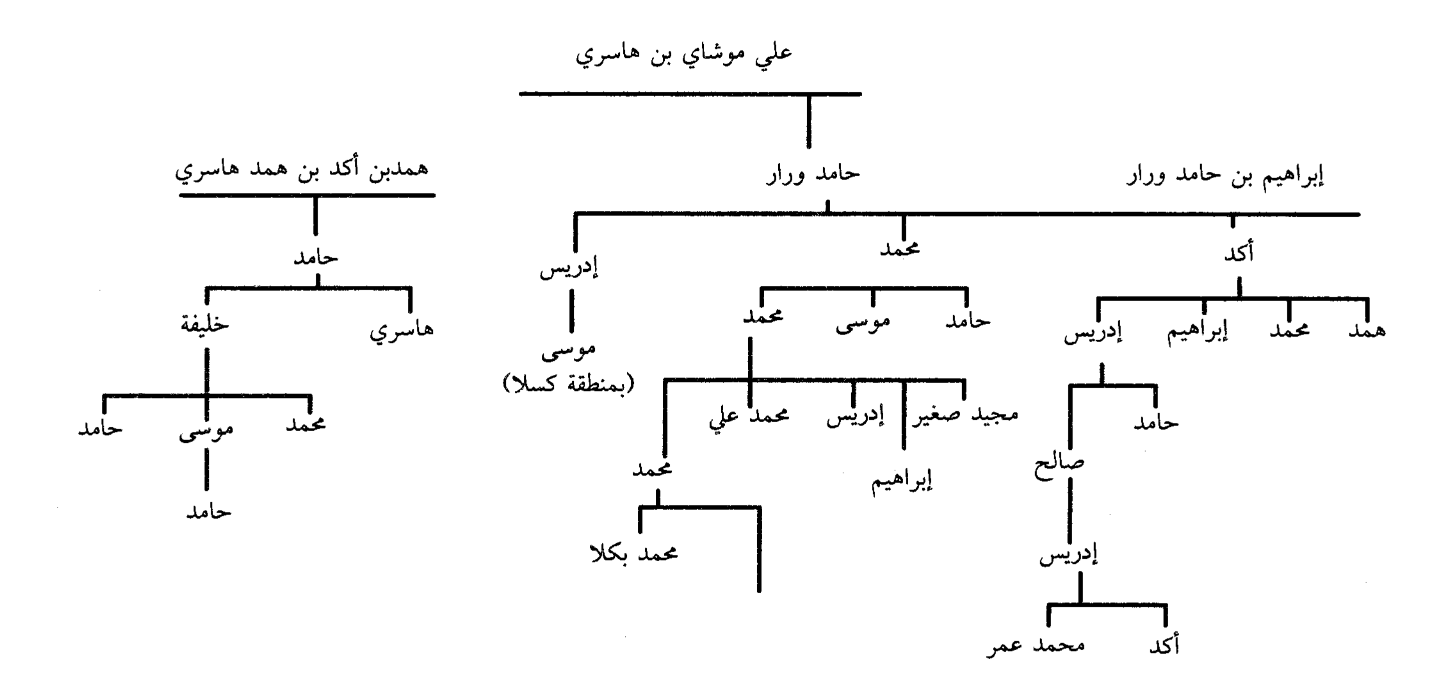
(١) قتله البلو (٢) مات من الغيظ

(٣) أول من لقب بدقلل ومعناها ملك أو ناظر




الشيخ أكد بن همد بن هاسري
حمد
هاسري
الشيخ همد بن أكد
موسى
محمد
محمد عثمان
يدوي
موسى
أكد
إدريس
محمد
الشيخ موسى
الشيخ أكد
إدريس
الشيخ حمد الحالي
محمد
رحياي
إدريس آدم
حامد
أكد
موسى
همر
موسى
حامد
سعيد
حامد
عثمان
محمد على
حجاج
حامد
دروراي
محمد
محمد . . . .
(حلو)
شكان
محمد
موسى
(موسى قرقم بن همد هاسري)
همد نول
إدريس شيك
محمد
موسى
محمد
أكـد
سلادم
محمد
موسى
علي جنب
أكد. . .
محمد عثمان
محمود
محمد الحسن
حكمدار عتيق
أكـد
موسى
عثمان
موسى
إدريس
محمد
علي
محمد نور


ذرية الشيخ إدريس هاسري
هم ثمانية: هند وعبدالله وعالياي وعلي وحامد بيلي وعلي موشاي وعمر مسلح (ضعيف)
إدريس عمر
(٤) همد هاسري
موسى ترقم (٥)
ذرية إدريس
أكد بن هاسري
علي
مرشاي بن هاسري
علي فرح
إدريس حامد
إبراهيم
محمد
علي
ورار
سعيداي
إدريس
محمد
أكد
بلع شبل
همد
علي
موسى
جيلاني
محمد
همد نول
حامد ورار
إبراهيم
همد
أكد
(٦) أبو سعد
لم يبق من ذريته إلا القليل من أبناء
محمد عمر بن حامد أبو سعد ابن حامد
أبو سعد وأبناء إدريس محمود إدريس أبو سعد
إدريس
محمود
أبو سعد
حامد
أبو سعد
حامد
محمد عمر بن حامد
حامد
محمد علي
عثمان
كان محمد علي محمد عمر
وكيلاً لنظارة بني عامر بنوكر
كان ابنه
محمد علي محمد عمر
وكيلاً لنظارة بني عامر
بتركر
همد
إدريس
عثمان
همد (١٠) العمدة الحالي
أكد
إدريس
موسى
عثمان
موسى
محمد
إدريس
حامد
محمد
إدريس
حامد سعيد
همد
محمد
إبراهيم
إدريس
صالح
حامد
محمد
حامد
موسى



علي موشاي بن هاسري
حامد ورار
إبراهيم بن حامد ورار
أكد
همد
محمد
إبراهيم
إدريس
حامد
صالح
إدريس
أكد
محمد عمر
محمد
حامد
موسى
محمد
مجيد صغير
إدريس
محمد علي
إبراهيم
محمد
محمد بكلا
إدريس
موسى
(بمنطقة كسلا)
همدبن أكد بن همد هاسري
حامد
هاسري
خليفة
محمد
موسى
حامد
حامد

## «الشيخ حامد»

أو «عَدْ»[1] الشيخ حامد. منذ ظهور والده الشيخ أحمد نافعوتاي كانت إقامته بأرض الحباب وسهول بني عامر، واجتمعت حول منزله عدة قرى لأنه كان زعيماً دينياً يشرح لهم تعاليم الدين الإسلامي وأركانه، فاتخذوه إماماً دينياً لهم. وكذلك سارت ذريته من بعده على منهجه القويم، وأصبحوا مندمجين في قبائل أَلْمَدَة (انظر كتاب الإسلام في الحبشة بالإنجليزية)، ويؤثر عنهم أنهم ما اشتركوا يوماً ما في غزوة أو سلب لقبيلة ما من الدانية منهم أو النائية لأنهم أناس قد انقطعوا لطاعة الرحمن وعبادة الديان، وكل القبائل المنضمة إليهم كانت في راحة واطمئنان. فلما جاء الاستعمار بالسودان وإرتريا وضع عليهم وعلى من معهم جزية رفضها أهل إمبيرمي[2]، ثم انتحر المحافظ الذي وضعها. وفي أيام السلطنة الزرقاء (الفونج) طلب دقلل من السيد أحمد نافعوتاي أن يدفع له زكاة من حوله من القبائل، فسأل عن أسباب الدفع، وتجادلا، وأخيراً قال دقلل: إنها عوائد مرعى، فقال له: وإذا ارتحلت عن أرضكم؟ فقال له دقلل: لا نطالبك بأي شيء، وارتحلوا من عَيْدِب إلى أراضي الحباب (إرتريا). وأهل إمبيرمي مشهورون بحبهم للتعليم الديني والعصري. وكان إمامهم الشيخ عبدالقادر بن محمد بن علي، ثم ابنه الشيخ الأمين الذي يتمتع بثقة الحكومة الإيطالية ثم الحبشية، ويتولى زعامتهم اليوم الشيخ محمد علي بن الأمين، وهو حجة في جميع العلوم العقلية والنقلية خصوصاً الشرعية منها والصوفية، فإن أبناء هذه القرية بزوا سواهم في التعليم وكذلك الحال في دقة «الشيخ حامد» بقام شيوا».

---

(١) آل.

(٢) كانت في عهد الشيخ الأمين عبدالقادر.



١ ـ سيادة مولانا الشيخ محمد علي ابن الشيخ الأمين عظيم إمبيرمي بمصوع.

٢ ـ أنجال محمد صالح ضرار.

٣ ـ الشيخ حسن محمد حيدر.

ولم يحدث من عد الشيخ حامد أي صدام أو خطأ إلا ما كان بين جند السيّد علي عمر ابن الشيخ محمد وجند الشيخ دقلل علي بخيت في أيام دقلل حامد إذ أصيب الشيخ علي بخيت بضربة من مأمور العسكر فشج رأسه، وجاء أحد خصوم السيد علي عمر وذبح «تيساً» صغيراً وملأ منه عمامة علي بخيت وذهب بها إلى دقة دقلل وقال لهم: «إن علي بخيت خطر وهذا دمه المسفوح». وألقوا القبض على الشيخ عمر دقلل محمد بدلاً من ابنه محمد وجيء به مسجوناً إلى (هواشايتْ) ومنعوا الناس من الاتصال به ولكن رفض تعليماتهم محمد بن شيك بن عجيل (أفلندة) الشاعر المشهور وصار مؤانساً له ومسلياً، ويضرب الربابة لتسليته، ويشجعه على الصبر لأنهم لن يفعلوا له شيئاً لأن الشيخ علي بخيت لم يمت. وله قصائد طنانة في هذا الموضوع، وفيها يفخر بالنسب الطالبي على العباسي وغيره. ولولا التفرقة بين آل الشيخ محمد بن علي وآل السيد الأمين بن علي لما حدثت هذه

الفتنة[1]، وسنبدأ بكتابة نسب آل الشيخ حامد بن أحمد نافعوتاي. وإنني أحتفظ بصداقة وراثية لهذا الرهط فإن لهم مواقف مشرفة وقفوها معنا عند الملمات والشدائد، ونتبادل هذ الإخلاص منذ عهد جدهم الشيخ حامد وجدّنا الشيخ جمع بن عجيل بن علي وازدادت محبة والدنا لآل إمبيرمي.

❋ ❋ ❋

## «هذا نسب الشيخ حامد»

هو الشيخ حامد[2] ابن الشيخ أحمد نافعوتاي[3]، بن محمود[4] بن عثمان بن عامر بن زيد بن محمد المبارك ابن مولانا الحسن بن الحسين بن محمود بن محمد شريف بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن محمد بن الحسين بن علي بن الحسين بن محمود بن علي بن الضيف بن مالك بن الضيف بن عيسى ابن الشيخ الحسين بن علي الهادي بن الحسين بن محمد بن عبدالرحمن بن الحسين بن علي بن أحمد بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

ويروى أن الشيخ حامد دائماً يقول: «أنا من عامة الناس» لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

---

(١) يقال: إن السيد محمود الأمين ابن الشيخ علي هو الذي ذبح التيس، فقال له الشيخ محمد أساتات «ابن همد دقلل»: يا سيدنا أنت أوقعت كراهية بين آل دقلل والشيخ محمد بن علي وخصوصاً إن أخوالك من نابتاب آل تولى.

(٢) له ثلاثة أخوان، أحدهما، إبراهيم قتل ودفن بأعلى جبل تقدرة قبل أن يتزوج، والثاني: الشيخ إدريس النفيد أبي صاحب القبة بأرض البشاريين، وكان ينزل عنده الشيخ محمد فايد في طريقه إلى الشيخ إدريس ود الأرباب، والثالث: الشيخ محمد الباقية ذريته اليوم بأرض الحبشة.

(٣) نقلت هذه النسبة من نسخة خطية كانت عند السيد أبو بكر ابن السيد إبراهيم ابن الشيخ حامد أحمد نافعوتاي سنة ٩٥٩ هجرية وهي محفوظة عند الشيخ محمود حامد إبراهيم.

(٤) توفي بمكان يقال له: «تحرا».

اشتهر الشيخ أحمد نافعوتاي بالغنى في المواشي خصوصاً الإبل التي طلب من ابنه حامد أن يرعاها، فأطاع أمر والده، ولكنه كان يرعاها في المحلات التي يكثر فيها الناموس (وهو أكبر مرض لفناء الإبل) فلما قربت على الإنقراض تركها مع الرعاة وسافر إلى أبي حراز لطلب العلم عند الشيخ إدريس الأرباب، والشيخ عبدالله ابن الشيخ دفع الله ابن الشيخ أبو إدريس العركي، ومعه الشيخ محمد فايد والشيخ عبدالله أبو الرايات الحلنقي (الشيخ ولد ضيف الله لم يذكر شيئاً عن الشيخ حامد لأنه قضى منه في سواحل البحر الأحمر بين مصوع والعقيق والحجاز) فلما أتم هناك دراسته أذن له الأستاذ أن يتوجه مع أصحابه الثلاثة إلى أهليهم وبقي كل من أصحابه بقراهم فالشيخ عبدالله في كسلا، ومحمد فائد في بني عامر بخور بركة، وأما الشيخ حامد فطاف خلال ديار بني عامر ميمماً أرض السواحل، وفي كل قرية يبدأ بعمل مسجد يقال له: إنه مسجده، فملأ الجبال والسهول بهذه المساجد. وكان والده مشغول البال لغيابه، فجاءه وتزوج ورزق سالم وعلي، ثم تزوج أخرى ورزق منها ابنه الأمين وإبراهيم. وكان يتبعه بعض الحواريين (اثني عشر رجلاً) اشتهروا بالصلاح منهم: أبو حَوّة محمد عيسى (رقبات) وحاج محمود (أبْحشيلا) وأبو علامة المصوعي، وبدوي صاحب داقر، ومحمود عقبة (وارية)، وحاج حامد فيح (عد قيء ألمدة)، ومن إحدى قصائد حاج محمود المذكور علمت أن الشيخ حامد فيح أبى حراز على الشيخ عبدالله الذي هو تلميذ الشيخ العركي الذي درس على الشيخ دفع الله، وهو تلميذ السيد عبدالقادر الجيلاني (كانوا جميعهم من الطائفة القادرية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت)[1].

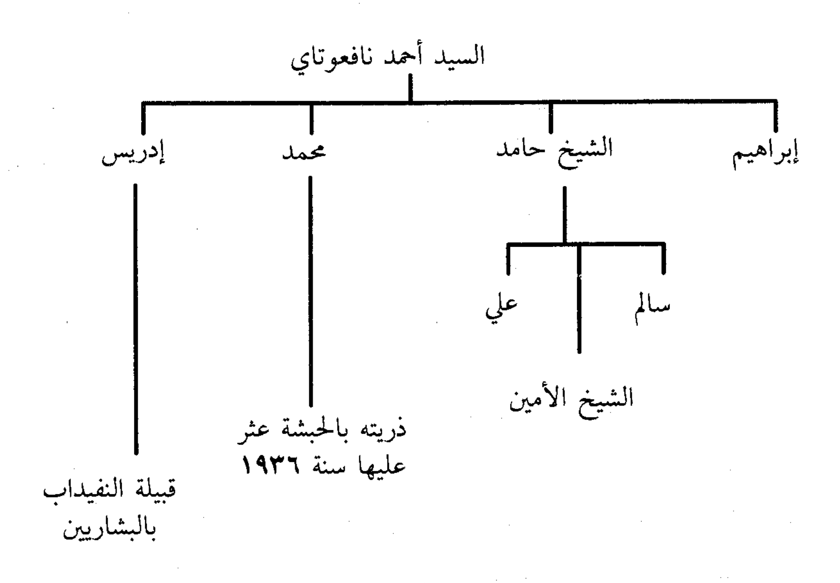
والشيخ حامد كان كثير الإقامة بمسجده في شابري بقرورة، وذات يوم جاءه الشيخ جمع بن عجيل علي (جد العجيلاب) ورئيس الأفلندة بشابري، وطلب منه أن يزور قرى الأفلندة ويدعو له بطيب الإقامة. فسار معه، فولى جِمِعْ محل ولده، ثم دعا لهم، ثم زار قرى هاسري أيضاً وولى الشيخ همد

---

(١) ينظف الأرض جيداً ثم يسورها بأحجار، ويجعل حجر القبلة كبيراً جداً.

هاسري، ثم ولى دقلل همد بن موسى، وكذلك كنتيباي فكاك ناود[1]، وولى أيضاً أبو بكر موسى سلطان ألمدة، والنايب أحمد (بمصوع)، والشيخ ناصر حلييو (أساورتا)، كما ولى الشيخ حامد إيتدكل (بيت معلا). ولما مرض الشيخ أحمد نافعوتاي جاءه ابنه وحضر وفاته. ثم دفنه في قلب سَقْلا، وقد شاهدت اسمه على حجر كبير عند رأسه مكتوب عليه «أحمد نافعوتاي».

وللشيخ حامد وصايا لكل رئيس كان يوليه فمن ذلك قوله للشيخ جمع بن عجيل «كن شفوقاً بإخوانك وإني أحذركم جميعاً من الاعتداء على أي قبيلة بعيدة أو مجاورة لكم والاشتراك مع العصابات والغزاة، فإن من يتجنب هذه السيئات ينتصر دائماً على خصومه. ولذلك يندر جداً اشتراك فرد من الأفلندة في أي غزوة أو ينضم لعصابة سوء. وكان الشيخ حامد يكسو ثوباً لكل من يوليه على رئاسة قبيلته، وهذه العادة لا تزال متبعة إلى اليوم. وكان الشيخ حامد كثير الذهاب إلى أرض الحرمين، وتوفي بجدة وله قبة اسمها «قبة الشيخ الأسد» أزيلت مع سائر القباب سنة ١٩٢٥م.




(١) زعيم الحباب.

## «الشيخ الأمين»

تولَّى خلافة آل الشيخ حامد بعد وفاة أبيه بجده.

ثم حدث بينه وبين نار ألمدة الخلاف الذي ذكرناه في «ألمدة بالحباب» بسبب صدر الناقة (ويسمى طَقّتْ) فرحل السيد الأمين إلى باضع (مصوع) ورجاه نايب محافظ مصوع أن يعود فأبى وقال: «إن كان ولا بد من العودة فلا بأس أن تكون بحراً فأحضر نايب له سفينة نقلته من مصوع إلى جزيرة ابن عباس، فسأل لما حاذاها عن سكانها فقيل له: «بهدور» Bahdour، فقال: سبحان الله «بَحْ وَدُورْ» بئس الفال (لا شيء) وقال للربان: لا تدخلها بنا وأنزلنا في البر الغربي لها فنزلوا في أرض عدوبنة ثم اتجه نحو الغرب حتى وصل مكاناً في خور بركة يقال له: «ديبة Deebah، فاقتص أثره بعض المشايخ ورجوه أن يعود معهم إلى أهله. فعاد معهم إلى وادي رحيب، وقرر أن يستقل بأهله عن عد قيء، وأن لا يساكنهم. فتبعه حواره المدعو فقيه عمر بأهله وعشيرته، وقال: «لا تهمني سلطة ناظر ألمدة»، بل رضاء شيخي أهم عندي منه ولو قطعوني إرباً إرباً»، فدعا له الشيخ الأمين بكل خير، وكان مستجاب الدعاء كثير الكرامات. وجاءته والدة عجيل جمع وقالت له: إن ابني عاقر، فقال لها: كلا بل سيرزق سبعة عشر ولداً، وكذلك همد هاسري وأنا. فصح قوله وهؤلاء هم أولاده: «علي ومحمود عبدالقادر وحامد وأبو بكر وطه ومحمد وإدريس وحسين وحسن وإسماعيل وعبدالله وعيسى وعامر وعثمان وعمر والدِّين، ولما توفي الشيخ الأمين دفن في رحيب (قبر الشيخ).

❋ ❋ ❋

## «الشيخ علي بن الأمين»

تولَّى الخلافة بعد والده وازدادت القرى المجاورة له وفي أيامه سميت «دقة الشيخ حامد» لهذه الزيادة.

واشتهر عصره بتأمين الناس من السلب والنهب، وانتدب بعض الفرسان على خيولهم لمراقبة المناهل والدروب المخيفة، وتحصل على بندقيتين وبعض الرصاص فخشيه اللصوص. وللشيخ علي عدة أنجال هم:

محمد والأمين وسليمان وإسماعيل وعبدالقادر وحسن وحسنين وحسين ومحمد وعثمان وحامد ومحمود.

وفي أيام الشيخ علي حضر السيد محمد عثمان سر الختم إلى كسلا، فزاره الشيخ علي وأخذ عليه الطريقة الختمية. وعاد إلى أهله، ثم جاء السيد بعد أن زار دقة دقلل وكل أراضي بني عامر ودقي كنتيباي. ثم سافر إلى مصوع. وكان الشيخ محمد بن علي دليلاً للسيد وحاشيته في طوافهم بأراضي إرتريا ثم وصلوا مصوع.

وكان كنتيباي جاويد يريد التخلص بأي وسيلة من الشيخ علي لئلا يزاحمه على السلطة أو ملكية الأرض. ولكن جاءت مصاهراتهما لبعض فقضت على كل الشائعات والريب. وتوفي الشيخ علي ودفن في «أَوَيْتَلاَ».

❋ ❋ ❋

## «بعد وفاة الشيخ علي»

حدث خلاف بين الأمين ومحمد (أبناء الشيخ علي) بسبب ميراث مخلفات والدهما وأهمها الإبل. وأعان الأمين أعمامه فغضب الشيخ محمد ورحل عنهم بأهله وأنجاله ومن رضيه وترك أبناءه عمر ومحمد عثمان في نارو، وسكن والدهم في إمبيرمي ودخنو. وأما الشيخ الأمين بن علي فرحل بأهله إلى تَحَرا. وفي إحدى السنين بينما كان الأمين في دقة دقلل هجم السيد علي ابن الشيخ عمر محمد وعمه محمد علي محمود حامد بالعساكر التركية التي كانت تطوف معهم لتحصيل الجزية من ضواحي محافظة مصوع، وأمر السيد علي كل من في دقة الأمين أن يرحل حالاً إلى قرية الشيخ عمر بن محمد علي. فرحلوا ثلاثة أرباع المنازل، ثم كروا ثانياً، ورحلوا نصف الباقي قوة واقتداراً. فحضر السيد الأمين من دقة دقلل ومعه الشيخ علي بخيت همد بعساكر أيضاً من كسلا، وتلقاهم السيد علي بعساكره، وكادا أن يقتتلا، ولكن الشيخ علي بخيت استعمل الحكمة معه وأخذ معه الأمين والشيخ عمر إلى كسلا، فطلب دقلل حامد محمد (ناظر بني عامر)

من مدير كسلا (عبدالرزاق باشا) أن يجعل مرجع أحكام الشيخ حامد أن تكون محافظة مصوع نهائياً. فوافق المدير وخابر محافظ مصوع بذلك، فقبل أن يحتكموا إليه، فحكم عليهم بأن يبقى كل منهم بما لديه من العربان. فرضوا حكمه، وما زالوا إلى اليوم «فدقة الشيخ عمر مؤلف من أَلْمَده وَأَسْفَدَة، وَرِقْبَات، وأما دقة الأمين فهم دائماً يقيمون حول قبر الشيخ علي في «تحرا، لا يرحلون عنها أبداً ومعهم جماعة من أسفدة وآل أبْ عوض، وبعد مجيء الطليان سنة ١٨٨٤م اجتهد حامد ابن الشيخ محمد علي أن يعمل قرية منفصلة عنهما. وقد نجح بمساعدة ابن الأمين وتسمى قراه: دقة الشيخ حامد محمد» ومقرها «قرابيت» بين أغردت وكرن. ويتولّى زعامة آل الشيخ حامد الأمين حفيده «الشيخ عامر ابن الشيخ الأمين ابن عمر محمد بن علي وقد زرتهم في سنة **١٩٢٥** فلقيت منهم كل إكرام ومودة.

دقة الشيخ حامد محمد حفيده السيد محمد الأمين حامد وهو أيضاً من أفاضل آل الشيخ حامد.

ويتولّى مشيخة دقة الشيخ الأمين بن علي حفيده الشيخ حامد بن محمد علي ابن السيد الأمين.



## «الشيخ محمد بن علي»

فبعد مفارقته لإخوانه ترك أبناءه يتنقلون بين أدهرا ونارو[1]، واتخذ إمبيرمي موطناً له، فالتفت حول منزله عدة قبائل بمنازلها. فكانت يوماً ما أكثر من أربعمائة منزل. ولما توفي سيادته سنة ١٢٩٤هـ، تولّى مكانه في الخلافة الشيخ عبدالقادر محمد بن علي، ثم خلفه عليها الشيخ الأمين عبدالقادر، واليوم بها الشيخ محمد علي بن الأمين. ولهذا الرهط مكانة مرموقة عند المسلمين والحبشة. وللشيخ محمد بن علي قبة فيها جثمانه

(١) والدتهم بنت كنتيباي جاويد بن فكاك.

الطاهر وتقام له حولية في كل عام يوم ١٢ صفر الخير، وللشيخ محمد بن علي من الأنجال: السادة: عمر ومحمد عثمان، ومحمد علي، وإبراهيم وأبو بكر ومالك ومحمد ومحمود وحامد الأمين، وعبدالقادر، ومحمد إدريس، ومحمد صالح، وأحمد وحامد (الثاني) وعلي.

وبينما الشيخ محمد بن علي في دخنو ثار أهلها على المحافظ فأمر بإطلاق الرصاص عليهم باستثناء محل مغروس فيه علم الشيخ محمد بن علي، ولكنه أصيب من مجهول بطلق ناري في بطنه كأنه جرح سكين، وذهب خادمه «لويينت» إلى نايب والمحافظ[1] وذكر لهم إصابة الشيخ فأوقفوا إطلاق النيران حالاً وجاء الطبيب ليعالجه، وبعد شفائه رحل إلى إمبيرمي وفيها انتقل إلى جوار ربه. وحضر وفاته ابنه الشيخ عمر الذي خلفه ثم الشيخ الأمين ثم الشيخ عامر ولما نال الشيخ محمد بن علي عهد الختمية كان خصومه على القادرية.

❋ ❋ ❋

## «آل الشيخ حامد والمهدية آل الدقناب»

كانت بينهما صداقات ومودة وراثية خصوصاً آل القاضي عبدالقادر حسين وآل الشيخ محمد بن علي، وكانت الزيارات والمواصلات الكتابية بين الدقناب وأهل مصوع طيبة جداً. ولما أعلن الإمام المهدي الجهاد انضم تحت لواء الأمير كثيرون من مشاهير زعماء البادية أمثال السيد حاج يعقوب والسيد عبدالرحيم حامد محمد. وكان الأول في دقة دقلل له إبل وأبقار كثيرة فجمعها كلها وباعها وأخبر نسائه بأنه سيقوم للجهاد وربما لا يعود، وطلقهن. وكذلك فعل السيد عبدالرحيم. فلما جاء الأول إلى الأمير عثمان فرح بقدومه وأرسله بخطاب أثنى فيه عليه لدى الخليفة عبدالله، وأقام بالبقعة حتى سنة ١٩٨٨م. ثم عاد مع الأمير عثمان عند مجيئه لزيارة الخليفة

---

(١) هو إسماعيل بك إذ إنهم اتهموا نايت محمد بأنه تواطأ مع الأحباش، والحقيقة أنه سافر لإمضاء معاهدة بين مصوع والرأس كنتوش لئلا يغزوها كأمر والي الحجاز.

واشترك في كل الوقائع التي كانت حول سواكن. ثم اشترك في وقائع التيب وأتبرة وكررى التي جرح فيها وتخلف في أم درمان، فلما شفي من جراحه عاد إلى كسلا ثم أفرج عنه. فلما عاد إلى أهله طلبه المحافظ الطلياني وسأله عن أسباب عودته. فقال له: أنا عائد إلى أهلي في دقة الشيخ حامد. فسأله لماذا فارقتهم أولاً؟ فأجابه: قمت لنصرة الدين الإسلامي.

س: إن الحكومة الطليانية تريد أن تكافئك على شجاعتك.

ج: لا أريد منها أي مكافأة، وليست لي بها أي علاقة.

س: إذاً لا داعي لذهابك إلى دقة.

ج: إن ذهابي إليه ضروري جداً لأنني منذ سنين لم أرهم وهم إخواني وأبناء أعمامي وكلهم مشتاقون لرؤيتي وكذلك أنا.

س: إني سأتصل بالوالي كي يجعل لك مرتباً حتى تعيش معهم عيشة هنيئة.

ج: لا أريد منكم شيئاً الآن، فقط اسمحوا لي بالذهاب ثم الإقامة بينهم.

س: عاهدني بأنك لا تحرك ساكناً أو توقد حركة ضد الحكومة الإيطالية.

ج: أنا فرد فكيف ترون أني أقدر على قتال دولة كبيرة. إني أصدقك القول بأني إذا سمعت مسلماً قام للجهاد سأتبعه مهما كلفني ذلك الأمر.

س: تفضل واذهب إلى دقة واترك عنك الجهاد لأن الناس تعبت منه.

ج: ولكنني لم أتعب. وخرج منه.

وكان السيد حاج يعقوب رئيس راية تحتها كثير من الأشراف، أمثال محمد حسين وهمد نور عبدالله الأمين، ولما جاء في دقة الشيخ نصحوه بأن يترك تعاليم المهدية والراتب أو وصف معارك القتال، فلم يكترث لأقوالهم بل بقي محافظاً على عهده مختصاً لبيعته حتى انتقل إلى جوار ربه.

وحافظت ذريته على البيعة والعهد إلى يومنا هذا ثابتين على مبادئهم القويمة.

ويتولَّى زعامة عد «الشيخ حامد» في «دقة» قام شيوا الشيخ الأمين ابن محمد ابن الشيخ عامر بن الأمين ابن الشيخ عمر ابن الشيخ محمد بن علي بن الأمين ابن الشيخ حامد بن أحمد نافعوتاي.

وهم كما أسلفنا أبعد الناس من التدخل في شؤون الغير إلا ما كان للصالح العام، ولم يصاهروا سوى رؤساء ألمدة والحباب والعجيلاب والنابتاب والبشاريين (نفيداب) والحلنقة.

❋ ❋ ❋

## الفايداب
## - الشيخ فايد -

يطلق هذا الاسم على ذرية الشيخ محمد بن فايد من الأشراف الحسنية. وقد جمعنا تاريخه من بعض الكتب والشيخ، وسنأتي على بيان ذلك فيما بعد. وهو كغيره من الصالحين تولّى الزعامة الدينية على القبائل الأموية مثل الماريا (مرعى) وولدنِهُو (ولِنِّهُو) الفونجاوية. واشتهرت هذه القبيلة بعدم تحملها للضيم، حتى إنها كانت من أوائل القبائل المتحررة من سلطة النابتاب، وأنشأت نظارة منفصلة في إرتريا وعمودية كبيرة بالسودان[1]. ومن فحول هذه القبيلة السيد حامد فرج حامد رئيس مجلس نواب إرتريا، وهو يتحلى بمزايا خاصة يتخللها العدل والدراية التامة بحقيقة مطالب بلاده وأهلها، ويكفيه أنه متمتع بثقة أهل وطنه سواء منهم المسلمون والمسيحيون، ولقد اجتمعت به كثيراً فهو لن يفيه هذا القلم حقه من الوفاء والإجلال.

وكانت للفايداب سلطة مدنية على بعض القبائل التي تحررت من سلطتهم جميعها إلا جماعة ضئيلة من الدناكل كانت تحت سلطة العجيلاب

(١) سنكتب عن رؤسائها في بني عامر.

اختار رئيسها أن ينتقل إلى الشيخ الحسن أبو الحسن[1] بالسودان بجهة العقيق، أما دناكل كسلا فرفضوا أن يكونوا تحت الفايداب لذا تجدهم في غاية الارتياح والحرية. والفايداب اشتركوا في كل حوادث شرق السودان، واليوم منهم علماء أعلام يشار إليهم بالبنان، أمثال: الشريف محمد عثمان بن الأمين، ومحمد شيك ابن أبو الحسن بن الحسين، ومحمد عثمان بن فقيه آدم وإخوانه، ومحمد صالح الحسن أبو الحسن وغيرهم من أبناء الشريف مصطفى حسن وآل حيوتاي.

وقرى الفايداب لم تسلم من غزو عصابات الحباب. وكان في الفايداب رجل مشهور بالشجاعة والإقدام اسمه موسى بن عزيز (عديد) من قبيلة ولنهو فقد كانت له عدة حوادث مع الأسفدة ذكرناها هناك.



**رئيسي محكمة توكر الأهلية**

(١) الشيخ أبو الحسن.

(٢) الشيخ أبو الحسن الحسين.

---

(١) خضعوا للفايداب سنة ١٩٤٨.

وفي إحدى السنين اتحد الحباب وبيت معلا على الفايداب، وبعثوا بعصابة من رؤسائهم[1] إلى جبل عريرب حيث كان الفايداب يصطافون، فسمع موسى عزيز بمؤامرتهم، فقال لأهله: إما أن تهربوا بالمنازل والعائلات، أو المواشي. فاختار الشبان الهروب بالمواشي. فسار هو بالمنازل[2] وسارت العصابة خلف المواشي وطاردت الشبان، فلجأوا إلى موسى وأخبروه بقوة العصابة، فذهب للقائها، فبرز إليه رجل من أسفدة وآخر محمد عيسى سماك (بيت بحايلاي) فقتلهما، وجرحه الأخير، فتفرقت عنه العصابة وانشقت على بعضها. وأقسم جرجيس أن لا يعطي أبناء هداد من المواشي ما لم يصارعوه فرفضوا، وأخيراً صرعه علي هداد، فطلب إعادة المصارعة، ولكن علي قال: كفاني فخراً أني صرعته، وتنازل إخوانه عن حصتهم[3]. أما موسى عزيز فقد كانت إصابته في رأسه وقد وضع عليها الشيخ علي إبراهيم إدريس بعض أوراق من شجرة هناك كان بها شفاؤه بعد ثلاثة أشهر.

وقتل موسى بيد عصابة من الويلعلياب وقد قامت من فلَكْ لأخذ ثأر إبراهيم رَهْلْ)، وقتل معه رجل شجاع اسمه «طَدَا حامد عوض» من شجعان أبناء عمر (الذين قتلوا إبراهيم رَهَل، وهذان الشجاعان حالاً دون أخذ الهدندوة لمواشيهما وإبلهما التي عادت إلى قرية «شاميت بنت أدرات» الشاعرة المشهورة بهجو الحباب ومدح شجعان العجيلاب وأبناء عمر بقصائدها الطويلة.

ومن يرى المسافة بين فلك ومقمانات قرب عقيتاي ليعجب كيف قطع الويلعلياب هذه المسافات الشاسعة ولكن من يعرف الثارات لا يستبعدها.

❋ ❋ ❋

---

(١) كانت العصابة مؤلفة من أبناء كنتيباي هداد بن فكاك ابن أخيه جرجيس قربنت وإدريس حامد إيتدكل «عميد بيت معلا».

(٢) لا تقلّ عن ثلثمائة عائلة.

(٣) كان مقتل جرجيس على يد أبناء عمه هداد وطلب إدريس أن يقوموا معه لنهب مواشي الحماسين وفعلاً عادوا منها ببعض الأبقار.

## «نسب الفايداب»

وقد وجدته مخطوطاً عند الشريف الحسيب النسيب رئيس محكمة توكر الأهلية الشيخ الحسن ابن الشريف أبو الحسن بن سليمان بن علي بن إبراهيم بن إدريس ابن الشريف محمد شيخ ابن الشريف حامد شيخاي ابن الشريف محمد بن فايد بن فايد بن محمد بن حامد بن أحمد المزواري بن محمد بن حامد بن حسن بن حسين ابن الشريف الحسيب ذو النسبتين الطاهرتين الجسدية[1] والروحية المحمدي العلوي الحسني الفاطمي أبو الحسن علي الشاذلي[2] بن عبدالله بن عبدالجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وكان الشاذلي يلقب بسيدي الشيخ أبا الحسن رضي الله عنه «أبو المشايخ والمواهب»، وهو قطب الزمان والحامل في وقته لواء أهل العيان. حجة الصوفية، علم المهتدين، زين العارفين، أستاذ الأكابر زمزم الأسرار، ومعدن الأنوار، القطب الغوث الجامع أبو الحسن علي الشاذلي رضي الله عنه لم يدخل في طريق القوم حتى كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة، وقد توفي في «حُمَيثرى» بصحراء عيذاب في إحدى حجاته وكان يقول قبل وفاته بقليل «في حميثرى» سوف ترى.

وصل إلى سواكن من مكة المكرمة سنة ١٠٧٦هـ، الشيخ محمد بن فايد، وكان يتقاضى مرتباً سنوياً من نائب شريف مكة المكرمة المقيم بمدينة سواكن، وقد كان لدى الشيخ محمد فايد وثيقة تثبت هذا الحق له ولذريته من بعده، وجاء في هذه الوثيقة (المحفوظة اليوم عند الشيخ الحسن أبو الحسن عميد عموم الفايداب) بعد المقدمة:

«وجامكيتك طاقية وعمامة ستة عشر ذراعاً. وقميص بيتي، وثوب بيتي، وعلجة، وقفطان، وجبة خضراء، وسراويل تركي، وهذا أمر من

---

(١) نقلاً عن كتاب نور الأبصار.

(٢) نسبة إلى «شاذلة» قرية بقرب مدينة تونس.

السلطان، وجامكية أبواتكم أصحاب الشريعة والطريقة والحقيقة. وأما كساوي حريمكم وأولادكم في كل عام أربعين أشرف، وعشرة فوط من صابون ودابول وخمسة عشر ثياب منيرات لكم من السلطان إلى عند الحرمين الشريفين السيد زيد بن محسن كنز الفقراء والمساكين بهذه الجامكية ويشهد القرشي والفقراء عليهم أجمعين، هذا والسلام.

وكانت ذرية الشيخ محمد فايد يستلمون حقوقهم هذه من محافظ سواكن ومصوع حتى احتلت إنجلترا سواكن، وإيطاليا مصوع سنة **١٨٨٤**م.

ومثل هذه المرتبات ربما تكون مدونة في سجلات أوقاف الشيخ أبو الحسن الشاذلي، والشيخ أبو العباس المرسي بالإسكندرية، فعلى الفايداب أن يعرضوا هذه الوثائق إلى من بيدهم أمر أوقاف المشايخ المذكورين.

وللشيخ محمد بن فايد ثمانية أنجال هم: عبدالقادر وعلي[١] وأبو بكر وبركات وإدريس وإبراهيم وأحمد النقاش وحامد شيخاي (أمه بنت ناظر بني عامر دقلل إدريس) جاء في «طبقات ولد ضيف الله»: حدثنا الفقيه صغيرون الشقلاوي تلميذ الشيخ إدريس محمد الأرباب قال: إن الشيخ محمد ولد فايد تلميذ الشيخ يقدم في كل عام لزيارة الشيخ من البحر الملح (الأحمر) وتحضر معه قبائل الشرق وعرب أكد[٢] (عاصمة ناظر بني عامر) وعرب التاكا (كسلا وبادية القاش وسهول نهر عطبرة الذي يقال له بالتيجرية: «تاكاأو تاكاز») وغيرهم يأتون دافرين مثل قبائل جهينة: منهم من هديته العسل ومنهم من هديته القماش، ومنهم من معه الرقيق كل أحد على قدرته، ينزلون أولاً على ولد النفيداوي[٣]، ثم يأتون المحل الذي فيه حلة

---

(١) هو جد أشراف العميراب بالهدندوة.

(٢) في الصيف تكون العاصمة «هواشايت» وفي الشتاء في «عيدب» جنوب توكر.

(٣) هو السيد إدريس ابن السيد أحمد نافعوتاي الذي اختلف مع أخيه السيد حامد في عيدب عندما حكم الثاني على أخيهما محمود بالقصاص، وسكن إدريس مع قبيلة البشاريين وهو صاحب القبة المشهورة بعطبرة.

ولد أبو دليق، وفي وقت حضر معهم الشيخ بدوي[١] شاب صغير السن لابس شملة رباعية، ووالدته قد كانت توسلت إلى الله بالشيخ فيه ونذرت بقرة وعشرة محلقات، وقالت لولد فايد: ولدي لا ينقطع منك لكثرة الخلق فإن العير لا تسعهم الحلة، ونزولهم عادة خارجها، وطالبو النوال يأتون إليه من جبيل أم علي، ومن أَرْبَجِي (الأول هو جبل أم علي بأرض الجعليين، والثانية عاصمة العبد اللآب) والشرق والغرب ينتظرون قدوم الشيخ محمد ولد فايد إلى الشيخ إدريس. وهم يدخلون عليه طائفة طائفة بهداياهم نهاراً. ويقول: ولد فايد: يا يابا هؤلاء الفلانيون وهذه زيارتهم من سمن وعسل ورقيق وقماش وإبل صهب. وفي العشية كذلك والعشام يأخذون كلما يدخل ونواب الشيخ إدريس في إدخال المال عليه ثلاثة وهو يقسمها على الناس حتى تكمل هذه الأموال بأجناسها. قال الشيخ صالح ولد بانقا (بان النقا) ما وصل إلى الشيخ شيء قط من أموال هذه القافلة إلا العشر محلقات المصرورات في شملة الشيخ بدوي ناولها إياي.



## «الفايداب»

هذه صورة من نسب الفايداب أعطاها إياي زعيمهم الشيخ الحسن أبو الحسن رئيس محكمة توكر الأهلية، وهي مطابقة للنسخة التي عند الشريف مصطفى بن حسن في جهة أغردت رأيتها عند زيارتي له في سنة **١٩٩٣**م.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

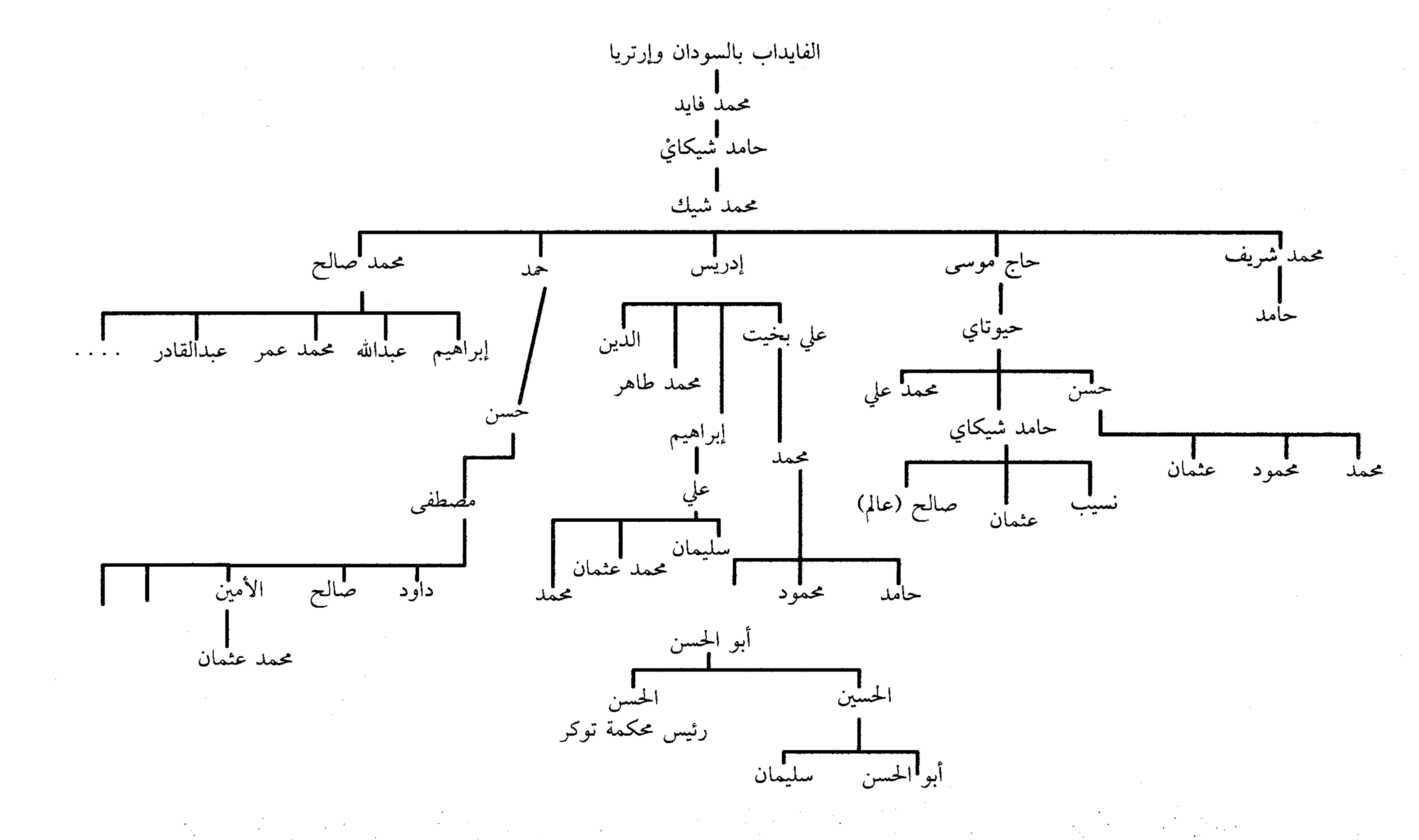
**وبه نستعين وصلى الله على من لا نبي بعده**

الحمد لله وحده، والسلام التام، والتحية والإكرام، ما دامت الليالي والأيام، وتكرر الشهور والأعوام، سلام ألذ من القوة، وأبرد من النسيم،

(١) قتلته قبائل فأهلكها الله على يد آل كلب، وكلاهما تحت نظارة بني عامر. واليوم ذرية الشيخ بدوي مع حفرة بكسلا وهي قبيلة صغيرة انقرضت.

وأحلى من العافية للسقيم. سلام قولاً من رب رحيم، فروح وريحان، وجنة نعيم. أما بعد فالسلام من عند السيد المرشد المشرع للطريق «الشريف زيد ابن الشريف محسن كنز الفقراء والمساكين والضعفاء والأرامل، المعتق في الرقاب، المجاهد في سبيل الله، الموفق لسنة رسول الله ﷺ، إلى الشيخ الكامل العامل محمد ابن السيد فايد ابن السيد محمد ابن السيد الشيخ حامد ابن السيد أحمد المزاوري ابن السيد محمد ابن السيد حامد ابن السيد حسن ابن السيد حسين ابن السيد الأجل القطب العارف المحقق الرباني، صاحب الإشارات العليا، والعبارات السنية، والحقائق القدسية، والأنوار المحمدية، الشريف الحسيب النسيب ذي النسبتين الطاهرتين الجسدية والروحية، والسلالتين الطيبتين الغيبية والشهادية، الحسني الفاطمي، فحل الفحول، إمام السالكين علي الشاذلين أبو الحسن بن عبدالله بن عبدالجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولد أبو الحسن الشاذلي سنة **٥٥١**هـ وهو ضرير، وتوفي بصحراء عيذب عند قرية «حميثرى» وكان قبل وفاته يقول «في حميثرى» سوف ترى.


الفايداب بالسودان وإرتريا
محمد فايد
حامد شيكايْ
محمد شيك
محمد شريف
حامد
حاج موسى
حيوتاي
حسن
محمد
محمود
عثمان
حامد شيكاي
نسيب
عثمان
صالح (عالم)
محمد علي
إدريس
علي بخيت
محمد
حامد
محمود
إبراهيم
علي
سليمان
محمد عثمان
محمد
محمد طاهر
الدين
أبو الحسن
الحسين
أبو الحسن
سليمان
الحسن
رئيس محكمة توكر
حمد
حسن
مصطفى
داود
صالح
الأمين
محمد عثمان
محمد صالح
إبراهيم
عبدالله
محمد عمر
عبدالقادر
. . . .



# قبائل بني عامر

## بيت مَغْلاَ
## «السيد أحمد مَغْلا»

سنبدأ بتدوين القبائل العربية التي ورثت أراضي وجبال قبائل حماسين الأحباش. فنقول: إن كل كتب المؤرخين السابقين تعتبر عموم القبائل التي تسكن حول الجبال الواقعة غرب العقيق وقرورة من الأحباش إذ أطلق على بعضها اسم حماسين، وهذا خطأ لأن حماسين الأحباش لم تبق منها بالسودان إلا أقلية نادرة في بعض القبائل، وليست لها أي سلطة أو رئاسة، إذ أن السلطة محصورة في العنصر العربي وهو السائد في إقليم البجة منذ ظهور «البَلَوْ» (بَلَوِيبْ). وأول من ظهر بالجبال من مسلمي العرب هو أحمد معلا «جد عموم قبائل بيت معلا» وسنوضح أصولها بعد فراغنا من «بيت معلا». وهذا الاسم يطلق على إحدى قبائل بني عامر الكبيرة التي ترأس عليها ابن بنتها المسمى «أحمد مَغْلا»[١]، وعميدها الحالي الشيخ محمد بن إدريس حامد الملقب باسم «إيتْدَكَّلْ»، وهو مثل اللقب البجاوي المستعمل «باتْأَديِّل» وتعريفها «لا يصطلح». وتنقسم هذه القبيلة إلى قسمين هما بيت المشيخة وهم ذرية محمد بن محمود، وعَلِيتْ «أتباع» وهم الذين يضمهم الشيخ إلى قبيلته من القبائل التي تنقرض عائلات رؤسائها، أو يقل تعدادها،

(١) تطلق معلى على من يبلغ الزبدة بكثرة «وهو اسم للبروة التي تحفظ الزبدة فيها».

أو تفنى مواشيها، فتستجير بجيرانها، فيحسنون إليها مما رزقهم الله حتى تتحسن حالتها فتبقى وتندمج فيهم بالمصاهرة وغيرها. والشيخ محمد إدريس المذكور من العلماء الأتقياء درس القراءة والكتابة في دقة عد الشيخ حامد[1]. وكان يراقبه الشيخ الأمين بن عمر بعين رعايته، ويشمله بعطفه، ويقول: إن هذا الولد الصغير[2]، ستكثر وتعمر بيت معلا في أيامه، وتشتد شوكتها كما كانت في أيام جده الشيخ إدريس حامد. وكان المستمعون يرتابون في أقواله لأن القبيلة بعد قتالها للهاسريين تفرقت في السهول والجبال وتشتت باقيها في أيام المهدية.

ومصداقاً لقول الشيخ الأمين اجتمعت تحت شياخة محمد عقب إنهاء المهدية من ساحل البحر الأحمر «١٨٩١م» فنصبت خيامها كالسابق في عاصمتها «تَبِح Tabih» ذي المراعي الخصيبة والطقس المعتدل صيفاً وشتاء «بإرتريا» وإليه تهاجر قبائل بني عامر السواحل في الصيف منذ أقدم الأزمنة، ولشيخهم رسوم خاصة يتقاضاها من الرعاة، وقد جاء ذكره في قصائد بعض شعرائهم. وأول من حمى رعاية تَبِحْ هو الشيخ إدريس حامد، ثم الشيخ محمد «والد المذكور» فإنه حظر رعاية تَبِحْ على الهاسريين ككليب وائل التغلبي في الجاهلية. ومن أشهر الأمثال في القبائل «عزة ذي الحمى كليب وائل» ومن الأمثال العربية «فلان أعز من كليب» لأنه كان عزيزاً عظيم المهابة، فكانت لا توقد نار مع ناره «للضيوف»، ولا ترد إبل الماء قبل أن ترد إبله. وكان يحمي المراعي فلا يقربها أحد. ويحمي الصيد فلا يصاد. وكان لا يتكلم أحد في مجلسه حتى يسأله، ولا يجلس حتى يأمره. فيتهيب في جلوسه متأدباً، والصفات الأخيرة شائعة في الحباب إذا كانوا في حضرة كنتيباي أي حتى أنهم لا يبتسمون إلا إذا ابتسم. وقد نشبت حرب شعواء بسبب حماية كليب للمرعى مكثت أربعين عاماً بسبب ناقة جار لامرأة تسمى البسوس بنت منقذ التميمية خاله جساس ابن مرة «أخو جليلة زوجة كليب».

---

(١) دقة عد الشيخ أنشأه الشيخ عمر محمد علي من بقايا ألمدة وأسفدة.

(٢) ولد الشيخ محمد إدريس سنة ١٢٩٤هـ، وتوفي سنة ١٣٧١ وقد كف بصره بالماء سنة ١٩٠٢م.

وكان الجار من بني حزم يقال له: سعد بن مشمر يملك ناقة اسمها سراب ذهبت مع إبل جساس ترعى في المرعى المحظور[1]، فنظر إليها كليب فأنكرها، فرماها بسهم أصاب ضرعها، فولَّت حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها يقطر دماً ولبناً. فلما رآها صاحبها صاح صيحة عظيمة خرجت لها البسوس وشاهدت الناقة، وضربت يدها على رأسها وقالت: «واذ لاه» ثم أنشدت:

لعمرك لو أصبحت في دار منقذ ... لما ضيم سعد وهو جار لأبياتي
ولكني أصبحت في دار غربة ... متى يعد فيها الذئب يعد على شاتي
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل ... فإنك في قوم عن الجار أموات

فلما سمع جساس قولها أسكتها وقال لها: ليقتلن غداً جمل أعظم من ناقتك[2]. فلما سمع كليب ذلك ظن أنه يقصد جمله عليان، فقال: دون عليان خرط القتاد في الليلة الظلماء.

فتمكن جساس من كليب منفرداً فطعنه وألقاه قتيلاً. وفر جساس إلى أهله وقال لهم: «طعنته طعنة تهتز لها العرب» فأجابه والده: «هل قتلت كليباً؟» قال: «نعم». فقال له: «بئسما جنيت علينا» وطرد التغلبيون جليلة، «زوجة كليب» أخت جساس وهي حامل، ثم ولدت عند أهلها ولداً تبناه جساس، وكان يدعوه بأبي. فلما كبر تشاجر مع أحد أبناء الحي وعرف من أمه الحقيقة. وذات يوم تمكن من غفلة خاله جساس فطعنه بالرمح وثنى عليه بالسيف وامتطى جواده وفر إلى أعمامه التغلبيين، ثم صلح بين الحيتين عمرو بن هند ملك العرب.

وفي أيامنا هذه حذا حذوه الشيخ محمد ضرار علي وحظر المراعي حول عقيتاي على النابتات والحباب فقط في سنة **١٩٢٥م**، فتحالفا ضد قبيلة العجيلاب. وعند أول مصادمة فر المعتمدون إلى خَلَتَشْتُو بقرب عيتربة.

---

(١) لم تكن ترعى مع إبل كليب إلا إبل جساس إجلالاً لخاطر جليلة.
(٢) يقصد كليباً بن وائل.

وفي اليوم التالي حضر الرجل الصالح السيد محمود إبراهيم حامد والشيخ حسن كنتيباي، فمنع الأول الهاسريين من الدنو من المراعي[1]، ومما قاله: إنك سمعت كلام الهاسريين وتريد قتال العجيلاب في أراضيهم مع أنك تعلم أنهم ورثوها من بيت بَحَايْلَايْ. وجاء الناظر «إدريس صالح» ومعه المستر اسكوت (مفتش طوكر) وحققوا في الدعوى، وثبت خطأ الحباب والهاسريين[2]، وجعلوا حدوداً بين العجيلاب والهاسريين هي خط سير اللواري إلى قرورة بأن كل ما كان شرق الطريق أراضي عجيلابية، وكل ما كان غربها هاسرية[3].

ولم يكن الشيخ إدريس محمد أقل همة من كليب إن لم يكن أكثر يقظة منه، وأبعد همة، حتى إنه كان لا يغفل أبداً. وتراه يسيء الظن بأقرب الناس إليه. وقد سمعت بأخبار شجعان كثيرين في هذا الإقليم فكانت شجاعة إدريس وسرعة ضرباته بالسيف وقفزاته إلى الأمام أو الخلف فوق الوصف. ثم فرار الشجعان من لقائه تزيده رفعة في نظري. وقضى حياته من دون أن يمكن خصومه (وهم كثر) من اغتياله أو الاحتيال على غفلته. وسنأتي على حماية مراعي تبح عند ذكر أيامه.

وبيت مَعْلا هي القبيلة الوحيدة التي لم تمتد عليها «نظارة بيت بَعْشُو». وهم الذين ضموا بأمر ملك الفونج تحت نظارتهم كل قبائل بني عامر الحماسينية بعد القضاء على بيت بَحَايْلَايْ الذين شتت العجيلاب شملهم، وورثوا أسلحتهم وأراضيهم الحالية.

❋ ❋ ❋

---

(١) يستفيد من مثل هذه الخلافات الرشايدة، فقد هرّبوا إلى الفريقين المتحاربين كثيراً من البنادق الرصاص، وكانوا يبيعون البندقية ومائة رصاصة ببقرة أو بعير أو سبع نعاج.

(٢) في صيف سنة ١٩٢٤م اتفقا على نصب خيامهم في منطقة عقيتاي وكان سفراء السوء ينقلون التهديدات للفريقين وخصوصاً الرصاص.

(٣) لا يزال هذا الحد محترماً بين الفريقين. وقال دخيل بن دخيل الله: نحن بعنا لكم البنادق والرصاص وعلمناكم استعماله لتقتلوا بعضكم البعض فنرث أراضيكم بسهولة.

## بيت المشيخة

قال لي الشيخ محمد بن إدريس محمد عمدة بيت معلا السابق: إن جدهم من ذرية الحسن السبط يقال له: الشريف محمد، حضر من أرض الحجاز سنة ٦٤١هـ ونزل من سفينة في ميناء العقيق بتجارة بسيطة، وفي تلك البادية قبية «طارْقِيلِي قَيِحْ» (الحمراء وهي فرع من أَلْمَدَة)[١]، وكان لرئيس القبيلة ابنة اسمها ملوك رفض أن يزوجها والدها حتى جاء هذا الشريف فخطبها وتزوجها ورزق منها ولداً سماه «أحمد ابن الشريف محمد»[٢]. وبعد زمن عاد والده إلى مكة المكرمة، ثم مرض وتوفي بها بعد أن أوصى ابن عمه بأنه ترك ابناً له ببادية العقيق مع «طَارْقِيلِي قَيِحْ».

فسافر العم واسمه «يس» إلى سواكن ثم منها إلى العقيق حتى عثر بالطارقيلي الحمراء، فتزوج أرملة الشريف، واعتنى بتربية ابنه أحمد معلا، ورزق منها ولداً أيضاً سماه محمداً على ابن عمه المتوفى. ولصغر جسم الولد سموه[٣] «أبو حَشِيلة» أي ضعيف كالثعلب والاسم الأخير أيضاً من الأسماء القرشية.

هذا وقد تحققت بأن كل ما كنت أسمعه من شيوخ بيت معلا، أمثال: عَبْدَلْ حسين، وسليمان، وإبراهيم أبو نارو، وصالح حامد كَلْوانَايْ، وهُمَّدْ قِرْبَتْ، وعلي سعد، وغيرهم حقيقة لا مراء فيها. وفي سنة ١٩٢٥م رأيت خطابين عند الشيخ صالح علي سعد، أحدهما: من السيد أحمد الميرغني، والثاني: من السيد محمد علي بن محمود إبراهيم حامد، وكلاهما معنونان من الداخل والخارج بالآتي:

الحسيب النسيب السيد صالح علي سعد.

---

(١) تنقسم إلى عائلتين يقال لإحداهما: «طارقيلي قيح» والثانية: «طارقيلي طلام» أي طارقيلي الحمراء والسوداء.

(٢) قيل: إنه من بني شيبة القرشيين الذين بيدهم مفتاح الكعبة.

(٣) قيل: إن والدته أخت الشريف محمد. وهم مشهورون بالصلاح.

وكلا السيدين من زعماء الشرق الدينيين. وفي إحدى السنين حدث خلاف بين طارقيلي الحمراء والسوداء، وأرادت كل منهما أن ترأس الأخرى. فأرسلت وفداً لمقابلة ملك الفونج، وتبعهم السيد أحمد معلا مع خاله. ولما وصلوا نزلوا بدار الضيافة. فأرسل إليهم الملك سريراً صغيراً، فجليس عليه أحمد معلا، وجلس رجال الوفد تحت. ثم أرسل إليهم ثوباً من الدمور، فأخذه معلا من حامله ولبسه، والوفد يعجب من أعماله التي هي عبارة عن خطف كل ما يراه حتى في إناء الطعام يختار الألذّ. فقال أحد رجال طارقيلي طَلَّامْ: «امنعوا ابنكم من جرأته هذه فإننا ضيوف وأصحاب قضية». فأرسل إليهم الملك سيفاً قصيراً فأخذه أيضاً معلا.

وبعد أسابيع دعاهم الملك إلى مقابلته. فلما حضروا سألهم من جلس على السرير ولبس الثوب وأخذ السيف. فقالوا له أخذه هذا (وأشاروا إلى معلا)، وهو ابن بنتنا، ووالده مكاوي فقال لهم: لقد اختبرتكم جميعاً جيداً فلم أجد من يستحق فيكم الرئاسة إلا هذا الغلام.

وقد اخترته لكم وارتضيته، فأطيعوا أمره ولا تخالفوه. وسلموه زكاة أموالكم. فرضوا جميعهم وعادوا إلى أهلهم.



## الشيخ محمود أبو مَكْرَة(1)

كل ما لدينا من المعلومات عن مشايخ بيت معلا يبدأ من أول الشيخ أبو مَكْرَة الذي اشتهر بأمره الصادر على كل القبائل الخاضعة لسلطته، أو المجاورة له كي نحفر خندقاً عريضاً بين العقيق وعدوبنة مبتدئاً من ساحل البحر الأحمر متجهاً نحو الغرب حتى يصل حذاء جبل «عنقاء» أو (عنقا)، ثم يتجه شمالاً نحو جبل «تَقْدَرَة» ثم ينعطف نحو الشرق حتى يصل شاطئ البحر فتكون العقيق ودرباب ونَبَتْ وما يليها داخلة في هذه الجزيرة التي كان

(1) ويسمى محمود أبو المكر.

الغرض من حفر الخندق حولها أن يكون أبو مكرة وأتباعه محتمين من غزو البجة وسواهم. فاستمر أبو مكرة ساهراً على تنفيذ خطته ومراقباً لسر العمل حتى كاد أن ينتهي.

وبينما هو يفكر ذات ليلة في طريقة لسرعة إنجاز عمله، لسعته حية (ثعبان) في رجله، فقضت عليه، ولم يتم من الخندق إلا نصفه.

لقد لاقت العربان مشاقاً كثيرة في الحفر خصوصاً طارقيلي طَلَّام فإنها هربت لما كثرت عليها الأتعاب والأحكام الصارمة. فأمر أبو مكرة عصابة بأن تطاردها. وفعلاً عادت العصابة ومعها إبل خاصة بالعمدة. فخافت طارقيلي أن تستأنف العصابة غزوها، ولذلك لجأت إلى جهة سَمْهَرْ (مصوع). وتفرقت هذه القبيلة «طارقيلي طلام»، وفي كل رحلة تبقى منها جماعة بالمسافة الشاسعة بين العقيق ومصوع. وتفرعت القبائل الآتية من ذرية محمود أبو مكرة:

(١) صل، (٢)، بِهِير، (٣) مَعْلَايتْ، (٤) علي كامل، (٥) كميل، (٦) عِمير.

أما القبائل الأجنبية التي تحبّ رئاسة الشيخ محمد إدريس منذ أقدم الأزمنة فهي:

رِقْبات - طَارْقِيلي - أَقْدُوبْ - أسْفَدة - كِفَانْ - إفْريد - برِغْدَيْ - بَعل إحِلْ (وتعريبها صاحب أو راعي العجول وهم فرع من أسفدة) - وأبناءِ عِمِرَايْ[1]، وأبناء إسماعيل ومُهُوشا وأبناء سعد الدين، كل هؤلاء خضعوا لسلطة بيت معلا لأنها اضطرت للسكنى معها. وهذا حال كل أجنبي يساكن الوطنيين، فإما أن يخضع لسلطتهم أو يفارقهم إلى أهله. وكل هذه العائلات عادت إلى أصولها سواء في إرتريا أو السودان بعد جمعيات ١٩٤٧م.

أما الذين تفرعوا من بيت الرئاسة فأولهم «إنْدِيكْنَا» وأولاده هو «حسب النبي» الذي رزق عمر، وهذا له محمود الملقب بأبي السبعة (أَبْ سَبُعْ) وهم:

---

(١) قيل: إنه من بقايا بيت بحايلاي أو إخوانهم من الأمويين.

هُمَّد - كِرِدَّايْ - ناصر - سدَّايْ - عِمير - كامل[1]، كميل - ويقال لهم: عَدْ هُمَّدْ محمود كميل فمن ذريته عائلة أبناء أَرَبِّب الذين رفضوا الاشتراك في قتال بيت معلا وعد هاسري سنة ١٣٠٠هـ. فلما أساء لهم الشيخ إدريس محمد عميد المعلا رحلوا منه إلى الشيخ أُكد موسى عمدة هاسري مستجيرين به. وبينما هم في الطريق إليه تلقتهم جماعة من أبناء أَبْسَعَد وهاسري فرحبوا بهم، فلما اطمأنوا غدروا بهم واقتتلوا، فاستاء الشيخ أُكُدْ لما سمع بالغدر[2]، من عمل الهاسريين، وجاء إلى محل الحادث، ومنع قتل بقية المستجيرين، وأساء إلى محمد عمر أبسعد، (ولكن بعد أن سبق السيف العذل).

لم أعثر على من له إلمام تام بصحة أنساب وأسماء رؤسائها أو حوادث ذراريها قبل ولاية الشيخ حَمَد حِسَال، ولذلك اعتذر لأبنائها في عدم الإسهاب وكل معلوماتي عنهم استقيتها من العمد الشيخ محمد إدريس، وعمي همد نور علي ضرار، والسيد مشفا بن صِرَايْ بن هَرِنْرِوَايْ، (وهو رجل في منتهى التقوى والصلاح منذ نشأته) الذي يتمتع بثقة عموم قبائل بني عامر وخصوصاً أهل الجبال.

قال: إن حمد حِسَال بن عامر (هِرُودَة) ابن علي بن عمر بن هُمَّد بن محمود بن عمر بن حسب النبي بن أنديكنا بن أبو بكر بن معلا المسمى بأحمد معلا ابن الشريف محمد بن علي بن عبدالقادر بن حسين بن صالح بن عبدالرزاق بن محمد بن سليمان بن صالح بن محمد بن زيد بن شِبلول بن محمد بن شعبان.

انتهى ما حصلنا عليه من نسب بيت معلا. ولم يبق إلا ثلاثة أو أربعة أجداد ينتهى بهم نسبهم القرشي إلى الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

❋ ❋ ❋

(١) يقال: إن معلايت تفرعت منه، وكذلك عد حسب بن شبح، وعد ألما، وعد كروف.

(٢) أكثر قتلى النابتاب كان بيد هاتين العائلتين ولذلك كانوا يقتلون كل من يلقونه من المعلاويين.

## (الشيخ همد بن محمود)

كل ما لدينا من المعلومات عن الشيخ هُمَّد هو أنه رزق أربعة أولاد أكبرهم: عمر ثم موسى ثم كامل ثم حامد ولكل من هؤلاء ذرية طيبة تعرف باسمه[1].

❋ ❋ ❋

## (الشيخ عمر بن همد)

لم يخلف إلا ولداً واحداً اسمه علي، تولّى رئاسة قبيلة بيت معلا بعد وفاة والده.

❋ ❋ ❋

## (الشيخ علي بن عمر)

لم يرزق إلا ولداً واحداً هو «عامر».

❋ ❋ ❋

## (الشيخ عامر)

هو الذي اشتهر باسم «هَروُدَة»، وخلف خمسة أنجال هم:

موسى - حمد حِسال - همد - سَمْرَة - وعلي المشهور بلقب «قَنْرِي»، ولكل من هؤلاء الخمسة ذرية كثيرة.

❋ ❋ ❋

(١) إذا أضيفت كلمة «عد» أو بيت قبل أي اسم من القبائل البجاوية «تيجرية» التابعة لنظارة بني عامر سهل معرفة العائلة أو الجد الذي تنحدر منه.

## (الشيخ موسى بن هرودة)

تولّى العمودية بعد وفاة والده ولكن لم تمتد به الأيام فمات بعد ثلاث سنوات.

❋ ❋ ❋

## (الشيخ حمد حسال)

تولّى رئاسة بيت معلا بعد وفاة أخيه موسى بن هرودة، وتكاثرت القبيلة في عهده وازدادت مواشيها. وازدهر عصره بالرخاء وكثرة الأمطار، وانتشرت المصارعة بين الشبان بالسيوف والقذف بالرماح. وتاقت نفس هؤلاء الشبان الشجعان بالتحدث عن الانتقام من القبائل التي كانت تضغط عليهم مدة قلتهم، فكان الشيخ حمد حسال يرسل عصابة من أشجع الفتيان إلى الشرق. وقبل عودتهم أو معرفة أخبارهم يرسل أخرى إلى الغرب، ويأمر الثالثة بأن تكون على استعداد لنجدة إحدى العصابتين. كما وأنه أول شيخ يأمر أولاده الصغار باستعمال سيوف العُشَر للمبارزة.

سافر الشيخ حمد حسال مع الشيخ جِمِع بن عجيل بن علي والدِّقْلَلْ هُمَّد بن موسى، والشيخ همد بن هاسري إلى مدينة سِنَّار لزيارة ملك الفونج لتوريد زكاة مواشي قبائلهم، وإزالة أي خلاف بين دِقْلَل وأبناء عمومته. وقال دقلل للملك: لبعد ديار هؤلاء المشايخ بالبحر المالح أنا أستلم منهم الزكاة وأحضرها بمعرفتي إلى سنار فوافق الملك. ومنذ ذلك الحين انضمت بيت معلا إلى نظارة بين عامر. وكانت هي أقوى وأغنى قبيلة بالقنوب لجودة مراعيها وحسن تربيتها للمواشي والناس.

أما الشيخ جِمِعْ بن عجيل فقد تعهد بالأقمشة التي يتحصلها من السفن التي ترسو بالسواحل. وكان أيضاً مثل الهاسريين[1]، يسلمه لدقلل. ولم

(١) كانوا يدفعون زكاتهم من الإبل والبقر والسمن والعسل لشدة غناهم.

يكن هناك مقدار معلوم يدفعه كل عمدة إلا بعد فتح الترك لكسلا ودَقَه دِقْلَلْ (بعد سنة ١٨٤٦م).

واستاء كامل بن حمد بن حسال من قبول أبيه الانضمام إلى نظارة بني عامر ومات من الغيظ كما غضب «ملادن بن موسى هرودة»، وقال: لا نخضع للنابتاب بتاتاً بل نورد زكاتنا بأنفسنا منفصلين عنهم ولو مع سائر إخواننا حماسين الجبال «أبيات حمر وسود»[١]، فطرده عمه ومات مكموداً واستمرت بيت معلا تحت نظارة بني عامر سنين عديدة حتى ظهرت المهدية وانفصلت القنوب عن بركة، ثم انفصلت إرتريا عن السودان.

وحوالى سنة ١٨٩٨ جاء دور تخطيط الحدود بين حكومتي السودان وإرتريا فأصبحت كل أراضي بيت مَعْلا ضمن حدود إرتريا، كما فصلهم محافظ كرن عن بني عامر أَغُرْدَتْ، وكذلك فعل محافظ مصوع إذ فصل الأفلندة والعجيلاب عن نظارة دِقَلل أغردت. ووافق حاكم عام إرتريا بأن تتبع كل قبيلة مقر محافظتها فاستاء دقلل الحسين وزاد استياؤه عند فصل عَدْ أُكُدْ منه أيضاً برئاسة الشيخ محمود شريف[٢].

أما في السودان فبقيت الحالة على ما كانت عليه، غير أن معلا السودان أصبحت أقلية، ولكنها محترمة ومحبوبة عند كل ذي مروءة وشهامة خصوصاً عند العجيلاب فإن رؤساءهم من أمهات عجيلابيات. وقد انفصلت عن نظارة بني عامر سنة ١٩٢٥م في عهد عميدهم الشيخ صالح علي مسعد من الناظر الشيخ إدريس بسبب تحيزه لأقاربه نَابْتاب هاسري عيتربة. ومن النوادر الطريفة أن هؤلاء طلبوا الانفصال عن أخيهم الناظر، فقال لهم مدير البحر الأحمر (المستر تبتس): إن الناظر ابن عمكم فلا يصح فصل الجسد عن بعضه. وهنا قال الشيخ محمد بن ضرار عِلِي: «إن هذا بتر وتقطيع لأوصال قبيلة كبيرة» فقال له المدير: وأنت إذا لم يعجبك هذا سأفصلك عن

---

(١) أنشأ شوم عمار نظارة على الحماسين المتاخمة لجبال البحر الأحمر وكانت له رسوم على الإبل.

(٢) بعد وفاته انضمت العمودية إلى نظارة دقلل بني عامر إرتريا.

هذا الناظر، وأضمك إلى قبائل توكر في العام القادم. فقال له الشيخ محمد ضرار: في ضمنا إلى توكر مضيعة لاسم بني عامر إذ ربما يأتي يوم تنصهر فيه قبائل تلك المدينة ونصبح لا حضريين ولا بدويين وفي ذلك خطورة على وحدتنا القبلية (بني عامر). وانفض الاجتماع باستقلال المعلاويين من نظارة دقلل العتيقة.

وبقي الشيخ إدريس صالح مريضاً بالمستشفى، فلما شفي بعد سنة اجتمع بي ومعه وثيقة رسمية (باللغة العربية) يطلب منه أن يوقع هو والعمد والمشايخ عليها ومضمونها (إن حكام السودان كانوا من الأتراك ولم يكونوا يوماً من المصريين، ولذلك نحن الموقعين في هذا الصك راضون بالحكم الحالي) الثنائي اسمياً والإنجليزي حقيقة[1] (فعلياً). وملخص الشروط البريطانية في ثلاث مواد، إذا لم تنفذ في الحال فإن الإنجليز يحتلون جمرك الإسكندرية (وقد تم ذلك)، لأن دولة رئيس الوزراء سعد باشا زغلول لم يقبل إلا المادة الأولى فقط، ثم أقصي عن الحكم بالقوة الحربية والضغط على الملك أحمد فؤاد:

١ ـ دفع نصف مليون جنيه مصري دية القتيل السير لي استاك باشا حاكم السودان وسردار الجيش المصري.

٢ ـ إخراج المصريين الحربيين والمدنيين من السودان.

٣ ـ ألا تتقيد حكومة السودان بالثلاثمائة ألف فدان لري أرض الجزيرة من خزان مكوار، (وهذه الفقرة هاجمتها صحافة الأمم الحرة والمعارضة الإنجليزية ووصفوها بأنها وضعت للتشفي وخنق مصر بالعطش). فنفذ الجميع زيوَرْ باشا وحل البرلمان المصري وألغى الحياة النيابية.

---

(١) بعد مقتل أستاك باشا «حاكم عام السودان» أخرج الإنجليز كل الموظفين وكذلك الأورط المصرية من السودان بأمر أصدره دولة أحمد زيون باشا رئيس الانقلاب الذي خلف سعد باشا زغلول.

استشارني الشيخ إدريس صالح الناظر في توقيع الوثيقة، فأخذت منه قسماً على المصحف على الكتمان، ثم قلت له: ما دمت أنت مختلف مع المستر برجس بتوكر وصدرت منك جملة نابية[1] استاء لها كل الإنجليز وأيدوا فصل «البيت معلا عنك»، فاعتذر بأن كلمتك غير محترمة أو مسموعة. وخشية من افتضاح السر لا يمكنك عرضها عليهم، فلو أعيدت إليَّ البيت معلا لحاولت التوقيعات. وفعلاً قال ذلك لنائب مدير البحر الأحمر، ولزم الفراش سنتين يتنقل بوثيقته بين العقيق وتوكر وبورتسودان، والخصومة بينه وبين المفتش تزداد، والود مفقود، والجو في السودان ومصر ولندن مكهرب ومكفهر، حتى تولَّى منصب مفتش توكر المستر اسكوت المستشرق (نائب مدير المعارف)، فأمر الشيخ صالح علي سعيد أن يرجع لنظارة بني عامر، فرفض وفضل الاستقالة من العمودية التي تولاها عمه الشيخ إبراهيم أبو نارو. ثم تم التوقيع على الوثيقة، كما تم التوقيع على وثيقة مماثلة لها تطلب خروج الإنجليز من السودان (بيد أحد الموظفين المصريين)[2].

لما أراد المسترا سكوت[3] المناقشة في موضوع الناظر والعمدة صالح ابتدأ قوله: «إن سعادة المدير أمرني بعمل هذه الجلسة هنا في العقيق لكل المشايخ حتى يشهدوا أنه وافق على عودة البيت معلا للنظارة البني عامرية وتعيين مرتبات شهرية لكل العمد والنظار»[4].

بعد وفاة أبو نارو تولَّى عمودية بيت معلا بالسودان الشيخ همد حامد وُسُوك، وهو من بيت الرئاسة له ابن يسمى «محمد الحسن» ذو همة عالية وخبرة بالعادات القبلية.

---

(١) أثناء تحقيق المفتش في قضية سرقة بين المعلاويين والنابتاب قال الشيخ إدريس: «إن مكتبك ما هو إلا حانة».

(٢) الكتاب الأبيض الإنجليزي.

(٣) هو أول من قاد تجربة الطلبة في تفكيرهم الأدبي والاجتماعي والسياسي كما أنه أول رئيس لجامعة الخرطوم.

(٤) قيل: إن هذه المرتبات كانت من أرباح دية أستاك التي رفضت زوجته وابنته استلامها.

ولنعد إلى حوادث الشيخ حمد حسال[1] وهو كان معاصراً للشيخ جِمِعْ بن عجيل (عميد العجيلاب)، وَكَنْتِيبَايْ ناود بن إداد (ناظر الحباب)، وكنتيباي قرينت (ناظر تماريام)، والشيخ هُمَّد هاسري عميد الهاسريين.

أما في إرتريا فإن البيت معلا كانوا يعيشون في هدوء وأمان، والتفوا حول عميدهم بإخلاص، واعتنوا بتربية المواشي والزراعة، وتكاثر تعدادهم حتى بلغوا ألوفاً مؤلفة وعاد إليهم احترامهم القديم.

❋ ❋ ❋

## (قتال العجيلاب وبيت معلا)

في عصر حميد حسال حدث أول قتال بين العجيلاب وبيت معلا في مكان يقال له: «عِنكِلتْ عجيل»[2]. روي أن سبب هذا القتال هو أن رجلاً من معلا اسمه «حبيب» كان صديقاً للشيخ جمع بن عجيل، وكان يزوره في الشتاء بأبقاره لجودة مراعي الأفلندة، ويمكث معه نحو أربعة أشهر سنوياً. فتحرش به الشيخ عجيل وأبناؤه (ما عدا جِمِعْ) وطلبوا منه أن يسابقهم بأبقاره. فرفض حبيب وقال: إن جمع صديقي اشترط علي أن أسابقكم، فألحوا عليه حتى أرغموه على السباق. فسبقت أبقار حبيب، وذاع خبر سبقها بين القبائل فاستاء عجيل، وقال: سنرتاح منها قريباً. وأرسل مندوباً إلى الأَرتيقَة والكميلاب في توكر وطلب منهما إرسال عصابة يكون مندوبه دليلها لتنهب أبقاراً كثيرة لا حامي لها. فوصلت العصابة واستولت على كل أبقار حبيب فاغتاظ جمع[3] من عمل والده وإخوانه، وقال لهم: إنكم غدرتم بضيفي وجاري واتفق مع حبيب على أن يزوره بعصابة من سكان هَجَر ومجاوريها على أن يستولوا على بقر أبيه وإخوانه. ووعده بالتمهيد

(١) هي كلمة تجربة معناها «رسن الجمل» وبالبجاوية يقال للرسن: «هسال».

(٢) تقع غرب وادي رحيب «جنوب قرورة». ومعناها «تل عجيل».

(٣) كان غائباً عن القرية يوم مجيء العصابة.

للانتقام. وأقصي شباب الأَفْلَنْدَة عن «الدقة الأفلنداوي»[1] مدعياً أن الهدندوة نهبوا إبل الأفلندة من الساحل البحري. فاتبعوه ما عدا أخاه نور الدين ووالده فإنهما تخلفا. ثم جاء حبيب وعصابته واستولوا على أبقار عجيل وأولاده. وفوق التل المذكور وجدوا عجيل بن علي فقتلوه[2]. ثم جاء الشيخ حمد حسال وقطع جبهته، ومسح بها وجهه ورأسه وهو يقول: «عسى الله أن يمنحني عمراً مثل عمرك وسعداً مثل سعدك وذرية مثل ذريتك، وأن أكون ميموناً وموفقاً مثلك في كل أموري». ولما سئل لماذا فعل هكذا أجاب أن والدي هرودة أوصاني بذلك. أما الشيخ جمع فإنه عاد ووجد والده مقتولاً معه بعض الرعاة وعلم أن حبيباً عاد إلى أهله بعمدته ومواشيه فغضب، ولكن ماذا يجديه ذلك لأن كل الذي حدث كان بموافقته. وأخذ معه الشبان وسار خلف العصابة فلم يدركها، ووجد أبقاراً في «أدوكا» الكبرى والصغرى. (لم يتمكن أصحابها من تهريبها منهم)، فنهبها كلها وعاد بها إلى أهله وقسمها بين من فقدوا مواشيهم. وبعد سنين انتابت الأفلندة مجاعة واضطرتهم للرحيل فجأة وبينما هم في هذه الحالة السيئة جاءهم إنذار من حمد حسال[3] بتعقبهم. فاستجار الشيخ جمع عجيل بكنتيباي ناود بن إداد فلم يجره[4].

فرحل منه إلى كنتيباي قرينت (ناظر أبناء تِمارْيَامْ)، فتلقاه بالبشر والترحاب، وأنزله أحسن منزلة، وأقطعه أفضل المراعي وهي سهول «شِعِبْ» الخصبة (تسكنها اليوم العجيلاب والأفلندة بإرتريا). وأما الشيخ حمد حسال فإنه غزا ديار العجيلاب ومعه أمثال بيت قريش ولَبَتْ، ولِبِّسْ، ورَسْحَتْ وكل جيرانه ولكنه عاد من غير أي فائدة، إذ وجد الديار تنعي من بناها من أهلها بسبب المجاعة. وترك عصابته حول رحيب تنتظر عودة الأفلندة.

---

(١) دمرته حروب بيت معلا وقلة الأمطار في عصر الشيخ جمع.

(٢) كان في سن الشيخوخة.

(٣) جمع جموعاً كثيرة من كل الحماسين لإبادتهم عن آخرهم.

(٤) كان مصاهراً لبيت بعشو الذين كانوا رؤساء الحماسين «سكان هجر وما حولها».

وبعد سنين عاد جمع إلى دياره فتلقته عصابة رحيب وانتصر عليها[١]، فلما عادوا ذبح للمقاتلين من أبقاره وقال لهم: اجعلوا الأثافي من جماجمهم نظير تمثيلهم بجثة والدي.

مراراً ما حاول نور الدين قتل الشيخ حمد حسال، ولكنه لم يتمكن، فأوكل أمر قتله لخادمه المسمى «همد نور بن كَسّابْ»، وقال له: اذهب واسكن مع البيت معلا حتى يطمئنوا إليك، فإذا وجدت فرصة أو غفلة من الشيخ حمد حسال فاقتله لأنه قاتل أبي. فوجد همد نور كساب فرصة مؤاتية، فطعن الشيخ حمد حسال في صدره برمح طويل نفذ من ظهره، فهجم عليه ثلاثة من شباب معلا وقطعوه إرباً إرباً بسيوفهم.

ويعجب المرء إذا علم أن والدة الشيخ حمد حسال هي من بُولاب العجيلاب (أي أخت الشيخ عجيل)[٢]، والبولاب هم إحدى بطون المَلْهِيتكَنَابْ ويسكنون مع بني عامر إرتريا.

وللشيخ حمد حسال من الأنجال «كِمِيل» المشهور بلقب إيتْدَكَّلْ[٣] «لا يصطلح» وبالبجاوية «باتْأَدِّيلْ».

❊ ❊ ❊

## بين معلا وماريا

نهب الشيخ حمد حسال أبقار قبيلة ماريا السوداء من «إرُوتَا» بقرب حَلْحَلْ، وتَمَبَلِّي «بسبب مناقشة حادة دارت بينه وبين بعض مشايخ ماريا». إذ قال لهم: ما رأيكم في من يضرب تَمْبَلِّي بالسيف فقالوا: هيهات للسيف أن يقطع جبلاً. ثم عادوا وأخبروا زعيمهم بقوله، فقال لهم: اهربوا قبل أن

---

(١) قبل القتال ربط الأفلندة الشيخ جمع بالحديد في القرية ونبهوا على النساء أن لا يطلقنه إلا بعد موتهم أو انهزامهم، وهي عادة قديمة حتى لا يقتل رئيسهم.

(٢) كان حمد حسال يدعو عجيل «بخالي».

(٣) هذا لقب صديقنا الشيخ حمد موسى عمدة ديم العرب.

يغزوكم فأطاعته جماعة منهم وخالفه آخرون، فنهبت عصابة المعلاويين أبقار المخالفين.

ومن طباع المعلاويين الغريزية أنهم إذا هموا بشيء نفذوه في الحال من غير أن يتبصروا في عواقب الأمور، ولذلك تجد تاريخهم حافلاً بانتصاراتهم في الموقعة الأولى.

❋ ❋ ❋

## (الشيخ إيْتدَكّل)

في آخر أيام الشيخ حمد حسال[1] كان مقتل عبدالله وأُكُدْ وأختهما وأربعين رجلاً من جماعتهم بيد المعلاويين. فلم يكترث عمدة الهاسريين لمقتلهم. وبدأ في جمع العصابات والرجال الأشداء استعداداً للقتال. وأرسل إنذاراً إلى الشيخ إيتدكل، وهذا كان يقابله في كل شيء بالمثل بل بأعنف وأشد من تهديداته. ولا بأس أن نورد هنا كيف بدأ الشر بينهما.

كان أكد بن هاسري وأخوه عبدالله وأختهما «هُبُوسِيتْ» ورجل من قبيلة «رِقْبَاتْ» اسمه حِلِيبايْ، وآخرون يسكنون بجوار المعلاويين في مكان يقال له: «أَدُوبْحَا»، فطلبوا لبناً من رعاة أبقار بيت معلا فرفض المعلاويون الطلب وأرسلوا مندوباً إلى إيتدكل بذلك، وأخبروه بأنهم ربما اقتتلوا فخق الشيخ إيتدكل لإدراكهم، ولكنهم كانوا قد انتهوا منهم بالقتل، فاستاء جداً من عملهم وقال لهم: «كيف تقتلون ضيوفاً يطلبون منكم طعاماً وما أكثره لدينا. لقد أفسدتم علي رأيي وتدابيري، وهدمتم آمالي العظيمة في المستقبل. فقالوا له: نحن لا نرى القِرى ضيافة لهؤلاء النابتاب بل هو ضريبة أو أتاوة أصبحوا يطلبونها منا في كل صيف. فقال لهم إن النابتاب كلها ستقف ضدنا بما في ذلك ناظر بني عامر (ابن عمهم)، فاستعدوا للرحيل إلى سَمْهَر

---

(١) اعترت الشيخ حمد حسال سن الشيخوخة وألقيت المسؤولية على ابنه «إيتدكل». الذي كان بيده إدارة شؤون القبيلة، والحوادث المذكورة اعتبرناها من عصر ابنه إيتدكل.

(مصوع) لنستجير منهم بنايب مصوع البَلَوي لأن كل من حولنا سيكون محارباً لنا. وفعلاً رحلت بيت معلا بقضها وقضيضها إلى إقليم سمهر.

قال لي الشيخ محمد بن إدريس العمدة سنة ١٣٥٧هـ: إن جده الشيخ إيتدكل أقسم يوم ولايته أن لا يسفك دماء قبيلته أو يشترك في قتل أحد أو نهب أي مواشي، ولكنه في هذا الحادث أصيب بصدمة عنيفة بسبب هذا الحادث ولم يحدث في بقية أيامه أي سوء إلا هذا. وقال لي عن مقتل أُكَدْ وجماعته: إن رجلاً أشاع بين المعلاويين أن عبدالله وأخاه أُكُدْ قد قتلا «سلطان بن قنرى». وهو من مشاهير شجعان المعلاويين، فقال له إيتدكل أقسم لي على ذلك، فأقسم بأن قص ضفيرة من شعر رأس الشيخ إيتدكل. فقتلت الجماعة ثم جاء سلطان سالماً معافى «لم يقتل» إلى إيتدكل ومعه مندوبين من سمهر. فتعجب من الإشاعة الكاذبة واستعد للقتال الطويل الأمد، أما الشيخ هُمَّد هاسْرِي فإنه استعد للانتقام. وأرسل العصابات من كل قبيلة خلفهم، كما أرسل بعض المصلحين في أثرهم عارضاً عليهم الصلح والعودة إلى ديارهم. فاغتر جماعة منهم بكلامه وعادوا وضمهم إلى عربانه. ووصلت بيت معلا أرض مِسِحي واستجار الشيخ إيتدكل بنايب أحمد في دخنو. فأجارهم وأكرمهم جداً، وعين فرقة من العساكر كي تعسكر معهم لحمايتهم من كل اعتداء[1].

وبعد ثلاثة أعوام أرسل الشيخ همد هاسري آخاه حامد بيلي[2] إلى نايب أحمد في دخنو بهدايا كثيرة وأغراه بطرد بيت معلا من سمهر إلى ديارها. فأجابه أن اتباع كلامك سيلوث سمعتي بين القبائل وسنرى. وكان أول عمل أتاه سحب الفرقة العسكرية. فتحقق الشيخ إيتدكل أن في الأمر شيئاً، لذا استعد للرحيل. وفجأة ظهر بين القرى شبان من دخنو يحملون

---

(١) أهدوا إلى النايب أبقار كثيرة.

(٢) أقاموا في دخنة ستة شهور كان أثناءها يحرض نايب على المعلاويين ضيوفه. ومما كان يقوله «أنا جئتك مستجيراً من قوم قتلوا إخواني ولجأوا إليك فأنا أطلب العون من الله ومنك» «في كل توسلاته لم يذكر حامد أنه من الهاسريين».

السلاح ومعهم حامد بيلي يأمر بتقويض المنازل والرحيل حالاً. ونهبوا بعض مواشي المستجيرين بهم، فرحل الشيخ إيتدكل من مفارقة الغادرين بضيوفهم حتى وصل قرورة (حدود السودان الحالية). فوفد الشيخ إيتدكل ومعه ابن عمه منذر إلى الشيخ همد هاسري وسلما عليه وقابلهم أحسن مقابلة وتسامحاً وعفا عن دماء القتلى. وعملا صلحاً وتعهداً على أن يعيشا بسلام وأمان كالسابق ووحدا المراعي والمناهل.

ومنذ ذلك الحين علمت قبيلة الهاسريين أن لا راحة لها مع المعلاويين مهما تعاهدتا أو اتفقتا. وكان همد هاسري يوقع بين رؤساء بيت معلا الخلافات، ثم إنهم لا يتحملون الضيم أو الإساءة لأنهم شجعان.

❋ ❋ ❋

## (الشيخ حامد إيتدكل)

تولّى العمودية بعد وفاة أبيه، وحضر كسوته يوم الولاية الشيخ حامد ابن السيد أحمد نافْعُوتَايْ وقد اتفقت كلمة بيت معلا على رئاسته. وتزوج الشيخ حامد بابنة نسر الدين بن قلايدوس[1]. ورزق منها ثلاثة أنجال هم: إدريس وكامل وعامر. وأهم ما حدث في أيامه هو حصوله على سيف بيت معلا المشهور باسم «وَدْ دَلاَشَايْ».

❋ ❋ ❋

## (دَلاَشَايْ)

هو اسم لسيف اشتهر بجودة فرنده، ومتانة حده، وجمال منظره. في كل من صفحتيه بحران متوازيان طولهما شبر، وبأعلاهما صورة خد لوجه ورأس متجه نحو اليمين[2].

---

(١) من رؤساء عد تكليس، وجدّتها هي فاطمة بنت عجيل بن علي.

(٢) لدى المؤلف مثل هذا السيف بالضبط غير أن بأعلاه صورة لكف يد يمنى بدلاً من الوجه. وفي كل من النهرين نقوش فارسية جميلة جداً متقنة الصنع والرونق.

أما كيفية الحصول عليه، فيقال: إن خادماً اسمه دلاشاي، من قرية عد مدين (حباب) كان يعمل بمصوع، وهناك اشترى سيفاً من سوقها[١]، ثم عاد إلى أهله. وبينما هو في الطريق مع أحد القوافل تصدى لهم أسد في وادي «أَدْهَرَا»[٢] (وهذا التصدي حدث لي أيضاً ولكن الله سلم)، وهجم على الخادم دلاشاي الذي ضربه بالسيف على رجليه الأماميتين فقطعهما، وسقط الأسد مضرجاً بدمائه. ثم ثنى عليه فقطع الخلفيتين. فذاعت بين كل القبائل شجاعة الخادم وجودة السيف، وتناقلت الركبان هذه الحادثة حتى طرقت مسامع الشيخ حامد إيتدكل، فامتطى جمله من «تبح» (عاصمته) وسار حتى بلغ قرية عد مدين (أقاربه)، فلما وصلهم تلقاه «هاكين بن علي نور بن مدين» (ابن خالة الشيخ حامد)، وطلب منه أن يذبح جمله وينزل من على ظهره، فقال الشيخ حامد: «إن لي إليكم حاجة، ولن أنزل إلا إذا وعدتموني بإنجازها. وبينما هما في الكلام اشترك همد نور على نور في الحديث، وقال للشيخ حامد: «اطمئن إننا مستعدون لتنفيذ رغبتك خصوصاً وأنت جئتنا من ديار بعيدة». فأجابهما بأن طلبه صعب المنال، فقالا له: وإن يكن. فنزل من على جمله مرتاحاً، ولما أراد العودة إلى أهله سألوه عن طلبه، فقال: أعطوني السيف الذي عند خادمكم «دلاشاي». فأعطوه له في الحال ثم عاد به إلى أهله وهذا السيف لا يزال يتفرادثه مشايخهم كابراً عن كابر، وهو من السيوف النادرة جداً، ومراراً ما خشيت الشجعان لقاء حامله. فكان مع همد شوم بن إدريس حامد يوم مقتل أبناء حسان وبه قتل إبراهيم كامل بن حامد (أيام عمودية الشيخ محمد بن إدريس).

ولما توفي حامد إيتدكل ترك من أولاده أربعة هم: إدريس، وكامل، وعامر، وحِجِلْ.

❋ ❋ ❋

(١) في هذا العصر قال هوسكنز المؤرخ الإنجليزي «١٨٣٥م»: عادت إلى مصوع خمسمائة سيف جديدة من اليمن، لم تجد من يشتريها فبيعت هناك. وأكثر سيوف العجيلاب والأفلندة والبهدور من هذه السيوف، وهي غاية في المتانة والجمال إلى اليوم.

(٢) هناك نفق في الجبل للأسود.

## (الشيخ إدريس حامد)

تول المشيخة بعد وفاة والده، واشتهر هذا الشيخ بالصرامة في أحكامه، والقسوة في كل أعماله. ومراراً ما شن الغارات على مجاوريه، وقل من سلم من أذى الشيخ إدريس الذي لم يكتف بالعصابات التي يؤلفها من المعلاويين بل كانت له عصابات من الجباب وسواهم، بل وأحياناً تصل به الحالة إلى أن ينهب نفس أهله المعلاويين ولو كانوا من أقاربه، حتى كرهوه في أيامه الأخيرة، وسئموا رئاسته غير أنهم كانوا لا يجسرون على مجابهته بالعزل أو تعيين خلف له. فقرروا الرحيل من جواره والتفرق في القبائل الأخرى حتى إنه مرض مرضاً شديداً وليس بجواره أحد منهم. وقد نصحه دقلل محمد بن أكد ناظر بني عامر باستعمال الرفق واللين، ولكن الشيخ إدريس حامد كان شاعراً مجيداً وقد نظم كثيراً من حوادثه.

ولنذكر الحوادث التي كانت في عهد عموديته.

❋ ❋ ❋

## واقعة أَتْ أَوْحَتْ[١]

كانت هذه الواقعة بين العجيلاب والمعلاويين في المكان السابق ذكره. وأما أسبابها فهي أن عصابة من الحباب[٢] نهبت أبقار كامل والقرى المجاورة لمنازله (تحت حمايته). وكان كامل غائباً عن القرى، فلما حضر وعلم بحادث النهب اتهم الشيخ إدريس بتحريضهم، فجمع عصابة ونهب أبقار أخيه إدريس وكل من جاوره، مقتصاً منه فعلته، ثم عاد إلى قراه وأخذ كل من تبعه ورحل من ديار بيت معلا واستجار بالشيخ ضرار بن عجيل (عميد العجيلاب والأفلندة) فأجاره هو وكل من حضروا معه من مشاهير

---

(١) تقع غرب قرون داخل حدود إرتريا.

(٢) قيل: إنها تألفت بإيعاز من الشيخ إدريس حامد إيتدكل حيث كانت بينه وبين أخيه كامل «صهر الشيخ ضرار بن عجيل» خصومة.

المعلاويين، أمثال: حسين همد عُوُّور (أعور وأخيه هَرَنْرِوَايْ، وَسَمْرة بن همد حَبْ) فاقتفى الشيخ حامد أثر كامل وجماعته، فلما أدركهم طلب من الشيخ ضرار أن يسلمهم إليه فأجابه: أنتم حضرتم إلينا مع الغروب فانزلوا عندنا الليلة وفي الصباح ننظر في جميع مطالبكم. يقول جدي الشيخ علي ضرار: إن غرض والده كان اطمئنانهم والمبيت حتى إذا ناموا كان عازماً على القضاء عليهم، ولكن ابنه جميل ضرار تسرع وتلفظ بعدة كلمات نابية، ثم قال لإدريس: دعك من كلام والدي فأنني أقسمت ألا أسلمهم إليكم إلا وأنا ميت، ثم أخذ سلاحه وهجم عليهم فتلقاه سمرة بن كسلا (قائد العصابة) وضرب كل منهما صاحبه بالسيف، فنبا سيف جميل وأصاب عجيل سمرة مقتلاً من جميل وأثخنه بالجراح، فمات جميل وجرح همد ضرار في ساقه، وكذلك عجيل ضرار. ثم جاء همد بن عمار (شمادة) وأطلق حربته على صدر سمرة فقتله وهجم رجلان على الشيخ ضرار أحدهما من الخلف (واسمه أُكُدْ بن همد دار) من قبيلة عِلْمَنْ الأرتيقية وأمه من نابتاب عد عمر، وضربه في كتفه، والثاني هو علي بن كنتيباي هداد فكاك ضرب ضرار أيضاً على يديه بالسيف، وتمكن كامل حامد وسمرة همد حب من قتل رجلين من العصابة. ثم جاء شيك بن عجيل وابنه فكاك فقتل كل منهما رجلاً، ثم تكاثر العجيلاب وانهزمت العصابة فساروا خلفها نحو أربعة أميال، ثم عادوا ظناً منهم أنها لن تعود إليهم، ولكن الشيخ إدريس سار إلى طريق مراعي إبل العجيلاب فقتلوا رعاتها[١]، واستاقها أمامه إلى تبح.

وقد جاء وصف هذه الواقعة في أشعار رجال القبيلتين خصوصاً قول الشيخ كسلا يرثي ابنه:

«لِتْدَبَّحْ جميل ود ضرار لَدَارنا أَبْدَى ودارو»[٢].

(قاتل الله جميل بن ضرار فإنه خرب دارنا وداره).

---

(١) قتل فيها محمود همد شبارين «أللوت» وطروى بن أب عايلاي «فرد» وهمد شنكحاي (سايهو مرساي)، ولما وصلوا أهلهم ذبحوا الإبل بقطع أرجلها أولاً.

(٢) يتحسر على من ماتوا من القبيلتين.

«أبْهُو جميل إتْ لِبِلْ بريد أبي لأَسْرَارُو».

(أبوه كان يقول جميل ولم تبرد أعصابه)[1].

«وأمه جميل إتْ تِبِلْ أبْهو تَعَلِّبْ وخالوا».

(وكانت أمه تفخر بآبائه وأخواله).

«لَسِيفُو إنْدُو ظَلْمَيُو إي تَحَلَّبُتُو لَعِمَّارو».

(خانه سيفه فلم يتمكن من نيل وطره).

فرد عليه هُمَّد بن شيك بن عجيل قائلاً:

«هَلاَّ دبُوت إلاَّ جميل وإنَاسْ إتْ عادل».

(إنها لمصيبة كبرى أن نقارن بين جميل وأحد الناس).

«إتْ دَبِرْ أقِّيرايتُو وفَارِسْتُو إتْ لَقَلاَقِلْ».

(إذا مشى في الجبل ظننته يمشي في السهل كما أنه فارس في السهل).

وبعد مضي ثلاث سنوات من هذه الواقعة حضر دقلل محمد بن أكد من خور بركة إلى القنوب، وطلب من الشيخ ضرار بن عجيل مقابلته، فامتنع كسائر مشايخ المنطقة. وبعد مداولات اجتمع به وسأله عن أسباب عدم حضوره فقال الشيخ ضرار: تأخرت عنك لأني مستاء لأن عصابات من الحباب وبيت معلا قتلت ابني وإخواني وجرحوني وبقية أولادي ونهبوا نياقي، فإن كنت حقيقة ناظري فابعث معي عصابة أنتقم بها لنفسي، أو اسمح لي بأن أعود إلى أهلي الهدندوة. فقال له دقلل: هذه رغبة بسيطة، وأرسل معه عصابة مؤلفة من البوليس وبعض شباب العجيلاب، وهجموا على ديار بيت معلا فلم يجدوا بها أحداً إذ سمعوا بخبر العصابة، فسلمت أنفسهم ومواشيهم، وفي عودة العصابة قابلتهم ثلاث مراحات من أبقار معلا

---

(١) هي بنت الشيخ علي بن البدوي ـ وليس لجميل أي عقب.

فأخذها لنفسه وكان هذا آخر خلاف وقتال بينهما، إذ انقلب الشيخ إدريس لغزو الحباب وهاسري وبعض أقاربه حتى إن المعلاويين ارتحلوا إلى كنف أخيه كامل حامد وسكن الشيخ إدريس في مكان يقال له: «قِنْ حَشْكِبْ» (بقرب وادي فلْكَتْ)[1]. وقضى الشيخ إدريس كل أيامه في عراك مع عدة قبائل وغيرها مثل عد عمر، وماريا[2].

واشتهر الشيخ إدريس بحبه لضرب الربابة (بَاسِنْكُوبْ أو مَسَنْقُو) حتى إنه كان يستعملها، وهو على ظهر جمله في رحلاته، كما وأنه هو الذي اخترع لقبيلته «وتر يسمى عِنْدِرْ» وعمل فيه حفيده الشيخ إدريس محمد إدريس بعض تحسينات حتى أصبح من أحسن الأوتار مثل بِيطَايْ العجيلاب، وسَبَبْ الهاسريين، وسير الجمال للفايداب. وكان شاعراً مجيداً كثير الهجو للنابتاب. وليس لكل هذه القبائل نحاس إلا الذي عند دقلل في إرتريا.

وخلف إدريس من الأولاد: محمد، وهمد شُومْ، وهَرُودة، (عامر)، وحامد شَنْقَبْ، وكميل ومحمود جَيَادْ، وفُونْجَايَ، وعلي.

قيل: إن شيك بن عجيل هجم بعصابة على إبل ليلاً فذبحها ظناً منهم أنها ملك بيت معلا، ولكن ظهرت أنها لأبناء عمهم (عمير) فغرموا ثمنها.



## الشيخ كامل حامد

تولَّى مشيخة بيت معلا في أيام أخيه الشيخ إدريس الأخيرة[3] وسار فيهم بأحسن المعاملة، كما تحبب إلى جيرانه من القبائل. وأما الشيخ إدريس فقد رحل بأنجاله إلى أقرب قرية حبابية، ومنها بدأ في إرسال

(١) أمر دقلل الشيخ كامل بجمع الزكاة من القبيلة فأستاء الشيخ إدريس وتنحى عن الرئاسة.

(٢) تجد ذلك موضحاً في محله.

(٣) لصغر أنجال إدريس خلت الرئاسة للشيخ كامل.

العصابات إلى بيت معلا وغيرها. وأما أهله المعلاويون فقد التزموا الهدوء والدفاع.

وتزوج الشيخ كامل بابنة ضرار بن عجيل ورزق منها خمسة أنجال هم: إبراهيم وشريف وضرار وعجيل وحامد كَلَوَانَايْ.

❋ ❋ ❋

## الشيخ محمد إدريس

بعد أربع سنين تقريباً من شياخة الشيخ كامل حامد رفع أبناء الشيخ إدريس حامد شكوى لناظر بني عامر وطالبوه برد عموديتهم إليهم. فجمع الناظر كل مشايخ بني عامر واستشارهم فيمن هو أحق بالعمودية فاختاروا جميعهم الشيخ محمد بن إدريس(١)، واتحدت كلمة أبناء سمرة وهرودة وهمد عُوُّور وأبناء فَنْرى على معاضدة الشيخ محمد إدريس في منصبه الجديد، واكتسب عطف الأقارب والأباعد، وصاهر العجيلاب بزواجه بابنة عجيل بن ضرار ورزق منها ولداً واحداً هو «إدريس» الذي خلفه على العمودية بعد وفاته. واشتهرت أيام الشيخ محمد باليمن والسعادة، ومراراً ما دفع من ماله الخاص غرامات المخربين من المعلاويين، إلا إذا استثنينا حادثاً بسيطاً لا تسلم منه أي قبيلة. وأما الخلاف فكان بين إبراهيم كامل وابن عمه هرودة بن إدريس بسبب رواية خاطئة اضطر هرودة أن يستل حسامه ويضرب به إبراهيم، فتلقاه بالدرقة، وقال: لو ما ضربتني لما ضربتك. فثنى عليه هرودة الضربة، ثم ثلث، وإبراهيم ملتزم الدفاع. وفي الرابعة أصيب إبراهيم في ساقه، فشعر بالألم، وضرب هرودة بالسيف في فخذه الأيسر فقطعه، ثم مات هرودة لساعته ورحل إبراهيم بأمه وإخوانه إلى أخواله

---

(١) بدلاً من الشيخ كامل حامد واستاء أخوه همد شوم لأنهم لم يرشحوه للعمودية مع أنه أكبر إخوانه ويتحلى بخلق والده (شدة البأس وقوة الشكيمة والصرامة)، وهذه الشراسة أبعدته عن الناس وعشرتهم.

العجيلاب، فأجاروه فكاك بن شيك عجيل[1]. وبعد شهور جاء القبطان مهدي محمد أحمد أبو بكر (ابن خالة المستجيرين)، وأخذهم في سفينته إلى جزيرة ابن عباس (بهدور). وبعد سنة سافروا إلى مصوع (في امبيرمي) عند الشيخ محمد بن عدي، ثم رحلوا منها إلى هَبَرُوا (أبناء تَكْليسْ) وهم أخوالهم أيضاً، ولقوا من الشيخ المشهور إدَادْ ابن جميل (إكراماً). ثم رحلوا إلى أغردت ونزلوا عند الشيخ أرَيْ بن بيض (عمدة آل علي بخيت) وهذا أوصلهم إلى دقلل حامد محمد ناظر بني عامر، فأبقاهم معه في الدقة لحين ذهابه إلى القنوب للجزية. ولما قام دقلل أحضرهم معه بأرض المعلاويين، وهناك طلب من الشيخ محمد بن إدريس أن يصلح بينهم وبين إخوانه. فرفض بعد أن أثبت لدقلل أن إبراهيم رجل خطر وشرير، وقد قتل قبل هرودة ثلاثة من المعلاويين وقطع يدي رجلين آخرين من أقاربه، وكلهم يريدون أخذ ثأرهم بأيديهم مع أني دفعت الديات والتعويضات اللازمة فعادوا إلى قريتهم بتَبِح وكان إبراهيم يسير دائماً مسلحاً[2]، فعقد أبناء إدريس حامد اجتماعاً لقتل إبراهيم واتفقوا على عرض الفكرة للعمدة الشيخ محمد[3]. فوافقهم على الانتقام. فقال له كميل: إنا مرتابون في كلامك هذا وإن كنت صادقاً فأعطنا سيفك «دلاشاي»، فأعطاه لهم. ثم اتفق كميل مع أخويه حامد شنقب وإدريس فونجاي على قتله وهو نائم، وترقبوه ذات ليلة وإذا به يخرج لقضاء الحاجة بسلاحه. وانتظروه حتى عاد ونام. وهجموا عليه وإذا به يقبض إدريس من شعره حتى رقبته وأغاثه حامد وقطع يدي إبراهيم. وجاء كميل فضربه بدلاشاي فقطع ظهره، فقال لهم: لله دركم لقد أخذتم ثأركم، أدركوني بالماء فسقوه حتى ارتوى ثم مات. واستاء أخوه حامد كلواناي

---

(١) ولما أراد إخوان هرودة اللحاق بهم منعهم الشيخ محمد إدريس مستشهداً بعدة حوادث في الاستجارة بالعجيلاب.

(٢) اذكر أن رجال القرى بعقيتاي كانوا يمشون دائماً مسلحين خوفاً من هجوم مفاجئ لكثرة العصابات في المهدية.

(٣) قتل إبراهيم أحد مشاهير المعلاويين وكان للقتيل أخ شجاع اشترك في قتل إبراهيم مع أبناء إدريس واشتهر إبراهيم بنزع أي سلاح جميل من صاحبه.

وقال لقد تألب على أخي كل أبناء عمي، وسأكيد لهم المكائد مع القبائل. وفعلاً كانت حروب المعلاويين مع الهاسريين بسببه. وكان رأساً لكل عصابة بين الفريقين.

واشتهر الشيخ محمد إدريس بالتعقل وحب الخير والسلامة. وكانت أيامه صحيفة بيضاء في تاريخ قبيلته حتى توفي إلى رحمة مولاه[1]. وخلفه على المشيخة ابنه إدريس، وهو ابن عشرين عاماً. وكان مشايخ المعلاويين يحتفظون بحجاب كان قد عمله السيد حامد أحمد نافعوتاي للشيخ أحمد حسال، فلما أرادوا تولية الشيخ محمد كان الحجاب والسيف (دلاشاي) عند أخته همد شوم فطلب إدريس همد قروب تسليمهما للشيخ محمد إدريس لأنهما شعار العمودية. فأحضرهما همد شوم وسلمهما لأخيه العمدة محمد. ولما توفي أخذ ابنه الشيخ إدريس جميع مخلفاته.

وكان الشيخ محمد إدريس يقول الشعر الذي لا يكاد يخلو من الفخر أو الحماس إذ أن مدحه للسلم والعفو عن الناس كثير جداً، بخلاف أشعار أخيه همد شوم التي يتوالد منها الشر المستطير، وكان قلبه قد من حديد[2]. فمن شعره يخاطب أخاه الشيخ محمد إدريس:

«حِنَا دِمَّلْنَا إسَاتْ عُوبَلْتْ وَجَرْسَا»[3].

(نحن غضبتنا كالنار الموقدة في خشب الطرف والجرسا).

«نَما نُومُو إبَّ إدَيْ كمُوتَا لِبْلُو وتَرْشَا».

---

(١) توفي سنة ١٢٩٤هـ، وهي السنة التي ولد فيها حفيده محمد إدريس المتوفى سنة ١٣٧٢هـ.

(٢) قال شريف كامل: لم أر أشجع من هذا الرجل خصوصاً يوم قتل أبناء النابتاب ونحن مستجيرون بهم (من قبل القتال)، ونخشى أن يغدروا بنا لأن إخواننا قتلوا عشرة من إخوانهم. ثم أرسل لنا عميدهم الشيخ أكد موسى العشاء فأبينا أن نأكل منه إلا همد شوم فإنه أكل العشاء وقال: لن يبعث الجوع قتلاهم، وإن أرادوا الانتقام منا فخير لنا أن نقاتلهم وبطوننا مملوءة.

(٣) تهب النيران في هذين النوعين سريعاً.

(كما يقلب الطاهي العجين فيقول تم وقت طبْخه).

وهي قصيدة طويلة أجابه عليها الشيخ محمد بقوله:

«حِنْ دِمَّلْنَا فِرِي إكِلْتَ وجَرْسا».

(أما نحن فمسالمون ولا نحصد إلا الذرة والثمر).

«يتيم لاتو نَعَابيُو حَلَنْجَابوركم فَلْكَا».

(نربي اليتيم حتى يدرك سن الرشد).

«ويَايِتْ لاتُو نَأَدَرُّو إِبْ عَمُوركِمْ طَرْقا».

(نعشي الجائع إن جاءنا بإنائه، «عمور»).

«وعاقِبْ لاتو نَاتِيُو من دَمْ أدَّامْ لَطَحْبا».

(ونعفو عن الجاني الذي يشبع من سفك الدماء ونجيره).

«هَمَّدَ شوم دِمَّلُو كَمِثَلْ طَجْبَ لِتْرَسَّكَا».

(أما همد شوم فإنه ينسى ثاراته إذا شبعت بطنه).

ونكتفي بهذا القدر من أشعار الأخوين.

كان همد شوم إذا سئل عن إخوانه يقول: «إنهم لا ينفعون ولا يصلحون للرئاسة، خذ مثلاً الشيخ محمد إدريس وهو عمدة للقبيلة تجده وحيد أمه ليس له شقيق يأتمنه أو يثق فيه. وكذلك كميل فإنه أعمى لا يتحرك من محله، وهذا موته خير من حياته. وأما حامد شنقب فهو فقير لا يملك شيئاً. لهذه الأسباب الواهية كان إخوان همد شوم محل احتقاره.

❋ ❋ ❋

## الشيخ إدريس محمد

بعد أن تولّى العمودية بخمس سنين اشتبك مع الهاسريين في حرب العصابات ثم القتال العنيف الذي جلب للقبيلتين كل خراب ودمار. قيل: إن سليمان باشا نيازي (حكمدار شرق السودان في سنة ١٨٨٣)م عارض في عموديته، وقال: إنه كان يجب أن يكون له مجلس وصاية لأن كثرة تعداد

القبيلة التي تركها له والده وكثرة مواشيها، وحسن مراعيها، وشجاعة رجالها، وشدة شكيمتهم، كل هذه تتطلب رجلاً صبوراً حازماً لا يتساهل مع الشبان. وكيف تكون الحالة إذا كان هو أحدهم لا سيما وأنهم جميعاً كانوا يتمرنون على المصارعة والرماية والقفز واستعمال الدرق والسيوف. ومثل هؤلاء الشجعان لا يقيمون وزناً للحياة ولا يعرفون سبيلاً إلى الجبن أو الخوف، وكلهم يمشون الخيلاء عندما يتدرعون بأسلحتهم في الحل والترحال[١]، ولا يرتاب المرء في أنهم يحتقرون غيرهم[٢] ممن لا يجارونهم في ضروبهم هذه، خصوصاً الذين يعتبرونها من نزق الشباب، وهي عدم التبصر في نتائج الحروب الضارة خصوصاً المرتجل منها.

وإن الكهول في القبائل يتجنبون القتال والمصادمات لأنهم عركوا الدهر وعركهم، فخرجوا منه بعظات أهمها أن السلم خير من الحرب التي فيها هلاك المال والولد.

سبق أن أتينا على نتف من حوادث الشيخ إدريس في عدة محلات سابقة.

قبل سنة ١٩٤٧م كانت قبيلة بيت معلا تتألف من العائلات الآتية[٣]: رِقْبات - طَارْقِيلي - أقحدُوبْ - أسْفَدة - كِفَانْ - أفْرِيد - بَرْعَدَيْ - بَعَلْ إجِلْ - عَمْراي - أبْهُوشَة - إسماعيل - سعد الدين - مَعْلايِتْ - مَعلا قَطّان -. والعائلات الثمانية الأولى لم تخلص في قتالها مع المعلاويين ضد الهاسريين. ولذلك أعلن رئيس عد هاسري بأنه لا يقالت إلا ذرية «أحمد معلا»، فاطمأن الأوَل وفضلوا السلامة والنجاة، فكان لهم ما أرادوا.

قبل البدء في سرد قتال المعلاويين والهاسريين نود أن نذكر للقراء بأن

---

(١) السيف والخنجر والحربة والدرقة والعصا الغليظة.

(٢) كان في الهاسريين أمثال هؤلاء الفتيان، وكل من الفريقين يرى نفسه أشجع وأدرى بضروب القتال من الآخر، ويتهافتون على شراء كل سيف جيد.

(٣) أكثر هذه العائلات نالت حريتها وعاد كل أخ إلى أخيه. وبقيت بيت معلا بنفسها لأن من كان معهم منذ القدم طمع في حسن أراضيهم في انقراض ذويهم.

أكثر رواتنا كانوا من المحايدين وممن ليست لهم أي أغراض في الدعاية أو الشهرة وقد أدركنا أكثر المشتركين في هذه الوقائع من رجال القبيلتين وبعض رجال القبائل المجاورة لهما مثل العِجيلاب والحَبَاب والرشايدة وآل الشيخ حامد وغيرهم.

وأول عمل أتاه الشيخ إدريس محمد هو منعه للهاسريين من مراعي بيت معلا في زمن الخريف إلى جبل تبح وضواحيه. وأمر بطرد مواشيهم منها.

وكان خصمه الشيخ أكد موسى يرى أن لا حق له لأن الأراضي كلها[١] تابعة لنظارة واحدة (بني عامر) وهي ثلاثة قبائل في القنوب (عِجيلابْ وهَاسْري ومَعْلا). ولم يكترث الشيخ إدريس: برأي الشيخ أكد، إذ كان في صفه كل شباب بيت معلا، كما كان مؤيداً له بعض أبناء عمومة الشيخ أكد أمثال الشيخ أكد محمد، والشيخ همد بن موسى، وحامد إبراهيم قنَّاد[٢]، وكل هؤلاء كانت كلمتهم مسموعة في ذويهم الهاسريين. كما كان جماعة من المعلاويين ضد إدريس مع أكد يوم جاءه مقتل أبناء الهاسريين، وأولهم عمه همد شُوم إذ تشاجر إخوانه مع أبناء الشيخ حسين محمد عُوُّور (هما هُمَّدْ جِمِعْ والحاج عَبْدَلْ حسين)، فكانت بينهم جراح خطيرة. وانضم إلى الهاسريين شريف بن كامل. فاشتدت بين القبيلتين حرب العصابات، فاضطر الشيخ إدريس رفع شكوى للناظر دقلل علي بَكِيتْ من أعمال الشيخ أكد الذي كان سوء التفاهم بينه وبين دقلل مستحكماً في قتال أبناء عمر وأبناء إبراهيم (نابتاب)، وأخيراً علم إدريس أن دقلل سيكون محايداً. وزاد السلب والنهب بين العصابات.

❋ ❋ ❋

(١) يقول الشيخ محمد إدريس المذكور أن أكد كان يحتال لجعل المعلاويين تحت سلطته كما حدث في أيام حمد حسال الأخيرة وهاسري.

(٢) كان حاضراً مع الشيخ إدريس يوم جاءه شبان المعلاويين بسيوف وبقية أسلاب الهاسريين.

## قتال أجَفْنَة

وهو منهل في تبح تشاجر فيه محمد حاشريب المعلاوي، ومحمد علي إبراهيم (هاسراوي)، وهجما على بعضهما، فتمكن الأول من ضرب الثاني في كتفه الأيسر، وضرب الأول خصمه في ذراعه اليسرى، وحال المصلحون بينهما، وذهب كل فريق بجريحه. ثم تهادنا لحين مجيء الناظر. فتأخر وانتدب ابن أخيه (همد محمد) بدله. وهذا حضر لبيت معلا فأصلح بين الشيخ إدريس وأقاربه فنجح ووحد كلمتهم[١]، ثم ذهب للهاسريين ولكن للأسف رفض الشيخ أكد وساطته. فعاد الشيخ همد محمد إلى عمه في أغردت وذكر له كل ما عمله من الصلح[٢]. فنقضت الهدنة وعاد السلب والنهب بين الفريقين بشدة.

❊ ❊ ❊

## (غزوة قِنْجَارْ)

في جبل «رَبَع» بقرب وادي عَنْسَبَة، كانت تقيم قرية أبناء قنجار، فأتتها عصابة من الهاسريين سنة ١٢٩٩هـ (١٨٨٢م) فلقيت كل إكرام وضيافة مع أن القلوب كانت ممتلئة بالضغائن والحقد الدفين، تتوقع الشر في كل لحظة فقام إدريس هميس (خادم الهاسريين) وأخذ غنمة سمينة قصيرة الأذنين[٣] «قُولاَيِتْ» وقال: أعطونا هذه الغنمة. فضربه أحد المعلاويين بعصا في يده فانطلقت منه الغنمة ولحقت بأخواتها. وجاء رئيس القرية (جِمِعْ قِنْجَار) وضرب بسيفه محمد إدريس أكدْ فجرحه في فخذه، ثم التفت إلى

---

(١) اجتمعت به في سواكن سنة ١٩١٧م وأخذت عنه كثيراً. وكان الشيخ أكد موسى يقول بعد مقتل ابنه همد «إذا لم يمت أحد ابني حسين همد عوور أو العمدة إدريس فإنني لم أثأر لابني».

(٢) بسبب هذه الخلافات يتهم الهاسريون عموم آل دقلل بالتواطؤ مع المعلاويين إلى اليوم.

(٣) يتشاءم البجة من الغنمة أو النعجة «القولايت».

يمينه، فرأى حامد أبو سعيدة يستعد لضربه، فسبقه وضربه على يده أيضاً فعاقهما عن القتال. فاستاء إدريس أكد موسى (ابن العمدة ووالد العمدة الحالي سنة ١٩٥٠م) وقال: اهجموا كلكم على جِمِع واضربوه واقتلوه. فلم يتمكنوا إلا من جرحه وجرح اثنين من أقاربه، ثم حملوا جرحاهم واستقاوا كل أغنام القرية، فتلقاهم العمدة أكد موسى، فوبخ ابنه وعنفه على عمله وسوء تصرفه وجزائه السيئ بعد الكرم والضيافة، وقال: كان يجب أن يقتلوا المملوك إدريس همد. وأمرهم برد الأغنام وكل ما أخذوه من القرية إلى أصحابها آل قنجار.



## قتال سروبات

تشاجر صالح أكد إدريس هاسري وعلي بن سَقُوتة المعلاوي أثناء رحيل القرية من سروبَاتْ فضرب الثاني الأول بالسيف فجرحه، وضرب رجلاً آخر من مُوسَّيّ اسمه إدريس همد شِنْكحَاي[1] فقتله. وفجأة نادى صالح بنتاً من الهاسريين كي تدركه بسيفه، فأتته به (خافية إياه من الناس)، فأخذه واستله وضرب به علي سقوتة على فخذه فقطعها. فتفرق سكان القرية، ورحل كل فريق إلى قبيلته. وتوفي علي سقوتة، واستعدت كل من القبيلتين للقتال، وانتشر الخبر بين القبائل، وأمر كل عمدة قبيلته أن تجتمع حول قريته بمواشيها وأن تتجنب السكنى مع أحد الفريقين المتقاتلين. وكانت أنباء ظهور الإمام محمد أحمد المهدي تطوي البيد والفيافي شرقاً وغرباً بل في كل أنحاء المعمورة خصوصاً بعد واقعتي «الجزيرة أبَا» و«جبل قَدِيرْ»، فطارت انتصارات المهدي فيهما سنة ١٨٨١م.

ولم تسلم قبائل إقليم البجة بالشرق من مناوشات وغزو عصابات.

---

(١) كان صديقاً لصالح إدريس واشتهر بإساءته لأقاربه المعلاويين حباً في صداقة المذكور، وإذا وردت عليه أبقار المعلاويين حرمها من الماء وضربها ضرباً شديداً.

فاجتمعت قبائل هاسري في عَيَتْ وعَدُوبَنَة[1]، وبيت معلا حول جبل تَبِحْ وهَجَرْ، وبدأ كل فريق في إعداد آلة حربه وسنها وتنظيفها.

فأمر الشيخ أكد ابنه همد بأن يكون على رأس الهاسريين وقيادتها لكي تراقب طريق جبال عَيَتْ إلى السهول، كما كانت عصابة ابن عمه الشيخ أكد محمد تراقب مضيق عَدارتْ إلى عدُوبَنَة. وأسند الشيخ إدريس محمد رئاسة عصابة المعلاويين إلى «همد جمع بن حسين» كي تغزو هاسري[2] سَرُوبَاتْ. فكانت كل من العصابات على أتم استعداد في القوة المعنوية وبأيديها السيوف الجيدة والحراب والخناجر والدرق. ولم يكن فيهم إلا من أخذ تمريناً كافياً في استعمال هذه الأسلحة[3]. وأشهر أفراد عصابة همد جمع هم: حامد كامل كَلَوَانَايْ وهمد علي كِميل، وعلى رع مِلِشْ milich، ودابر مسمر، وإدريس هرديد محمد حَفَراي، وعثمان داود هَرَنْرِوَايْ، وعمر ضرار شَرِيمايْ، وغيرهم. أما عصابة الهاسريين فكان أشهرها: همد أكد موسى، وعمه محمد موسى همد، وعلي بخيت أبسعد، وأخويه حامد ومحمد علي ومحمد همد لباب، وعلي فوج إدريس عمر، وحامد إدريس أبسعد، وأبو سعيدة محمود، ومحمد همد سعيد، ورشيد محمد إدريس شيك، وغيرهم. وكان أشد الناس كراهية للمعلاويين أبناء أبسعد فإنهم كانوا أقوياء وشجعان للغاية حتى إن ثلاثة من[4] أشد المعلاويين قوة استضافوا الشيخ محمود إدريس أبسعد، فأخذ منهم أسلحتهم وأحسن استقبالهم كما هي العادة، ثم أوعز لشبان الهاسريين وأوثقوهم بالحبال والسلاسل في أرجلهم وأيديهم، وأخفي كل واحد منهم بمنزل بعيد عن الآخر. وصار يرحل بهم كلما رحل

---

(١) كلتاهما في السهول.

(٢) كان الشيخ أكد غير واثق من عربانه إذ كانت بين أكثرهم والمعلاويين قرابة خصوصاً «آل فضل وأبحشيلة وبلي وكل الحماسين» وكان يتزعمهم الشيخ علي بن شاكر وهو خصم عنيد للنابتاب، فسجنه أكد في بيته لئلا يهرب إلى المعلاويين.

(٣) أول من حمل من الشبان السيف والحربة والدرقة والخنجر والعصا عبدالقادر هرب بن فكاك العجيلاني، فاستعملها كلها في يوم مقتله.

(٤) كان غرض محمود أبسعد أن يحتفظ بهم كرهائن عندما يحدث صدام بين القبيلتين، ولما لم تحدث أي مشاجرات أطلق صراحهما.

دَقَة هاسري. ولا يطعمهم شيئاً في النهار وقليلاً من الماء وفي الليل يطعمهم قليلاً من العجين، وحرم عليهم اللحم واللبن، ويقول لهم: كلوا من أجسامكم كلما جعتم. وحقيقة إن الهاسريين والمعلاويين كانوا في نعمة حتى تولَّى رئاسة المعلاويين الشيخ إدريس محمد.

يعجب المرء كيف أن مثل هؤلاء الأقوياء المسلحين أحسن تسليح يستسلمون لأكبر خصم لهم ويثقون فيه. وأغرب من هذا أن أهليهم لم يعرفوا محل وجودهم[١]. وفجأة عادوا إلى تَبِخْ وكأنهم بعثوا من قبورهم وهم مرضى، ولولا أن صديقاً للشيخ أُكذْ سأل عنهم لما اعترفوا بهم[٢].

وبعد شهر توفوا من التغذية السيئة، وأصبح أبناء أبسعد مسؤولين عن موتهم. وإذا نظرت إلى من قتلوا من المعلاويين تجد أكثريتهم من أبناء قَنْرِي «Qanri» فمنهم دَايِرْ وحَواي وهِرْدِيدْ. وهم الذين ضربوا أبسعد بالسيوف في وجوههم حتى ماتوا يوم (عَيَتْ) إذ خذلتهم سيوفهم، فكان محمد عمر أبسعد رجلاً جباراً وقاهراً، وكذلك العمدة فإنه كان يأمر ويحرض لقتل كل من يعثر عليه من ذرية «همد عُوُّور» لأن أحمد حواي، وهمد جمع قتلا ابنه، وطعنه أولهم بطعنة[٣] بالحربة عثمان داود (ابن أخت همد جمع)، ولذلك كان القتلى من هاتين العائلتين كثيرين وما عدا غيرهم كان موته من غير قصد. وبعد دفن أبناء أَرَيْ بن عمر شيك بأسبوع دخل قتال القبيلتين في الشدة. ثم بدأ بينهما قتال عيت في باب حَافُولي، كما تواعد رجال العصابتين (وقد حدث فيه قتال كبير في سنة ١٨٦٠م بين العجيلاب قتل فيه عبدالقادر هرب، وحامد عبَّاد، وجرح منهم عشرون وقد قتل فيه أيضاً إدريس حامد وَرَّار بيد بيت معلا، وأبناء أَرْبَدْ قتلهم الهاسريون في عيت بعد واقعة باب حافولي).

❋ ❋ ❋

---

(١) من ذرية أري بن عمر شيك.

(٢) هذه الحادثة زادت نيران الفتنة.

(٣) لما سئل عثمان في الأيام الأخيرة أقسم لي أنه لم يطعن همد لأنه كان صغيراً لا يقدر على حمل السلاح بل كان يحمل إناء الطعام في ذلك اليوم. وأكثر الروايات تتهم حواي.

## قتال عَيَتْ

كان في ربيع الأول سنة ١٣٠٠هـ. قيل: إن الشيخ إدريس محمد أمر هُمَّد جِمِع أن يغزو قرية بَهْرَمَى هاسري (وهي التي مات فيها علي سَقوتة بسروبات) وقال له: «اقتل منهم أي رجل تصادفه من نابتاب هاسري وانهب كل مواشيهم». فقاموا ميممين سروبات، ولكن لأمر أراده الله اضطروا لأن يقيلوا في جبل عَيَتْ، وقالوا: عندما يظلم الليل نذهب إلى جبال (طِقَّت Tiggat). وبينما هم في القيلولة وعلى وشك الرحيل إلى طِقَّت شاهدتهم عصابة الهاسريين[١] وهي تسير في الطريق الضيق الذي يوصلها إلى عصابة المعلاويين الكامنة. وفجأة خرجوا من مكانهم وهبطت طيور بيضاء (نحو مائة) على المعلاويين ومائة أخرى سوداء على الهاسريين، فتفاءل الأوائل وتشائم الأواخر[٢]. ولزمت كل عصابة محلها، وتنابذوا بأقبح السباب. فأراد حامد[٣] أبسعد أن يتسلق إليهم الجبل، فمنعه همد أكد من ذلك قائلاً: دعهم يحضروا إلينا في السهل (أسفل الجبل). فقال: كلا نحن أقوى منهم ولا يجسرون على قتالنا. وإذا بالمعلاويين يتسابقون إليهم من أعلى الجبل، فحدث الصدام بين الشجعان. فكنت ترى سيوف المعلاويين تقطع اللحم، وتكسر العظم، وتقلع الرقاب من الرؤوس، بخلاف سيوف الهاسريين فإنها كانت تنبوا ولا تقطع أي شيء. وكذلك كان الحال في الحراب وكأنهم كانوا يضربون في حديد بارد، وكأنَّ حائلاً عاق الحديد عن عمل أي تأثير في المعلاويين وكأني بالهاسريين يتمثلون بقول شاعر النيل محمد حافظ إبراهيم:

لا تَلُمْ كَفِّي إذا السيف نَبَا    صَحَّ منِّي العزمُ والدهرُ أبَى

---

(١) كانت عصابة أخرى من الهاسريين تراقب مواشي أصحابها في آبار قرورة.

(٢) هذه رواية محمد موسى همد.

(٣) قال لي حاج همد ضرار: إن محمد علي أبسعد «أخا حامد» كان أقوى رجل في رجال العصابتين وأخبرهم بضرب السيف ومسك الدرقة، وكان بيده سيفه «بحر وارد» وهو غير ممدوح، فأصاب به كل من اعترضه حتى اعتلى الجبل وهو يطاردهم، فقال لهم همد جمع: اقذفوه بالحجارة فقذفوه حتى أغمي عليه فقتلوه.

فسقط الهاسريون في مكانهم بين قتيل وجريح لا يعي شيئاً مما حوله، وقد لطخت وجوههم بالدماء من كثرة الضرب بالصوارم ولولا تيقن المعلاويين من قتل خصومهم لأجهزوا على الجرحى. ولم يمت أحد من المعلاويين. أما قتلى خصومهم فهم أُكُدْ موسى، وعمه محمد موسى (لم يمت) ولكن عاش وهو مقطع الأوصال مكسور العظام لا يوجد شبر في جسمه سليم من ضربات السيوف، وقتل أبناء أبسعد الثلاثة (حامد وعلي بخيت ومحمد علي)، قيل: إن إدريس محمد عمدة بيت معلا أوصى خاله حامد كلواناي كامل[1] بأن يلقي القبض على أبناء خالاته وهم الأول والثلاثة الأخيرين، وقتل محمد تكوش بن همد لباب، وعلي فوج بن إدريس. وممن تقطعت أعصابهم وعاشوا نصف أحياء: همد أكد هاسري، وأبو سعيدة محمود، ومحمد همد سعيد، ورشيد محمد إدريس شيك. فمما خطه هؤلاء القتلى بمداد الفخر موقف الشجاعة والبسالة حتى سقطوا جميعهم في مكان واحد، ولم يقع الضرب إلا في وجوههم ونحورهم متلقين القدر المحتوم برباطة جأش وثبات، حيث خابت آمالهم في أسلحتهم سواء السيوف أو الحراب، وقد غنمها خصومهم[2].

يحدث كثيراً في قبائل بني عامر والحباب عمل السحر والطلسم على أسلحة العدو، فإن أناساً لهم خبرة بهذه الأفعال يتولونها، وكل قبيلة لا تغزو ما لم تضمن الساحر الذي يعقد العقد، ويتلو أشياء بلسانه، وهي عدة أنواع، بل بعضهم يعمل طلسماً وحجاباً لا يصاب فيه بالحديد أو الرصاص. واستعان المعلاويون برجل من أَقْدُوب (ألْمدة) اسمه «عمر طوم» أي عمر الحلو طلبوا منه أن يعمل لهم طلسماً قبل

(١) الثلاثة الأخيرون أمهم بنت عجيل ضرار، وهمد أمه بنت نور الدين ضرار، والعمدة أمه بنت عجيل ضرار، وأمه كلواناي فأمه بنت ضرار بن عجيل «من العجيلاب» ولهذه الأسباب وقفت هذه القبيلة على الحياد التام في قتال هاتين القبيلتين.

(٢) قبل القتال بسنين كانوا يتواعدون على محل الواقعة الفاصلة بينهما في «باب حافولي» وقد تم ذلك.

الغزو حتى يضمنوا السلامة والنصر. فطلب ثوراً أسود كبيراً، ثم ذبحه وتلا عليه كلمات، ثم أمرهم بأن يمروا من فوقه وهم أكثر من ثلاثين، فتخطوه واحداً واحداً، ثم قال لهم: اذهبوا إليهم، فإن أسلحتهم لن تؤثر فيكم. فلما عادوا أجزلوا له المكافأة.

ولما عادت العصابة إلى «إيتليلي»[1] Eyetleli انتضى كل سيفه وافتخر بالنصر والثأر الذي أخذه. ثم جاؤوا بالأسلاب إلى الشيخ إدريس محمد. وكان الوقت ليلاً، فأوقد النار ثم شاهد سيف همد أكد، فقال لهم: ما هذا، ألم أقل لكم لا تقتلوه. ثم استل آخر فوجده سيف علي بخيت، فكرر قوله. وإذا بوالدته تسمع، فبكت على أبناء أخواتها. فقال لها: لا تجزعي بل احتفظي ببعض بكائك لابنك إدريس لأنه لا محالة ميت[2]. ثم قال لخاله حامد كلواناي[3]: لِمَ لَمْ تدافع عنهم؟ فأجابه همد علي كميل: «اترك عنا هذه القرابات فإن الموقف كان موقف عصبية وأبناء عمومة لا خؤولة، فنحن أخذنا بثأر ابن عمنا (علي سقوتة)، ولكن ليس لنا بعدنا من يأخذ بثأرنا. ولذلك انتقمنا للسابق واللاحق، فأجابه العمدة: أنا أرسلتكم إلى بهرمى هاسري في سروبات لقتل واحد وإذا بكم تقتلون عشرة. فأجابه همد جمع، نحن لبسنا أكفاننا واعتبرنا أنفسنا ميتين، وخلفنا وصايانا، ولقينا الهاسريين مستعدين للقائنا، ودخلنا المعمعة ولم نكن نسمع أو نرى غير قعقعة السيوف، وطعن الرماح، وأشلاء تطير هنا وهناك، ودماء تسيل أنهاراً، ونحن في وسطها غائضون لم نستفق إلا بعد القضاء على آخر رجل من خصومنا. فلولا الطلسم لما رجعنا إليكم، فهذه منايا تخطئ وتصيب فلا

---

(١) يطلق على القرى التي تسكنها بيت معلا مع عمدتها وهذا الاسم خاص بقراهم، وتعريبها «لا يبين أو لا يظهر» من كثرة المنازل وهو غير دقة معلايت الذي قضى عليه الشيخ إدريس حامد.

(٢) قيل: إنها كانت تندبهم قبل القتال بثلاث سنين لأنها كانت متيقنة من قتلهم.

(٣) عرض كلواناي أمام منزله وقال: «إن المعلاويين قتلوا أخي إبراهيم وهو بمنزلة عشرة رجال عندي، ولذلك تسببت في قتل عشرة من الهاسريين بيد المعلاويين لئلا تنطفئ نيران حروبهم. وقد تحقق مراده.

تكثر علينا من العتاب والتثريب، وتمثل بأبيات قالها جمع ابن عجيل علي وتعريبها يقرب من أشعار الخنساء[1]:

ومن ظَنّ مِمَّن يلاقي الحروب  بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

ثم التفت العمدة إلى داير وهرديد وقال لهما: كنت أظن أنكما أعقل من في العصابة ولكن خاب ظني بعد عملكم هذا، نحن لم نكن نقصدهم ولكن عثرنا على بعضنا فجأة في باب حاقولي فجأة ومن غير قصد وهذا أمر الله ولولا سفاهتهم وبذاءة ألفاظهم لما اصطدمنا معهم. وهم الذين طلبوا إلينا النزول من أعلى الجبل فنزلنا ولو وجدنا غيرهم لقتلناهم لأنهم لن يبقوا على أحد منا بعد الآن. فقال له خاله كلواناي: لا تضيع الوقت علينا في الكلام فلنأخذ حذرنا ولنستعد لقتال الهاسريين ومن يناصرهم ويحالفهم، وسيؤلبون علينا كل القبائل التي لها امعهم قرابة أو صداقة وأولهم حلفاؤنا بالأمس «عَدْ موسى» ورئيسهم الشيخ أكد محمد[2]، والحباب وآل الشيخ حامد، بل وكل قبائل نابتاب إرتريا، فالرأي عندي أن نقوم بهجوم خاطف على دقة «هاسري» ونقتل كل من نجده، ثم نغزو عدوبنة، ثم سروبات، ونقضي على البقية الباقية منهم، فإن لم نفعل ذلك فسيجمعون الجموع ضدنا فقال له العمدة: إنني أخشى أن يبدأوا القتل بأخويك شريف وضرار، وعمي همد شوم لأنهم في جوار هاسري (أكد موسى[3] فقال لهم حامد

---

(١) تماضر التي كانت تبكي أخويها صخراً ومعاوية أربعين عاماً خصوصاً صخراً الذي قالت فيه:

وإن صخراً لتأتم الهداة به  كأنه علم في رأسه نار

ولولا الإطالة لذكرنا شيئاً من رؤساء أخت همد علي كميل للمقارنة، لأن شعرها في أخيها حمد علي مؤثر جداً.

(٢) وفعلاً قد تحققت فراسته إذ قام الشيخ أكد محمد من قريته في عدوبنة إلى عيدب ومعه السيد عمر إبراهيم الأمين حيث كانت هناك قبائل الرشايدة، واجتمع بالشيخ عبدالله امبارك «ناظرهم» وعقد معه محالفة، وأقسم كل منهما على المصحف لمعاونة أخيه. ولم تكن الرشايدة قد سمعت بموت الهاسريين بيد المعلاويين.

(٣) قال لي شريف كامل: «لما جاءنا خبر قتل الهاسريين تحيرنا في أمرنا، فأرسل إلينا=

إبراهيم قنا: لن يمسهم سوء ما دام أكد موسى حياً. فقال الشيخ إدريس: سندبر أمرنا غداً إن شاء الله، وافترقوا.

أما الشيخ أكد محمد فعاد بعد ثلاثة أيام إلى الرشايدة في عَيْدب وقال لهم: «المروءة والنجدة» فإن المعلاويين قتلوا أبناءنا وأنتم حلفاؤنا فاسعفونا بأسلحتكم النارية، فأرسل معه الشيخ عبدالله ثلاثين شاباً على جمالهم، ومع كل منهم رديفاً، فأصبحوا ستين شاباً: من الدنيمات عشرون ومثلهم من البراسا ومثلهم من البراطيخ.

ولنعد إلى القتلى في عيت فإن الشيخ أكد حضر موسى ومعه جمع غفير من الناس لدفن القتلى وحمل الجرحى إلى دقة هاسري[1]، بعد الفراغ من الدفن، ونادى مناديه في القبائل بالحضور وكان الشيخ أكد محمد أول من حضر بالرشايدة بقيادة عامر بن عيد. فلما استكمل الشيخ أكد[2]، استعداداته خشي أن يصيبهم ما أصاب أبناءهم من الطلاسم، ولذلك أرسل في طلب رجل من الحباب اسمه إدريس بن دار (من أقدوب) فلما حضر أمره بعمل سحر أو طلسم يسلمون به من كيد ساحر المعلاويين فحفر الساحر حفرتين وتلا في كل منهما بعض الألفاظ وقذف فيهما بعض الأعشاب وأوراق الشجر ثم أوقف في كل حفرة رجلاً وقال للشيخ أكد موسى: سر أنت أمام الجيش بين هذين الرجلين، فسار وتبعه الناس حتى آخر رجل وتوجهوا نحو المعلاويين (كان يوم ثلاثاء) فوجدوهم وهم على أتم استعداد للقائهم في وادي دِلِكْ Dilik[3].

---

= الشيخ أكد العشاء، ثم قال: الحقوا بأهليكم في ظرف أسبوع إذ لن نغزو قبله. وفعلاً تم ذلك ولم أر أوفى منه.

(١) الذين شفوا من الجراح كانوا نصف أحياء لكثرة جراحهم.

(٢) بعد الدفن قاد الشيخ محمد عمر أبسعد عصابة الهاسريين وسار خلف المعلاويين فتلقاهم السيد مالك بن محمد علي وهو على جواد أبيض فقال لهم: «أعدلوا عن اقتفاء آثارهم اليوم وبعدها لن يموت منكم رجل وأنتم منصورون» فامتثلوا وعادوا.

(٣) قال والدي: أرسل إلينا أكد كي نحضر فوعدناه ووصلنا بعد أن صفوا حسابهم مع بعض وتعمدنا ذلك لأن قرابتنا للفريقين لا تسمح لنا إلا بالحياد الدقيق.

ولنأت على وصف واقعة دلك:

## واقعة دِلْك

حالما وصل الهاسريون أسفل وادي دِلِك بجموعهم شاهدوا المعلاويين بأعلى الجبل. فجلست كل جماعة في ركن تحت الأشجار، وكان مع الشيخ أكد لفيف من الرشايدة، فأمرهم بإطلاق الرصاص. فما سمع الشيخ إدريس صوت الرصاص منع رجاله من الهبوط من الجبل إذ لم يكن يظن أن هناك رشايدة ورصاص، إذ كان يظن أن المسألة سلاح أبيض يمكن به تصفية حساب القبيلتين فخالف أمر العمدة داير بن مسعر الذي قال:

«طِلْعَتْ كِمْ أَمْعِلْ وسَبَرْكِمْ قادم».

(أي عندي الظلام مثل النهار والجبل مثل السهل).

وهبط إلى عدوه ومعه ابن عمه هرديد يقول: (مائة قش ككش ـ Mit Gichl Kakich) «أصد مائة فارس وأقف في نحرهم وأمنعهم الحركة»[١]، واتجها إلى الشيخ أكد موسى، وأكد محمد، وجماعتهم وسيفاهما في يمينيهما والدرقتان على كتفيهما. فلما شاهدوهما استعدوا للقائهما. فلما دنيا منهم قال السيد محمود عمان محمد لخادمه، وكان جندياً قديماً ببندقيته: «لِكَفُّ إتْلَكَّفْ Likaff Itlakkaff (ارم رماك الله) «أي أطلق عليهما الرصاص قاتلك الله». فأطلق الجندي رصاصة على داير مسعر أصابت جبهته، فتطاير مخه في الجو، فسقط ميتاً أمام أكد محمد وأما هرديد فإنه قصد العمدة أكد موسى، فلما دنا منه أصابه قنداب بحربته في جبينه لتخرج من الآخر ورصاصة من رشيدي في صدره كانت القاضية[٢]. ووقف بين الصفين همد

---

(١) قال والدي: إنهما كانا واثقين من قتل كل من جاء لقتالهما بسبب النصر الذي أحرزوه في واقعة عيت ولم يدر في خلدهما أن هناك رصاصاً، لولاه في ذلك اليوم لانتصر العلاويون.

(٢) وهب أكد موسى سيف هرديد لناظر البلين. ويروى عن هرديد في واقعة عيت لما ضرب همد أكد وعمه محمد موسى قال: «أنا وأبوي نفسين»، أي أخذت بثأر نفسي وأبي.

علي كميل بسيفه ودرقته ينادي: هل من مبارز؟ فخرج إليه محمد عمر كسولاي (عد عمر)[1]، فهجم عليه همد وإذ بكسولاي يزوغ منه ويطلق عليه حربة أصابت صدره، ورصاصة من رشيدي أصابت جمجمته فمات لساعته[2].

وأصيب عتيل (عطيل) ابن جميل برصاصة من محيسن بن حسان (من رشايدة ذو عمرو) ثم برز حامد كلواناي ونادى عامر حويت (حوية) من هردي (هاسري) إذ كان دائماً يطلب قتاله فبرز له عامر فكانت بينهما جولات عنيفة تمكن في نهايتها كلواناي من قطع فخذ عامر حامد حويت ثم ثنى عليه وقطع رقبته وسلب منه سلاحه[3].

انتهت واقعة دِلِكْ بعد عيت، ولجأت بيت معلا إلى جبل تبح. وفي واقعة دلك لم يفز من المعلاويين إلا كلواناي الذي قَتَل في واقعة عيت «محمد تكوش» الذي كان الهاسريون يتغنون بشجاعته، فضربه كلواناي في وجهه فقطع أنفه ولسانه وفكيه، وأما علي فوج فقد ضربه في وجهه ورجليه محمد آدم مسعر وأخيه قَيْحَاتْ، وإما أبناء أبسعد فقد قتلهم «داير وهرديد وهمد علي كميل» ولم يبق إلا همد أكد فقد رفض داير قتاله، وهرب منه قائلاً له: «أن غيري سيبارزك» وفعلاً حصرت تهمة قتله في همد جمع حسين وابن أخته. فإذا أردت أن تحصر عدد القتلى من الفريقين تجده متساوياً بعد واقعة دلك، قتل في عيت أيضاً «الشيخ إدريس حامد ورار» وإذا بابنه الشيخ موسى إدريس يؤلف عصابة، فقال الشيخ أكد يئسنا من قتل العمدة إدريس وخاله حامد كلواناي فابحث عن أحد أبناء همد، وكان بيد

---

(١) كان قائداً لنجدة عد عمر للهاسريين. وقد انتقمت منهم بيت معلا في واقعة «عكات نأف» اقرأ «عد عمر».

(٢) أطلقها عليه عتيق بن سعدي «من المرازيق».

(٣) كان منادي الشيخ إدريس يقول: لا تقاتلوهم لأن عندهم رصاصاً فتقهقرت بيت معلا وجلست خلف الجبل، فأدركهم كلواناي ومعه والدة همد على سلاح ولدها وبيدها فأس كانت تدافع به عن سلب سلاحه. وقد أثنى عليها الشعراء ومنع الشيخ أكد موسى من مسها بسوء. «فنعم الأم».

موسى مسدس اشتراه لهذا الغرض فجمعتهما الأيام في مضيق، وفجأة انتضى همد جمع سيفه وإذا بموسى يطلق عليه كل الرصاصات التي في مسدسه؛ فسقط ميتاً[١]. وبموته كان عدد المعلاويين الذين قتلوا بيد نابتاب الهاسريين رجلين[٢] فقط هما: همد علي كميل (قتله عمرابي) وهذا، أما بقية قتلى المعلاويين فكانوا بأيدي عصابات وقبائل متفرقة ومرتزقة، وكان اعتماد الهاسريين على أولئك الشبان الشجعان الذين قتلوا في واقعة عيت. إذ لم يبق لهم بعد مقتلهم من يعتمدون عليه، والجرحى من الهاسريين أقل من أنصاف الأحياء.

قال والدي إن الشيخ أكد موسى أرسل لنا همد جِفْ بن موسى دبُويْ (من أسفدة) كي يخبرنا بوفاة أبنائه. فحضرنا بعد ظهر يوم واقعة ذلك وإذا بنا نشاهد بأعلى جبل «نَكَلْ عَاوَافْ» الشيخ إدريس محمد يحمل الشيخ علي كرار محمد نور (من رقبات) والشيخ حامد علي مندر (من بَعَشُّو)[٣]، وإذا بمحمود إدريس أبسعد وأكد ناصح يقولان لنا: «يا عجيلاب أدركوا إدريس قاتل أبناء بناتكم»، فقلت له: «إنه أيضاً ابن بنتنا» فقال أكد: صدقت كلهم عندكم سيان. واستاء بقية الهاسريين من ردي ولذلك حرمونا من العشاء فتذرعنا بذلك وعدنا إلى أهلنا محتجين.

أما الشيخ إدريس محمد فقد نزل من الجبل وعجز عن السير فحملاه بالتناوب حتى وصلوا «دِقي كنتيباي حباب» (حامد بك حسن). فجاءه حامد علي مندر وسلم عليه، ثم قال: «جئتك بالشيخ إدريس محمد عميد قبائل بيت معلا مستجيراً بك من الهاسريين» فصمت قليلاً ثم قال: «إنني قبلت أن أجيره فأخبره بأن لا يخشى شيئاً» وأيده أخوه همد كنتيباي، وخالفهما

---

(١) وقتلت العصابة معه ابن أخته همد علي بخيت ولما جاء موسى بعد قتل همد جمع أجلسه الشيخ أكد موسى مكانه على السرر ويقصد بها: «أنك أحق مني بهذا المكان (الرئاسة)».

(٢) الأول: صهر والدي، والثاني: صهر عمي حامد علي ضرار، كلاهما زعيم في قبيلته، ومراراً ما حاول أكد موسى قتلهما فلم يتسن له ذلك فتركهما.

(٣) الثالث: هو على سقوتة الذي بسببه كان القتال.

أخوهما هداد وقال: إذا أجرتماه تعتبران شريكين في قتل أبناء الهاسريين. فقال له كنتيباي: هل بقي لديهم من يقتله وهو في جواري. ونادى خادمه وقال له: أخرج النقارة (النحاس) واضربها، فلما ضربت جاءته أربعة لجوكات نظامية بأسلحتها النارية، وتوافد شبان الحباب من كل صوب وحدب فلما تكاملوا قال لهم: يا قبائل الحباب أنا أجرت الشيخ إدريس محمد زعيم بيت معلا، فأجابوه: هذا شرف عظيم، كلنا نحميه وندافع عنه احتراماً لساحتنا ومنازلنا وكرامتنا. وفعلاً بقي في حمايتهم زمناً ليس بالقصير.

❋ ❋ ❋

## اقطعوا يد إدريس

وأتوا بها إلينا هنا كي نضرب بها الطار والكُبُّور Kubbour (عبارة عن قرعة توضع فوق طست من الماء. أو طبلة كبيرة تستعمل عند الوفاة لها صوت خاص ترقص عليه النساء بالقيد أو بدونه). هذا ما قالته بنات الهاسريين. قال السيد إبراهيم محمد حامد[1] كنت أستغرق في الضحك كلما سمعتهن يقلن ذلك. وفي أحد الأيام سألني بعض رجالهم عن سر ضحكي فأجبتهم إنه حواري وتلميذي يحترمني جداً ويكرمني فخشيت عليه من أعمامه (السبعة) وهو وحيد أبويه، فكتبت له حجاباً يقيه من الحديد والرصاص، ولذلك لن يموت لهم إلا حتف أنفه[2]، ثم أن الحجاب مكتوب منذ عشر سنين أي في سنة ١٨٧٣م. فاستاؤوا من كلامي ثم ذهب بعض الهاسريين إلى أبقاري في المرعى وقتلوها كلها[3].

حوالى أكتوبر ١٨٨٣م سمع الشيخ إدريس محمد (عميد بيت معلا) أن

(١) كان ساكناً بأهله مع الهاسريين.

(٢) سنأتي على محاولات قتله وكيف كانت منيته.

(٣) قالوا له: أعمل حجاب آخر لمواشيك، فسكت ورددت قولي: «لن تصلوا إلى يد إدريس مهما أوتيتم من قوة».

كنتيباي حامد وأخاه هداد والشيخ ضرار علي ضرار (عميد العجيلاب والأفلندة) والشيخ أكد موسى (عميد هاسري) أمرتهم الحكومة أن يحضروا إلى سواكن في الباخرة جعفرية التي أرسلتها إليهم الحكومة إلى ميناء العقيق، فحضروا بعد ثلاثة أسابيع من الطلب[1]، فوجدوا سليمان باشا نيازي حكمدار شرق السودان الجديد، فوزع عليهم عدة كساوي فاخرة، ومنحهم كميات كبيرة من الذرة والسكر والسمن والعجوة والبن والأرز، وطلب منهم عدم الانضمام إلى المهدية، ثم عاد المشايخ بمؤونتهم إلى العقيق وذهب كل منهم بنصيبه إلى أهله.

أما الشيخ إدريس محمد فإنه سافر إلى توكر[2] وبايع أميرها الخضر بن علي، فأعطاه بعضاً من البنادق وكمية كبيرة من الرصاص التي غنمها الأنصار في وقائع «التِّيبْ» (إِنْدِتِيبْ) وذهب بأسلحته إلى تبح ووزعها بين رجاله. وانتشر خبر تسلحهم هذا بين قبائل بني عامر والحباب، فخشي كنتيباي حامد من بأسهم مع أنه كانت عنده عدة عساكر من الباشبزق وبقايا رديف الحكومة المصرية وبعض من عبيده المجندين كان يصرف لهم مرتبات شهرية في مواعيدها مما كان يتحصله من جمرك مصوع ونَكْلاَيْ.

فأرسل كنتيباي حامد إلى الشيخ إدريس محمد كي يرسل إليه الأسلحة النارية ليحفظها لديه، فاعتذر عن إرسالها إليه. ولكن كنتيباي لم يقطع العشم منه فبحث عن رسول آخر ينتدبه إلى الشيخ إدريس، فلم يجد من يتطوع لرسالته إلا حامد شيك بن سليمان تاجر من عامراب بيت أسفدة حباب. وكان هذا يود أن يوقع بين كنتيباي والشيخ إدريس حتى ينحاز الأول إلى الشيخ أكد موسى، وقد نجح في مهمته. إذ ذهب إلى الشيخ إدريس محمد وهدده بكنتيباي حامد وجنوده حتى استفزه، فرد عليه الشيخ إدريس بلهجة شديدة قائلاً: «يا حامد شيك أخبر كنتيباي بأنني أصبحت أميراً على

---

(١) كانت الواقعة الأولى بين أمير الساحل عبدالله حامد محمود ومحمود باشا طاهر قد انتهت بانهزام الثاني يوم ١٨٨٣/١١/١٦م.

(٢) التي سقطت بيد الأمير خضر بن علي الحسنابي العمري القرشي.

كل جبال بني عامر بأمر من الأمير عثمان دقنة فإذا لم يحضر كنتيباي سريعاً لمبايعتي وينقض عنه مبايعة الحبشي الرأس الولا سأغزوه بجيوش لا قبل له بها، فاستاء كنتيباي حامد من رد عميد المعلاويين وأمر بضرب النحاس وحشدت جيوش الحباب من كل مكان، وأرسل الشيخ إدريس أيضاً أناساً يدعون أن كنتيباي مال مع المسيحيين ضد المسلمين، ولجأ المعلاويون إلى جبل هجر واستلم همد كنتيباي القيادة لغزو هجر وسنأتي عليهما فيما بعد.

رحلت قبيلة بيت معلا بعد واقعة «دلك» إلى جبل «قِرْعِدْ»، فأرسل لهم الشيخ أكد عصابة صمد لها تحق الجبل رجلان من شجعانهم هما «همد شيك علي عالياي» ومحمد موسى أحمد عجيل، وقتل كل منهما رجلاً من المرتزقة، ثم قذفتهما العصابة بالحجارة حتى ماتا. وكانت العصابة تحت رئاسة علي إبراهيم ورار[1].

لما وصل المعلاويون قِرْعِدْ وجدوا عصابة أخرى قد سبقتهم من الأمام[2]، فأقاموا بجبل قرعد وإذا بالشيخ إدريس يحضر فجأة في قرعد ويجلس مع أهله. فأتته ذات يوم عصابة من الحباب بقيادة فكاك بن كنتيباي حسن ومعهم حامد كلواناي وأخوه شريف كامل وجماعة من مشايخ بني عامر وقالوا: إنهم مصلحون. فرد عليهم الشيخ إدريس إنكم ما جئتم إلا لتدبير مكيدة لتفرقتنا وتمزيق وحدتنا، فقالوا[3]: نحن سفراء صلح لكل من نقابلهم، وذموا القتال والحرب. فانفضت المنازل من حول العمدة، فاضطر هو ومن بقي معه من أمثال همد جمع وإخوانهم أن يستجيروا ثانياً بكنتيباي حامد، فأجارهم وأكرمهم. وإذا برسول من دقلل علي بكيت يأتي لكنتيباي والشيخ إدريس يقول لهم: إن دقلل يريد مقابلة عمدة وزعماء بيت معلا «وَدْقَانْ»، فحضروا وتباحثوا في شروط الصلح. وعتب دقلل على المعلاويين قتل كل شبان الهاسريين. وقال لهم: أدركوني في «قِنْ حَشْكِبْ» (بقرب

(١) اشتهرت هذه العائلة بالشجاعة وحسن البلاء ولم يقتل معلاوي إلا على يد رجالها.

(٢) كانت مخيمة في تبح.

(٣) لولا حركة هذه العصابة لاحتفظت بيت معلا بوحدتها المتضامنة.

أدويحا)[1]، فاستشاروا كنتيباي في إدراكه، فقال لهم: إنه يريد أن يصل حدود بلاده فيلقي القبض عليكم. فسمعوا نصحه وعاد الرسول إلى دقلل متعذراً بالنيابة عنهم بعدم أمانة الطريق من خصومهم[2]. فسافر دقلل مسرعاً إلى أهله لأن ثورة الإمام المهدي بلغت ضواحي كسلا.

بعد شهر عاد الشيخ إدريس بجماعته وأهله إلى عاصمته «تبح» وعادت إليه القبيلة من كل مكان، غير أنه استاء لما سمع أن جماعة من الهاسريين أجاروا المعلاويين ثم غدروا بهم أمثال[3] أبناء أَرَيب وآل هرودة الذين كانوا يقيمون بقرب جبل هجر ودهمتهم عصابة الهاسريين فقتلت محمد هرودة وحامد بن دِرْع وعلي عقيباي، وحامد محمد جلال، وجرحوا همد أريب. وفقدت العصابة بعض رجالها وكلهم مرتزقة فأرسل الشيخ إدريس محمد عصابة إبل للهاسريين وحماتها بقيادة حامد كلواناي ومعه جماعة من أبناء قنرى، فقتلوها جميعها ولم يتركوا إلا كل حوار رضيع[4]. وكان منظرها مروعاً جداً وتوافدت إلى أكلها العصابات من كل جهة تأكل فيها نحو ثلاثة شهور.

وأرسل الشيخ إدريس عصابة للأخذ بثأر أبناء أريب من عد موسى وطارقيلي. فقتلت العصابة حامد أنفوش وأولاده وذبحت ألف ناقة من إبل الشيخ أكد محمد (عد موسى) لم يتركوا منها إلا بعيراً واحداً لأنه هو الذي كان معاهداً للشيخ إدريس فخانه بإحضار الرشايدة[5] وأشد عصابات المعلاويين صرامة وقسوة هي التي كان يقودها أبو بكر محمد حفراي (أخو هرديد)[6].

---

(١) كان رسول دقلل رجل صادق هو الشيخ تكوش بن موسى أقراري «عمدة بيت بعشو» وهو أرفع من أن يغش أو ينغش.

(٢) كان الود بين دقلل وأكد موسى مفقوداً بسبب حوادث عد عمر وعد إبراهيم.

(٣) استاء الشيخ أكد من محمد عمر أبسعد وغيره لهذه الخيانة.

(٤) أكثرها كان ملكاً لهاسري بن أكد.

(٥) كان الشيخ إدريس يأوي إلى أكد محمد في أهله بعدوبنة وهذا يحميه من كل سوء، وهذا دأب النابتاب القدماء.

(٦) أعدمه الطليان في مصوع بسبب العصابات التي كان يغزو بها إرتريا.

وفي سنة ١٨٨٤م جاءت تعليمات من الأمير عثمان دقنة لكل مشايخ بني عامر والحباب كي يحضروا لمبايعته، فامتثلوا[١] وأخذوا البيعة. وعاد كل منهم إلى أهله إلا الشيخ أكد موسى فإنه بقي معه وأخيراً أرسله الأمير إلى أم درمان.

وتذكر كنتيباي أن الشيخ إدريس لا يزال يحتفظ بالأسلحة النارية التي ليس له أناس يعرفون استعمالها. فأقام الشيخ إدريس في تبح بقبيلته بعد رجوعه من توكر. وعلم من الجواسيس أن كنتيباي حامد يعد العدة لقتال المعلاويين فرحل الأخير إلى جبل هجر وجمعوا جموعهم وعصاباتهم هناك لقتال جنود كنتيباي النظامية وعصابات الهاسريين والمرتزقة.

❋ ❋ ❋

## واقعة هجر

زحف الشيخ همد كنتيباي بجنوده من دِقِّي حباب حتى التقى بموسى إدريس حامد ورار[٢] فالتقوا جميعهم تحت جبل هجر، وكان الشيخ إدريس قد أخبر أهله باتفاق الخصمين على حربه بسبب الأسلحة النارية، فقالوا له: نحن مستعدون للقائهم، فقال لهم: أرى غير هذا الرأي وهو أن أبقى أنا وعصابة هنا، ونرسل كلواناي بعصابة إلى عيترية لتقتل باقي أبناء الهاسريين، وعصابة أبو بكر حفراي لقتل عد موسى في عدوبنة، والثالثة تذهب إلى عَيَتْ وتأتينا بأبقارهم. فردوا عليه: نحن قتلنا ابن عميد القوم ولا نرضى أن تموت أنت بيدهم أو بيد الحباب لأنهم يتمنون قتلك. وما هي إلا دقائق حتى هجموا عليه وربطوه وحملوه إلى مكان بعيد واستعدوا للقتال[٣] بعد أن أرسلوا العصابات الثلاث كما أمرهم، ولم يبق إلا الأطفال والنساء وقليل من

---

(١) إلا كنتيباي حامد فقد أرسل أخاه همد كنتيباي بمؤن وأقمشة لجيش الأنصار تحملها قافلة مؤلفة من مائتي جمل.

(٢) كان الشيخ أكد بأم درمان، وكل ادعاء بأنه حضر واقعة هجر غير صحيح.

(٣) وصلوا به إلى قرية الأشراف عند السيد محمد همد أبو فاطمة الحسيني فأكرمهم وقال: أدافع عن الشيخ إدريس كما أدافع عن أهلي وولدي.

الرجال دارت بين الفريقين مناوشات بالرصاص وقال لهم أحد الرشايدة: لن ننتصر على (المعلاويين ما داموا بأعلى الجبل). فقال له الشيخ محمد علي حِيُوتَايْ الفايدابي: أنا أقدر على تلاوة أسماء على الرصاصة فأشتت جمعهم. فأعطوه رصاصة تلا عليها عدة كلمات وأعطاها لعامر بن عيد، وهذا سلمها إلى حنفور بن تنضر من عائلة ذو ويميني[1] فوضعها في بندقيته وضبط نيشانه وأطلقها على من بالجبل فأصابت عمر بن ضرار بن شريماتي وعملت دويًا كصوت المدفع، فتفرق الناس في الأودية والقفار، ونهب الجيش كل ما بالمنازل، وممن قاتلن في هذه الواقعة بنت قبيل والدة همد علي كميل بفأسها، وفر الرجال من قتالها إلا رجلاً واحداً هو «علي بكيت حامد[2] جِنْقِلِبْ»، وجرح من فرسان عصابات القبيلتين همد «هيناي» و«نَوَيْ صِرَّتْ»، واقتسموا كل ما وجدوه (النصف لكنتيباي والنصف للمقاتلين) وبذا انتهت واقعة هجر.

أما العصابات الثلاث فكما أسلفنا ذهبت إحداها إلى عَيَتْ وقتلت إدريس حامد ورار[3]، والثانية قتلت إبل عد موسى ورعاتها، والثالثة قادها كلواناي إلى ديار الهاسريين فاستقبلها رجل ملثم من الدقة[4] واختلى بقائدها وعنفه على عمله وأفهمه أن القرية خالية من الرجال إلا جرحى واقعة «باب حافولي» وإدريس أكد موسى المريض[5] وأخيه الصغير عثمان وهما ابنا بنت خالك (نور الدين ضرار)، أما كفاك ما قتلته من إخوانهما (أبناء العجيلابيات) أليس لك وللعمدة عقل؟ إنني هنا قد أقسمت أن أدافع عن كل القرية لحين عودة الشيخ أكد. واحتدا في الكلام، فجاءهما رجل ثالث[6] ووقف مؤيداً

---

(١) قتله أبو بكر قالع من رقبات الحباب سنة ١٩٠٣م.
(٢) قيل: إنه حضر إلى توكر في المهدية وسمع الأمير خضر بن علي بأنه لاقته امرأة في واقعة هجر فأمرها بإحضاره وسأله فاعترف بجريمته، فشنقه ونهب أبقاره.
(٣) ونهب أبقار الهاسريين.
(٤) هو شريف كامل. وكان أكد موسى لا يزال بالبقعة.
(٥) هو عمي همد ذور علي ضرار.
(٦) قيل: إن أخاه شريف قال له: اهجموا عليها لأن فيها رجالاً شجعاناً.

الشريف وقال لهما: أنا سأموت قبلهما مدافعاً. وعلا صوته فذهب كلواناي بعصابته إلى قرية «بردو»[١] لنهب أبقارهم، فقال لهم همد نور: إنهم جماعتنا «أفلندة». فذهبوا إلى أسراي وهناك سمعوا بوجود أبناء نور الدين ضرار الخمسة، فعادوا إلى قرية بردو وقتلوا فايد همد لباب، وابنه محمد، وهمد، وعلي شيملة، ومحمد فايد إدريس وهمد حنكيش[٢]، ونور عيسى عنسبة وكلهم من الأفلندة، إذ هرب البقية من أهل القرية واستولت عصابة كلواناي على المواشي. ولو انضموا إلى قبيلتهم كسائر الناس لما ذهبوا ضحية لدماء أناس ليسوا من أهليهم.

ولما قتلت إبل أبناء أكد بن هاسري، قتل فيها بكيت بُوسَتْ، وحامد محمد عمر شيك وإدريس عمار مندر وحامد آدم عمر مَنْفعُوتَايْ[٣].

وغزت عصابة من الهاسريين «فِرْفِري» فقتلت غلاماً من عائلة «قَدْبو» (همد عوُّور)

وانتشرت عصابات المعلاويين في كل محل من عد سمرة وجلال وقنري وحمد حسال وهمد عوور، وأوقعوا الرعب في القرى. ومن المؤسف أن كنتيباي حامد تهدد العجيلاب بالغزو ما لم يشتركوا في واقعة هجر، فرفضوا واستاء الحباب والهاسريون إلا الشيخ أكد بن هاسري فأرسل إلى والدي بعدم الحضور. وآخر من قتل من المعلاويين هو موسى بن طُنُغْ.

وانتشرت المهدية في سواحل البحر الأحمر فحالت دون غزو العصابات والغيت كل الدماء السابقة وتعاهدت القبائل على الصلح والمعافاة والصفح عما سلف واعتبر الأمير عثمان دقنة كل ما سبق المهدية موضوع «ملغى».

---

(١) تعريبها أعرج.

(٢) كانت ترعى في قرقرت Girgirrat.

(٣) كانت فيها خمسون من نياق العجيلاب أخذها أصحابها قبل القتال بأسبوع.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤].

❋ ❋ ❋

## محاولة اغتيال الشيخ إدريس محمد

حوالى سنة **١٨٩٢**م سافر الشيخ إدريس محمد إلى مصوع ثم اشترى من هناك فرس حامد دمات بن أكد. وكان معه صديقه علي مَسْتْقَيْ جلال وموسى همد كميل. وبعد أسابيع عادوا، وحالما وصلوا قرورة قال الشيخ إدريس: وصلنا إلى أرض العدو فاحترسوا من أن يسمع أحد بخبرنا حتى نصل توكر لأن أكد موسى له عيون تراقبنا[١]. فعبروا الحدود ليلاً حتى وصلوا «حَمْدُو كْيِيبْ» فأناخوا للاستجمام والراحة. فأراد صاحباه، أن يوقدا ناراً فقال لهما: إنها ترشد العدو على محلنا ولا يوجد بيننا وبين أكد موسى عهد أو ميثاق[٢]. فخالفاه وأوقدا النار، وبعد ثلاث ساعات من وقودها وصلتهم عصابة الهاسريين وكانت مكونة من شَلُوك بن عتيل، وعثمان علي شيك، وعلي حمد لباب، وإبراهيم طِرَايْ وعلي عجيل إدريس، ومحمود محمد شُلْشُول (عائلة فضل جميعهم)، وهمد بن آمنة من مواليده، وقال لهم أكد: أدركوا إدريس في قَرُورَة فلما عبر ساروا خلفه فجاؤوه وهو جالس على فروته وسيفه في يمينه. فوقفوا على بعد عشر ياردات منه وسلموا عليه فرد عليهم السلام. فقال له شلوك: نحن من عائلة فضل. فقال لهم: أهلاً بكم أيها الإخوان وأبناء العمومة. فقال شلوك نعم نحن أخوان أبناء رجل واحد ولكن إذا طلب منا رئيسنا أن نغدر ونخون عشيرتنا فلا نقدر على

---

(١) قيل: إن أكد موسى جاءه جاسوس وأخبره بأن إدريس وصل رحيب «على بعد عشرة أميال جنوب قرورة» فأحضر عصابة كي تقابلهم في قرورة.

(٢) كان الأمير عثمان دقنة قد أصلح بينهما، ولكن أكد قال فيما بعد: لن أترك إدريس محمد قاتل ابني لا في التركية ولا في المهدية. فشكاه إدريس ولكنه لم يجد شهوداً ضده.

مخالفة أمره[1]. وبينما هم في أحاديثهم جاءه من الخلف همد آمنة واستل سيفه فشهد إدريس ضوء السيف وظله، فأهوى به همد على إدريس، وهذا تلقاه بسيفه وقال: «أنا إدريس فارس الفرسان»[2]، وحمل على همد آمنة ففر منه ولم يدركه[3] وأصيب علي مستقى في يده أثناء قفزات إدريس خلف همد.

قال همد آمنة قابلت كثيرين ولكني لم أر أسرع ضربة أو قفزة من الشيخ إدريس محمد، ولو كان معه «دلاشاي» لما سلمت منه، لأن يده اعتادت على استعماله كثيراً[4]، وما أظن أن ابن أنثى يقدر على قتل إدريس محمد بالسلاح الأبيض.

واختفى أفراد العصابة ورحل إدريس بجماعته إلى جبل «دَمْبُوبَايِتْ»، غرب قرورة، فوجدوا عصابة من المعلاويين، فأقاموا معها أسبوعاً ثم سافر قاصداً توكر، فلما وصل عيترية لاحت له عصابة من الهاسريين في الصباح، فناداهم وقال لهم: «ها أنا إدريس محمد طلابتكم، تعالوا أقدموا لتأخذوا بثأراتكم نهاراً. ليست معي عصابة أو أبناء عمومة وخصوصاً أنت يا همد آمنة هات سيدك أكد معك ومحمد عمر أبسعد حتى ألحقكم بأبنائكم وإخوانكم. وها هو في «نَسْأَبِرَبْ» بيدي (اشتراه إدريس من محمود منذر بَعَشُو)، وسأسير أمامكم حتى أصل عدوبنة. فرد عليه علي حمد لباب «لا شأن لنا بك صحبتك السلامة من يريدك من خصومك سيلحق بك، أما نحن فلن نسير خلفك». فنزل في عدوبنة عند خصمه الشيخ أكد محمد وأقام معه

---

(١) وكان غرضهم أن ينتبه ويفهم أنهم رفضوا تعليمات أكد موسى ولو أن ابنه المقتول من جدة فاضلابية هي بنت حامد همد ضرار.

(٢) لم يكن معه دلاشاي بل كان سيفه «نسأقرب» «قاطع الجلود».

(٣) شاهدت همد هذا وكان قوياً وشديداً يصفونه بالشجاعة ولكن وجد من هو أشجع منه، ولم ينقذه إلا الفرار والجبن. ولما ضربه إدريس بسيفه تلقاه همد بسيفه الذي اشتقت من حده قطعة طويلة لأن سيف إدريس أجود من سيف همد.

(٤) منذ بدء القتال ترك دلاشاي وابنه محمد مع والدته العجيلابية في أهلهما خوفاً عليهما.

أسبوعاً، ثم سافر معه إدريس أكد إبراهيم ورار محافظاً عليه حتى أوصله إلى عيذب، فوجد فيها عصابة من المعلاويين أقام معهم أياماً. وجاء جماعة من الشِّئَايَابْ فأكرموه وأهدوا إليه أشياء كثيرة، وبقي متنقلاً في «مَقَدَّام» مع عصاباته، ثم رحلوا إلى منطقة «عَقِيتَايْ» لمشاهدة والدته، فتلقاه الوالد وأكرمه هو وعصابته، وطلبوا كسوة لكل رجل منهم وزاداً فأعطوه أبقاراً وعشرة جمالاً محملة بالدخن، وسافر معهم رجل من كل عائلة حتى وصلوا رحيب، ثم تبح، ثم مصوع، حتى كانت السنة التي توفي فيها، فقام من تبح إلى توكر. ولما جاء العيد ازدانت المدينة وأقيم احتفال وسباق بين الجمال والخيول كان فرسه الأول في كل السباقات. وفي ذات يوم كبا به الفرس فسقط الشيخ إدريس عن ظهره فأصيب برضوض شديدة كانت هي السبب في وفاته رحمه الله رحمة واسعة.

وبموته ختمت حياة بطل مثل الفتوة الهاشمية أحسن تمثل والشجاعة الطالبية. يعجز القلم عن وصفها فنال لقبيلته الحرية والمساواة بحد الحسام. وتكافأت دماء الفريقين، وقد رثاه كثيرون من الشعراء أشهرهم محمد أحمد سِئُويْ، التي مطلعها:

«دمَّلْ بَعَلاَ وَدْ محَمَّد تُو سقَادَ كِيدَا كَنْقَسًّا».

(الشهامة صاحبها ابن محمد داس على رقابها وجلس).

«سِيفْ حُرُوطْ إنْتَ مِنْتُو لَطْبَطَكَّا».

«أنت صارم مسؤول من الذي يجرؤ على مسكك».

«إنْتَ إدريس مِنْ جَبِّيءْ وكَئِنَّ أنا إبْلِكَّا».

(أنت إدريس وكيف تكون حالك إذا أكثرت من مديحك).

وهي قصيدة طويلة.

ذكرنا كيف أن الشيخ إدريس محمد لم يقتل بالحديد بل وافاه أجله المحتوم وهو على صهوة جواده والآن نأتي على وفاة:

## الشيخ حامد كلواتاي

بعد أن كبر سنه رحل من تبح إلى ديار أبناء تَكْلِيسْ[1]، في هَبَرُو وسكن بأهله معهم، فأكرموه جداً وأصيب بالجدري وهو معهم ثم مات به.

قيل: إنه لما سمع بموت أبناه النابتاب بالسيوف ونجاة كل من كان جريحاً فيهم من الموت تعجب جداً، وقال: سبحان الله كل الذين ولدوا في حدى ضرار بن عجيل قتلوا بالسيوف، أما الذين ولدوا منهم في السيد حامد نافعوتاي فقد نجوا مع أن جروحهم كانت أكثر من جروح من ماتوا منهم حتى من طعنوا بالحراب في أمعائهم أنقذوا من الموت. انظر إلى محمد موسى همد، وأبو سعيدة محمود وغيرهم فلا يوجد في جسمهم مكان سليم من ضربات السيوف، ولكن الأعمار بيد الله. وقالوا: إن كلواتاي كان عنده حجاب من رجل أقدوبي لئلا يقتل بالحديد وهو الوحيد الذي كان يقتل هاسرياً في كل واقعة على الأقل (حتى في واقعة دلك). وفتك بشجعان بردو ولولا أخوه شريف لقضى على البقية الباقية من الهاسريين في عقر دارهم «دقة هاسري»[2].

❋ ❋ ❋

## عَدْ الشيخ سليمان

هم أصحاب الزعامة الدينية في عموم قبائل الحماسين والمعلاويين. قيل: إنهم أناس من الصالحين صاهروا أقْدُوب وسكنوا في جبل «دِبِّر». ووفد عليهم رجل عالم من شيخاب الهدندوة، فسألوه عن مهنته، فقال لهم: أنا أنشر تعاليم الدين الإسلامي ودراسة القرآن فطلبوا منه أن يفتح

---

(١) جدتهم هي فاطمة بنت عجيل بن علي محمد ضرار «اقرأ تاريخهم في الحباب».

(٢) كان كلواناي يوم مقتل أخيه إبراهيم تهدد البيت معلا بأن يجلب عليهم الشرور من كل مكان حتى يسفكوا الدماء ثم تسفك دماؤهم في النهاية وقد تم له ما أراد.

خلوة ويدرس أبناءهم القرآن ويصلي بهم الخمسة أوقات فطلب الزواج فزوجوه منهم، وكثرت ذريته، وانتشر حفاظ القرآن فصار يبعث بهم إلى القرى. وأخيراً انضموا إلى المعلاويين وسكنوا معهم. وهم أناس قد انقطعوا للعبادة إلى يومنا هذا.

ويتزعمهم اليوم محمد ابن الشيخ عثمان من ذرية الشيخ سليمان الشيخابي. ولهم احترام خاص عند عموم بني عامر.



١ ـ الشيخ محمد إدريس محمد عمدة بيت «معلا».

٢ ـ محمود محمد (الابن الثاني للعمدة).

٣ ـ إدريس حامد (ابن أخ العمدة).

٤ ـ محمد كميل ضرار (ابن عم العمدة).

٥ ـ أحد أفراد الحاشية.

٦ ـ نور الدين صالح ضرار.



**الشيخ إدريس محمد إدريس**

**ناظر عموم قبائل بيت معلا - إرتريا**

❋ ❋ ❋

## الشيخ محمد بن إدريس

ولد سنة **١٢٩٤**هـ، ولما نشب القتال بين المعلاويين والهاسريين أرسله والده هو وجدته بنت عجيل ضرار إلى عقيتاي يوم واقعة دلك، فسمع أكد موسى بالخبر، فأرسل في طلب حامد نور الدين كي يوصلهما إلى عقيتاي حتى يكونوا بمأمن من كل سوء حتى استتب الأمن في السودان وإرتريا باحتلال الجيوش الأجنبية وفصل القطرين عن بعضهما، وخططت الحدود بين الحكومتين وأصبحت تَبِخْ وما حولها تابعة لإرتريا، فذهب الشيخ شريف كامل إلى دقلل الحسين حامد في أغردت ومعه الشيخ محمد بن إدريس، وطلب منه أن يعتبره عميداً على كل المعلاويين خلفاً لوالده فوافق دقلل وقدمه لمحافظ أغردت الذي أيد تعيينه واعترف به ثم سافر إلى السودان

وحضرا في عيترية لمقابلة الشيخ أكد موسى ومعهما جماعة من أهلهما وطلبوا منه أن يؤيد عمودية الشيخ محمد إدريس فوافق وأرسل في طلب السيد نافع أبو بكر (زعيم ديني) والسيد محمود إبراهيم وطالبهما أكد أن يعملا مراسيم التعيين للعمودية وتعتبروه الشخصي، فكسوه كساوي جديدة وعادوا به إلى أهلهم في تبح. وحافظ الشيخ محمد على علاقات حسن الجوار وكان طيب الأخلاق حلو الحديث. وكان ضعيف البصر إذ امتلأت عيناه بالماء حتى توفي سنة **١٩٥٢**م.

ومن وفائه حضوره إلى دقة بعد وفاة الشيخ أكد موسى وإحضاره إلى الفراش مواشي كثيرة وسلمها لحفيده الشيخ همد إدريس. وأصبحت بيت معلا من أغنى قبائل بني وعامر وأكثرها ماشية.

❋ ❋ ❋

## الشيخ إدريس محمد الثاني

بعد احتلال الإنجليز لإرتريا سمحوا لكل قبيلة تدفع جزية أكثر من خمسمائة جنيه أن تكون نظارة. فأصبحت بيت معلا نظارة لها عموديات وحصص، فكان الشيخ إدريس ناظراً بعد وفاة والده فهو شهم وكريم وشجاع جداً. وفي إحدى الليالي أطلقت عليه رصاصة من مجهول في منزله، فاتهمت بيت معلا أحد الهاسريين، وقالت لا بد من غزوهم ثانياً، وإذا بالشيخ شِفَا بن طِرَايْ بن هَرَنْرِوَايْ يحضر ويقول: «لقد أقسمت لأطلقن نسائي الثلاث إذا لم تضعوا السلاح وتجنحوا للسلم، ولأبلغن الحكومتين بعملكم هذا، ولأقاتلنكم مع الهاسريين». فوضعوا سلاحهم وعادوا إلى منازلهم. وبعد أيام علموا أن أحد جواسيس دقلل جيلاني قام من أغردت خلف الشيخ إدريس محمد، فأطلق الرصاص عليه، فأجرى دقلل تحقيقاً دقيقاً في الموضوع كانت نتيجته أنها رصاصة طائشة من مجهول.

وأصبحت البيت معلا بالسودان وهي أقلية وأغلبيتها في إرتريا. وتولى

عمودية السودان سنة ١٨٩١م الشيخ علي سعد، فلما توفي خلفه ابنه الشيخ صالح علي سعد ثم الشيخ إبراهيم أبو نارو، فلما توفي خلفه الشيخ همد بن حامد وسوكْ على عمودية كل المعلاويين.



**لفيف من محاربي باريا ـ ايماسا**
**بجهة بارنتو**

❋ ❋ ❋

## أَبْحَشِيلَة ABHASHEILA

لما اندمجت بيت معلا في القبائل التي وجدتها بجبال البحر الأحمر تفرعت منها عدة قبائل تتصل بها في أحسابها وأنسابها. فمن ذلك قبيلة «أَبْحَشِيلة»، وينتهي نسبها إلى رجل صالح من بني شيبة هاجر من مكة المكرمة إلى السودان قائلاً: أنه خال السيد محمد والد أحمد مَعْلا، فتزوج بأرملة أخيه ثم رزق منها ولداً تناسلت منه قبيلة أبحشيلة المشهورة بالتقوى حتى ظهرت مملكة بني عامر وبدأت في تحصيل الزكاة. فانقسمت أبحشيلة حسب مساكنها إلى أربعة أقسام قسم

منها بالحباب ويسمى كنكنة (Kankana)، وثاني مع عد عمر ويسمى عد فقيرايْ لتقواهم، وقد انتزعهم الشيخ إدريس هاسري من آل عمر لأنهم قتلوا أخاه هُومَات عند جبل «وَدْ دِهْرَا»، وبقي قسم ثالث مع دقلل (ناظر بني عامر)، والقسم الرابع بقي ضمن بيت معلا، فلما تحررت القبائل سنة ١٩٤٧م أنشأ زعماؤهم نظارة في إرتريا وعمودية في السودان وعميدهم بالسودان هو الشيخ محمد حاج بن إدريس بن محمود بن محمد بن محمود بن حامد راوي بن محمود موسى ويكنى «سعد الله» ابن حامد - حسب الله - حامد - ابن حسب الله - محمود - حسب النبي - محمود - عمر - ابن محمد الشيبي المكي المكنى بأبحشيلة هذا ما جمعناه من مذكرة الشيخ محمد حاج وقد اشتهر جده حاج محمود بالصلاح بعد أن كان زعيماً للعصابات قيل: إنه بات بإحدى عصاباته ليلة بجوار السيد حامد أحمد نافعوتاي في قرورة، فدنا منه محمود حاج، فقال له السيد حامد بالتِّيجْري: «مرحباً ود حاج رَاوي يوم مَنْبَه فَقَرَا، وبَدِير مَنْبَه كراوي». وتعريبها (أهلاً يا ابن حاج راوي، اليوم أنت شيخ الفقهاء وبالأمس رئيس العصابات، ثم قال: «مرحباً بود راوي.. عادم ديباتو وراوي». (مرحباً بابن راوي العازم على إجهاد نفسه للتقوى).

فتقدم إليه محمود وسلم عليه، وأخذ منه الطريقة القادرية[1] وتعهد محمود راوي على ترك النهب. وجاء بجماعته فأخذوا مثله العهد وذهب كل منهم إلى أهله، وبقي معه محمود في خدمته. فسافرا إلى أداء الفريضة، ثم عادا وملآ بادية بني عامر من المساجد. وكان يسمى بالشيخ «الأسد».

قال السيد إبراهيم محمود حامد للهاسريين، وكان ساكناً مع الشيخ أكد موسى: «إني رأيت في المنام الشيخ محمد محمود حامد يملأ دلواً من

---

(١) كان في أواسط القرن السابع عشر للميلاد «تاريخ الشيخ حامد» وطبقات ولد ضيف الله - عصر المشايخ محمد فايد وأبو الرايات.

السماء (دماً أحمر) ثم ينثره على كل الهاسريين وبيوتهم حمانا الله وإياكم من هذا الدم». وبعد أسبوع جاءت عصابة همد أكد موسى ونهبت[1] أبقار محمد محمود حاج المذكور قائلين فليملأ دلواً آخر. فخرج إليهم الشيخ أكد وشتم ابنه ووبخه وقال لهم: لا تدخلوها قريتي أبعدوها عني أنا لا أقرب أموال الصالحين قاتلكم الله، فأكلوا منها بقرة وردوها لصاحبها في قرى بيت معلا[2] واشتهرت في أبحشيلة عائلة «حِمِدْ» بالشجاعة والكرم، ولهم مراعى ومناهل طيبة شلحنتي (Chilhinti). وناظر أبحشيلة في إرتريا هو الشيخ فرج إدريس وهو ذو مزايا طيبة.

❋ ❋ ❋

## عِميرْ

هو الشيخ عمير بن محمود بن عمر بن حسب النبي بن إنديكنا. ويطلق هذا الاسم على القبيلة التي أنشأها الشيخ قِلاَتي بن عمير وهي من بطون حِمَاسين الجبال والسهول، وأقربهم رحماً ببيت معلا. وكان قلاتي تابعاً لرئاستهم حتى اشتدت شوكته بمصاهرة قبيلتي «تنكيك» الهدندوة وعجيلاب الأفلندة[3]. وكانت سلطة سواحل ما بين توكر ومصوع بيد العجيلاب ثم الحباب وألْمَدة ومِيكَالْ، وبهذه المصاهرة أمن قلاتي شر قبائل السواحل[4] وكانوا يعتنون كثيراً بتربية الإبل، ولذلك استطابوا السكن في ضواحي سواكن وتوكر والعقيق وانتشرت نياقهم حتى ملأت كل هذه النواحي

---

(١) كانت عصابة همد مؤلفة من أمثال محمد موسى همد وإدريس إبراهيم قيح أفهو (أحمر الفم) ومحمد حامد دابيدي.

(٢) لم يشتركوا في أي قتال. للشيخ حامد محمود قصيدة بالتيجري يذكر فيها تلاميذ الشيخ إدريس ولد الأرباب ويمدح المذكور.

(٣) تزوج الشيخ جمع بن عجيل ابنة قلاتي ورزق منها ابنه جميل، وبنته الثانية تزوجها حامد فطين بن أبو بكر بن موسى بن سلطان ناظر عموم عموم قبائل ألمدة.

(٤) قيل: إن أحد شبان أسفدة غزا عد عمير من جبل رورة وهم حول أشعت «أشأت» وطلبت مصاهرتهم، فرفضوا معتذرين ببعد ديارهم.

وضرب المثل بكثرتها وكبرياء أصحابها. ومن شيوخهم المشهورين بالصرامة في الأحكام الشيخ محمود بن داود فإنه منع رد أي ناقة أو بقرة ضالة إلى صاحبها. وكان إذا جاء صاحب الضالة، يطلب منه أن يأتي بأهله ويساكنه ويتعهد بإعطائه ضعف ضالته. فسكنت معه عدة قبائل مختلفة الأصول. وجاءه ذات يوم السيد الأمين حامد (عد الشيخ حامد) باحثاً عن إبل فقدت منه، فطلب إليه أن يسكن معه إذا كان حقيقة يريد إبله، فاعتذر له وتركها.

قيل: إنه بعد وفاة الشيخ محمود انتابت القبيلة مجاعة بسبب قلة المطر قضت على الأخضر واليابس، وفتكت بالناس والمواشي، فاضطروا لسكنى توكر وزراعة خور بَرَكة[1] أيام عميدهم الشيخ جمع بن عجيل بن قلاتي محمود عمير. وهم أقدم أمة سكنت توكر، ويسمونها باسمها، فيقال: «هَاسَاكَرْ» أي توكر. وجاورهم من الأفلندة هَتَكَابْ وتشدق Chaddag ومن الهدندوة «تُولْئاب». واشتغلوا معهم بالزراعة وبيع المحصول بسواكن عقيق حتى كانت سنة ١٨٣٥م، فوفدت عليهم عدة قبائل وانضمت إليهم خصوصاً بيت معلا وأخواتها والأرتيقة والحسناب والإشراف والكميلاب. وفي السنين الأخيرة وفد عليهم رجل من عد حسان (ابن عمهم) اسمه حمد بن أبو أحمد فولوه رئاستهم إذ كان شجاعاً ومصلحاً فصار الشيخ حمد عميد التوكر ومن فيها، فلما توفي انتشرت المهدية حتى كانت سنة ١٨٩١م فخلفه ابنه الشيخ موسى حمد عميداً على كل بني عامر الساكنة بتوكر من أصل «معلاوي». وعلمت منه أن اسم «هاسا أو خاسا»[2] جاءهم مع قبيلة قديمة من البجة كانت تسكن بسواكن بهذا الاسم.

وتوفي الشيخ موسى حمد سنة ١٩٣٢م بعد أن نيف على التسعين[3]،

---

(١) ذكر الشيخ محمد عيون بن شيك العجيلاني في قصيدة له كل ما أصابهم من البؤس والتعب.

(٢) المسعودي «كتاب مروج الذهب» وخطط المقريزي.

(٣) قاتل الشيخ موسى حمد العصابة التي قتلت الناظر إدريس دقلل حامد ولم يظفر بالقاتل بل بعصابته قتل اثنين من العصابة.

وخلفه ابن أخيه الشيخ أبو محمد محمود حمد بتوكر والعقيق، أما في كسلا فالعمودية بيد أخيه الشيخ حمد أرْكة. أما الشيخ موسى حمد فقد اشترك في جميع حركات المهدية بتوكر.

❋ ❋ ❋

## مَعْلَايتْ

تطلق على العائلات التي تناسلت من صلب الأخوين (كامل وكميل) وهما من أحفاد الشيخ محمود أبو بكر.

تسكن معلايت أو غالبتها في إرتريا والرئاسة في ذرية كميل، والعمدة اليوم بإرتريا وهو الشيخ إدريس حسب شَبَحْ. ويميلون دائماً للهدوء والاعتناء بتربية المواشي. وفي إرتريا أيضاً معلا قِطْان «رفيعة أو الضئيلة» وكان لها ولمعلايت صيت وسمعة وشهرة طيبة وقد أنهكتهما الحروب القبلية.

واشتهر في معلايت رجل اسمه: «أف ألبو» وتعريبها (ليس له فم)[1] وكان يهوى بنتاً من أسفدة اسمها: «تَكَّة Takka» بنت دويد، ثم تزوجها واشترط عليه أهلها أن يساكنهم، فقبل؛ فإذا بأخوانها يقتلون أخاه (حامد) وأخذوا أبقاره. فلم يكترث لقتله أو يهتم بثأره. وبقي متلذذاً مع عروسه يبادلها كؤوس الغرام ويكره الاجتماع بالناس لئلا يفسدوا عليه حبه أو يحرضوه بكلمات تذكره الثأر والانتقام، حتى قيل: إنه تناسى أو نسي ثأره، وصار قعيد دار تكة. فقضى سنين وهو في نعيمه وغرامه. وفي أحد الأيام تكلمت نساء الحي معها في سيرته وعدم اهتمامه بثأر أخيه، وقلن لها: يا تكة أما يفكر زوجك في أخذ ثأر أخيه حامد من أخوانك. فردت عليهم قائلة أختكن تكة قعْدت بفخذيها على الثأر فلن يحاول الانتقام أبداً. فسمع أُفْ ألَبُو حديثهن، فتذكر وغطى وجهه وتناوم، وطبعاً جالت في مخيلته أشياء كثيرة[2].

---

(١) وقيل: ليس له أسنان وهو أقرب إلى الحقيقة.

(٢) كان شاعراً مجيداً وأشعاره كلها حكم وعبر لا يفهمها إلا من يجيد التيجرية.

تذكرت والذكرى تهيج لذي الهوى ومن حاجة المحزون أن يتذكرا

ولما أرخى الليل سدوله جلس بجوار النار لكي يستدفئ من شدة برد الشتاء القارص، فقالت «تكة»: ادخل من البرد. فلم يرد عليها، فقالت له: فيم تفكر[١]؟ إن البرد شديد، تعال ونم في سريرك. فأجابها إنني اليوم كثير التفكير وأرضكم بردها لا يطاق (فعلمت أنه تذكر وسمع كل شيء)، فوضعت له فرشه بقرب النار وقالت له: إذا كنت لا تريد دخول البيت فاجلس على فراشك بدلاً من الأرض، فخاطبها بالأبيات التالية:

«كَرَى تَكَّة أَمْ بُرودْ قُرُوزْتُو إِلِّي مِدْرِكِنْ».

(يا ناس تكة (ذات الريق البارد) إن البرد شديد في أرضكن)[٢].

«إِقَرِّرْ هِلِّيكُو لَقَرِّرْ إِسَاتْ مِي إِيْ إِسْحِنْ».

(إن بي رعشة من شدة البرد والمرتعش من البرد يستدفئ بالنار).

طلب منها أن تمهله حتى يدفأ جسمه ويهدأ.

«إِجْومْ هِلِّيكُو طَنْحِيني أَسِكْ إِفَطِّنْ».

(بي وجوم فأمهليني حتى أفطن لأمري).

فتحققت أنه ينوي شراً بأخوانها ولكن الوقت ليل. فغافلها وأخذ حربته[٣] في تلك الليلة المظلمة وسار حتى لقي أخاها داود بن دويد يحلب أبقاره إمام بيته، فسلم عليه، فقال له داود: ما الباعث لك للسير في هذا البرد والظلام فقال أريد أن أرى حالة أبقاري. فقدم له داود اللبن لكي يشرب فطعنه بالحربة فقتله. ثم سار «أُفْ أَلْبُو» إلى أخيها الثاني (كورُوبْ) في جهة يقال لها: «دَقَاق»، فلما وصله تظاهر بالارتعاش الشديد من البرد فقال له كوروب: ماذا بك؟ قال له: «برد شديد» فأوقد كُوروبْ» النار

(١) شعرت تكة أنه سمع حديثهن.
(٢) وجّه الحديث إليها وإلى صويحباتها.
(٣) لم تكن السيوف الحالية معروفة عندنا إلا بعد الحروب الصليبية.

وجلب الأخشاب من أشجار بني عمه (بيت معلا)، فلم ترتح نفس أف ألْبو لتكسير الأخشاب من الأشجار، فقال له: «يا كوروب إن مودتنا هي التي تمنعنا من معارضتك في قطع أخشابنا فأقلع عن ذلك. فعرف كوروب أن الرجل قد تغير، وأنه يريد شراً. وقام ليحضر حربته ولكن بادره أف ألبو بطعنة نجلاء قضت عليه، وأخذ أبقاره وأبقار أخيه حامد من أبقار كوروب وذهب إلى أهله، ونظم قصيدته المملوءة بالحكم والأمثال وهي طويلة.

أما تكة فإنها سمعت بمقتل أخويها فقالت: لقد صبر أف ألبو على ثأر أخيه حتى هيجناه ونبهناه ثم أنشدت:

«مَسْكِينايْ أُفْ أَلَبُو جَارو فَجرا كَجِيسا».

(مسكين أف ألبو قضى وطره ثم ذهب).

«حُوهُ حامد فاقدا لَكنْفَرْ طِفِيتا».

(تذكر أخاه حامد صاحب الشفة الباسمة).

«وحَاهُو لِعيتاتْ فاقداً كِلِّه جِبَرْ عِفيتَا».

(وتذكر أبقاره آل لِعيتات[1] الجميلة المنظر).

«إبْ يَنُونَدْ أَنْهُو مَهَّلَيْ إيكون وسِيفَا».

(تركناه يذهب وحيداً من غير صاحب أو زاد).

ونورد هنا بعض أبيات من قصيدة أف ألبو:

قال أُفْ أَلَبو وهو من معلايت:

«لِيلِيتْ أَدُوبْحَا[2] إتْنَقِّي بيتَتْ كَرايُو».

(لقد كان عواه ضباع أدوبحا (مكان) عالياً جداً ليلة أمس).

---

(١) هي أبقار عزيزة عند من يقتنيها ووسمها شرطة في وسط أذنها اليمنى. واليوم هي عند الطبقة الارستقراطية في قبائل إقليم البجة.

(٢) محل مقتل أخيه حامد ومقتل كوروب.

«حِرِمْ مِدِزْ بيت مَعَقِّبْ سَبْؤُ إبْ جِدْنُو مَبْقَايُو».

(حرم هو من مساكن بيت معقب (بيت معلا) وهم دائماً في حروب).

«إبْ مَهَلاكْ جايِيُّو كوروب دقاق لَقَشَبايُو».

(على مهلك يا كوروب في إيقاد النيران بأغصان دقاق).

«فَتُّوكمْ هِيكُون سَعَرُه كُلُّؤُ ومَايُو».

(إنهم يحبونكم وإلا لمنعوكم من مراعيه ومناهله) (كلأه).

ثم قال:

«ود أَبْ أَلَبو قِرَازْ هَارِزْتُو إبْ مَايُو».

(من ليس له ابن عم فهو كدبة الطين التي يجرفها أقل سيل).

«حُو وَدْ ألبو أت عد جَنْدِل قَاتْلايُو».

(من ليس له ابن أم يتبختر قاتله في الحي ويمشي الخيلاء).

«ود رِحِم ألبو إبْ من قَرِّيتو وارثايُو».

(من ليس له ابن من صلبه يقولون من أقرب الناس لوراثته).

«حِيمَا ألبو من لاَ مِّرُّو بِكَايُو».

(من ليس له زوجة من يرثيه أو يذكر محاسنه).

«نُوَايْ ألبو أحيد أتِّي قابرايُو».

(من ليست له مواشي فإن حاملي جنازته يعودون سريعاً)[1]، نكتفي بهذا القدر.

❋ ❋ ❋

(١) أما صاحب المواشي فإنه يذبح منها للجالسين حول القبر ثلاثة أيام لئلا تنبشه الوحوش.

## قنيفرو GANIFRO

كل كتب المؤرخين السابقين من العرب والإفرنج تعتبر عموم القبائل التي تسكن حول الجبال الواقعة غرب ميناء العقيق من أصول حبشية، وتطلق عليها اسم «حَماسين»، وهذا خطأ لأن حَماسين الأحباش لم يبق منها إلا أقلية ضئيلة في كل قبيلة، وليست لها رئاسة أو سلطة ـ التي دائماً هي في العنصر العربي، وهو السائد في إقليم البجة منذ ظهور البَلو ـ وأول من ظهر بالجبال من مسلمي العرب هو السيد أحمد مَعْلا، وقد تناسلت من حفيده (محمود أبو مكر) كل عائلات الحَماسين (بني عامر) من أحد آبائه المدعو (حَماسينايْ)[١] إذ رزق ثمانية أولادهم: ١ ـ حامد ويلقب باسم كَلْب[٢]، ٢ ـ وأحمد[٣] لقبه (كَلْبُوي)، وأمهما من اللايتعا[٤]، ٣ ـ وحسن[٥]، ٤ ـ وحسين[٦] شقيقان وأمهما من طارقيلي[٧]، ٥ ـ وهلال[٨]، ٦ ـ وأقْرايْ[٩]، ٧ ـ وشوروم[١٠] Choroum، ٨ ـ إندول[١١] وهؤلاء الأربعة أشقاء وأمهم من كريكناب «عائلة بَأَروفاب»[١٢].

وقنيفرو تسكن في «عَيْدِقْ» (قرب هَجَر)، وعميدها الشيخ محمد

---

(١) قيل: إنه كان حواراً للشيخ محمد بن فايد وزار مشايخ العركيين.
(٢) تناسلت من قبيلة قنيفرو Ganifro.
(٣) ذريته هي بيت بعشو.
(٤) وقيل: إنها البلو.
(٥) عد أو بيت حسن.
(٦) عد حسان.
(٧) أمهما بنت أبو جندب.
(٨) تفرعت منه بيت هلال.
(٩) ذريته هم أبناء أقراي.
(١٠) ذريته عد تشوروم.
(١١) هم بيت أندول وأغلبية الأربعة الأخيرة.
(١٢) تسكن بإرتريا والأربع السابقة منقسمة بين السودان وإرتريا. كل قبائل الحماسين مجاورة لبعضها حول جبل هجر ويقال لها: «أبيات طليم» «أسود» والتي تسكن منها في السهول يقال لها: أبيات قيح (أحمر) أي العائلات الحمراء والسوداء.

محمود حاج، وهم يذكرون عميدهم الأول الشيخ حاج أبو بكر الذي كان مشهوراً بالعلاج وحب السلم خصوصاً مع جيرانه. وخلف أحسن ذكرى. ولما توفي حل محله ابنه محمد حاج، فاقتفى أثره، فأحبته كل القبائل إلا بيت معلا إذ حدث أن قتل أحد رجالها أخاه محمود خطأ، وكان يدعى حامد سقوتة[١]، إذ أنهم أخذوا بقرة هذا الولد ولم يكونوا يتوقعون أن يدركهم في وادي عِيلَقَة بعد أن أكلوها، وكان محمد إداد أول من هجم عليه، فصعد له الولد، ولكن حامد سقوتة جاءه من الخلف فقطع صلبه، وسرقت عصابة من الحباب حمير قبيلة محمد حاج فسافر إلى كنتيباي حسن بجبل «عَتَرْ» فسأله عن مقصده فعلم كنتيباي أن العصابة سافرت إلى عد تماريام، فأمر بإدراكها وإعادتها إلى صاحبها فعاد بها إلى أهله.

ولما توفي كنتيباي حسن ذهب الشيخ محمد حاج إلى دقي حباب للتعزية، وبينما هو عائد إلى أهله قابله محمد سقوتة[٢] في وادي رحيب، فلم يتمالك العمدة شعوره وانتضى سيفه وضربه بحده فقتله بأخيه فزال ما كان بين القبيلتين من الجفاء. ولما توفي خلفه ابن أخيه الشيخ محمد محمود.

لما بدأت الحرب الاستقلالية «المهدية» سنة **١٨٨٣**م بشرق السودان عين الأمير عثمان دقنة الشيخ عيسى إدريس وكانوا مخيمين في جهة «عبدالله أري» وأبلوا أحسن بلاء واستشهد منهم ومن الأفلندة كثيرون في سهول «إنْدِتِّيب» ولهم أشعار بالبجاوية والتيجرية في حروب جيوش الاستعمار[٣]، ولقد سمعت من الشيخ شريف كثيراً من أشعارهم الحماسية[٤].

❋ ❋ ❋

---

(١) كان زعيماً لعصابة مؤلفة من «حمد حواي» (أصغر)، ومحمد إداد المشهور بأبو البر وغيرهما.

(٢) أخو حامد سقوتة.

(٣) كان في القرن الماضي شاعر اسمه جوج Jouj يثني على الشيخ همد أكد وغيره.

(٤) اشتهر هذا الرجل بالوفاء لأصدقائه.

## بيت بَعَشُّو

ويسكنون جبل «قَعْبُوبَة Gaaboubah» بين ديار الهدندوة والبِلِينْ واللَّبَتْ، ولها في إرتريا نظارة برئاسة الشيخ صالح علي تكوش بن مندر بن موسى أقْرِرَايْ، وهي تنقسم إلى عائلتين «عد عمر شوم» وتتألف منهم أكثرية القبيلة، وهم لا يتحملون الضيم، و«عد ديناي». فكانت في يوم من الأيام القبائل الحمَاسينية تحت رئاسة الناظر عمر بن شوم عمار وهو ممن وفدوا على ملك الفونج بسنار وقدم له الهدايا وزكاة الحماسين، فأكرمه الملك وأنعم عليه بطاقية من الذهب وكرسي للحكم ونحاس[1] «نقارة» دفنها أحد أحفاده «ويدعى عمر شوم (سمى عليه)» في واد يقال له: «قَبْر عَمَّار» خوفاً من عائلة هددي أبناء حسن موسى هاسري.

وتألفت من الحماسين بإرتريا نظارة بأغردت، ومن مشاهير بعشو الشيخ جمع بن همد دين بن تشقراي Chagaeri. ابن عالياي بن عمر شوم في القرن الماضي إذ سافر إلى القاهرة شاكياً من مشايخ بني عامر لأنهم اقتسموا قبيلته وبعض القبائل التي كانت تحت سلطته، فلم تنجح شكواه، وانتشرت الثورة المهدية في السودان، ولما احتلت إيطاليا إرتريا سنة ١٨٨٤م رفع شكواه لمحافظ مصوع فأنصفه ورد إليه كل من كان معه.

أبناء بعشو مشهورون بالجود والشجاعة فمن مشاهيرهم مندر موسى، ومحمد تكوش، وهتويْ ومحمود وأخوه همد شوم وعلي بن مندر المشهور بمعاتبته لناظر بني عامر دقلل علي بخيت وقد توعده بالرحيل من نظارته إلى أخرى[2].

فقبض عليه دقلل وسجنه في جمعية حَمَلَايِيبْ (قرب عَدُوبَنَة)، فكان

---

(١) يقال: إن المدفونة هي النقارة الكبرى، وأما الصغرى فقد أخذها أحد مشايخهم إلى البهدور سنة ١٨٧٠م وتركها وديعة عند الشيخ إبراهيم حامد ورار. وهذا باعها للأمير جيلاني بك أرتيقة بسواكن، وما زالت معهم حتى اليوم.

(٢) وله في ذلك قصائد طويلة أشهرها التي يقول فيها سلموا لي على دقلل علي بخيت أطيب السلام.

له صديق اسمه همد محمد إساتات طلب من عمه أن يطلق صراحه فأطلقه. ورؤساء هذه القبيلة مشهورون بالكرم واقتناء السيوف الجيدة ويكثرون فيها من الفضة بخلاف بقية أقاربهم وجيرانهم إذ لا يهتمون بذلك.

❋ ❋ ❋

## بيت بعشو وعد هاسري

قيل: إن أحد أولاد بَعَشُّو[1] قتل رجلاً من الهاسريين «هددي» فاشتكي أخو القتيل إلى عمدة هاسري، فقال له: اتركهم وانتظرني. فلما جاء الصيف أدركهم الشيخ هاسري بقراهم وأحاط بمنازلهم فاستعدوا لقتاله، فقال لهم: أنا رجل مسالم أعطوني رهائن[2] حتى يأتي الشتاء ونفصل في دماء المقتولين. فسلموه ثلاثة من شبانهم فسجنهم في جزيرة بَاكْيَايْ، شرق العقيق. ولم يبق منهم إلا «دار شبح بن دَامُّو» وهو جد أباء بحراي بن صديق المندمجة ذريته اليوم بالعَقايقة (بَهْدُور)، ونبغت ذرية دار شِبحْ في معرفة موانئ البحر الأحمر خصوصاً الريس محمد إدريس نور ومحمد صالح حسين بحرايْ واشتهر الشاعر الحبابي من حَرَابْسُو (عمر بن باشقير)[3] بمدحه للشيخ عمر شوم حتى قيل: إن من يحفظ له عشر قصائد يكون سعيداً في حياته ونحن نحفظ هذا القدر[4].

حوالى سنة ١٨٧٠م طرد رعاة مواشي بيت بعشو أبقار أبناء علي بن عتيل شياخة هِنْتُولايْ (إداد) بن أكد، فأخذ سلاحه وخادمه (همد بانديق) وبعض أفراد حصته، وقاموا إلى بيت بعشو. فتلقاهم تكوش بن موسى وأولاده فجرح تكوش وهنتولاي بعضهما وكذلك قليلاي «محمد تكوش»

---

(١) القاتل اسمه «شاكا» وقد قتل رجلين من هددي وفتكوا بكل إبل هددي إلا ما كان منها ابن عشار.

(٢) طلب أن يكونوا من ذرية عمر شوم.

(٣) جمعنا كثيراً من أشعاره الغزلية.

(٤) لو قالوا: إن من يحفظها يجيد اللغة التيجرية لكان أصوب.

جرح همد بانديق، وهذا ضربه بالسيف مرتين فجرحاه وضرب علي أَبّر بن تكوش بانديق، فسقطوا جميعهم. فقال تكوش لأبنائه: أوقفوا الضرب وجاء أهل الفريقين فحملوا الجرحى ولم يشفوا إلا بعد خمس سنين. ووصف تكوش هذه الواقعة في قصائده. وأشهر قصائده هي التي يهجو فيها عد عمر نابتاب رداً على شاعرهم المسمى «أَكَيْ دُولي» وأولها هو:

«أَكَيْ دُولِي طَيّ حُوكَ تَكَجِّلْ مي إِيْتَكَجِّلْ».

(أكي دولي «أنا أخوك» لماذا لا تخجل أو تستحي).

«أَبُوي بَلِّغْ وَسَتي وأبوك شَلِّحْ ولَهَمِّر».

(أبوي يأكل ويشرب وأبوك يضعف ويجوع).

«نابتاب سَنِّيتْ واتْبَأْسَنَا إيكُونْ نَابْتَابْ تَوَسَّلْ»[1].

(نحن نقاتل النابتاب الأصلية لا نابتاب توسل) وهي طويلة.

ويقول الحباب أن حمد كلبوي تزوج من بيت أَسْفَدِة حَبَاب بابنة «إِيَيِّي» بنت كنتيباي ناود فِكَاكْ ولذلك غزوا معه عد تكليس فمكنوه من استرداد نحاسه. وحفظ لهم الحباب هذه المساعدة ولما تضعضعت حالة بيت بعشو تفرقت بعض عائلاتها في القبائل الكبيرة مثل بيت هلال انضمت إلى أبناء أكد، وبيت أندول إلى الأفلندة، وانضم أكثرها إلى المعلاويين أيام كميل الأول. ولكن اليوم سنة ١٩٤٧م، كل أخ انضم إلى أخيه وذهبت تلك السيادة المستعارة.

❋ ❋ ❋

## دقة بَعَشُّو

كان رؤساؤها الأقدمون يعتنون بتربية الإبل حتى كثرت عندهم وصارت منها مؤونتهم، فكانت تسمى قراهم «دقة بعشو». وكان كل من أبناء

---

(١) هو يقصد نابتاب بيت النظارة لا النابتاب التي تتوسل بالصالحين أمثالكم ويقصد أبناء عمر وهاسري.

حماسين له دقة لا تقل منازله عن الألف. وكلها انقرضت أشهرها: «دقة عمر شوم ودقة علي شوم وآخر باسم همد شوم وحسن شوم وحسين شوم وحمد شوم ومحمود شوم. «فلما دالت أيامهم وانقرضت إبلهم اعتنوا بتربية البقر والغنم واتخذوا منازلهم حول «قبر عمار» في شرق خور طقت الشرق وكانت نظارتهم قبل بعشو في بيت بحايلاي التي ورثت أراضيها في هجر بيت بعشو، وفي السهول العجيلاب بعد قتال استمر ربع قرن.

وكانت بعشو في حروب مع أسفدة أيام زعيمها «سعيد بن أسفداي بن نافع بن يوسف بن رشيد» وتحتفظ بيت بعشو بسيوف غاية في الجودة ومضاء الحد أشهرها[1].

١ ـ واحد عند إبْرايْ بن حمد جُنْجُون، ٢ ـ عند جمع همد دين شقراي، ٣ ـ ثلاثة عند الناظر صالح علي تكوش، ٤ ـ عند أبناء حبيب تكليس، ٥ ـ عند حامد علي مندر، ٦ ـ عند أبناء إدريس آدم همد قرقما، ٧ ـ عند هَتُويْ موسى إقراري، ٨ ـ عند أبناء حمد إياي.

وهذه السيوف غنموها مثل العجيلاب من بيت بحايلاي بعد واقعة هجر التي حرموهم فيها من حصد زراعتهم.

ومن مشايخهم بالسودان الشيخ محمد آدم حنجور.



## عَدْ فَضِلْ

هم إحدى قبائل بني عامر التي كانت تحت نير الهاسريين بل هي يدهم اليمنى في كل مصيبة تؤمهم إلا في قتالهم للمعلاويين فإنها لزمت الحياد التام بين القبيلتين وكانت تخرج زكاتها للشيخ حمد حسال، فلما هاجر إلى مصوع[2] بعد مقتل عبدالله وأكدْ رفضت قبيلة فَضِل الرحيل معه

(١) بسبب النسب البكري الذي بينهما.

(٢) لولا أن قبائل النابتاب تألبت على المعلاويين لما اضطر حمد حسال لمبارحة وطنه «تبح».

وبقيت في تَبح[1]. فلما تم الصلح بين القبيلتين تجاهل الشيخ إيْتَدكِّل أخوة من تخلفوا عن الهجرة وهم لم يكترثوا لذلك وبقوا معززين مكرمين في مساكنهم لا يؤدون إلا القليل من الضريبة لأنهم كانوا حماة الهاسريين من كل محارب ومقاتل حتى كانت سنة **١٩٤٧**م وطلب الشيخ عبدالقادر محمد ضرار الانفصال عن الهاسربين واستقل بعمودية كل أقاربه من سلطتهم.

وتتألف قبيلة عد فضل من العائلات الآتية:

**١** ـ حصة «قِعْفاب». **٢** ـ حصة عَوِل، **٣** ـ ناصر، **٤** ـ حنجر أو سَراك، **٥** ـ طرَحْ **٦** ـ كَلَفْ، وغيرهم من العائلات. وفي السودان انضمت إليهم عائلة موشى وبِهِيْر وهم كسائر قبائل بني عامر يسكنون بالسودان وإرتريا. ومن مشاهير هذه القبيلة في القرن الماضي المصلح الورع التقي الشيخ حاج محمد ضرار[2].

وفي سنة **١٨٧٢**م، حدث قتال بين البَهْدُور في عدوبنة والجميلاب، (الأولى: بقيادة القبطان مهدي محمد أحمد أبو بكر، والثانية: بقيادة عيسى دهيت الشاعر[3]، فعثرت عصابة الجميلاب على أبقار أبناء شاكر (عائلة عَقَامَايْ) في جهة أبْسَنَبْ فاستاقتها أمامها آخذة طريق المضيق، وكان أصحابها كامنين هناك، فضرب لها أحد الشبان الدرقة وناداها. ولكن الجميلاب غيروا اتجاهها إلى السهل وهناك لقوا البهدور على أتم استعداد للقائهم، وجاءتهم نجدة من الأفلندة بقيادة «حامد نصر الدين»[4] وابن عمه همد بخيت هرودة[5] واشترك معهم علي شاكر[6].

إنني شخصياً معجب جداً بالشيخ عبدالقادر محمد ضرار لأنه ناضل

---

(١) قتلى النابتاب وأتباعهم لا يقلون عن الثلاثين.

(٢) تزوج ابنته الشيخ نور الدين ضرار عجيل وكان حاج غنياً جداً وذا عصبية كثيرة أفادت العجيلاب في عدة مواقف، وأكثر أهل عقيتاي من أبناء بنته.

(٣) غزا من فملك سواحل العقيق وعدوبنة وهي مسافة بعيدة جداً.

(٤) قتلت العصابة آدم محمد من الأفلندة.

(٥) أدركتهما وأخذت عنهما.

(٦) مات ثلاثة من إخوانه في المضيق.

وأكثر من الشكوى لمفتش توكر المستشرق «المستر أندرو بول Andrew Paul) حتى أقنعه بشهود ووقائع ملموسة أنه مهضوم الحقوق. فسأله المفتش هل أنت مستعد لخصومة وعداوة الهاسريين لك ولقبيلتك؟ فقال له: نحن كالبنزين وهم كالسيارة فهل لسيارتك أن تسير من غير بنزين؟ قال له: كلا إنهم ضعاف عند مقارنتهم بنا.

وعموماً آل حاج محمد ضرار اشتهروا بالصلاح والقراءة والكتابة.

وفي سنة **١٩٠٩**م، حدث بنيهم وبين قبيلة سنكاتكناب خلاف نشأت من تأثيره عدة عصابات اضطرت على أثرها الأخيرة ترك جبال العقيق لقبيلة عد فضل[١].

وللشيخ حاج همد ضرار أشعار كثيرة أشهرها قصيدته التي يرثي فيها ابنه وقد قتلته إحدى قبائل الحباب فعزم على الصيام ثم استل حسامه وجلس للحباب في المضايق حتى عثر بقاتل ابنه فقتله وأنشد:

«أنَا إيكُونْ إدْقِتْ نَهْقَتْ ديب وَلْدَا».

(دعني أنا فإن الحمارة نهقت من الحنين على ولدها)[٢].

«تِمْئِتْ وسَايْتَتْ كِيَاد عد حدء إبكيدا».

(إذا جد السير فإن البهيمة العطشانة لا تقدر أن تسير كالشاربة).

«تِمْئِتْ حَطَّ ديب كدنْتُ وسَاتْيَتْ حَطَّ دِيبْ عَدًّا».

(والعطشانة تسير في الخلاء «تضل» والشاربة تعود إلى أهلها).

وله أشعار أخرى في التقوى ونصائح النَاس.

❋ ❋ ❋

---

(١) انتصر الشيخ أكد موسى للفضل والناظر صالح إدريس دقلل للسنكاتكناب.

(٢) كان أناس يقولون له: أعف عن قاتل ابنك فلا يرد عليهم.

## عَدْ علي هَاسَا

كثرت حولهم الأقاويل ونحن اعتمدناهم فرعاً من أَلْمَدَة. وأول من جاورهم هو رجل من سكان توكر يقال له: «علي هاسا» من ذرية عمير ترأس عليهم ودرسوا القرآن عليه، وبعد سنة ١٣٠٦هـ انضموا إلى بيت قريش لأن المجاعة فتكت بهم في تلك السنة. وكان عميدهم في المهدية الشيخ حامد علي الذي نزع المشيخة من عمير في أيام والده، ولما توفي حامد خلفه ابنه الشيخ أونور.

واتفق الهاسريون والمعلاويون على غزو عد علي هاسا[١]، وهم في هَجَر بأمر من الأمير محمد طاهر ابن بك دقنة[٢]، إذ أمر بمطاردة عد علي هاسا، فسارت خلفهم عصابة برئاسة همد إدريس أبسعد فصمدوا لقتال المعلاويين والهاسريين[٣] حتى خسر الهاسريون حسن هاسري محمد، وحامد شريف علي، وكلاهما من النابتاب. وجرح بعضهم، فرجعوا منهزمين، فأرسل الأمير محمد طاهر في طلب الشيخ ضرار علي لأخذ رأيه في غسل عار الهزيمة. فقال له والدي: «إن الانتقام من هؤلاء صعب جداً لوعورة المسالك وكثرة مغاور الجبال ومخابئها التي لا يجيد معرفتها إلا «موسى إدريس حامد ورار» إذ أنه محتفظ بعصابة تؤدي غرض الأمير. ووافقه الشيخ أكد موسى على ذلك. فأحضروا موسى إدريس[٤]، وتسلم قيادة العصابة. فأدرك بعضها مقيماً في قرية عد عمر فهجم عليهم فلما فروا منه تعقبهم حتى قطع دابرهم نهائياً.

وقد خسرت بيت معلا في حروب هذه العصابات بعضاً من مشاهير رؤسائها أمثال حامد محمود، وإدريس حامد، وإدريس محمود، وكلهم من نسل الشيخ إدريس حامد إيتدكل.

---

(١) رفضوا دفع الزكاة.

(٢) كان يقيم في «عد أرت قرب عدوبنة».

(٣) قال الهاسريون: إن حلفائنا المعلاويين لم يشتركوا في القتال.

(٤) لم أر في الهاسريين أعقل وأشجع من هذا البطل، وقد توفي بكسلا سنة ١٩٥٠م، بعد أن نيف على المائة.

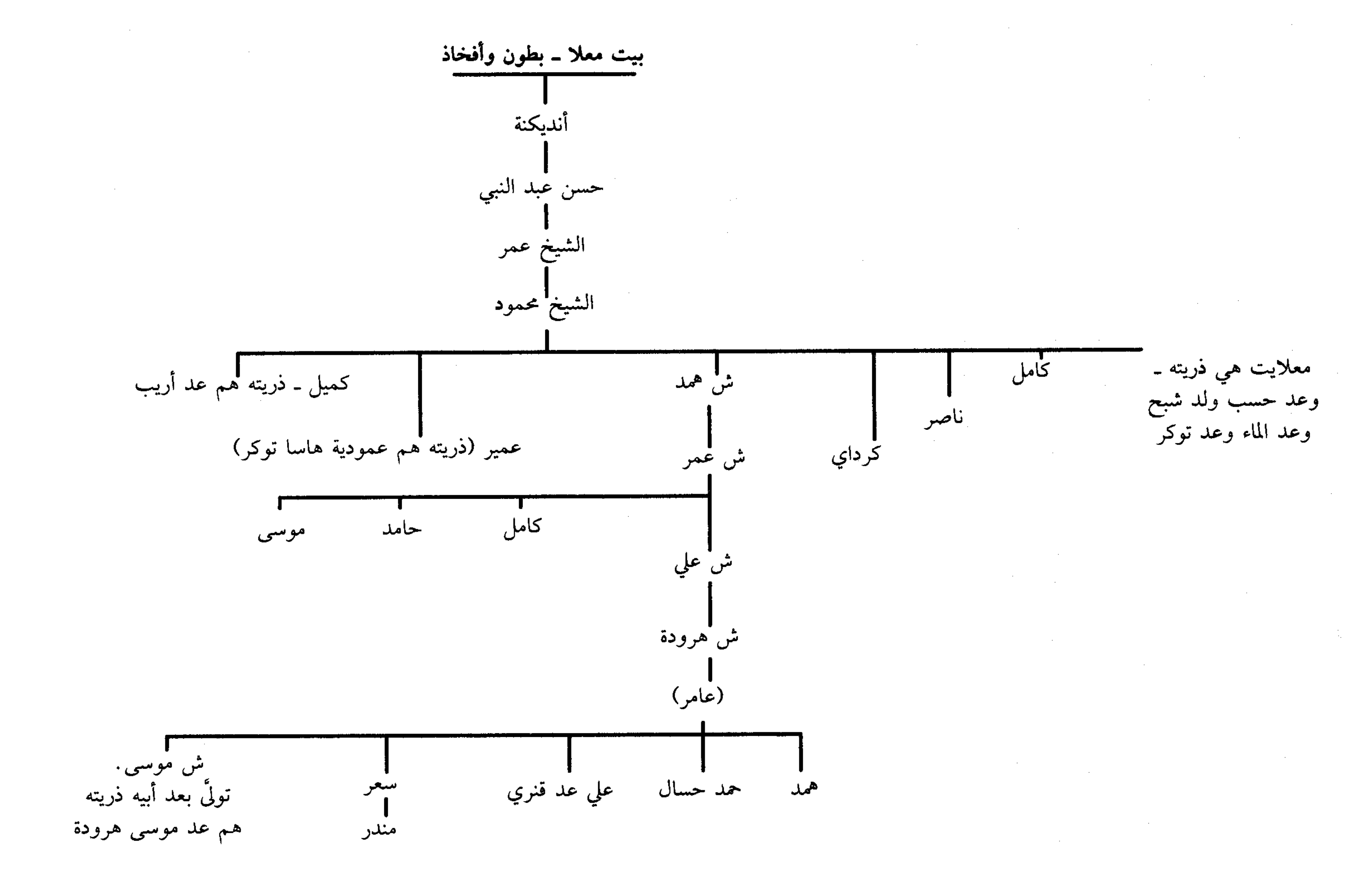
## عد حسن

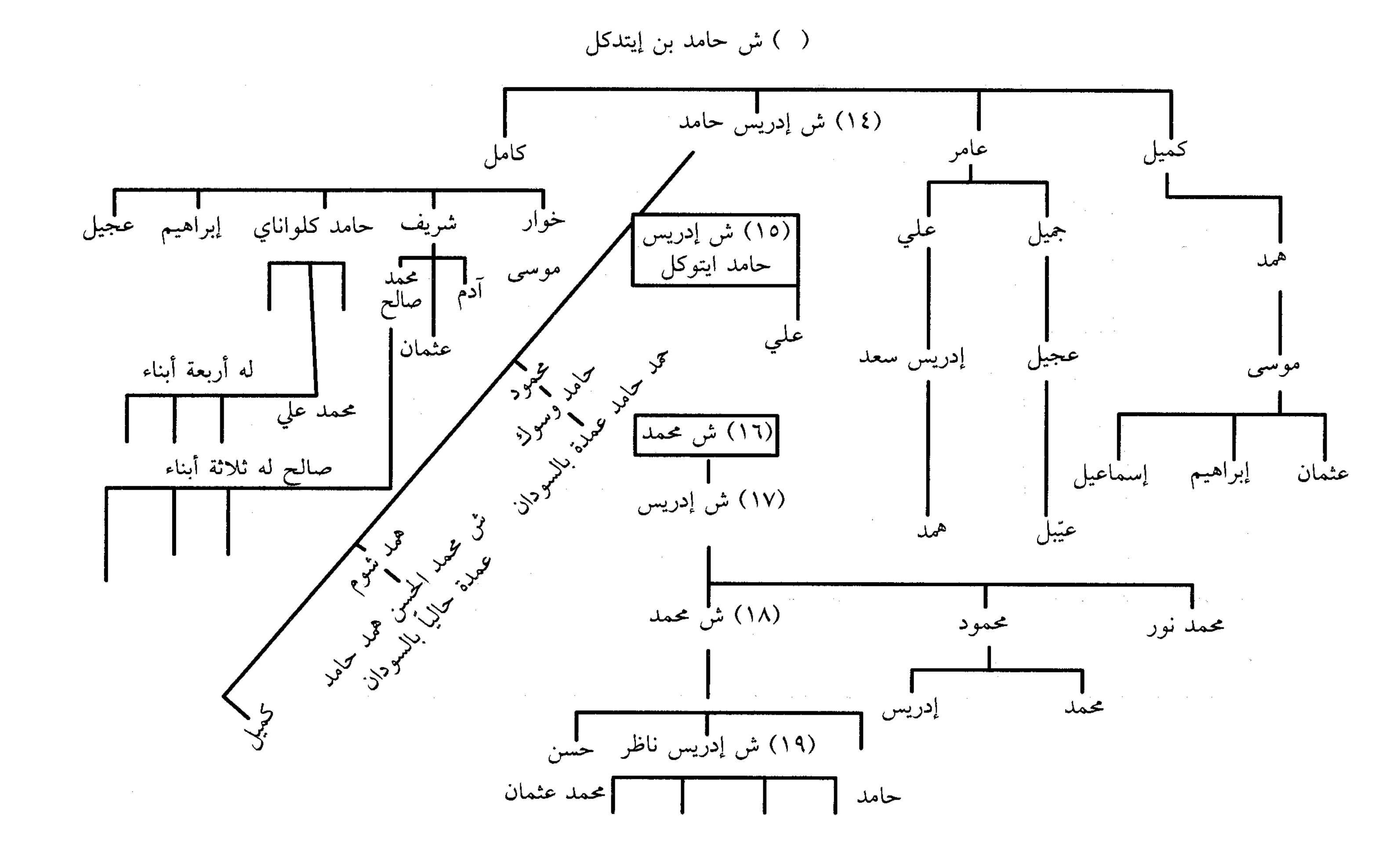
هم أقلية ضئيلة من ذرية حماسيناي بالسودان أما في إرتريا فإنهم يكونون عمودية تامة.

❋ ❋ ❋

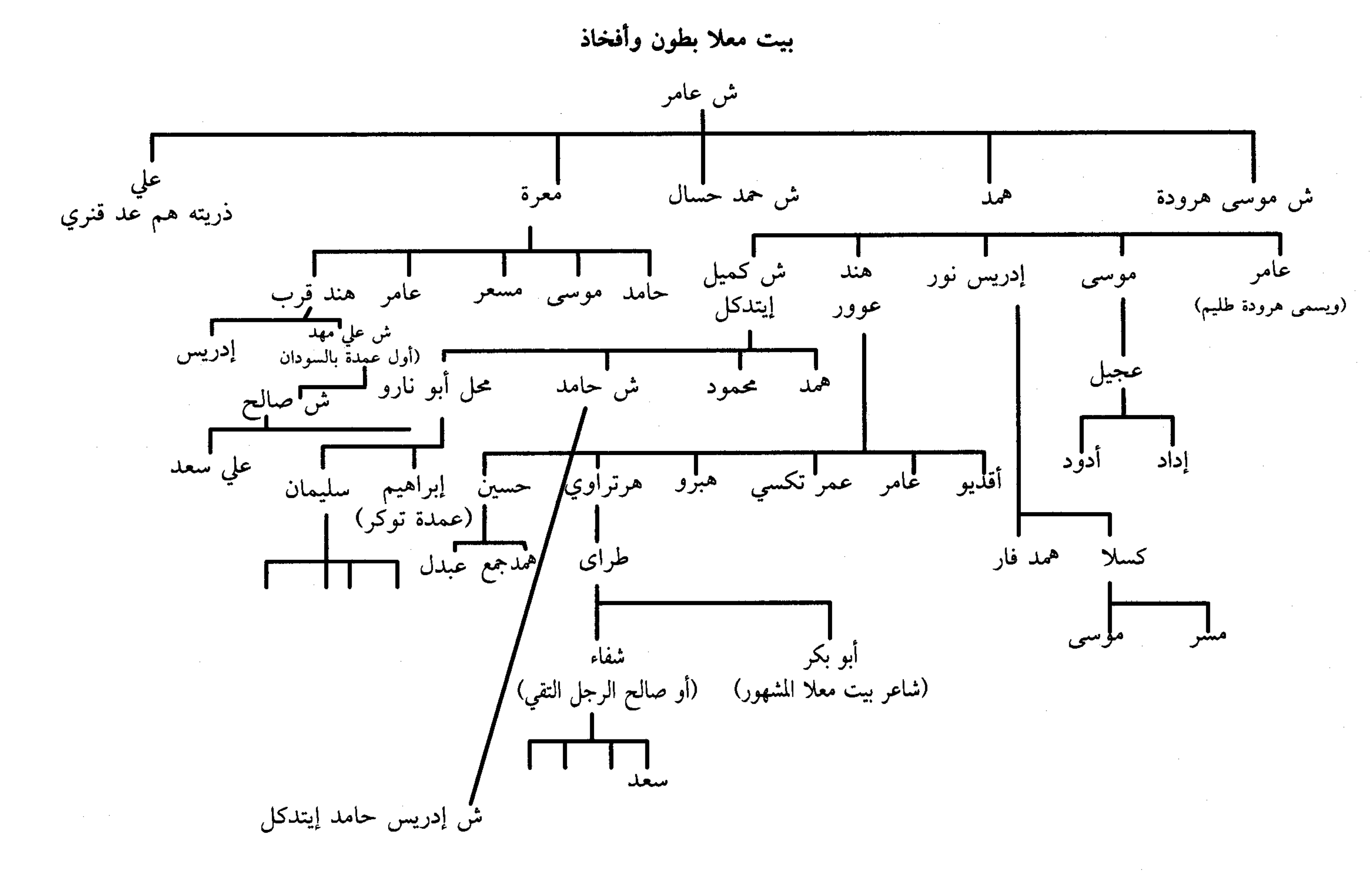
## عد حسان

هو ابن حسين حماسيناي. أنشأ قبيلة وسميت باسمه، وسكنوا بقرب جبل «عَيْدَقْ» واشتهروا بالشرور وغزوه كل من جاورهم أمثال بيت معلا: وكان منهم في القرن الماضي «أبناء أبْ هَا تَأَمَا»، ورئيسهم حامد شِلُّو وأخوانه الأشقاء (محمد وحمد)، قيل: إن الشيخ إدريس حامد إيتدكل قتل كثيراً من رجالهم ولذلك تجدهم يبحثون عن ثأراتهم، فقام بعض من شبان حسان للبحث عن أبناء إدريس حامد، وكانوا منعزلين عن قبيلتهم بزعامة أخيهم الأكبر «هُمَّد شُومْ إدريس»، وكان عمره خمسة وعشرين عاماً، وأخوانه السبعة الباقون كانوا أصغر منه، ومعهم والدتهم وعبيدهم «أشُوشَايْ وأروفاي». ومعهم جملهم وهم بخيمتين تحت سفح جبل، فيختبئون بالليل في كهف يقفلون بابه بصخرة كبيرة ويتركون جملهم في زريبة محصنة جداً من الشوك خوفاً من الوحوش فجاءهم ذات ليلة أبناء حسان، فلم يجدوهم، فقتلوا الجمل ثم استرقوا السمع، فعرفوا محلهم، فأحضروا حطباً في فم الكهف وأوقدوا فيه النيران. فشعرت والدتهم بذلك وأيقظتهم وقالت لكبيرهم «همد شوم»: الموت بالسلاح الأبيض خير من الاحتراق بالنار، فخذ سيفك دَلْشَاي وقاتلهم. فرفس الحجر برجله وخرج إليهم فعثر، وعند ذلك طعنه محمد وأخوه أحمد حسان طعنتين بالحراب (في يده وظهره). فقام همد من عثرته وضرب محمد بالسيف فقتله، أحمد في يده فقطعها، فتسممت ومات منها أحمد، وخرج خلفه العبدان فقتلا الثالث. ولهم شيخ طيب مسالم هو الشيخ محمد محمود أبو بكر بالسودان وفي إرتريا يرأسهم الشيخ عمر موسى بخيت ولما توفي خلفه الشيخ سعيد محمد أبو بكر، وسكن معهم بتوكر الشيخ حمد بن أبو حمد فانتخبوه (بني عامر توكر) رئيساً لهم حوالى سنة ١٨٥٠م، ثم خلفه ابنه الشيخ موسى حمد.

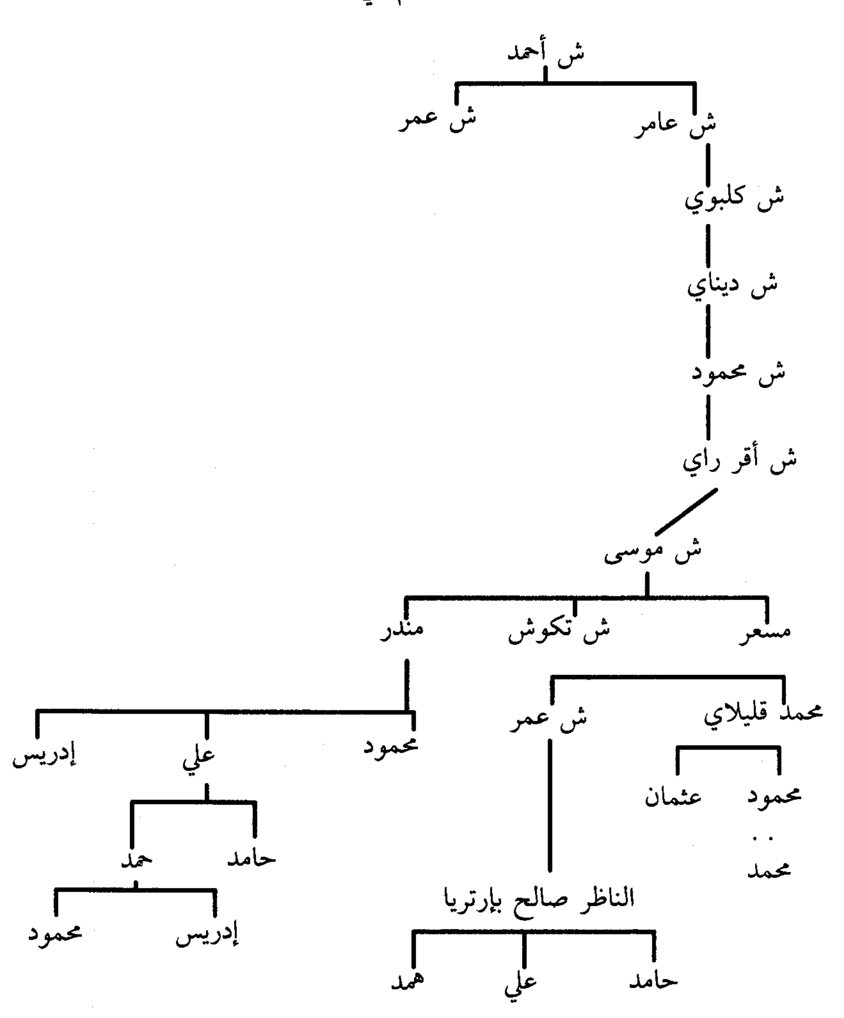

بيت معلا ـ بطون وأفخاذ
أنديكنة
حسن عبد النبي
الشيخ عمر
الشيخ محمود
معلايت هي ذريته ـ
وعد حسب ولد شبح
وعد الماء وعد توكر
كامل
ناصر
كرداي
ش همد
ش عمر
ش علي
ش هرودة
(عامر)
همد
همد حسال
علي عد قنري
سعر
مندر
ش موسى.
تولىً بعد أبيه ذريته
هم عد موسى هرودة
كامل
حامد
موسى
عمير (ذريته هم عمودية هاسا توكر)
كميل ـ ذريته هم عد أريب

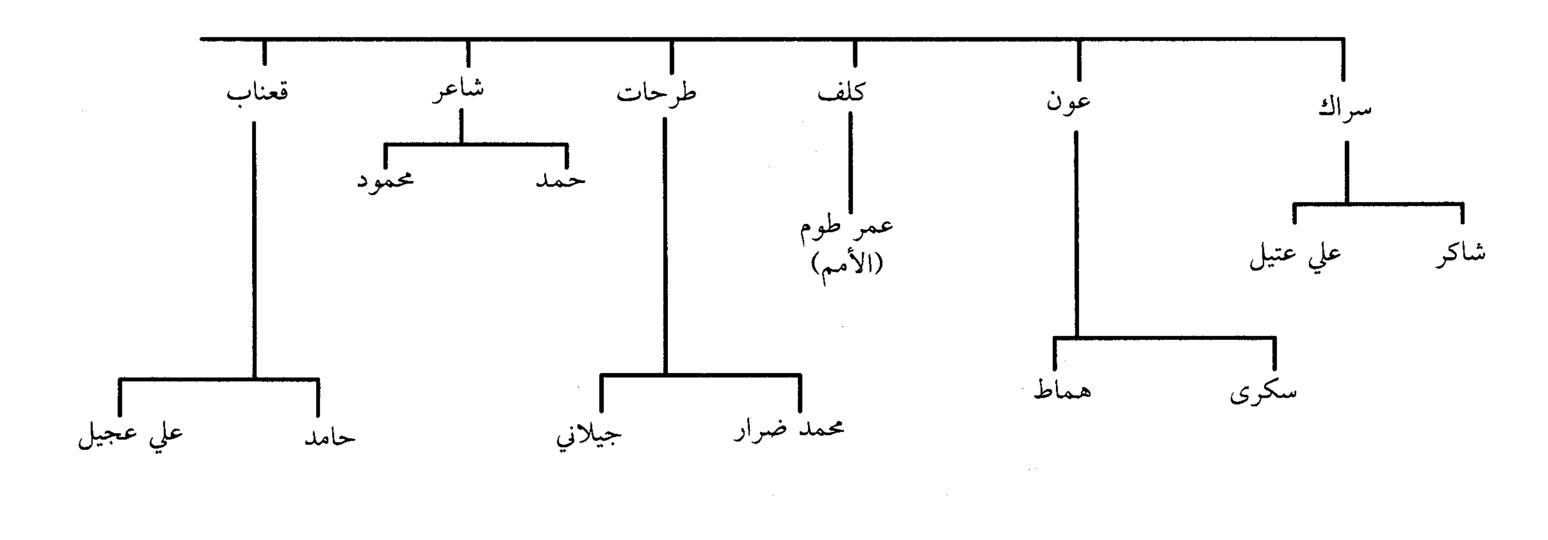

( ) ش حامد بن إيتدكل
(١٤) ش إدريس حامد
كامل
عامر
كميل
خوار
شريف
حامد كلواناي
إبراهيم
عجيل
موسى
محمد
صالح
آدم
عثمان
له أربعة أبناء
محمد علي
صالح له ثلاثة أبناء
(١٥) ش إدريس
حامد ايتوكل
علي
(١٦) ش محمد
(١٧) ش إدريس
(١٨) ش محمد
(١٩) ش إدريس ناظر
حسن
محمد عثمان
حامد
محمود
محمد نور
إدريس
محمد
علي
جميل
إدريس سعد
عجيل
همد
عيّبل
همد
موسى
إسماعيل
إبراهيم
عثمان
محمود
حامد
وسوزك
محمد حامد عمدة بالسودان
همد شوم
ش محمد الحسن همد حامد
عمدة حالياً بالسودان
كميل

## بيت معلا بطون وأفخاذ

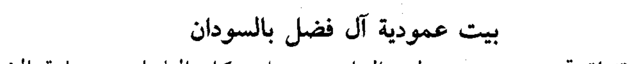


نظارة الحماسين سنة ١٩٤٥م في بيت بعشو وإخوانها بإرتريا






وانضمت إلى آل فضل القبائل الآتية بالسودان: وهي «مهوشا وبهير وأسبرا» وهي قبائل كثيرة في إرتريا تتألف منها نظارة برئاسة آدم سليمان دقي وهو من عائلة مهوشا (آل الشيخ يعقوب) ويرأس الشيخ آدم سليمان المذكور كل العموديات المتفرعة من كل القبائل المنتمية إليه حسباً ونسباً وهم متصفون بالكرم والشجاعة.



## بيت عمودية آل فضل بالسودان

وهم أول قبيلة تحررت من سيطرة الهاسريين بل وكل النابتاب بزعامة الشيخ عبدالقادر بن محمد ضرار.

محمد ضرار

حاج بن محمد ضرار

يس بن حاج — حامد شيخ بن حاج — سليمان — بنت حاج محمد ضرار «تزوجها عمدة العجيلاب ولذلك أكثرهم من أحفادها»

محمد ضرار (بن يس بن حاج)

صالح — محمد علي — يس

محمد ضرار (بن حامد شيخ)

الشيخ عبدالقادر (العمدة الحالي)

حامد شيخ — سليمان — محمد إبراهيم

## (بيت موسى)

هي من قبائل أَلْمَدة التي سكنت بأراضي الحماسين (بني عامر) واندمجت فيهم، ولكن منشئها الأول ويسمى الشيخ كَلَسْ Kalass أبى أن ينضم إلى سكان هجر لا في المراعي ولا في توريد الزكاة أو الجزية أخيراً واتخذ ناحية من هجر يقال لها: «إيرحي». ولهم عمودية طيبة في إرتريا، أما بالسودان فهم أصحاب حصة ضمن بيت عوض البكرية.

❋ ❋ ❋

## البكرية

يطلق هذا النسب على عدة قبائل تسكن في إقليم البجة وتنتهي نسبتهم إلى محمد بن أبي بكر الصديق أو أخيه عبدالرحمن. فمن ذرية الأول قبائل العجيلاب ويسكنون على سواحل البحر الأحمر السوداني[1]، وعاصمتهم «عقيتاي Ageitai» وهم من الأغلبية، وعمدتهم هو الشيخ محمد بن ضرار بن علي ضرار وأبناء عمومتهم في إرتريا قد هاجروا إليها سنة ١٨٨٠م. ويرأسهم الشيخ إدريس سليمان محمود، والأول يسكن سهول «شِعِبْ» والثاني «أَدَرْهِمَا». وأما أخوانهم أبناء «حَبابايْ بن عجيل» وعمدتهم الشيخ سليمان محمد فيسكنون «وَقْعِيرُو»، وفي أغردت أبناء علي طالب بن عجيل وهم أبناء حسن ولات وشَقَل وبولاب وكُوكُوي، وقمود.

وأما ذرية عبدالرحمن فكلها تفرعت من «السيقولاب» سكان «تَهَمْبَيْ» بالقاش وهم تابعون لنظارة الهدندوة، وفي السودان من فروعهم «بيت عوض وشَلوقَيْ» وماقيت وكَرَبْكِنَابْ وبعضهم في إرتريا بأغردت، وكلهم تابعون لنظارة بني عامر. والبكرية عموماً من أكثر قبائل البجة عطفاً على بعضهم.

---

(١) تابعون لنظارة بني عامر فرع من الملهيتكناب التابعين لنظارة الهدندوة سكان تندلاي وآبار جمام كسلا.

وقبل سنة ١٩٤٧م كانت قبيلة الرقبات[١] Rigbat، تحت نظارة كنتيباي الحباب ولكنها تحررت من تلك النظارة وأصبحت ذات نظارة مستقلة بإرتريا ولها في السودان عمودية.

❊ ❊ ❊

## محمد بن أبي بكر الصديق

نورد هنا ملخصاً حياة الإمام محمد بن أبي بكر الصديق بن عثمان (أبي قحافة). ولد في حجة الوداع يوم ٢٥ ذي القعدة وأمه أسماء بنت عميس. وتوفي والده وهو ابن سنتين وقد تربى في كنف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وكان يلقب بأبي القاسم، ويدعى «ناسك قريش». وتزوج بابنة يزدجر كسرى ملك فارس. وانتدبه الخليفة عثمان بن عفان ليكون بمصر تحت إمرة أبي سرح، وغزا جزر البحر الأبيض المتوسط، وجاء مع وفد مصر إلى المدينة المنورة مستنكراً أعمال الخليفة الذي سأل وفد مصر عمن يحبون أن يتولَّى إمارة مصر فقالوا: محمد بن أبي بكر فكتب له بذلك ثم عاد مع الوفد إلى مقر عمله. وبينما هم في الطريق رأوا راكباً يدنو منهم ويبتعد فقبضوا عليه وحققوا معه ثم فتشوه فوجدوا عنده كتاباً من الخليفة عثمان بن عفان إلى عامله بمصر (عبدالله بن سعد بن أبي بكر سرح) يقول له: «إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاقتلهم وأبطل كتابهم، واستمر في عملك حتى يأتيك رأيي. فعاد محمد والمصريون إلى الخليفة عثمان بالمدينة الذي أقسم بالله أنه ما كتب الكتاب ولا علم له به. وقيل: إنه من عمل مروان كاتبه وعادت بعودة وفد مصر بقية وفود الأقطار، وحاصرت منزل الخليفة. ودخل عليه محمد بن أبي بكر فحاوره طويلاً واستحيا وخرج منه نهائياً. ولكن اتهم بتحريض الغوغاء على قتله. وتطورت الأحوال وبايع محمد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وسار معه إلى البصرة، واشترك في واقعة الجمل، وحمل هودج عائشة أم المؤمنين مع

---

(١) هم من ذرية عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق.

عمار بن ياسر عن الميدان بعد أن عقروا الجمل، ثم سيرها الإمام علي إلى المدينة المنورة[1]، مع أخيها محمد، واختار معها أربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات (في زي الرجال). فتوجهت إلى مكة المكرمة فحجت ثم عادت إلى المدينة المنورة، فلما أشرفن عليها خلعت النساء ملابس الرجال ولبسن ملابسهن. فقالت عائشة: يغفر الله لابن أبي طالب فقد كنت أظنهن رجالاً طيلة رحلتنا.

وعاد محمد إلى البصرة، واشترك في قتال صفين حتى كان التحكيم. ثم ولاه الإمام علي إمارة القطر المصري[2]، إذ أن عامله الأول (قيس بن سعد) هادن شيعة الخليفة عثمان. فلما وصل محمد مصر قصد المسجد وخطب في أهلها فقال: «الحمد لله الذي هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق، وبصرنا وإياكم كثيراً مما عمي عنه الجاهلون. إلا أن أمير المؤمنين ولاني أمركم، وعهد إلي ما سمعتم، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. فإن يكن ما ترون من إمارتي وأعمالي طاعة فاحمدوا الله على ما كان من ذلك. فإنه هو الهادي. وإن رأيتم عاملاً لي عمل بغير الحق فارفعوه إلي وعاتبوني فيه، فإني بذلك أسعد وأنتم جديرون وفقنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته «ثم نزل، وبعد شهر من مقدمه أرسل إلى المعتزلين يخيرهم بين الطاعة أو الخروج من مصر. وحدث خلاف بين الحكمين فطمع المعتزلة في محمد ونابذوه، فأرسل إليهم سرية لقتالهم فقتلوا رئيسها. فأمر بنهب أموال شيعة عثمان وهدم دورهم وحبس ذراريهم. وأرسل محمد سرية أخرى مؤلفة من ألفي رجل وفيها أخوه عبدالرحمن بن أبي بكر[3] الصديق. وعين معاوية عمرو بن العاص على مصر، وانتدب هذا معاوية بن خديج

(١) في غرة رجب سنة ٣٨هـ.

(٢) في الحادي عشر من رمضان المعظم.

(٣) قيل: إنه أرسل إلى محمد يقول له: «أما بعد تنح عني بدمك يا ابن أبي بكر فأني لا أحب أن يصيبك مني ظفر. إن الناس بهذه البلاد قد أجمعوا على خلافك وهم مسلمون فاخرج منها إني لك من الناصحين. وقيل: إن عمراً قتل محمد بن أبي بكر صبراً.

لحرب محمد بن أبي بكر الصديق مطالباً بثأر عثمان بن عفان. فلما علم الإمام علي بذلك رأى أن محمداً لا يستطيع المقاومة، فولى على مصر الأشتر النخعي، وكتب إليه عهداً جمع فيه سياسة الدنيا وصلاح الآخرة، فتوفي في الطريق. وشق على محمد العزل فأرسل إليه علي «أما فقد بلغني موجدتك من تسريحي الأشتر إلى عملك، وإني لم أفعل ذلك إلا ازدياداً لك مني في الجد، ولو نزعت ما تحت يدك لولَّيت عليك مؤونة. وأعجب إليك ولاية، إن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر كان لنا نصيحاً وعلى عدونا شديداً، وقد استكمل أيامه، ولاقى حمامه ونحن عنه راضون، فرضي الله عنه وضاعف له الثواب. أصبر لعدوك وشمر للحرب وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر من ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفيك ما أهمك ويعنك على ما ولاك. «فكتب إليه محمد» أما بعد، انتهى إلي كتابك وفهمته وليس أحد من الناس أرضى برأي أمير المؤمنين ولا أجهد على عدوه ولا أرأف بوليه مني وقد خرجت فعسكرت وأمنت الناس إلا من نصب لنا حرباً وأظهر لنا خلافاً وأنا متبع أمر أمير المؤمنين وحافظ له السلام.

ثم وصل عمرو بن العاص ومعه ستة آلاف من الجنود. وأما محمد فلم يكن معه غير ألفين. واستنجد بالإمام علي فبعث إليه بألفين (وصلت بعد وفاته وعادت إلى الكوفة) والتحم جيش محمد بجيش عمرو وانهزم جيش الأول ولم يبق معه إلا أخاه عبدالرحمن بن أبي بكر، فلجأ إلى محل خرب وقد أعياه التعب وكده العطش حتى عجز عن حمل سيفه، وإذا بمعاوية بن خديج يبحث عن محل وجوده فدلته عليه عجوز، فقال: اسقوني، فضربه معاوية بن خديج بالسيف فقتله، ثم أدخل جثته في جوف بعير ميت وحرقه وذلك في يوم **١٤** صفر سنة **٣٨هـ**، وكانت ولايته خمسة أشهر وعمره ثمانية وعشرون عاماً. قيل: إنه لما توفي محمد بن أبي بكر الصديق أخذ رأسه وجثته زمام الخادم ودفنهما خارج مدينة الفسطاط وبنى بجواره مسجداً يعرف بمسجد زمام ويزار إلى الآن.

وخلف محمد من ابنة يزدجرد ولداً هو القاسم[1]، وبنتاً عاد بهما عمهما عبدالرحمن إلى المدينة المنورة فكفلتهما عائشة أم المؤمنين.

قيل: إن معاوية بن خديج أرسل قميص محمد إلى آل عثمان بن عفان بالمدينة المنورة ففرحوا بمقتله. ولبست نائلة (امرأة عثمان) القميص ورقصت به بين الرجال[2]. وقيل: إن أخت معاوية أرسلت إلى عائشة خروفاً مشوياً وقالت لها: هكذا شوى أخوك محمد بمصر. فحلفت عائشة ألا تأكل شوياً قط حتى تلقى الله. ودخلت نساء المدينة على أمه أسماء بنت عميس وهي تصلي فأخبرتها، فعضت على شفتيها حتى سحت دماً من ثدييها حزناً عليه.

وفي مقتله يقول أبو نواس:

| | |
|---|---|
| يا هاشم بن خديج ليس فخركم | بقتل صهر رسول الله بالسدد |
| أدرجتم في إهاب العير جثته | فبئس ما قدمت أيديكم لغد |
| أن تقتلوا ابن أبي بكر فقد قتلت | حجراً بدارة لمحوب بنو أسد |
| وطرودكم إلى الوديان من وجأ | طرد النعام إذا ما تاه في البلد |
| وقد أصاب شراحيلا أبا حنش | يوم الكلاب فما دافعتم بيد |
| ويوم قلتم لزيد وهو يقتلكم | قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد |
| وكل كندية قالت لجارتها | والدمع ينهل من مثنى ومن وحد |
| ألهى امرأ القيس تشبيب بغانية | عن ثأره وصفات النؤى والوتد |

❋ ❋ ❋

## القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق[3]

هو أبو عبدالرحمن تزوج بابنة عمه أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر

---

(1) ولد سنة ٣٥هـ.

(2) ابن إياس - جزء أول.

(3) قيل: إن علي زين العابدين بن الحسين وسالم بن عبدالله بن عمر والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أبناء ثلاثة أخوات هن بنات يزدجرد ملك فارس. قال الأصمعي: إن هؤلاء الثلاثة فاقوا أهل المدينة علماً وحلماً وصلاحاً وورعاً وفضلاً.

الصديق ورزق منها ولداً وبنتاً هي «فروة» أو أم فروة تزوجها محمد الباقر «ابن زين العابدين ابن الحسين ﷺ»، ورزق منها ابنه جعفر الصادق الذي كان يقول: ولدني أبو بكر الصديق مرتين. وكان يقال له: عمود الشرف والعقب من محمد في جعفر الصادق. وكان القاسم من سادات التابعين وفقهاء الشيعة بالمدينة المنورة. توفي بالمدينة سنة ١٠١هـ، وله من العمر اثنان وسبعون عاماً قال له عمر بن عبدالعزيز عند وفاته: لو كان الأمر لي لوليت ميمون ابن مهران والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق[١] الذي كان يقول دائماً في سجوده: «اللهم اغفر لأبي ذنبه في عثمان». وللقاسم أخ اسمه عبدالله بن محمد ولكل منهما ذرية طيبة.

في تاريخ قبيلة الملهيتكناب ذكرنا كثيراً عن هذا الرهط. والآن نبدأ بالفخذ الذي تفرع من الملهيتكناب وهم قبيلة العجيلاب أو الأفلندة أو أخواتها البكرية الساكنة بخور بركة وسهول أراضي الحباب حتى مصوع وسواحل البحر الأحمر. ويتزعم هذا الرهط اليوم سكان منطقة عقيتاي. وقبل البدء بالعجيلاب نذكر هنا ما وجدناه مدوناً في مذكرة لأخينا المرحوم إبراهيم ضرار عن محمد بن أبي بكر الصديق إذ جاء فيها ما يلي عن سيدنا القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ، (قال) في وفيات الأعيان: هو أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ، ونسبه معروف فلا حاجة إلى رفعه. وكان من سادات التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. وكان أفضل أهل زمانه. روى عن جماعة من الصحابة ﷺ، وروى عنه جماعة من كبار التابعين. قال يحيى بن سعيد: ما أدركنا أحداً نفضله على القاسم بن محمد. وقال مالك: كان القاسم من فقهاء هذه الأمة. وقال محمد بن إسحاق: جاء رجل إلى القاسم بن محمد فقال: أنت أعلم أم سالم؟ فقال: ذاك مبارك سالم. قال ابن

---

(١) قيل: إن محمداً لمس جسد أخته عائشة أم المؤمنين يوم الجمل ليتحقق من سلامتها. فقالت من هذا الذي يمس حرم رسول الله ﷺ، أحرقه الله بالنار. فقال لها: أنا محمد، قولي ار الدنيا يا عائشة، «وكانت مستجابة الدعاء». فقالت: فلتكن نار الدنيا. ولذلك شوى جسمه بالنار.

إسحاق: كره أن يقول: هذا أعلم مني فيكذب، أو يقول: أنا أعلم منه فيزكي نفسه. وكان القاسم أعلمهما.

وأن القاسم بن محمد والدته ابنة يزدجرد آخر ملوك الفرس.

وتوفي سنة إحدى أو اثنتين ومائة، وقيل: سنة ثمان، وقيل: سنة اثنتي عشرة ومائة بقديد، فقال: كفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها ـ قميصي وإزاري وردائي ـ فقال ابنه: يا أبت ألا تزيد ثوبين؟ فقال: هكذا كفن أبو بكر في ثلاثة أثواب والحي أحوج إلى الجديد من الميت. وكان عمره سبعين سنة أو اثنتين وسبعين سنة ﷺ. قال أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني في أخبار جحية بن المضرب: كان القاسم بن محمد بن أبي بكر يحدث. قال: لما قتل معاوية بن خديج الكندي وعمرو بن أبي العاص (يعني محمد بن أبي بكر الصديق بمصر) جاء عمي عبدالرحمن بن أبي بكر فاحتملني وأختاً لي من مصر، فقدم بنا إلى المدينة، فبعث إلينا عائشة فاحتملتنا من منزل عبدالرحمن إليها فما رأيت والدة قط ولا والداً أبر منها. اهـ.

وكما جاء عنه في كتاب التشريع الإسلامي أنه قد (نشر علمها وأكثر من الرواية عنها ابن أخيها القاسم بن محمد بن أبي بكر).

وقد ذكره عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود أحد الفقهاء السبعة ضمن أقرانه السنة في منظومته لدى محبوبته:

أحبك حباً لا يحبك مثله ... قريب ولا في العالمين بعيد
أحبك حباً لو علمت ببعضه ... لجدت ولم يصعب عليك شديد
وحبك يا أم العلاء متيمي ... شهيدي أبو بكر فذاك شهيد
ويعلم وجدي القاسم بن محمد ... وعروة ما ألقى بكم وسعيد
ويعلم ما أخفى سليمان كله ... وخارجة يبدي بنا ويعيد
متى تسألي عما أقول فتخبري ... فللحب عندي طارق وتليد

❋ ❋ ❋

## عجيلاب أو أفلندة

هذان الاسمان يطلقان على قبيلة واحدة تسكن سواحل البحر الأحمر وشرق سلسلة جبال البجة جنوب توكر وضواحي العقيق حتى سهول أرض الحباب، وأحياناً تصل بقرب مصوع (تبدأ حدودها شمالاً من جبل تقدرا إلى وادي وَقْعِوو بجوار مَسْحَلِيتْ). وهي تجاور عدة قبائل أشهرها «الحماسين» وهاسْري والحباب. وقد أنشأها الشيخ محمد بن ضرار بن بَلْتَقْوَا.

ويتألف من هذه القبيلة أكثر من سبع عشرة حصَية بعضها في السودان. ويتولّى رئاستها (سنة ١٩٢٥م) العمدة الشيخ محمد بن ضرار بن علي شقيق كاتب هذه الأحرف. أما في جهة مصوع فيرأسها الشيخ سليمان عبدالله فِكَاكْ شيك بن عجيل. وتوجد منهم في خور بركة بأَغُردَتْ أغلبية كبيرة أنشئت منها نظارة برئاسة عبدالله محمد فريتاي ووكيله السيد عمر آدم إدريس ومساعده الشيخ محمد قَبُرْ عبدالله والقاضي محمد إبراهيم منين، كما أن مفتش حدود بني عامر والهدندوة هو السيد عجيل عبدالرحمن العجيلاني. وفي السودان تفرعت من الأفلندة عموديتان، إحداهما: بالعقيق والثانية: بكسلا.

ولنعد إلى منشئ القبيلة الأول الشيخ محمد ضرار فهو ينتمي إلى عائلة يقال لها: «إيلَتْ Eylat» أو إيلاتْ من قبيلة مَلْهِيتْكِنَاب القاش وأمه من الهدندوة (وِيلْعَلْيابْ)[1] كما أن والدة أبيه ضرار وعمته فضة هي من الجميلاب فرع عميراب (غير عميراب الفايداب بأركويت وسنكات[2]). وكان محمد ضرار وإخوانه يسكنون مع قبيلتهم في جبهة تندلاي بالقاش. وهذا الرهط ينتسب إلى سيدنا عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

---

(١) تجد العجيلاب دائماً يسمون ويل علي وباركوين ونور الدين ونصر الدين ومنين وجميل وأشيادين وعلي طالب وسمرة ويضعون على إبلهم نفس وسم العميراب «كولي» على صفحة الرقبة اليمنى، إلا نحن آل ضِرار فنضعها على اليسرى.

(٢) يجمعهم الوسم والنسب الأعلى.

وحدث ذات يوم أن توفي رجل مشهور من القبيلة فحاولوا أن يأخذوا بعض الأبقار إلى المقبرة كما هي عادة القبائل بالبادية لذبحها لمن اشتركوا في الحفر والدفن، فامتنعت البقر من السير معهم. فأشار أحدهم بأخذ ثلاث من أبقار محمد ضرار والسير بها (لأنها مطيعة وأليفة). فنفذوا ذلك بدون أن يستشيروا صاحبها الغائب. فلما جاء شاهد أبقاره في غاية التعب، فسأل عن الأسباب، فقالت له بنت عمه بَلْتَقوَة[1]: إن أبناء أعمامك ساقوا بها أبقاراً إلى المقابر ثم ردوها عاجزة من التعب كما ترى ولقد منعته ولكنه لم يكترث لكلامي، ولم تجد من يدافع عنك لأن أمك أجنبية (من الهدندوة). فاغتاظ من عمل أهله وساق الأبقار الثلاث إلى البئر لتشرب من الحوض، فكان أول من تلقاه أخو الميت، فمنعه الماء، فقتله. فتكاثر عليه المَلْهِيتْكِنَابْ وقتلوا أخاه سمرة بن ضرار. ودارت بينهم معركة قتل فيها من المهليتكناب ستة[2] واثنان من إخوان محمد ضرار (هما سمرة وعبدالله)[3]. فتدخل بين المقاتلين السِّيقُولابْ جيرانهم. ورحل محمد ضرار ببقية أقاربه إلى أخواله الهدندوة مستجيراً فأجاروه سنتين[4]، وبعدها تم الاتفاق بين الشيخ موسى ويلْ على (ناظر الهدندوة) ودقلل أكد بن ناصح (ناظر بني عامر) على ترحيلهم إلى الأخير إذ تعهد بحمايتهم هم ومواشيهم، فكانوا رهطاً ليس بالقليل. وأقاموا مع دقلل في عاصمته «هواشايِتْ». وبعد بقائه سنة في حماية دقلل رحل إلى أرض الحباب لأنه بسبب إحدى أبقاره قتل عبداً لدقلل.

---

(١) قال السيد محمد عثمان تاج السر: «إن الله فتح علي بالرؤية الطيبة في ليلة مبيتي بجوار قبر فضة المذكورة بأرض الحباب في جهة أفلاق Aflag» وقبرها تل هناك تسكن حوله قبائل رقبات وهي بكرية أيضاً.

(٢) هذه رواية زعيم الملهيتكناب الديني الشيخ موسى الحسن.

(٣) الأول: هو جد أبناء «حسن» والثاني: جد أبناء موسى لي. والعجيلاب يقولون: إن القتلى أربعة اثنان منا واثنان من أبناء عمنا.

(٤) ولولا فضة لما كان هناك قتال كبير فإنهم يروون عنها اعتبارها لكل خطأ بسيط امتهان للكرامة، والمسلم لا يسكت على الذل والتحقير.

وأرسل معه دقلل رجلين من أتباعه كي يرشداه إلى الطريق[1]، فرحلوا إلى القنوب عن طريق فَلْكَتْ ثم رَحيبْ، وهناك وجدوا دِقِّي كَنْتِيبَايْ حَبَابْ، فأكرموه، فسكن في جهة «إمْبُوطِي وملوط» بجوار عائلات كثيرة من الأسْفَدة. وحملوا إليه صدور مواشيهم اعترافاً منهم بأنه رئيسهم.

ومرت بهم ذات يوم عصابة من البجة معها أبقار نهبتها من الحباب فاستخلصها محمد ضرار وأخوانه من العصابة، وطلب منه كنتيباي أن يردها إليه بعد أن يأخذ نصفها، فرفضت عمته فضة وقالت له: لو قتلتك العصابة هل يصبح كنتيباي ابن أخي؟ فرفض إرجاعها، ثم تزوج هو وأصحابه ببنات من الأسفدة عقب انهزام العصابة التي عادت إلى توكر ولما سألوها عن غزوتها قال رئيسها: «أفْرَيْ دَه نِمْري Afrai da nimri» أي وجدنا رجالاً سيئين قاتلونا فسميت القبيلة: «أفْرَيْنَدَة» ثم حولت إلى أفْلَنْدَة، فأطلقت على كل من يسكن مع العجيلاب أو الملهيتكناب تحت رئاسة الشيخ محمد بن ضرار وذريته من بعده.

واستخلص محمد ضرار أبقاراً أخرى فأرسل إليه كنتيباي يطالبه بالعشر، فرد بالشروط الآتية:

١ ـ أن يعترف كنتيباي برئاسة الشيخ محمد ضرار على القبائل التي تسكن معه.

٢ ـ أن يضم إليه كل عربي يأتيه أو يساكنه من عربان الحباب.

٣ ـ أن يتعهد الشيخ محمد ضرار بأن يمنع العصابات من غزو الحباب.

فوافق كنتيباي على هذا، ولذا كان أكثر الأفلندة من أرض الحباب إلا الذين حضروا معه من القاش أمثال «أبِلْهِمَانْ ـ أدارمان ـ فَرَد» وبعضهم من

---

(١) عند الوداع قال له دقلل: «أنت لم تستطع العيش مع أهلك الملهيتكناب فكيف تريد المعيشة في بني عامر. فردت عليه فضة: إن عبدك ضرب بالسوط أمامي بقرة جدنا محمد بن أبي بكر الصديق ولم يحترم جوارنا لك».

أشراف اليمن، أمثال أَلَلوتْ وأخوانهم[1]. وتكاثرت ذرية شاور وثور وموسى لي وضرار وَعقيبَايْ»[2].

وسكن الشيخ محمد ضرار في جهة «أشَرَايْ»[3] حتى أدركته الوفاة. وله قبر كبير ظاهر. وخلف عدة أولاد أكبرهم علي الذي خلفه علي الرئاسة[4].

بعد وفاة الشيخ محمد ضرار جاء كنتيباي «نجاشي البحر» وعين ابن محمد ضرار على قبائل السهول وهو «الشيخ علي بن محمد ضرار» وبقي كوالده ساكناً بسهول الحباب لأن جبالهم شديدة البرد لا تطيقها المواشي أو الناس. قيل: إن الشيخ محمد ضرار لما سكنها مجاوراً لكنتيباي أصيب وأخوانه ومواشيه بحميات وزكام فاستأذنوا في الرحيل إلى السهول بالسواحل.

قيل: إن عصابة من مَنْسَعْ إرتريا غزت الأفلندة ونهبت أبقارها، ولكن أدركها الشيخ علي ومعه شباب أهله واسترد منها الأبقار فلما وصلوا مكاناً يقال له: «الْقَعَتَا Algaata» ماتوا عطشاً. فوجد جماعة من أبناء تَمَارْيَامْ سيفه شَافِقْ فأخذوه وأعطوه لزعيمهم. (وقد رأيته مع حفيده كنتيباي محمود بن محمد عسكر سنة **١٩٢٥**م في إمبيرمي). وهو جميل وصقيل ومملوء بالفضة فلما أعجبت به قال لي: «يا ابن ضرار نحن وجدناه في الخلاء وقد قطع أرجل أبقارنا لأنه كان مدفوناً».

وخلف علي من الأنجال عجيل وشَقَلْ (هم ذرية محمد جَهَوْ).

❋ ❋ ❋

---

(١) هم الذين طردوا قبائل بلين من عدوبنة.

(٢) هما ذرية ولدين من شموس أتبعا الرهط من هواشايت.

(٣) مشهور بالمرعى الخصيب.

(٤) جاء كنتيباي حباب واعترف له بالرئاسة وسلمه سيف المشيخة ويسمى «شافق Shafig» أي «مستعجل».

## العِجيلابْ
## الشيخ عجيل بن علي

اسم قبيلة العجيلاب اشتق من اسم هذا الشيخ (عجيل)، إذ أن شهرتهم بدأت في الظهور في عصره، إذ وجد قبائل أخرى من الحباب تريد مزاحمته على سكنى السهول وهم أخوان كنتيباي الحباب ويقال لهم: «بيت بحَايْلاَيْ». وانضمت تحت لوائهم أكبر قبائل السهول التي تسكنها العجيلاب، فكانت الحرب يبنهم سجالاً، ووقف كنتيباي على الحياد بين الفريقين[1]. فورث عجيل بن علي كل أراضي بيت بحايلاي وقبائل «طُهُونُهُو (وِلِتُهُو)، وكذلك سيوفهم الإفرنجية، وفي أيام الشيخ عجيل بدأت سلطة بني عامر في الظهور.

ولم يذق عجيل طعم الراحة إذ قضى أيامه في حروب ونزاع ومشاجرات.

وقد مات عجيل في جبل سمي باسمه[2]. أوضحنا حروبه في بيت معلا أيضاً. وخلف عجيل بن علي بنتاً (اسمها فاطمة[3]) وستة أولادهم: جِمِعْ - نصر الدين - نور الدين - هاكين - حَبَابَاي - علي أبي طالب. وكلهم لهم ذرية إلا نور الدين.

ولما قضى الشيخ عجيل بن علي على آخر من بقي من بيت بحايلاي امتلك كل أراضيهم كما غنم سيوفهم الجيدة التي كانوا يشترونها من الصليبيين.

---

(١) أوضحنا كل ذلك في تاريخ الحباب «بيت بحايلاي».

(٢) قتلته عصابة من بيت معلا بعد أن أدركته الشيخوخة برئاسة زعيمها الشيخ حمد حسال.

(٣) تزوجها قلايدوس من أسفدة حباب، ورزق منها سبعة أنجال استولوا على نظارة أسفدة بالقوة، وأطلق على كبيرهم «كنتيباي ناصح» «اقرأ تاريخ الحباب» يندر من لا يولد في ذريتها من رؤساء الحباب.

ولحسن بن ضرار بن حسن قَيِخْ (الأحمر) ابن حباباي قصائد كثيرة كلها في مدح جده ابن علي ذكر فيها جميع مواقع القتال كما مدحه ابنه الشيخ جمع بن عجيل وقد رثاه أيضاً.



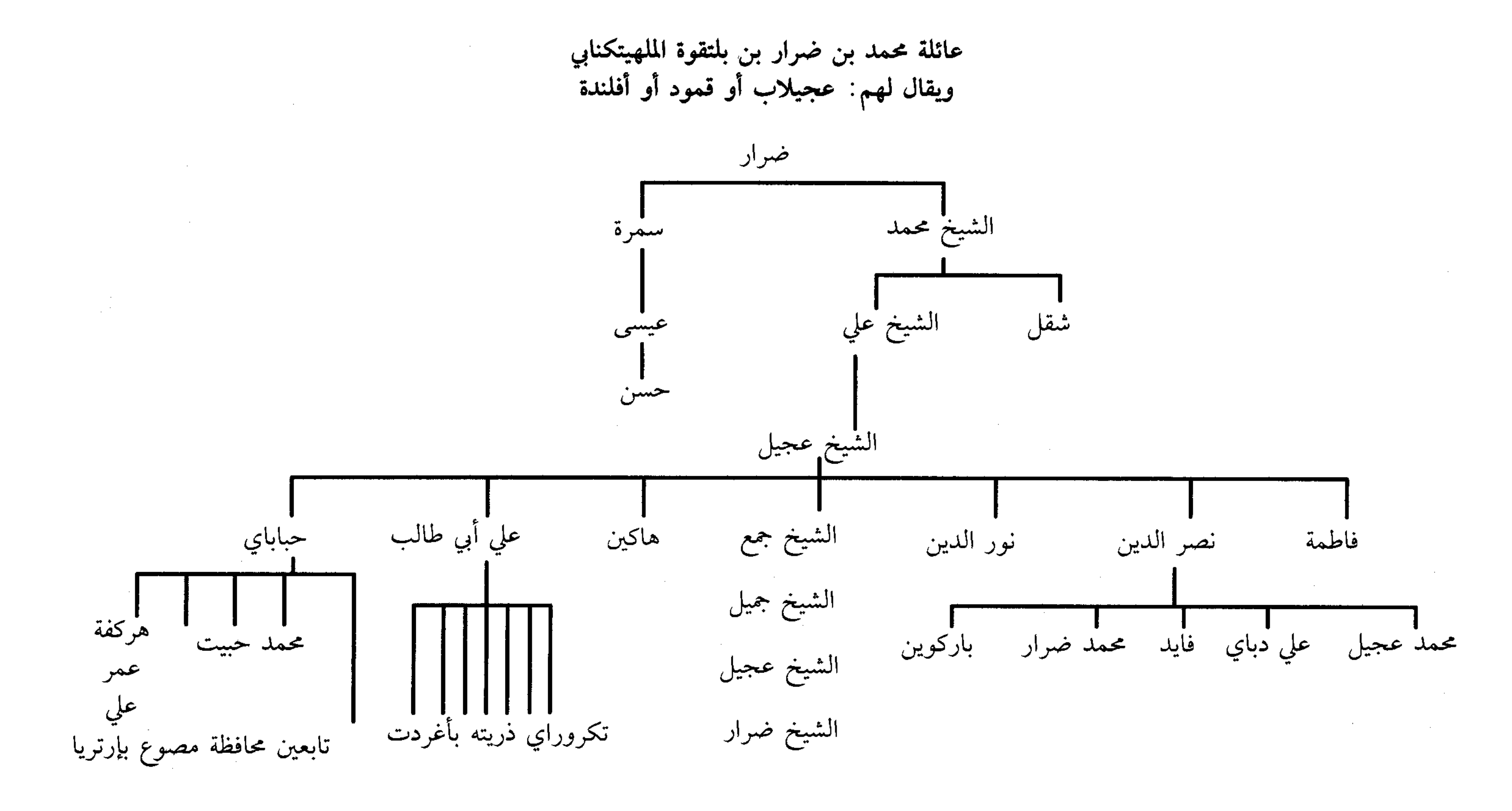
**لفيف من العجيلاب والأفلندة أمام باب ضريح الشيخ محمد بن إمبيرمي**

١ ـ السيد عثمان عبدالقادر محمد بن علي.

٢ ـ العمدة الشيخ محمد علي سليمان عبدالله.

٣ ـ وكيل العمدة الشيخ موسى محمد عبدالله.

## عائلة محمد بن ضرار بن بلتقوة الملهيتكنابي
## ويقال لهم: عجيلاب أو قمود أو أفلندة



## الشيخ جمع بن عجيل

كان جمع أكبر أخوانه ولذلك تولَّى المشيخة عقب مقتل والده، واندلعت نيران القتال بينه وبين بيت معلا حتى صفوا حسابهم مع بعض في واقعة رحيب (تجد ذلك مفصلاً في بيت معلا). والشيخ جِمِعْ هو أول من اعتنى بتربية الإبل وأنشأ «دَقَة أفْلَنْدَة» وكان عصر جمع كله قتال مع بيت معلا، كما كان عصر والده مع بيت بحايلاي وذهب بسبب حرب جمع وحمد حسال «دقة أفلندة ودقة بيت معلا» إذ قضوا على إبل بعضهم البعض.

وكان الشيخ جمع شاعراً كبيراً لم يترك مكاناً في أرض بني عامر والحباب إلا وتغنى به ووصف مراعيه وقتال قبائله. كما وأنه أول من سافر من مشايخ القُنُوب مع هاشري ودِقْلل وحمد حسال إلى «أَربَجِي» عاصمة العبدلاب وزراء الفونج. ثم سافروا من هناك لتقديم الولاء لملك السلطة الزرقاء، ويقال له: «الملك بادي أبو دقن». ونحن اقتبسنا رحلاته الكثيرة من أشعاره كما أن له أشعاراً في الحماسة والغزل غاية في الرقة. وأكثر من ذكر حروب والده مع بيت بحايلاي وحلفائها. ولم يسلم من شعره حتى ابن أخته الشيخ حمد حسال[١] وأمه من بولاب العجيلاب.

وأشهر القبائل التي كانت تحت رئاسة العجيلاب أو متألفة منها قبيلة أفلندة هي: أشْمادة - أبِلْهِمَان - أدارمان فَرْد - أَللوتْ - أُمُورْ - دوبَعَاتْ - بَحَايْلَايْ - هَتَكَابْ - رِقْباتْ - ثور - شَاوُرْ - وايْرَا - عقّيباي - دلكي - كَنْكَنة - مِيكال - رجلاته - عجيلاب - حسن عيسى - ندلاب - بولاب - بَسْبُو - أَتْلِلْ - وقد رحلت ثلاثة أرباع هذه القبائل إلى إرتريا في سنة ١٨٨٦م بسبب قلة الأمطار وسوء المراعي.

---

(١) قتله محمد نور كساب من رؤساء أبلهمان أفلندة آخذاً بثأر عجيل بن علي، يقول جمع: لم أترك في شعري مخبأ لأرنب في بلاد بركة أو مقدام إلا وذكرتها في قصائدي واصفاً إياها بما اشتهر به من دبة سالم إلى توكر إلى مصوع ثم إلى الغرب حتى أغردت.

وبعد احتلال إيطاليا لإرتريا لم يعد منهم إلا الخمس وبقيت الأغلبية في خور بركة بأغردت والباقي في شعب بمصوع.

قيل: إن دقلل سأل الشيخ جمع عن حبه لبلاده مقدام السواحل، فقال له: إني أحتفظ بثلاث حسنات لمقدام، أولها: هي حينما فقدنا الأمطار في إحدى السنين اضطررت للهروب بالقبيلة إلى أقرب الجبال في طلب المرعى بعد أن تركنا المواشي الهزيلة والدواب. وبعد سنتين رجعنا إلى عقيتاي «وطننا» فوجدنا كل تلك المواشي قد حملت ووضعت وازدادت فأخذ كل مواشيه ودوابه وعلمنا أن المطر نزل بكثرة بعد رحيلنا فأنقذ تلك البهائم من موت محقق.

وثانيها مثل الأولى: أصبنا بقحط شديد ورحلنا إلى خور بركة وأقمنا فيها حولاً ثم عدنا وكنت قد سبقت القرى بجملي إذا بي أجد في وسط منطقة عقيتاي جبلاً أحمر جديداً لم أتركه بالمنطقة فدنوت منه وإذا به جبل من الذرة الأحمر فعلمت أن التجار أحضروه من القاش ولما لم يجدوا أحداً تركوه وملأوا شوالاتهم (وهي من الحصير) من الملح وعادوا إلى أهلهم فكانت هذه أيضاً من حسنات عقيتاي ونعمة الله علينا.

وثالثها: هي أن مرضاً أصاب أبقاري فقضى عليها وإذا بي فجأة أجد في الصباح نحو أربعين بقرة كلها حمراء خلف منزلي نائمة ولا تزال ذربتها تسمى «قَبِحْ» باقية إلى اليوم.

وكانت القبائل تختار لرئاستها الشجاع والفارس فزار دقة العجيلاب السيد حامد أحمد نافعوتاي ونزل عند الشيخ جمع فأكرمه جداً فدعى جميع الرجال والنساء وقال لهم: سأبارك لكم شيخكم هذا وأجلسه على سرير ثم غطاه بثوب كبير وسقاه لبن بقر وقال له: أنت «شيخ الحليب» أي اللبن يكثر في عصرك ووضع الناس عليه أوراق شجرة خضراء ولا تزال هذه العادة مستمرة إلى اليوم.

أما بعد وفاته فكانت بيد عصابة من الهدندوة سرقت بعض الأبقار فقام

خلفها هو وابناه سالم[1] وجميل خلف العصابة ومعهم بعض الشبان من الأفلندة فساروا قليلاً فوجدوا رعاتها مقتولين[2] وكان جمع راكباً على جمله ينشد الأشعار ويتهم الهدندوة وخيل الكميلاب والأرتيقة بنهب الأبقار فكانت آخر قصائده التائية التي مطلعها:

«إدِي وَدْ جَاور بقالا حِليلْتُو وقَنْروتْ».

(وادي ود جاور يَنْبت فيه أشجار التمام والهجليج).

«ووَلْبِي جميل أرْؤُءني وولت لِيبَيْ إتْ بَرُوتْ».

(أروني ابني جميل وبقرتي الليبي بنت المنطقة).

«من دَبَّةْ سالم وإنْسَرْ سِرِعْ تِحْبَأْ دِيبْي لَأَقْبَلُوتْ».

(محال علي الرجوع دون بلوغ دبة سالم).

«فارَّايْ مَطِينا سِجَادُو إجِلْ حَسَّلُوتْ».

(ها هو جملي الكثير الفرار يقدم لي رقبته كي أضع عليها الرسن).

ثم ذكر المناهل والمراعي مادحاً محاسنها وطيب روائحها في أيام الشتاء ثم اختتمها قائلاً:

إجِلْ من جَابْأَتْ ردئيت ودَحَنْ أَقْبلُوتْ

(سلامة الإياب غير مضمونة لمن يريد إدراك اللصوص ورد ماله).

«حداريتنا بُولاَتْ ملوك وَلَتْ شَبَلوتْ».

(خبروا نزيلتنا (صديقتنا) بنت شبلوت بكل ما جاء في قصيدتنا هذه).

«دَفَنَا مَجيلاَلْ حَامَانْ إيكُونْ وأَبْردُوتْ».

(سترثينا وترقص رقصة الموت «وهو البطيء الخالي من السرعة»).

---

(١) لم يعقب.

(٢) هما سندلاي وأكاتة وقباد مطعونون في نحورهم وأصيب أيضاً جميل بن جمع بلسعة ثعبان فتخلف على مسافة من القتلى. وأصح الروايات أن سالم توفي بعد سنين في توكر بالدبة المسماة بأشمة وهي التي قتل فيها جمع وأصحابه.

«أفهَا حَليب عَبَّاسِيتْ شِيلَاىْ لدُول مَحَلَّبوتْ».
(بكتني بفيها الذي يشبه لبن الناقة الناصع البياض المحلوب حديثاً).
ونكتفي بهذا القدر منها.

وأصيب جمع بعدة حراب في صدره وجانبيه تركزت فيه فعاقته عن السقوط وبقي كأنه قنفد من كثرة الحراب ولم يَعُد من أصحابه إلا تسعة أنفار.

وكانت العصابة تشك في موته، فجاءتهم امرأة وقالت لهم: إنه ميت. وفعلاً نزعت منه بعض الرماح فوقع كالطود الشامخ لضخامة جسمه، وأخذوا منه السيف واقتسموا الأبقار، وهذا السيف اشتراه الشيخ جمع من ابن فحارى (من ملوك قدماء البَلَوْ)، ثم سمي باسمه «سيف جمع»، ثم أهدته العصابة لناظر الهدندوة الذي أهداه لناظر بني عامر، والأخير أعطاه لناظر الحباب وإلى اليوم باق مع كنتيباي عثمان هداد إذ اشتراه من أبناء فكاك بن هداد.

ولجمع ثلاثة أبناء هم: جميل وأمه من أبناء عمير ـ قلاني. وسمرة وأمه من أسفدة (أشمادة)، وسالم لم يعقب. وارتحلت القبيلة إلى دبة سالم لإقامة المأتم ثلاث سنوات، ثم جاء دقلل في الشتاء وتأسف لموت الشيخ جمع الذي تبرأت القبائل المتهمة من الاشتراك في قتله، ولكن حفيده الشيخ عجيل الذي كان يغزو ضواحي سواكن أخذ بثأره من قاتليه.

❋ ❋ ❋

## الشيخ جميل بن جمع

بعد أن أفاق من لسعة الثعبان عاد إلى أهله ولزم منزله أسبوعاً «كعادة الملسوع» فلما شفي انتخبته القبيلة رئيساً لها. وحدث بينه وبين أخيه سمرة[1] اختلاف في تقسيم الميراث فطعن الأخير الأول فقتله وجاء ابنه جميل بن عجيل فقتل سمرة. وكان جميل يقول: إن التنكيراب قتلوا والدي جمع بن عجيل.

---

(١) يسكن بالعقيق رجل من ذريته ووجدت اثنين أيضاً في أسمرة.

## الشيخ عجيل بن جميل

تولَّى رئاسة العجيلاب والأفلندة بموافقة السيد الأمين حامد أحمد نَافْعُوتَايْ... ولم ينس عجيل ثأر جده جمع. فحالما ملك زمام القبيلة استعد لغزو التنكيراب بقرب تَأْمَايْ وسَلهات، ولكنهم سمعوا باستعداده، فغزوه قبل أن يغزوهم. فنهبوا قرية هرفة بن نصر الدين وقتلوا رعاة إبله وبقره، وعادوا بها إلى «شَبَه»، فأدركهم الشيخ عجيل بن جميل واسترد منهم كل ما وجده عندهم. وقد ذكر كل ذلك في قصيدته التي يقول فيها:

«شَبَهْ جُرُوبْ دَسَقْنَا ديت فيشوب ألقينا».

(نهبنا جبل شَبَه القصير أخذاً بثأر قرية ألقينا).

«أرَينا بَلَسْنَا وإبْ أَرَيُمْ أتينا».

(استرددنا ما نهبوه منّا ونهبنا أموالهم التي وجدناها).

«سَعَتَّ جِبِّيءْ مِتى سَعتَّ جوكت إلا عويتنا».

(فهل سمعت جوخت «صديقته» بانتصاراتنا هذه).

وهي طويلة، واشتهر عجيل بكثرة بنيه[1] وتأليف العصابات فينهبون توكر وما حولها ومصوع وضواحيها. ثم يقتتلون عند تقسيم الغنائم كما حدث بين ولده: ويل علي[2] وابن عمه محمد باركوين بن علي أبي طالب.

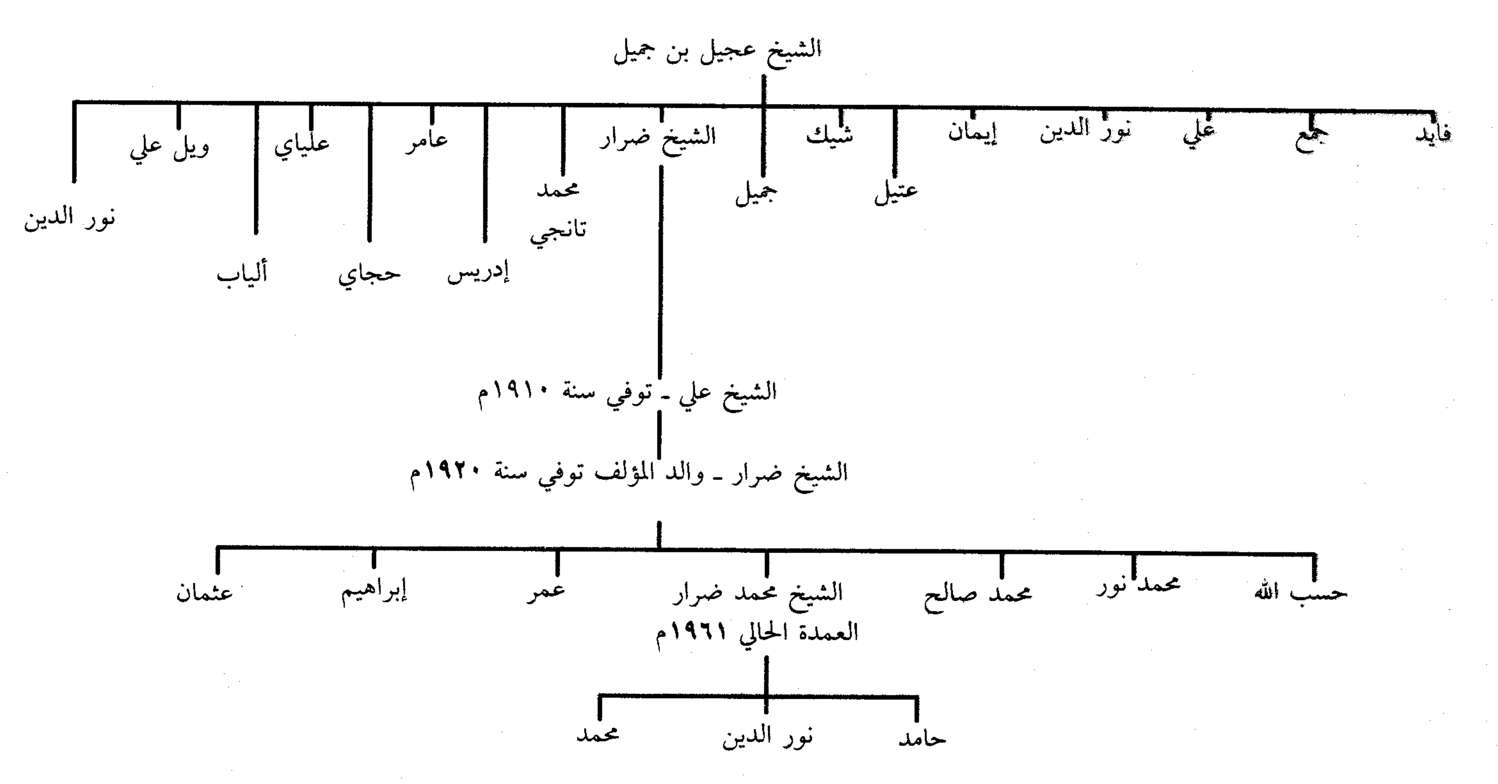
والعجيلاب لا يغزون إلا للثأر ولا يحبون الاعتداء أو القتال إلا في ديارهم أو مواشيهم أو مياههم. وتوفي عجيل جميل عند أول الحكم التركي سنة ١٨٢٠م.

---

(١) كان له سبعة عشر ولداً.

(٢) هو ابن نصر الدين بن عجيل. نهب مرة أبقاراً كثيرة من ضواحي توكر لا يمكن حصرها في «نارو» سنة ثم أحضرها.

## ذرية الشيخ عجيل بن جميل بن جمع بن عجيل بن علي بن محمد بن ضرار



## الشيخ ضرار بن عجيل

بعد وفاة والده وجد نفسه أمام خصوم أشداء وأبناء عمومة أقوياء وأغنياء وهم سبعة أبناء: علي طالب بن عجيل، ومثلهم من أبناء حباباي بن عجيل، ومثلهم من أبناء نصر الدين بن عجيل، وكل منهم كثير الأمل في نيل المشيخة إذ كان عميد الهاسريين «الشيخ موسى قِرْقِم» من أكبر خصومه، وله أصدقاء وأقارب في دقة دقلل مع ناظر بني عامر يعتمد عليهم، خصوصاً صديقه دقلل «أوَلِّبَابْ» ولم يكن للشيخ ضرار صديق غير السيد علي ابن السيد الأمين ابن الشيخ حامد وهمد بن أكد هاسري، فلما مات الشيخ عجيل حضر الأخيران بقبائلهما ووليا العمودية للشيخ ضرار بن عجيل.

وبعد سنتين حضر دقلل أولِّبَابْ بكل بني عامر في عيدب وطلب حضور الشيخ ضرار بن عجيل وقال له: أنت أرسلت عيسى هاسا إلى سواكن وأوقعت الفتنة بين الوِيلْعَلْيَابْ والسَّمَرْأرْ بسبب مقتل أخيك ولذلك لا يمكنني أن أتعاون معك وسأعين بدلك تكروراي بن علي أبي طالب عجيل[1] فقال له القبائل: لا تقبله وافترقوا.

وفي أيام ضرار غزا الكميلاب والسمرأر «بخياله» قرى أخوانه فقتل أربعة من العجيلاب أبناء عم ضرار وثلاثة من أخوانه كان القصاص فيها من الفرقتين عالياً ومساوياً لما قتل من العجيلاب، وبعدها أخذوا العهود من بعضهم وتمت مصاهرتهم لبعض، وتُرِك جدي علي ضرار رهينة عند أهل توكر لمدة ثلاث سنوات، ثم امتنع الفريقان عن نهب بعضهما البعض إلى يومنا هذا بسبب المصاهرة مع المذكورين والأرتيقة أيضاً. ولما حانت وفاة الشيخ ضرار بن عجيل سألوه أين تحب أن ندفنك، فقال: في قَرُورَة. ولا يزال قبره بجوار نقطة البوليس هناك[2].

---

(١) قال حميراي بن محمود هو من الأفلندة لا نقبل غير ضرار وسنرحل ونفارقك إلى مصوع.

(٢) خلف ثمانية أولاد مات منهم قبله إدريس وجلايدوس وعجيل وجميل وهمد وعاش بعده نور الدين وعلي ومحمد والأخيران ماتا سنة ١٩١١م، ولقد أخذت عنهما كثيراً. وكل ذرية ضرار بالسودان إلا واحد من أبناء عجيل ضرار بإرتريا.

## الشيخ نور الدين ضرار

تولَّى العمودية بعد وفاة والده ولم يعش فيها أكثر من ست سنوات ثم أصيب بحمى ملاريا أخذها من زيارة لكسلا بعد اجتماع جمعية «خُور رجب».

كان يزاحمه على الرئاسة ابن عمه فكاك بن شيك بن عجيل ولكن فاز نور الدين بالأغلبية ويوم ولايته جاءت المواشي والأغنام في السماء صغارها وكبارها تحلب لبناً. وحزن الجميع لوفاته. وخلف نور الدين خمسة أنجال هم: «عجيل وحاج وحامد ومحمد علي وصالح»، وخلف أخوه محمد بن ضرار ثلاثة أنجال هم: فايد ومحمد وسليمان، أما عجيل ضرار فقد ترك ذرية وكذلك إدريس وهمد، أما جميل وجلايدوس فلم يعقبا.

وفي أيامه حاولت عصابة برئاسة جماعة من الهاسريين مع أهل توكر نهب أبقار العجيلاب فأدركوها عندما وصلت عدُوبَنَة، وبعد قتال مرير استردوا منها أبقارهم وهي آخر واقعة إذ ظهر الحكم التركي بعدها.

❋ ❋ ❋

## الشيخ علي بن ضرار

هو المشهور باسم «علي يانْقِي» تولَّى الرئاسة عقب وفاة أخيه الشيخ نور الدين ضرار وقد حضر توليه السيد أبو بكر الأمين. وكان في صفة أبناء عمه: محمد عيون وهُمَّد وجِمِعْ أبناء شِيكْ بن عجيل ولكنهم لم يصبروا على وده فحاربوه كي يولوا أخاهم فِكَاكَ بن شيك، ومراراً ما حاولوا قتله[1]، ثم ارتحلوا من عقيتاي وسكنوا بقرب مصوع. وفجأة بعد خمس سنين حضروا لنهب أموال أهل عقيتاي أبناء عمومتهم في جبل عَيَتْ ودار

(١) كان عدد شبابهم لا يقل عن أربعين شاباً مسلحين أزعجوا كل قبائل الحباب بل كل أهل إرتريا السواحل حتى منسع والبلين وشوما، خصوصاً فارسهم هرب (عبدالقادر بن فكاك) وأخوانه السبعة.

بينهم القتال، فقتل هِرِبْ ابن عمه حامد محمد عباد وقتل حسن قياد هِرِبْ، فقال لهم نصر الدين ويل علي ونور الدين محمد ضرار: إذا لم توقفوا القتال سننضم لجماعة هِرِبْ[1]، فنحن وآل هرب نسمَّى ذرية جمع بن عجيل، وحامد محمد عباد هم أبناء نصر الدين بن عجيل وذرية هرب وأهله وخصومه يسكنون في إرتريا، إلا رجل واحد منهم بعقيتاي. وبعض من ذرية نصر الدين أيضاً يسكنون هنا بالسودان.

ولم يسلم العجيلاب من غزو الأحباش بإرتريا فقُتل منهم نحو عشرين رجلاً، فأرسل الشيخ علي ضرار في إحضارهم فأقاموا سنين، ثم ارتحلوا ثانية إلى مصوع وبقوا بها إلى اليوم، ومعهم كثيرون من أبناء حسن ونصر الدين وحباباي ووَايْرَاء حتى كانت المهدية في شرق السودان وجاء الأمير عثمان دقنة عاملاً على كل إقليم البجة حتى مصوع، فبايعته القبائل البني عامرية والذين في ضواحي الحباب ومصوع والأحباش. وترك كل عمدة ابنه رهينة[2].

في أيام الشيخ علي ضرار بدأت هجرة الرشايدة من سواحل جزيرة العرب الشرقية سنة ١٨١٩م، وكانت لا تبرح السواحل فطردها علاء الدين باشا من أرض الحباب لقتلها جماعة من دقة عمدوي وأمرها بأن تعيش شمال محمد قول والشيخ برغوت وحلايب. وها هي اليوم قد وصلت أرض البطانة والدامري[3].

توفي جدي الشيخ علي ضرار في سنة ١٩١٠م، وخلف اثني عشر ولداً هم: والدي أكبرهم الشيخ ضرار ونور الدين وحامد ومحمد نور وحامد شيخاي وهمد نور وعمر ويوسف وحسين وحسن وإدريس وإبراهيم ولكل منهم ذرية ما عدا همد نور وحامد شيخاي.

❋ ❋ ❋

---

(١) كانت جرحاهم كثيرة وهم أقرب رحماً بالمذكورين.

(٢) كان الرهينة عمي همد نور علي ضرار وعنه أخذت الوقائع حول سواكن.

(٣) للعجيلاب مقابر خاصة في سفح جبل «قنت» بجوار قبر الشيخ إبراهيم إدريس الفايدابي، دفن جدي الشيخ علي ضرار ووالدي وأخوانه وبجوارهم مقابر الهاسريين والحباب وبجوار هذه المقابر تمر السيارات من وإلى توكر وقرورة.

## الشيخ ضرار بن علي

تولّى الرئاسة بعد والده وكساه السيد نافع أبو بكر والسيد محمود أبو بكر كان صديقاً مخلصاً للسيد محمد عثمان تاج السر منذ ١٨٧١م، ولآل الشيخ محمد بن علي خصوصاً الشيخ عبدالقادر وأنجاله فإن مودتنا لهم وراثية إلى اليوم فإنهم يسكنون بإمبيرمي مصوع منقطعين للعبادة والتفقه في الدين الحنيف.

ولما جاء الأمير عثمان دقنة وفد عليه الوالد مع مشايخ بني عامر وبايعه واحتفظ ببيعته هو وأكد موسى وإدريس محمد[١]، وفي سنة ١٩٢٠م، أصيب والدي بالتهاب رئوي توفي به وهو ابن ثمانين عاماً[٢].

كانت لجدي سفينة وأخرى لأبناء داخلة (فرد) وثالثة لابن عمهم إبراهيم عروض ورابعة لأبناء شمودة بن مرساي وكلهم من الأفلندة ومعهم سنبوك اسمه مبروك تعلق عبداللطيف عبدالرحيم «بهدور» رحلت عليها كل العجيلاب والأفلندة إلى جزيرة ابن عباس سنة ١٣٠٦هـ، ولما جاءت الأمطار بعد ستة شهور رجعوا إلى ديارهم.

قتل الرشايدة بالرصاص ثلاثة من أبناء علي أبي طالب نصر الدين عجيل فاتصل والدي بكنتيباي حسن هداد كانوا قد قتلوا معه جماعة من أبناء عمودي سنة ١٨٧٤م. أما كيفية ذلك فقد كانت عائلة محمود دقة عمدوي مجاورة للرشايدة عائلة «زنمات» فسار بعير رشيدي خلف أغنام إدريس محمود دقة إلى القرية، فلما جاء الليل ذبحه الحباب وأكلوه. وفي الصباح جاء صاحبه «عايد بن جلّاف» فوقف على محل الذبح[٣] فشاهد الدم فالتفت يمنه وميسرة[٤]، فلم يجد أمامه إلا الأغنام فاستاقها أمامه، وإذا برجل يقال له: علي كليب إدريس محمود دقة يصيح بأعلى صوته مستنجداً بالحباب،

---

(١) هم رؤساء القبائل الكبرى في بني عامر توكر «عجيلاب وهاسري وبيت معلا».

(٢) كان والدي قد أعد هذه السفينة لتهريب الأمير عثمان دقنة إلى جدة سنة ١٩٠٠م ولكنه سجن وحجز السنبوك بسواكن. ولم يطلق صراحه إلا بعد قبض الأمير وسفره لمصر.

(٣) قيل: إن هذه القرية مست بعيراً غير هذا.

(٤) كان معه رشيديان.

فأدركه الحباب في قَلَبْ سَقْلا، فأطلق الرشايدة عليهم الرصاص فأصيب إدريس محمود دقة[1] وابنه موسى ودَرَبْ بن طَدَا الأفلندي، وشاباً من دُوبعات. فوجد أخوه سلمان ثلاثة من الرشايدة فدعاهم لشرب القهوة، ثم غافلهم وضرب أحدهم بفأس على رأسه فقتله، فهرب الاثنان منه فدفن قتيله. وفي اليوم التالي نبشوه إخوانه ودفنوه في مكان آخر وقرب القاتل بأغنامه. فهربت قبائل الرشايدة من أرض الحباب واستجارت بالعجيلاب. فقال لهم الوالد: نجيركم لمدة أسبوع إذ ليست لنا قدرة على قبائل الحباب وعصاباتهم[2]. فلما انتهى نادى مناديهم «بكرة شادين يا رشايدة. ومن لم يشد فذنبه في جنبه». فشدوا رحالهم. ولكن الحباب أدركوهم وأوقعوا فيهم القتل والذبح ومعهم أبو بكر علي أبي طالب العجيلابي يأخذ بثأر أخوانه ويخفي العصابات نهاراً بمنزل العجيلاب. فقال لهم الوالد والشيخ أكد موسى: إذا لم ترحلوا إلى عقيتاي فإن الحباب لا يتركونكم أبداً[3].

في قتال الهاسريين والمعلاويين التزم العجيلاب الحياد التام[4]، ولذلك استاء منهم حامد همد لَوَّلْ الهاسري وعير العجيلاب بتخلفهم عن نصرتهم، وهم يردون عليه، يكفيكم اتخاذ الرشايدة إخواناً لكم مات شجعانكم ولم تقتلوا إلا ثلاثة من المعلاويين فقط وهم قتلوا أضعاف هذا العدد من خياركم.

ومن مآثر الوالد إعادة تربية الإبل وزراعة أراضي كِرْكِرْ وبلاتَاتْ وماء وادي عقيتاي حلو ولذيذ لا يمكن مقارنته بأي ماء آخر.

❊ ❊ ❊

---

(١) أصابه عايد في جبهته.

(٢) أخذ ابن عمه بثأره مع عصابات الحباب. الرشايدة لا يقتلون إلا نهاراً وبالرصاص قال ردئي بن حدوت وكان يقاتلهم مع عصابات الحباب: «الرشايدة إذا أظلم الليل لا يتحركون أبداً ولو نودوا بأسمائهم للنجدة لا يردون».

(٣) وصف محمد بن كنتيباي إداد كل أعمال العصابات في أشعاره. ومحمد هذا شاعر مفلق لم يتبعه غير أبو بكر بن طراي، وكان الأول يدافع عن الهاسريين، والثاني يعيره بما فعله الهاسريون من سوء الفعال مع الحباب.

(٤) كان في العجيلاب أكثر من ثلاثمائة شاب يوم قتال هذين الفريقين.

## الشيخ محمد بن ضرار

تولَّى المشيخة عقب وفاة والده في ديسمبر ١٩٢٠م، وكان عهده ميموناً حتى كانت سنة ١٩٢٥م، فكثرت الأمطار والسيول وغزوا جميع أراضي كِرْكِرْ وبلاتاتِ حتى قرب عقيتاي، فعلم أن الهاسريين والحباب أبرموا اتفاقاً لقتال العجيلاب بالرصاص[1] إذا منعوا مواشيهم من كل الأراضي المزروعة. وسمع جماعة من الرشايدة بأن القتال بدأ بين خصومهم القدامى والعجيلاب فباعوا للأخيرين عشرين بندقية مع كل واحدة خمسين رصاصة وكلهم من النوع القصير بسعر جنيهين فحضرتُ بالبر من مصوع سنة ١٩٢٥م، ووجدتُ القوم مدججين بالأسلحة النارية. فتأخر الهاسريون عن كنتيباي والحباب، فاصطدم الأخيرون بالعجيلاب وانطلق الرصاص من كل الأراضي المزروعة ولما جاء الهاسريون للقتال صباحاً اختلفوا فعادوا مقتفين أثر الحباب إلى جهة «دِرْتتِ وعَدْوبَنَة» وبعد أيام وصل مفتش توكر المستر اسكوت G. C. Scot ومعه الشريف الحسن أبو الحسن، وعمل حدوداً بين العجيلاب والهاسريين جهة «جديف» ومد سلكاً على الأعمدة الفاصلة بينهما، وقال للحباب ليس لكم هنا أرض إذ ربما تعودون يوماً إلى إرتريا.

وأحضر الشيخ محمد ضرار ثلاثة من الخيل كاحتياطي بالمنطقة.

(١) كان عند كنتيباي محمود بعض البنادق والرصاص.

١ ـ الشيخ محمد ضرار علي العمدة.

٢ ـ الشيخ نور الدين محمد ضرار الوكيل.

٣ ـ الشيخ إدريس علي ضرار بين لفيف من مشايخ العجيلاب.

مما يكتب بمداد التبر في صحيفة الشيخ محمد بن ضرار منحه لجميع العربان التابعين له ولأقاربه من العجيلاب الحرية التامة وحق التصرف في أموالهم ومواشيهم، بل كانوا يعيشون بين رؤسائهم كالمستعبدين والمستعمرين، فقسمهم إلى حصص وعين على كل حصة رئيساً عليهم لتحصيل الجزية، وصرف التموين وتوزيعه عليهم. وكذلك في سنة **١٩٤٢**م، فاستاء من عمله هذا النابتاب ثم أهله العجيلاب، ثم بيت أسقدة حباب. فاجتهد المستبدون في تأليب هؤلاء المساكين ضده حتى كانت سنة **١٩٤٧**م، «مارس» فنجحت مبادئه واعتنقها العقلاء من رحال القبائل البني عامرية والحبابية وقدموا عرائض للحكومة مطالبين بالحرية عن نير استبداد المذكورين، فتم لهم كل ذلك رغم تهديد رجال هاتين القبيلتين.

كما وأن الشيخ محمد ضرار هو أول من نادى باستقلال السودان من الحكم الثنائي.

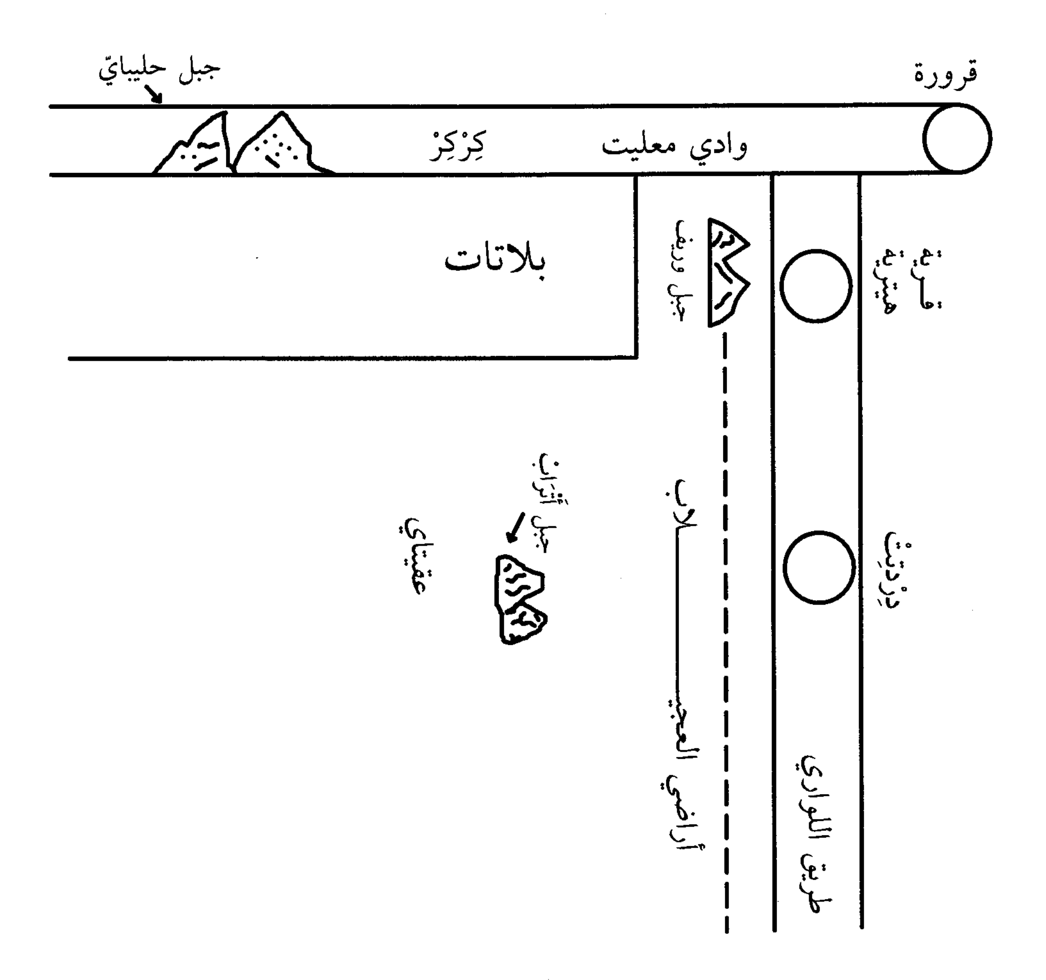
في يوم العشرين من شوال سنة **١٣٨١**هـ الموافق الاثنين **٢٦** مارس **١٩٦٢**م، انتقل إلى الدار الآخرة أخي الشيخ محمد بن ضرار بن علي عمدة عموم العجيلاب ودفن في قِنَتْ حيث مقابر الأجداد بعد حياة قضاها في نضال حتى رفع شأن العجيلاب. وكان عمره **٩٤** عاماً يوم وفاته عليه رحمة الله.

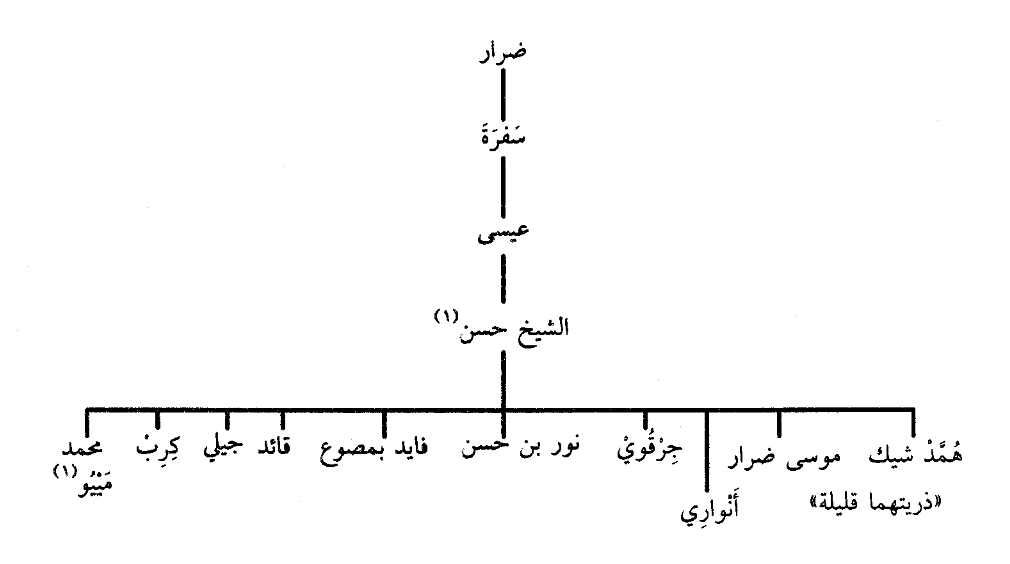


عمدة العجيلاب بالسودان
الشيخ محمد بن ضرار بن علي بن ضرار

**العجيلاب**
**الشيخ محمد بن ضرار**

## الحدود الفاصلة بين العجيلاب والهاسريين






## الشيخ نور الدين محمد ضرار

بصفته أكبر أبناء المرحوم سناً وزعيم خشم بيت الشيخ ضرار بن علي بن ضرار بن عجيل وافقت القبائل المجاورة له وعمدها على ولايته منصب أبيه فألقيت مقاليد أمور منطقة عقيتاي على عاتقه.

ولقد وصلت بعد الوفاة بأيام (ثلاثة) وحضرت الاحتفال بانتخابه وكسوته. ولا بأس أن يذكر الأنظمة المتبعة عند بعض قبائل «إقليم البجة» في ولاية العمودية في العصور الإسلامية أي بعد القرن السابع عشر للميلاد، وهذا النظام عمل به بعد عودة المشايخ الأربعة إلى أهليهم وهم: الشيخ حامد بن أحمد نافعوتاي «نفيداب»[٣] والشيخ عبدالله أبو الرايات الحلنقي «عليه قبة جميلة بغرب كسلا» والشيخ محمد بن فايد بن فايد بن أبي الحسن الشاذلي[٤]،

(١) تولى رئاسة العجيلاب والأفلندة أصغر عجيل بن علي بن محمد بن ضرار ثم تولاها بعده الأخير.

(٢) من ذرية أبناء وسمرة وأبناء سمرة ومحمد جهر بأغردت.

(٣) توفي بجدة ويلقب بالشيخ الأسد وهو شقيق الشيخ إدريس أبو محمدين المتوفى بنهر عطبرة وعليه قبة وهو جد النفيداب.

(٤) توفي بجهة دقة دقلل «ناظر بني عامر بأغردت» وهؤلاء الأربعة درسوا معاً كافة العلوم الدينية ثم عادوا إلى أهليهم «اقرأ طبقات ولد ضيف الله».

والشيخ عبدالله العركي المشهور بأبي حراز (حد العركيين)، والذين اشتركوا في تنصيب الشيخ نور الدين محمد ضرار هم أحفاد الثلاثة الأول. وسنوضح للقراء ما حدث أمامنا من الطقوس والتقاليد.



١ ـ الشيخ حامد نوراي ناظر بيت عوض بإرتريا.
٢ ـ الشيخ نور الدين محمد ضرار وكيل عمودية العجيلاب بالسودان.
٣ ـ الشيخ علي حسب الله نور الدين، باشكاتب عمودية العجيلاب.
٤ ـ الشيخ محمود محمد علي وكيل عمودية بيت عوض بالسودان.



١ ـ الشيخ نور الدين محمد ضرار وكيل عمودية العجيلاب ورفقاؤه أمام قبر الشيخ عيسى درهيب.

❋ ❋ ❋

## (تولي العمودية بالبجة)

توجد لدى بعض قبائل بني عامر أنظمة خاصة تتبعها بعض طقوس دينية وعادات تقليدية في غاية الدقة عند تولية عمدة حديث للقبيلة. وقد شاهدت هذه التقاليد حين ولاية والدي على قبيلتي العجيلاب والأفلندة ثم ولاية الأخ المرحوم محمد ضرار علي.

فقبل ولاية الوالد ضرار علي لم تكن لدينا آبار غزيرة المياه إلا تلك الشحيحة بأعلى وادي شاكات وقرورة، فوضع «يوم ولايته» على إناء ماء وآخر لبن إبل فنبت المياه من وادي عقيتاي وبقرب ساحل البحر الأحمر المالح واعتنت القبائل بتربية الإبل. ولما تولّى الشيخ محمد ضرار وضع يده في إناء مملوء بلبن البقر وآخر بالدخن، فأصبحت مناطق عقيتاي وبلاتات وكِرْكِرْ صالحة للزراعة. فلما انتقل العمدة الأخير إلى جوار ربه يوم الاثنين مساء ٢٠ شوال ١٣٨١هـ الموافق ١٩٦٢/٤/٢٦ ودفن في مقابر أجداده في قِنَتْ Ginat وانتظرتهم هناك «طريق السيارات بين توكر وقرورة غرباً وشمال

عيتربة» وقد سبقتهم إليها قبيلة النابتاب: «رهط ناظر بني عامر» والرِّقْباتْ البكرية، فلما انتهوا من الدفن وبناء قبر العمدة الراحل[١] وأدركتهم قبائل مجاورة حضروا جميعهم إلى الفراش في عقيتاي وحضر السادة آل نافع أبو بكر ومحمود إبراهيم وآل حاج أحمد التيجاني والأشراف آل الشيخ محمد فايد الشاذلي وآل علي كرار البكرية والرشايدة آل عدون ورويدي رهط الشيخ سليم سعد والسادة البهدور (أهل العقيق وعدوبنة وجزيرة ابن عباس) وحددوا يوماً لانتخاب العمدة الجديد.

قال الشيخ همد إدريس عميد النابتاب «أيها العجيلاب أراكم تستعجلون انتخاب عمدتكم ولكننا نحن من القبائل الأخرى والزعماء الدينيين قررنا باتفاق على أن نبدأ اختياره في آخر يوم أربعاء من شهر شوال[٢] سنة ١٣٨١هـ (١٩٦٢/٤/٤م). فرد عليه فضيلة العلامة الشيخ سليمان علي كرار[٣]: نحن اليوم نوافق على كل ما أجمعت عليه القبائل الأخرى. فقال له الشيخ محمود حسن حِيُوتَايْ وابن أخيه نصيب حامد شيخاي: (كلاهما من ذرية الشيخ محمد بن فايد بن الشريف أبو الحسن الشاذلي)[٤]، ثم تكلم السيد موسى بدوي حمد، نحن حضرنا إلى اتفاق على تولية الشيخ نور الدين ابن المرحوم العمدة الراحل الشيخ محمد ضرار علي، وهو كفء، وقد كان وكيلاً وممثلاً لوالده أكثر من ثلاثين عاماً، واشتهر فيها بالحزم والكرم. وحضر السيد محمد ابن حاج أحمد التيجاني والسيد محمد محمود إبراهيم والسيد بشير محمد عثمان (وقالوا): نحن في انتظار حضور أبناء السيد عمر بن نافع بن أبي بكر ولن يكون حضورهم قبل يوم اثنين من شهر

---

(١) تبنى قبور العمد والزعماء بشكل دائرة قطرها عشرة أمتار وارتفاعها متر واحد بنظام هندسي جميل. سألني أحد الألمان وقد جاء ليتعرف عن أسباب كبر مساحة الدائرة وحفر القبر في الوسط فأخبرته بأنهم ربما أدخلوا إليه بعض أقاربه عند وفاتهم.

(٢) الموافق **٢٩** شوال. الاعتقاد السائد في قبائل بني عامر أن أي شيء جديد يبدأ به في آخر أربعاء من كل شهر عربي لا يتغير حتى ينتقل صاحبه إلى الدار الآخرة.

(٣) عمدة قبيلة رقبات فهو من أكبر علماء بني عامر والحباب.

(٤) اقرأ طبقات ولد ضيف الله.

ذي القعدة سنة ١٣٨١هـ، ووافق مشايخ حصص العجيلاب وزعماؤهم وأصحاب المسؤولية منهم على تولية نور الدين خلفاً لوالده وانتظار آل نافع أبو بكر لأن تقاليد ولاية عمودية العجيلاب بدأت من أيام جدهم الشيخ حامد أحمد نافعوتاي «نفيدابي» إذ كسا العمدة الشيخ جمع بن عجيل بن علي ثم أصبحت من الطقوس المهمة والعادات التي بدونها لا يعترف بالعمودية خصوصاً عند العجيلاب والنابتاب، ويتشائمون لمن يتولّى بغيرها. وفي بعض القبائل لا يعتد بها خصوصاً في إرتريا ولكنها عند هذين الرهطين مهمة جداً.

وقد أعد مولانا الشيخ علي كرار «عم العمدة الجديد» مشكوراً كل الكساوي اللازمة لهذا الاحتفال المقدس العتيق.

وفي ضحى يوم ١٩٦٢/٤/٤م، توافدت القبائل إلى عقيتاي للاشتراك في تنصيب العمدة الجديد. فبدئ الاحتفال بتلاوة من آي الذكر الحكيم بدأ بها السيد محمد علي بن عمر بن نافع[١] أبو بكر، ثم تلا أخوه عثمان عمر بعض الأدعية، ثم تقدم السيد محمد حاج أحمد التيجاني «من علماء بني عامر» وافتتح خطابه بسورة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١] ثم عقبه الشريف محمود ونصيب حامد شيخاي وهما من الفايداب وتليا أدعية مكتوبة، ثم جاء الشيخ سليمان علي كرار وأنشد توسلاً مباركاً، ثم أعطى الملابس للسيد محمد بن محمود إبراهيم وهذا بدوره سلمها لأبناء عمومته آل نافع أبو بكر الذين قسموا الملابس ووزعوها بين الزعماء الدينين، وتولّى هو إلباسه القميص قائلاً: هذا قميص التقوى والإيمان إن شاء الله. وأخيراً جيء بثوب عشاري من الدبلان ومسك مشايخ ورؤساء العجيلاب بأطرافه وأحضر السادة إناء مملوءاً باللبن وآخر بالماء وثالثاً بالدخن ورابعاً بالسمن فوضع العمدة الجديد «نور الدين محمد ضرار» يده اليمنى في اللبن واليسرى في الدخن. ففرح المجتمعون جداً وتفاءلوا خيراً باللبن والدخن. وبقي

---

(١) حضرت هذا السيد وهو ابن عم أبناء السيد إدريس أحمد النيفدابي كسا والدي العمودية سنة ١٩١٠م وأخي محمد ضرار ١٩٢٠م.

جالساً تحت الثوب لا يبدي حراكاً حتى قذفه كل من الحاضرين بالأغصان الخضراء. وفي تلك الأثناء كان أصحاب المواشي خصوصاً الرشايدة يأتون بألبان نياقهم ليشرب منها ويمررها على المحتفلين حتى جاءت صلاة الظهر فأدخلوه إلى بيته ومعه أحد أبناء عمومته الشيخ محمد محمد نور الدين وبعد أسبوع خرج من الاعتكاف فرفع الفراش بعد ذلك يوم زار منطقة عقيتاي العجيلاب والأفلندة صاحب السعادة اللواء محمد طلعت فريد، تيمناً بقدومه السعيد على تلك المنطقة الآهلة بالسكان وكثرة المياه.

فمهما بالغنا في الاحتفال بمقدمة التكريم نرى أنفسنا مقصرين نحو سعادته لأنه اشترك معنا بسلاحه في حرب تحرير إرتريا والحبشة[١].



## طلعة سعيدة

والتفاتة بارعة من السيد ناظر بني عامر حينما دعا سعادة اللواء محمد طلعت فريد أن يتفقد مضارب خيام بني عامر في السهول والجبال، وقد بدأ سعادته بالعقيق حيت تكاتفت الجموع باستقباله والاحتفاء بمقدمه الكريم.

### ابن عباس:

ثم تفضل سعادته فزار جزيرة ابن عباس وجاس خلالها وتفقد آبارها ومنازلها التي تقادم عهدها. ثم مر بمنطقة عقيتاي بطائرة هيليكوبتر وإذا به يهبط في قرورة عند حدود السودان وإرتريا، وهناك تزاحم عليه الناس واختلط حابلهم بنابلهم وأصبح الوادي وساحة الاحتفال كأنه يوم الحشر ولم

(١) لما هبطت طائرة اللواء طلعت في العقيق ذبحت أمامه الذبائح وتكدست جماهير الكهول حول صيوانه وتكأكأوا عليه لتذكرة أياهم «بني عامر» بهذه الزيارة التي قال عنها خطيب الحفل: «كنا في غاية الشوق إليها» وإنا لجد متفائلين بها لقد كنا في غاية الشوق للقائكم إذ رأينا منكم أكثر مما سمعنا بأعمالكم فعلمنا: «إن ليست كل الرجال تدعى رجالاً».

ينقطع سيل المتطلعين لرؤية سعادته من الأهالي القاطنين على جانبي الوادي وفي مضايق الجبال والتلال، ورحب الشيخ سليمان علي كرار بسعادته في قرورة مثنياً على شهامته وبسالته في كل المواقع التي اشترك فيها ووفائه لجنوده الذين كانوا يعملون تحت قيادته منذ مناوشات **١٩٣٥**م، حتى حروب **١٩٤٠ - ١٩٤٥**م.

ولما تمت الساعة الثانية عشرة ظهراً بارح قرورة فعاد إلينا في العقيق وصافحنا مودعاً.

ونحن نثني على همة الشيخ إبراهيم عثمان ناظر بني عامر الذي هيأ لأهله وقبيلته مثل هذه الزيارات السعيدة.

❋ ❋ ❋

## وَأيرَا WAYRA

تسكن مُوطَتْ «بجوار منهل مِهْبَالْ» بإرتريا وعمدتهم هو الشيخ محمد علي بن إسماعيل بن علي بن محمد بن عمر أحمد بن عمر بن حمد بن حمد وايرايْ المَلْهِيتْكِنَابِي[1].

حضر جدهم من بلاد التاكا بعد الشيخ محمد بن ضرار بسنين بأولاده الثلاثة وهم أحمد وعمد وَسَهَلْ، وقيل: إن ابن أخيه هو الرابع واسمه «علي» قتل همد بعد أن وصلوا عقيتاي بسبب خلاف بينهما في الزراعة، فأقسم والدهم على مقاطعة الزراعة. وصار يتنقل في المراعي. فزارهم ذات يوم رجل من بيت معلا يقال له: «مَنَنْ» فصادقهم ورجع وإياهم إلى الشيخ عجيل بن علي ثانياً فاندمجوا في العجيلاب وأصبحوا فرعاً منها وعاشوا في أهنأ عيش حتى كانت مشيخة الشيخ ضرار بن عجيل، فأساء إليهم وأهانهم، فارتحلوا عنه وانضموا إلى الحباب، وعين عليهم كنتيباي جاويد الشيخ علي بكيت بن كلاب، فاستاء منهم الشيخ ضرار حتى أنهم لما قتلوا رجلاً من

(١) جد عجيلاب الأفلندة.

الأفلندة اسمه شنكيل بن تراب أوعز ضرار لابن موسى شنكيل كي يأخذ بثأر أبيه فقتل قانع بن أحمد قَيِخْ[1]. ولما احتلت إيطاليا إرتريا سنة ١٨٨٤م، رحلوا من الحباب سراً إلى موطَتْ وقدموا ولاءهم لمحافظ مصوع. فاستاء كنتيباي حامد بك حسن[2]. ولهم عائلة كبيرة من أبناء بنتهم يسمون أبناء «صَنْدَقْ» ومنهم أبناء «أَشْتَحقَنْ» وهما من أكبر عائلات وايرا. وهم كسائر قبائل هذا الإقليم ينهبون ويُنهبون فمن ذلك غزوة القبيلة «جِمّجان» لديار وايرا[3] واستاقوا أبقارها من جَدْجَدْ ليلاً بعد أن قتلوا فيها عمر همد نور وعلي نور وعمر كِيَر «خير» وعلي كير، ورجلاً من آل معلم كان ضيفاً عندهم. فلما أصبح الصباح أدركهم همد نور وأبناه معه[4] وعلي موسى وبحراي علي دايد في جبل «وَدْ بِرُوط» فقتلتهم عصابة جمجمان جميعهم. فاتهمت وايرا الشيخ يارياي همد حبيب بن حباباي وابن عمه إبراهيم همد طالب وعمر هركعفة[5]. قيل: إن هؤلاء حضروا إلى همد نور وقالوا له: يعاب عليك أن تسمع استصراخ أهلك ولا تقوم لنجدتهم وهم أهلك وعشيرتك وقد نهبوا «قِيلاَ» بقرة جدك حمد وايراي[6]. فخسروا هذه الواقعة واستعدوا للانتقام فبعد ثلاثة شهور قامت عصابة من وايرا برئاسة قانع بن درير وهجموا على عائلة «إيلوُسْ» وهي من جمجان تسكن جبل فلقل[7]، واستاقوا منها ثلاثة مراحات من البقر[8].

---

(١) هو من ذرية أحمد عمر.

(٢) ارتحلت معهم عدة عائلات مثال ميكال وأيتما وسمر عرعور ومنن وذريته ودسنياي (ذرية دسنة) وقيل: إنها من دسن وهو رجل اسفداوي تزوج بأخت حمد عمر وولد منها أبو بكر.

(٣) كان معهم بعض من أمراء الأحباش.

(٤) هما محمد وسليمان وعلي وهمد حمداي.

(٥) اجتمعت بابنه علي في «جدجد» وكلهم من العجيلاب.

(٦) كانت عصابة جمجان بأعلى الجبل، ووايرا بأسفله. فقذفوها بالحجارة حتى قتلوهم تحت الجبل.

(٧) شاهدت في هذا الجبل حدائق غناء للبرتقال والموز واليوسف أفندي والجوافة والقشطة... إلخ سنة ١٩٢٥م.

(٨) نظم إبراهيم ضرار وايراي قصيدة في وصف هذه الواقعة وختمها بكلمات منها: «يا كنتيباي لجام ناظر جمجان للآن لم نثأر لإخواننا» فهذا أول الشر.

وفي سنة **١٩٣٥**م، أنعمت حكومة إيطاليا بلقب «كنتيباي» على الشيخ محمد نور المذكور.

وتتفرع من وايرا عدة حصص أشهرها:

١ ـ أبناء شِمَاقِليِّ: يرأسها الشيخ عثمان حسن حمد نور.

٢ ـ أبناء دَسْتيَايْ: يرأسها الشيخ عمر بن دَلاَش.

٣ ـ أبناء إيتَمَا: يرأسها الشيخ محمود إدريس آدم

٤ ـ أبناء عَقَبة: يرأسها الشيخ محمد حمد سليمان.

٥ ـ أبناء فايد: يرأسها الشيخ إسماعيل آدم عبدالله.

٦ ـ بيت حمد البكري: يرأسه الشيخ إدريس محمود آدم.

٧ ـ بيت حمد الصغرى: يرأسه محمد عمر إدريس.

ولا يوجد منهم بالسودان إلا أفراداً قلائل كانوا مع أخوانهم العجيلاب حتى سنة **١٩٤٩**م، فانضموا إلى الأفلندة ولذلك غضب عليهم إخوانهم بإرتريا.

❋ ❋ ❋

## المهدية بسواحل مصوع

بعد تنازل وزارة نوبار باشا المصرية عن كافة حقوقها بالسودان يوم (١٨٨٥/١/١٧م)، ومجيء غوردون باشا لتسليم البلاد لأهلها، خرج صاحب الفضيلة القاضي عبدالقادر حسين «قاضي سواكن» إلى تأماي لمبايعة الأمير عثمان دقنة، فعينه الأمير عاملاً على سواحل بلاد الحباب حتى مصوع، وهذه المحلات مشحونة بأقارب وأصدقاء فضيلته خصوصاً الزعماء الدينيين من آل «درقي Dirqi»، وآل الشيخ حامد، والسادة آل محمد بن علي في إمبيرمي وضواحيها. فقام فضيلته وطاف بالقبائل في قراها[١]، حتى وصل

(١) كان فضيلته يجيد البجاوية والتيجرية.

مكاناً يقال له «مُوطَتْ» ففرحت القبائل بقدومه وبايعوه وقاتلوا معه جيش الرأس الولا في «طِرِحْ جِعِلْ»، فانتصروا على عصابة الرأس الولا وطاردوها حتى بلغوا «جَذْجَذْ» بعد أن أقاموا أياماً في «داجري» ثم «جَرْجِرْ» فاستاء كنتيباي حامد بن حسن من رحيلهم إذ أصبحوا تحت سلطة الرأس الولا فبعث إليهم بعصابة نهبت ما بقي لديهم من الأغنام[1]، وقتل منهم أكثر من ثلاثين رجلاً في ثلاثة أيام متوالية برصاص إحدى فرق كنتيباي النظامية، ورحل من بقي من الوايرا إلى مصوع طلباً للخدمة إذ أصبحوا فقراء. فتقدم رؤساؤهم إلى محافظ مصوع الإيطالي شاكين من كنتيباي وتصرفاته السَّيئة معهم[2]. فوجدوا أعمالاً كثيرة، فاقتصدوا من أجورهم واشتروا بها أبقاراً من اليمن والدناكل فأرسل إليهم كنتيباي مندوباً لتحصيل الجزية، فطرده «إدريس بن نافع» وقال له: لن نرجع إلى قبيلتين وهما الأفلندة والحباب، فالأولى: حرضت شنكيل بن أتراب على قتل والدي[3]. وأما الثانية: فإنها ذبحت ابني أمامي لذا أكره رؤيتهما. فانضموا إلى ضواحي مصوع.

ومن مشاهير مشايخ وايرا القدامى الشيخ محمد نهباي وابنه داود الذي نزعها منه الشيخ محمد علي. وفي سنة **١٩٢٥**م، حضرت بمصوع احتفالاً أنعمت فيه الحكومة الإيطالية بلقب «كنتيباي» على الشيخ محمد علي[4].

❋ ❋ ❋

## بيت عوض

تنتمي هذه القبيلة إلى سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ. أما تاريخها فيصعب علينا الحصول على مدونات مقيدة. ولذلك ننقله كما سمعناه من

---

(١) كانت أبقارهم قد انتهت بالنهب والطاعون.

(٢) تقدم معهم الشيخ عبدالقادر ابن الشيخ محمد علي. فتأثر مما أصابهم وأوصى نايب محمد بمساعدتهم.

(٣) قتله أحد البجة.

(٤) يذكرون كراهية جدهم للزراعة.

رجالها وأقاربهم فنقول: إن مسجد المَلْهِيتْكِناب» ذرية محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ «أنشئ في تِنْدِلاَيْ بالقاش لقراءة القرآن والفقه وسائر العلوم الدينية، وكان يتخرج منه عدة تلاميذ. وكان فيه مشايخ من عائلة الفقيه يبعث البعوث إلى القبائل الوثنية أو التي تجهل تعاليم الدين الإسلامي وليس لها محلات «خلاوي» لتدريس أطفالها القرآن الكريم وهو أهم أركان الإسلام للأطفال، فكانت البعثات ترسل إلى القبائل المجاورة ويحالفها التوفيق في مهمتها الدينية، ويجد المبعوث إكراماً واحتراماً عند القبيلة أو رئيسها. فبعد إنشاء الخلوة يأتي دور صلاة الجماعة فيؤمهم هذا الشيخ الديني وينصحهم بنصائح دينية وغالباً يتم زواجه بإحدى قريبات رئيس القبيلة فتصبح إقامته معهم واجبة ولما امتد سلطان دولة الفونج كان أمراؤها يحملون الثقة في هؤلاء الفقهاء حتى يتحصلوا لهم زكاة مواشي القبيلة التي يسكنون بينها ويفهمونهم أنها حقوق فرضها الإسلام.

ولقد طفت بهذا الإقليم فكنت أجد كثيراً من البكريين وقد انتشروا بين القبائل وليس لهم مهمة إلا نشر تعاليم الدين الإسلامي. فالفضل كل الفضل يعود إلى ذلك المسجد الذي هو الأول من نوعه وهو مسجد تندلاي للملهيتكناب.

وتنتسب قبيلة «بيت عوض» التي نحن بصددها إلى رجل من السيقولاب وأمه من الملهيتكناب اسمه عوض بن أشكون اتخذ جبل هَجَر «مقر القبيلة اليوم» محلاً لإقامته مجاوراً قبائل الحماسين أمثال بيت معلا وإندول وهلال وقنيفرو، وكان لها قبل عوض شيخ مشهور بالشهامة والشجاعة اسمه الشيخ موسى فتك بن إدريس بن كميل بن كِرِبْتَاي. قيل: إنهم في عصر الشيخ إدريس حاوروا الحدارب واللّبَتْ «البجة الأصلية» وكان سلاحهم الحربة السباعية والرمح حتى تولّى رئاستهم الشيخ موسى فتك فاتصل بعدة قبائل وزار المدن الحضرية مثل كسلا وسواكن ومصوع واقتنى السيوف واقتدى به رجال قبيلته وكان محمد بن موسى يحمل سيفاً جميلاً بالفضة. وقيل: إنه أول شاب لبس ثوب الدمور المخطط كما كان يحمل درقة سميكة. وثوب الدمور المذكور أصله هدية

من دقلل إبراهيم ابن دقلل محمد «ناظر بني عامر في القرن الثاني عشر الهجري».

وتنقسم بيت عوض إلى عائلتين، إحداهما: بيت الرئاسة ويطلق عليها «كِرِبْتَايْ» وهم البكريون، والثانية: أبناء قَلْبوب وهم من أسْفَدة. ورجل من ذرية كربتاي يقال له: «دِسْ» وتعريبها «صغير» وكان قصيراً قد سكن مع قبيلة وايرا وصاهرها واندمجت ذريته فيها. ولما اشتهرت بيت عوض رحل إليها كثيرون من الملهيتكناب واندمجوا فيهم.

❋ ❋ ❋

## هَجَرْ

هو جبل شاهق وكبير وينقسم إلى قسمين هجر الكبرى والصغرى، فالأولى مصيف بَحَايْلَايْ سابقاً، وكانوا يزرعونها. فلما انقرضت بيت بحايلاي استولت عليها بيت عوض[1].

أما هجر الصغرى فبقيت تحت سيطرة بيت معلا.

قال المقريزي في خططه: إن هجر هي عاصمة الملك العام لكل قبائل البجة التي تسكن بين قوص وسواكن وباضع «مصوع» وجزائر دَهْلَك إلى حدود أرض الحبشة. ومنها كان يقوم ملكهم إلى غزو مصر ومملكة النوبة. وليست بهجر آثار تستحق الذكر بل بها بعض كهوف تقي من بداخلها من شدة البرد والثلج واليوم يقال: إن بالكهوف جناً، وهي واقعة في إرتريا.

ومن يقف على قمة جبل هجر يرى السفن التجارية والشراعية تمخر عباب الماء. ويوجد بالسودان من قبائل بيت عوض الخمس يرأسها الشيخ محمد علي محمود، أما في إرتريا فلها نظارة بعدة عموديات برئاسة الشيخ

---

(١) كان انقراض بيت بحايلاي على يد الشيخ عجيل بن علي والشيخ عمر بن شوم عمار «بيت بعشو».

حامد نواري بن مسعود بن موسى بن فتك بن إدريس بن كميل بن كربتاي بن عيسى بن حمد بن كِرب بن عوض بن شاور[(١)].

❋ ❋ ❋

## بيت قريش

هم إحدى بطون بيت عوض وقد أنشأها الشيخ قريش بن عوض أشكون ويرأسهم الشيخ محمد بن همد بن موسى بن عيسى فِلِيت.

وتوجد من بيت عوض عموديتان كبيرتان بالسودان وإرتريا اسمها شَلُوجَيْ.

❋ ❋ ❋

## بَهْدُور Bahdour

هذا الاسم يطلق على جزيرة «الشيخ ابن عباس» الواقعة بشرق عَدُوبَنَة وأصبح اسماً لكل من سكن الجزيرة. وهم مثل سائر سكان المرافئ خليط من عدة أجناس وقبائل قد جمعتهم الصلات التجارية والمرافق الاجتماعية فأصبحوا مؤتلفين ربطت المصاهرة بينهم وأواصر القرابة حتى انصهروا في بعضهم وتلاشت قبائلهم وجنسياتهم الأصلية بالاختلاط المتوالي في الأفراد الواردين إليهم من البر أو البحر. وأشهر هؤلاء السكان في عصرنا الحالي: عائلة الشيخ علي شابل عبدالرحيم وإخوانه، فإنهم من بقايا ملوك «البلو»، وبيدهم عمودية الجزيرة ورئاستها. ومن أبناء عمومتهم عائلة أبو بكر (أبكر) ابن عامر ابن الشيخ علي وهو أيضاً من رؤساء البجة الذين تفرقوا بعد زوال

---

(١) هو أحد الطلاب الثلاثة الذين أرسلهم شيخهم من مسجد الملهيتكناب إلى هجر وضواحيها. وهذا الجبل لا تعيش فيه إلا الأغنام لكثرة النواميس التي تقتل الإبل والبقر. وفي رحلاتهم يستعملون نوعاً خاص من الثيران وبعض الحمير. أما سكان سهول خور بركة والقاش فيعتنون بتربية الأبقار والضأن وقليل من الغنم.

ملكهم على يد الشيخ عامر النابتابي. ونبغ في هذه العائلة عدة أشخاص بالتقوى والورع والتبحر في العلوم الدينية والتفسير والحديث. منهم العالم المصلح الشيخ محمد آدم محمد أبكر الذي اغترفت من بحر فيضه كل البهدور وكذلك جيرانهم من العجيلاب والنابتاب (هاسري) ومن مشاهيرهم عمه القبطان «مهدي محمد أحمد» الذي كان من رواد البحار ذوي الاتصال الوثيق بتجار ثغور البحر الأحمر خصوصاً في عدن واليمن ومصوع وسواكن وجدة بل وأحياناً السويس والبصرة، وكانت له ولبعض أقاربه سفن تمخر بين مدن ضفتي البحر الأحمر ببضائع التجار تحت ضمانته. ونال شهرة لصدقه وأمانته في المعاملات وسنذكر بعض حوادثه فيما بعد.

ومثلهم عائلة «همد دينتش Deenach» واشتهر منهم بالجود والشجاعة وإكرام الضيوف الشيخ علي موسى أسَنّايْ إذ كان يوقد نار الأضياف ليلاً ويقربهم ولو كانوا لصوصاً قد حضروا لسرقة أمواله، ولا يسألهم عن أحوالهم إلا إذا انتهت ثلاثة أيام الضيافة.

ويسكن معهم جماعة من أهل دهلك «دناكل» وهم أقلية.

قيل: إن من خصاله أنه لا ينام إلا إذا اطمأن على عشاء جيرانه وقد رزقه الله ميسيرة في المال في التجارة ينفق منها على حسن الصيت. وكان الرجل الوحيد الذي يقول: «ماقيت Mageet» وهي كلمة لا يقولها إلا الكريم الشجاع، ومعناها: أنا أكرم مائة من الضيوف كما أقاتل مائة رجل شجاع. ومن البهدور الشيخ بحراوي بن صديق «من بعشو»، وسكن معهم، وقد كان كثير الاعتناء بتربية البقر بعد أن صاهر العجيلاب وصار ساكناً معهم، واقتفى أثره في المصاهرة وتربية المواشي سائر عائلات البهدور حتى اندمجوا في بعضهم البعض، وكانت مواشيهم في عهدة بحراي، حتى جاء دقلل حامد بك سنة ١٨٦٩م، وطلب منه أن يورد ضريبة على كل مواشي البهدور التي عوفوا منها زمناً طويلاً إذ كانوا في الجزيرة لا يهتمون إلا بالأغنام وقليل من أبقار اليمن. ففكر بحراي في طلب دقلل كثيراً وعلم أنه بين أمرين، الأول: مخالفته والرحيل حالاً

من أراضي عامر إلى جزيرة ابن عباس بما يقدر على أخذه وترك باقي الإبل والبقر والضأن لدقلل، وهي مراحات جمة لا يمكنه أن يتخلى عنها[1]، لأنها تعد بالألوف، والرأي الثاني: هو أن يرضخ ويدفع المطلوب منه بلا نزاع، واستقر رأيه على الفكرة الأخيرة ووافقه عليها بعض من كان معه من البهدور، فاعتبرهم دقلل من عموديات الأفلندة والعجيلاب وأضيفت ضريبتهم على الأخيرين برئاسة خالهم الشيخ علي ضرار.

واشترى دقلل حامد محمد جزيرة شرق بهدور جزء من جزيرة مسامير وسماها جزيرة «دقلل» كان يستجم فيها كلما جاء من أغردت.

لا يعلم بالضبط من هو أول عميد تولّى شياخة البهدور[2]، ولكنهم يقولون: إن حدهم المشهور هو الشيخ عيسى دِرْهيب الذي كان صديقاً لابن «تَقْ ابن تقْدَة Tag-Tagda» من رؤساء قبيلة «دَقْدَقِي Dag.dagi» الحبابية وكانا يتزاوران ويقيم كل منهما مع صاحبه شهوراً. وكان ابن تق مخلصاً لعيسى ولكن الثاني كان مكاراً، إذ كان يراقب مراعيهم ومناهلهم ومحلات مواشيهم وإبلهم حتى عرف داخليتهم. وفي أحد الأيام أخذ الشيخ عيسى عصابة من اللَّبَتْ وطَارُقيلي وسار بها حتى وصل «فِقْرَتْ رِحَابْ» (الطريق الواسع)، فوجد فيها إبلاً كثيرة. فلما أراد أخذها حال راعيها دون ذلك. فقال عيسى للعصابة: اقتلوه، فقالوا له: صديقك العمدة تق، فقال لهم: وإن يكن. فقتلوه واستاقوا الإبل أمامهم إلى العقيق. واستاء الشيخ تق من عيسى وهرب بقبيلته إلى ضواحي مصوع خوفاً من غزوة أخرى. ولكن المنية عاجلت الشيخ عيسى وتوفي في المكان المسمى «عيسى درهيب» غرب العقيق ويوجد على قبره عمود حجري طويل مثل المسلة.

❋ ❋ ❋

---

(١) كان البهدور مثل أهل سواكن يدفعون عوائد قطعان على ما بالجزيرة من المواشي غير تابعين لأي نظارة.

(٢) كانت البهدور تسكن العقيق.

## بهدور

كان أهل جزيرة بهدور تابعين لجزيرة سواكن مثلهم في ذلك أهل جزيرة دهلك التابعين لمحافظة مصوع. وليس لسكان هاتين الجزيرتين أي اتصال بأهل البادية إلا ما كان في أواسط القرن التاسع عشر حيث فتحت مدينة كسلا سنة ١٨٤١م، فسميت كل هذه الأنحاء بما في ذلك بلاد الصومال «شرقي السودان» وكان يحكمها حكمدار «أيام ولاية الخديوي إسماعيل باشا» حوالى سنة ١٨٧٢م. وألقيت مقاليد جزيرة بهدور إلى مأمور يساعده على حكمها الشيخ عبداللطيف علي شابل، ثم بعده الشيخ عبدالرحيم إلى أن توفي بلسعة ثعبان وهو ذاهب إلى «دِقي كنتيباي حباب» فخلفه على العمودية[1]، صديقه عثمان طَوْراي. وانتظمت له أمور الجزيرة ولم يجد مزاحماً على المنصب حتى شب الشيخ علي شابل «أكبر أنجال عبدالرحيم» فأخذه معه وسافر به إلى مدينة سواكن وقدمه إلى المحافظ وذكر أنه كان يتولَّى الوظيفة بالنيابة عنه لحين إدراكه سن الرشد إذ أوصاه والده أن يكون وصياً عليه. واستشهد عثمان بأمر الأرتيقة الذي كان متفقاً وإياه على كل ذلك. ووافق المحافظ وعين علي شابل في وظيفة والده (الشيخ علي شابل عبدالرحيم) الذي حال ولايته رحل بمنزله من الجزيرة ورحل إلى عدوبنة بعد أن اتفق مع إدريس جمع علي يانقي من العجيلاب على زراعة أراضي عدوبنة، فنجحت زراعته نجاحاً تاماً.

وكان أصحاب المواشي من البهدور يسكنون بها مع أخوالهم العجيلاب. واستمرت البهدور على هذه الحالة وتسلل عقلاؤها من الجزيرة إلى عدوبنة شيئاً فشيئاً. وفي عمودية شابل حوالى سنة ١٨٦٨م، حدثت مشاجرة في سواكن بين الشيخ علي بكيت بك هُمدّ[2] والقبطان المهدي محمد أحمد أبو بكر[3]، وادعى الأول أن البهدور تابعة لنظارة دقلل بني عامر وأنها من عموديات العجيلاب هي والأفلندة التي ترعى في أراضيه.

(١) كان أولاده صغاراً فأوصى صديقه المذكور بهم.
(٢) هو نائب دقلل حامد بك محمد فهو شيخ مشايخ القنوب.
(٣) قبل ظهور الإمام محمد أحمد المهدي.

فأجابه المهدي نحن مثل الأرتيقة أهل سواكن لا نتبع بني عامر إلا إذا هم اتبعوا نظارة الهدندوة، وتفاقم الخلاف بينهما حتى رفع المهدي شكواه إلى ممتاز باشا «محافظ سواكن»، فدعا الباشا الشيخ علي بكيت ومهدي ونظر في أقوالهما ووعدهما بأنه سينتدب مندوباً من قبل وزارة الداخلية المصرية لينظر في قضيتهما. قال الذي روى لي هذه الحادثة: إن مهدي قال له: اتفقنا مع المندوب على أن ندفع له مائة ريال (١٠ج) فكتب لنا المندوب صورة عرضحال فأخذناها إلى كاتب العرضحالات فنقلها لنا ودفعنا له نصف ريال ثم عدنا إلى المندوب بالصورة والعرضحال، فأخذ الصورة ومزقها وقال لنا: قابلوني بعرضحالكم هذا في جمعية «حملاييب» عند شيخ القنوب علي بكيت، وسافر المندوب براً عن طريق توكر. وسافرنا نحن بحراً إلى العقيق. ووصل المندوب قبلنا بيوم. ولما جئنا في اليوم الموعود بعد أن تكامل اجتماع المشايخ قدمنا إليه العرضحال المعلوم فقرأه، ثم أعطاه لكاتب الشيخ علي بكيت المدعو «حمد النور» (من القَدِين) فقرأه على الجميع، فقال الشيخ علي بكيت: «هذه الحجج القوية والبراعة في الكتابة لم يسلم منها رجال الحكومة أمثالكم، وأنا سأبلغ الأمر لدقلل حامد بك وانفض الاجتماع. وسافر كل من الحاضرين إلى مقر عمله. وفي السنة الثانية حضر دقلل حامد بك بنفسه وألقى القبض على مهدي محمد أحمد وقيده بالسلاسل[1] هو والشيخ علي شابل عبدالرحيم، وحرض جنوده لأخذ كل ما يقع تحت أيديهم من أموال البهدور. فانتزعوا منهم كل شيء حتى البضائع التي كانت في دكاكينهم وحوانيت غيرهم. فوقعوا في حيص بيص، وتشائموا بالشكوى وخصوصاً التجار وأصحاب المواشي فإن استيائهم من المهدي كان عظيماً. وسافر همد كلواناي[2] (شقيق مهدي) وعبداللطيف

(١) بعد وصول دقلل إلى أم مكبان أتاه من العقيق الشيخ عثمان سلطان من طورة أحد تجار البهدور الكبار ودفع إلى دقلل ثلاث جواري هدية فأمر دقلل إخلاء مهدي. في سنة ١٩٢٥ زرت عمدة طورة في آكات بإرتريا سألني عن آل عثمان سلطان فأخبرته عن أحوالهم وأكرمني جداً.

(٢) أصل اسمه حامد محمد حمد أبو بكر وكان غنياً جداً وكذلك عبداللطيف عبدالرحيم.

عبدالرحيم «أخو علي شابل» إلى سواكن سنة ١٨٧٠ وقدما شكوى إلى ممتاز باشا الذي أرسل خطاباً إلى دقلل حامد كي يحضر إلى سواكن ومعه علي شابل ومهدي. فحضروا جميعاً إلى سواكن، ووقف جيلاني بك أرتيقة «صهر دقلل حامد» في صف البهدور لأن بعض محلات تجار الأرتيقة قد نهبت ظناً من جنود دقلل أنها ملك لتجار البهدور. فحكم ممتاز باشا برد كل ما أخذ منهم وأعلن أنها من الآن فصاعداً أصبحت تابعة لمحافظة سواكن رأساً، وذلك بناء على تعليمات وردت إليه من مصر فقال دقلل: نحن لا نخالف الأوامر الحكومية ولكننا أصحاب حقوق في كل ما يخرج للبادية أو البهدور إذ لهم الخيار في البقاء أو الرحيل إلى سواكن. أما إذا خرجوا للبر فإن مشايخي يأخذون منهم الضرائب كما يأخذ موسى بك إبراهيم «ناظر الهدندوة» من كل ما يخرج من سواكن. وبعد أيام سافر ممتاز باشا ودقلل حامد بالباخرة «جعفرية» إلى مصوع[1] ومنها توجه دقلل إلى كسلا ورفع شكواه إلى سمو الخديوي رأساً. وكان موسى بك ناظر الهدندوة بمصر سنة ١٨٧١م، وقد ذهب إليها شاكياً من ممتاز باشا أيضاً إذ جعل الشيخ عبدالقادر أبو زينب الكميلابي «والد الشيخ محمد عبدالقادر ناظراً على كل القبائل الضاربة خيامها حول جبال سواكن وتوكر وسكنات. وسئل موسى عن حقيقة أعمال ممتاز باشا[2] فأجاب بحكمة وتحفظ كانت نتيجتها تعيين ممتاز باشا حكمداراً عاماً على السودان وقبلها بمدة تعيين مسنجر باشا حكمداراً على شرق السودان. فأمر الأخير البهدور حوالى سنة ١٨٧٢م، أن يرحلوا من الجزيرة وعدوبنة إلى العقيق لأنه ميناء جميل الموقع. فرفض الأهالي الامتثال لأمره إلا عمدتهم. فأمهلهم عاماً كاملاً فرفضوا. فأرسل إليهم قوة من العساكر رحلتهم إلى العقيق بالقوة «من لم يخضع بعصا موسى خضع بعصا فرعون» فامتثلوا وأقاموا في راحة تامة وعلموا قيمة الميناء التجارية. وفي سنة ١٩٣٩م، أخلوا العقيق ثانية وعادوا إلى عدوبنة وصار سكانها جميعهم من أبناء حضرموت ثم ارتحلوا بسبب حوادث الشفتة سنة ١٩٤٥م.

---

(١) طاف ممتاز باشا على سواحل البحر الأحمر والصومال.
(٢) ذكرنا خلافهما في «الهدندوة».

كان الشيخ علي شابل كثير التفاني في حب عدوبنة حتى أنه ادعى في إحدى السنين ملكيتها واشتبك مع الشيخ أكد محمد «عَح موسى». ولكن الأخير قال له: إن المسألة بسيطة «هل ترضى أن تحتكم إلى دقلل حامد، فوافق على ذلك ولما حضر دقلل في الشتاء تقدما إليه بقضيتهما. فطلب دقلل من عميد العجيلاب الشيخ علي ضرار إحضار المؤرخ والشاعر الكبير محمد عيون ابن عجيل فأحضره بعد أسبوع، وعين يوم جمعة للفصل. وأمر دقلل أن تحضر جميع القبائل، فحضرت. ثم سأل محمد عيون عن طريقة الفصل في قضيتهما، فقال محمد عيون: إن الأراضي البني عامرية مقسمة منذ سنين، وكل قبيلة تعرف أراضيها منذ أقدم الأزمنة وأنشد القصيدة الآتية:

«عَدِبْ إِنْتِلْ دَقَلّْلْتَ أَرَاكَبْ وفُوجَه».

(أراضي عيدب هي ملك لنظار بني عامر وجمعيات الفونج)

«دينَبْ إنْتِلْ عَدْ إبراهيم أَمْعِلْ لَقَاشَّه قَيُّوشَه».

(زينب تخص أولاد إبراهيم يوم يفخرون بإكرام الضيوف).

«ودْ دِهِرا إنْتِلْ هَدِدِيتُو قَبِر حسن ود موسى».

(ولد دهرا تخص عائلة هددي حيث فيه قبر جدهم حسن بن موسى).

«قِرَازْ إنْتل عد عِمِرتُو وعَنْدَلْ على ود موسى».

(قرار ملك أبناء عمر وعندل لعلي بن موسى).

«قمْرُته إنْتل عد هاسري الدنيا أَكَيْ حاروسة».

(قمروتة ملك لأبناء هاسري ولكن الدنيا تغيرت).

«شَلَقْ إنْتلناتُو بِرِك إبَّ أَقْروشة».

(سواحل البحر الأحمر هي ملك لنا «العجيلاب» بنباتها الجميل اللذيذ)

«جَدِيرة إنْتِلْ بَهْدُورْتَ إب دَوَنَّكْ حَيُّوسة».

(الجزيرة «ابن عباس» ملك للبهدور ويذهبون إليها بسنابيككم الشراعية).

«عَدُوبَنَة عَدْ الشِّيك إنْتِلْ أُكُدْ وموسى».

(عدوبنة هي ملك أبناء بنت الشيخ ملك أكد محمد وموسى أخوه).

سمعت من أحد ثقاة البهدور يروي عن همد كلواناي أنهم سافروا بسنابيكهم[1] إلى مصوع، وبعد أيام قال كلواناي: اتفقنا على زيارة القطب الرباني والسيد الجليل الشيخ محمد بن علي في قريته بإمبيرمي. فلما سلمنا عليه سألنا عن أنسابنا. فبدأ بسؤال محمد كجراي. فقال له: أنا من جنود الطوبجية التركية وعربي حجازي من مدينة أَمْلِج، بعد ألمدة نزلت رديف وأقمت مع البهدور أزاول التجارة. فقال له: صدقت، ثم سأل عبداللطيف عبدالرحيم فأجابه: إنهم يقولون: إننا جعليون والله أعلم، فقال له: كلا بل أنتم من بقايا ملوك الحدارب[2]، ثم سأل علي موسى أَسَنَّاي «انقرضت ذريته» فقال له: «أنا من الدِّريبَابْ» فقال له: كلا بل أنت من «عِلْمَنْ» أرتيقة ذرية الشريف علم الدين أمير سواكن ووالدتك من الدريباب سكاب دِرْبَابْ، والدريباب هم ذرية على أوشاش وأبناء هُمَّدْ دِينْ، وهم من بقايا البَلَوْ. ثم سأل بحراي بن صديق بن دار شيخ فقال له أنا من الدريباب؟ فأجابه: كلا أنت من ذرية رؤساء بيت بَعَشُّو. وسأل همد آدم فقال له: دريباب، فقال له: كلا أنت من بيت عوض البكريين أبناء عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق وأخوانك السيقولاب والعجيلاب «ملهيتكناب». فجاء الدور على همد كلواناي قال: فقلت له: «لا أدري شيئاً عن نسبي وشيخي أعلم به مني. فقال له: أنت من بقايا البلويب، وأمك بنت الشيخ ضرار عجيل، وجدك الشيخ محمد البدوي[3]، وقال لي: ما رأيك في هذا؟ فأجبته أنهم يقولون ذلك. ثم استأذنا في الذهاب. ويضاف إلى هذه العائلات بعض أفراد اندمجوا فيهم من عد قَبِّيء أمثال الشيخ سليمان علي قاضي البهدور وعثمان دَنْبَرْ طَوْرَة وكلاهما من أَلْمَدَة، وسرور وهو من بيت معلا.

---

(١) قيل: إنهم كانوا خمسة سنابيك.

(٢) يطلق هذا الاسم على قبيلة «بلي» وفي جهة بني عامر يطلق على كل من يتكلم العربية وكذلك في كتب التاريخ.

(٣) طبقات ولد ضيف الله «الشيخ محمد فايد الشريف».

ولفيف من كرباب وقاسماب الأرتيقة الذين أمهاتهم من العجيلاب أمثال آل همد محمود وآل وحبة ويجاورهم الكميلاب والأشراف. وكان موطن البهدور قبل العصور الحديثة «عيسى درهيب» على بعد ميلين غرب العقيق وكان أكثرهم ممن تخلفوا من مملكة «البلويب» الذين كانوا يصطافون في خور بركة ثم من عيسى درهيب إلى دِرْبَابْ وهو الرأس المستطيل الواقع بين العقيق وعدوبنة، ثم عبروا منه إلى جزيرة ابن عباس لما كثر عليهم أذى بني عامر.

❋ ❋ ❋

## علي شابل أيام المهدية

في عام ١٨٨٤م، حالما سقطت توكر واستلمت إدارتها حكومة المهدية الوطنية، دعا السيد علي طويل مأمور العقيق عمدة البهدور الشيخ علي شابل كي يأمر الأهالي بالرحيل إلى جزيرة ابن عباس فرحلوا إليها جميعهم. وقد بنى علي طويل حوضاً كبيراً لخزن الماء يكفي سكان الجزيرة نحو ثلاثة أسابيع. وكانت تمونهم الباخرة «جعفرية» أو «مخبر» من سواكن وهما محملتان بالماء والطعام حتى ١٨٩٧م، إذ استردت الحكومتان «المصرية والإنجليزية» مدينة توكر. فخرج الشيخ علي شابل بعد ذلك إلى عدوبنة. وكان هرماً، وتسلم منه أعماله ابنه الشيخ محمد علي شابل حتى توفي. وفي أيام علي شابل الأولى زار إيتَلِيلي «عاصمة قبيلة معلا» لفيف من تجار البهدور لشراء سمن وعسل وجلود وبيع ملابس ومصاغات ذهبية وفضية. وكان على رأس هؤلاء التجار آدم محمد أحمد، وجابر أمان اليمني، وإدريس همد محمود[1] الأرتيقي، وابن عمه همد وجيه ومحمد عبدالكريم عبدالرحيم، وكان عمد بيت معلا الشيخ «محمد إدريس» يتفرس في وجوههم وكل حركاتهم وأعمالهم. فسئل عنهم آدم محمد يخطئ ويصيب، أما جابر فقد

---

(١) لما توفي جيلاني بك أرتيقة سعى المذكور في تولية محمود بك أرتيقة إدارة سواكن.

أنجبت أمه[1]، وإدريس همد يسود أهله ما دام حياً، وهمد وجيه ومحمد عبدالكريم عبارة عن آلات لا تسير إلا بمحرك، وقد صحت فراسته كلها.

❋ ❋ ❋

## الشيخ محمد علي شابل

تولّى بعد وفاة والده سنة **١٩٠٤**م، وكان طيب الأخلاق لم تصدر منه أي إساءة لأحد من البشر «وأنه كريم ما سَب قط ولا سُبَّ». واشتكته البهدور إلى مدير المديرية، فطلبوا عزله وتولية أخيه جعفر[2] الذي حصر همه في التشفي ممن كانوا سفراء سوء بينه وبين أخيه. فشكوه وطلبوا إرجاع أخيه محمد علي، فوجدوا موافقة عامة. ولذلك عاد محمد علي إلى مشيخته وبقي فيها حتى توفي سنة **١٩٢٤**م[3]، ثم خلفه على العمودية ابن عمه علي عبداللطيف بن عبدالرحيم.

❋ ❋ ❋

## الشيخ علي عبداللطيف

كان هو العمدة اسمياً ولكن كان يسيِّر القبيلة بمشورة أخيه الشيخ محمد عبداللطيف حتى ظهرت إرادته الضعيفة لكل إنسان وتألبت عليه عائلة الدرباب والبلو وطلبوا عزله. فلما نجحوا ولّوا مكانه ابن عمه الشيخ علي عبدالكريم وكان لا يستعمل الشدة معهم ولا الحزم.

وفي سنة **١٩٤٩**م، انتقل إلى جوار ربه رجل بهدور الشهم الشيخ

---

(١) كان من حملة القرآن وقد درس المرحوم خالي إدريس بك محمد على أخيه الشيخ عمر بجزيرة ابن عباس.

(٢) كانت مدة عموديته ثلاث سنوات.

(٣) ولم يرق رحيل المشيخة إلى بيت الأخير. كل أهل جزيرة ابن عباس ومن يسكن معهم يندر وجود من لا يحفظ القرآن بينهم، ولما ظهرت المدارس دخلوها زرافات ووحداناً.

محمد بن عبداللطيف الذي قضى باقي حياته في المطالبة بحقوق البهدور والبحث عن أنجح الوسائل للخلاص من نظارة بني عامر التي امتدت على البهدور بسبب رحيلهم من الجزيرة حتى تعود لسابق انفصالها كأهل سواكن ودهلك «جزيرة مصوع». واتفق مع ناظر بني عامر على استرداد حقوقهم التي نالوا بعضها، وبينما هم في طريق استرداد البعض الآخر حدثت بينهم خلافات أدت إلى عدم توحيد كلمتهم.

❋ ❋ ❋

## الشيخ علي عبدالكريم
## ١٩٢٧ ـ ١٩٣٧م

كانت البهدور مستقلة عن نظارة دقلل بني عامر بعد مشاجرته للقبطان مهدي محمد أحمد حتى تولّى العمودية الشيخ علي عبدالكريم الذي اشترط عليه الناظر إدريس صالح بأن يكون تحت نظارة بني عامر وإلا اعترض على مشيخته. فقبل الشيخ علي عبدالكريم لئلا تذهب العمودية من بيته. وكان يسكن مع البهدور أفراد من عدة قبائل رجعوا إلى قبائلهم سنة **١٩٤٨**م، ولم يبق معهم إلا جماعة من أبناء عمر (نابتاب)، وكانت لعمدة البهدور رسوم على كل طرد يرد من البحر إلى العقيق، ولكنهم تنازلوا عنه وعن غيره من الحقوق في صك كتبوه احتج عليه المرحوم الشيخ محمد عبداللطيف ومنع البعض من التوقيع عليه، وقال: إنه يسلب حقوقنا ونندمج في العجيلاب. وفي سنة **١٩٤٢**م، تولّى الشيخ عبدة علي عبدالكريم وكيلاً لوالده فلما توفي تولّى العمودية رسمياً.

## الشيخ عبدة علي عبدالكريم

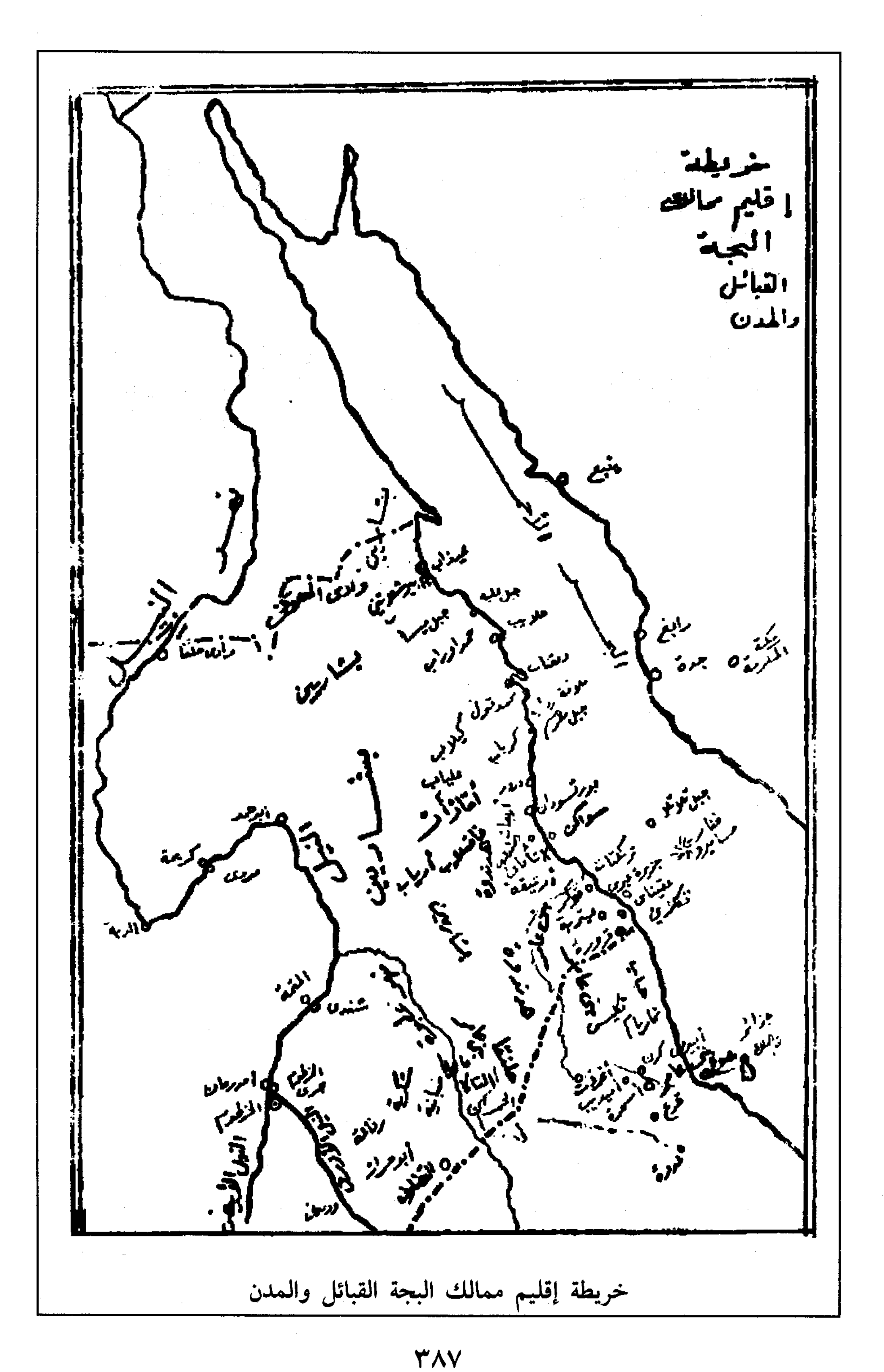
كان طيب القلب هادئ النفس يتمنى أن تعود للعقيق أيامه التجارية السابقة ولكن المرض لم يمهله فتوفي سنة **١٩٥٩**م، وخلفه على المشيخة أخوه.

❋ ❋ ❋

وهو لا يقل عن أسلافه، وفي أيامه بدأت الحكومة في إنشاء رصيف ترسو عليه السفن الشراعية. ولهم أمل كبير أن تجد شركة «أجِبْ» للبنزين عند تنقيبها في جزيرة ابن عباس «بهدور».

**وإلى هنا انتهى الحديث عن قبائل بني عامر**






خريطة إقليم ممالك البجة القبائل والمدن




بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## مقدمة لتاريخ

## قبائل الأمَّارْأرْ - والبِشاريّين

الحمد لله الذي سخرنا للبحث عن تاريخ عموم قبائل البجة التي نحن بعض أفرادها الذين لقوا كل مساعدة منها، والصلاة والسلام على أبي القاسم الزاكي سيدنا محمد ﷺ.

وبعد، فهذا التاريخ معرب، لأنني أخذته وحوادثه من أفواه الناس الذين لا يعرفون العربية إلا القليل منهم.

وكثيرون من الكتاب والقراء ينكرون على بعض قبائل إقليم البجة العروبة سواء أكانوا من العرب أو الإفرنج ويعتبرون عموم السكان هم البجة الأصليون المذكورون في كتب التواريخ وذلك لجهلهم بلغتهم وعاداتهم وأخلاقهم وكل ما يكتبون مبني على الحدس والتخمين ونحن لا نأبه به، ولا نعتمده لأننا نعلم من هم البجة وأين مساكنهم وأسباب رحيلهم ونزوحهم من ديارهم الأصلية. ونعرف قبائل كبيرة لا يقل تعدادها عن عشرات الألوف ولكنها أصبحت اليوم في ظرف خمسين عاماً لا يتجاوز

عددها ثلاثمائة شخص مثل دقة عد هاسري، ودقة عد الشيخ، ودقة أم كلواتي. . . إلخ. أما الذين يدوِّنون ما يسمعون وهم يجهلون لغتنا البجاوية «تبداويت»، أو «التيجرية» وهي التي تنسب إلى الحباب وبني عامر فإنهم مهما أوتوا من المترجمين، أو حفظوا من الكلمات، فإنهم يجهلون أصولنا وفروعنا، ولن يجيدوا لغتنا ما لم تكن أمهاتهم بجاويات. فالكاتب عن قبائل البجة (إقليم البجة) الذين تبدأ حدودهم شمالاً من حلاليب وبئر شلاتين، وتنتهي جنوباً عند مدينة مصوع، وغرباً على حدود أبو حمد وبربر، وشرقاً بالقضارف والحبشة، يجب أن يتكلم اللغتين بطلاقة، ويتغنى بأشعارها، ويتمثل بأمثالها ثم يكتب ما يشاء، وتكون كتابته على علم ودراية وخبرة ومعرفة. لقد تيقنت من معرفة أصول كل القبائل، ولذلك سأكتب عن قبائل الأَمَّارْأَرْ والبشاريين[1] وأخوانهم من كان حدود البجة الشمالية غير مرتبات في عروبتهم أو قرشيتهم مما لدي من الأدلة العلمية الماضية، والله هو الهادي إلى الصواب.

محمد صالح ضرار



---

(١) ما أكثر معادن الذهب والزمرد والحديد والمنجنيز والمايكا والفضة بديار هاتين القبيلتين. والكتب التاريخية وحوادث من سبقونا من الأمم تروي كيف كانت الحروب بين قبائل البجة والفراعنة والبطالسة والرومان والعرب أخيراً بسبب هذه المناجم الغنية. وقد نالت الشركات الإنجليزية بعض امتيازات التنقيب ثم تنازلت عنه.



# الأَمارأر و(البشاريين)

## AMMR-AR

(أَمْارْأَرْ) كلمة بجاوية مركبة من كلمتين: أَمْارْو تعريبها: عَمَّار: و: آرْ: ومعناها «أفناء»، وفي لغة البجة تنطق: العين: ألفا: وفي لغة البجة كما في بعض اللغات غير العربية تقدم الصفة على الموصوف، ويقدم أيضاً الفاعل على الفعل. ويعرَّف المضاف في كثير من لهجات شرق السودان «وخصوصاً في التيجرية والبجاوية والتجرينية... إلخ». فالأمارأر هم إحدى قبائل إقليم البجة الشهيرة التي تسكن حول سهول وجبال ما بين سلوم وبورتسودان حتى سواحل رواية ومحمد قول[١].

ويتصل نسب الأَمَّارْأَرْ والبشاريين بالصحابي الجليل الزبير بن العوام القرشي حواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبدالمطلب وقد جاء في دائرة المعارف الإنجليزية أنهم ينتسبون إلى قريش، وأنهم من سلالة الجيش العربي الفاتح، كما أنهم من الفرق العربية القرشية التي اكتسحت هذه الديار، وكانت سبباً في هداية أهلها إلى اعتناق الدين الإسلامي.

واجتمعت بكثيرين من شيوخهم «الأَمَّارْأَرْ والبشاريين والعَامْرَابْ والمَرْغوبَابْ» وكلهم ذكروا لي أنهم: زبيرية، من ذرية محمد بن وراق[٢] الذي ينحدر من صلب محمد بن مصعب بن الزبير بن العوام، فاعتمدت

(١) يسكنون بين قبيلتي الهدندوة والبشاريين.

(٢) البيان والإعراب للمقريزي «طبع حمد باشا الباسل».

قولهم هذا لأنني وجدته في كتب العرب والأفرنج، وكلهم يؤَيدون هجرة ذرية المذكور حتى ابن بطوطة ذكرهم في رحلته وقال: إنهم من بني كاهل[١]، وسنفصل ذلك فيما بعد.

ولم يشذ عما ذكرناه من النسب الزبيري إلا قنصل بريطانيا بسواكن حوالى ١٨٨٣م، المستر دونالد كامرون Mr. Donald Cameron الذي طاف مع صديقه الشيخ السيد يس عثمان بدري إذ ذكر في مقاله: مع قبائل شرق السودان On the Tribes of The Eastern Sudan في مجلة المعهد العالمي البشري:

«إنهم من نسل سيف الله خالد بن الوليد» وهذه رواية ضعيفة جداً لأن المقريزي قال في البيان والإعراب: إن علماء الأنساب اتفقوا على انقراض عقب خالد بن الوليد. وأيد ذلك رفيق بك العظم في كتابه «أشهر مشاهير الإسلام» عن كتاب «أسد الغابة» إن ولد خالد انقرضوا وورث دورهم بالمدينة أبناء أبي ذويب[٢]. وكذلك قال السمرقندي[٣] مثل كامرون خطأً. فتمسك السمرقندي باعتماد الكواهلة خوالدة «وعموماً الحسنات والحسانية والعبابدة والأمارأر والعمراب[٤] والبشاريون والمرغوباب والمسلماب وإخوانهم زبيرية من نسل عبدالله ومصعب وعروة. . . إلخ»[٥].

وها أنا سأقدم تاريخ حياة مصعب بن الزبير لأبناء الأمارأر والبشاريين وإخوانهم المذكورين أعلاه[٦].

❋ ❋ ❋

(١) نجد هذا الاسم في الزبيرية من بني أسد.
(٢) ورثها أيوب بن سلمة.
(٣) توجد لدي منه نسخة خطية.
(٤) انضموا إلى قبائل بني عامر والحباب وبعضهم اندمج في أهل سواكن.
(٥) رسالة الجنوب بعدد حضارة السودان عدد ١١١٧ بتاريخ أول أكتوبر ١٩٣٢ صاحب الفضيلة الشيخ أحمد عثمان القاضي.
(٦) وكل من ينتمي لهذا الرهط.

## «مصعب»

هو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد أحد أعلام التابعين الذين امتازوا بالشجاعة وعلو الهمة من بني أسد، وقد ولد في **٣٤** هجرية. وأمه هي أم الرباب بنت أنيف بن عبيد من بني كلب وشقيقته هي «رملة بنت الزبير» التي أبت الاقتران بعبدالملك بن مروان بعد قتله مصعباً[١].

### نشأته:

نشأ مصعب بالمدينة المنورة، وكان صديقاً حميماً لعبدالملك بن مروان، وكانا متخذين دار امرأة من نساء المدينة يقال لها: «حبي» منتدى يجتمعان فيه. ولما قتل مصعب أخبرت بوفاته فقالت: «تعس قاتل مصعب» فقيل لها: قتله عبدالملك. فقالت: «وا بِأَبي القاتل والمقتول»[٢]، وقد اتصف بالمروءة والكرم منذ نعومة أظفاره.

❋ ❋ ❋

## «ملخص ثورة ابن الزبير»

ثار عبدالله بن الزبير على حكم بني أمية بعد وفاة الحسن بن علي رضي الله عنهما، فبعث إليه يزيد بن معاوية جيشاً، ثم مات يزيد قبل أن تضع الحرب أوزارها. فخلا بوفاته الجو للزبيرية وبايعه أهل الحجاز. وانقسم أهل العراق وبعض من أهل الشام. فبعث أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير عماله إلى الأمصار التي بايعته وانتدب أخاه مصعباً لغزو فلسطين وسوريا.

فسار مصعب ومعه الجيش حتى يدرك بني أمية قبل أن يتحدوا على من يولونه بعد معاوية الصغير. ولكنهم اتفقوا وولوا مروان الإمارة،

---

(١) قيل: إن أرملة وفدت على عبدالملك في قضية بينها وبين سكينة بنت الحسين، فقال لها: إن عروة أخاك حال دون زواجي بك. فقالت له: إنه خشي عليك مني لئلا أقتلك أخذاً بثأر أخي مصعب. «الأغاني».

(٢) ابن الأثير.

وانتصروا على شيعة ابن الزبير بالشام قبل مجيء مصعب. ولما دنا منهم مصعب تلقوه بجيوش كثيرة يقودها عمرو بن سعيد، فاضطر أن يلتزم خطة الدفاع لئلا يفنى جيشه. فعاد به وخسائره طفيفة.

❋ ❋ ❋

## ولاية مصعب على المدينة المنورة

كانت ولاية المدينة بيد أخيه عبيدة بن الزبير منذ جلاء بني أمية عنها سنة ٦٤هـ. فسمع عبدالله بن الزبير أن أهل المدينة يتهكمون على أخيه عبيدة ولا يحترمونه حتى أضحوا يسخرون من كلامه ويهزأون بخطبه وأوامره. ومن ذلك أنه قال وهو على المنبر: «قد ترون ما صنع الله بقوم في ناقة قيمتها خمسة دراهم». «فسموه مقوم الناقة». فأمر عبدالله بن الزبير مصعباً أن يسير إلى المدينة ويخلف عبيدة الذي انتشر عنه ضعف الإرادة. فأقام عاملاً عليها من ٦٥هـ حتى أواخر سنة ٦٦هـ بما عرف عنه من الحزم، حتى كانت ثورة المختار على أخيه أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير، وها ملخصها ليعلم القراء وخصوصاً الزبيرية الجهد الذي بذله صاحب الترجمة حتى وفق لإخمادها والقضاء على صاحبها وشيعته، حتى ينسبه كهولهم وشبابهم بأسلافهم الفطاحل الذي يقول فيهم الشاعر:

فمن جدودي لآبائي الألى لأبي إليَّ مني وأحمله إلى ولدي

فيا شباب الأمارأر والبشاريين والعامراب إنكم وإن كنتم في مؤخرة قافلة العلم، فلا ريب أنكم مدركون وسائرون في ركبها يوماً ما.

❋ ❋ ❋

## ثورة المختار

في يوم ١٤ ربيع الأول سنة ٦٦هـ، ثار المختار بن أبي عبيد علي أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير واستولّى على الكوفة. وبعد قتال أخرج منها عامله

(عبدالله بن مطيع) ودعا الناس إلى بيعة الإمام محمد بن علي بن أبي طالب المشهور بابن الحنيفية. وانتشرت دعوته، وكثر أنصاره، وبعث العمال إلى أرمينيا والموصل والمدائن، وأرسل المثنّى بن خارجة العبي إلى البصرة ليأخذ له البيعة من أهلها. فأجابه الرجال من قومه وغيرهم، وطمع بعد كل هذا في أن يستولي على المدينة المنورة التي كان عليها مصعب، فأنفذ إليها جيشاً، كتب لابن الزبير أن غرضه من إرسال هذه السرية هو غزو الشام. ولم تنطل حيلته على عبدالله ابن الزبير، فندب إليه جيشاً مثله وتقابل الجيشان بغرب المدينة. فطلب قائد المختار أن يدخلها، فمنعه قائد ابن الزبير، وحملا على بعضهما بعضاً. فانهزم جيش المختار وقتل قائده وعاد الزبيريون إلى مكة المكرمة منصورين. وفي الحال طلب ابن الزبير من ابن الحنيفية أن يبايعه هو وأنصاره وكانوا بمكة المكرمة. فامتنعوا، فوضعهم في السجن بزمزم، وتوعدهم بالقتل، وضرب لهم أجلاً إن لم يبايعوا قبله أحرقهم. فكتب الإمام محمد إلى المختار طالباً أن ينجده. فبعث لهم المختار حيث أدركهم قبل حلول الأجل بيومين وأخرجهم من السجن.

ولولا كراهية الإمام محمد للقتال لسفكت دماء المسلمين، ولنشب بين الجيش قتال عنيف. فرحل محمد بأصحابه إلى الطائف وسير مصعب بن الزبير الحارث بن عبيد الله بن أبي ربيعة عاملاً له على البصرة. وكان مركز المختار قوياً جداً بين أهل الكوفة وأكثرية أهل البصرة. فلما دنا الحارث من البصرة، قال المختار لجماعة من أهلها: أخرجوا إلى هذا المغرور فردوه. فخرجوا إليه وأنذروه بالقتل ما لم يعد. فعاد إلى مكة وأرسل المختار كتاباً إلى ابن الزبير يذكر فيه عودة الحارث بعد أن قرب من محل عمله بلا داع. فغضب ابن الزبير ورده. فلما بلغ محله السابق عمل معه نفس الفصل السالف. فعاد وكتب المختار مثل كتابه الأول. فلام ابن الزبير عامله، حتى كانت الثالثة، فطن ابن الزبير لدهاء المختار وسوء ما يضمر. وعلم بذلك المختار أيضاً وكاشف الناس جميعاً بعقيدته الحقيقية التي طالما كان يخفيها حتى يأتي أوانها فجاهر بها صراحة وكتب إلى ابن الزبير:

«من المختار بن أبي عبيد الله الثقفي خليفة الوصي محمد بن علي بن أبي

طالب أمير المؤمنين إلى عبدالله بن أسماء»[١]، ثم ملأ الكتاب بنسبه ونسب أبيه، فغضب ابن الزبير من جرأة المختار على هذه الوقاحة، وتيقن أن المختار وشيعته نكثوا بيعته، وبحث مفكراً في عماله عمن ينتدبه لمحو هذه الإهانة التي لحقته. فلم يجد من يقضى له على المختار وحزبه الآخذ في الازدياد إلا أخاه مصعباً المشهور بشدة الحزم ومضاء العزيمة بين فتيان قريش. وقال عنه الدكتور زكي مبارك في كتابه (حب ابن أبي ربيعة): إن مصعباً يمثل الفتوة العربية أصدق تمثيل.

ولا أعرف شيئاً أحب إلى النفس من الحديث عن أولئك الفتيان الغطاريف الذين ملأوا الدنيا بأخبار البأس والجود، ويكفي في الإشادة بذكر ذلك الفتى أن يعرف القارئ أنه أعيى عبدالملك بن مروان وعناه.

وقلَّ أن يجد القارئ في كتب التاريخ من لا يذكر شجاعة مصعب وإخوانه عبدالله وعمرو والمنذر الذين أتوا من ضروب الفروسية ما سارت به ركبان ذلك العصر في الآفاق. وقد ورثوها من والدهم الزبير بن العوام فارس قريش إذا ركب. ويكفيك ما أتاه كل منهم من الثبات ورباطة الجأش أمام خصمه حتى فاضت أرواحهم على أسنة الرماح وظباة السيوف. ولم يهموا أو يحاولوا الفرار قط. وكان إذا عرض على أحدهم الهرب يمتعض ويتأفف من سماعه، ويرى أنه بئس التراث الذي يخلفه لبنيه وأحفاده من بعده. وها هي قد دارت الأيام دورتها، ومضت الحقب والسنون، وشاهدنا هذه الخصال في أحفادهم الذين نجاورهم في هذا الإقليم، إذ انتشرت عن هؤلاء الأبطال البجاويين البطولة بكامل معانيها فيهم وخصوصاً في حوادث الحرب الاستقلالية. ونال أخوال الملك عثمان ابن الشيخ عجيب (السادة الكميلاب) من حسن الأحدوثة والتضحية بالنفس والنفيس في آبار إنْدِتِّيبْ، بقرب ميناء طوكر سنة ١٨٨٤م، كيف ساروا بخبر لهم هنالك للقاء القائد بيكر باشا وجنوده وهزموه هزيمة نكراء. وكان النصر معقوداً لواؤه تحت راياتهم[٢].

---

(١) لم أتمكن من العثور على متن هذا الخطاب في مكتبتي.

(٢) هؤلاء الكميلاب يعتمدون في قتالهم على الصافنات الجياد إذ نجد الخيل لدى كل رب عائلة منهم حتى من يسكنون حول مدينة بورتسودان وضواحيها.

وسنأتي على وصف تلك الحوادث في محلها. ولنعد بالقراء إلى جد هؤلاء الشجعان ومصعب بن الزبير.

***

## ولايته على العراقين

لما صدرت إليه إرادة أخيه عبدالله بن الزبير كي يسير إلى المختار امتثل وسار إلى البصرة في أوائل سنة ٦٧ هـ، فقدمها متلثماً[١]، ودخل المسجد وصعد المنبر، فقال الناس: «أمير أمير» وجاء الحارث بن أبي ربيعة فسفر مصعب عن لثامه، فعرفوه، وأمر الحارث بالصعود إليه، فأجلسه تحته بدرجة، ثم قام مصعب فحمد إليه وأثنى عليه ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿طسٓمٓ[٢] ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص: ١ ـ ٤] **(وأشار بيده إلى عبدالملك بالشام)** ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾ [القصص: ٥] (وأشار بيده إلى أخيه عبدالله بالحجاز)، ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [القصص: ٦] (وأشار بيده إلى المختار بالعراق). ثم قال: يا أهل البصرة بلغني أنه لا يقدم عليكم أمير إلا حضتموه، وإني ألقِّبُ لكم نفسي: أنا الجزار[٣]. ونزل من المنبر ويمم دار الولاية فأتاه شعث بن ربعي من الكوفة هارباً من المختار وسوء إدارته ومعه بعض أشراف أهل الكوفة، فدخلوا عليه وأخبروه بما حاق بهم من الحيف والإهانة حتى وطئ عبيدهم أكتافهم، وثاروا عليهم وسألوه المروءة والنجدة، وأعلموه أنهم على أهبة الاستعداد

---

(١) ذكر صاحب كتاب الحيوان أن مصعباً كان شجاعاً جواداً حسن الوجه كالقمر ليلة البدر.
(٢) البيان والتبيين.
(٣) تاريخ الأمم الإسلامية للخضري.

لنصرته، وأنهم محافظون على بيعة أخيه ولم ينكثوها إلا وهم مرغمون. وقدم بعدهم محمد بن الأشعث أيضاً واستحثه على نصرتهم، وأن يسير معهم إلى المختار. فأدناه مصعب وأكرمه لشرفه وقال لهم: «لا أسير حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة» ثم كتب إلى المهلب عامل أخيه على بلاد فارس يستدعيه ليشترك معهم في قتال المختار. فأبطأ وأغفل[1]، واعتذر بتأخر شيء من الخراج لم يكن قد جمعه. والحقيقة أنه كاره الخروج لقتال المختار. فعرف نواياه مصعب. وكتب إليه مع محمد بن الأشعث.

فلما وصله بكتاب مصعب قال له المهلب: «ما وجد مصعب بريداً غيرك؟» فقال له: ما أنا ببريد، ولكن غلبنا عبيدنا على أبنائنا وحرمنا فأقبل مع المهلب بالجموع والأموال. وجاءه كتاب من أخيه أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير يقول فيه: «سر إلى المختار بمن معك ثم لا تبلعه ريقه ولا تمهله حتى يموت الأعجل منكما. فبعث مصعب العيون لتأتيه بأنباء المختار وبعث عبدالرحمن بن مخنف إلى الكوفة وأمره أن يخرج إليه من كان زبيرياً ويثبط سواهم عن اتباع المختار. فأدى عبدالرحمٰن مأموريته على ما يرام. أما مصعب فإنه جمع الجيوش وتكتم في أموره حتى لا تتسرب أخبارها إلى خصمه فيفسد عليه تدابيره الحربية. وأسند قيادة الفرق إلى رجال توفرت فيهم الشجاعة والخبرة التامة بخطط القتال أمثال عبيد الله بن علي بن أبي طالب ومحمد بن الأشعث وعباد بن الحصين التميمي وعمر بن عبدالله بن معمر[2] والمهلب بن أبي صفرة والأحنف بن قيس. وقد أحسن مصعب في اختيار هؤلاء الصناديد يعاونونه في قتال المختار لأنهم مشهورون بين العرب بحسن القيادة والصدق عند النزال مما يدل على علو همة مصعب وبعد نظره في السياسة والإمارة التي من مقتضياتها أن ينتخب الأمير من يثق فيهم ويرضون بالتعاون معه في المبدأ الذي يناضل عنه وتطمئن نفسه من عدم نكثهم للبيعة والعهد الذي قطعوه له.

استمر مصعب في حشد الجيوش وجمعها حتى وثق من أنها تكفي

---

(١) ابن خلدون.

(٢) قال عنه قطري بن الفجاءة «زعيم الخوارج»: إنه شجاع بطل فارس يقاتل لنسبه وملكه. وقال عنه المهلب: إنه فارس العرب وفتاها.

للقضاء على المختار وجموعه، فقادها وسار بها ميمماً أرض الكوفة بعد أن استخلف على البصرة المغيرة بن الحارث وقال له: إن لم تكن كأبيك فإنك كاف لما وليتك، فشمر وائتزر وجد واجتهد ولما وصل عند المزار[١] نصب خيامه وعسكر فيها. وبلغ الخبر مسامع المختار. فقام في أصحابه وذكر لهم استعدادات مصعب وقوة جيشه وأن لا سبيل لتأييد دعوته إلا البروز لقتاله. فوافقوه وساروا بقيادة أحمد ابن شميط حتى دنا الجيشان من بعضهما فتقدم ابن الشميط إلى عباد بن الحصين وقال له: إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله وإلى بيعة المختار ولنجعل هذا الأمر شورى في آل رسول الله ﷺ.

ورجع عباد وأخبر مصعباً[٢]، فقال له: ارجع فاحمل عليهم. فرجع وحمل على أحمد بن شميط وأصحاب واقتفى كل قواد مصعب أثر عباد وكروا عليهم كرة صادقة، فولى جيش المختار الأدباء، وقتل أحمد ابن شميط. فأصدر مصعب أمره إلى عباد أن يتعقبهم بالخيل وأيما أسير يأخذه فليضرب عنقه. وكان محمد بن الأشعث أشد على المنهزمين من أهل البصرة إذ لا يدرك قومه أسيراً إلا قتلوه فلم ينج من ذلك الجيش إلا طائفة من الخيالة، وأما الرجالة فأبيدوا إلا قليلاً. فسمع المختار خبر الهزيمة التي أصابت جيشه وموت قائده فقال: «ما من الموت بد، وما من ميتة أموتها أحب إلي من أن أموت ميتة أحمد بن شميط[٣]».

---

(١) قيل: إن رجلاً أتى إلى المختار وقال له: إن الله سيفتح فتحاً عظيماً لرجل من ثقيف عند المزار. فظن أنه هو ولكن كان ذلك للحجاج بن يوسف الثقفي في قتاله مع عبدالرحمن بن الأشعث «ابن الأثير».

(٢) كان يود ابن شميط أن يوقع الخلاف في صفوف جيش مصعب بالمفاوضات والمجادلات التي لا نهاية لها إلا إيقاع الشقاق والارتباك، وربما انضم بعض رجاله إلى دعوة المختار والذي كان يدعو للإمام محمد بن الحنفية والذي لو حضر الواقعة لبايعوه جميعهم، ولكن فطن مصعب للتحكيم وقد اختبره في واقعة صفين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ومعاوية بن أبي سفيان ولذلك ضرب برأي ابن شميط عرض الحائط. لذا استشار الصارم الذكر وحصل الحكم له فيما شجر بينهم في الخلاف ولو لم يتدرع بالحزم والشدة لاستصعفوه.

(٣) هذه العادة لا تزال شائعة بين عموم قبائل إقليم البجة بشرق السودان ولهم فيها أشعار كثيرة وحالما يبرك الرجل منهم يقول ما تعريبه: أنا فلان عقال الجيش.

أما مصعب فإنه سار خلف المنهزمين في البر والبحر الفراتي وتعقبهم في نهيراته بالسفن حتى أدركهم واستأنفوا القتال وكاد أصحاب المختار أن ينتصروا حتى بلغوا مكان القائد العام (مصعب)، فجثا على ركبتيه[١]، وبرك الناس حوله فقاتلوا وكروا على أصحاب المختار فحطموهم وهزموهم. وفي صباح اليوم التالي خرج مصعب لتفقد جيشه فقابله المهلب وقال له: «يا له فتحاً ما أهناه ولو لم يقتل محمد بن الأشعث». قال مصعب: صدقت. وكذلك استشهد عبيد الله بن علي بن أبي طالب وكنت أحب أن يشهد هذا الفتح. أتدري من قتله؟ قال: «لا»، قال: قتله من يزعم أنه شيعة أبيه (أهل الكوفة). ثم أمر قواده أن يضربوا نطاقاً شديداً في الحصار حول قصر المختار لئلا يتسرب إليهم الماء والطعام. فخرج إليهم المختار في عشرين رجلاً بعد أن حض أصحابه على الاستبسال في القتال، وتطيب وتحنط وقاتل حتى قتل. وسقط في أسر مصعب كل من كان في القصر. فأراد إطلاق العرب وقتل الموالي. فأبى عليه ذلك أصحابه. فأمر بقتلهم. وجيء إليه بحبر المكي فقال لمصعب: «الحمد لله»[٢] الذي ابتلانا بالأسر وابتلاك بأن تعفو عنا، هما منزلتان، إحداهما: رضاء الله، والأخرى: سخطه. من عفا عفا الله عنه وزاده عزاً، ومن عاقب لم يأمن القصاص. يا ابن الزبير نحن أهل قبلتكم، وعلى ملتكم، ولسنا تُرْكاً ولا ديلماً. فإنما خالفنا إخواننا من أهل مصرنا. فإما أن يكن أصبنا أو أخطأنا فاقتتلنا بيننا كما اقتتل أهل الشام بينهم، ثم اجتمعوا، وكما اقتتل أهل البصرة واصطلحوا واجتمعوا. وقد ملكتم فأسجحوا، وقد قدرتم فاعفوا[٣]. فرق مصعب لكلامه وأراد أن يخلي سبيلهم جميعاً ووافقه الأحنف.

ولكن قام عبدالرحمن بن محمد الأشعث واعترض ما اعتزم عليه الأمير وقال له: اخترنا أو اخترهم. وقال أشراف الكوفة مثل قوله. فأمر مصعب بقتلهم ولما قتلوا قال الأحنف لأهل الكوفة: «ما أدركتم بقتلهم ثأراً»

---

(١) تاريخ ابن الأثير.

(٢) تاريخ ابن الأثير.

(٣) تاريخ ابن الأثير.

وأرسلت عائشة بنت طلحة (امرأة مصعب) إليه في العفو عنهم، فوجدهم الرسول قد قتلوا. وجيء إلى مصعب بامرأة المختار (أم ثابت بنت سمرة) وعمرة بنت النعمان فسألهن عنه، فقالت الأولى: نقول فيه بقولك أنت، فأطلقها. وقالت الثانية: «رحمه الله كان عبدالله صالحاً»[1]، فحبسها. وكتب يقولها إلى أخيه أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير فأمر بقتلها فقتلت ليلاً. فبلغ الخبر سعيد بن عبدالرحمن بن حسان بن ثابت فهجا الزبير بأبيات منها:

فلا هَنأَتْ آل الزبير معيشة ... وذاقوا لباس الذل والخوف والحرب
كأنهُمُ إذ أبرزوها وقطعت ... بأسيافهم فازوا بمملكة العُرب

وقال عمر بن أبي ربيعة:

إن من أعجب العجائب عندي ... قتل بيضاء حرة عطبول
قتلت هكذا على غير جرم ... إن لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جر الذيول

وبعد موت المختار دانت أرض العراقيين لابن الزبير، وخضعت لسلطانه بفضل همة أخيه فتى قريش مصعب بن الزبير صاحب الآراء السديدة والسياسة الحكيمة التي سار عليها مع شعب مثل أهل العراق. ولما دخل مصعب الكوفة جيء إليه بعبدالله بن الزَّبير[2] الشاعر فقال له مصعب: «أيه يا ابن الزَّبير (بفتح الزاي) ألست القائل:

---

(١) قيل: إن المختار كان لا يوافق له على رأي، وكان خارجياً، ثم صار زبيرياً، ثم صار رافضياً، ثم ادعى النبوة، وإن جبريل ينزل عليه ويأتيه بالوحي من عند الله سبحانه وتعالى. وكان له كرسي ادعى أنه مثل تابوت بني إسرائيل. وكانوا يحملونه على بغل أشهب، ومر عليهم إبراهيم بن الأشقر وهو سائر لقتال عبيدالله بن زياد وهم عكوف عليه قد رفعوا أيديهم إلى السماء يدعون الله. فقال إبراهيم له لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا. هذه سنة بني إسرائيل إذ عكفوا على عجلهم ثم رجعوا. وسار هو إلى مقصده. وسنأتي على ذكره لأنه من رجال مصعب الذين استشهدوا ولم ينكثوا بيعته أو يخونوا عهدة وميثاقه.

(٢) الأغاني.

| | |
|---|---|
| إلى رجب السبعين أو ذاك قبله | تصبحكم حمر المنايا وسودها |
| ثمانون ألفاً نصر مروان دينهم | كتائب فيها جبرائيل يقودها |

فقال: «نعم أنا القائل لذلك وأنا الحقير ليأبى العذر، ولو قدرت على جحده لجحدته، فاصنع ما أنت صانع»، فقال: «أما أنا فما أصنع بك إلا خيراً أحسن إليك قوم فاحببتهم وواليتهم ومدحتهم». ثم أمر له بجائزة وكسوة ورده إلى منزله مكرماً. فكان بعد ذلك يمدحه ويشيد بذكره. وعمل مصعب هذا هو منتهى التعقل إذ قلوب الرجال وألسنتهم لا تكتسب إلا بالفعل الجميل (فطالما استعبد الإنسان إحسان). وجاءه عمرو بن جرموز (قاتل أبيه الزبير ابن العوام) حتى وضع يده في يده فألقى عليه القبض وقذف به في السجن وكتب إلى أخيه عبدالله يذكر له أمره. فرد عليه عبدالله بئسما صنعت. أظننت أني أقتل أعرابياً من بني تميم بالزبير. خل سبيله. فأطلقه مصعب وهو يعلم أنه قاتل أبيه فجعل المرجع في كل أمور الدهاء إلى أخيه الأكبر صاحب السلطة العظمى والمسؤول أمام الله عما يأتيه عماله.

ودخل عليه ذات يوم عبيد الله بن قيس الرقيات (شاعره) فأنشد أبياتاً منها:

| | |
|---|---|
| على بيعة الإسلام بايعن مصعباً | كمرادي من خيل وجمعاً مباركا |
| تبارك أقراناً ويمضي أمامنا | ونتبع ميمون النقية ناسكا |
| إذا فرغت أظفاره من كتيبه | أمال على أخرى السيوف البوانكا |

ولما استولّى مصعب على الكوفة كان إبراهيم بن الأشتر على الموصل والجزيرة، فكتب إليه مصعب يدعوه إلى طاعته ووعده بولاية الشام وأعنة الخيل، وأعطاه عهد الله على ذلك. وكان قبله قد كتب إليه عبدالملك بن مروان يعرض عليه ولاية العراق. فنظر في كلا الدعوتين وفضل دعوة مصعب وسار إليه وبعث مصعب على عامله المهلب بن أبي صفرة وعين سائر الولاة على بقية الأمصار التي أخضعها لسلطان أخيه. وأقام عاملاً لأخيه على العراقيين فسعى سعاة السوء بينه وبين أخيه حتى أوغروا صدره عليه وأفهموه أن مصعباً يريد أن يستقل بملك العراقيين، وأنه ينشر الدعوة

لنفسه. فعزله عن عمله في أواخر سنة ٦٧هـ، وولى مكانه ابنه حمزة بن عبدالله بن الزبير الذي كانت ولايته على المصريين كبيرة عليه. فعجز عن إدارتها، فاضطر أبوه أن يرسل مصعباً واليه على الكوفة، وترك ابنه حمزة عاملاً على البصرة فوقع خلاف بين الأخير وأهل البصرة. فكتب الأحنف بن قيس إلى أبيه بضعفه وسوء تدبيره. فعزله ورد البصرة إلى مصعب. فارتاح أهلها بولايته عليهم حتى أن وفدهم لما سار إلى الحجاز (مكة المكرمة) سنة ٦٩هـ سألهم عبدالله بن الزبير عن مصعب فقالوا له: أحسن الناس سيرة، وأقضاهم بحق، وأعدلهم في الحكم. فصعد المنبر وقال:

«أيها الناس إني سألت الوفد عن مصعب فأحسنوا الثناء عليه وذكروا ما أحبه. وإن مصعباً أطبى القلوب حتى ما تعدل به، والأهواء حتى تحول عنه واستحال الألسن بثنائها، والقلوب بنصحها، والنفوس بمحبيها، فهو المحبوب في خاصته، المحمود في عامته، ما أطلق الله به لساني من الخير، وبسط يده من البذل» ثم نزل.

في سنة ٧٠هـ، شخص مصعب مكة المكرمة حاجاً ومعه رؤساء أهل العراق وأشرافهم، وقدمهم إلى أخيه قائلاً له: «يا أمير المؤمنين قد جئتك بسادة العراق الذين سارعوا إلى بيعتك، وقاموا بإحياء دعوتك، ونابذوا أهل معصيتك، وسعوا في قطع دابر عدوك، فأعطهم من مال الله»، فأجابه عبدالله: «جئتني بعبيد أهل العراق وتأمرني أن أعطيهم مال الله[1]، لا أفعل. وايم الله لوددت أني أصرفهم كما تصرف الدنانير بالدرهم عشرة من هؤلاء برجل[2]، من أهل الشام» فأجابه أحدهم: أتدري يا أمير المؤمنين أن مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام كما قال الشاعر:

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً غير     وعلق أخرى غيرها الرجل

«أحببناك نحن، وأحببت أنت أهل الشام عبدالملك بن مروان». ثم

---

(١) نسي عبدالله بن الزبير أن لا سلطان إلا بالرجال، ولا رجال إلا بالمال. «مثل».

(٢) كان عبدالله بن الزبير يرى عدم ثبات العراقيين على البيعة والعهد، إذ إن كثرة الحروب والطوائف المتفرقة لم تجعل لهم حالاً يستقرون عليها.

انصرفوا عنه بعد أن يئسوا من نواله، واعتزموا على خلع بيعته، ومخابرة خصمه عبدالملك بالوفود عليه. وأما مصعب فلم يسعه إلا الامتثال لأمر أخيه. ولو أنه كان شاعراً بالغدر الذي أضمروه بسبب بخل أخيه. فاستمر في منصبه ورأى التخلي عن أخيه في مثل هذا الوقت العصيب الذي تألب عليه فيه الخصوم ليس من المروءة التي اتصف بها أو الشهامة التي تحلَّى بها منذ صباه.

أما عبدالملك بن مروان فإنه انتهز فرصة غياب مصعب بمكة المكرمة، وأرسل أحد رجاله (خالد بن عبدالله) لينشر له الدعوة بالبصرة وليأخذ من أهلها البيعة... فنجح فيما انتدب له. وانقسم أهل البصرة إلى زبيرية ومروانية، واقتتلوا ثم تهادنوا واتفقوا على إخراج خالد قبل عودة مصعب فخرج.

❋ ❋ ❋

## عودة مصعب إلى البصرة

لما سمع مصعب بما حدث من بعده عاد مسرعاً وأنزل العقاب على كل الذين نكثوا ببيعة أخيه، واستعمل معهم ضروب الشدة حتى تظاهروا بالهدوء والسكينة، وأرسلوا إلى عبدالملك ليقدم عليهم بجيشه فلبى الدعوة وجمع جنوده وقادها بنفسه. ولما أراد السير دخل على زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية، فقالت له: «يا أمير المؤمنين وجه الجنود وأقم فليس الرأي أن يباشر الخليفة الحرب بنفسه». فأجابها: «لو وجهت أهل الشام كلهم[1] وعلم مصعب أني لست معهم لهلك الجيش كله ثم تمثل:

ومستخبر عنا يريد بنا الردى ومستخبرات والعيون سواكب

فبكت عاتكة وجواريها فقال لها: قاتل الله كثير عزة لكأنه يشاهدنا حيث يقول:

---

(١) كلما أرسل عبدالملك جيشاً إلى مصعب هزمه وشتت شمله حتى اشتد غمه وضعفت الروح المعنوية في جيشه.

إذا ما أراد الغزو لم تَثْنِ همه حَصَانٌ عليها عقد دُرٍّ يزينها
نهته فلما لم تر النهي عاقه بكت وبكى مما عناها قطينها

وسار عبدالملك بجيشه ميمماً العراق وعلى مقدمته أخواه محمد وبشر حتى نزلوا دير الجاثليق (بين الشام والعراق).

ولم يكن مصعب أقل همة أو طموحاً من عبدالملك، فإنه جمع جنوده وجعل على مقدمتها إبراهيم بن الأشتر حتى بلغوا معسكر المرواني، فعند ذلك دب دبيب الغدر والخيانة بين رؤساء جيش مصعب وكاتبوا عبدالملك بنواياهم (إلا إبراهيم ومسلم الباهلي) وهم نيف وأربعون رئيساً. فرد عليهم بالعطاء الجزيل والولايات التي سال عليها لعابهم حتى حادوا عن سبيل شرف المبدأ والثبات على العهد.

وقد أرسل عبدالملك كتاباً إلى إبراهيم فأتى به مصعب مختوماً، فقرأه فإذا هو يدعوه إلى نفسه ويجعل له ولاية العراق. فقال له مصعب: «أتدري ما فيه؟»، قال: «لا»، قال: «يعرض عليك ولاية العراق». فقال إبراهيم: «وما كنت لأتقلد الغدر والخيانة. وقد كتب لأصحابك كلهم مثل الذي كتبه إلي فأطعني واضرب أعناقهم، قال: «لا يناصحني عشائرهم»، قال: فأوقرهم حديداً أو أحبسهم في أرض كسرى». فقال: «إني لفي شغل عن ذلك. رحم الله أبا بحر[1] إن كان لتحذرني غدر أهل العراق».

فلما تدانى العسكران خرج عبدالملك ودنا منه مصعب، فعرض عليه عبدالملك ولاية العراقيين من قبله وأن يغدر بأخيه وناشده الإخاء والمودة[2]. فأجابه مصعب بأنه لن يتخلى عن أخيه وإن كانت مفاوضاته لتجنب القتال لا تجدي نفعاً[3]. ورجع كل منهما إلى جيشه. ثم بدأت

(١) هو الأحنف بن قيس المشهور بالحلم ورجاحة العقل. سئل مرة من أين اقتبس حلمه، فقال: من قيس بن عاصم «رسالة ابن زيدون شرح ابن نباته».
(٢) فقد كانا صديقين منذ ثلاثين عاماً.
(٣) لأن كلا منهما خرج لتوحيد الإمارة لرهطه «أما زبيرية أو أموية» بعد استخلاصها من خصمه.

المناوشات وهجم الزبيريون وانهزم الأمويون وحال الليل دون استمرار القتال. وفي اليوم التالي اشتد القتال ومال أكثر أهل العراق إلى جيش عبدالملك حتى إن أحد قوادهم (عتاب بن ورقاء) قتل إبراهيم بن الأشتر، وانهزم جيش مصعب حتى بلغوا معسكره.

❋ ❋ ❋

## مقتل مصعب وابنه

فلما رأى مصعب ما أصاب أصحابه دخل على زوجه سكينة ابنة الحسين بن علي، ونزع عنه ثيابه ولبس غلالة وتوشح بثوب وأخذ سيفه، فعلمت سكينة أنه لا يريد أن يرجع. قال عنها أحد الأدباء: وقفت سكينة بين الدمقس والحرير تصلح طرتها التي ابتدعتها حتى نسبت إليها وعليها رداء معصفر فضفاض ينفح منه الطيب فيملأ الجو حينما دلفت إليها وصيفتها وأسرَّت إليها أن سيدها مصعباً دخل إلى غرفته. فنفرت تتهادى إلى حيث زوجها الذي كان ينقلب على رؤوس الحراب في طلب المجد فرأته واقفاً بقامته الشماء، وقد لبس غلالة وتوشح بثوبه وأخذ سيفه. فصاحت من خلفه وقالت: واحزناه عليك يا مصعب. فالتفت إليها فرأى في عينيها الساحرتين ما كانت تخفيه في قلبها فقربها وقال: «أوَكُلُّ هذا الحب في قلبك؟»، فقالت: «أي والله ما كنت أخفي أكثر». فابتسم وقال: «لو كنت أعلم أن هذا كله لي عندك لكانت لي ولك حال». ثم ألقى آخر نظرة على البيت الذي يحبه والشخص الذي يهواه، وانفلت من بين يديها وخرج والابتسامة لم تفارق ثغره. فاتبعته بنظرها حتى توارى شبحه من خلال دموعها، ثم اختفى وراء الأفق حيث سار إلى المعركة الفاصلة وضاح الجبين، لم يكترث لقولها الذي كاد أن يثنيه عن أداء واجبه. ولولا تذرعه بالحزم واتصافه بالشهامة وعلو الهمة لما ذهب قولها جزافاً. وكان كثيراً ما يتمثل بقول الشاعر:

ألا إن الألى بالطف من آل هاشم[1] تـأسـوا فـسـنـوا لـلـكـرام الـتـأسـيـا

فتقدم مصعب بفئته القليلة، فتلقاه ابنه عيسى وقال له: يا أبت إن القوم سيفنوننا، فإن أحببت أن تأتيهم. وقد عرض علينا محمد ابن مروان الأمان لما شاهد خذلان جيشنا. فقال له: والله لا تتحدث نساء قريش أني خذلتك ورغبت بنفسي عنك، فاذهب أنت ومن معك إلى عمك ودعني فإني مقتول[2]، فقال عيسى: لا أحدث عنك قريشاً أبداً... فقال له: إذن تقدم أمامي حتى أحتسبك فتقدم حتى قتل، وقاتل مصعب حتى كثرت جراحه وكلت يده من الضرب بالسيف. وهجم عليه عبيد الله بن ظبيان فسبقه مصعب بضربة سيف على البيضة فنشب فيها، فجعل مصعب يقلب السيف ولا ينتزع منها. فخارت قواه. ثم جاء رجل من خلفه فقتله. فحمل ابن ظبيان رأسه ورأس ابنه عيسى إلى عبدالملك فسجد شكراً لله. ولما رفع رأسه قال للقاتل: لولا منيتك لألحقتك سريعاً به إذ كانت الحرمة بيننا قديمة، ولكن الملك عظيم وأنشد شاعر الشام (يزيد بن الرقاع):

ونحن قتلنا ابن الحواري مصيباً أخا أسد والمذحجي اليمانيا

ولما بلغ خبر وفاته زوجته سكينة بنت الحسين قالت ترثيه:

فإن تقتلوه تقتلوا الماجد الذي يرى الموت إلا بالسيوف حراما
وقبلك ما خاض الحسين منية إلى القوم حتى أوردوه حماما

قيل: إن مصعباً لم يبق معه إلا سبعة رجال. وجاء إليه كاتبه (ابن أبي فروة) وقال له: جعلت فداك قد تركك القوم، وعندي خيل فاركبها وانج

---

(١) لما رفض الحسين بن علي النزول على حكم عبيد الله بن زياد قاتله حتى استشهد هو وأخوانه العباس وجعفر وعبدالله وعثمان وأبو بكر ومحمد الأصغر. وقال أحد الشعراء يرثى إبراهيم بن الأشتر:
فمن بك أمس خائفاً لأميره فما خان إبراهيم في الموت مصعبا
(٢) الحقيقة أنه شعر بقتله يوم رفض أخوه عبدالله أن يعطي أصحابه من دنانير بيت مال المسلمين.

بنفسك. فدفعه في صدره وقال: «ليس أخوك بالعبد فيحاول الهرب من القتال».

وبوفاته انتهت الوقائع والحروب بين العراقيين والشاميين.

❋ ❋ ❋

## بعد وفاة مصعب

استولى عبدالملك على أرض العراقيين ولم يبق لابن الزبير إلا الحجاز. وطار خبر وفاة مصعب إلى مكة المكرمة فصعد أخوه عبدالله ذات يوم المنبر والكآبة بادية على وجهه، والعرق يرشح في جبينه ويحمر تارة، ويصفر تارة، وهو صامت لا يتكلم، حتى قال أحد الحاضرين لجاره: ما له لا يتكلم، أتراه يهاب المنطق، فوالله إنه للخطيب اللبيب[1]، فما تراه يهاب؟ قال: «أراه يريد أن يذكر قتل مصعب سيد العرب. ثم قال خطبته المشهورة[2].

وأولها: «الحمد لله الذي له الخلق والأمر، وملك الدنيا والآخرة يعز من يشاء ويذل من يشاء... إلخ. إلى أن يقول: إن أهل العراق أسلموه (مصعب) وباعوه بأقل ثمن. لقد قتل أبوه وعمه وأخوه وكانوا خيار الصالحين. إنا والله ما نموت حتف أنوفنا، ما نموت إلا طعناً بالرماح وتحت ظلال السيوف. والله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبي العاص. والله ما قتل منهم رجل في جاهلية ولا في إسلام قط. ألا إنما الدنيا عارية من الملك إلا على الذي لا يزول سلطانه، ولا يبيد ملكه فإن تقبل الدنيا على ألا آخذها أخذ الأشر البطر. وإن تدبر على ألا أبكي عليها بكاء الصرع المهبل. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم».

---

(١) هذا ما حدث للمرحوم سعد باشا زغلول يوم تأبين أخيه فتحي زغلول باشا.

(٢) قيل لعبدالله بن الزبير أن يفر من قتال الحجاج. فقال: بئس الشيخ أنا في الإسلام إذا واقعت قوماً فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم. وقد قتل معه في مكة المكرمة ابنة الزبير. وأما والده الزبير فقتل بوادي السباع في حرب الجمل. أما جده العوام فقد قتل في حرب الفجار، وخويلد في حرب خزاعة.

فقام رجل من بني أسد وأنشد:

لعمرك إن الموت منا لمولع ... وكل فتى رحب الذراع أريب
فإن يك أمسى مصعب نال حتفه ... لقد كان طب العود غير هيوب
جميل المحيا يوهن القرن غربه ... وإن عضه دهر فغير رهوب
أتاه حمام الموت وسط جنوده ... فطاروا سلالاً واستقى بذنوب
ولو صبروا نالوا حباً وكرامة ... ولكنهم ولوا بغير قلوب

ونختم حياة هذا الشهم شهيد الوفاء والبسالة كما قيل فيه من الأعداء والأصدقاء.

قيل: إن عبدالملك بن مروان سأل جلساءه: من أشجع الناس فأكثروا في ذكر الشجعان، فقال لهم: أشجع الناس مصعب بن الزبير إذ جمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وابنة الحميد بن عبدالله بن العباس. وولى العراقيين ثم زحف إلى الحرب فبذلت له الأمان والحياة والولاية والعفو عما أخلص في يده. فأبى قبول ذلك وأطرح كل ما كان مشغوفاً به من مال وأهل وراء ظهره. وأقبل بسيفه يقاتل ما بقي معه إلا سبعة نفر حتى قتل كريماً متى تغدو قريش بكريم مثله.

حمى نفسه أن يقبل الضيم مصعب ... فمات كريماً لم تذم خلائقه

❋ ❋ ❋

## من أقوال مصعب المأثورة

التواضع من مصائد الشرف فالناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون. ويحفظون أحسن ما يكتبون. ويكتبون أحسن ما يسمعون. فإذا أخذت الأدب فخذه من أقوال الرجال فإنك لا تسمع منهم إلا مختاراً.

هم المانعون الجار حتى كأنما ... لجارهم بين السماكين منزل
بها ليل في الإسلام ساروا ولم يكن ... كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا ... أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

لقد فرغنا من تاريخ حياة جد قبائل البجة الشمالية (كما ذكرنا) عن طريق هجرة العرب، والأسباب التي اضطرت هذا العنصر العربي على استبان القطر السوداني السعيد، أما عن الآباء والأجداد الذين تتألف منهم القبائل فإننا آسفون إذ لا يمكننا حصر ذلك بدقة لأنه كما قال من سبقونا من المؤرخين أمثال زيدان، حيث قال: فنجد في بعض القبائل قلة عدد الآباء أو حذف بعض الأجداد بسبب النسيان أو تشابه الأسماء، وأحياناً تنتمي القبيلة إلى زعيمها المشهور. والقبائل السبع التي ذكرناها أطلق عليها أسماء منشئيها إلا الأخيرة (عامراب) التي هاجر جدها عامر ببنيه من مجاورة أخيه عمار وأطلق عليه اسم درقي. وهو الزعف الذي كانت تضعه ذريته في أعناقها لتميز نفسها عن وثنيي أرض الحبشة الساحلية.

ونحن في كتابنا عن قبائل البجة (شرق السودان) نعتمد الأنساب التي يقدمها لنا أصحابها، وندّون ما يؤيدها مما لدينا من المراجع، لأن بعض هذه الأنساب وجدناها مكتوبة في أوراق بالية، وبعضها وصلت إلينا من نسابي ومؤرخي القبائل الذين لا تخلو منهم أي قبيلة، بل في بعضهم كثيرون من القراء يحتفظون بالأنساب في طي مصاحفهم، وبعضهم يحفظه عن ظهر قلب، وبعضهم ينشده لك وقد نظمها أحد أجدادهم، ويصف كل جد بما اشتهر به كما عمل شعراء الحباب والعجيلاب.

وفي عموم قبائل البجة يندر التسمية باسم المرأة وذلك لا يكون إلا في أبناء الرجل الذي يتزوج بامرأتين أو ثلاثة. فلدى البشاريين أم ناجي وأم علي وهذا نظام سارت عليه القبائل العربية.

فقد كان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثلاثة أولاد باسم محمد من ثلاث أمهات محمد الأكبر وأمه خولة بنت جعفر من بني حنيفة، فسمي محمد بن الحنيفية، وكان يقال لابن هارون الرشيد: محمد الأمين بن زبيدة.

وفي بعض القبائل نجد رجالاً يلقبون بأسماء أو صفات فتنسى الأسماء الأصلية وتبقى الألقاب.

وهذا كثير جداً في قبائل البجة. وأحياناً يترجمون الاسم العربي إلى البجاوي إذ أنهم لا يحسنون النطق العربي، فهذا أحمد (باركوين) جد الهدندوة فسمى ابنه جعفر الطيار وسمته البجة كيلاي Kilai وتعريبها طائر. وكذلك والده واسمه محمد، فلعظم مكانته لدى البجة لقبوه بلقب وهدأ Wahada الزعيم أو الناظر وهو الذي أوجد القبيلة ولذلك نسبت إليه فقيل هدايدوة[1]، كما وأن لفظه «أوكِيْر» تعريبها الخير، وكلمة «كجر» تعريبها الخضر.

لما استولى الخديوي محمد علي باشا على السودان **١٨٢٠** غَيَّر لقب ملوك جميع الممالك السودانية الصغرى وأطلق على هؤلاء الملوك لقب ناظر، فقيل لملك بني عامر: ناظر بني عامر ولملك الهدندوة ناظر الهَدَنْدَوَة. وهكذ ألغيت المملكة وبقيت النظارة. وصار الناظر (الغير حازم) لأتفه الأسباب يضعه المفتش، أصغر مفتش، في السجن مهما حمل من الرتب والنياشين.

❋ ❋ ❋

## أَمَّارْأَرْ

هي إحدى قبائل إقليم البجة التي تسكن بين البشاريين والهدندوة، وتنقسم إلى عائلتين كبيرتين، إحداهما: من ذرية عمار بن محمد بن كاهل وهم من الزبيرية الذين اتخذوا جبل أكرا رباي Akra-Ribi عاصمة لهم. ولعمار هذا سبعة أنجال تألفت منهم الأمارأر هم:

---

(١) فكان يقال لسيدنا حمزة بن عبد المطلب: أسد الله. وفي الهدندوة رجل شجاع مطاع بين القبائل ضاع اسمه وبقي لقبه وهو: هداي دوم Hadai Doum هجم بعصابته حوالى **١٨٤٢**م على قوز رجب وأحرق منازل الجيش المصري التركي ونهب وغنم خيل فرسان المغاربة الذين كانوا معسكرين فيها انتقاماً للشيخ الناظر وهدأ محمد دين وفقيه موسى من الملهيتكناب الذي اعتقل بالخرطوم وماتوا هناك بالجدري.

١ ـ فاضل.

٢ ـ فضل.

٣ ـ رغسبب.

٤ ـ نهد (نهض).

٥ ـ عامل.

٦ ـ محمد.

٧ ـ سعد.

فمن الأول تألفت قبيلة الفاضلاب.

تطلق الفاضلاب على ذرية فاضل بن عمار، وهذا له ولدان هما: حافظ وقد انقرضت ذريته ولم يبق منها إلا حصة صغيرة تسكن وادي لكيتوة Lakaito وأمور Amour وقليل منهم في عَقَامَتْ Akamat، والثاني من أبناء فاضل: الأولى عائلة: إيدَنِيبْ Eidaneib ويسكنون جبل أكْرا رِبايْ Akra-Ribai[١]، والثانية عائلة: هِمَّدَاياب Himmadayab[٢]، وهم أكبر حصة في بدنه[٣] الفاضلاب. وهم بيت الرئاسة. واشتهر منهم بعض الرجال بالكرم والشجاعة وحب الخير حتى انتفعت منهم كل قبائل الأمارأر، والأَتْمَنْ Atman[٤]، وأشهرهم الشيخ محمود بك علي وأولاده أمثال حمد دَرَبْ كَاتِي Darab kati والشيخ نَفَر[٥]، (جميل) والشيخ آدم رحمة، والشيخ أبو حوة حمد سعدون.

❋ ❋ ❋

---

(١) وتعريبها الجبل القوي.

(٢) المحمداب.

(٣) عمودية.

(٤) أو العثمانيون أي أبناء عثمان ابن الشيخ عجيب المانجلوك.

(٥) اجتمعت به وهو كهل فلقيت منه إكراماً كثيراً وكذلك ابن أخيه الشيخ علي شيك درب كاتي.

## محمود بك علي

لا أدري من أي النواحي أكتب عنه لأن كل أعماله تمثل البطولة والشهامة لا سيما وأنه نشأ في عصر كثرت فيه المشاغبات والحروب وخصوصاً الحرب الاستقلالية (التي أعلنها الإمام محمد أحمد المهدي) والتي تولى قيادتها في شرق السودان الأمير عثمان دقنة.

وكان محمود بك علي عالي الهمة يريد أن يتخلص من رئاسة ناظر الأتمن. فحضر واقعة سنكات يوم أول عيد الفطر سنة ١٣٠٠هـ. وإليه يرجع أكثر الفضل في رحيل أكثر المصطافين بسنكات إلى مدينة سواكن عن طريق قبائل الأمارأر، وهذا طريق بعيد وشاق ولكن الناس تحملوه خشية أن يقعوا في أيدي الهدندوة الذين بايعوا ابن ابنتهم الأمير عثمان دقنة لئلا يفنوهم. وقد كان الإتفاق بينه وبين محمد بك توفيق[١]، على فصله من نظارة الأَتْمَنْ واعتماده نظارة منفصلة عنها.

ثم جاء سليمان باشا نيازي حكمدار شرق السودان، فاعترف له بذلك وطلب منه ألا ينضم لنظارة الأتمن في أرْباب، إذ كانت ضالعة مع الأمير، لأن زعيم الأَتْمَنْ في تلك الجهة تابعاً لطريقة القادرية التي يتزعمها الشيخ الحسن بن حاشي الذي اشترك في فتح الخرطوم وفي قتل الجنرال غوردون.

فانضم الشيخ محمود علي إلى الحكومة ودخل بأهله مدينة سواكن وناصب المهدية العداء. واعتمدت عليه الحكومة في كل حركاتها كما أنعمت على أنجاله برتب الضباط الحربية وأعطتهم قيادة الخيل والجمال للاستطلاع ومعرفة أحوال معسكر الخصوم[٢]. ولكنهم لم ينجحوا تماماً. وهذه سنة الله التي فطر عليها عموم قبائل البجة فإنها يستحيل أن تكون عيوناً على بعضها أو تتحد مع أي خصم أجنبي ضد أي قبيلة بجاوية

---

(١) أرسل ابنه علي محمود مع توفيق للاشتراك في واقعة قباب فقتل علي فيها، واستاء والده، وتنكر المهدية والأمير عثمان دقنة.

(٢) كثيراً ما علموا عن أماكن ضعف الأنصار فكانوا لا يرشدون أو يبلغون عنها.

أخرى، فعندهم القومية البجاوية. لا يمكن أن يتساهلوا فيها، وما عداها من المسائل مثل العقائد، الحرية والطائفية والجهاد فكلها في الدرجة الثانية. فإذا امتهنت كرامة أي بجاوي (ولو كان من قبيلة معادية لهم ولقبيلتهم) فإن كان البجة يقفون في صفه ويهبون للدفاع عنه، وهم لا يعترفون إلا بعصبيتهم القبلية. انظر إذا نشب قتال بين عائلتين من قبيلتهم يقفون على الحياد، ويمنعونهما من القتال ولو ماتوا بينهما. وإن كانا قبيلتين فتأتي الثالثة للصلح والتوفيق ولا تنضم لإحداهما. وإذا جاءت الحكومة أو قبيلة لا تنتمي إلى البجة فإنهم يصمدون ويقاتلون مع إخوانهم، فإذا لم يفعلوا ذلك فإن الحكومات السابقة وعدتهم أن تقضى عليهم بعد إخوانهم وكذلك القبيلة الأجنبية (مثل الرشايدة وغيرها) ممن يجاورهم من متكلمي العربية.

انظر إلى هؤلاء الحكام حتى المفتشين منهم قضوا هذه السنين الطويلة وطافوا كل الجبال والسهول والوديان والمضايق والكهوف ورأوا ما فيها من الآثار، ولكنهم للآن لا يعلمون عن حقيقة أحوال قبائل البجة وعاداتها وشؤونها الداخلية. ولقد أخذ عني كثيرون من المستشرقين فكنت أرى من واجبي بصفتي بجاوي أن لا أطلعهم إلا على القشور التي لا مضرة من نشرها أو معرفتها. كما وأنه توجد بعض محلات لا تخلو من آثار فنضطر لإخفائها لأنها موجودة في أحسن المراعي.



## الفاضلاب

للشيخ محمود بك علي زعيم الفاضلاب مواقف تمثلت فيها الشهامة بكامل معانيها أشهرها يوم أن استجار به قاتل، والشيخ لا يعلم شيئاً عن أهل القاتل والمقتول، فقال المستنجد: «إنني قتلت ابن عمي ولجأت إليك كي تجيرني من أهله الذين يتعقبون أثري».

فقال له: «لا بأس عليك أنت آمن عندنا». وأرسله مع ابنه إلى مكان خفي وقال له: احتفظوا به.

فلما جاء أهل القتيل قابلهم بحفاوة وترحاب، وأكرمهم جداً. ولما قدم لهم الطعام لم يأكلوا، فقال: «لم لا تأكلون؟ فقالوا: نحن جئنا خلف قاتل وعلمنا أنك أجرته فنريد منك أن تسلمنا إياه أولاً. فقال لهم: «اطمئنوا وسأسلمه لكم ليلاً، وأجعله في مكان كذا، وأربطه لكم بحبل في الشجرة». فارتاحوا لكلامه إلا شيخاً منهم. وأكلوا الطعام وأخذوا قسطهم من الراحة ثم ودعوه. فلما جاء الليل ذهبوا إلى الشجرة فوجدوا فيها شخصاً ملفوفاً في ثياب مربوط في الشجرة ربطاً محكماً. فسارعوا لقتله إلا ذلك الشيخ فإنه قال لهم: انتظروا حتى نتبين حقيقة شخصيته. فأطلقوا منه الحبال، ثم كشفوا عن وجهه فوجدوه البكباشي حَمَد دَرْبْ كاتي ابن محمود بك علي، فبهتوا وتعجبوا من وفاء الرجل للمستنجد به. واستاؤوا للعار الذي كان ينتظرهم بين القبائل إذا قتلوا ابن الرجل الذي أكرم وفادتهم وأحسن مقابلتهم. فأطلقوا سراح حمد درب كاتي الذي قال لهم: اقتلوني بقتيلكم فإن أبي اختارني لأكون الفداء. فقالوا: لا شأن لنا بقتلكم وبقاتلنا. هيا قم معنا إلى والدك. فلما اجتمعوا به شكروه جداً وتنازلوا عن أخذ الثأروقبلوا منه الدية. فكساهم ثياباً وأعطاهم زاداً يبلغهم أهلهم. ولو لم تكن لمحمود بك علي غير هذه الخصلة لكفى.

وبذل مجهوداً جباراً لدى ولاة الأمور حتى يكون منفصلاً بنظارته تابعاً لمديرية البحر الأحمر وكسلا، وأن تكون نظارة الأتْمَن تابعة لمديرية بربر لأن عاصمتهم (أرباب) قريبة من بربر.

فكانوا يعدونه بالوفاء حالما تنتهي المهدية ويعود السودان كله للهدوء القديم. وله موقف آخر وهو يوم سفر الأمير عثمان دقنة إلى كسلا عقب وفاة الإمام محمد أحمد المهدي **١٨٨٥**م، ومعه جيشه الجرار لقتال الحبشة وإعلان وفاة المهدي. ولم يبق معه غير بعض الخفراء والنساء والأطفال. وعلم كتشنر باشا بذلك فهجم واستاق النساء والأطفال إلى سواكن، وقال: إن هذه غنائم سنبعث بها إلى مصر في الباخرة القادمة. فتصدى له الخليفة الصافي من أهل سواكن، وكذلك محمود بك علي وقالا: لا نسمح لك بإخراجهن بتاتاً لأنهن إخواتنا وبناتنا، فأما أن ترسلنا جميعاً أسرى أو

تتركهن. فاستاء من معارضتهما واتصل بمصر. فصدرت إليه التعليمات من اللورد كرومر أن يسلمهن لأهلن. وفعلاً أرجعن بواسطة أقاربهن إلى معسكرهن سالمات.

ولولا أن تجلت القومية البجاوية لسافرن وحدهن، بل لسالت دماء بين أهل سواكن والجيش.

وعلم كتشنر أن لا اعتماد على أي بجاوي ضد أخيه البجاوي. ولذلك استاء من أبناء محمود بك علي وموقفهم الذي وقفوه ضده في حادث النساء. فحدث بينهم خلاف - خرجوا على أثره من سواكن وانضموا لجيش الأمير عثمان دقنة، فتلقاهم بترحاب واحتفال عظيم، وضرب لهم النحاس أسبوعاً كاملاً في هندوب، ثم سلمهم إدارة بلاد الأمارأر وقيادتها الحربية ونقل الأمير قيادته إلى توكر.

وبعد أعوام اعتقل المدير الشيخ محمود بك علي لأن أولاده أقلقوا راحة الجيش في ضواحي سواكن وقتلوا بعض الجنود والفرسان والخيل. ولما أطلق من السجن قال للناس لا صداقة لحاكم، إنهم كما رأيتم اعتبرونا نحن الذين قاتلنا معهم الأمير عثمان دقنة، أعداء لهم. والحقيقة إننا نحن البجة يجب أن نقف صفاً واحداً ضد أي أجنبي. ثم ألقي القبض على الخليفة الصافي وأرسل معتقلاً إلى مصر أيضاً لأنه دافع عن النساء والأطفال[1].

وبعض حوادث طلب انفصال الأمارار عن نظارة الأتمن سنذكرها في حوادث النظارة إن شاء الله.

توفي الشيخ محمود بك علي زعيم الفاضلاب في يوم **٢٢** ديسمبر **١٨٨٩**م، وكان موالياً للحكومة طيلة مدة حياته مؤملاً أن يتخلص من نظارة الأتمن. وهذا ما لا يمكن حدوثه. ومنحته الحكومة مرتباً شهرياً لا يزيد عن ثلاثين ريالاً (ثلاثة جنيهات مصرية). وله مواقف مشرفة جداً منها أنه تعهد

---

(١) بعضهم يتهم آدم زهرة «جهرة» بتزوير خطاب ضد الخليفة. وآدم هذا كان بيده ختم السيد محمد عثمان تاج السر الميرغني يضربه الناس بدون علم السيد.

لتوفيق بك إيصاله هو وجنوده من سنكات إلى سواكن[١]. ولكن توفيق لم يوافق. وقال له: إني أرسلت في طلب ألفي جندي ومائتين من الفرسان بخيولها وستة مدافع جبلية وأخرى سريعة الطلقت[٢]. وبعد وفاته خلفه ابنه حمد درب كاتي.

❋ ❋ ❋

## عشِيبْ ESHEIB

هو عشيب بن عمار الذي تزوج ابنته مريم الشيخ عجيب المَانْجلُوكْ كبير وزراء دولة الفونج (السلطنة الزرقاء) ورزق منها ابنه عثمان، وسنأتي على تفصيل ذلك فيما بعد.

والعشيباب هم حصتان صغيرتان، إحداهما: على ضفاف نهر أتبرة يرأسها الشيخ محمود أبو عائشة، والحصة الثانية: بجبل إرْبا Erba.

وبعضهم يقيم للزراعة بجهة هَيِيْت Hayate وأَمُورْ وغيرها، ويرأسهم الشيخ عيسى محمد شيك، وكلهم ذرية شماس بن عشيب، وليس لأخيه عبدالمعين أي ذرية. وانضمت إليهم عائلة يقال لها: لِيلَنَابْ Leelanab[٣] وهم أبناء بنت العشيباب وأصلهم من بقايا البَلِويبْ المشهورين.

❋ ❋ ❋

---

(١) كان الشيخ محمود يريد أن يمر به في أراضي الأمارأر وهي ثلاثة أضعاف المسافة العادية.

(٢) كان توفيق بك يجهل الأوضاع في مصر التي كانت محتلة بالجيوش الإنجليزية والهندية ومنهمكة في تجريد المصريين من كل سلاح في أيديهم. أما جيوش السيد أحمد عرابي فقد أرسلت إلى مجاهل كردفان وتوكر وبادية سنكات. والحاكم الإنجليزي الجديد بمصر يريد أن تندلع نار الحرب حتى يشترك في استرجاع السودان وضمه لأملاكه كما ضم مصر قبله.

(٣) تطلق على الكثير الزغاريد وهي كلمة بجاوية.

## NAHAD نَهَدْ

كانت ذريته كثيرة جداً قبل المهدية ويسكنون في جهة إنْدَهْ Indeh وقد قاتلوا الأنصار حتى لم يبق منهم اليوم إلا جماعة قليلة حول نهر أتبرة.

❋ ❋ ❋

## AAMIL عامل

استوطنت ذريته مع المُوسَيَابْ المجاورين لهم ولهم، أراضي صغيرة بالنسبة لقلتهم.

❋ ❋ ❋

## SAAD سعد

ارتحلت ذريته إلى أرض الهدندوة فمنهم جماعة بجبل أوكِرْ Owkr وجماعة بأرض القاش، ويرأسهم الشيخ وكيل وهاج المرحوم. وهم اليوم أقلية في تلك الجهات، وربما انضمت جماعة منهم إلى الهَيْكوتياب. Haykotyap.

❋ ❋ ❋

## محمد أَوْ هُمَّدْ HUMMAD

يقال لذريته: هُمَّدابْ Hummadab وهم حصة صغيرة تسكن وادي أَكَّاتْ Akkat القريبة من محطة سلوم إلى حدود جبل أُوبْو Obo، وبعضهم بجهة القاش وخور بركة. وهم تابعون لعمودية الفاضلاب، ويرأسهم الشيخ أبو حوة آدم.

فها هي قبائل «أمارأر» التي كانت تتألف منها سبع عموديات كبيرة

قضت عليها الحروب الأهلية بينهم وبين البشاريين في القرن السابع عشر للميلاد. فقد كان حدود الأمارأر متصلة بحدود البشاريين ونشب بينهما قتال عنيف استمر عدة سنين التزم فيه أبناء بنتهم (الأتمن) الحياد[١] التام مع أن ناظر الفاضلاب عرض عليهم الاشتراك في القتال، ولكن ناظر الأتمن رد عليه بأنهم يخشون بأس البشاريين لأنهم أغلبية ساحقة ومسلحون بأسلحة جيدة، فتحججوا عن القتال الذي خسر فيه الأمارأر خيرة رجالهم الأجاويد وشبانهم الصناديد.

وحدثت في القرن التاسع عشر للميلاد واقعة أخرى بين الفاضلاب والحامداب (هدندوة) قتل فيها جماعة من الفريقين. وفي هذه المرة جاءت نجدات الأتمن، ولكن تم الصلح بين المقاتلين. ثم جاءت المهدية وقاتلوا جيوش الأنصار في كل مكان فكانت هذه ثالثة الحروب التي ضعضعت قواهم وأفقرتهم من المال والأنفس.

❋ ❋ ❋

## قتال الفاضلاب والهَدَنْدَوَة[٢]

حوالى ١٨٧٠م، حدث خلاف بين عائلة في الفاضلاب والأمارأر يقال لها: إِيدَامْبِيتْ Eydambit وعائلة من الهدندوة تسمى حامداب. وكان يرأس الأولى عمدتها الشيخ علي آدم رحمة، والثانية: إبراهيم حمد دو Hamad-Dow عمدتها المشهور باسم حمد دو أُور Hamad-Dow-or، والسبب هو خلاف نشأ بين حامد حمد دو أور (أخو العمدة) الثاني وجماعة من الإيدامبيت على الآبار، فأخذ حامد حمد من الأخيرة ناقتين وتمكن الفاضلاب أيضاً من خطف ناقة من الحامداب

(١) يقول الشيخ محمد إبراهيم: إن الأتمن كانوا ضعافاً جداً أثناء القتال فأرسلوا أثناء القتال عصابة منهم لكي تنهب بعض إبل البشاريين. وفعلاً نجحوا وأخذت بعض عموديات الأتمن من هذه الإبل.

(٢) هاتان القبيلتان مجاورتان لبعضهما ومشتركتان معاً في مراعيهما ومياههما.

(هي ناقة محمد محمود الحامدابي)، فذبح صاحبها إحدى ناقتي الفاضلاب، فاستاءت كل من القبيلتين لما سمع بذبح الناقة، ولكن رؤساؤهما تملكا أعصابهما واتفقا على إزالة الخلاف بالحسنى، ودعيا لاجتماع رؤساء القبيلتين في هَرَّان Harran فحدث تراشق بالعصي والحجارة قتل فيه محمَّدين موسى كرب من الحامداب. وتوسط المشايخ فأوقفوا القتال والتراشق ودفنوا القتلى، وتأجل الاجتماع لفرصة أخرى لنظر القضايا جميعها فيه.

عاد المصلحون إلى قبائلهم، واستاء الحامداب لقتل محمدين، وجمعت كل أقاربها في أرض الفاضلاب إيتدار Eyet-Dar. وكان الفاضلاب قد رحلوا في طلب المراعي إلى شواطئ البحر الأحمر حيث أن الأمطار كانت غزيرة، والكلأ كثيف جداً بخلاف أراضيهم الغربية التي أحرق أشجارها خصومهم لما لم يجدوا أحداً في إيتدار Eyet-Dar، فلما سمع بإحراقها الشيخ علي آدم رحمة رحل بقبيلته إلى محل الحرائق، فوجدوا الحامداب واشتبكوا معاً في قتال عنيف انتهى بقتل جماعة من الفريقين. ثم عاد الحامداب إلى ديارهم (جبيت وسنكات) واستنجدوا بأهاليهم من الهدندوة، كما استنجد الفاضلاب بالأتمن، وصارت كل قبيلة تقتل كل من تجده من الأخرى حتى كانت المهدية[1] **١٨٨٣**م، فاتبعها الحامداب وأنكرها الفاضلاب، وألغى الأمير عثمان دقنة كل الدماء والحوادث التي كانت بين القبائل بعد مجيئه وتعيينه أميراً على شرق السودان[2].

❋ ❋ ❋

(١) أعلن الإمام المهدي القتال بالكتب والرسائل حتى كانت واقعة الجزيرة أبا **١٨٨١**م بينه وبين أبو السعود باشا واشترك فيها أربعون مجاهداً من شبوديناب الهدندوة بقيادة السيد إبراهيم بن الحاش (لم يعد منهم إلا أربعة أشخاص).

(٢) فكانت دماء عهد الحكم التركي موضوعه (ملغاة).

## «أَمَّارْأَرْ»
## أَتْمَنْ

وهنا نبدأ بالقسم الثاني من الأمارأر وهم الأتمن Atman وهم ذرية عثمان ابن الشيخ عجيب بن عبدالله جماع. قال نعوم بك شقير مؤرخ السودان في أواخر القرن الماضي نقلاً عن الشيخ إبراهيم عبدالدافع عن العبدلاب:

انتقل الفونج من جبال الجنوب إلى جبل موية المجاور لجبل أسقدة على مقربة من سِنَّا. وكان كبيرهم «عِمارة دُنْقَسْ» وفي جوارهم قبيلة من عرب جهينة تعرف بالقواسمة وعليها شيخ شديد البأس يقال له: السيد عبدالله جماع. فاتحد عمارة وعبدالله المذكوران على ضم كل المسلمين ومحاربة النوبة ونزع الملك من أيدي النوبة. وهاجما القوم في سوبة، فقتلوهم شر قتلة، وأخربا سوبا ثم سارا إلى قَرِّي فقتلا ملكها، واستوليا على البلاد كلها، وذلك كان سنة **٩١٠**هـ - **١٥٠٥**م.

لما تم لعمارة وعبدالله النصر على النوبة، اتفق رأيهما بأن يكون عمارة هو الملك الأعظم في مكان ملك سوبا لأنه الكبير المقدم، ويكون عبدالله في مكان ملك قرِّي ويلقب شيخاً. فجلس عبدالله في قرِّي وذهب عمارة واختار مدينة سنار وجعلها كرسي مملكته وكان عمارة وعبدالله كالأخوين إلا أن رتبة عمارة أعلى من رتبة عبدالله فكانا إذا حضرا معاً يتقدم عمارة على عبدالله. وإذا غاب عمارة قام عبدالله مقامه. ولم تزل هذه العادة متبعة في أسلافهما إلى انقضاء المملكة.

وقد نقل العبدلاب عاصمتهم من قرِّي إلى الحَلْفَايَة وامتدت سلطتهم من أَرْبَجِي إلى الشلال السادس. وتوفي عبدالله جماع حوالى **٩٦٥**هـ. وكان يقال: إن الشيخ عبدالله جماع يلقب بالسيد لأن نسبه من جهة والده يتصل بالإمام علي بن أبي طالب ﷺ، وكانت والدة الشيخ عبدالله من أشراف الرفاعيين وله من الأولاد تسعة أصغرهم هو الشيخ عجيب.



ثلاثة شبان من الأمارأر يمثلون الفتوة البجاوية

## الشيخ عثمان بن عجيب

هو الشيخ عجيب[1] بن عبدالله جماع الملقب بالمَانْجلُوكْ أي مانجل الآك ومنه لقب «مانجل» الذي يخاطب به شيوخ العبدلاب إلى اليوم. وعرف العبدلاب بأولاد عجيب أيضاً نسبه إليه. وكان رجلاً صالحاً ديِّناً. وقد حج إلى بيت الله الحرام عن طريق سواكن. فلما وصل الشيخ عجيب إلى سواكن تلقاه أهلها بالحفاوة والإكرام. وضرب له الأَرْتيقَة النحاس أسبوعاً كاملاً. ورفعوا له شكوى بسبب صعوبة المياه، فأنشأ لهم الصهريج الكبير الموجود لخزن المياه.

ونزل الشيخ عجيب في ضيافة الشيخ قول الأرتيقي هو وجميع من كانوا معه، فلما استقر به المقام تكلم مع الشيخ قول عن رغبته في الزواج، فعرض عليه أخت زوجته «مريم بنت عشيب ابن عمار». وكانت مع أختها بسواكن فأرسلوا إلى أبيها وعمها الشيخ فاضل كي يحضروا من أكْرا رباي، فلما حضروا وافقا على الزواج وتم عقد القران.

ثم سافر الشيخ عجيب إلى جدة ثم مكة المكرمة، وأنشأ فيها رواق السناريين ثم زار المصطفى ﷺ بالمدينة المنورة وأنشأ فيها رواق السناريين[2]. وخلد للسودانيين أحسن الذكرى بهذين الرواقين اللذين بناهما بإذن الحكومة العثمانية «تركيا».

فلما أتم مناسك الحج عاد إلى سواكن واضطر أن يترك زوجه بسواكن حتى تضع حملها[3]. وأخبروا والدها بأنها إذا وضعت ولداً أن يسموه عثمان.

---

(١) والدته هي بنت الشريف حماد أبو زينانة.

(٢) وجعلها وقفاً للحجاج السودانيين (هل بحثت حكومة السودن عن هذين الرواقين وقررت إحياء معالمهما بعد أن نالت البلاد استقلالها وأعادت بناءهما، وتحسين حالتيهما).

(٣) كانت أرملة ولها ولد من زوجها الأول اسمه أحمد الجعفري من ذرية جعفر الطيار بن علي بن أبي طالب وقد اندمجت ذريته في الكميلاب.

وكان كما قال، فوضعت ولداً فأرسل إليه والده سيفاً جيداً وطاقية ذهبية وككر «كرسياً» ونحاساً «نقارة» فنشأ في كنف أجداده وأخواله.

أما الشيخ عجيب، فلم يكن بينه وبين ملك سنار «الملك عدلان» أية مودة وصفاء نية، ولذلك خرج عليه الشيخ عجيب وتقاتلا بجيشيهما في مكان يقال له: كَلْكول «بين العِيلَفُون والخرطوم» فقتل الشيخ عجيب وفر أولاده إلى دنقلا، ثم أمنهم الملك عدلان وعين الشيخ عجيل بن عجيب في قرِّي مكان والده، والفضل في ذلك التعيين يعود للشيخ إدريس ولد أرباب.

الشيخ عثمان بن عجيب:

اعتنى جده فاضل بتربيته وكان منصباً خطيراً ينتظره وينتظر بنيه. فلما بلغ أشده زوجوه بفاطمة بنت إيلقَدْ Eylaqad الكميلابية. فرزق منها أربعة أولاد هم أحمد كُرُبْ Kurup ومحمد نور، وقَويلَايْ Qwilai[1]. وتطلق كلمة أَتْمَنْ على ذرية هؤلاء الأربعة. وهي لا تستعمل إلا عند تمييز أبناء البنت أخوالهم وهم الأمارأر. ويطلق على الجميع في كافة أنحاء البجة ولدى الحكومة أيضاً أَمَّارْأَرْ[2]، مع أن الأغلبية اليوم هي من الأَتْمَنْ، ويملكون أحسن الأراضي وغيرها اللهم إلا في النظارة لأنهم محتفظون بعلاماتهم وهي السيف والنحاس والككر والطاقية.



## علي بن عثمان

هو جد عموم عموديات العَلْيابْ، وقد رزق ستة أولاد هم: عثمان المرغوب، وعيسى ومَنْتيبْ وهؤلاء الثلاثة أمهم من بشاراياب الهدندوة. ونافع ووافد (أو كما يسمونه وَقَدْ Waqad وأمهما نفية بنت نَهَدْ، كذلك قرشي بن علي وأمه سواكنية، ورزق علي عثمان ستة أولاد هم: مَنُوفِلْ

---

(١) وتعريبها قصير الأذن وهذا يدل على نسيان اسمه العربي وبقاء هذا اللقب.

(٢) يقولون أن ابن بنت القوم، منهم.

وأَرْفـوب Arfoub ومَـهَـجُـنْ Mahajun وسـعـيـد وعـلـي هِـيـكَـلْ Manoufil Haykal[1]، ومبارك.

❋ ❋ ❋

## أَرفُوبابْ ARFOUBAB

تألفت من أَرفوب بن عثمان المرغوب عمودية أرفوباب وعمدتها الشيخ أوكِيرْ عيسى جبرين، وهو مشهور بالصبر والنظر في العواقب. واشتهر فيها الشيخ عيسى صبرين وابنه الشيخ حسين. ويسكنون وادي يُويْدَرْ Yoydar ومنتشرون في كل الأنـحاء حتى أرض بنـي عامر والهدندوة. ولـهـم ميـل فطري لـلمجازفات التجارية وتتفرع منهم عدة حصص أشهرها جبريناب وصندوقاب وحامد هداب.

❋ ❋ ❋

## مَنُوفَلابْ MANOUFALAB

يـسـكـنـون حـول وادي أوكـو Oko بـجـوار الـكُـرْبـاب والـمـنـصـوراب (بشاريين). وهـذا الـوادي مشـهـور بأراضيـه الخـصـبة. وقـد شـاهـدتـه وكـان الخلاف بين ساكنيه على أشده بسبب جودة الطمى وكثرة المياه فيه. دائماً يكثر الخلاف بين سكانه من المنصوراب والكرباب.

واليوم عمدة المنوفلاب هو الشيخ محمد أبو عائشة.

❋ ❋ ❋

## منوفلاب MANOUFALAB

اشتـهـر رجـل بـالـتـقـوى والـصـلاح اسـمـه الـشـيـخ مـحـمـد إبـراهـيـم[2]، من

---

(١) وتعريبها الميمون.

(٢) هو خلاف الشيخ محمد إبراهيم الناظر الذي ناله حيف بسبب تشابه اسمه لاسم هذا الشيخ فاعتقلته الحكومة.

المنوفلاب وكان تابعاً لطريقة الشيخ الحسن ولد حاشي خليفة الطريقة القادرية بجهة قوز رجب وأرباب. وساعده الشيخ الحسن ببعض المصاحف، فأخذها وسكن جهات مشهورة بخصوبة أراضيها. وفتح عدة خلاوي لدراسة القرآن. وكان لديه نحو خمسمائة طالب أجادوا القرآن وحفظوه من ظهر قلب، ولما تخرجت جماعة تولى كل منهم إنشاء خلوة في قريته. ولذلك استفاد كثيرون من المنياب والمنوفلاب وجيرانهم من القراءة والكتابة، فأفادوا واستفادوا. هذا في الأمارأر في الشمال الغربي. أما أمارأر الشمال فقد بقوا على حالتهم الطبيعية حتى قبض الله لهم إنشاء مدينة الشيخ بَرْغُوث (حمد عاولي) عروس البحر، وقد كان ظهورها وتعميرها على حساب سواكن التي زال اسمها من بين موانئ البحر الأحمر. وأول خط مواصلات وضع هو شريط السكة الحديد الممتد منها إلى كافة أنحاء السودان، وقد قررت وزارة الحكم الذاتي إزالته من سلوم إلى سواكن. وقد احتج نواب شرق السودان على ذلك، ولكن وزير المواصلات صمم على إزالته. وقد كان نافعاً للحجاج وغيرهم من البحارة. ولقد وعدوا بطريق سيارات أسفلت وإنشاء مدينة للحجاج في محطة أسُوتْرِبة، وهذه المدينة ستكون مفيدة للأمارأر أيضاً خصوصاً إذا أنشئ فيها سوق صغير لكافة لوازم الحجاج، وبعض أهل سواكن يكرهون الشيخ برغوث ويقولون: إنه سبب خراب مدينتهم العتيقة عليها العفاء. هذا من جهة أمارأر بورتسودان الذين يتمنون أن يستمر عمران مدينتهم في تقدم سريع إذ أنهم تنسموا ريح التمدن والعلوم والمعارف منذ ظهور بورتسودان بين الموانئ، خصوصاً زيارة الخديوي عباس لها سنة ١٩٠٨، وزيارة الملك جورج الخامس لها سنة ١٩١٢، وسيأتي جيل من أبناء الأمارأر يبزون أبناء كافة القبائل في كل الميادين الاجتماعية والعمرانية بفضل إقبالهم على العلوم والمعارف ولو بعد قرون على رغم أولئك الذين يكرهون تقدمهم وتمدنهم ممن يودون خراب بورتسودان وهو من رابع المستحيلات ما دام ذلك الأسد رابضاً في فم المرسى متوسداً الثرى في ضريحه مع البرغوث.

والمنوفلاب يعتنون بتربية الإبل جداً، وتوجد عائلة منهم تسكن حول نهر عطبرة.

## مُهجَنْ MOHJAN

وتفرعت من مهجن عمودية المهجن وهي تسكن حول وادي دروات وهييت وتسمى أراضيهم تِبِلْدول Tipildul ومعناها الأراضي المرتفعة. ويرأسهم الشيخ أوكير عيسى موسى. وهو رجل حازم وتتبعهم حصة العيساياب[1] وبعض الوقداب والفرشاب سكان أمور.

❋ ❋ ❋

## علي أو هيكل

هو ابن عثمان المرغوب، وهو جد الكميلاب والعَبْدَلَهَبْ وهم أكثر قبائل الأتمن بعد السندرابيت والعبد الرحماناب، ولهم ميل إلى المنازعات، كما أن لهم ميلاً إلى الشجاعة وإكرام الضيف. وإذا رد ضيفهم في الإناء بعض الفضلات اعتبروه جائعاً وأتوه بالزيادة حتى يقضي على كل ما أمامه من لبن ولحم ويرد إليهم الإناء خالياً من كل شيء. واشتهر منهم في الزمن الماضي الشيخ محمد دَبَلُوب، والشيخ محمد علي عيسى وولده الشيخ أحمد بن آدم وهو أفضل رجل ظهر منهم وعمدتهم اليوم الشيخ علي محمد دبلوب، واشتهر بالتقوى والصلاح وتفرعت منهم عدة حصص مثل موساي دواب، وعيساي دواب، وكرينداوب، والسعداب، والرحماناب، وأبو القاسمات، والجهاداب، والعَبْدَلَهَبْ، وقويلي شلعاب (وهم من البلويب). وانضمت لعمودية الكميلاب حصة العيداب. والكميلاب يسكنون حول جبيت المعادن إلى ما بعد هداي[2].

❋ ❋ ❋

(١) هم ذرية عيسى بن علي بن عثمان ومنهم تناسل أشراف سواكن.

(٢) انضمت أغلبية الوقداب إلى عمودية السندراييب وهم مشهورون بحبهم للبيع والشراء في البادية والحضر وانضمت إليهم عائلة النافعاب.

## منِّيبْ

ابن علي بن عثمان وهو جد بدنة المنياب، وهم ذرية علي منيب وعوض كير منيب. فتفرعت من الأول: حامداب ومسعودي والهبي والأوصاب. وأما ذرية عوض كير منهم الشاكراب والمسعوداب وهم يسكنون الجهة الجنوبية من جبل دروربه Darorabah وكلوليت، ويزرعون حول هييت وحصة منهم تسكن حول عطبرة. وأشهر رؤسائهم السابقين الشيخ موسى ابن عدلان، وعمدتهم الشيخ محمد سمرة.

❋ ❋ ❋

## أحمد كُرُبْ KURUB

ابن عثمان بن عجيب، تألفت منه قبيلة كبيرة اسمها كرباب Kurbab غير أنهم أقل من سائر الأتْمن. وهم من أحسن الناس منطقاً، وألطفهم معشراً، وأشدهم بأساً. واشتهروا بمصاهرتهم للمجاذيب (جعليون). ويقال: إن كرب توفي وزوجه حامل. فلما وضعت حملها كان ولداً، وأوصى والده بأن يسمى كُرُب على أبيه ورزق كرب بسبعة أنجال هم: عيسى وأبين Abeen وكَرَايْ وعلي حاج وعسيب ومحمدين، ومن هؤلاء تألفت الحصص الآتية: وقداب، مَلَكَايْ دِواب Malakai - Dewab، سعدوناب، علي هدلاب. وهم جماعة الشيخ حسن بافوري الذي كان عمدة في منتهى الشهامة والدفاع عن أهله، وقد عزلته الحكومة وخفضت العمودية إلى حصة.

ويتولّى عمودية عموم الكرباب اليوم الشيخ حمد علي حمد محمد (وهو من عائلة هون التي تنسب إلى شنتير بن عيسى بيت العمودية) ومنهم الشاتراب، ويسكنون إرْبا Erba. وكذلك الأبيناب والفرر سكان أمور، والمحداب انضموا للسَّمَرْأرْ (هدندوة) ومنهم حصة عسيب وعلي حاج، وهم من أقلية. والكرباب عموماً هم غالبية سكان بورتسودان. ومما يؤسف له

أنهم للآن لم يلتفتوا لإدخال أبنائهم في المدارس. ويقيم عمدتهم بين محمد قول وسلالة وأوكو حيث أن لهم زراعة طيبة هناك بجوار المنصوراب. ومراراً ما حدث بينهما خلاف على تحديد الأرض الزراعية. وآخر ما كان ما شاهدته في رحلتي إلى منجم بِرْكَاتِيْب Birkateib الذي يديره الشيخ أبو بكر سعيد باعشر نيابة عن الشركة، فقد وصلنا أوكو والقبيلتان على وشك الصدام. وقد اصطفت كل جماعة في جهة استعداداً للنزال. وما زلنا نسعى بينهما حتى قبلا الهدنة. وأقسموا لحين حضور النظار والعمد فيما هم فيه مختلفون.

❋ ❋ ❋

## كُرْباب[1]

واشتهر في الزمن السابق من الكرباب رجل في منتهى التقوى والصلاح اسمهُ الشيخ أكوين هون، له قبر يزار شمال بورتسودان تجتمع فيه كل سنة كافة قبائل الكرباب للاحتفال بحوليته في يوم ٢ شوال، فيمكثون حول ضريحه نحو عشرة أيام كلها لهو ولعب وطرب وسباق خيل وجمال ثم ينصرفون كل إلى مقر عمله وشغله.

ومن العجيب أن هذا القبر على ساحل البحر والمياه حوله حلوة ولذيذة الطعم.

❋ ❋ ❋

## نور

ابن عثمان بن عجيب الذي تناسلت منه قبيلة «النوراب» وهم يسكنون أربعات، ودَرُور ووادي عكات (أكات). وقد رحلت اليوم غالبيتهم إلى ضواحي طوكر. ويرحلون في الصيف إلى أراضي القاش حتى نهر أتبرة.

(١) هم أبناء أحمد كرب.

وهم مشهورون باستعمال النبابيت والعصي الطويلة، ودائماً يصيبون بها الهدف حتى إن أحدهم قتل بها أسداً. ورزق نور ولدان هما: سعد وفاضل. وذرية الأخير قليلة، ويقال لها: فاضل نوراب، وهم يرحلون حيث المطر والمرعى. أما سعد فله من الأنجال: أرْتُول Artoul وزيدان ووكين وونّاس Wannas. فمن الأول غالبية النوراب مثل عليدواب (بيت عمودية)، وإيلاقاب، والشاشاب والوكيناب. ومن مشاهير رجالهم الشيخ أبو فاطمة حسن وإليه يعود الفضل في رحيلهم إلى أراضي البجة الخصبة. وكذلك الشيخ علي آدم الذي اكتشف مرسى الشيخ برغوث **١٩٠٣**م حينما زارها الأسطول الفرنسي[١]. وهم يسكنون سهول شواطئ بورتسودان، ولهم رسوم على كل سنبوك يرسو في موانيهم. قال عنهم الرحالة بروخهارت[٢] اللوزاني: لما رست سفينتنا في مرسى تُوَارَتِيتْ جاءتنا جماعة من النوراب وقدموا لنا كبشاً سميناً وألباناً كثيرة لم نجد إناء نضعها فيه لكثرتها.

وفي **١٩٣٣** اجتمعت في تندلاي برجل منهم اسمه الشيخ عبدالقادر النورابي له جمل أصيل يقال له: هَلْبَتْ Halbat، طلبنا منه أن يسابق جمل رجل من الرشايدة أقلق راحتنا بافتخاره بسرعة عدو جمله فرضي عبدالقادر. وقام الجملان من أروما قاصدين تندلاي. وإذا بهَلْبَتْ ينال قصب السبق. وقد كتب مراسل صحيفة حضارة السودان عن ذلك. والحقيقة أن النوراب في جهة توكر والقاش هم أحسن من يعتني بالجمال غير البشارية[٣]. وعمدتهم الشيخ عثمان أبو فاطمة حسب. ويتولّى الوكالة بالقاش الشيخ بيرق عمر شريف وهو ذو خلق سام وفاضل اشتهر بحسن السمعة والمحافظة على مركزه الأدبي. وله خبره بكافة شؤون القبائل. ومنهم الشاب الأديب علي أفندي منيب بشركة شل، والعصامي الأستاذ منيب صاحب محطة (استراحة) توارتيت المقامة بين بورتسودان وسواكن. وسيكون لهذه الاستراحة شأن

---

(١) أوضحنا ذلك في بورتسودان.

(٢) قام من سواكن قاصداً جدة.

(٣) هذه الجمال تمتاز عن كل ما سواها خصوصاً... بانير. و«كلاي واوا».

يذكر يوماً من الأيام خصوصاً موقعها الجميل على الساحل المشهور بكثرة أسماكه (توارتيت وفي المدن الراقية تنصب خيام ويقضي الناس فيها أوقات الراحة الأسبوعية حيث تكون التسلية الوحيدة بعد عناء العمل).

❋ ❋ ❋

## قويلاي QIWILAI

تطلق على ذرية قويلاي[1] بن عثمان بن عجيب وأصبح اسمهم. أما رأر بسبب تناسلهم من حفيده عمار. وكل ابن بنت ينشأ ويتربى في كنف أخواله ينسب إليهم. ورزق قويلاي اثنا عشر ولداً هم موسى وسعد أبو قديلوي Abu-Qadiloy ورحمة وسلطان وعلي وعبدالرحمن وسالم وسلمان وعبدالرحيم حامد (والأخير أمه بنت سعد الهدندوية) ومحمد، وفقراي (وأمه من سنتيراب بشاريين).

وتفرعت منهم عموديات وحصص بأسماء كل منهم وكلهم يسكنون في ضواحي متقاربة لبعضهم إلا جماعة من أبناء سعد فإنهم سكنوا بربر[2]. واشتهروا فيها بالجود الكرم. وأشهرهم خلف الله بن طالب وإخوانه والحسن وأحمد وطه ولهم سمعة حسنة بين بربر وأتبرة.

ومن ذرية سعد (قديلوباب) جماعة يسكنون شمال أربعات بغرب الكرباب ولهم بئر عذبة تسمى إيت EYT وأشهر رجالهم هو الشيخ عمر حمد.

ومن ذرية رحمة: الرحماناب وأشهر رجالهم الشيخ علي هوجر المرحوم. وأما سلطان فقد انقرضت ذريته. وأما علي فمن ذريته الهيبياب Heepyap وتعريبها الأراك[3]. ويسكنون مع فايداب الهدندوة والملهيتكناب.

---

(١) وتعريبها قصير الأذنين.
(٢) تسكن معهم حصة ـ سعياباب.
(٣) هم ذرية محمد الهيب بن علي المذكور.

وشاهدت رجلاً منهم يقال له: الشيخ محمد الأمين بن إسماعيل بن محمد بن عبدالله المشهور بالهيبيابي لأنه أول من استعمل فرع الأراك في السواك.

وقد شاهدته في ١٩٣٣ وقد نيف على الثمانين عاماً، وهو طلق اللسان فصيح العربية، يندر أن يتكلم البجاوية. وله معرفة تامة بالقراءة والكتابة. ويحتفظ بين دفتي مصحفه بسلسلة نسبه العبدلابي، وسننقلها عند ذكر تاريخ نظار الأمارأر إذ وجدناها تتفق مع التي يحتفظ بها ناظر الأمارأر الحالي (١٩٣٠) الشيخ أحمد حمد محمود[١].

❋ ❋ ❋

## عبد الرحماناب

تطلق على ذرية عبدالرحمن قويلاي، وهم من أشد قبائل الأمارأر وأعزهم نفساً وأشجعهم، ويزاحمون الموسياب على حسن الأحدوثة والسمعة الحسنة خصوصاً عند اجتماع المجالس القبلية.

وتتألف منهم عدة حصص مثل: «عليندواب وحامد ندواب وسعدوناب والمسعوداب والسعيداب وغيرهم». ويسكن بعضهم في أربعات، والبعض في جهة أمور ولهم آبار وزرائع خصبة.

واشتهر منهم رجال صناديد أمثال الشيخ آدم سعدون الذي شاع عدله في الأحكام ولو على نفسه، وكذلك كان المرحوم والده الشيخ حمد بن حماد وغيرهم.

وانضمت إليهم ذرية سالم «سالماب» وسلمان «سلماناب» أصحاب الأراضي الخصبة في جهة هييت ووادي شعباتيم.

❋ ❋ ❋

---

(١) توفي عام ١٩٤٨، وخلفه ابنه الشيخ أرباب أحمد.

## «عبد الرحيماب»

هي ذرية عبدالرحيم، وتهتم بتربية الإبل الأصلية. وفي إحدى السنين اعتبرت حصة تابعة للعبد الرحماناب، ولكن أخيراً تقرر أن تكون عمودية منفصلة ترعى أينما يكون المرعى جيداً، فتارة يرحلون إلى أرض الهدندوة. وأخرى إلى البشاريين والموسياب. ويرأسهم الشيخ صبار محمد.

❋ ❋ ❋

## حامْداب قِويلايْ

هم ذرية حامد بن قويلاي، واشتهروا بقتالهم لجيوش الأنصار في وقائع إبيت و«موك» التي اشترك فيها معهم الفاضلاب، وكان النصر حليفهم إذ كانت قيادتهم منظمة جداً برئاسة الشيخ كُرُبْ بن حامد والشيخ محمد بن قويلاي وعمدتهم اليوم هو الشيخ عيسى علي كرب. وتتألف منهم عدة حصص أشهرها «عمر هاسباب» «عبد اللَّيْدِواب»، ومحمد عيسى دواب، عبد اللأَّبابْ، وعيساي دواب، وموساي دواب، وأكريماب، وركايابْ، وهولندواب، وحلنقاب، وسعيداب، وبرشاب، وكيراب، وشيدن.

❋ ❋ ❋

## الشافعاب

هم ذرية شافع بن حامد بن قويلاي، واشتهروا بالصبر والأناة. وانتشرت سمعتهم بسبب عميدهم الشيخ محمد قويلاي الذي فاق أقرانه في المجالس والاجتماعات خصوصاً في الخلافات القبلية، وله أشعار في الفجر والحماسة والحكم والمواعظ.

وخيامهم منصوبة حول وادي هييت المشهور بعذوبة مائه. ومن حصصهم الشاطراب والدليلاب والهون والوقداب ومركزهم الأصلي جبل: «أسُوتْرِبَة». وطرق خور أربعات، وبعضهم بأرض الهدندوة.

ويتولّى العمودية اليوم الشيخ محمود أبو آدم.

## مُوسَيَابْ

وتطلق على ذرية موسى بن قويلاي وهم بيت نظارة الأمارأر. وقد رزق موسى ولدان هما: محمد وعَقِم، انتقلت ذرية الأول إلى أرض الهدندوة. وأما الثاني فقد نشأ مع أخواله في سواكن، ودرس القرآن، ثم تولَّى رئاسة الموسياب. وتفرعت من ذريته عدة حصص هي المحمداب (بيت النظارة) وحمد أويدواب، والحكم والحاكماب والعيسياب، والحامد أقماب والسعد أقماب AQMAB والفقراب.

ويسكنون أربات وأمور وإربا وعقامب، واشتهر منهم بالتقوى والصلاح الشيخ الفكي سعد وابنه القاضي الحالي الشيخ محمد شريف سعد.

والناظر الحالي لعموم قبائل الأمارأر هو الشيخ أحمد بن حمد بن محمود بن حمد هَسايْ (غضبان) بن محمد بن موسى بن محمد بن عَقِم بن موسى بن قويلاي بن عثمان ابن الشيخ عجيب المانجلوك ابن السيد عبدالله جماع.



## الشيخ قويلاي بن عثمان

كان أصغر أخوانه وتولَّى عليهم الرئاسة وانفصل عن الفاضلاب. وبذل همه في البحث عن الشهرة، وإذا بابنه حامد يقتل رجلاً ثانياً وثالثاً، وفي كل مرة كان الوالد يدفع الدية وهي من الماشية على حسب مكانة المقتول. فتبرأ منه والده ولكن أخوه موسى دفع الدية كلما أجرم، وقال: إن أعمال حامد الإجرامية تضطر البجة كي ترحل منا وتخلى لنا الأرض التي نريد أن نحتلها بعد رحيلهم. فلما حانت منية قويلاي أوصى بأن يكون خلفه ابنه موسى.

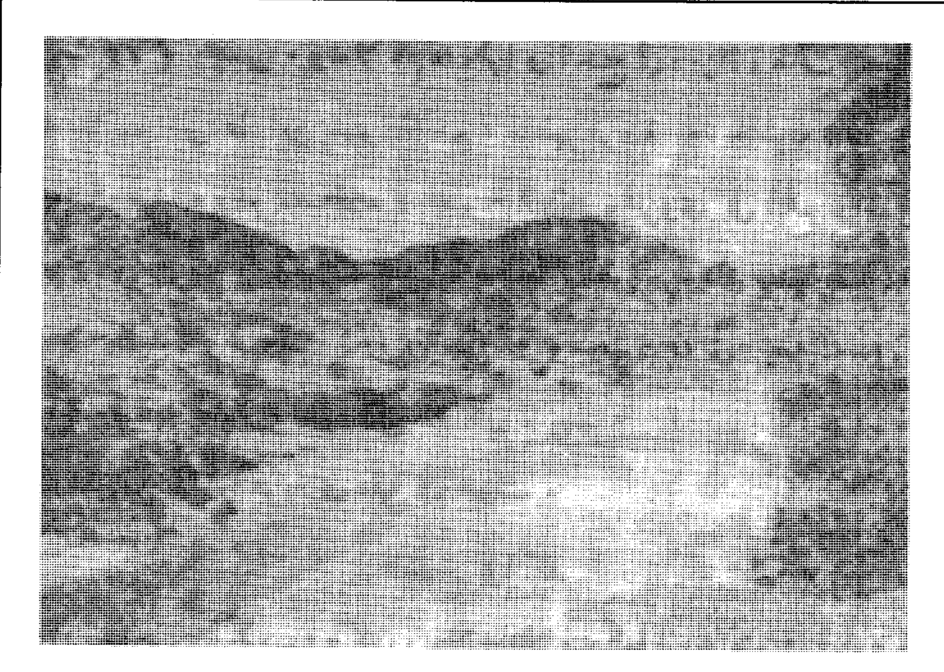
وقد كانت حوادث القتال على الأرض مع البجة كلها في أيام الشيخ قويلاي بن عثمان. وهذا أمر أراده الله أن يكون حتى تخلو بادية عتباي من

سكانها الأصليين بما كان يحدث فيها من المشاجرات وسفك الدماء، حتى إن عثمان المرغوب بن علي قتل رجلاً من شجعان البجة، ثم اختفى عن أعين الناس ومعه عصابة مؤلفة من سبعة أشخاص كانوا ينهبون كل ما يقع تحت أيديهم. فاشتكى منه زعيم البجة (وهو من البلويب) للشيخ قويلاي، وقال له: إن ابن أخيك عثمان المرغوب قتل منا رجلاً فسلمه لنا كي نقتله. فاعتذر بعدم مقدرته على قبضه، وعرض عليه أن يقتل من يشاء من أولاده إلا موسى. فقالوا له: نحن نريد القاتل أو موسى. فقال لهم: أمهلوني حولاً كي أفكر في الموضوع. فرضوا. أما هو فقد دعا إليه عثمان المرغوب وقال له: يا ولدي إن البجة أكثر منا عدة وعدداً. وأشد قوة. وإنني خيرتهم بين أبنائي إلا موسى فقالوا: لا بد من عثمان أو موسى، والرأي عندي أن تزيد العصابة التي تحتك من أبناء الأمارأر والبشاريين وتبدأون الهجوم من جهة جبيت المعادن ثم تطاردوهم في المحلات التي تسكنها منهم أقلية. ولكن عثمان وعصابته بدأوا هجومهم الليلي في جهة هييت المجاورة لقرى الشيخ قويلاي وقتلوا نحو اثني عشر رجلاً من البجة، فحالفهم التوفيق، وأقلقوا راحة البجة حتى إنها اجتمعت في مكان واحد لقتال الشيخ قويلاي. فاستنجد بالبشاريين والكميلاب والعبابدة والكواهلة (المجاورين للبشاريين) ونشب القتال بين الفريقين. فانهزمت البجة، وطاردها حتى عبر وادي أمور الذي كان حداً فاصلاً بينهما، وورثت القبائل ديارهم في شمال صحراء البجة.

❋ ❋ ❋

## الشيخ موسى بن قويلاي

تولّى رئاسة الأتمن بعد وفاة والده وتزوج بامرأة من أهل سواكن هي بنت أحمد صبور، ورزق منها ولداً اسمه عَقِم، ثم قتل موسى في قتال عنيف حدث بينه وبين هاكُولاب الهدندوة ثم تولّى بعده النظارة الشيخ واكد.



منظر لخور أربعات الذي يجري في أرض قبيلة الأمارأر وهو الذي تمتد منه شبكة مياه الشرب لمدينة بورتسودان

❋ ❋ ❋

## الشيخ قويلاي

يقول الشيخ محمد إبراهيم: إن الشيخ قويلاي كان كثير الدهاء في الحرب والقتال ومن دهائه أن إحدى القبائل زحفت إلى بلاد الأمارأر كي تستولي عليها. فأرسل قويلاي إلى عموم الأمارأر كي يجتمعوا في صعيد واحد ويكمنوا في الجبال والأودية. ووصل الغزاة إلى هييت ونصبوا فيها خيامهم واستعدوا لقتال الأمارأر. فقال قويلاي لرجاله: من يأتينا بأخبار هؤلاء القوم ويعرفنا عددهم وقوتهم فقال له أخوه علي، أنا أتطوع لكي آتيك بخبرهم وأحوالهم، فقال له قويلاي: أنت رجل شجاع ومتسرع وأخشى أن تشتبك معهم فتفضحنا. فتبرع كرُبْ، فقال: لا أوافق لأنك قوي ولا يمكنك الإفلات منهم. فقالوا له: تركنا لك اختيار الرجل الذي نود أن

توكل إليه هذه المهمة. فقال: سأتولاهما بنفسي. وفعلاً قام متنكراً واندمج في الغزاة وطاف بمجالسهم ومجتمعاتهم حتى علم أين يقيم قائدهم. فانتهز فرصة بعد حاشيته عنه وطعنه بحربته في صدره وهو مضطجع، فصرخ القائد وانزوى في الجمع وانسل من بينهم ولحق بقومه. واتهمت العصابة بعضهم البعض، ودار بينهما قتال شديد حتى لاح الصباح، وقد كثرت القتلى. وهجم قويلاي بجماعته على فلول العصابة وفرقها تقتيلاً وغنم كل ما كان لديهم.

ولما دفن الشيخ قويلاي دفن في هييت.

❋ ❋ ❋

## الشيخ وَاكِد

ابن عيسى بن كرب، وكان رجلاً عادلاً وحكيماً ازدهرت في أيامه قبيلة الأتمن، وابتدأت في طرد البجة حتى كبر سنه «فلما أشرف على الموت نادى كل رؤساء الأَمَّارْأَر وقال لهم»: إنني كبرت وصرت عاجزاً عن إدارة القبيلة ودعوتكم كي تختاروا رجلاً من بينكم تولونه نظارتكم من بعدي. فقالوا له: نقترح الشيخ سعد بن علي بن عيسى بن علي. فقال لهم: إنه رجل حرب وجلاد ولا يصلح للقبيلة الحربي أو الصارم في أحكامه، بل القبائل تحتاج إلى سياسي محنك يزن الأمور ويبحثها من جميع نواحيها فاقترحوا سعد بن عبدالرحمن. فلم يوافق، وقال لهم: إنه رجل يحب المال، ومثله ربما يضيعكم بالشيء التافه. فعرضوا عليه محمد بن الطماع (جد الكميلاب)، فلم يقبل وقال: إنه رجل في يديه الخير والشر، فإن أعطاكم خيراً لا بد من أن يعطيكم شراً. فاقترحوا عليه حامد بن سلمان، فلم يوافق، وقال: إنه لا يستعين برأي أي إنسان والاستبداد بالرأي فيه هلاك القبيلة. فقالوا له: ليس لدينا بعد هؤلاء من ترشحه للرئاسة فالرأي إليك. فقال لهم: إني أعلم أن للشيخ موسى بن قويلاي ولداً بسواكن عند أخواله اسمه عقِم. وقد سلم علي ذات يوم وأنا هناك فتأملت كفه وسررت

من هيئته وتبحره في العلوم، فإنني اخترته لكم إذ لا يوجد من يحمل الرئاسة غيره، فاذهبوا وأحضروه من سواكن. ولما توفي الشيخ واكد خلفه الشيخ عقم.

❋ ❋ ❋

## الشيخ عَقِم[1]

أول ناظر أجاد القراءة والكتابة وحكم الأمارأر بالكتاب والسنة، وازدهرت في أيامه كل قبائل الأمارأر، وازدادت مواشيها وكثر تعداد سكانها. وابتدأت البجة في الرحيل من عيتباي. ولم ترحل النظارة من بيت عَقِم إلى يومنا هذا.

وفي ذريته عائلة اسمها: عيسياب: تكاد تكون الممثلة للطبقة الأرستقراطية في الأمارأر إذ أنها تترفع عن الصغائر: وقد اجتمعت بأحد شبانهم بجهة أتبرة المسمى الشيخ محمد هَدَلْ بن أحمد محمد شيك وكيل الناظر في تلك الجهة فسررت من حديثه ولقائه وتفانيه في حقوق الأمارأر.

وتوفي الشيخ عقم ودفن في جبل كُوكْرِيب Kokreib وخلفه ابنه محمد.

❋ ❋ ❋

## الشيخ محمد

ابن عقم تولّى نظارة الأمارأر وتزوج امرأة من البشاريين من أتبرة. وفيما هو في منزله أتته امرأة وأخبرته بأن البشاريين قد جمعوا جموعاً كثيرة ويريدون غزو الأمارأر وهم على وشك القيام بذلك، وقد قرروا أن يدعوك أنت ومن معك من أهلك لتناول الطعام والقيلولة معهم حتى

---

(١) أي بطيء الفهم.

المساء. فلا تقبل دعوتهم. ويجب أن تقوم في الحال إلى قبيلتك وعشيرتك وتستعد لملاقاتهم. فقام الشيخ محمد من ساعته إلى رجل من شِبودِيناب Shibodenab (هَدَنْدَوَة) اسمه الفقيه علي بن بلال، وطلب منه أن يدعو له بالنصر والتوفيق على خصومه الذين استعدوا لغزو أهله. فقال له الفقيه علي: أنا أطلب لك من الله أن يعين راحلتك على السير السريع حتى لا يدركوك. ثم أعطاه حجراً أبيض وقال له: أعطه لأحد رجال قبيلتك ممن لا يخطئون الهدف. فإذا اصطدم هذا الحجر بإنسان أو دابة فأنتم لا شك منصورون. فرحل الشيخ محمد لساعته وأدرك أهله وكانوا مجتمعين في وادي أُورِير Owreir. فأخبرهم بأن العدو على أثره، وأمر بعضاً من رجاله الجهوريي الصوت كي ينادوا القرى من رؤوس الجبال للقتال والاجتماع في أورير. فلما تكامل عددهم نادى رجلاً من الأمارأر وسلمه الحجر وقال له: عندما ترى طلائع البشاريين تظهر من عقبة دِرِسْ Diris اقذفهم عسى أن تصيب الهدف. فلما ظهرت الطليعة قذفها الأمارأريبي Ammar-Areipi بالحجر، فأصابت رجل ناقة القائد فكسرها. فسقط القائد في محل يقال له: أُفوي Afoy وتعريبها «الموقف» وقال لهم: عودوا من حيث أتيتم. فعادوا بدون قتال، ولم يحدث في أيام الشيخ محمد بعدها قتال حتى توفي ودفن في وادي أقمت Agomt في مكان يقال له: منديلو Mindaylo بجوار قبر أخيه محمد حمد. وتولَّى النظارة بعده ابنه موسى.

❋ ❋ ❋

## الشيخ موسى

حالما تولَّى الشيخ موسى بن محمد عَقِمْ نظارة الأمارأر، اختار (أرْباب) عاصمة لعموم قبائله وجعلها مقر بيت النظارة.

وفي أيامه قامت عصابة من الأمارأر لغزو بشاريي نهر أتبرة برئاسة سعدون بن محمد جياب Jayab، فأخذوا كل ما وقع تحت أيديهم، فقامت

خلفهم نجدة من البشاريين، فشعر الشيخ موسى محمد بأنها تتعقبهم، فقال الشيخ سعدون: اختر بين أمرين إما أن تقابل النجدة وتقاتلها أنت وأهلك الفاضلاب فتفوزوا بالشجاعة والفخر، وإما أن تأخذوا أنتم الغنائم ونحن نقاتل البشاريين. فأجابه الشيخ سعدون هيهات أن نمكنكم من فخر القتال لا سيما وأننا على أتم استعداد له. فثق أننا نحن الفاضلاب سنصعد لقتال البشاريين وأنتم الأتمن اهربوا بالغنائم، وهذه مكيدة من الشيخ موسى لاستفزاز الفاضلاب والبشاريين (وكانوا أكثرية)، فكان قتلى الفاضلاب كثيرين جداً. وبعد هذه الواقعة أصبحت الفاضلاب بدنة واحدة (عمودية) بعد إن كانت أكثر من سبع عموديات.

وبعد وفاة الشيخ موسى خلفه ابنه محمد.

❋ ❋ ❋

## الشيخ محمد بن موسى

كانت أيامه كلها حروب وقتال مع البشاريين وغيرهم. قتل في إحداهما عمه حمد بن عَقِم بيد البشاريين وكانت الواقعة سجالاً بينهما. فلما توفي دُفن في أرباب وخلفه ابنه على النظارة.

وتفاءلت بنظارة الشيخ موسى كل قبائل الأمارأر وتحسنت أحوالها، وازدادت في المواشي والنقوس، ونزلت بأراضيها الأمطار بلا انقطاع. فلما توفي اجتمع كل العمد والأعيان وقالوا: لن ندفنه في الأرض إذ أننا نتفاءل به. فقال لهم ابنه محمد: إنه جيفة فمن يشتريه منكم بجلد ماعز لأنني أريد دفنه في الأرض. فقالوا له: لك الخيار. فلما انتهوا من دفنه طلبوا من ابنه محمد أن يتولّى النظارة، فقال لهم: إذا وليتموني فلا تطلبوا مني ما كان يعمله والدي في حياته من الطيبات لأني مقر بعجزي وضعفي. فارتضوه وتولّى النظارة.

❋ ❋ ❋

## الشيخ حمد هَسّاي HASSAI[1]

تولى النظارة بعد والده الذي ترك له الحروب والغزوات فقاتل العبابدة والبشاريين وغيرهم.

وكانت الأولى أقوى من الأمارأر، واعتادت أن تغزوهم سنوياً وتعود بغنائمها سالمة إلى أهلها بدون أن يتعقبها أحد من شجعان الأَمارأر.

وفي إحدى السنين جاءت عصابة من العبابدة لتنهب إبل البشاريين من جهة الباك أو أُوتاك Back. فسمع بها سكان الباك، فاستجاروا بالشيخ حمد هساي في أرباب. فأجارهم وأمر بضرب النحاس. فاجتمعت إليه كل القبائل القريبة والبعيدة خصوصاً البشاريين والكميلاب. فاجتمع لديه خلق كثير بكامل أسلحتهم وأكثرها الحراب.

وكانت عصابة العبابدة مقيمة في الزراعة المجاورة للباك، فأمرهم رئيسهم الشيخ عقيد العبابدي بأن يعودوا إلى ديارهم. وفي هذه الأثناء أخذت جماعة منهم بعض المواشي من أصحاب الزراعة لطعامهم. فجاء إلى الشيخ عقيد صاحب[2] الماشية وطلب تسليمها إليه. فقال له: جئنا لأهم منها وقد أكلتها العصابة، فما كان منه إلا أن ذهب إلى أرباب حيث الرجال مجتمعون واشتكى الناظر. ثم وقف فوق النحاس واستمر العرض وقال: أيها الرجال إن العصابة التي أخذت أموالي أقلية ضئيلة ونحن أقوى وأشد منها فلا تخشوهم، فقوموا معي فحمل عليهم حملة واحدة صادقة وبعدها نحن المنصورون. فانتقى الناظر سبعة وكذلك فعل أخوه الشيخ علي والجمهور معهم واقتفوا أثر العصابة، فأدركوها بوادي رورشم Rorasham شمالي جبل قُرَتْ Gurat فتقدم الشيخ لمبارزة الشيخ عقيد وقتله وسلب منه سيفه[3]. واختلط الفريقان ببعضهما وانتصر الأمارأر. وقد أثنى بعض شعراء العبابدة

---

(١) هساي: تعريبها الغضبان لأنه لم يجد راحة في سني نظارته.

(٢) هو رجل من العثمياب.

(٣) رأيت هذا السيف عند الشيخ نصر محمود بك علي.

على شجاعة الشيخ حمد هسّاي. وفي آخر أيامه افتتح محمد علي باشا السودان وقدم الشيخ حمد هساي الولاء للحكمدار، ثم توفي بجهة أتبرة بقرب منازل البطران (البشاريين) وهو يتفقد شؤون قبيلته التي أصبحت مرهوبة الجانب طيلة أيام نظارته.

❋ ❋ ❋

## الشيخ طاهر

ابن حمد هساي، تولى النظارة بعد وفاة والده وجاءته دعوة من حكمدار السودان فسافر إلى الخرطوم وقدم ولاءه، وأنعم عليه الحكمدار بكسوة شرف وسمح له بأن يتحصل الجزية من كل قبيلة أجنبية تسكن في أراضيه. ولم تطل حياة الشيخ طاهر فتوفي ودفن في أرباب. ثم تولّى بعده أخوه الشيخ طه.

❋ ❋ ❋

## الشيخ طه

ابن حمد هساي الذي حصلت في أيامه عدة خلافات بين الأمارأر أنفسهم الضاربة خيامهم حول سواكن. ثم أنعمت عليه الحكومة المصرية برتبة البكوية لولائه لها وعدم اتباعه للأمير عثمان دقنة. كما أنعمت على ابنه الشيخ أحمد برتبة البكباشي وعلى ابنه الشيخ طاهر برتبة اليوزباشي وذلك حوالى ١٨٨٥م.

وتوفي الشيخ طه في أرباب قبل الحرب الاستقلالية وانتشارها بشرق السودان والشيخ طه رفض أن يدفع الجزية للحكومة التركية فأرسل إلى كسلا وتعين مكانه الشيخ محمد.

❋ ❋ ❋

## الشيخ محمد

ابن حمد هساي تولّى النظارة بعد عزل أخيه، فكان محباً لقبيلته ويعطف على الفقراء، ويعتذر بأنهم عاجزون عن دفع الجزية. وأخيراً استاءت منه الحكومة المصرية وعزلته عن النظارة لأنه صار يتهاون في تحصيل الجزية وعينت مكانه أخاه.

❋ ❋ ❋

## وفود الأمير عثمان دقنة ١٣٠٠هـ

نزل الأمير عثمان دقنة في أرباب ند عودته من الإمام المهدي (بعد فتح الأبيض) فلم يجد ناظر الأمارأر بأرباب لأنه ذهب لتحصيل الجزية. وجلس يوماً عند الفقيه أحمد القُلْهاوي Qulhawi وبايعه الفقيه أحمد وكل من كان حاضراً. وترك الأمير مع الفقيه منشوراً من المهدي إلى الشيخ حمد محمد يتضمن إمارته على كل قبائل الأمارأر ويطل منه الجهاد في سبيل الله.

❋ ❋ ❋

## الشيخ حمد محمود هساي

بعد عودته إلى أرباب وجد كل قبيلته وعشيرته على استعداد للجهاد فأنكر عملهم وقال لهم: تسرعتم في البيعة: ولم يزد على ذلك.

وبقي في أهله حتى كانت **١٣٠٣**هـ أرسل إليه الأمير عثمان دقنة كي يحضر بأهله ورجاله إلى تِسَلْها Tisalha أَو سلهان. فامتثل وانتشر الجدري فيها فمات به الكثيرون من المقاتلين والرهائن.

عندما يستولي الاستعمار على البلاد فإن مثل هؤلاء الرجال يقضون مضجعه ولا يريحونه، ولذلك كان يلفق[1] الخطابات ويرسلها مع الجواسيس

---

(١) كان المستعمرون الإنجليز يلفقون هذه الخطابات حتى يشكوا قادة الثورة المهدية في زعماء القبائل وفي أمرائها.

إلى المذكورين. ويوصي هؤلاء الجواسيس بأن يجتهدوا في عدم إيصالها لأصحابها حتى تقع في يد الأنصار فتقدم للأمير عثمان. أما المعنونة باسمه فإنه لا يعلم عنها شيئاً بل لا يجيد قراءتها ولكنها كما قلت إحدى مكائد الاستعمار للتخلص من الرجال العاملين.

وهذه الخطابات كانت تصاغ في صيغة ردود على خطابات من هؤلاء الزعماء وأقرب أمثلة لذلك ما يلي:

إلى حضرة المخلص الأمين الشيخ فلان بن فلان، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصلنا جوابكم وفهمنا ما فيه ونشكركم على المعلومات القيمة التي ذكرتموها لنا وعلمنا ما تعانونه وأخوانكم من الجوع والمرض أنتم وأهلكم. ونحن إن شاء الله قريباً سنحضر لاستخلاصكم من الأشقياء. فقط استمروا في الكتابة إلينا كلما وجدتم فرصة... إلخ.

وعندما يقع مثل هذا الخطاب في يد الأمير يحاكم صاحبه بالإعدام. وقد أرسلت الحكومة الإنجليزية عدة خطابات كان أحدها إلى الشيخ حمد محمود ناظر الأمارأر، وآخر إلى الشيخ حسب عبدالله يريب[(١)]، زعيم قبيلة النوراب فحكمت عليهما المحكمة بالقتل[(٢)]. فقام بعد قتلهما الأمارأر قومة رجل واحد وقاتلوا جيوش الأنصار أينما وجدوها خصوصاً في جهات جبيت المعادن وهييت وأمور، حتى إن الأمير عثمان دقنة اضطر أن يرسل جيشاً عرمرماً من الأنصار المسلحين بالرصاص بقيادة الأمير فكي علي حامد الجميلابي لقتالهم في هييت. وبعد تلك الواقعة هدأت الحالة، ثم جاءت سرية من جهة أبو حمد وطلبت من الأمارأر زكاة الإبل، فرفضوا أن يعطوها بعيراً، وقاتلوها قتالاً شديداً حتى هزموها. وعادت من حيث أتت وقد أبلى زعماء العشائر أحسن بلاء وقادوا تلك الجحافل إلى النصر وأخذ الثأر. وكذلك فعل البشاريون في جهة حلايب[(٣)].

---

(١) تعريبها مطر.

(٢) اجتمع مشايخ الأمارأر على ذلك لدى الخليفة عبدالله فدعا الأمير إلى أم درمان للتحقيق معه.

(٣) أقراه من البشاريين.

وقد خلف الشيخ حمد محمود ولدين هما: محمد وأحمد الناظر الحالي ١٩٤٨م، وبقيت إدارة الأمارأر في يد وكيل الناظر الشيخ حمد دربكاتي بسواكن، فلما تم فتح السودان طلب مدير سواكن كل عمد الأمارأر في ١٩٠٠، فلما اجتمعوا قال لهم المدير: أنا عملت لكم هذا الاجتماع لكي تنتخبوا ناظراً من بينكم، إما من الفاضلاب أو الموسياب. وكان المدير يريد منهم أن يختاروا محمود بك علي. ولكن كانت الأغلبية من عمد الأتمن. فقالوا: نريد أن يكون العمدة من الموسياب (وكانوا أحد عشرة عمدة، والفاضلاب عمودية واحدة). فرفض المدير قولهم. وقال: سنؤجل انتخاب الناظر لمدة سنة وأنعشم أن تتفقوا. فلما انتهى الحول دعاهم المدير إلى اجتماع في نقطة هندوب. وكان الأتمن قد اتفقوا أن يكون المتكلم في الاجتماع الشيخ محمد إبراهيم. فلما عقد الاجتماع افتتحه المدير وقال: إن مسألة تأجيل النظارة ليست من مصلحة القبائل والحكومة، ولذلك أحب أن تختاروا من بينكم ناظراً لهذا المنصب. فرد عليه الشيخ محمد إبراهيم: نحن الموسياب جميعنا اتفقنا على انتخاب الشيخ محمد بن حمد محمود. فسأل المدير بقية العمد فأيدوا الشيخ محمد إبراهيم. وكما قلت: إن الحكومة كانت تريد المنصب لابن الشيخ محمود بك علي لأن والده وقف في صفها طيلة سنين المهدية وساعدها بالبوليس الراكب (هجانة وخيالة). فقدرت له هذه الخدمات، ونسيت أن للقبائل أصولاً وعقائد لا يمكن التخلي عنها خصوصاً مسألة ولاية النظارة والعمودية، ودارت في الاجتماع عدة مناقشات حادة بين العمد والمدير الإنجليزي ونائبه المصري حمد بك إبراهيم وسائر هيئة الحكومة، وقرروا تأجيل الاجتماع للغد. وعلم الشيخ محمد قويلاي أن الصدام بدأ بين العمد والحكومة فركب راحلته وذهب إلى أسوتربة.

فلما أظلم الليل أمر المدير بإلقاء القبض على الشيخ محمد إبراهيم، فاحتج باقي العمد، فأمر المدير القبض على العمد أيضاً ووضعت فيهم السلاسل والأغلال، وأرسلوا بالبوليس إلى سواكن[1] وسجنوا فأدركهم الشيخ

---

(١) تريد الحكومة الإرهاب حتى يقبلوا نظارة الفاضلاب ولكن هؤلاء العبدلاب (وزراء الفونج) لا يريدون التنازل عن حقوقهم الوراثية.

أونور علي لباب (عمدة العبدالرحمناب)، فقالوا له: ابتعد عنا واكتب خطاباً للشيخ خلف الله طالب ببربر واذكر له جميع ما حصل لنا حتى يرفع شكوى لمدير بربر بأننا تابعون لمديريته وأصبح مدير سواكن يتصرف فينا بصنوف الظلم حتى نتنازل عن حقوقنا الوراثية، وفعلاً تم ذلك. واحتج مدير بربر وطلب إرسالهم إلى بربر للنظر في قضيتهم. فلما اجتمعوا به قال لهم: إنني أعرض عليكم أن تكون القبائل التي تصب ماء وديانها في البحر الأحمر تابعة للشيخ محمود بك علي، والتي تصب وديانها في النيل تحت نظارة الشيخ محمد حمد[1]، فرفضوا وقالوا: نحن لا نقبل أي تقسيم لأننا إحدى عشرة عمودية، والفاضلات عمودية واحدة، فليس من العدل أن يكون الواحد أكثر من الإحدى عشر.



## البكباشي أحمد محمود علي

بعد خروجه من سواكن سافر إلى أم درمان لمقابلة الخليفة المهدي، فلما وصل البقعة نزل عند الأمير يعقوب (أخي الخليفة). ثم قابل الخليفة وطلب منه أن يكون أميراً عاماً على عموم قبائل الأمارأر وأن يكون مقره في هندوب، وألا تكون عليه سلطة غير سلطة الخليفة. وفوض إليه أخذ العشور من التجار الذين يخرجون ببضائعهم من سواكن، وأن يكون له حق الإشراف على سواحل البحر الأحمر التي شمال سواكن. ثم غادر الأمير أحمد محمد أم درمان آتياً إلى سواكن سنة ١٣٠٧هـ، وبينما هو في الطريق شعر بتقطع جسمه من مرض الجدري[2]، فتوفي بعد أن أبلغ أهله[3]. وعين الخليفة عبدالله بدلاً منه أخاه الأمير طاهر محمود بك.

---

(١) كان مغرماً بضرب العود البلدي (الربابة والباسنكوب) والطرب.

(٢) يقول إبراهيم باشا فوزي: إن موت أحمد محمود لم يكن إلا من سم دسه له الخليفة عبدالله في الدسم.

(٣) حال وصوله إلى هندوب أعلن أن طريق التجارة بين بربر وسواكن آمن تحت حمايته.

وقد أدركت بعض أبناء محمود بك وأحفاده، فلا أكون مغالياً إذا قلت: إنهم كما قال الأقدميون «كلهم يتسابقون على الخيرات».

ومن شبان هذه القبيلة صديقي جعفر أفندي إبراهيم طلاب الذي أوقف حياته على خدمة قبيلته حتى يساهموا كسائر الحضريين في كل الأعمال والمهن، ولم تمنعه غيرته هذه من المساهمة في الأعمال الخيرية التي يتطلبها الوطن السعيد[١].

❋ ❋ ❋

## بشاريون أو بشاريين BISHARIN

تقطن هذه القبيلة في شمال القطر الشرقي حتى سواحل البحر الأحمر وعلى ضفاف نهر العطبرة. وتنتمي إلى قبيلة بني أسد القرشية، وجدهم هو محمد بن وراق من سلالة مصعب بن الزبير بن العوام وق كثر تعدادهم وتخلفوا عن متابعة السير مع أقاربهم الكواهلة واستطابوا الإقامة مع بني عمهم العبابدة في بادية عيتباي Aetbai، واتخذوا جبل علبة Elba مقر لإقامتهم، وصاهروا البجة حتى كانت أيام شيخهم محمد بن كاهل، فتزوج من الحدارب (ملوك البجة) ورزق سبعة أولاد وهم: بشار وعمار وعامر وكمال وكميل ومسلم ومرغوب[٢].

ويروى أن محمد وبنيه تشاجروا مع عائلة بجاوية تجاورهم في جبل علبة وانتصروا عليها وطردوها من جوارهم. وهكذا فعل العبابدة مع أكثرية

---

(١) ذكر المستر جاكسون شجاعة والده وحسن بلائه يوم دافع عن أهله الفاضلاب حول بورتسودان وهزموا جيش الأنصار (كتاب عثمان دقنة).

(٢) للبشاريين علاقات وخلافات كثيرة مع الهدندوة، وأغلب حوادثهم مع تلك القبيلة. وعلى القارئ أن يراجع ما كتب عن ذلك في الفصل الخاص بقبيلة الهدندوة من هذا الكتاب.
أما نشأة القبيلة فكما ذكرنا فيهم أبناء الزبير كما فصلنا ذلك في الحديث عن قبيلة الأمارأر.

البجة الذين اضطروا للرحيل والإقامة حول محمد قول: (بَأَيْدِيبّ) وجبيت المعادن وأربعات وأقام أبناء محمد كاهل وأحفاده في مكانهم ما عدا كمال ومرغوب وذريتهما إذ رحلوا إلى العطبرة، فوجدوا ذرية مسلم قد سبقوهم ومنعوهم من مجاورتهم. وساعدهم زعيم البطاحين، فأرسل زعيم الكميلاب إلى البشاريين في طلب النجدة. فلبى نداءه الشيخ أحمد بن عمران بن عيسى برجاله على النجب ومعهم بعض من العبابدة. فقاتلوا البطاحين والمُسْلَمِينَ. واستولّى أحمد عمران على جزيرة بعلوك Baalouk وتاكو واتخذها عاصمة لقبيلته، وهي مقر الناظر إلى يومنا هذا. ومن بعلوك كانت تسير العصابات لقتال عائلة شبوديناب الهدندوية في القرن الماضي. وللبشاريين ميل فطري إلى إظهار البسالة والشجاعة في كل مواقعهم. وكانوا يتولون ضمان القوافل التي تسير بين مصر والسودان وسواكن وكسلا.

وكانت أراضيهم التي ينتشرون فيها الآن تكوِّن مملكة البجة الشمالية، فمحيت وحَلّت محلها مملكة البشاريين حتى عهد الفتح التركي للسودان سنة ١٨٢٠م، فأمر محمد علي باشا باستبدال كلمة الملك بالنظارة، وصار يطلق على الملك «ناظر»، واستمر ذلك إلى يومنا هذا.

ولما قوي البشاريون استطاعوا كما ذكرنا طرد القبائل البجاوية (السكان الأصليين) من تلك الأراضي، فارتحلت عنهم إلى الجنوب حتى بلغت بأَيْدِيب Baideid، وهي ميناء محمد قول[١]، واستقرت هناك نهائياً. وكان ملوك البجة السابقين من عرب بَليّ الذين رأينا أنهم هاجروا إلى السودان منذ أقدم أزمنة التاريخ. وفي جبالهم معادن الذهب والزُمُرد والحديد. وكذلك يستخرج من بحرهم الصدف واللؤلؤ والكوكْيان. وقد أقيمت في ميناء دُنْقوناب Dongonab زراعة للصدف الذي يستخرج منه اللآلئ. كما توجد شركات وطنية وإفرنجية لاستخراج المعادن التي سبق أن ذكرناها.

---

(١) هو محمد قول رجل من قبيلة الأرتيقة كان يشتغل بالتجارة، (راجع تاريخ قبيلة الأرتيقة في كتابنا تاريخ سواكن والبحر الأحمر (طبع الدار السودانية).

وفي سواحل البشاريين الجنوبية يقع ميناء «شَنْعاب» وهو ذو موقع جميل تأمن السفن فيه من الأنواء والعواصف.

وتنقسم قبيلة البشاريين إلى عدة عائلات:

❋ ❋ ❋

## (عالياب) أو (عَلْياب)

وهم ذرية علي الذين تناسلت منهم عائلة بألقاب، وسَارَابْ ومحمد عالياب، وكَرْبِيلابْ وَحَمَدْ عُمَرَابْ وهم أكثر عائلات البشاريين في جهة عيتباي، وعمدتهم هو الشيخ عبد الرسول عبدالله. ويسكنون حول جبل عِيس Aeis.

❋ ❋ ❋

## (حمد أُورَابْ Hamad ORAB)

تفرعت منهم عَمِّرْ وعَشُبَاب، وحَمَدْ كُوراب، وقَمْهاتابْ ويقيمون في حلايب (عِلَيْ) وجبل علبة وتجاورهم عائلة ـ عامراب ـ وعمدتهم هو الشيخ حمد بَطْران.

❋ ❋ ❋

## (شنتيراب SHANTIRAB)

تفرعت من شَنتير عائلة سَعْداب وسالْعابْ وشَابِشْ وقَهْيَابْ وعمدتهم هو الشيخ محمد تيتة جِبْرِينْ.

❋ ❋ ❋

## (إيرَايَاب EIRAYAB)

هم ذرية إترَا (أبيض) بن أنك ويسكنون بين محطة العبيدية وأبو حمد.

ويندر فيهم من يجيد الخطاب باللغة البجاوية إذ يتكلمون العربية كسائر قبائل العرب الساكنة على ضفاف النيل وعمدتهم الشيخ موسى طاهر.



**لفيف من أبناء البشاريين على ظهور جمالهم السريعة القوية التي كانت تحمل أثقال الفلفل والبهارات وسلع الدنيا القديمة من ميناء عيذاب البجاوية إلى مدينة قوص المصرية**

فهذه العائلات يقال لها: «أبناء أم علي» وأما بيت النظارة فيقال لهم: «أبناء أم ناجي» وهم: ناجي «كادت ذريته أن تنقرض»، ومنصور: جد المنصوراب، وعيسى، وهو الثالث الذي تناسلت منه عائلة «حمداب ونافعاب»، ويتولَّى نظارة البشاريين اليوم الشيخ أحمد كرار أحمد الذي ضم إلى قبيلته أبناء عمومته من الكميلاب والمرغوباب والنفيداب. وهؤلاء الأخيرين هم من ذرية السيد أحمد نافع (نافعوتاي) سكن مع البشاريين بعد أن فارق أهله عد شيخ حامد ابن أحمد. ويرأس هذه العائلات الشيخ محمود كرار أحمد شيخ مشايخ البشاريين.




## * في بلاد التاكا (كسلا) *

### بلاد التاكا TAKA

يطلق هذا الاسم على السهول الواقعة شرق نهر عطبرة، كما تطلق البطانة على الغربية. وهذا الاسم أطلقه الأحباش على هذا النهر، وبعض المعاصرين استنبطوا لها عدة اشتقاقات كقولهم: إن أهلها إذا تحسنت معهم الأحوال الزراعية يمشون الخيلاء (من اتكأ ويتكئ... إلخ). وإذا قلت: التاكا فلا ريب أنك تقصد مدينة كسلا. ولم يشتهر اسمها هذا إلا بعد الفتح التركي في سنة ١٨٤١م. وفي رحلات الإفرنج يسمونها أيضاً التاكا[١].

ونأتي هنا كيف ضاع استقلال بلاد التاكا على يد المستعمرين من الأتراك كسائر استقلال مديريات السودان التي فتحها البرنس إسماعيل[٢] باشا محمد علي سنة ١٨٢٠م.

ونحن نورد هنا كيف كان فتح بلاد التاكا كما رواه نعوم بك شقير من المخطوطات الرسمية.

---

(١) رحلة بورخهارت اللوزاني سنة ١٨١٤ للتاكا Travels in Nubbia.

(٢) أحرقه الملك نمر هو وحاشيته في شندي، فمات مخنوقاً بالدخان وانزعج والده إذ لم يكن يتوقع أن يد السودانيين تمتد للفتك به.

## فتح التاكا سنة ١٢٥٦هـ - ١٨٤١م

لما استتب الأمر لأحمد باشا أبو ودان في الخرطوم وضواحيها اهتم باحتلال السودان الشرقي وتمهيده. فقاد الجنود إلى بربر، وأرسل يطلب مشايخ البجة، فأتاه الشيخ محمد دين شيخ الهدندوة[١] العام مظهراً التسليم. أما عوض مسمار كبير الحلنقا الذي سيأتي ذكره فإنه أبى الحضور. وكان بين الهَدَنْدَوة والحَلنقة عداوة قديمة وحروب متصلة. فطلب محمد دين من أحمد باشا أن يمده بنفر من الجنود فيخضع الحلنقا له ويكفيه مؤونة تعبهم، وهو إنما أراد التنكيل بهم من جهة، ومنع دخول الجيش إلى بلاده من جهة أخرى. فلم يجبه أحمد باشا إلى ذلك بل سار بنفسه مع الجيش قاصداً الحلنقا. فلما ذاع الخبر قدم إليه الشيخ محمد إيلَة ومعه بعض وجهاء قبيلته في قُرزْ رَجَب على نهر عطبرة وقدم له الطاعة وسأله أن يجعل مركز الجيش في بلاده. وكان الحلنقا مقيمين على القاش قرب جبل كسلا. فلما رأى أحمد باشا بلادهم أعجبه موقعها، فبنى فيها استحكامات منيعة وجعلها مركزاً للجيش وحكومة السودان الشرقي، وأقر محمد إيلة على شياخة الحلقنا. أما عوض مسمار فإنه ذهب إلى الحجاز عن طريق سواكن، ثم عاد إلى كسلا بأمان الحكومة. فعين ابنه محمد شيخاً على القبيلة. ومنذ ذلك الحين صارت عائلتا عوض مسمار ومحمد إيلة تتناوبان مشيخة الحلنقا إلى اليوم، (ومنذ سنة ١٨٩٨م) لا تزال النظارة بيد الشيخ جعفر علي شكيلاي إلى اليوم (ديسمبر ١٩٥٦م) ذاق أثناءها اعتقال الخليفة عبدالله بأم درمان. ثم اعتقال الطليان لما استولوا على كسلا سنة ١٩٤٠م. وفي أول سني الاستقلال أصاب كسلا وباديتها الجدب فاعتذر عن تحصيل الجزية فحرمته الحكومة من صرف مرتباته[٢]. أما الهدندوة فإنهم لما رأوا أن أحمد باشا مال إلى أضدادهم وجعل بلادهم مركزاً لحكومته ارتدوا عنه. وسنفصل ما حدث بينهما تحت (الشيخ محمد دين ناظر الهدندوة).

---

(١) كان لقب رؤساء القبائل السودانية - ملك - فلما جاء هذا الاحتلال سموا - نظاراً -.

(٢) فضرب مثلاً رائعاً للمتفانين في تفضيل الأهل والعشيرة على النفس.

وعاد أحمد باشا إلى الخرطوم بعد أن ولى عمر بك كاشف مديراً على كسلا وخلفه فرحات الذي أرسل البكباشي إلياس أفندي قومندان الجهادية إلى بني عامر فقاتلهم في دَقة دِقْلَلْ Daga Diglal فأطاعوه ودفعوا الجزية. وتوفي فرحات في كسلا وتوفي أحمد باشا في الخرطوم في رمضان سنة **١٢٥٩**هـ ـ **١٨٨٤**م بغتة حتى قيل: إنهم دسوا له السم ليتخلصوا منه لأنه كان يحاول الاستقلال عن مصر. فهكذا لقي سوء عمله إذ قيل: إنه سقى الشيخ محمد دين والفقيه موسى المَلْهِيتكِنابي وأصحابهم السم في سجن الخرطوم، وادعى أنهم ماتوا بالجدري. حسبه الله.

وبعد وفاته تضعضع حال الحكمدارية واختل نظامها واستقل كل مدير بمديريته، وصار يفعل فيها ما يشاء. وثار أهل التاكا بعد وفاته نظراً لسوء إدارة الموظفين وعدم كفاءتهم، فجرد أحمد المِنِيكْلي(١)، جيشاً كبيراً وسار لقتالهم ومعه الأرباب محمد دفع الله، والشيخ عبدالقادر الزين، والشيخ أحمد أبو سن كبير الشكرية، فأسر رؤوس العصاة وعاد بهم إلى الخرطوم وضرب رقابهم.

قال المهندس الألماني فرديناند فيرن (وكان مرافقاً لجيش أبو ودان هو وأخوه): في صباح يوم **١٨٤٠/٣/٣**م، حضر للمرة الثانية الشيخ موسى إبراهيم فلم يهتم به الباشا إذ كان يريد حضور عمه الشيخ محمد دين الذي رفض تقديم الولاء، وبعد أن بارح الباشا قوز رجب بيومين وصل قرى السِّيقُولاب الكبيرة، فأمر بإحراق بعض منازلها لإخلاء الطريق للجيش، فتقدم وفد من السيقولاب على خيولهم(٢)، كما وفد عليه وفد الحلنقا برئاسة محمد بك إيلة(٣)، في يوم ٦ أبريل سنة **١٨٤٠**م، ولم

---

(١) حكمدار السودان سنة **١٨٤٥**م.

(٢) برئاسة زعيمهم وهدأ الهداب، وكانت قريتهم مؤلفة من ثلاثين منزلاً.

(٣) في يوم **١٨٤٠/٣/٢٨** وفد عليه الشيخ محمد دفع الله وبعض أتباعه.

يحضر للقائه الشيخ محمد دين الذي كان يقاتل الجيش ليلاً ونهاراً في تلك الغابات الكثيرة لا سيما وأن عصابات الهدندوة أقلقت راحتهم وانتصرت عليهم في واقعتين سابقتين. وكان يأمر الجيش أن يستمر في إطلاق النار ليلاً على آبار المياه حتى يتخلصوا من الغابات ووصلوا سهول القاش بجهة أروما. وقتل بعض الجنود كما قتل جماعة من الهدندوة وحلفائهم. وكانت أعصاب الباشا ترتعد خوفاً من هجوم الشيخ محمد دين المفاجئ مع أن موسى بك وعده بإحضار عمه. وكان الباشا قد أرسل في إحضار أحمد باشا أبو سن ليكونوا همزة وصل للتوفيق بينه وبين الناظر محمد دين. ووصل أبو سن يوم **١٣/٤/١٨٤٠م**، ومعه ستمائة من المشايخ والأعيان وسبعون فارساً على خيولهم، فخرج أبو ودان باشا لاستقباله بالسواري والموسيقى، ثم دارت بينهما محادثات كثيرة في استقبال الشيخ محمد دين الذي حضر ومعه جمع حافل من المشايخ ونزلوا في خيمة الشيخ دفع الله فتلقاه ببشر وترحاب.

قال فيرن: إن الذي يشاهد الشيخ محمد دين لا يرتاب في شجاعته وعلو نفسه ومحافظته على كرامته واحترام قبيلته. وهو البطل الذي هزم جنود خورشيد في واقعتي سبدرات وغنم منه المدافع والبنادق، فتمارض أبو ودان من لقاء محمد دين.

ولما شفي أبو ودان قابل الشيخ محمد دين وأنعم عليه بكساوي شرف ثمينة جداً وأغدق على مشايخ الهدندوة أيضاً بالملابس الغالية وسمح له بالسفر إلى أهله مؤملاً أن تصله هدايا كثيرة من أبقار وضأن الهدندوة. ولم يكد الناظر يخرج من المعسكر حتى كان فتيان الهدندوة يستولون ليلاً على كل جمل أو حصان يجدونه في الغابة والخلاء.

ومن رأى غنماً في أرض مسبعة ونام عنها تولّى رعيها الأسد

ولم يمض أسبوع حتى عاد الشيخ محمد دين ومعه أكثر من مائتي من البقر ومثلها من الضأن. فقابله كل من كان بالمعسكر بحفاوة واحترام. وحضر معه موسى ابن أخيه وكان عمره اثني عشر عاماً وفي أذنه اليمنى

قطعة كبيرة (تلال أو خرز) من الذهب الصافي وعليه ملابس كلها محلاة بالذهب والفضة.

ثم عاد الشيخ محمد دين إلى أهله ومعه الملك محمود محمد الشايقي بعساكره. وكانت لديه تعليمات بأن يغدر بمحمد دين عندما تسنح له الفرصة. ولكن الأخير سلم الأول وجنوده للمشايخ حتى يتحصل الجزية من العربان. ثم عاد محمد دين للباشا (يوم ١٨٤٠/٤/٢٢م) وحضر معه ناظر بني عامر الشيخ الفيل (وهو غني جداً)، فاستقبلهما الباشا، ثم دعا بقية النظار والمشايخ كي يسددوا الجزية بعد شهر. وأرسل مع كل عمدة أو ناظر نحو ثلاثين من الجنود أو أربعين لإرهاب العربان حتى يسددوا بسهولة. ورجع الشيخ محمد دين بنفسه، فقال له الباشا: لماذا عدت من غير جزية؟ فأجابه إنني دفعت ما فيه الكفاية بين ضيافة وإكرام. فسأله عن العساكر التي أرسلت معه ومع المشايخ. فأجابه رأيتها تجوس خلال الديار وتضرب الأهالي، فاستحسنت أن أعود إليك لئلا أشاهد أعمال العنف التي يأتيها عسكرك. فقال له: وأين هي الآن؟ وقد أرسلت معك ثلاثين جندياً فأين ذهبت؟ فأجابه: لا أعلم. فقال له: أنت محبوس لحين حضور الجنود جميعها وتسديد الجزية. وسجنه بدون أن يعلم الهدندوة عنه شيئاً. ثم عين ابن أخيه الشيخ أحمد إبراهيم[1] تحت وصاية الشيخ محمد دفع الله. وسافر ناظر بني عامر ومشايخه لإحضار الجزية، وكان معه حسن أفندي البكباشي بجيشه لجمع الجزية. وفجأة زار المعسكر موسى إبراهيم باحثاً عن عمه. فقال له الباشا: إنني أريد أن أرسلك إلى مصر كي تتلقى العلوم والمعارف وتنفع القبيلة. فوافق موسى ولكن طلب مشاهدة عمه، فلم يسمح له بذلك.

وفي أثناء سجن الشيخ محمد دين حدث قتال بين الهدندوة والشكرية، وكثرت الجموع في محل الزراعة التي نشأت بسبب الذرة، فخاف الباشا أن تكون حيلة للاجتماع ثم الهجوم عليه، ولذلك أطلق سراح الناظر الذي

(١) أخو موسى إبراهيم الأكبر وكان أشد مراساً من عمه وأخيه.

ذهب إلى أهله (وطيلة هذه الأيام لم تنقطع مناوشات الهدندوة للجيش). ثم عاد إلى المعسكر ومعه نحو خمسين شاباً بأسلحتهم. قال فيرن إن الشيخ محمد دين في منتهى البسالة ولا نهاية لحدود قبيلته التي تمتد من نهر عطبرة حتى سواحل البحر الأحمر، وهم لا يخالفون أمره، وقد ذبحوا مئات من العساكر التي ذهبت لتحصيل الجزية. ولولا أن الناظر كان يكره الاستعمار والخضوع للحكم التركي فإن الناس جميعها تصفه بطيب الخلق والكرم حتى قيل: إن لا مثيل له في كل النظار.

وحال وصوله قابل الباشا ثم خرج. وظهر لي من كثرة تردده على المعسكر بهؤلاء الشبان أنه يريد انتهاز فرصة غفلة الجنود فيقضي على الباشا، ورد إليه الباشا الزيارة فوجده نائماً وحوله خفراؤه. فجلس الباشا ونحن معه حتى استيقظ. ثم دارت بيننا عدة أحاديث. ثم قال لنا: أنا زرت سواكن ورأيت طراداً إنجليزياً راسياً بالميناء. فقام الباشا وعاد إلى خيمته حيث كانت تقيم معه إحدى الحبشيات (محظية) بنى لها عشة ذات حوش فسيح تصدح فيه الموسيقى في أوقات الليل لحراسته من فتك الشيخ محمد دين به. ثم جاءت فرقة ممن تبقى من جنوده بثلثمائة بقرة، وسأل عن العساكر، فقيل له: ذبحوا. فأرسل في إحضار الشيخ محمد دين وفقيه موسى وزعيم السِّيقولاب والمَلْهِيتكِنَاب. فعملوا اجتماعاً قررت فيه كل القبائل عدم ذهابهم إليه. فقال الشيخ محمد دين رأيكم يعتبر جبناً منا ويجب أن نذهب إليه[1]. فذهبوا رغم أنف قبائلهم، فلما وصلوا أمر الباشا بوضع السلاسل والأغلال في أعناقهم وكبلهم بالحديد، وأصدر أمره كي يستمر إطلاق النار والقنابل في الغابة. وبعد أيام أمر بالرحيل إلى كسلا خوفاً من هجوم مفاجئ من القبائل التي اعتقل زعماؤها. ثم جاءه جماعة من الهدندوة وطلبوا منه إطلاق سراح الناظر وأصحابه، فقال لهم أحضروا لي في جهة

(١) قال الشيخ محمد دين إذا قتلني الباشا هنا (في أروما) اعتبر شهيداً، ولذلك سيأتي لزيارتي كل من يكره الحكم التركي وهم قوم لا عهد لهم ولا ميثاق.

الحمام ستة آلاف أردب ذرة آخذها في طريقي إلى كسلا، فلم يهتموا بكلامه ومطالبه.

وأمر الباشا الشيخ محمد دفع الله والشيخ أحمد أبو سن والشيخ إدريس عجيب والمعتقلين الرحيل (بعد أن أركبهم الحمير)، ولما دنونا من غابة كسلا شاهدنا فيها كتلاً بشرية من الهدندوة قد استعدت للفتك بنا حينما ندخل الغابة. فأمر الباشا جنوده بأن يقطعوا الأشجار ويزيلوها. ولما أزيلت استأنفنا السير حتى عبرنا نهر القاش ودخلنا مدينة كسلا (عاصمة أرض الحلنقا) ولم نجد فيها ملكها الشيخ عوض مسمار الذي كان يتمثل بقوله: أنا عشت طول عمري حراً فهيهات أن أكون خادماً للترك. أنا أشرف منهم حسباً ونسباً. وكان هذا الملك يقاتلنا مع الهدندوة. فلما اعتقل أصحابه سافر إلى سواكن.

ووضع الباشا المساجين كِلاًّ منهم في حفرة عمقها نحو المتر للتعذيب. واشترى الشيخ محمد إيلة جاريتين جميلتين (من بنات البازين) سال عليهما لعاب الباشا فأهداهما إليه.

ودعا الباشا المهندسين (فيرن وأخاه) وطلب منهما تغيير مجرى نهر القاش حتى يصب في نهر عطبرة، وفعلاً بدأ العمل في ذلك. قال نعوم باشا شقير يصف هذه الفظائع التي أراد بها الباشا هلاك الزرع والضرع والبشر.

أما الهدندوة فإنهم لما رأوا أن أحمد باشا مال إلى أضدادهم وجعل بلادهم مركزاً لحكومته ارتدوا عنه وجمعوا جموعهم في غابتي وهياي والكلتياب شمال كسلا. فحول أحمد باشا مجرى القاش ومنع عنهم الماء، فعطشوا وأخذوا في التفرق، ثم لما يبس الشجر أطلق النار في الغابتين فذعروا منهما فلحق بهم وقتل منهم خلقاً كثيراً، وأسر شيخهم محمد دين وزجه في السجن إلى أن مات بداء الجدري[1].

قال فيرن وأيده محمد بك موسى بأن الهدندوة اختاروا نحو مائتي

---

(١) والحقيقة أنه مات مسموماً وكذلك أصحابه.

شاب كي يذهبوا سريعاً إلى فتح الطريق الطبيعي لنهر القاش حتى يعود إلى خط سيره[١] الأصلي، فاندفعت المياه بسرعة وكثرة، فلما سمع أحمد باشا أبو ودان بما أتاه شباب الهدندوة أصيب بحمى شديدة منعته الكلام، وأصيب برعشة ورفض مقابلة الناس من الغيظ على الهدندوة مع أنه ألقى بناظرهم وزعمائهم في غياهب السجون يقاسون مرارة التعذيب مع أنهم أولئك الفحول الذين ألفوا الجلوس على ظهور الصافنات الجياد.

ولما زارهم فيرن وجد الثلاثة المشايخ ملتفين حول سرير ناظرهم المريض وقد ألقوا على الأرض. فسبحان الذي لا ملك إلا ملكه، هذا هو الشيخ محمد دين ناظر عموم قبائل الهدندوة ارتاعت من بأسه القبائل المجاورة له والنائية عنه، ومنذ سنة **١٨٣٨** وهو في قتال مستمر ضد جيوش الاستعمار وانتشر بأسه في الآفاق بشهادة أمثال فيرن وصمويل بيكر وغيرهما من أحرار الكتاب[٢].

ولما رأى الأول مشهد الناظر قال متعجباً، هذا هو الشيخ محمد دين الذي كان ملء السمع والبصر أصبح في السجن بحالة يرثى لها. فعرضت عليه الدواء فاعتذر شاكراً (ربما ظن أن الباشا وضع له فيه السم)، ثم قال: إنني لا أخشى الموت بل أخشى صنوف الذلة والمهانة التي يستعملها معي هؤلاء السجانين كتعليمات أبو ودان. وقد طلب اثنان من المشايخ زيارته، فسمح لهما بذلك ولكن بعد خروجهما اشتبكا مع جماعة من العربان فقتلوهما[٣]، في معركة حامية بينهما وبين جماعة من الحلنقا. ولما شفي أبو ودان أمر بإعداد الجيش للزحف إلى أرض الهدندوة[٤]، لأنهم قتلوا

---

(١) كان يتولى حفر الوادي العمال والمساجين والجنود غير النظاميين. فبدأ شباب الهدندوة بقتل العمال والخفراء وهم نحو مائتين وخمسة وعشرين من الباشبزوق، وهربت الناس من العمل فيه وسمى الخور باسم ـ خور محمد بك إيلة إلى اليوم.

(٢) كانت مكاتبات شقير عن الهدندوة فيها شيء من التحامل بسبب خلافه مع الناظر محمد بك موسى.

(٣) هما علي محمد الويلعليابي وأخوه موسى.

(٤) وكان معه محمد بك إيلة وأبو سن ومحمد دفع الله وولد ناجي البشاري.

ثلاثين جندياً ونهبوا ٣٧٠ حماراً وخمسين جملاً وعشرين حصاناً. فطلب المشايخ الذين معه أن يسمح لهم بمقابلة زعماء الهدندوة قبل القتال. فوافق، واتفقوا وإياهم على انتداب ثلاثة لقاء الباشا، فلما قابلوه سألهم عن الجزية أولاً ثم دية قتلى الجنود الكثيرين ونهب مطايا الجيش. فأجابوه بأنه يمكن تسديد الجزية على شرط أن يعود الباشا بجنوده إلى كسلا. وأما سائر المطالب فلا يعلمون عنها شيئاً لأنها كانت في عهد الناظر محمد دين الذي أرسله الباشا ومعه حرس شديد إلى الخرطوم سراً. فرضي الباشا وعاد إلى كسلا.

وفي أحد الأيام نقل إلى الباشا ما قاله له الشيخ عوض مسمار. فأمر بأن يؤتى بأبنائه ويدمجوهم في المساجين لإهانتهم وكسر شوكتهم. فلم يرض عمله المشايخ فعفا عنهم. وأمر عابدين بك قائد السواري بأن يذهب مروراً إلى أرض الهدندوة، فامتثل، ولما وصل بين أروما وتندلاي خيم هناك أياماً وفي إحدى الليالي سكر فرسان السواري الأتراك وبدأوا في إنشاد الأغاني التركية حتى تعبوا ثم ناموا حيثما اتفق. وإذا بعصابة من الهدندوة وبيدها الخناجر تداهمهم وتذبحهم عن آخرهم وكلما ذبح الهدندوي جندياً قال: وَهَدْأَ محمد دين[١]، أي آخذ بثأر ناظرنا الشيخ محمد دين، ثم ذبحوا الخيول. وفر عابدين، ومعه ضابطان إلى كسلا. فاستاء الباشا من ذلك العمل الذي قتل فيه نحو أربعين فارساً تركياً. وكما أسلفنا عاد أحمد باشا إلى الخرطوم بعد أن ولى عمر بك مكاشف[٢]، مديراً على كسلا ثم عزل وخلفه فرحات بك مديراً فعصاه الهدندوة وقاتلوه وهزموه مراراً. فجند من شباب الحلنقا واستعان بهم، ولكنه لم يظفر منهم بالطاعة. وأخيراً أرسل في طلب بعض شيوخهم للمفاوضة فجاؤوه وعرض عليهم الصلح. فقالوا له: ليس لنا رأس بعد الشيخ محمد دين، ولذلك نريد منك أن تعين الشيخ

---

(١) قال الباشا ذات يوم للشيخ محمد دين: سأحفظ ابن أخيك الصغير موسى إبراهيم هنا حتى تسدد الجزية. فاضطر للذهاب وإحضار ثلاثة ألف بقرة وسبعة ألف من الضأن وبعض القطع من الذهب فأطلق سراح موسى.

(٢) الكوركتلي الذي خطط أراضي الكارة وأنشأ فيها المباني الحكومية والأهلية.

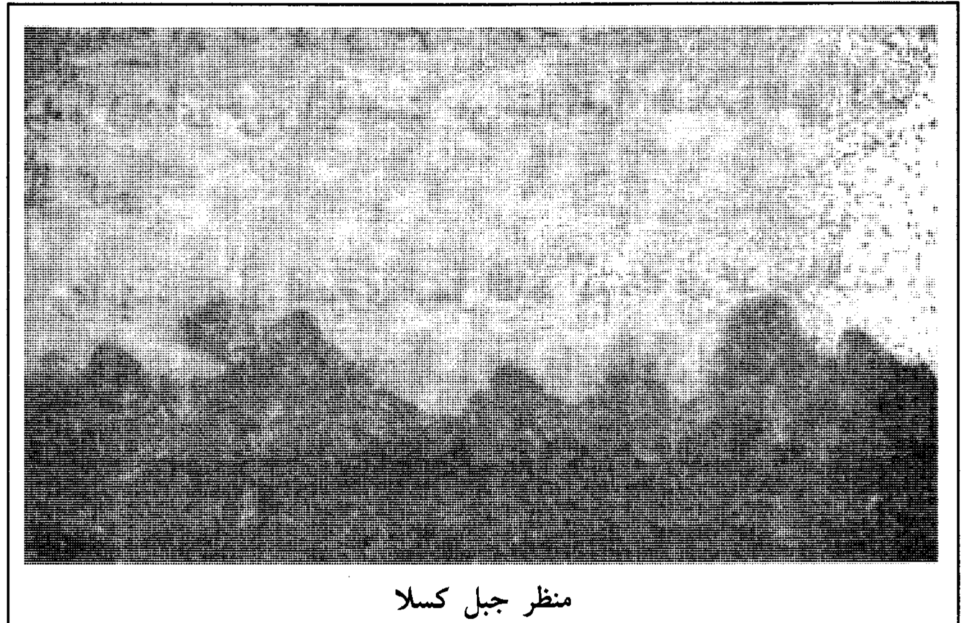
موسى إبراهيم. وكان شاباً في الثامنة عشر من عمره فوافق، وأحضروه إليه فأنعم عليه بكسوة النظارة. فقال الشيخ موسى: أنا مسؤول عن جزية هذا العام فقط أما المتأخرات فلا يمكنني تحصيلها، فوافقه فرحات وتم تسديد الجزية.

بعد وفاة أبو ودان خلفه أحمد باشا المنيكلي سنة **١٨٤٥**م، ولم يمكث في الخرطوم إلا قليلاً حتى عاد أهل التاكا إلى الثورة. وأرسل المدير ثمانين جندياً إلى ديار الهدندوة كي يتحصلوا الجزية. وأمر موسى أن يأخذ كل عمدة معه عشرة عساكر لجمع الجزية. ولكن العمد ذبحوا الجنود جميعهم، فاضطر موسى بك كي يختفي من الحكومة فسافر إلى القنوب بأهله وأمواله[١] وجاء المنيكلي الجزار أيضاً وجند جيشاً كبيراً وسار لقتالهم ومعه الأرباب محمد دفع الله، والشيخ عبدالقادر الزين، والشيخ أحمد أبو سن، وصار يقتل كل من يلقاه من الهدندوة[٢]، وكانت قيادة جنود الحكومة بيد رؤساء القبائل المعادية للهدندوة منذ عصور مضت. ولم تهدأ المشاكل بعد سفر موسى بك بل تولّى قيادة عصابة من فرسان البوقليني عميدهم الشيخ محمد بخيت وأدار بلو وأبناء محمد وعلي وصاروا يغزون هم والوِيلْعَلْياب على خيولهم (التي غنموها من عابدين بك) المراكز الحكومية النائية. أما الشيخ موسى فإنه أخذ زمناً عند المَلْتِيناب ثم رحل بأهله إلى سواكن ومنها إلى أرض الحرمين لتأدية الفريضة في سفينة الشريف موسى قدار (جد السيد باقراب). وفي مكة المكرمة أكرمه الشريف عبدالله ابن غالب ثم ذهب إلى الطائف لزيارة السيد عبدالله السنوسي الذي قال له: سافر إلى كسلا فإن الحكومة الخديوية قد عفت عنك وتريد إكرامك. فعاد إلى سواكن ومنها إلى أرض الملهيتكناب.

---

(١) استخلف على رئاسة الهدندوة ابن عمه (الشيخ أحمد كشة) وأوصاه بأن يبتعد عن مراكز الحكومة.

(٢) استعمل حكام كسلا وجنودها كل ضروب القساوة والفظاعة مع هذه القبيلة الهادئة بدلاً من أخذها باللين واللطف، ولذلك نشأت بينهما العداوة والبغضاء.



منظر جبل كسلا
وفي أسفله خيام الختامية

❋ ❋ ❋

## كسلا سنة ١٨٦٥م

حدثت في كسلا ثورة الجهادية السود لأن المدير منعهم من استلام مرتباتهم الشهرية[1]، فاضطروا أن يأخذوا سلاحهم ويقاتلوا الأهالي والضباط. فجلبت الجيوش والقواد من كل أنحاء السودان حتى تم القضاء عليهم، ولكن بعد أن مات الكثير من الأهالي ونحو ثلاثين ضابطاً (اقرأ تفاصيلها في تاريخ شقير ومذكرات المرحوم البكباشي أحمد حسين الحداد، واختتم نعوم شقير هذه المأساة الدامية بقوله:

وهكذا انتهت ثورة الجهادية السود في كسلا بعد أن جرَّت الخراب على أهلها وضاع فيها الكثير من النفوس والأموال. ولم تكتف بهذا بل

(١) لا يصرف مرتبه الشهري في ميعاده إلا من كان تركياً، فتتأخر مرتبات المصريين ثلاثة شهور والسودانيين ستة (نعوم شقير).

جرَّت وراءها ذيلاً أي حمَّى وبائية نجمت عن فساد الهواء لكثرة القتلى فمات بها خلق كثير.

ومما يؤسف له، أن الخديوي أرسل القائد آدم بك بن محمد ضو البيت وولده شيخ عربان دار حامد بكردفان وأقسم للسودانيين بأن لا يمسهم بأي سوء إذا سلموا أسلحتهم، فامتثلوا، فلما تشكل المجلس الحربي بإعدامهم(١). قال آدم بك: هذا مستحيل لأني أقسمت لهم بشرفي أن لا يمسهم شيء ما لم تصل موافقة سمو الخديوي على الحكم. ولكن الأمر فلت من يده وأبيد الآلاي السوداني بعد أن تألبت عليه الجيوش من كل مكان وانتزعت من كل جندي سوداني أسلحته. وتفنن ضباط الجيش التركي في ضروب قتل رجال الآلاي من السودانيين. ولاحظت أن مدينة كسلا لا بد أن تصاب بكوارث كل خمسة وعشرين عاماً. ففي سنة **١٨٤١**م فتحها جيش الاستعمار، ثم في سنة **١٨٦٥**م كانت ثورة الآلاي السوداني، ثم المهدية سنة **١٨٨٤**م، ثم الفتح الإيطالي سنة **١٨٩٤**م، ثم سانبو سنة **١٩١٨**، وأخيراً الفتح الإيطالي الثاني سنة **١٩٤٠**م، ولا ندري ما يخبئه لها القدر في ربع القرن القادم.



## سكان كسلا

أشهر من قطنها هم الحلنقا والهدندوة وبنى عامر والمَلْهِيتكناب والسِّيقولاب. واستوطنها معهم بعد الفتح التركي كثير من التجار والموظفين

---

(١) وقبل المحاكمة أقر المجلس الحربي أن يوزعوا هؤلاء العساكر على عربان الهدندوة بحجة جمع الضرائب ثم يأمروا العربان بالقبض عليهم، فلما خرج الجنود إلى أرض الملهيتكناب بقيادة الأميرالاي علي بك أو ودان في ١٨٦٥/٦/٢٧م، أمر علي بك ضباط الأورطة بالتفرق بين القبائل، (وكان أكثرهم من المصريين) لجمع الضرائب. فأدرك العساكر أن في الأمر دسيسة، فرفضوا السفر، فأغلظ لهم الضباط في الخطاب، فهجموا عليهم فقتلوه أكثرهم ونهبوا البلدة ثم رجعوا إلى كسلا. وأول من استعمل هذه الخطط هو الناظر موسى بك. وسنبين ذلك في اسمه.

والمنتسبين وغيرهم والجعليون والرباطاب والشايقية والبديرية والخنادقة والميرناب والرشايدة والحمران والأشراف والرضوان والدقناب والأرتيقة والمصريين.

❋ ❋ ❋

## التجار

اشتهرت كسلا بتجار أمناء[1] جداً وهم كثر لأنها كانت محل التقاء القوافل بين أشهر الموانئ (سواكن ومصوع) وبقية مدن السودان كالخرطوم وشندي وبربر وسواكن والقضارف وسنار. وأشهر تجار كسلا لغاية انتشار المهدية سنة ١٨٨٤م هم السادة[2] علي شاويش - عبدالله باعشر - عبدالكريم الكابلي، محمد نور الكابلي - الحاج صقر - خليل الهندي - علي جاد الله - عبدالله الصباغ - محمد بسيوني - عثمان نصر - وبدوي منصور - محمد راشد - محمود البخاري - محمد بدوي - موسى البتانوني - وسيد الندال - محمد أحمد فقيري - حسين الثور - محمد إبراهيم التركي.

❋ ❋ ❋

## رجال الإدارة

علي بك شكيلاي - عبدالقادر بك محمد إيلة - بشير بك كمبال - محمد بك عبود - عكود آغا - السيد أحمد عواض - محمد طه - علي جيلاني.

❋ ❋ ❋

---

(١) مصدرنا هو السيد إبراهيم حمو وأدركت أغلبيتهم في سواكن وتوكر.

(٢) كان سر تجار كسلا في التركية فتح الرحمن محمد عثمان الشايقي ثم خلفه الخليفة محمد محمود عجم أوغلي.

## الموظفون

الباشكاتب المشهور السيد العوضي - مصطفى جيلاني - إبراهيم علي عبدالمنعم - محمد يوسف عوض - علي حسن القصاص - مرجان الكابلي - حسن بسيوني - عبدالله بسيوني - مختار خليل هندي - حسين خليل هندي - عمر شكور - عبدالقادر هديب - إبراهيم حبش - محمد محمود عجم أوغلي - أحمد خليل - ملاسي هلول - مردان آغا - صالح محمد الشناوي - صالح حجازي - محمد بيومي.

❋ ❋ ❋

## الضباط

إبراهيم المحلاوي (بكباشي) والبكباشي نور الجواب عبدالله - سليم آغا - حسن موسى - وأحمد حسن الحداد.

❋ ❋ ❋

## الأدباء والشعراء

لا نريد إحصاء شعراء البادية وأشهرهم المحلق (مجنون تاجوج)، بل ندوّن الذين اتخذوها موطناً لهم مثل إبراهيم الفراش والحاردلو (الشيخ أحمد حمد بك أبو سن من زعماء الشكرية). ومن الأدباء دبوس المغربي وحسن علي بك شكيلاي - سيدنا حمدنا الله، وشاعر السودان عبدالله حسن كردي.

❋ ❋ ❋

## الكتاب

أشهرهم: محمود جيلاني - موسى وعيسى فارس - محمود إبراهيم - محمد نصر الله - أحمد وحسن المحلاوي - فضل المولى عجبين - حسن سيد أحمد - مصطفى السيد - الخليفة مصطفى حسن الملهيتكنابي - والسيد فقيه يعقوب مالك - والإمام مصطفى محمد الملهيتكنابي.

## الحلنقة أو الحلنقا

هي إحدى قبائل إقليم البجة وعاصمتها كسلا، وهي مقر مدير المديرية الشرقية منذ الفتح التركي نسة ١٨٤١م أيام الخديوي محمد علي باشا. هذا وإنني قد اعتمدت في تاريخ قبيلة الحلنقة على ما نشره فضيلة الشيخ أحمد عثمان القاضي (رئيس تحرير حضارة السودان بالعدد ١٠٠٨ الصادر يوم ٩ سبتمبر سنة ١٩٣١م)، قال تحت عنوان رسالة الشرق عن طريقة مجيء الحلنقة إلى كسلا: الحلانقة عرب يسكنون وادي القاش بمديرية كسلا والمعروفة قديماً ببلاد التاكا، وقد ينسبهم مؤرخو السودان إلى قبائل البجة. وربما كان لهم بعض العذر لعدم الاستقراء أو البحث من أوثق المصادر على أن الحلانقة أصلهم من عرب الجزيرة وينتسبون إلى هوازن. ويذكر مؤرخوهم أن أجدادهم نزحوا إلى أفريقيا في خلافة عبدالملك بن مروان فراراً من ظلم عامله على العراق الحجاج بن يوسف. ويؤكد الثقاة أن الفخذ الهوازني الذي ينتسب إليه الحلانقة عبر أفراده البحر الأحمر إلى الشاطئ الغربي ونصب خيامه حول جبل يقال له (قَدَم) Gadam جنوبي مصوع، ثم انقسم أولئك الأفراد على قسمين، أحدهما: أفراده اتجهوا إلى الشمال متتبعين ساحل البحر الأحمر، والثاني سلك أفراده طريق بلاد الحبشة فدخلوها وأخذوا يجدون السير في داخليتها ارتياداً للرزق، وهم أهل خيل، ومن عادة أهل الخيل حمل السياط، فسماهم الأحباش «حلانقة»، ومعنى ذلك «حملة السياط» نسبة إلى «حلانقي» وهو السوط أو الكرباج بلغة الأحباش. فعرفوا بالحلانقة منذ ذلك الحين. وثقاة رواتهم مختلفون في تعيين الزمن الذي أقاموه بالحبشة، والمرجح أنه يشارف الثلثمائة عام. وكانوا غرباء مستضعفين يؤدون إتاوة إلى الأحباش، ولكن الأحباش أوغلوا في إرهاقهم وإعناتهم بتنويع الإتاوة حتى طلبوا منهم في وقت ما أن يجعلوا الإتاوة من نوع البنات للاسترقاق. والعربي متى مس عرضه اشتعل وتأجج لهيبه، والقوم في قلة لا تجعل سبيلاً للمقاومة، فأجمعوا أمرهم على الفرار، فتتبعوا مجرى مائياً وصل بهم إلى هضاب تتسرب مياهها بين الكهوف وتفيض في الرمال. فأخذوا يعالجون تلك الأحجار القائمة في جوف ذلك

المضيق، واستعانوا في عملهم هذا بإضرام النار في شحوم الأبقار وإلقاء الصخور عليها من مرتفع عال، وما زالوا كذلك حتى جعلوها دكاً. واندفق الماء من جوف ذلك المضيق. فهبطوا معه متتبعين مجراه، وسار الأحباش في أثرهم للفتك بهم وقد احتاط الحلانقة لما عساه أن يحدق بهم من كرب أو خطر فساقوا نساءهم وأولادهم وأموالهم أمامهم، وتعقبوها على ظهور الصافنات الجياد، فكون الرجال ساقة السفر، فأصبح متتبعوهم لا يرون غير آثار الخيل على الطريق. وتقدم أخوان من العشيرة ليفتدياها بأرواحهما، فارتدا على أعقابهما وقابلا الأحباش ليضلاهم عن طريق الراحلين وهما متيقنان أن إقدامهما على هذا العمل هو الهلاك المحقق. ولما التقيا بالأحباش قالا لهم: إن كنتم تريدون الرجال فدونكم الطريق الذي أنتم سالكوه، وإن كانت بغيتكم النساء والمال فسيروا في أثرنا. فانخدع الأحباش بهذه المقالة وتبعوهما إلى حيث سلكا بهما طريقاً لا ماء فيه ولا عشب فهلك الدليلان مع المدلولين ونجت العشيرة متتبعة مجرى مائها إلى أن هبط سهول جبل كسلا. وهناك ألقت عصاها واستقر بها النوى في بقعة تقع غرب الجبل وتسمى (أوِيتلا Awaitala). أما المياه فقد وجدت الأرض مهاداً ووهاداً فسقت ما شاء الله لها أن تسقي من تربة خصبة، وامتدت تسقي حتى دخلت أراضي الهدندوة. ولا يزال القاش مفخرة الحلانقة التي بها يفتخرون. ولهم بذلك الفخر فإن عمل أولئك الرجال الهابطين من جزيرة العرب عمل يشرف ويمجد أعظم المهندسين ورجال العلم في هذا العصر المضيء. فلا عجب إذا فخر الحلانقة بأنهم أتوا بنهر القاش من بلاد الحبشة واستثمروا بمائه أراضي بلاد التاكا الخصيبة. ومن ثم أخذت القبيلة في الاختلاط بالقبائل المجاورة كقبيلتي الهدندوة وبني عامر وغيرهما حيث تجمعهم مواطن الكلأ وموارد المياه. وقد بدأت لغتهم العربية تنعدم شيئاً فشيئاً وتغمرها مفردات اللغات المحلية شأن الأقليات النازحة مع الأكثريات الوطنية. وقد أخذت تلك تتسع كسنة الاجتماع والعمران فاقتضى اتساعها أن تتفرق أفخاذها فتكونت فيها ثلاث شعب استوطنت إحداهما كسلا، والثانية جهة أبْرِيدْ Abreid على بعد خمس ساعات من كسلا، والثالثة نزحت إلى

جهة الشمال فأقامت في محلة تسمى (الدِّبَّابْ) على بعد يوم كامل من كسلا.

وقد عرف الحلانقة بصفاء السريرة والتمسك بأهداب الدين، وظهر فيهم كثير من الأولياء والعلماء. وهم يكرمون من يفد إليهم من أهل الدين، ويألفون ذوي التقوى والصلاح. وهم أهل زرع وضرع، ورجال الخيل والفروسية الذين هابتهم القبائل المجاورة لهم مع قلة عددهم. وقد كانوا أعداء للهدندوة أصدقاء لبني عامر وللشكرية. وقد شهد لهم بالنجدة والفروسية الأعداء قبل الأصدقاء. وقلما غزتهم قبيلة ظفرت منهم بطائل. وكانوا يأبون الاختلاط بالقبائل المجاورة لهم ضباً بقوميتهم أن تتلاشى، وصيانة لنسبهم أن يضمحل، وما زالوا كذلك إلى زمن قريب لا يكاد يستكمل القرنين حيث اختلطوا ببعض القبائل الأخرى.

أما العشائر التي تكونت من هذا الاختلاط فهي كالآتي:

١ ـ الأشراف وينتمون إلى رجل شريف يسمى الشيخ حامد أَرَيْ. قدم من الحجاز كما يقدم غيره من رجال التدين والزهد، فتزوج من الحلانقة وولد منهم. وتعرف سلالته بآل شيخ العيال. ولم تزل منهم بقية تسمى (شيخ العيال إندوَة)، وإندوة لفظة أعجمية (بجاوية) تحل محل آل العربية.

٢ ـ العبدلاب كان منهم ملوك الحلنقة إلى زمن الفتح الأول[1]، وهم أهل طاقية، ويستمدون زعامتهم من السلطة الزرقاء (مملكة الفونج). ويلقب زعيمهم «مَانَجلْ» ووجهاؤهم «أرْباب». ولم تزل منهم بقية إلى الآن تعرف: «هَذْأَ إنْدِوَة» ومعنى ذلك آل شيخ العرب. ولكن زعامة القبيلة بعد الفتح أول كانت موضع نزاع مستديم بينهم وبين آل الشيخ عبدالله المعروف بأبي الرايات، واستمر النزاع هذا إلى قيام المهدية.

٣ ـ الرباطاب وهم ذرية الرجل الصالح الشيخ عبدالله بن علي المشهور بأبي الرايات الآنف الذكر، ومقامه معروف بجهة «الدِّبّاب» وينتسب

(١) كان آخر ملوكهم هو الشيخ عوض مسمار.

إلى فرع الشنجراب من قبيلة الرباطاب. ويعرفون الآن بشيخ إنْدِوة، أي آل الشيخ[1]، وهم قبل زمن الفتح الأول أهل دين لا شأن لهم بالزعامة، ولكن بعد الفتح تناولوا الزعامة، وكانت متنقلة بينهم وبين: هدْأ إنْدِوة إلى قيام المهدية. وصارت إليهم وحدهم الزعامة أخيراً منذ الفتح الأخير سنة **١٨٩٨**م إلى اليوم سنة **١٩٥٦**م. فالناظر هو الشيخ الوقور جعفر علي بك شكيلاي[2].

٤ ـ الزيلعيون ينتسبون إلى فقيه يدعى الشيخ أحمد الزيلعي قدم من بلدة زيلع القائمة على ساحل البحر الأحمر من بلاد الصومال وتعرف ذريته بآل الفقيه ومن مميزاتهم في القبيلة ألا يُقطع أمر دون مشورتهم سواء أكان دينياً ذلك الأمر أم اجتماعياً. ولهم مسجد تعقد فيه مجالس الشورى يعرف بمسجد اللَّابْسنِيَاب «أي مسجد الراجين الله». ولا تزال لهم هذه الميزة إلى الآن. أما السواد الأعظم من القبيلة فهم سلالة أولئك الهوازنيين الرحل. ولا يزال الحلانقة قليلي الاختلاط بغيرهم، وكذلك عدد أفراد القبيلة قد لا يزيد عن الستة آلاف نسمة ولعلهم ينشطون إلى الاختلاط بالقبائل فإن الزمن يحتاج إلى ربط الصلات وتعزيز الجانب. هذا ما أردنا اقتطافه من مذكراتنا لفائدة قرائنا عن الحلانقة. اهـ.

وممن صاهر بني عامر والسادة آل الشيخ حامد نافعوتاي، آل الفقيه يعقوب ابن مالك بن عبدالله، ومنهم ذرية محمد عثمان ابن الفقيه يعقوب في عقيتاي، وأمهم من العجيلاب. ومن ذرية الحلنقا «القرَّاري وآل الخواض» ويسكنون بكَبُوشِيَّة وطَيْبَة. وهؤلاء (كما ذكر الشيخ عثمان حمد الله في كتابه سهم الأرحام) يتصل نسبهم بسيدنا عثمان بن عفان، وهم قرشيون، أمويون، وجدهم هو الشيخ محمد المشهور بالقراي العجمي التاكي ابن البركة الشيخ إسماعيل المتوفى ببغداد) ابن الشيخ سليمان الحلنقي نسبة لأمه

---

(١) وتعريبها الشيخ الديني، والثانية صاحب السلطة والزعامة المدنية والقبلية أو الملكية سابقاً والنظارة اليوم (المؤلف).

(٢) فعادت إلى العبدلاب.

(وهي حَلْنقِيّة). ويعتبر الأستاذ العالم العامل الشيخ محمد المتوفى في أواخر القرن العاشر للهجرة المدفون بقوز الفقراء من صالحي الصوفية، ولهم ذرية طيبة بأراضي ما بين بربر والخرطوم بحري على ضفتي نهر النيل.

كانت رئاسة القبيلة بيد الشيخ نصر هموي أنقبل (أي كثير شعر الأذنين) عندما ارتحلت الحلنقة من أرض الحبشة وثم تلاه ابنه الشيخ محمد واستمر في الإصلاحات القبلية. وامتدت سلطة السلطنة الزرقاء على الحلنقة، وكان أول ناظر وفد على ملك سنار هو الشيخ عبدالله سيد أور (ابن سعيد).

❋ ❋ ❋

## حرب الحلنقة والحبشة

يروى أن الشيخ عبدالله بعد انتهائه من مقابلة ملك سنار ذهب إلى أريجي (عاصمة العبدلات) وقابل الشيخ عجيب المانجلوك ابن الشيخ عبدالله جماع وذكر له كثرة غزو رؤوس الأحباش لمدينة كسلا وضواحيها. فأرسل معه جيشاً إلى كسلا بقيادة أحد أقاربه المدعو أحمد مالك الذي حال وصوله بجيشه وجود الأحباش بقيادة الرأس كاسا، وقد جاؤوا لنهب مواشي الحلنقة. فنشب بين الجيشين قتال عنيف انهزم فيه الأحباش هزيمة منكرة، وأبلى الحلنقة وفرسانهم أحسن بلاء، وقتل الرأس كاسا، ولذلك سمي محل الواقعة فيما بعد: رِبَا - كاسا (Riba Kasa)، وهي على بعد اثني عشر كيلومتر تقريباً في الجهة الشمالية الغربية. وبعد الواقعة جمعت الغنائم من الجيش الحبشي فكانت شيئاً كثيراً أخذها معه الشيخ عبدالله وسافر بها إلى سنار. أما أحمد مالك القونجاوي فقد بقي بكسلا لتنظيم إدارة القبائل الساكنة بأرض التاكا وإقليم البجة وتحصيل الزكاة منهم. وسر الشيخ عجيب من الانتصار على الجيش الحبشي، وأقام الشيخ عبدالله زمناً في أَرْبَجِي تزوج في أثناء ذلك بابنة الشيخ عجيب ورزق منها ولدين هما: عوض أبو خروش وأحمد الجبر، ثم توفي أحمد مالك ودفن بكسلا وحزنت كل القبائل لوفاته إذ كان دائماالاستعداد بجيشه لقتال خصمهم العتيد (الحبشة)،

وتوفي بعده أيضاً الشيخ عبدالله بن سعيد ملك الحلنقة. فلما سمع ابنه الأكبر المقيم بأربجي استأذن من أخواله وسافر إلى سنار كي يطالب بحقه في رئاسة الحلنقة. فأراد الملك السناري أن يختبره وقال له: سأقوم بجيشي لغزو الشلك الذين شق مليكهم عصا الطاعة وسآخذك معي للاختبار لأنك لا تزال مراهقاً.

❋ ❋ ❋

## (الشيخ عوض أبو خروش)

تعين ملكاً على الحلنقة وما حول بلاد كسلا، وجاء بسرية من الخيالة وامتدت سلطته على السِّيقولاب والمَلْهِيتْكِنَابْ وغيرهما[1] ممن يسكنون أراضي القاش وشرق نهر عطبرة. وفي أحد الأعياد أرسل في إحضار زعماء القبائل إلى كسلا، فلما حضروا خرج عليهم بملابس الملك وجلس على الكَكَرْ (كرسي الملك) وعلى رأسه الطاقية الذهبية أم قرين، وبيده السيف الصقيل واعتذر عن الحضور الفقيه محمد إبراهيم زعيم الهاكولاب إذ كان غير مرتاح لسلطة الملك عوض الذي لقبته قبائل البجة باسم «أَكْرَنَدَايْ»: (أي الشديد القوي). وجعل الملك عوض (الإتاوة) بقرة في السنة من كل مراح فرفضت الملهيتكناب أداء ذلك فقاتلهم[2] حتى أدوها له. ثم أرسل في طلب الفقيه محمد إبراهيم فلم يحضر إليه. وكان له ثلاثة أبناء نجباء درسوا القرآن جيداً. وقالوا: إن فرض إتاوة على القبائل الإسلامية حرام إذ لا يحق إخراج زكاة وإتاوة معاً. فقال لهم والدهم: إذا أردتم البقاء بأرض هذا السلطان القاهر أخرجوها وإلا فارحلوا من أرضه إلى حيث لا تصلكم جنوده. فأجابه ابنه أبو بكر إنني سأذهب إليه على رأس وفد من أبناء عمومتنا للمباحثة معه. وكان أبو بكر دائماً يلبس ثوب الدمور (أبو عكاكيز) وهو من الملابس التي حرمها الشيخ أَكْرَنَدَاي على القبائل الأخرى أيضاً.

---

(١) وكانت قبائل هاكولاب الهدندوة بلغت حول درديب في زحفها من الشرق.

(٢) كانوا يسكنون بين تندلاي ودرديب.

## الشيخ عمر جور

هو ابن أحمد الجور، وكان فاضلاً محبوباً لدى الناس جميعاً، وبذلك سموه: «أَمْرِيني، وتعريبها ـ المصلح الكبير ـ». وكانت الحلنقة إذ ذلك الزمن تكن ما بين قُلْسَة Gulsa وود شرفي. وإلى الآن يسمى هذا المكان: إدبّة عمر جُوريبْ. ومكث في الشياخة مدة طويلة، ومن أعماله الحسنة: إيقاف الفتن والحروب التي كانت بين الحلانقة والقبائل الأخرى. ولما قربت وفاته جمع رجال القبيلة وأولاده السبعة وأخبرهم بأنه ولى ابن أخيه الشيخ عوض مسمار الذي قام بتربيته هو نفسه فألبسه الطاقية وأجلسه على الكَكَر، وبعد سبعة أيام من تولية ابن أخيه (نظارة الحلنقة كما سموها أخيراً) توفي إلى رحمة الله.

❋ ❋ ❋

## الشيخ عوض مسمار

كثرت في أيام الشيخ عمر جور منازل الهدندوة في ديار الحلنقا، فأصدر الشيخ عوض تعليماته برحيلهم من القاش إلى الحدود في جهة «دباب». فاستاء الشيخ محمد دين من هذا الأمر ولم يعترض عليه بل أرسل في إحضار كرار هيبياي (هيبياب) وكان زعيماً لعدة عصابات لا دأب لها إلا نهب مواشي الشكرية وكان نهر عطبرة، وطلب منه أن يلتفت بعصابته إلى جهة الحلنقا في «أبي الريد» وانتدب معه علي محمود بادين من الهَمِيساب لخبرته بتلك النواحي ونجحت العصابة في نهب مواشي سكان «قلُّوسِيتْ» وقتل علي محمود وهو من الشجعان الذين اشتركوا في وقائع سَبْدَراتْ. وكانت هذه آخر الخلافات بين القبيلتين، إذ لم يمض زمن يسير حتى ظهرت حكومة الاستعمار التركي، فتألفت من هؤلاء الخصوم جبهة قوية جداً للنضال والاستبسال. وكان الشيخ عوض يقول: يجب أن نقاتل الترك كما قاتلهم ملوك الشايقية أمثال الملك صبير (ملك الحنيكاب)، والملك شاويش (ملك الجعليين)، ومواقع ديارنا الطبيعية تساعدنا على ضمان النصر. والشيخ عوض كان بعيد الهمة شأن كل عظيم ذاق طعم الحرية وعدم الخضوع أو طأطأة الرأس لغير الله ﷻ.

## الحلنقة والفونج

في سنة **١١٩٣**هـ **١٧٧٩**م أيام الملك عدلان الثاني أرسل رئيس وزرائه المدعو الشيخ بادي بن رجب كبير قواد جيشه وعلى رأسهم الشيخ عجيب ود عبدالله وعيساوي والشيخ قنديلاوي إلى التاكا لمحاربة الحلنقة فحاربوهم. فقتل الشيخ عجيب وعيساوي ورجع قنديلاي.



**الشيخ جعفر علي شكيلاي ناظر عموم قبائل الحلنقة بمديرية كسلا**

❋ ❋ ❋

## الحلنقة والهدندوة

في حوادث سابقة حدث قتال بين هاتين القبيلتين قتل فيها أخوان ناظر الهدندوة الشيخ موسى ويل علي، وهم محمود وحامد وأحمد ويل علي، وكان على نظارة الحلنقا الشيخ عمر جور الآتي ذكره. فالقتل والسلب والنهب عادات كانت متأصلة في كل القبائل منذ فجر التاريخ، ولصعوبة المواصلات وقلة الأمن كان الناس يسافرون من مكان لآخر جماعات لا تقل

كل منها عن عشرة أشخاص كلهم محاربون. وأما المشايخ والأعيان فلا يقل ركبهم عن الثلاثين والنظار عن المائة من أشهر الشجعان والفرسان على خيولهم.

كل قبيلة من سكان إقليم البجة كانت تؤلف عصابات بقيادة أشهر شجعانها وترابط على حدود جيرانها الذين يقتلون بها فمثلاً الهدندوة كانت عصاباتهم على حدود الشكرية والبشاريين والحلنقا وبني عامر والأمَّارْأَرْ. . . إلخ.

فأغار الشيخ موسى وِيلْ علي على بعض قرى الحلنقا للأخذ بثأر أخوانه، ثم هدأت الأحوال قليلاً ولكنها بدأت في الظهور ثانياً عند أول ولاية الشيخ محمد دين وآخر أيام عمر جور وهي:

❋ ❋ ❋

## واقعة حبوبة[1]

هي أشهر وأشد واقعة حدثت بين الحلنقا والهدندوة[2]، واشتركوا فيها بكل قواهم وعمودياتهم إذ كانوا قد أعدوا لها العدة والعدد وجمعوا الرجال من أقاصي القرى. ولم يكن للهدندوة هم سوى الاستيلاء على أكثر أراضي القاش مهما كلفهم الأمر من الخسارة. وحضرت كل عموديات قبائل «قلاب نِيوْ Galab-Neew» برئاسة شيخ مشايخها الشيخ التومابي بن علي بأربع نقارات، وحضرت قبائل توجوان Togwaan وأودى. ولم يكن الشيخ عمر جور أقل همة من الشيخ محمد دين بل جمع قبائل الحلنقا من كافة الأصقاع للدفاع عن الديار والمال. واستمر القتال بينهم سجالاً. إذ كانوا يقتتلون في الصباح ثم يتهادنون لصلاة الظهر ثم يستأنفونه قرب الزوال حتى إذا ما لاح صباح اليوم التالي هجموا على بعضهم وكر الفرسان بخيولهم على

---

(١) بنت فيها الحكومة التركية قلعة بعد سنة ١٨٤١ وهي واقعة بقرب آبار الجمام.
(٢) التزم الملهيتكناب والسيقولاب الحياد التام في هذه المواقع.

بعضهم[1]. واستمروا على هذا المنوال في النضال ثمانية أيام متوالية. وكان كل فريق يحمل قتلاه إلى خيامه، فالحلنقا يدفنون قتلاهم في دباب، أو عند الشيخ عبدالله أبو الرايات. والهدندوة في جبل يوت دروت Yout-Dirout الواقعة شرق فِلِّكْ Fillik[2]، (عاصمة الهدندوة).

وفي اليوم التاسع تأخر الحلنقا عن الحضور إلى الميدان إذ أن العالم الورع السيد محمد ابن الشيخ عبدالله أبو الرايات صدهم عن الذهاب ومنعهم الحرب والقتال، وأوضح لهم عاقبة القتال الوخيمة. فانصاعوا لأمره وعملوا بنصيحته أما الهدندوة فإنهم لما رأوا أن خصومهم لم يحضروا تفرقوا وذهبت كل جماعة إلى ديارها ومواشيها بعد أن علمت بما عاق خصومها عن القتال.

اشتهر قبائل إقليم البجة باحترامها لمشايخها الدينيين خصوصاً أبناء الشيخ أبو الرايات وأبناء حاشي والسمريدواب والفايداب والشيخ حامد وأخيه إدريس النفيدابي.

ولم تكن هذه هي خاتمة الوقائع بل تلتها عدة خلافات كانت تؤدي إلى القتال حتى كانت' المصاهرة بين القبيلتين إذ تزوج الشيخ موسى بك إبراهيم ناظر الهدندوة حوالى سنة ١٨٦٦م ابنة الشيخ محمد جور.

ومما يؤسف له أن الحلنقا بعد الفتح التركي استطابوا سكنى المدن الحضرية والانخراط في سلك الجندية على كل أنواعها وسائر الوظائف الحكومية فخلت من قراهم البوادي والقفار بخلاف جيرانهم الهدندوة وبني عامر الذين لا تطيب لهم الإقامة والاستئناس إلا في البادية، فنتج عن سكنى الحضر قلة تعداد قبائل الحلنقا وزيادة غيرها من سكان مديرية التاكا. وقد

---

(١) ولأول مرة استعمل الويلعلياب الخيل في القتال بخلاف الحلنقا الذين ظهروا وهم بسياطهم على سروجها منتضاة سيوفهم.

(٢) طفت بهذه الأنحاء في رحلة مع السيد الهادي المهدي سنة ١٩٥٥م.

حاول بعض المديرين إخراجهم إلى البادية سنة ١٩٣٠م فلم يوافقوا على مبارحة منازلهم بكسلا.

❋ ❋ ❋

## الشيخ عوض مِسْمار

قام بزعامة القبيلة خير قيام واتصف بالعدل والإنصاف. وفي مدته قام خورشيد باشا من القضارف قاصداً غزو الحلنقا والهدندوة وبني عامر وكل من يجاورهم في جهة سبدرات. وكان أول صدامه بالشيخ عوض مسمار الذي أرسل رسله إلى القبائل المذكورة كي يجتمعوا في جهة سبدرات لأن بها جبالاً حصينة وغابات تعوق الجيوش عن الحرب النظامية واتخذت كل قبيلة مركزها في جبل سبدرات حتى أرخى الليل سدوله فهجموا عليه وذبحوا أكثر جنوده فانهزم بفلوله من حيث أتى وذلك في سنة ١٨٣٢م[1]. قال الشيخ عبدالرحمن محمد صالح الحلنقي الذي نقلنا عنه أكثر ما سلف من الأخبار: بأن أشجار النخيل التي في سبدرات هي من نوى البلح الذي كان يأكله جيش خورشيد باشا الذي أعد عدته لاستئناف القتال ضد هؤلاء البجاويين الذين تألبوا عليه وردوه بخفي حنين عن استعمار ديارهم التي كان يؤمل أن ينتصر عليهم ويعود منهم بخيرة شبانهم للتجنيد والاسترقاق.

ولما كانت سنة ١٨٣٨م، زحف بسرعة فائقة واحتل سبدرات وأرسل سراياه إلى بني عامر والهدندوة والحلنقا فدحرت جميعها وعادت من حيث أتت. ثم أرسل فرقة إلى قبائل شنقلا فانتصر عليها وأخذ منها شبابها واستعبدهم. قال شقير: إن الملك عوض مسمار منحه ملك الفونج طاقية

(١) African Wanderings by F.Werne، وقد سبق هذا الغزو حملة الدفتردار (محمد بك الإسطمبولي) فاتح كردفان غزا سبدرات سنة ١٨٢٣م وحاول خورشيد باشا لآخر مرة سنة ١٨٣٩م الاستيلاء على سبدرات لأنها حلقة اتصال كل عواصم نظار البجة فهزم ودحر وقطع الأمل من فتحها واعتبرته الحكومة الخديوية جاهلاً بالأساليب الحربية.

من الذهب وصاهر رئيس وزراء العبدلاب بأن تزوج الملك عوض بابنة المذكور ولم تمنعه المصاهرة من قتالهم حينما أرادوا إخضاعه وقبيلته، كما رفض الخضوع لكمبال الشايقي وجيشه وقاتله قتالاً مريراً. وفي سنة ١٨٤٠م سمع أهل كسلا وإقليم البجة جميعهم باستعدادات أحمد باشا أبو ودان الملقب باسم هريد Harreed وتعريبها الجزار في بربر وضواحيها.

❋ ❋ ❋

## الشيخ عبدالله الحلنقي[١]

«هو الشيخ عبدالله بن علي الحلنقي ولد بالتاكا وحفظ القرآن في أسلانج وقرأ الفقه والتوحيد على الشيخ دفع الله، وسلك عليه طريق القوم. وأرشده وأذن له في السلوك، فسلك وأرشد في الطريق، ودرس في المعقول والمنقول، وقام مقام شيخه في سائر الأشياء وانقادت له سائر قبائل الشرق من بحر عطبرة إلى البحر المالح. وممن أخذ عليه من الأجلاء: الفقيه آدم الضرير الميتكنابي (الملهيتكنابي)[٢] والشيخ شرف الدين ولد بري والفقيه علي الرجوبة والشيخ قرتي ولد محمد أبو سبيب والحاج ولد محمود، ومن العركيين الشيخ عبدالله أبو رايات والفقيه عبدالله بن الأمين والشيخ عبدالله بن الشافعي ومنه تفرعت الطريق. وقدم مرة من التاكا إلى أبي حَراز لزيارة شيخه وتعزيه الشيخ أبي عاقلة في أبيه حمد تجنب في وجهه من الخيل سبع جنايب وشايلون قدامه سبع رايات، وسبع سيوف متومات، ومعه من الفقراء أربعة آلاف منطقة. وتوطن بأبي حراز مدة سنتين وانقادت له الأعراك كأنه الشيخ دفع الله وحظى عند الفونج والعرب». قال الفقيه شحاتة: «كنا نقرأ الرسالة عند الفكي محمد ولد مدني ونأتي لزيارة الشيخ عبدالله الحلنقي نلقاه جالساً فوق التقروقة وفي وجهه سيف متوم وخنجر ويدرس في سائر

---

(١) طبقات ولد ضيف الله.

(٢) نسبة إلى جبل ووادي ملهيت الذي كان تسكنه قبيلته التي تنتمي إلى عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومنهم العجيلاب ببني عامر وبيت عوض.

الفنون، وكل سنة تأتيه جلابة من التاكا فيها القماش والعسل والسمن والفريك يقسم ذلك على العركيين الرجل ثوب منير وثوب أبيض والمرأة ثوب دنقسي وقرن. فلما رجع إلى الشرق تأسفت على فراقه العركيون رجالهم ونساءهم وأولادهم وقالوا: الليلة مات الشيخ دفع الله. والنساء والرجال يبكون لفراقه، وما أوقدت نار عندهم في تلك الليلة. وقال: نمنا في المسجد طاوين. فقال لنا الشيخ أبو عاقلة: اعذرونا، الحلة من فراق الشيخ ما أوقدت فيها نار. وخرجت الفقراء في وجهه صفوفاً شايلين التهليل ووجوههم مثل الأقمار. وطلعت معه خلق كثير والعدد والشيخ راكب فوق جواده قدام الناس».

«توفي ﷺ ودفن بالتاكا وقبره ظاهر يزار بل هو كعبة محجوجة»[1].



## القاش GASH

أو «أوقاش» هو اسم يطلق على النهر الذي ينبع من بلاد أثيوبيا ويسمى هناك «مأرب». فقد ساقه من جبال «تِيجْرايْ» الحلنقة وضحوا بأرواح بعض شبابهم حتى هبطوا به إلى سهول التاكا واتخذوها وطناً لهم واختاروا جبل كسلا عاصمة لمملكتهم فامتد سلطانهم على من كان حولهم من الأمم السالفة، فجاورهم من الشمال الملهيتكناب والسيقولاب حتى جاء الهندندوة من الشرق فازداد الازدحام وانتشر الأخيرون حتى تجاوزوه إلى ضفتي نهر أتبرة (عطبرة) لقلة الأمطار والمراعي بالقنوب. ولم تكن القبائل تهتم إلا بالمراعي وتربية المواشي. والتفت بني عامر بخيران خور بركة الكثيرة ونهر عَنْسَبَة، وامتد سلطانها حتى دنا من نهر سيتيت بقرب أم حجر والشيخ الإمام. فتعاقبت على هذه الأمم أمم أخرى ودول مثل السلطنة الزرقاء ثم التركية ثم المهدية (الحكومة الوطنية الأولى) ثم الحكم الثنائي الذي جاء

(١) طبقات ولد ضيف الله.

ومعه طرق استعمار الأراضي ولو أن في التركية كانت زراعة القاش في بدئها. (في الذرة أو القطن).

يعتبر نهر القاش اليوم هو الشريان الحي أو العرق النابض في جسم كل هدندوي بل كل بجاوي أو سوداني يسكن حوله. فالقاش كما يقول موسى بك (الناظر السابق): نعمة الله علينا لا نقدر أن نتخلى عنه، والسبب في ذلك هو أنه عمل جسراً على القاش[١]، من جهة «أدرقياي Adar-Gayai» الواقعة في حدود قبيلة الحلنقة وهذا الجسر يحفظ مياهاً كثيرة جداً في أرض الهدندوة، فاشتكى بعض مزارعي الحلنقة إلى المدير[٢]، الذي كان يصطاف في قوز رجب على الأتبراوي (نهر عطبرة)، فأرسل في طلب جميع نظار القبائل وأمرهم بالحضور إلى الجسر.

فحضروا جميعهم والمدير حانق يزمجر[٣]، ويهدد ويقول: إن هذا العمل فيه ضرر وأذى للحلنقة وكل المزارعين، فما استقر به المقام سأل موسى بك إبراهيم.

س: لماذا عملتم هذا الجسر يا هدندوة.

ج: لكي نستفيد من المياه التي تفيض وتذهب إلى الأراضي البور البعيدة.

س: هل استشرت أحداً.

ج: نعم استشرت ناظر الحلنقة[٤]، ووافقني على ذلك وأن نزرع جميعنا في أراضي بعضنا البعض إذا حدث ضعف في ري جهة ما، وعلى أي حال فلا أرى أي مضرة تلحق بأحد الطرفين من عمل الجسر.

---

(١) في القرن الماضي.

(٢) كان المدير اسمه عبدالرزاق باشا.

(٣) كان من الحكام الذين يكرهون الهدندوة ويقول: إنهم قتلوا كثيراً من الترك والمصريين عند فتح كسلا.

(٤) الشيخ محمد عوض مسمار وأيده محمد بك محمد أيلة وعلي بك شكيلاي.

س: (التفت إلى مشايخ الحلنقة وسألهم) هل اتفقتم مع موسى بك كما يقول؟

ج: (محمد عوض) نعم اتفقنا.

س: ولكن العربان المساكين ضاعوا بينكم، ثم لكز موسى بك إبراهيم بخرزانة في يده على جبهته فسال الدم، الذي حالما رآه المدير ركب جواده وهرب إلى كسلا ومعه الحكومة[1].

قال لي الراوي: مسح الناظر الدم بعمامته وأعطيناه عمامة بدلها وأحضرنا تيساً صغيراً وذبحناه ومرغنا دمه في عمامة الناظر حتى امتلأت، ولما أراد الهدندوة إدراك المدير قال محمد بك: منعهم والدي، وقال: الآن نزرع القاش ونعمل جسور فيه كيف شئنا ما دامت دماؤنا سالت فيه.

وكمن بعض شباب الهدندوة للمدير في غابة أَدْرْقياي، فطلب منهم العودة قائلاً لهم لا تفسدوا علي أموري فإني سآخذ حقوقي كلها وأولها حق زراعة القاش. فعادوا جميعهم، وأمرهم بإسكان أقرب القرى حول الجسر. وأرسل الناظر إلى ابنه محمد والشيخ حمدنا الله والحاج آدم أبو حواء والشيخ آدم بخيت (عمدة سمرأر القاش) وكذلك كاتبه الشيخ الطيب محمد علي قنديلاي الجعلي، ثم أمر الأخير بتحرير شكوى باللغة العربية مع المذكورين[2]. فلما أنجزوها أرسلها الناظر مع ابنه محمد إلى إبراهيم بك المحلاوي كي يترجمها إلى اللغة التركية[3]، فترجمها وعنونها باسم حكمدار السودان، جعفر باشا صادق ومعها الملابس التي تناثرت فيها الدماء.

فسافر الوفد المؤلف من المذكورين سابقاً إلى الخرطوم ورفعوا شكواهم. فقرأها ثم سألهم عن قبائلهم. ثم قال محمد موسى (ابن الناظر):

---

(١) كان معه **٢٥** جندياً.

(٢) أدركت الأول والثاني الذي كان يحفظ أكثر قصائد سيدي عبدالغني النابلسي.

(٣) كان ضليعاً في العربية والتركية والفارسية والفرنسية، وكان صديقاً مخلصاً جداً للهدندوة بخلاف ما أشاعوه عنه من أعمال السوء والمجازر التي عملها المنيكلي مع الهدندوة قبل تعيين المحلاوي.

«إن الحاكم والقاضي لا يستعملان أيديهما فإذا استعملوهما سقطت هيبتهما من أعين الناس والرعية». وبعد أسبوع أرسل معهم خطاباً باسم عبدالرزاق باشا كله عتاب وتوبيخ على سوء تصرفاته وجعل ظرفه معنوناً باسم الشيخ موسى إبراهيم ناظر عموم قبائل الهدندوة، وطلب منه في ختامه أن يذهب حال استلام الخطاب ومعه مشايخ وأعيان كسلا إلى الناظر في مقره ويقدم له الاعتذار ويلتمس منه العفو والسماح، والموافقة على بقاء الجسر في مكانه. وأرسل خطاباً آخر باسم الناظر موسى بك إبراهيم يطلب منه أن يصفح عن سوء معاملة المدير وأن يعتبر الحادث منتهياً إجلالاً لخاطر الحكمدار، وختمه بقوله: «إن أهل هذا المدير في مصر أوصوني به خيراً فإذا كنت لا تحب أن تصفح عنه فإني مضطر لنقله السريع من مديرية التاكا. وعنونه باسم المدير عبدالرزاق باشا».

فلما عاد الرسل من الخرطوم وقرأ كل من المتخاصمين جواب خصمه أرسله إلى صاحبه. فدعا المدير أعيان كسلا ومشايخها ثم طلب منهم أن يركبوا معه لزيارة الناظر الشيخ موسى إبراهيم. فلما دنوا من خيمته في الجسر خرج بمشايخه لاستقبالهم وتعانق هو والمدير وتم الصلح والصفاء بينهما.

وفي سنة **١٩١٩ - ١٩٢٠**م حدث مثل هذا الخصام بين الشيخ محمد محمد الأمين تِرِكْ والمستر فلمنج Fleming، بقرب مكان الجسر فاعتدى الثاني وكان مديراً للزراعة على الأول بعصاه حين اشتد الخلاف بينهما في تقسيم الشيوتات (جدعات)، وكان فلمنج على حصانه، فتناول ترك سيفه من العشة وركب حصانه وطار خلف المدير الذي طار به حصانه حتى دخل هو وحصانه في حوش السيد أحمد الميرغني بالخاتمية، ونادى السيد بأعلى صوته وقال له: «احمني من الهدندوة». فأدخله الدار وانتظروا ومعه حاشيته مجيء الشيخ ترك وحوله الهدندوة. فنزل من جواده وسلم على السيد أحمد وسأله عن «الكافر»، فقال له: لجأ إلينا واستجار بنا، وطلب منه أن يصحبه إلى الديوان. فجلسا هناك ومعهما خمسة من مشايخ الهدندوة. فطيب سيادته خاطرهم وقال لهم: الأمر إليكم، فقال تِرِكْ: الأوفق أن نطلب حضور

الناظر «إبراهيم بك موسى». فأحضروه وذكر له السيد القصة كما سمعها من المستر فلمنج. فقال الناظر إبراهيم بك موسى: «نحن عفونا عن هذا الكافر ما دام قد عرف طريقكم، ولجأ إلى منزلكم». ثم قال ترك: نحن في سبيل نهر القاش دائماً نصاب بأضرار ولكن ما علينا ما دام يرتاح فيه من يأتي بعدنا. وذهبوا إلى أهليهم، وخرج المستر فلمنج من الخاتمية بعد أيام منقولاً من القاش.

❊ ❊ ❊

## فيضان القاش

يبدأ دائماً بعد العشرين من يونية من كل سنة ويستمر مدة لا تقل عن ثلاثة شهور.

يسقي نحو ٨٥ ألف فدان من الأراضي الخصبة التي تسمى شيوت Shaiot) وفي سنة ١٩٠٦م سجلت هذه الشيوتات بأسماء أصحابها من سكان تلك الأرض الأصليين (هدندوة وحلنقا)[1]، ولما بدأت الحكومة بتحسين الزراعة سنة ١٩٢٣ احتفظت لأصحاب الشيوتات بحقوقهم وهو ما يعادل ٧٥٪ (خمسة وسبعون في المائة) من أراضي القاش والباقي للحكومة أو الشركة الزراعية أن توزعه على المزارعين من غير الهدندوة وهو ٢٥٪ (خمسة وعشرون في المائة). وفي سنة ١٩٢٧م ظهرت الشركة الزراعية وكذلك لجنة القاش التي تنوب عن الحكومة وخفضت حقوق الهدندوة (أصحاب الشيوتات من ٧٥٪ إلى ٧٠٪) فاحتجوا ولا يزالون يحتجون على ذلك (سنة ١٩٥٧م) هذا مع إعفائهم من الرسوم على زراعة الحبوب (مأكولات). ولقبائل بني عامر نصيب في أراضي القاش الواقعة بين إرتريا والسودان حتى حدود الجمام.

---

(١) لكل قبيلة أراضيها وحدودها مع جيرانها منذ أقدم الأزمنة. وقد انضمت قبيلة الملهيتكناب وكذلك السيقولاب إلى الهدندوة. وبعد سنة ١٩٣٠م انضم كل من سكن مع الهدندوة مثل الأرتيقة والهنسيلاب والكميلاب والشئياب والأشراف تحت النظارة المذكورة.

## ري القاش

يختلف الري حسب الفيضان فأحياناً يروي أراضي مساحتها لا تقل عن **٨٥** ألف فدان. (مثل سنة **١٩٢٩**م) إذ كان الصالح منها لزراعة القطن **٣٥** ألف فدان وقد تسلمت الشركة الزراعية أعمالها رسمياً من موسم سنة **١٩٢٤ ـ ١٩٢٥**م واحتفظت بجميع حقوق أصحاب الشيوتات المكفولة (٧٥٪).

وتوجد بالقاش خمس محطات زراعية آهلة بالسكان ينقل إلى كل منها القطن من الترعة المسماة باسمها وأشهرها مكلي، دقين، تَنْدلايْ، مَتَاتِيبْ، هدَلِيَّة، ولكل محطة يوم معلوم تصرف فيه قيمة قطن النزعة المسماة عليها.



**يوم صرفية قيمة الأقطان بسراي متاتيب الزراعية بالقاش يناير سنة ١٩٣٣م**

| السنة الزراعية | الري بالفدان | الصالح للزراعة من الأفدنة | المساحة المزروعة قطناً بالفدان | محصول القطن بالقنطار | ثمن محصول القطن مليم جنيه | سعر القنطار مليم جنيه | متوسط محصول الفدان بالقنطار |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| ١٩٢٥ | | | | | | | |
| ١٩٢٦ | ٣١,٠٠٠ | ٢٢,٠٠٠ | ١٤,٤٠٠ | ٣١,٧٤٥ | ٥٣,٧٢٧ | ١,٦٩٢ | ٢,٢ |
| ١٩٢٧ | ٣٣,٩٠٠ | ٢٥,٠٠٠ | ٢٠,٠٠٠ | ١٠١,١١٦ | ١٦٩,٢٨٦ | ١,٦٧٤ | ٥,٢ |
| ١٩٢٨ | ٦٠,٠٠٠ | ٥٠,٠٠٠ | ٤٥,٠٠٠ | ١٦٨,٣٨١ | ٤٣٩,٠٨٢ | ٢,٦٠٧ | ٣,٧ |
| ١٩٢٩ | ٧٥,٠٠٠ | ٦٣,٠٠٠ | ٥٠,٠٠٠ | ١٤٦,٨٠٩ | ٢٨٨,٠٥١ | ١,٩٦٠ | ٢,٩ |
| ١٩٣٠ | ١٠٠,٠٠٠ | ٩٠,٠٠٠ | ٦٠,٠٠٠ | ٢١٦,٧٦٩ | ١٦٥,١١٩ | ٠,٧٦٧ | ٣,٦ |
| ١٩٣١ | ١٠٠,٠٠٠ | ٩٠,٠٠٠ | ٦٠,٠٠٠ | ٢١٦,٧٦٩ | ١٦٥,١١٩ | ٠,٧٦٧ | ٤,٤ |
| ١٩٣٣ | ٣,٦ | ١٩٣٢ | ٨٥,٠٠٠ | ٦٥,٠٠٠ | ٣٨,٠٠٠ | ١٦٨,٢٣١ | ١١٢,٦٧٣ |
| ٠,٦٦٩ | ٩٩,٠٠٠ | ٧٠,٠٠٠ | ٤٤,٠٠٠ | ٣٠٠,٨٦٦ | ٢٢٥,١٧٣ | ٠,٧٥٤ | ٦,٨ |
| ١٩٣٤ | ٧٠,٠٠٠ | ٥٥,٠٠٠ | ٣٧,٠٠٠ | ٧١,٢٥٣ | ٦٤,٢٥٣ | ٠,٩٠٣ | ١,٩ |
| ١٩٣٥ | ٦٦,٠٠٠ | ٤٣,٠٠٠ | ٣١,٦٨٠ | ١٤١,٦٣٨ | ١٥٧,٨٣٢ | ١,١١٤ | ١٠,٧ |

وكانت تزرع بذرة مختلفة حتى كانت سنة ١٩٣٨م فزرعت بذرة من نوع أو ١٧٣٠ × A 1730 وكان متوسط محصول الفدان الواحد منها لا يقل عن خمسة قناطير صغيرة.

لنقل محصول الجزيرة والقضارف وكسلا تمَّ إنشاء سكة حديد سواكن كسلا سنة **١٩٢٤** إذ مدت الحكومة خطاً حديدياً يبدأ من محطة هيا إلى كسلا ثم القضارف فسنار.

وأحضرت الشركة الزراعية عمالاً من الصعايدة كي يحفروا القناة الرئيسية لنهر القاش التي تفرعت منها ترعة مكلي ودقين وتندلاي ومتاتيب وهدلية، ثم يسير بعدها القاش في سهول وتصب بعض وديان بلاد الهدندوة في نهر القاش مثل مامان وتوجوان وغيرهما فيزداد الطمي الذي يأتي به هذا النهر المبارك. وبسبب هذا النهر مراراً ما حاولت إيطاليا الاستيلاء على كسلا، فقد احتلتها سنة **١٨٩٤ ـ ١٨٩٧**م ثم أخلتها، واحتلتها في حرب **١٩٤٠ ـ ١٩٤٥** ثم اخلتها كما أخلت إرتريا وإثيوبيا والصومال الإيطالي مع أنها في سنة **١٩٣٠**م أنشأت إيطاليا في تستي خزاناً على نهر القاش بإرتريا لزراعة القطن في سهول علي قدر (بأرض بني عامر)، وتألفت شركة برياسة السنيور يعقوب جاسبريني Sig.J.Gasparini، فلما كادت أن تأتي أكلها محيت من الوجود الإمبراطورية القاشستية.



# تاريخ مملكة قبيلة

## «الهدندوة»

هي أكبر قبيلة بجاوية بالسودان ولا يتفوق عليها في الغنى أو كبر مساحة الأرض وكثرة الإبل والمواشي غير بني عامر (قبل احتلال الطليان لإرتريا التي أصبحت حكومة فيدرالية مع إثيوبيا). وأراضي إرتريا جميعها خصبة جداً وأنهارها جميعها تصب في أراضي الهدندوة فالقاش، وبركة وسائر النهيرات تحتاج لأيدي عاملة من القبيلتين وهذا ما لا يمكن تحقيقه في القريب العاجل.

واشتهر الهدندوة بالتعصب الديني وكراهية كل من لا يدين بالإسلام سواء أكان نصرانياً أو يهودياً أو بوذياً أو وثنياً وهم يطلقون عليه (كافر). وأحياناً يطلقونها على كل شديد الحمرة، ومراراً ما حاول الإنجليز تفهيم عامتهم بأنهم غير كفار، بل لهم دين، ولكن لم يفد وبقي اسمهم إلى اليوم كما أسلفنا، فحاربوا الحكم التركي عدة سنين (من سنة ١٨٣٨) عندما أراد أحمد باشا أبو ودان فتح بلاد التاكا. فلما انقضى عهده البغيض ونادى الأمير عثمان دقنة بقتال المستعمر الأجنبي، كانوا هم أول قبيلة انتضت سيوفها وسنت حرابها وخناجرها لنصرة الدين وعدم دفع الجزية التي لا تجبى من المسلمين. ولم يكن الأمير عثمان غريباً عليهم فهو ابن بنتهم ومن أعلم الناس بكتاب الله وسنة سيد المرسلين في عصره، وهو خطيب المحافل جهوري

الصوت[1]. قوي النبرات وللأمير تأثير عجيب على مستمعيه فهو ينتقي الألفاظ التي تأخذ بمجامع القلوب.

ويعرف عن عموم قبائل البجة كراهيتهم لكل أجنبي لأنه لم يأت إلى ديارهم إلا ليلتقط من أفواههم لقمة العيش، ولا يقدر على ذلك إلا كل من تفوق عليهم بالعلوم والمعارف التي حرمهم منها كل المستعمرين حتى الحكومة الوطنية الاستقلالية (من ١٩٥٤م) إذ فتحت في ظرف أربع سنوات أربع مدارس وسطى بمديرية كسلا، بينما فتحت في الشمالية أكثر من خمس عشرة[2]، وكلها وسطى ولغاية كتابة هذه الأسطر.

قال محمد بك موسى بن إبراهيم بن محمد بن موسى بن ويل علي بن محمد بن ويل علي بن موسى بن محمود بن أحمد باركوين (باركين) ابن محمد المبارك الذي هو جد عموم الهدندوة، فقد حضر من الحجاز ومعه رفيقان عن طريق مدينة عيذاب، وصار يتنقل في أحياء قبائل البجة وقراها حتى حط عصا التسيار في جبل أوكَر (Owker). وما حداه لهذا التنقل وتكبد المشاق إلا بحثه عن ابن عم له من الفقهاء يدعى «عبدالله بن محمد» جد الأبابس (Ababis) وتعريبها العبابسة إذ علم من حجاج السودان أنه رجل مشهور بالتقوى والصلاح وله مسجد كبير لتدريس القرآن مع قوم من البجة تزوج منهم وبدأ في نشر تعاليم الدين الإسلامي بينهم. وفيما محمد المبارك[3] مقيم في قرية بجبل أوكر وفد عليه أحد تلاميذ ابن عمه المفقود يقرأ القرآن ويتلعثم في العربية، فدار بينهما حديث علم منه محمد المبارك أن ابن عمه عبدالله محمد تزوج بامرأة من البجة في أرْكَوِيتْ ورزق منها ولداً اسمه السكوتي وبنتاً. فطلب المبارك من التلميذ أن يرشده إليه فسار معه ورفيقاه حتى وصلا أرْكُوَيْتْ[4]، وتم التعارف بين الأهل. واقترن

---

(١) قال عمي همد نور: إذا خطب بقرب قبة الشيخ برغوت كنا نسمع صوته في التسع كباري (قرب أسوتربة).

(٢) لم يكن بها غير رابعة وسطى.

(٣) لقبته البجة أخيراً باسم: وهدأ (Wahada) وتعريبها الزعيم أو الرئيس العام للقبيلة.

(٤) الصواب هو أركويت Arkowite.

المبارك بابنة عبدالله، واستمروا في مكانهم يؤدون رسالة الإسلام. ورزق المبارك ولداً فسماه أحمد. وفي أحد الأيام طلب المبارك من عبدالله أن يرحلوا إلى شواطئ البحر من الجبال، فنزلوا حول سواحل جبل أَسُوتْرِبا Assotriba (ضواحي الشيخ برغوث)[1] وتعريبها الجبل الأسمرة. ثم رست إحدى السفن الميممة للحجاز بالساحل، فطلب محمد من أخيه أن يرحلوا عليها إلى المشرق. فأجابه عبدالله بأنني استخرت الله كثيراً فوجدت أن البقاء هنا في «بر العجم»[2] أي الضفة الغربية من البحر الأحمر خير لنا من المشرق، وكذلك قال ابنه محمد السكوتي، واحتج بضيق السفينة عن حمل مواشيهم. فنزل المبارك على رأيهما وعادوا إلى أركويت، وعاد السكوتي إلى سواكن. أما المبارك فإنه رحل إلى جبل أوكر بزوجه وابنه أحمد. وإلى اليوم لا تزال ذرية عبدالله العباسي وابنه محمد السكوتي بأرْكَوِيتْ وسواكن، ويقال لهم: «أبابْسَة» (Ababsa) أي عبابسة، غير أنهم أقلية ضئيلة بالنسبة لبني عمهم أبناء باركوين.

اشتهر محمد المبارك بالبأس والشهامة فنال من رؤساء البجة[3] لقب: «وَهَدْأَ»[4]، وكان محل احترامهم وإجلالهم لأنهم لا يعرفون العربية، وصارت معنى للرئاسة والزعامة، واشتهر به وأضيف إليه كلمة دِوَة (Dewa) وتعريبها «بيت». أو «أهل» أو «آل» فعرفت ذريته في هذا الإقليم باسم هَدِيْدِوَة (Hadaidewa) ولكن غلب عليها النطق المحرف على الصواب فاشتهرت به القبيلة وهو قولهم هَدَنْدَوَة (Hadendawa)، وبعضهم ينطقها هِنْدِوة (Hendewa). وأما الحباب وبني عامر والحماسين فينطقونها هَرَنْرِوة

---

(١) لما بلغ أشده أظهر شجاعة فائقة، فلقبه رجال البجة باركوين Barakween وتعريبها «لا يهاب».

(٢) اليوم هي بورتسودان.

(٣) كانوا من البلويب.

(٤) من هذه الكلمة كانت اشتقاقات كلمة هدندوة، وأول من قرأتها في كتابه هو ونجت في كتابه (المهدية والسودان المصري).
(Mahdism & The Egyptian Sudan).

(Haranrewa)، وبعضهم جهلاء فيطلقون على كل من يتكلم البجاوية من الأَمَّارْأَرْ أو البشاريين أو بني عامر خور بركة هَدَنْدَوَة، وهؤلاء أوقعهم في الخطأ نوى ديارهم لأنهم غالبية سكان إقليم البجة في السودان، واشتهروا في كل حوادث السودان التاريخية منذ أيام السلطنة الزرقاء، ونحن اعتمدنا كلمة هَدَنْدَوة لشهرتها في مؤلفات من سبقونا وقربها من الصواب. ولنعد إلى الشيخ محمد المبارك... إذ لم يرزق من بنت عبدالله إلا ابنه أحمد باركوين الذي رحل في أحد الأيام إلى سواكن. (قال محمد بك: إنها كانت تابعة لمملكة الفونج) لزيارة محمد السكوتي. فمكث هناك زمناً ليس بالقصير. وفي أحد الأيام جاء رجل من الكميلاب من الشيخ برغوت ببنت عربية وقدموها هبة إلى مندوب ملك الفونج. فلما استنطقت قالت إنها ابنة الشريف محمد العلوي حضرت في سفينة من الحجاز مع والدها وأهلها، فنزلوا في أحد المراسي وهبطوا إلى البر، وإذا بعاصفة شديدة يتخللها هواء كثيف حال دون مشاهدتهم للبعض، فتسابقوا إلى السفينة. وأما هي فقد ضلت الطريق فبقيت في مكانها جامدة حتى صفا الجو وهدأت العاصفة، فلم تجد أثراً لأهلها ولا للسفينة. فسارت في الأرض الفضاء لا تدري أين تتجه حتى أظلم عليها الليل، فشاهدت ناراً موقدة فيممتها مؤملة أن تجد حولها أناساً، فلما بلغتها وجدت حي هؤلاء الرجال (كُميلاب)[1] الذين أكرموها وأحضروها إلى سواكن. فعرف الجمع أنها هاشمية علوية. وأمر المندوب الفونجي بإدخالها إلى العائلة «وقال: أما أنتم أيها الكميلاب[2] فد رفعت عنكم أداء زكاة ثلاثة أعوام».

وانتشر الخبر في المدينة، وسمعه باركوين، فتحايل حتى ضم نفسه ضمن حاشية المندوب واتصل بالحريم خصوصاً العلوية التي أنهكها البكاء والنحيب، ودبر معها أمر الفرار، وهيأ لها طريق الخلاص من الاعتقال، واستعان بالسكوتي في إعداد الرواحل فاتفقا، وأنس باركوين الغفلة من

---

(١) هم ذرية السيد كميل الدين.

(٢) يقول هذا الحي لولانا وهذه الهاشمية لما كان الهدندوة، وكذلك لولا ابن أيلقد (Eilagad) لما كان الأتمن في الامارأر.

حراس القصر فهرب بالعلوية إلى جبل أوكر حيث يقيم والداه، واستقر هنالك، ثم تزوج بهدآت[1] العلوية، واعتنوا بتربية المواشي، ولم تكن لهم أي سلطة على قبائل البجة التي بدأوا بنشر الدين الإسلامي بينها، وكل من أسلم كان ينضم إلى قريتهم بأهله. أما زعامة البجة فكانت بيد ملكهم المدعو شكيْتَلْ البلويبي يقيم بقرب سنكات. وبعد عدة سنين انتقل الشيخ محمد المبارك إلى جوار ربه ودفن بجبل أوكر وقبره مشهور هناك. وفي إحدى السنين زارهم الشيخ عبدالله بن أحمد العباسي ثم مرض وتوفي عندهم.

---

(١) أطلق عليها البجة ذلك، وتعريبها «الزعيمة».



الشيخ محمد بن محمد الأمين ترك

ناظر عموم قبائل الهدندوة

أزين بصورتك تاريخ الهدندوة تخليداً لأيامك السعيدة وجهادك الطويل المرير في سبيل ترقيتهم بل وعموم قبائل إقليم البجة.

محمد صالح ضرار

١٩٤٨

## أحمد بَارَكْوِينْ

رحل بعد وفاة والده بأهله ومن تبعه إلى جهة أسوتربة لجودة المرعى هنالك، فلما أتى الصيف وهموا بالعودة علموا أن قبيلة من الشئياب (فرع من الأرتيقة) طمع رجالها في مواشيهم، فكمنوا لهم بأعلى وادي خورموجْ. فأشعل أحمد باركوين النيران في الحشائش التي كمنوا بها وسلم من أذاهم بأهله وكيدهم، فأدركوه في نصف طريق سَلُوم، فقاتلهم حتى هزمهم[1].

وقيل: إن مندوب ملك الفونج أوعز إلى الملك شكيتَل كي يتحرش بباركوين كي يسلبه زعامته، واستعد الأخير لما علم بمكر شكيتل، وتسلح كل من الفريقين، وجعل يجمع الرجال في صفه، واشتد ساعد أحمد بانضمام العبابسة وقبيلة تَنكِيك (Tankeek) وبُويْكِناب (Boykinab) وسِنْكاتْكِناب (Sinkatkinab) وبدأت بينهما حرب العصابات. ثم قرر الأخيرون الزحف جملة فحاصروا جبل شكيتل[2] ومن فيه، وكذلك جبل أودروس، وزحف باركوين وأولاده إلى منازل الملك الذي برز لباركوين الذي تمكن من قتل شكيتل، فانهزمت جماعته إلى أودروس. وهناك هجم عليهم البويكناب فهزموهم وأحرقوا كل منازل شكيتل وقتلوا أولاده وأهله وغنموا نحاسه، ودفنوا القتلى بالجبل المسمى باسمه إلى اليوم. وفر من تلك الجهة كل الرؤساء من البلويب ومن تبعهم من البجة إلى الجنوب ومعهم بعض من السنكاتكناب (سكان أوكاك) وتعريبها أصحاب سنكات[3].

وانتشر الرعب في سائر قبائل البجة خصوصاً الرؤساء من البلويب، وقد ارتحلوا إلى ضفة خور بركة الجنوبية، وأنشأوا لهم عاصمة ومملكة جديدة في جهة أَسَرَمَ دِيرْهيب (Asarama Derheeb) وتعريبها «التلال السبعة»

---

(١) بعض شيوخ الهدندوة يدعون أن الشئياب استعانت بالكميلاب والأرتيقة لذا كانت خسارتها كبيرة وأنهم سلبوا خواتيم الشئياب.

(٢) كان يضرب نحاسه.

(٣) كلمة كناب تضاف للملك وتكون في آخر الكلمة (Kinab) مثل ملهيتكناب (Malheetkinab) وبوكيناب (Boykiab) أصحاب الدماء أي سفاكيها.

بين توكر وجبل ملهاب[1] (Malhab). أما قبائل اللَّبَتْ (Labat) فقد بقيت في محلها بجبل أَوَرِّيا (Awarria) هي والبويكناب، وسنذكر فيما بعد أسباب اضطرارها لإخلائه.

وكانت تجاور أحمد باركوين عدة قبائل مثل المكابراب والبطاحين والمَلْهيتكناب والبشاريين والأمارأر والحلنقة الذين كانت سلطتهم ممتدة حتى سهول دُرْدِيبْ. وفي صيف أحد الأعوام غزا باركوين[2] أراضي ملهيت وغنم منها أبقاراً وإبلاً كثيرة، وبعدها غزا أراضي البشاريين وأخذ مراحاً من الإبل برعاتها. ثم استولى على بعض من خيل الحلنقة وقسمها على أبنائه. فتعلم من الملهيتكناب تربية البقر والإبل، ومن الثانية الاعتناء بالرقيق، ومن الثالثة تربية الخيل.

وبعد وفاة أحمد باركوين لم تحدث أي حوادث كبيرة بين الهدندوة وجيرانهم إذ حصر بنوه همهم في مصاهرة القبائل المجاورة لهم للاستعانة بها عند الطوارئ الجسام، اللهم إلا ما كان من الاستعمار التركي، الذي كان في عصر الناظر الشديد البأس الشيخ محمد دين[3].

جمعتني الأقدار سنة **١٩٢٥** بأحد الفلسطينيين في مصوع، وتباحثنا في أنساب قبائل السودان العربية ومخالفتها لبعض مؤرخي الأنساب حتى بلغنا العباس خصوصاً السيد الفضل بن عبدالله بن العباس والبعض الآخر يؤيد ذلك النسب. فقال لي: أنا من نسل الفضل، ونحن عدة بطون بالقدس، وخذها مني ثقة أنا أعرف الناس بأنسابنا وأحسابنا من المؤرخين. فأوضحت له معضلتي وهي أن الجعليين والهدندوة من نسل هذا السيد، ولكن ليس لدي مستند لأنسابهما وما يتفرع من ذريتهما حتى أسعدتني الظروف بالعثور

---

(١) أوضحنا ذلك في بني عامر.

(٢) خضعت بعض قبائل البجة لسلطته برؤسائها واشتركوا معه في كل غزواته.

(٣) كانت بعض الحوادث في أيام الشيخ محمد بن ويل علي، ولكنها بسيطة إذا ما قورنت بحوادث الشيخ محمد دين وابن أخيه موسى إبراهيم. وقد توفي أحمد باركوين سنة ١٦٣٤م.

على نسخة نسب أثرية كتبت على ما أظن قبل القرن الثامن عشر للميلاد. وكذلك عثر صديقي الإداري الحازم السيد محمد أحمد أبو الذهب على كتاب أنساب عرب السودان للسمرقندي بمساعدة صديقنا الجليل السيد محمد إبراهيم بك فرح ناظر عموم قبائل الجعليين في شندي، فقويت حجتي بهذين المستندين. وكان المرحوم محمد بك موسى يقول لي: إذا لم تجد نسخة من نسب الهدندوة في منزل «الشيخ إدريس قاضي» بكسلا فابحث في مخازن ومخلفات أهل سواكن. وقد كنت موفقاً ولله الحمد إذ جاءني صديقي السيد أبو محمد محمود بك عثمان أرتيقة أمير سواكن[1] بنسخة تحوي نسب السيد باركوين وذريته، فكان سروري بذلك عظيماً[2]. وهذا دأبي في التدقيق عند ذكر أنساب القبائل المهمة والشهيرة وأول من أنكر عروبة السودانيين هم مؤرخو الإفرنج والعرب من المستعمرين ويجب على كل سوداني ألا يلتمس عروبته منهم بل هي حق احتفظنا به في طيات المصاحف والصدور وحفظناه عن ظهر قلب.

لقد وفيت هذا الموضوع حقه من مصادر كتب التاريخ الصحيحة (مصرية وشامية وعراقية ويمانية) بأسانيد لا يدخلها الريب عند بدئي بهجرة العرب إلى السودان. ولو عثر هؤلاء الفضوليون على ما لدي من الأسانيد والبحوث لاتبعوني ولا ألومهم لأنهم يكتبون من الناحية الاستعمارية التي تقتضيها مصلحة دولهم الحاكمة للقطر السوداني.

اليوم وأنا في سنة **١٩٥٩**م مضى علي أكثر من ثلاثة وخمسين عاماً أبحث عن الحقائق وأدونها إذ تيسر لي من الكتب والشيوخ ما لا يتيسر لمن يأتي من بعدي من المؤرخين والباحثين. وها أنا أضع بين يدي القراء الصورة الأصلية كما وجدتها بخط صاحبها والنسخة الموضحة.

---

(١) والدته هدندوة جعلية من المكابراب «شرعاب».

(٢) تولى طبع هذا النسب الخليفة مجذوب أبو علي موسى بعد أن حذف اسمي من النسخة (عفا الله عنه) وكرر الطبع أخيراً وحسنه وزاده بمن تفرع من الذرية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

## وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال رسول الله ﷺ: «**الشرف لي ولعمي حمزة والعباس**»، وقال: «**العباس مني وأنا منه**»، وورد: «**لا تؤذوا العباس فتؤذوني**»، «**من سب العباس فقد سبني**»، وقال: «**يا أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني فإن عم الرجل صنو أبيه**»، وقال: «**اللهم اغفر للعباس وولد العباس مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنباً إلا سترته. اللهم احفظه وولده**»، وعن ابن عباس قال: «**إذا كان غداة الاثنين، فأتني أنت وولدك فألبسنا كساء**»، ثم قال: «**اللهم اغفر للعباس وولده. . .**» إلى آخره، الحديث. وغطاهم بشملة سوداء مخططة بحمرة، وقال: «**إن هؤلاء أهل بيتي وعشيرتي فاسترهم من النار كسترتهم بهذه الشملة**» فما بقي في البيت مدرجة ولا باب إلا آمن. ولا ينافي ذلك إن أهل الكساء علي وفاطمة وابناهما وتارة للعباس وبنيه والجميع بينهما تعده القصة بين هذا وبين هذا، وتارة مع علي وفاطمة وابنيهما ومع جبريل، وقد نتكلم منه نقطة في علوم الأمة الحبر البحر عبدالله ابن العباس بن عبدالمطلب الذي تنتسب إليه هذه النسبة إن شاء الله تعالى، وكان قد دعا له النبي ﷺ أن يؤتي الله العلم مرتين وكان أعلم أهل زمان، ودفن بالطائف وله إحدى وسبعون سنة، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين في الشعب، وتوفي ﷺ وهو ابن أربعة عشر سنة ومات بالطائف سنة ٦٨ من الهجرة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التحية، ورأى جبريل يحدث النبي ﷺ ودعا له وقال: «**اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**»، وفي حديث آخر: «**اللهم بارك فيه، وانشر منه، واجعله من عبادك الصالحين**»، وقوله ﷺ: «**يا بني عبدالمطلب سألت الله لكم ثلاثاً: أن يثبت قائمكم، وأن يهدي ضالكم، وأن يعلم جاهلكم. . .**» الحديث، قال ﷺ: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم**»، ولأن معرفة الأنساب واجبة عند أهل السنة: «**ومن لم يكن له نسب يكون ناقص الحركة**»، وقال عمر: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم لأنه يحصل زمان يبقى ملك الأحرار ولا يتخلصون إلا

بالأنساب. وأفضل النسب بل والحسب التقوى» قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] وقال ﷺ: «**أنا جد كل تقي**». إذا علمت هذا فلا يترك أحد معرفة نسبه إلا بقليل معرفة نسبه. وهذه النسبة المباركة هي نسبة الشيخ أحمد المبارك الملقب بالباركيتاي بن محمد بن أحمد بن سالم بن يوسف بن حمزة بن سلميان بن الطاهر بن أحمد بن سليم بن مستغني ابن التقي بن المنصور بن الفضل بن المستظهر بن عبدالله بن المعتصم بن الطاهر بن التقي بن موسى بن الكاظم بن المسيب بن الفضل بن عبدالله ابن سيدنا العباس عم سيد الناس ابن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن النضر بن نزار بن معد، بن عدنان.

وهذه النسبة وجدت في كتب عوض أرتيق الكنجار[١] الجميلابي والله أعلم.

كاتبه العبد الفقير: «طه بن محمود بن الفقيه حامد بن محمد. في سنة ١٩٠١م أدركت الشيخ أوكبر شقيق الشيخ طه المذكور وقد كان مؤذناً بالجامع الشافعي بجزيرة سواكن ولا يقل سنه عن التسعين عاماً وهو من الحسناب ذرية الشيخ أحمد بن عجيل اليماني العمري القرشي.

وأولاده الشيخ أحمد المبارك سبعة هم:

**الأول**: نَأيتِيب[٢] أبو بهريت (Bahreit) وهو جد الإشْباديناب (Ishbadeinab) والمحموداب.

---

(١) قال لي الشيخ محمد طاهر باكاش أن قبره مشهور على صفحة جبل أَوَربا (Awariba) ونحن المؤرخين، لا نرتاب في وجود مكتبة الشيخ عوض بأحد منازل سواكن. وربما كانت مختفية في صناديق سواكن كما هو حال كتب فضيلة القاضي الشيخ عبدالقادر حسين الذي ترك مكتبته عند صديق له سنة ١٨٨٥م، ولم ترد لأحفاده إلى اليوم.

(٢) كثير الأغنام واسمه محمود.

**الثاني**: كِلايْ أبو خميس[1] (Kilai) هو جد الخميساب. والسمرايدواب.

**الثالث**: بَعْشُكْ (بَعْشُوك)[2] أبو هاكُول وهو جد البعْشَكَاب (بعشوكاب والهاكولاب).

**الرابع**: قُورْهَبْ[3] (Gurhab) أبو هَدَل وهو جد القورهياب والهَدَلاب (السود).

**الخامس**: شبُودين[4] (Shibodeen) أو جميل، وهو جد الشبوديناب والجميلاب.

**السادس**: حَمَلاب[5] أبو قايد، وهو جد القايداب وأَدَرْأَوَدَابْ وأَدَرْعَوَضاب (Adar-Awadab) أي (العوضاب الحمر).

**السابع**: وِيَل حمد أبُو سمار[6] وهو جد العميراب والبُوقَلِينَيْ (Bogalinai) وهو اسم لإحدى ممالك البجة القديمة في مساكن البُقْلِيَن.

**انتهى والله أعلم**

❋ ❋ ❋

هذا ما وجدته مسطراً في الصحف الأثرية وقد كتبه الشيخ عوض معتمداً الألقاب التي أطلقتها عليهم قبائل البجة لأنهم يجهلون نطق الأسماء العربية وأكثر الألقاب هي صفات للأشخاص، ولأحمد باركوين بنت تزوجها ابن محمد السكوتي.

---

(١) جعفر الطيار، وكلاي معناها طائر «بلغة الهدندوة».
(٢) يوسف وباشوك تعريبها كثير الحيل والدهاء.
(٣) علي وكان أكبرهم، وقرهب معناها المصيبة أو الشر لأن علياً كان شديد الباس والأذى.
(٤) معناها طيب الدين.
(٥) حمزة.
(٦) الولي حماد ومعنى ويل «ولي» وهي بالإمالة في النطق.



لم [illegible] من شيعتكم [illegible] فقد [illegible] امر

حديث النبي صلى الله عليه وسلم تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم [illegible] ولو

[illegible] الانساب واجبة عند اهل السنة من لم يعرف له نسب [illegible]

[illegible] قوله تعالى [illegible] انسابكم [illegible]

[illegible] فيه [illegible] ولا يختص [illegible] الا بالانساب [illegible]

النسب [illegible] الصحيح [illegible] عند الله اتقاكم قال صلى

الله عليه وسلم انا جد كل تقي [illegible]

نسبته الا بقليل معرفة نسب وهذه النسبة المباركة هي نسبة

الشيخ احمد المبارك الملقب بالمباركي [illegible] بن محمد بن احمد بن سالم بن

ابن [illegible] بن سليمان بن الطاهر بن احمد بن سالم بن [illegible]

بن المنصور بن الفضل بن المستظهر بن عبيد الله بن المعتصم

ابن المتقي بن موسى بن [illegible] بن الحسين بن [illegible]

سيدنا العباس عم سيد الناس [illegible] بن عبد المطلب بن هاشم [illegible]

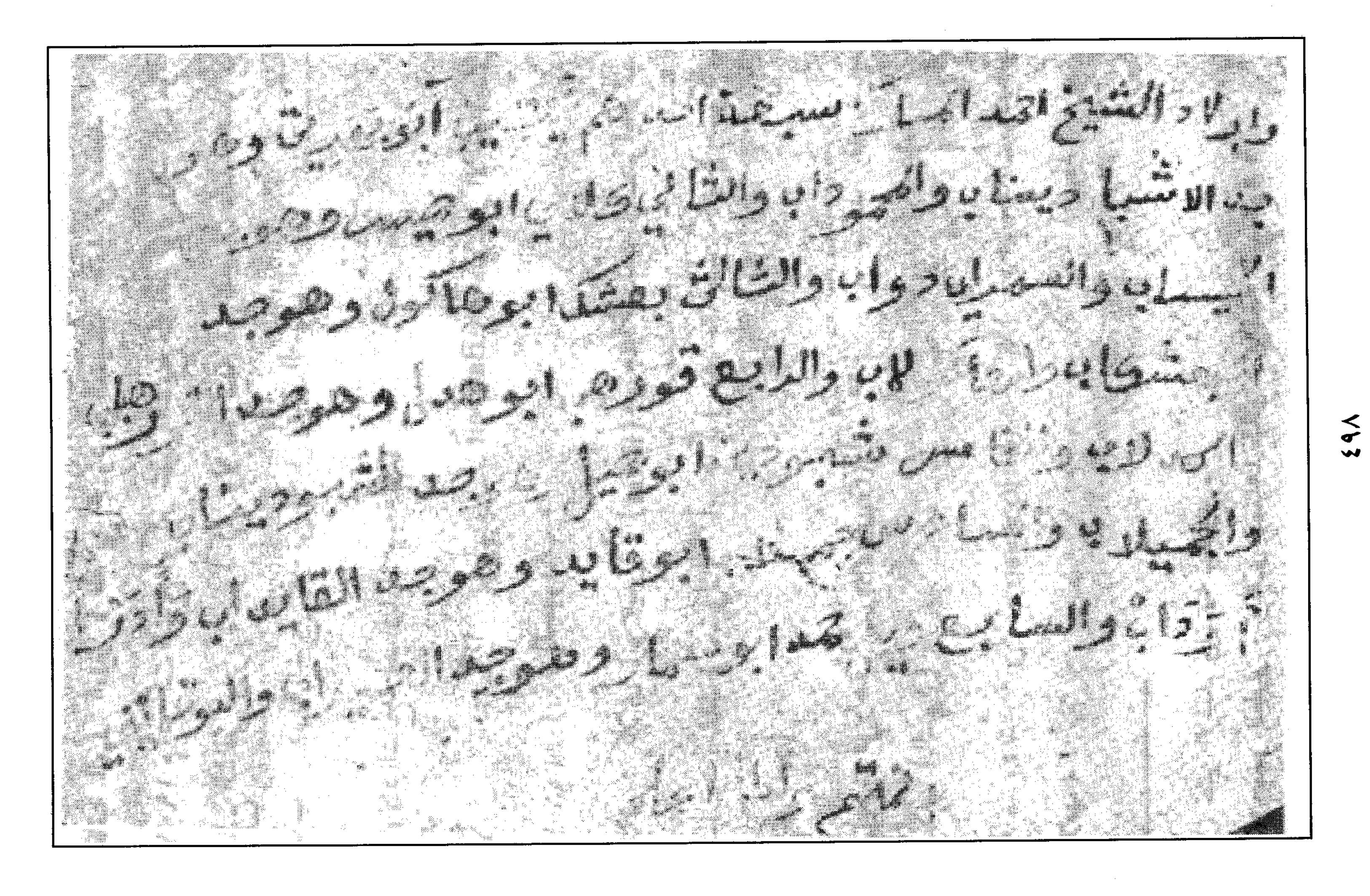
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والله اعلم

[illegible]



واولاد الشيخ احمد البساطي سبعة [illegible] ابو [illegible] وهو

جد الاشبا ديناب والمصور داب والثاني [illegible] ابو [illegible] وهو

جد [illegible] والسمر [illegible] داب والثالث [illegible] ابو [illegible] وهو جد

[illegible] لاب والرابع [illegible] ابو [illegible] وهو جد [illegible]

[illegible] ابو [illegible] جد [illegible]

والجميلاب [illegible] ابو قايد وهو جد القايداب [illegible]

[illegible] والسابع [illegible] محمد ابو [illegible] وهو جد [illegible]

تم [illegible]

## محمود نَأيَتِيْبْ

قبل أن أتكلم عن ذرية كل من أجداد الهدندوة السبعة أود أن أتعرض إلى كلمة نشرها المستر (A.G.S. Crawford) كروفورد مؤلف كتاب مملكة الفونج (Fung Kingdom).

إذ طلب مني سلسلة نسب أبناء أحمد باركوين وذريته[1]، فأعطيتها له بالأسماء العربية. وأعطاها إياه السير دوجلاس نيو بولد بالبجاوية (كنية ولقباً)، فظن أن هذا خلاف في الأصول أو داخله الريب في الأسماء العربية، إذ ربما كان كغيره من المؤرخين يستكثر على سكان البجة العروبة أو ساميتهم. لذا نشرها بعدد **٣٦** الجزء الثاني عن ديسمبر **١٩٥٥** من مجلة «السودان في رسائل ومدونات» ولو كان مستشرقاً أو له إلمام بلغة البجة أو البيئة البجاوية لعلم لأول وهلة أن كلينا على صواب.

والبجة لا تزال تنفر من الاتصال بأي شخصية غير بجاوي دماً ولحماً ـ والذي كان بين الأمتين (البجاوية والإنجليزية) من أنهار الدماء لا يزال مسطراً في كتبهم خصوصاً «المهدي قتل غوردون وعثمان حال دون نجدته وخلاصه من الحصار» وكان السير نيو بولد مخلصاً جداً للهدندوة الذين كانوا حذرين جداً ولم ينقطعوا عن قولهم الاعتيادي: «لا تأمنوا إلا من اتبع دينكم».

ولقد اعتبرت كل ما نقلوه في مؤلفاتهم عن حوادث البجة مأخوذاً من البوليس الوطني أو الموظفين الذين يرضونهم ويصفونهم بالقوة والبطش والإرهاب ولله در محمد بك موسى حين سأله أحد مديري كسلا الإنجليز في **١٩٢٥** بقوله: «لقد عاصرت عدة حكومات (التركية والمهدية والإنجليز والمصريين) فلحكم أيها كانت تميل نفسك». فأجابه: «صدقت، جربتها جميعاً وليس بها فائدة للبجة، ولذلك أحب أن أجرب الحكم الألماني لو لم

---

(١) كما طلب سلسلة نسب للسادة أبناء السيد محمد الحسيني بسواكن وكذلك بني عامر ذرية شاع الدين بن عرمان، والأمارار أبناء الشيخ عجيب المانجلوك.

يكونوا أمة قوية وشجعاناً لما أعلنوا الحرب على فرنسا وروسيا وإنجلترا[١]، وإيطاليا وبلجيكا».

تفرعت من الشيخ محمود العشائر الآتية:

صاهر قبائل البطاحين عشيرة «عيسفاب» واختاره إخوانه ومن معهم من بقايا البجة للرئاسة[٢]، عقب عزلهم لأخيه الأكبر «علي قرهب» الذي كان من كنيته[٣]، نصيب في خلقه. ومحمود هذا هو جد بيت نظارة الهدندوة (ويلْعَلْيابْ) إلى يومنا هذا ـ وقد رزق من الأولاد:

١ ـ موسى أَشْبادين[٤]، والد: كُلُول ومِيش جد الكلولَيْ والميشاب، وعيسى حملاب الذي تفرقت ذريته في سائر بطن الهدندوة وأشهرهم: علي كَوَّل[٥]، إذ انضم إلى القرهباب بأولاده كُرُب وأَدَرُوب، وحكام، وحسين[٦]، (حنون)، وقد اشتهروا بالشجاعة في واقعة...[٧].

ومنهم من أركويت أبناء «أحمد علي كَوَّل، وفي الويلعلياب أبناء أخيه أحمد علي. ومنهم جماعة في البيرناب[٨]، ووجدت غالبيتهم تسكن في: هماش كوريب بقرب أودية[٩]، ومنهم الحنن والفرداب (أبناء فرد) والأسقريم

---

(١) يقصد الحرب العظمى الأولى ١٩١٤م. وهذه الحرب هي كانت السبب في ضياع الإمبراطورية العثمانية إذ كانت كل هذه الممالك تحت علم واحد (أحمر ذو هلال ونجمة) وهي العراق وسوريا «وكل الجزيرة العربية» ولبنان وفلسطين والحجاز ومصر والسودان واليمن وغيرها، وسبقتها دويلات كثيرة في أوروبا وأفريقيا مثل أرتريا والصومال وليبيا وتونس وكريت ورودوس وقبرص والكويت والعسير ونجد... إلخ.

(٢) مع أنه كان أصغر أخوانه.

(٣) ومعناها «مصيبة».

(٤) تعريبها «بطيب معاملته لنا نسينا حسنات والده المرحوم».

(٥) خط الرجعة.

(٦) كانت بين الشبوديناب والبشاريين.

(٧) ترك اسم الواقعة فراغاً.

(٨) الرحل.

(٩) أخصب أراضي الهدندوة بعد القاش، وقد نجحت فيها زراعة القطن في ١٨٧٠، وبيع وحلج بسواكن أيام ممتاز باشا.

المندمجة في السَّمَرْأَر. والوَنْساب (أبناء ونس) بالكلولَيْ والأيمون والشُّنَّاب التحقوا بالتنكيراب. أما ذرية أشكوب فانحازوا إلى العميراب. أما ميش بن موسى فهو جد عموم الميشاب. ورزق تأيتيب من البطحانية ولدان هما: رزق الله (رزقِيب) جد الترق[1]، أو الترك والثاني هو جيلي (Jeili) جد عمم المحموداب وهذا الاسم هو لبئر غزيرة المياه تسكن حولها قبيلة عيسفاب البطاحين.

❋ ❋ ❋

## علي قرهب

كان كثير الزواج، ولذلك انتشرت ذريته في أكثر المواطن. وأولهم هو هَدَل (أسود) وحيدر (حيجر) وأشْكُوب، وباقَنَفْ أي لا يبرك، ودِليل وإبراهيم.

وفد على الشيخ علي قرهب الشريف أحمد بن علي بن محمد فايد من جهة بني عامر بخور بركة ومعه أخته واثنان من بلويب بني عامر اشتهر أحدهما بصيد الغزلان فسمي: غَنَيْ، وكان الثاني أشول فسمي: تَلْهاب، فتزوجا من القرهباب، وسكنوا في خور العرب. وانضمت ذرية حيدر في البشارياب بالقاش. وتزوج أخت الشيخ الفايدابي أحمد بن تِكِلْ الذي من ذريته آل السيد الحسن البدري، وتزوج الشريف ابنة الشيخ علي قرهب، وتناسلت منها عمودية الفقراب شياخة أحمد حليمة. ومر عليهم الشيخ إدريس بن أحمد نافعوتاي في طريقه إلى نهر عطبرة، وهو الذي صاهر البشاريين وتسمى ذريته «نفيداب» أي نافْعَيْدَوَاب: معربة.

ولما حدث القتال بين الأمير مصطفى علي هدل والملْهِيتْكِنابْ أخذ عميد القرهباب عشرين شاباً من الملهيتكناب وضمهم إليه ومنع عنهم تعدي الأمير. واليوم هم غالبية بقايا الملهيتكناب بالقاش.

(١) وتعريبها قمر، نسبة لاسم القبيلة المشابه للقمر أو القوس.

والحقيقة أن المصائب توالت على هذا الرهط، فمن حروب الفونج إلى التركية وأخيراً المهدية لم يرفع لهم صوت بعدها إلا أقلية متناثرة.

❋ ❋ ❋

## حمزة أو حملاب

أبو قايد لم يرزق سواه. وقد تناسلت من ابنه قايد عدة عائلات: دِئْياب - هِيكُوتْ - هَدَل - أَفْلَنْتْ - هَرْيَسْ - لشيد - وبنتاً تزوجها أحمد هَوْتَرْ الحُمْرَاني، ورزق منها ولداً اسمه محمد[1]، (إيرْها)، وحضر إليهم ذات يوم رجل يقال له: محمد (هِيبْ)، (أراك) ابن موسى من أمارأر الموسياب وتزوج من الهاكولاب ورزق منها ثلاثة أنجال تزوج أولهم في الفايداب ويدعون «هيبياب» ويسكنون بقرب سنكات. والثاني اسمه حبيب تزوج في أمارأر القاش وكانوا تابعين لنظارة الهدندوة حتى تعين مونزنجر[2] باشا حكمداراً على شرقي السودان سنة ١٨٧٣م، ففصلهم وضمهم لنظارة الحلنقة وفي سنة ١٨٨٢م عادوا إلى الهدندوة. وأما الثالث فاسمه سِئْياي. واليوم كلهم كتلة واحدة يسَكنون الأرض التي منحهم إياها الشيخ محمد موسى ويل علي، وهي بين الهاكولاب والهَمِيسَاب، وفيها اجتمعت بالشيخ الأمين هيبياي، والشيخ محمد بن سالم وأنجاله، واليوم هم بقية الهيبياب وهم أقرب الناس إلى الأخ جعفر إبراهيم طلاب.

❋ ❋ ❋

## طيب الدين أو شبودين

أبو جميل الذي هو أكبر أبنائه. فمن ذريته هَوَّة، وتلاَلَيْ، وحريروياب (أي أجسامهم كالحرير) وصدّيقاب وعمراب ومحمداب، وباشتى (Bashitai)

---

(١) كان لا ينام إلا تحت شجرة أراك وعصاه وسواكه من الآراك حتى مخدة رأسه الخشبية.

(٢) في مبدأ حكمه كان يكره الشيخ موسى إبراهيم الذي كان يلقبه بالحاكم الكافر وذكرنا شيئاً من حياته.

وِرِضَّيْ (Riddai) ورَوجَيْ (Rawhia) وأَنَـلْ (Annal) وسـمـلاب، وهـدلاب، وجيكي (Jeekai) والأخيران من القرهاب. وأما العمراب فهم من ذرية السَّمَرْأَر والباسيتي، وفيهم المنصوراب من حمران الأرتيقة.

أما مشايخ الجميلاب فهم من اللآَلَيْ والحَريرُويَابْ[1].

أما محمد بن جميل بن طيب الدين فقد رزق ثلاثة أنجال هم: حمد آمسة الذي انضم إلى الكلولي، والثاني: أَدَرْدَا (Adarda) لأنه كان أصلع الرأس من الأمام ونصف شعره الخلفي أحمر مدلى على قرنيه. وانضمت ذريته إلى الوِيلْعَلْيابْ شياخة حامد أوشيك، والثالث هو: اللاَّيْ شَكْاب[2] (Allai-Shakwab) الباقي مع الجميلاب تَوْلِلْ، وهم من الكنجار (بيت الصلاح والدين مثل إخوانهم الرضى). ومن مشاهير الكنجار الشيخ عوض بن أرتيقة صاحب المكتبة الثمينة بسواكن، والأمير فقيه علي حامد الجميلابي (فاتح سكنات سنة ١٨٨٤م) ومن فقهاء الرضي المصلح الكبير السيد علي بئتاي عبدالله صاحب الكرامات الباهرة، وخوارق العادات، والداعي إلى حميد الخصال والأخلاق الفاضلة، والأمر بالمعروف، ومحاربة المحرمات والمنكرات، واتباع الكتاب والسنة، والتطورات الاجتماعية والعصرية، ومنهم الفقيه علي موسى وابن عمه الفقيه يوسف الكنجاري.

❋ ❋ ❋

## طيب الدين

ومن ذرية محمد بن جميل بنت تزوجها بشار بن عكيك من الشكرية (رهط أبو سن) أصحاب بئر ريرة (Reira) المشهور في أغاني البجة بعذوبة مائها وخصب تربتها. واشتهر بشار بالبطش وقوة البنية والصرامة. وكان كثير

---

(١) قال محمد بك موسى: «إن اللآلي والحريرویاب هما من نسل أخوين حضرا إلى الجميلاب من جهة بني عامر وادعيا أنهما من النابتاب، ولكن حقيقتهما من بقايا قبائل البلويب (قدماء ملوك البجة).

(٢) تعريبها رعاه الله.

الاعتراض على قبائل البوادي وغيرها. وكان اعتماد أهل ذلك العصر على قوة السواعد والعصبية الكثيرة[1].

ومن أبناء شبودين «علي كَوْ» الذي تزوج بابنته بَرام دَرِّي (Baram-Darri) (كثير الهواء والغبرة)، واسمه العربي هو الشيخ أحمد الشايقي. وكان علي كَوْ رئيساً على الشبودیناب بعد أن انفصل عنهم جميل بذريته. واشترى علي نحاساً (نقارة) من أحد تجار سواكن، ولاحظ أن أبناءه لا يهتمون بالنقارة، فوهبها لابن ابنته الشيخ عوض بن أحمد الشايقي الملقب باسم «ابن برام دري».

والثالث هو: إندوش بن شبودين، ومن حديثه أن رجلاً حجازياً يدعى «علي تباذ»[2] نسبة لرائحة الزباد التي كانت تفوح من ملابسه، وفد عليه وباع كثيراً من عطره، ثم تزوج بابنة الشيخ عوض ورزق منها ولداً. ثم ماتت، فتزوج بابنته: هَبَنْ: وخلفت له أيضاً ولداً، وماتت. ومن هذين الولدين تألفت حصة «علي تباد» ومنهم عائلة إيلوق التي كان من أفرادها الشيخ رحمة بن محمد بن الشجاع المشهور.

❋ ❋ ❋

## جعفر الطيار
## أو كلاي أبو خميس (هميس) ليس له ولد سواه

ولخميس ولدان، هما: حامد[3] وبيوض (حامداب وبيوضاب). أما حامد فله ابن يسمى: عبدالله (اللاي كشة) هو جد السمريدواب، والثاني اسمه

---

(١) تنتمي والدة أميرنا الأمير عثمان بن أبي بكر دقنة إلى هذا. الرهط (البشارياب) فرع: قلهيدوة (Gulhaidewa)، وكانت لها مدرسة بنات بسواكن بحارة المعلم سعيد. وكان والده وجده من أكبر الفقهاء، ولذلك صار الأمير من أعلم أهل سواكن بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

(٢) هو من أغلى العطورات التي تحمل في قرون كبيرة من قرون البقر. ولأهل أثيوبيا اعتناء فائق بتربية قط الزباد.

(٣) له صلة قرابة ونسب مع السادة أبناء حاشي والبكرية، ومن الحامداب عائلة: ملتيناب (Malatinab) ودهراياب (Dahrayab).

صديق[1] الذي انضم للجميلاب (صديقاب) فمنذ اندماج الهدندوة في البجة الأصليين والاختلاط بهم في السكن والمراعي والمناهل فقدوا لسانهم العربي وكذلك أسماءهم كسائر العرب الذين سبقوهم إلى استيطان ديار إقليم البجة.

❋ ❋ ❋

## وِيلْ حَمَّادَ أبو سَمَّار

له من الأولاد سمار، وبوقلين، وعمار. فمن ذرية الأول والثالث تألفت عمودية لها فروع صغيرة هي سمار وعمير وعقم (بطيء الفهم) وقرين ويسكنون أودية ويتبعون الهاكولاب (دِلايْ)، وتزوج رجل من البشارياب بعمير أبيّة تألفت من ذريتها حصة قُلْهَنْدِياب (Gulhandeyab). أما ذرية بوقلين[2] تفرقت بين أوكر وجَبِيتْ والقاش الذي يسكنه أبناء أبو القاسم (هم فرسان الهدندوة يوم النزال على ظهور الصافنات الجياد إذ لهم ميل فطري لاقتناء الخيل وولع شديد بتربيتها). وكانوا في أول عهد الاستعمار التركي وقبله يتصدون دائماً لقتال فرسان الحلنقا والترك والفونج ولهم في المهدية مواقف كتبت بمداد من الذهب كلما خرجت لقتالهم خيالة الحكومة.

❋ ❋ ❋

## يوسف باشوك[3]

أبو هاكُول الذي تناسلت منه الهاكولاب[4] ومنهم الكوليت والضياب

---

(١) من ذريته النصر والريبات والأدر «أحمر» والوشيكاب واللسوياب والأخيرة انضمت للهيكوتياب، ولم يبق منها إلا أبناء بنات.

(٢) كانت بأرض الهدندوة مملكة تسمى «بوقليني» وذلك قبل انتشار الإسلام ورث أبناء باركوين أرضها ومناهلها ومراعيها.

(٣) كثير المكر والدهاء.

(٤) هم أول من يفتتح الكلام في مجالس الهدندوة الخاصة والعامة فلا ينطقون إلا عن روية وحكمة، ولهم مواقع تاريخية حالت دون انتشار سلطة الحلنقة في عهد السلطنة الزرقاء بأرضهم. ونبغ فيهم أجاويد في الحرب وفصل القضايا المعقدة.

والشنقراب. ومن محمد بن يوسف تفرعت عدة عائلات انضمت إلى عمودية قَلَابْ نِيوْ (Galab Neew) (قصر الأذن) واتخذوا خور الساواب (بجوار خور بركة) موطناً لسكناهم. وهم من أكبر بدنات الهدندوة أشدها بأساً. ومن ذرية يوسف أيضاً أدلوب تخفيف أدروب (أحمر) والد اللآي شِبُو (Aliai-Shibo) أي عبدالله التقي ومنهم النَّكَاب (قصار) والدَّبْشَاب.

❋ ❋ ❋

## تُولَناب[1] (TOULANAB)

هم رهط مؤلف من عدة قبائل يأوي وينضم إليهم كل رئيس عصابة وفتاك من القبائل الآتية: هدندوة وبني عامر وكميلاب وأمارأر وبَلِّياب (أقارب الأرتيقة) واتخذوا توكر وجنوبها حتى العقيق مركزاً لهم، ويترصدون المارة وينهبون كل ما يقع تحت نظرهم. ولهم خفراء يتناوبون الرقابة فوق رؤوس جبل تقْدرة والصفانير (فيطفيطو) والعنقاء. وقلَّ من يسلم من أذاهم. وانتشر أذاهم بين القبائل إذ أن من كان ديدنه السلب والنهب لن يقلع عنهما إلا بالقصاص أو قانون رادع وهما المفقودان في ذلك العصر. وكانت لهم إتاوة على أصحاب السنابيك التي ترسو في الموانئ خصوصاً العقيق إذ كانوا هم الذين يبيعون الماء للسفن من آبار أم مكيان، فدارت بسببهم عدة محادثات بين ناظر الهدندوة وبني عامر، فأوكل أمر تأديبهم إلى الأول وهو الشيخ موسى ويل علي. فحضر هذا إلى توكر ومعه أخوه الشيخ حسن. وكان أهل توكر قد عزموا على تجنيد كل شاب لقتال التولناب، فمنعهم الشيخ موسى ويل علي وقال: سأنتدب للمباحثة معهم أخي الحسين. ثم اجتمع بزعيمهم للصلح والأمان. فنجح الحسين في مهمته وأحضر خمسة من رؤسائهم إلى توكر فطلب منهم الشيخ موسى أن يقلعوا عما كانوا عليه من أذية عباد الله، فأنكروا ذلك وقالوا: نحن ليست لنا مهنة غير صيد

---

(١) تعريبها أصحاب الشباك أو الشرك الذي ينصب لصيد الغزلان والنعام صيد أسعد آب (وهو الإنسان الآدمي).

الغزلان. فقال لهم: عاهدوني على أن لا تضروا الناس فأجابوه نحن نعاهدك على شرط أن يتبرع لنا أهل توكر بقطعة أرض نزرعها ذرة ودخناً. فوافقوا وأقسم رؤساء العصابة على ترك الأذى والشر. فكان الهدوء والسلام ولكنهم التفتوا لصيد النعام حتى قرب مصوع في أرض الحباب. ولهم أقارب أينما حلوا. ولما كانت المهدية ترأس عليهم الرجل المشهور بالتقوى والصلاح الشيخ محمد علي كمبو فتابوا جميعهم توبة نصوحاً. وحقيقة كما تكونوا يولّ عليكم. ولما توفى خلفهُ ابنه الحاج المصلح الشيخ أُوكِير محمد علي الخبير بأصول القبائل المجاورة له. وهم إحدى عموديات الهدندوة بتوكر.

❊ ❊ ❊

## أبشر (EBSHAR)

هم ذرية رجل من بطران البشاريين (عائلة هَنْواب: Hanwab). حدث بينه وبين الشيخ أحمد بطران خلاف أدى إلى إساءات طعنه على أثرها بخنجر عدة طعنات حتى أغمي على الشيخ أحمد، فهرب البشاري من وجهه حتى وصل أركويت ونزل ضيفاً عند رجل من العبابسة الصالحين هناك[1]. فجاء إلى أرْكَوِيتْ ذات يوم الشيخ مَسْمَرة السَّمَرَيْدِوابي لزيارة الشيخ العباسي، فشاهده البشاري ثم اقترب منه ومالت نفسه لحديثه ووعظه. فقال له: أرجو منك يا شيخ مسمرة أن تتوسط لدى الشيخ العباسي حتى يزوجني بابنته. فتكلم الشيخ مسمرة في الموضوع فرد عليه العباسي أن هذا البشاري لا خير فيه لأنه يشرب التمباك ويعزف على الباسنكوب (الربابة) ويتغنى بأشعار كلها غزل بدون استحياء. فأجابه مسمرة أن هذا البشاري أخذ على يدي عهد الطريقة القادرية ووعدني بترك التمباك والربابة والأشعار الغزلية (وحقيقة تاب البشاري منها كلها) ولزم الصالحين. فتزوج بالعباسية وانتشرت

---

(١) تناسلت من ذريته: التركي، والدقني: «دقناب».

ذريته في كل مكان بالتقوى والتقشف والصلاح أمثال المشايخ: أحمد وأخوه محمد الأمين أدروب. ويتولَّى زعامتهم الدينية اليوم فضيلة الشيخ النور (أونُور) ابن الشيخ الأمين أدَرُوب وهو محل احترام الخاص والعام في كل القبائل البجاوية. ولقد شاهدته بالعاصمة مع عدة شخصيات مرموقة.

❋ ❋ ❋

## أبناء بنات الهدندوة

سبق أن ذكرنا أبناء الشيخ أحمد باركوين بن محمد المبارك، والآن نأتي على ذكر القبائل الكبيرة التي انضمت إليهم بالمصاهرة وهي سبع:

١ ـ الشرعاب: هم ذرية حامد الشرعي من مكابْراب الجعليين وهم عدة عموديات وكذلك.

٢ ـ البشارياب: أبناء بشار بن عُكِيك الشُّكري[1].

٣ ـ القَرْعيب: أبناء حاج محمد بن زيد الجعلي جاء من الزيداب.

٤ ـ العوضاب: أبناء حامد السوارابي الشايقي.

٥ ـ الشيخاب: أبناء الشيخ مصطفى العدوي وهم ولاة القضاء في الهدندوة.

٦ ـ الكاليكوب: أبناء الطاهر الهوتر الحمراني.

٧ ـ السمرأر: أبناء الصاغ أحمد أفندي الكردي الملقب (لُوقْلُوق).

هؤلاء هم جمهور أبناء بنات الهدندوة الذين تتألف منهم عدة عموديات لها ولرجالها شهرة فائقة في كل ضروب الحياة ونذكر بعض مشاهيرهم في الشعر والشجاعة والكرم.

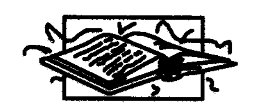
❋ ❋ ❋

---

(١) ومن هؤلاء البشارياب والدة أمير الأمراء الأمير عثمان أبو بكر دقنة الذي سنأتي على ذكره بعد هذا، وقد عرفت قبيلته باسم الدقناب أو الدقني.

## إن من الشعر لحكمة

في كل قبيلة بجاوية شعراء نوابغ في الحماسة والغزل والقتال ومدح المراعي والمشايخ المصلحين. وسنكتفي بذكر الأسماء ونترك جمع الأشعار وتعريبها للجيل الذي يأتي من بعدنا والله الموفق.






## قبيلة أمير الأمراء عثمان أبو بكر دقنة

لم أر جمعاً من الناس اتفقوا على محبة وإخلاص أميرنا باحترام مثل إجماع أهل هذا الإقليم على إجلال هؤلاء القوم الصناديد الذين كانت سواكن وباديتها تفخر بنجابتهم، وتقديس كلماتهم الحكيمة، أي والله فقد بزوا سواهم في مضمار الحياة، ونبغ فيهم رجال في كل الشؤون الاجتماعية. كان منهم الأمير الجسور الذي انتهت إليه كل خصال البطولة الكاملة، والرجولة الحقة، ألا وهو أمير الأمراء[١] الأمير عثمان ابن العالم العلامة الشيخ أبو بكر ابن الفقيه محمد دقنة.

أما نسبه فقد اختلف فيه كل المؤرخين حتى الذين عاصروه وقاتلوه وصاحبوه، فقالوا إنه من سلالة فرنسية. وقال آخرون: إنه من ذرية أحد البحارة الإنجليز، وقيل إنه كردي، وقال كاتم سره، وابن شيخه العلامة الشيخ محمد بن الشيخ الطاهر المجذوب: إنه إسكندراني مصري من سلالة عربية[٢]. (وأورد نسبه بإسهاب سنلخصه في النهاية)، ونحن

(١) الكتاب الأزرق عن حوادث المهدية.

(٢) قرأتها في سجل بخط الشيخ المذكور.

نعذرهم جميعاً للاضطراب الذي انتابهم لأننا كثيراً ما قرأنا مثل هذه الادعاءات، فلا عجب إذا ادّعت كل الأمم الراقية حتى تحظى بشرف انتسابه إليها، وتنال من ذيوع شجاعته، فسواء أكان عربياً، أو كردياً، أو إنجليزياً، أو فرنسياً، فإنه أحد الأفذاذ الذين أنجبهم هذا القطر، فطبقت شهرته الآفاق، وتناقلت اسمه الصحف السيارة، وأسلاك البرق. وصمد لأعظم قواد عصره فجالدهم حتى بهرتهم خططه الحربية وفنونه العسكرية، وأساليبه السياسية، وعزيمته الصادقة، وثباته مع رجاله الفحول على المبدأ الشريف الذي عاهدوا الله عليه حتى انتقلوا إلى جواره، رضي الله عنهم ورضوا عنه.

ولد الأمير عثمان بمدينة سواكن سنة **١٢٥٧**هـ، الموافق سنة **١٨٤٠**م، ونشأ بهما وكانت عائلتهم تشتغل بالتجارة بين السودان والحجاز واليمن ومصر بالبضائع والرقيق حتى كان قيام محمد أحمد المهدي بدعوته، فآزروه ونصروه خصوصاً أخواله[(١)].

تولّى إمارة شرق السودان من قبل المهدي سنة **١٨٨٣**، وجاء إلى أركويت فبايعته كل القبائل التي كانت ضاربة خيامها هنالك، فهجم بجيشه على قلعة سنكات، ولما استعصى عليه فتحها، حاصرها هي وتوكر وكسلا حصاراً شديداً، وكلما جاءت نجدات لإحداها انقضت عليها جيوشه كالنسور الخاطفة حتى سقطت جميعها في يده. فانتشرت أخبار انتصاراته إلى أن جاءت النجدات من بلاد التيمس (إنجلترا) لما اشتدت وطأة حصاره لسواكن فانتصر عليه الجيش الإنجليزي في واقعه التيب الثالثة سنة **١٨٨٤**م بعد قتال عنيف واستشهد فيه خيرة أبطاله وقائدهم. ثم استأنفوا قتاله في تَأْمايْ Tamai، فكانت الواقعة سجالاً بينهما. وكان يتولّى قيادة الجيوش الجنرال «جيرالْدْ جراهام باشا (الإنجليزي)»، ونظمت في مدح الأمير

---

(١) كان ممن أشاد بجهاد الأمير عثمان دقنة من شعراء السودان محمد عمر البنا والشيخ محمد الطاهر المجذوب. كما أشاد به وبرجاله شاعر الإمبراطورية البريطانية كبلنج وقد أثبتنا قصيدته باللغة الإنجليزية في مقدمة هذا الكتاب مع ترجمتها العربية.

ورجاله عدة قصائد. كما أثنت صحيفة التايمز اللندنية على بطولته وشجاعة أنصاره.

واستمرت حروبه بشرق السودان حتى اضطر لإخلاء مدينة توكر، ونقل معسكره إلى «أَدَرْ أمة» على نهر أتبرة، واشترك في كل الوقائع حت كانت واقعة الجديد ووفاة الخليفة في سنة **١٨٩٩**م فجاب أنحاء السودان متنكراً إلا عن بعض أخصائه حتى بلغ جبل أَوَرِّبا Awarriba عند قبيلة جميلاب الهدندوة فعلم محافظ سواكن بمقره[(١)] فانتدب قوات من البوليس بقيادة البكباشي برجس بك، فقبضوا عليه أسيراً واقتادوه إلى سواكن في يناير سنة **١٩٠٠**م. ثم نقل منها إلى السجون المصرية بدمياط ورشيد، وأخيراً نقل إلى سجن وادي حلفا سنة **١٩٠٨**م. وفي سنة **١٩٢٥** سافر إلى الحجاز، ثم عاد إلى وادي حلفا حتى كان يوم ٨ ديسمبر **١٩٢٦** ففاضت روحه. وانتقل إلى الرفيق الأعلى لاحقاً بأصحابه الشهداء ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤].

ويرأس العائلة ابنه التقي الزاهد الشيخ علي ابن الأمير، ويسكن في حُمَرِي بأتبرة.

قال الأستاذ العلامة الشيخ محمد (المشهور عندنا بأوشيك)[(٢)] المجذوب: إن نسب الدقناب يتصل بسيدنا العباس ابن عبدالمطلب، وأنهم من نسل أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور. وقد تولوا السلطنة والخلافة في مصر والشام حتى كان آخرهم المستعين أسيراً بالإسكندرية، وقد خلعه القاضي البلقيني. فلما تولَّى الأمير ططر أطلقه وأذن له بالمجيء إلى

---

(١) أرصد المحافظ عدة رجال من البوليس الراكب «الهجانة» والسواري «الخيالة» في نقاط مختلفة حول الجبل لئلا يفلت الأمير من يدهم، وتهدد كل مشايخ القبائل بالعقاب إذا سهلوا له طريق الإفلات. فخاف أنصاره لما شاهدوا إحاطة البوليس للجبل.

(٢) أوشيك باللغة التبداوية تعني الشيخ وهي محرفة من هذه الكلمة.

القاهرة، فاختار سكنى الإسكندرية لأنه استطابها وحصل له فيها مال كثير بالتجارة فاستمر بها إلى أن مات شهيداً بالطاعون في جمادى الآخرة سنة ٨٣٣ هجرية، وما زالت ذريته بالإسكندرية على الاشتغال بالتجارة مثل أبيهم حتى حضر أحدهم المدعو عبدالله، الملقب بالتركي لبياض لونه من الإسكندرية إلى سواكن بتجارة عظيمة سنة ٩٥٢هـ واستوطنها، وأثبت نسبه لدى الشيخ عبدالحليم العباسي وتزوج ابنته رقية، ومات عنها وهي حامل سنة ٩٥٧هـ، ووضعت بعد وفاته ولداً ذكراً سمي باسم أبيه عبدالله المذكور.

فالأمير هو (أبو علي) عثمان بن أبي بكر بن علي بن محمد دقنة[١] (لكثافة شعر لحيته وذقنه) ابن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن رجب بن محمد خليل[٢] بن عبدالله بن عبدالله الثاني الملقب بالتركي لبياض لونه، وهو الذي حضر إلى سواكن من الإسكندرية ابن الفضل بن الحسن بن إبراهيم بن سعيد ابن الفضل بن المستعين بالله أبي الفضل العباس بن المتوكل على الله أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن سليمان بن أحمد بن أبي بكر بن الحسن بن الفضل بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن جعفر بن المعتضد بن محمد بن جعفر بن المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله أبي جعفر المنصور بن محمد الكامل بن علي السجاد بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب.

---

(١) ذكر المستر وايلد Augustus Wylde أنه ألباني من إسطنبول وذلك في كتابه (١٨٨٣ - ١٨٨٧ في السودان). وذكر كل الذين تناسلوا من محمد دقنة ومحل وفاة كل منهم، والقبائل التي صاهروها بالسودان. ثم أورد من كان حياً منهم في عصره. ثم جاء المستر جاكسون في كتابه «عثمان دقنة Osman Digna» فزادها حتى عصرنا الحالي.

(٢) جد قبيلة الخليلاب الساكنة بأركويت، وهو قول المرحوم سعادة العلامة محمد بك موسى ناظر قبائل الهدندوة سابقاً.



**أمير الأمراء، الأمير عثمان دقنة، وهو القائد الوطني الوحيد الذي أبقاه الإنجليز في أسرهم حتى فارق الحياة. وكان ذلك بين سنة ١٩٠٠م إلى ١٩٢٦م**

وجاء في كتاب دول البحار عن رهط الأمير عثمان بن أبي بكر دقنة الآتي:

«وكان آل عثمان دقنة من وجوه سواكن، وكان ثلاثة من أعمامه نالوا رتبة البكوية من الدرجة الثالثة من الحكومة المصرية التي انتزعت أملاكهم فاستولت عليها، ووزعت بعضها على المحاسيب من صنائعها[1]. وكان مع

(١) كل من اتبع المهدية من الهدندوة والمجاذيب والشاذلياب والحسناب والأرتيقة وغيرهم صودرت ممتلكاتهم.

الدقناب كثيرون من أبناء البيوتات المحترمة أمثال السيد ياسين عبدالقادر، وفضيلة القاضي عبدالقادر حسين، وأخيه محمد النور خطيب الجامع الحنفي، وصادق المفتي، وكلهم نزعت أملاكهم. وفي سنة **١٩٣٠**م تنازلت شخصية كبيرة عن منزل كبير المساحة وهبته الحكومة المصرية لها بعد أن اغتصبته من الشيخ الطاهر المجذوب. فتدخل الاستعمار، وحال دون رده لصاحبه الأصلي وسأل أحد المفتشين الإنجليز عن أراضي الأنصار المنزوعة، وفكر في طريقة بيعها لأصحابها، ولكن صدرت إليه التعليمات لقفل الباب نهائياً (هو المستر أكلاند) وكان الدقناب من أبرز علماء المذهب الشافعي، وكثيراً ما يسبق اسم علمائهم لقب «فقيه». والمذهب الحنفي هو المعتمد، وهو خاص آل القاضي عبدالقادر حسين القملي[١]. ولا يقبل أي إمام مالكيٍّ بسواكن مع أن البوادي كلها مالكية.



## المذهب المالكي

لا أدري لماذا كان الأحناف يحاربون المذهب المالكي مع أنه هو أول مذهب دخل مصر، فقد أدخله الشيخ عبدالرحيم بن خالد سنة **١٦٣**هـ، حتى جاء الإمام الشافعي إلى مصر سنة **١٩٨**هـ، وجاء الفاطميون فنشروا مذهب الشيعة سنة **٣٥٨**هـ، وأبطلوا غيره، وجاء صلاح الدين الأيوبي ونشر المذهب الشافعي سنة **٥٦٤**هـ والمالكي والحنفي، وأبطل الشيعي، وجعل القضاء بيد الشافعية حتى جاء السلطان سليم سنة **١٥١٧**م، وفتح مصر، فجعله بيد الحنفية[٢].



---

(١) نسبة إلى مدينة قم في إيران.

(٢) الحنفي والحنبلي لا يقران حديث الإمام المهدي. وأصحاب المذهب الأول يقولون: إن سلطان تركيا (خليفة المسلمين) هو المهدي وأمير المؤمنين وخليفة المصطفى ﷺ.

## صورة أخرى
## من نسب الأمير عثمان بن أبي بكر دقنة

وجدت الآتي مكتوباً في سجل عند المرحوم صديقي الشيخ أبو فاطمة ابن أمير كسلا السيد محمد فايْ «إفايِي» ابن الشيخ على دقنة بك ابن فقيه دقنة بن محمد بن علي دقنة في مدينة كسلا سنة **١٩٣٣**م. ووجدت الأسطر الأولى محذوفة من أول الكتاب، ولذلك تركت البياض كما هو بالأصل.

**محمد صالح ضرار ١٩٣٣**

«.....................................».

وإن ولْده (أي العباس) يلبسون السواد. قال في المواهب اللدنية: «وقد ملأ عقبه الأرض حتى قيل: إنهم بلغوا في زمن المأمون ستمائة ألفاً، وسيدنا العباس هو ابن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. انتهت النسبة المباركة العلية المشرفة بسيدنا العباس عم سيد الناس المنقولة من خط الشيخ العالم العلامة الفقيه محمد بن علي دقنة فقيه سواكن الشافعي الشاذلي. وهذه النسبة كان قد سافر بها الفقيه محمد دقنة المذكور إلى الإسكندرية سنة **١١٧٢** هجرية لمقابلة بني عمه الذين هناك، عرضها عليهم، وقابلها بنسبتهم، فاتفقت مع نسبتهم، ورجع بها إلى سواكن، وهي نسبة قبيلة الدِّقناب رهط الأمير عثمان بن أبي بكر دقنة، ومن الإنفاق الغريب في هذه النسبة أن أول من اتصلت به من خلفاء بني العباس هو أبو الفضل العباس، ومنه إلى أبي الفضل العباس عم سيد الناس، فهي من العباس إلى العباس الوارد في حقه حديث: **«الشرف لي ولعميَّ حمزة والعباس»**.

نسب يحسب العلا بحلاه     قلدتها نجومها الجوزاء

**تحريراً في ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٤١هـ**

**كاتبها**

**(الشيخ) محمد المجذوب ابن الشيخ الطاهر المجذوب**

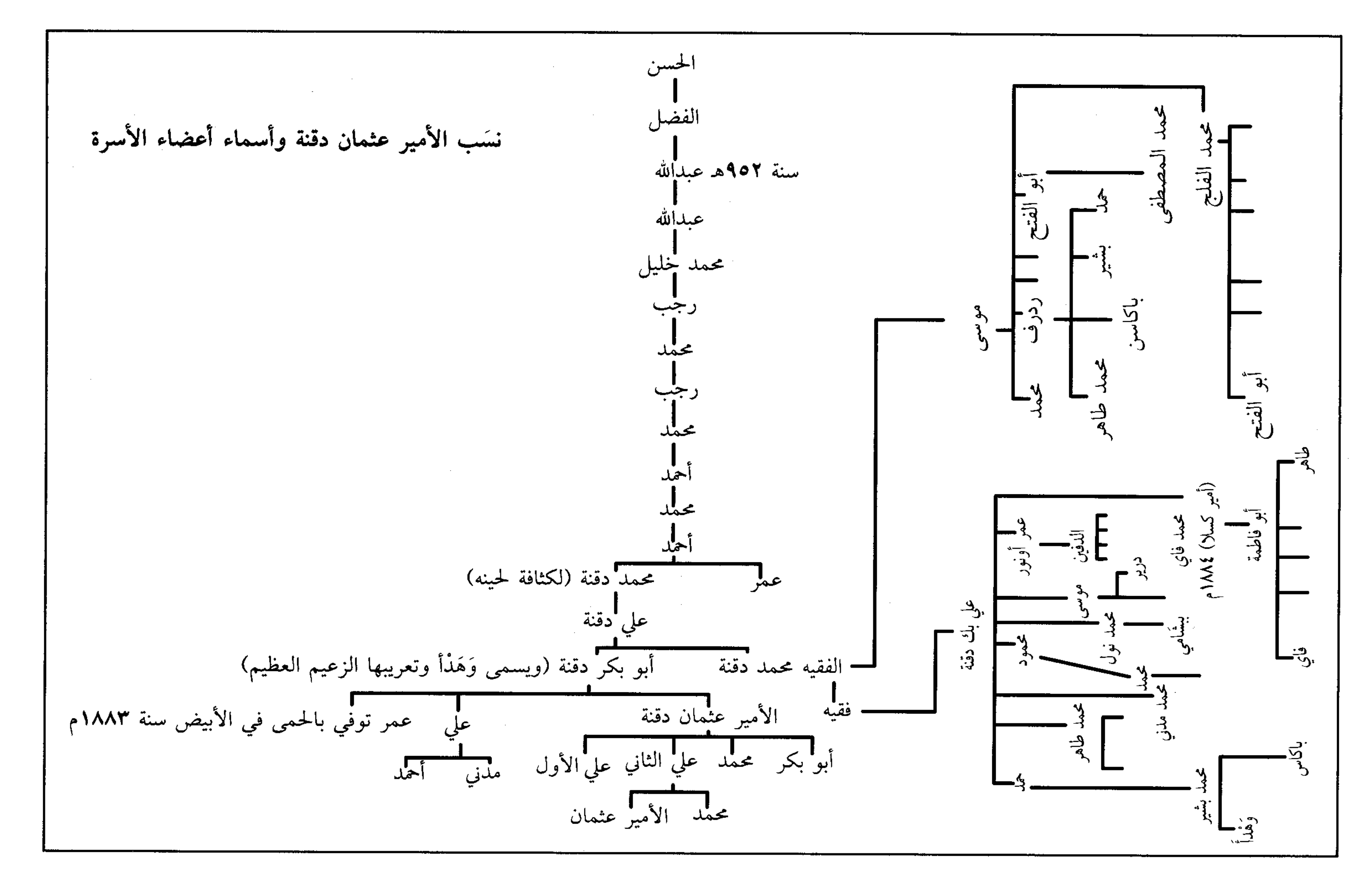
وفي ما يلي ملخص نسب آل الأمير عثمان دقنة نقلاً عن النسخة التي خطها العالم العلامة، البحر الفهامة الشيخ محمد ابن مولانا الشيخ الطاهر المجذوب.

وقد حضر عبدالله الملقب بالتركي لبياض لونه من الإسكندرية إلى سواكن بتجارة عظيمة سنة ٩٥٥هـ واستوطن سواكن، وأثبت نسبه لدى الشيخ عبدالعليم العباسي (قاضي سواكن)، وتزوج بنته رقية عبدالعليم، ومات عنها حاملاً سنة ٩٥٧هـ. وولدت بعد وفاته ولداً ذكراً سمي باسم أبيه عبدالله المذكور، وهو الذي تتصل به نسبة قبيلة الدقناب نبدأها من الشيخ علي بك دقنة رئيس بندر (مدينة) سواكن في عهد الدولة العثمانية إلى أن توفي في عهد الدولة المصرية سنة ١٢٨٢ هجرية، وذلك بموجب فرمان (مرسوم) عال بمشيخة ذلك البندر من الدولة العثمانية من لدن سلطانها في ذلك الوقت السلطان عبدالمجيد خان برئاسته على سواكن. والشيخ علي دقنة هذا هو ابن عم الأمير عثمان دقنة، فإن أبويهما أخوان شقيقان. فالشيخ علي دقنة هو ابن الفقيه العالم العلامة محمد بن علي دقنة، والأمير عثمان هو ابن أبي بكر دقنة بن علي دقنة، وعلي دقنة هذا هو ابن محمد دقنة بن أحمد بن محمد ابن أحمد بن محمد بن رجب بن محمد بن رجب بن محمد خليل بن عبدالله ابن عبدالله الملقب بالتركي السابق ابن الفضل بن الحسن بن إبراهيم بن سعيد بن الفضل ابن الخليفة المستعين بالله أبي الفضل العباس ابن أمير المؤمنين المعتضد بالله أبي بكر ابن أمير المؤمنين المستكفي بالله أبي الربيع سليمان ابن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ابن الأمير أبي بكر ابن الأمير أبي علي الحسن القبي ابن أمير المؤمنين الخليفة المسترشد بالله أبي منصور الفضل ابن أمير المؤمنين المقتدي بالله أبي القاسم عبدالله ابن المرحوم الذخيرة للدين ولي عهد المسلمين محمد ابن الإمام القائم بأمر الله أبي جعفر عبدالله بن أمير المؤمنين القادر بالله أبي العباس أحمد ابن أمير المؤمنين أبي الفضل جعفر المقتدر بالله ابن أمير المؤمنين المعتضد بالله أبي العباس ابن الأمير محمد الموفق بالله أبي طلحة ولي عهد المسلمين ابن أمير المؤمنين جعفر المتوكل ابن أمير المؤمنين أبي

إسحاق المعتصم ابن أمير المؤمنين هارون الرشيد ابن أمير المؤمنين محمد المهدي ابن أمير المؤمنين عبدالله أبي جعفر المنصور بن محمد الكامل بن على السجاد، وهو الذي سماه الإمام علي ﷺ حين ولد أبا الخلفاء، ابن ترجمان القرآن، وحبر الأمة عبدالله بن العباس ﷺ، روى الطبراني في الكبير وأبو نعيم عن ابن عباس ﷺ «قال: دعاني رسول الله ﷺ، ووضع يده على كتفي أو منكبي، ثم قال: «**اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل**»، رواه أحمد والطبراني من رجال الصحيح... إلخ.

**توقيع**

**محمد صالح ضرار ــ سنة ١٩٣٣**



نسَب الأمير عثمان دقنة وأسماء أعضاء الأسرة
الحسن
الفضل
سنة ٩٥٢هـ عبدالله
عبدالله
محمد خليل
رجب
محمد
رجب
محمد
أحمد
محمد
أحمد
محمد دقنة (لكثافة لحيته)
عمر
علي دقنة
أبو بكر دقنة (ويسمى وَهَدْأ وتعريبها الزعيم العظيم)
الفقيه محمد دقنة
فقيه
عمر توفي بالحمى في الأبيض سنة ١٨٨٣م
علي
أحمد
مدني
الأمير عثمان دقنة
علي الأول
علي الثاني
محمد
أبو بكر
الأمير عثمان
محمد
موسى
محمد
ردرف
أبو الفتح
محمد طاهر
باكاسن
بشير
حمد
محمد المصطفى
محمد الفلج
أبو الفتح
علي بك دقنة
عمر أونور
الدفين
موسى
درير
محمد نول
بشامي
محمود
محمد
محمد مدني
محمد طاهر
حمد
محمد فاي
(أمير كسلا) ١٨٨٤م
أبو فاطمة
طاهر
فاي
محمد بشير
باكاس
وَهْدأ

## أَسْر الأمير عثمان دقنة

كثرت الروايات حول كيفية القبض على هذه الشخصية التي لم تلق السلاح حتى آخر لحظة، إذ كان هم الأمير الأوحد ألا يمكن المستعمرين من أسره. ولذلك استعمل كافة الأساليب حتى يكون بمنأى عن يدها، ولكنها لم تترك مكاناً في إقليم البجة ـ سهوله وجباله ـ إلا وضعت فيه الفرق والجنود والعيون، ووزعت من خزينتها أموالاً طائلة على ضعاف العقول من المشايخ، وتهددت كل من لم يخضع لأساليب الجاسوسية التي اعتمدت عليها. وكان السردار ونجت باشا متتبعاً تحركات الأمير، فلما قام الأمير متنكراً من منطقة «الجديد» بعد الواقعة عبر إلى «الجزيرة أبَا» وسار منها حتى وصل رفاعة، ونزل عند السيد الطيب السواكني، وأقام معه أسبوعاً أعد له في أثنائها المطية والدليل[1]، فاخترقا البطانة حتى وصلا إلى «حمرى» بقرب قوز رجب (جوز رجب)، وأقام أسبوعاً، ثم سافر ومعه شاب اسمه أحمد أبو طاهر من باعثمان الأرتيقة حتى وصلا إلى دُرْدِيبْ. وكان مدير كسلا الكولونيل كولنسون قد أرسل عدة فرق لتحول دون عبوره نهر عطبرة، وبارح الأمير درديب ومعه الشيخ محمد إبراهيم عبدالله من بيت رئاسة قبيلة الهاكولاب والشخصيات المحترمة لدى قبائل البجة فوصلا بعد رحلة شاقة في أراضي لن تصلها يد حكومة الاستعمار حتى وصلا جبل أوَرِّيا Awarriba جهة شبودينا Shiboudina بقرب قرية «تاتايْ»، فاستقبلهما الشيخ محمد بن عمر وكل الجميلاب أحسن استقبال، وأكرموه جداً، وبعد أن ارتاح أياماً أرسل مندوباً إلى أعيان توكر كي يعدوا له سفينة في أحد المراسي ليعبر عليها إلى أرض الحرمين الشريفين. فأتموا استعداداتهم، ووضعوا سفينة الشيخ ضرار علي ضرار[2]، في ميناء ضيق شمال العقيق، ووضعوا أخرى هي ملك القبطان مفتي أبو فاطمة السواكني في ميناء «هَيْدُوبْ» جنوب سواكن.

---

(١) هو ولد من أشجع أبناء العبابدة. وكانا يسيران ليلاً ويختبئان نهاراً.

(٢) الشيخ ضرار هو زعيم قبيلة العجيلاب والأفلندة كما أنه والد كاتب هذه السطور.

أما الشيخ أحمد إبراهيم عبدالله فدعا رؤساء الجميلاب إلى اجتماع عام، وتكلم معهم في الدفاع عن الأمير وعدم تسليمه للحكومة التي لا تقدر أن تصل قوتها إلى جبل أَوَرِّبا مهما كانت كثيرة أو قوية، فأريد منكم أن تعاهدوني على ذلك حتى أطمئن على سلامته، وإلا فإني مستعد للعودة به إلى الهاكولابْ فعاهدوه على إجارة الأمير، وعملوا مراسيم «الْقَلَدْ» (العهد). فعاد الشيخ أحمد إبراهيم إلى دُرْديب، وجبل أورِّبا بارة عن سلسلة واحدة متلاصقة من عدة جبال تبدأ شمالاً من أرْكويت، وتنتهي على حدود خور بَرَكة الغربية وكل شيء من الماء والمراعي متوفر فيه، ومن أراد أن يصل إلى مكان فيه يسلك طرقاً ملتوية، ومضايق كلها تعاريج لا يعرف السير فيها إلا الهدندوة عموماً والجميلاب خصوصاً[1].

وسمعت كل قبائل البجة بوجوده في أورِّبا، ولكن لم يجسر أحد منهم أن يتفوه أمام الحكومة بمحل وجوده، وعقدت اجتماعات في توكر، وأخرى في العقيق للقيام بما يجب عليهم، فكان الشيخ أُكُدْ موسى، والشيخ ضرار علي دائمي الاتصال بالشيخ باضاني وجيه، والشيخ أبو علي شئيقة، والشيخ أحمد أونور، والشيخ طاهر كليلاي، والشيخ محمود تولِّى، ولم يحاول أحد أن يفشي أسرارهم ويتقرب بها إلى المستعمر الذي كانت جنوده وسراياه تطوف البوادي والقفار، وسفنه تراقب السواحل والشواطئ البحرية، حتى خرج ذات يوم من توكر الخليفة الأمين أدروب في طريقه إلى أركويتْ، فلما وصل السنتيراب لقي شاباً من الجميلاب اسمه محمد أدروب، فدارت بينهما محادثات و«سَكَنَابْ» (أي أخبار القرى وأحوال المواشي والمراعي ومن وفد عليكم أو زاركم... إلخ والكلمة بجاوية). قال له الولد وهو مطمئن بأن

---

(١) إذا ضربت الربابة أو النقارة وحضرها أحد الجميلاب فإنه يفتخر بجبل «أوربا»، ويكرر ذكره أثناء عرضه، وهو عندهم بمنزلة الأبلق الفرد حصن السموأل بن عاديا الذي يقول فيه:

| | |
|---|---|
| لنا جبل يحتله من نجيره | منيع يرد الطرف وهو كليل |
| رسا أصله تحت الثرى وسما به | إلى النجم فرع لا ينال طويل |
| هو الإباق الفرد الذي شاع ذكره | يعز على من رامه ويطول |

معنا في أوروبا الأمير عثمان دقنة «فارتاح الخليفة، واستدرج الولد حتى أقنعه كي يذهب إلى سواكن ويقابل الخليفة الصادق أحمد فقيري، ويخبره بكل شيء عن محل وجود الأمير عثمان، وأفهمه بأن الحكومة ستعطيه مبلغاً من المال نظير بلاغه هذا»[1].

فلما وصل أدروب إلى سواكن أخبر الشيخ الصادق الذي اتصل بالماجور جودِّن بك Major Godden (محافظ سواكن)، وهذا أرسل في طلب محمد بك أحمد قومندان البوليس، وأمره بالاستعداد برجاله للسفر حالاً مع أَدَرُوبْ إلى محل وجود الأمير بعد أن يلتقي بالصاغ برجس ورجاله في البادية، وكان من رجاله الشاويش أحمد وأخوه محمود أدَّاب وأحمد وأخوه محمود شنكت، وإدريس كربيش، وموسى آدم هِرِبْ، وإدريس بلال، والسيد حسن هاشم وغيرهم من البوليس الوطني. وسار محمد بك أحمد[2] برجاله حتى اجتمع بالصاغ برجس في جبل هَدْرو Hadrou تحت العقبة التي يسيرون منها إلى شبودينا، وكان ذلك حوالى يوم ١٢ يناير ١٩٠٠، فوجد الصاغ برجس معسكر فيها وقد أتم طوافه بكل أنحاء بادية البجة، ولم يجد من يرشده إلى مقر الأمير. فأدلى له محمد بك بكل ما لديه من المعلومات عن مقر الأمير، فارتاحا. ذلك اليوم، ثم أمرا الدليلين بأن يسير أمامهم في طريق العقبة الضيق الوعر حتى دنوا من قرية العمدة (الشيخ محمد علي بن عمر)، فلما شاهدهم حضر إليهم مسرعاً، وكان الوقت مغرباً، فقال لهم: أنزلوا رجالكم هنا. فأمرهم القومندان بخلع جكَّتَّاتهم وطرابيشهم، وأن يعقلوا جمالهم، وأن يسيروا خلف العمدة الذي سار معهم حتى لاح الفجر، فأشار إلى شجرة كبيرة باسقة الأغصان ذات ظل ظليل، وقال لهم: إن

---

(١) وأرسل قودن بك تعليمات لمأمور توكر كي يقبض على كل الأشخاص الذين يشتبه فيهم، وأمر مأمور عقيق بالقبض على الشيخ ضرار علي، والشيخ أكد موسى. كما أرسلت الحكومة عدة منشورات للعمدة والأعيان بأنها تدفع ألف ريال لكل من يأتيها بمحل وجود الأمير. ولكنهم تصامموا خوفاً على أنفسهم من عار الأبد حتى لا تلوكهم ألسنة الشعراء بالهجاء والغدر بالمستجير، كما هددت كل من يتأخر في تبليغها عن محل وجوده أو يخفي أي معلومات عنه.

(٢) كان معه خبير بالطرق اسمه محمد حسين.

الأمير يرقد هناك في عشة، ومعه أخي الشيخ حسين يعدّ له الأكل والشرب، وكلما دنوتم من العشة ستسمعون نباح جرو هناك. فقال له محمد بك أحمد: دع عنك هذه الإشارات، بل يجب أن تسير أمامنا حتى ندنو من العشة ثم اذهب حيث شئت لأننا نعرف واجبنا، فلما دنوا من الشجرة نبحهم الجرو، ولكنهم تسابقوا حتى أحاطوا بالشجرة والعشة إحاطة السوار بالمعصم، وشعر الأمير بأن في الخارج حركة غير اعتيادية، فأخذ إبريقه وخرج من باب العشة[1]، فوجد نفسه وجهاً لوجه أمام جيش المستعمر الذي حاربه وأذاقه الأمرين نحو سبعة عشر عاماً، فقال له محمد بك: «سلم نفسك»، وقال له محمود أداب: «يا ابن أبي حليمة، اليوم لا مفر لك». فأجابه: «أنا لن أهرب لأنكم جيش مسلح، وأنا فرد أعزل». ونادى الأمير السيد حسن هاشم وقال له: «تقدم فإني مستسلم لك» فتقدم السيد ووضع السلاسل والأغلال في يديه ورجليه. وفي هذه الأثناء هجم الصاغ برجس (بريطاني) على سريره، واستولّى على سيفه[2]، وجبته، وقال: إنهما من نصيبه، ثم أخذ آلة التصوير وأخذ للأمير هذه الصورة بين صخور الجبل. وفي هذه الأثناء جاء الشيخ محمد علي بن عمر، فقال محمد بك أحمد للأمير: «هل أخذ هذا العمدة منك شيئاً؟». فأجابه الأمير: «كلا»، فسأله «هل اتصلت بأحد من أعيان سواكن أو توكر أو العقيق؟». فقال له: «لم أتصل بأحد»، فقال له: «كيف وصلت إلى هنا؟»، فأجابه: «إنها خطى مكتوبة».

وفي هذه الأثناء أخذ برجس ثوباً من خادمه، وأعطاه للأمير بدلاً من الجبة، ثم قال لمحمد بك: «كيف نتأكد أنه طلابنا وأنه هو الأمير عثمان

---

(١) قال الشيخ حسين بن عمر: كان الأمير يقرأ القرآن، ثم أراد الخروج استعداداً لأداء سنة الضحى.

(٢) يجب على كل بجاوي، بل كل سوداني، أن يطالب بهذا السيف بواسطة السفارة السودانية حتى يستردوه ويسلموه لأحفاده، وكذلك أراضيهم ومنازلهم التي بسواكن وبربر. ونحن كنا نطالب بها أيام الاستعمار فلا تهنوا فإنه تراث زعيمنا المقدس الذي رفع رأس إقليمنا بل قطرنا عالياً بين الأمم.

دقنة». فقال له: «نحن نشأنا معاً في سواكن، وكلانا يعرف أخاه، وفي جسده عدة إصابات بالسيف والرصاص والسنجة (السنكي). فلما فتشوها وجدوها في رأسه ورسغه وظهره. فعلم برجس أن في يده اليوم خصم بريطانيا العنيد الذي حال دون نجدة الجنرال غوردون أيام حصاره في الخرطوم فقتل ودفع البجة الدية المضاعفة بأن حرموا من التعلم وسائر سبل الحياة، وحكم على مدينتهم سواكن بالموت.

ثم أمر محمد بك الجماعة بالرحيل إلى سواكن، فهبطوا من الجبل إلى السهول، وهنالك أخذت له صورة الأسر. ورحلوا إلى طريق «أَدَرْ أَوِي» وهَدَرَبَابْ، ثم جبيت ثم قوب التي أرسلوا منها الشايش محمود شنكت على هجين سريع إلى سواكن كي يبشر المحافظ قودن بك بالقبض على الأمير الذي أقلق راحة سواكن التي كانت ملجأ الاستعمار والمستعمرين.

وبينما هم في الطريق تألم الأمير من حبال الحوية «سرج الجمل لوضع الأحمال» وطلب تعديلها. فقال له محمد بك أحمد: «لقد تسببت في قتل الكثيرين من الناس». فرد عليه الأمير عثمان: «لست عليهم بوكيل». فسأله: «هل أرسلت أحداً كي يبحث لك عن سنبوك لتعبر به إلى الحجاز». فلم يرد عليه. وهنا أمر برجس بتصليح حبال الحوية وإزالة ما يتألم منه الأمير. ثم دخلوا سواكن يوم (٢١ يناير ١٩٠٠) من الشارع الرئيسي. فرأى الأمير الشيخ عمر أرتيقة صديق الصغر، فحياه، فرد عليه عمر التحية قائلاً: «مرحباً، مرحباً بك» الأمير عثمان بن أبو حليمة (وهي كنية الشيخ أبو بكر دقنة). فاستاء منه محمد بك أحمد، وأمر بوضعه في السجن (ثلاثة أيام). ثم ساروا في طريق المدرسة التي بنيت فوق أملاكه وأراضيه، والناس والتلاميذ والأطفال من حولهم. وخطب في الجمع الشيخ محمد ماضي أبو العزائم (العالم المصري الكبير الذي كان أستاذاً في سواكن)، وقال للجمع: «هذا يوم بؤس ومنزلة للإسلام والمسلمين. يجب أن تبكوا دماً إذ أن المسيحية حطمت علماً من أعلام الإسلام، كيف تطوفون في ركبهم وهم يفخرون بإهانة أمير مسلم. إنكم غداً ستعضون إصبع الندامة عندما يتمكن

المستعمر من إهانتكم وإذلالكم. وجاء جماعة من الجنود الهنود، واستمعوا لخطابه فبكوا أسفاً وحزناً. ولما عادوا إلى مدينة بومي أحدثوا تمرداً أطفأه منشور السلطان عبدالحميد التركي.

نزل الأمير في ضيافة السجن الحربي يومين، ثم سافر إلى السويس على ظهر الباخرة «البحيرة» واصطحب معه أحمد أدرنبي، سألت أكثر الجماعة التي ألقت عليه القبض عن شعورهم نحو الأمير بعد الأسر، فأجابوني بأنهم يوم خرجوا للقبض عليه كانوا على استعداد لسفك دمه، ولكن بعد القبض عليه تغير شعورهم هذا نحوه، وودوا لو أن بيدهم أمره حتى يطلقوا سراحه. فالأمير ما هو إلا نور سطع في كل إقليم البجة وسائر أنحاء السودان، فأضاء تاريخه، ثم جاء الاستعمار فأطفأ ذلك النور، ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

وأنعمت الحكومة بنياشين مختلفة لكل الذين ساهموا في القبض على الأمير، كما أعطت لمحمد أدروب مائتي ريال، وللشيخ محمد علي بن عمر ألف ريال صرفها في علاج نفسه بمدينة سواكن. وصرفت لكل جندي خمسة عشر ريالاً.

ووصل الأمير القاهرة يوم **٢٦** يناير وارتحل منها إلى سجن رشيد ثم دمياط، وأخيراً في سنة **١٩١٤** إلى سجن وادي حلفا، ثم ذهب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج في سنة **١٩٢٥**م، ثم عاد ثانياً إلى سجنه بوادي حلفا، وفي يوم **٨** ديسمبر سنة **١٩٢٦** انتقل إلى جوار ربه وقبره هناك يزار إلى اليوم. كما أن الحكومة اتخذت من منزله متحفاً جمعت فيه بعض مخلفات قتال المهدية.

عندما أدخل الأمير سجن رشيد بمصر قابله الجنرال ونجت يوم **٢٦** يناير في محطة السكة الحديد وسأل لماذا لم يشترك مع الخليفة وقواده في واقعة الجديد؟ فأجابه: «ما أنا إلا جندي مثلك أمرني قائدي بأن أدافع بفرقتي عن العائلات والأطفال، وأذود عنهم أذى الأعداء».

وكان الشيخ محمد الطاهر المجذوب مريضاً بلسعة ثعبان في منزل

الأمير عثمان دقنة وجاءهم الشيخ عبدالرحمٰن الطاهر المجذوب، وذكر لهم انتهاء الواقعة بموت الخليفة عبدالله وأصحابه.

أسِرتُ وما صحبي بعُزْل لدين الوفى ولا فرس مهرولاً ربّه غمرُ
ولكن إذا حُمّ القضاء على امرئٍ فليس له بريقيه ولا بحر
وقال أُصَيْحابي الفرار أو الردى فقلت هما أمران أحلاهما مرُّ
ولكنني أمضي لما لا يعيبني وحسبك من أمرين خيرهما الأسر



الأمير عثمان دقنة عندما وقع في الأسر

(١) الأمير عثمان دقنة.

(٢) محمد بك أحمد.

(٣) المستر برجس.

(٤) ضابط بريطاني.

❋ ❋ ❋

وِيلْعَلْياب: اشتهر منهم بنظم الشعر الناظر موسى بك، إبراهيم وابنه محمد بك وشعره بالعربية أكثر من البجاوية، وله مقطوعات يرد بها على والده.

القرهباب: من شعرائهم: حسين حنون ومحمد طاهر هدل ولَبْدُوِيتْ محمد آدم.

القايدات: أحمد عبدالله وأخوه علي، وعلي مِنّي.

الجميلاب: عيسى دِهِيت وعمر تافل وعلي محمد دلو وأخوه موسى وأحمد شيخ إدريس وحامد طلاب وهبتين (أصله من الأمارأر توالد أهله في الهاكولاب والجميلاب).

السمرأر: هِشَنْشروت وقباب هيداب وموسى ملاك.

البوقليني: محمد بَلَوْ ومحمد هتيس.

الشرعاب: محمد سوق وإبراهيم محمد.

هيكوتياب: محمود الفلج نبغ في الغزل الرقيق والهجو العنيف.

القرعيب: موسى محمد أدروب وأخوه أبو طاهر (بسواكن) ومصطفى علي والخليفة جندي والشاعر الفذ السيد وهاج عبدالقادر الذي تلمس الحقائق من فيه وهو شاعر المرحوم الناظر الشيخ محمد محمد الأمين تِرِكْ.

الشبودبناب: حسين تِيُوت وإبراهيم القلة وطاهر أوليت وأخوه حسين ومحمدين ومملوكه سند.

البشارياب: مصطفى باركوين وإبراهيم شوم وباسوقي محمد دين وطاهر أحمد إيرا.

الهاكولاب: شعراؤهم كثيرون فمنهم موسى قَبَسَة وكان شاعراً خاصاً للناظر موسى بك إبراهيم وعبدالله موسى وأحمد عبدالله وأبشر حامد وعيسى حمد اللاي ولم يقتصر شعره على البجاوية بل كان ينظم القصائد بالعربية

الفصحى وهو ذكي جداً طاف بأكثر مدن السودان مثل الدامر وبربر وسواكن وشندي والخرطوم وسنار.

الحامداب[1]، أغلبيتهم شعراء أذكياء وهم فلاسفة في الألفاظ البجاوية واشتقاقاتها اللغوية وصحة نطقها فمن شعرائهم إبراهيم حمد دَوْ وعبدالقادر حمد وموسى حمد وحمد طاهر وكلهم فطاحل وبلغاء في البجاوية ودقائق معانيها ومن أراد أن ينشئ قاموساً لهذه اللغة فليستعن بهم وإلا ذهب عمله سدى[2].

العميراب: ليس فيهم إلا محمود دامل وإدريس خير على السيد علي بِتْتَايْ: (مرشد الهدندوة) له شعراء منقطعون لنشر تعاليمه الاجتماعية في التقوى والصلاح وأشهرهم عمر علي همد همياب وداود عيسى وأبو علي وغيرهم، كما توجد نساء أيضاً.

وأشهر الهدندويات في نظم الشعر والدة محمود الفلج التي كانت تحضه على رباطة الجأش والثبات لضروب تلك العقوبات التي كان يعامله بها أحمد ممتاز باشا، وكذلك والدة مصطفى علي هدل وكثيرات معاصرات لنا حصص بشعرهن، والسيد علي بتاي عبدالله ومبادئه الطاهرة.

قال محمد بن هيكل بن همد شيك وهو من شعراء الأمارأر يمدح الهدندوة بشعر مرسل باللغة البجاوية عربناه لأنه صادر من رجل يذكر الحقائق ويكيل الثناء الصادق بدون تكلف معتبراً نفسه ينطق بحقائق لا يمكن طمسها أو دحضها قال:

١ ـ الشرعاب لا يحيدون قيد أنملة عن مواقف الشهامة.

(١) يقال: إن عود الأكسير الذي يؤخذ من تحت بيت الرخمة كثير في بلادهم. ويقال: إنه إذا وضع في اللبن صار قطعة من الفضة. وإذا وضع في السمن صار ذهباً. ورأيت كثيرين يتسلقون الجبال الشاهقة بحثاً وراء هذا العود. والحامداب مشهورون بعلاج المرضى بالعقاقير وأوراق الشجر التي بأرضهم.

(٢) هذا رأيي ورأي ناظرهم العلامة محمد بك موسى إبراهيم.

٢ ـ الهاكولاب لا ينطقون إلا بحكمة وتعقل.

٣ ـ السمرأر لا ترهبهم كثرة الخصوم.

٤ ـ ابن بلية (الدكتور طه) يترفع عن الدنايا والسفاسف.

٥ ـ القايداب يفتخرون بخناجرهم الحادة.

٦ ـ العميراب لا يرتاعون عند النزال.

٧ ـ القرعيب يطمئنون ويزحفون بكثرتهم إلى الميدان.

٨ ـ البوقليني يقظون وعلى خيولهم يحاربون.

٩ ـ الحامداب يفاخرون بكثرتهم على الصخور والحصى.

١٠ ـ البيوضاب يمتازون بكثرة العدة والعدد.

١١ ـ الشبوديناب لا تنبو سيوفهم(١)، وكما قال حافظ:

لا تلم كفي إذا السيف نبا          صح مني العزم والدهر أبى

١٢ ـ البشارياب لا يتزحزحون عن ساحة الوغى.

١٣ ـ الجميلاب يرسلون الطلائع قبل عديدهم الكثيف.

١٤ ـ جبل أَورِّبا (أون ربا)(٢)، يحميهم حتى من الحكومة.

١٥ ـ يهب المال يمنة ويسرة.

١٦ ـ إذا فتح خزينته نثر مافيها ولا يعد ما بقي.

١٧ ـ فترى مجلسه مفروشاً بالسجاد الأعجمي.

١٨ ـ ونوموسياته من سيسم الهند الأصيل.

---

(١) هم أول من أرسل أربعين مجاهداً اشتركوا مع الأمام المهدي في ١٨٨١م في واقعة الجزيرة آبا تحت راية شيخهم ابن الحاشي.

(٢) الجبل الكبير.

١٩ ـ تندر في الرجال مثل خصال تِرِكْ الشهم.
٢٠ ـ يكرم خصمه ويعطيه ما يكفيه.
٢١ ـ لا يحرم سائله أو يطغيه الغنى.
٢٢ ـ تلقاه دائماً يقرأ القرآن ويرتله.
٢٣ ـ وهل يبتعد الشيطان إلا من مثل مجلسه.
٢٤ ـ إذا التبس عليه أمران أحالهما إلى القضاء.
٢٥ ـ لا يقترب من المحاكم لئلا تضيع حقوق المساكين.
٢٦ ـ تراه لا يؤجل عمل اليوم إلى الغد.

❋ ❋ ❋

## وَهَدْأَ
## أو الناظر

من هنا سنبدأ عهد كل ناظر وتدوين الحوادث التي كانت في أيامه وأول ناظر هو الشيخ موسى ثم الذي يليه حسب عهد الحكم والنظارة.

❋ ❋ ❋

## وَهَدْأَ موسى
## ويلقب: أشبادين، ابن محمود

تولَّى رئاسة الهدندوة بعد وفاة أبيه واشتهر بحميد خصاله ورأفته بالقبيلة.



## وهدأ ميش
## هو ميش بن موسى بن محمود

تولَّى نظارة الهدندوة بعد وفاة أبيه وفي أيامه بدأ زحف الهدندوة إلى أراضي القبائل المجاورة لهم.

## الشيخ ويل علي بن موسى

كان أهم ما حدث في أيامه هو قضية رجلين من العبابدة يقال لأحدهما: أحمد عارم، والثاني: حسن حامد، وكانا يطوفان بسواحل بادية عيتباي في جهة محمد قول حتى وصلا ميناء دَرُور (Derour) على بعد عشرين ميلاً من الشيخ برغوت (بورتسودان)، فوجدوا جماعة من جهة الشرق قد عبرت حديثاً بأغنامها ونياقها وخيامها ومعهم بنت جلست في ناحية من الخيام؛ فلما أمسى الليل سرق العباديان البنت وقرابها إلى جهة سلوم. فلما سئلا عنها هناك ادعيا أنها هدية من نار العبابدة إلى أخيه ناظر الهدندوة. فسارا حتى وصلا أُوكاك (سنكات) فسلما على الناظر وقدما إليه الهدية. فقال لهما: إنها حرة ويجب على أحدكما أن يتزوجها. فتزوجها أحمد عامر، وعاد حسن إلى أهله مع إحدى القوافل ورزق منها ولداً سموه: دمبليل (Dambaleil)، «كثير التدحرج والتقلب في التراب» وتزوج دمبليل من البشارياب. وكانت له أخت تزوجها رجل من الهميساب وسكنوا جميعهم بجوار الهاكولاب واشتغلوا بالزراعة وتألفت منهم عائلة حمد العامراب. وكانوا مع الهاكولاب ولكن ارتحلوا منهم أخيراً وانضموا للحامداب وسكنوا خور العرب.

❋ ❋ ❋

## الشيخ ويل علي الصغير (النقارة)

سكن في ميناء دُنْقُناب (Dongunab) رجل من الهدندوة يقال له: علي قونقونا (Gunguna) وهو جد المَلَتِينَاب (Malatinab) الذين هم إخوان الحامداب والبيوضاب، وكان يسكن بجواره بلبلاب (Bilbilab) نسبة إلى كثرة الصدف الصغير الذي يسمى: بلبل، وهم فرع من الشِّعْياب إحدى فروع الأرتيقة. ومن فروعهم عائلة الخليفة عثمان عبدالله[1]، محمد نور (خليفة

(١) هو أخو الشيخ جعفر عبدالله مدرس العربي والدين بمدرسة سواكن الأميرية سنة ١٩٠٦م.

خلفاء حَنْسيلاب الختمية بسواكن). كما كانت تجاورهم عائلة من العبابدة ارتحلت عنهم لما كثرت خلافاتهم التي قال محمد بك عنها: «كل من يتكلم العربية دائماً يحتقر من لا يتكلمها»، فكان حسن الجوار بينهم سائداً.

فلما جاء الاحتقار بدأ الشر بينهما ونشب القتال فاستنجد علي قونقونا عليهم بمتكلمي البجاوية من كل الأنحاء، فلبى نداءه البجة وجاء لنجدته الفاضلاب (الذين أمهاتهم من الهدندوة) والشئياب والحامداب[1] والملتيناب، فأطلق العبابدة الرصاص على جمهور البجة. ولقد عهد البنادق وعدم استعمالها زمناً طويلاً لم تنجح في خروج الرصاص من مواسيرها وتكاثرت النجدات إلى قونقونا فحالفه النصر، واضطرت العائلة العبادية للرحيل من جوارهم بعد أن دفنوا نحاسهم[2]. ولكن قونقونا أخرجه واستولّى عليه. فاستاء البلبلاب من أخذه للاثنين، وطلبوا منه أن يعطيهم الصغرى ويأخذ الكبرى. فأبى. وتوسط الشيوخ وحكموا بذلك. فقال لهم: إن النقارة لا تجزأ ولا تقسم، ولا بأس من أن نحتكم إلى الشريعة الإسلامية في مدينة سواكن حيث القضاة وأهل العرف يسكنون. فلما اجتمعوا بسواكن حضر قونقونا بنفسه. فطلبوا منه أن يحضر النقارة إلى القضاة حتى تعرف قيمتها ونوع النحاس المصنوعة منه. فتحايل عليهم بعدة أعذار، وأخيراً ضرب لهم موعداً لإحضارها وعاد إلى أهله. وكان زعيم البلبلاب متحنقاً من أن الحكم سيكون على الأقل بإعطائه الصغرى. فأثار الأرتيقة على بلبلاب بأن يرفع شكواه إلى ناظر الهدندوة الشيخ ويل علي الصغير. فامتطى بلبلاب جمله وأخذ معه ناقة سمينة وأهداها إلى ويل علي حيث وجده في أَمِيت[3] (Amate) مع قبيلة الهيكوتياب (Haikoteyab). فأوضح بلبلاب للناظر كل ما حدث في دنقناب. فأرسل الأخير ثلاثة أشخاص على جمالهم ليحضروا

---

(١) والدة الشيخ حمد دو من العبابدة.

(٢) هي نقارة كبرى وصغرى.

(٣) مدينة ذلك الشاعر الوامق محمود الفلج الذي مات تحت العذاب، كما سجن بسببه الناظر موسى بك سنة ١٨٦٦ إذ اتهم الأول بقتل سائح ألماني في رحلته بالبادية الهدندوية.

قونقونا والنقارة. وسار معهم بلبلاب فحضر قونقونا والنقارة[1]. أما بلبلاب فقد رحل أهله إلى سواكن ولحق بهم في أميت. فأمر الناظر بإدخال النقارة في بيته وقال لهما: فليذهب كل منكما إلى أهله لأن النقارة والسيف وكل ممتلكات القبائل الأجنبية تسلم للناظر لأنه هو المسؤول أمام القبائل عما يصدر من رجال قبيلته (خيراً أو شراً) وإني قد حكمت بأن تكون ملكاً لعموم الهدندوة. فعاد بلبلاب إلى سواكن بعد أن كان مؤملاً الحصول على الصغرى. أما قونقونا فرفض أن يعود إلى أهله في دنقاب بخفي حنين ولذلك ألح في إعادة النقارة إليه، فاستاء منه ويل علي وحبسه، ولم يطلق سراحه إلا بعد أن تشفع له إبراهيم شنقرا الهاكولابي (ابن خالة السادة السمريدواب) فذهب قونقونا إلى أهله بدنقناب ولم تكن للهدندوة غير نقارة شكيتل القديمة[2]، ولم تكن صالحة لأيام ويل علي، ولذلك كان الهدندوة يعرضون على الربابة، ونقارة شكيتل الصغرى أخذها الشيخ علي قرهب لما عزلته القبيلة من الرئاسة وولت مكانه أخاه محمود نأيتيب. وبعد وفاة قرهب رحل بها ابنه عوض وجاور الشكرية فنالت ذريته شهرة واسعة وقاتلوا الفونج واحتفظوا بها حتى كانت أيام المهدية فاستولّى عليها أحد أمرائهم.

لما عاد موسى بك من شكواه سنة **١٨٦٦** للخديوي سعيد أحضر معه عدة نقارات (نقاقير)، إحداها لدقلل إبراهيم ناظر بني عامر، وأخرى للشيخ محمد عوض مسمار، وثالثة لنفسه وهي التي دفنها ابنه أحمد بك فلم يجدوها[3].

وما دمنا في ذكر النقارات لا بأس أن نتم معلوماتنا عنها فمثلاً نقارة الأرتيقة قديمة العهد فبعضهم يقول: إنها هدية من سلطان آل عثمان، وبعضهم يقول: إنها هدية من ملك سنار أهداها هي وسيف الكرباب للأمير

---

(١) معه رجلان من أهله.

(٢) كسرها خسرو بك مدير كسلا في أيام الناظر موسى بك إبراهيم كما كسر نقارة قونقونا.

(٣) خاف أن يأخذها أمراء الأنصار، وبعد المهدية لم يجدوها الآن.

عبدالله بوش (جد عائلات البوشاب) وبقيت سليمة حتى أيام الأمير عثمان أرتيقة فأمر بضربها في أحد أيام ختان أنجاله، فحدثت مشاجرة بسببها بين الناس. فجاء المحافظ التركي نور الدين باشا حوالى سنة ١٨٦٠م وانتزعها بالبوليس، ثم كسرها. وبعد نقله اشترى الأمير عثمان أخرى من أمير مكة المكرمة الشريف غالب وهي التي معهم إلى اليوم.

أما نقارة الحلنقة فإن الشيخ سليمان محمد عوض قد دفنها لما انتشرت المهدية خوفاً من مصادرتها. فلما انتهت واستتب الأمن سنة ١٨٩٧ استخرجها من مدفنها.

وكانت للموسياب (أمارأر) نقارة وقد أخفوها عند الميرناب بأحد منازلهم في بربر عند محمود بن العجمي بن حمزة وهو أحد عمد الميرناب. وقد دفنها عنده الشيخ أحمد طه باكاش طه. ولدى دقلل موسى همد عدة نقارات ورثوها من ملوك البجة يوم واقعة أَسَرَم دِيْرهِيب (Asarama-Derhib) عند ظهور جد النابتاب جنوب توكر ولا تزال باقية مع نظار بني عامر إرتريا لليوم. ولدى كنتيباي الحباب (حسين محمود حامد) عدة نقارات قديمة جداً.

ولما تولّى إبراهيم بك موسى نظارة الهدندوة اشترى في سنة ١٩٠٦م نقارة جميلة من القطر المصري.

ووهبت الحكومة السودانية في سنة ١٩٣٧م نقارة للناظر الحالي للهدندوة الشيخ محمد محمد الأمين ترك تضرب دائماً في المناسبات. وفي سنة ١٩٣٨م ضربت ومنع الناظر الناس من العرض عليها كتعليمات المدير (بيلي) ونائبه (نيو بولد)، وسمعها محمد بك موسى من قريته، فأخذ سيفه وسار نحو الصوت. فلما دنا وجد الناس وقوفاً صفين وهي تمدح، فاستل حسامه وهزه على رأس الضارب (خادمه المسمى مالك)، فتسابق الرجال على العرض. وأمر الناظر مالك بأن يوقف الضرب فهدأت الحالة. ولا يحق لأي إنسان أن يعرض على غير نقارته إلا بعد الاستئذن.

❋ ❋ ❋

## الشيخ موسى ويل علي

بعد إرهابه للقبائل الصغرى المجاورة له أعد جموعه واستعد لقتال قبائل الحلنقة التي دب بينها دبيب الخلاف إذ جعل مل الفونج الرئاسة لأبناء بنتهم من العبدلاب بعد أن كانت في ذرية الشيخ عبدالله أبو الرايات وأبناء عمومتهم. وسبب هذا الانقسام ضعفاً في القبيلة التي كان يضرب بها المثل في التضامن والاتحاد. وكانوا يظنون أن الهدندوة ضعاف كأيامهم الأولى ولم يدروا بأن أرضهم ضاقت بهم لكثرتهم، ولذلك لا بد أن ينزعوا مما بأيدي الحلنقة خصوصاً وهم مختلفون. فتم لهم ما أرادوا واستولوا على بعض أراضيهم المجاورة لهم، وهذه سنة الله في خلقه.



## الشيخ أحمد بن نابت بن ويل علي

تولَّى النظارة بعد موسى ويل علي، ولكنه لم يمكث فيها غير عامين ثم حدث القتال بين الوِيلْعَلْياب والسَمَرْأَرْ، وسنأتي على بيانه وتفصيله فيما بعد.



## قتال الويلْعَلْياب والسمَرْأَر

إذا خلت القبيلة من الرئيس تضطرب أحوالها، ويختل الأمن في داخليتها، ويمتد إلى القبائل المجاورة لها، وأحياناً يتسع الخرق على الراقع فيزداد شرر نار الفتنة بانضمام أقرب الأقارب إلى أعدائهم فتسود الفوضى القبيلة وتقتدي بها القبائل الأخرى، فمنذ أن ألقى أحمد باشا أبو ودان القبض على ناظر الهدندوة الشيخ محمد دين والفقيه موسى زعيم الملهيتكناب كثرت الفتن، وتوالت المصائب على القبائل وعلى جهود الحكومة، فكانوا يذبحون كالنعاج. ولما تولَّى بعد اعتقالهم موسى بك

إبراهيم ازدادات الفتن وكثرت العصابات بين الهدندوة أنفسهم، وبينهم وبين جيرانهم، وفلت زمام الأمن من يده وهو شاب دون العشرين عاماً، ورأى أن نفسه لا تطيق أن تتحمل أعباء النظارة على قبيلة تسكن أنحاء مترامية الأطراف يحتاج لمن يريد أن يطوف بأرجائها أكثر من ستة شهور. إن نظرة واحدة على الخريطة يعلم منها الباحث أراضي هذه القبيلة الشاسعة. فما كان من الشيخ موسى إلا الرحيل منها إلى أرض الحرمين الشريفين حيث غاب زمناً ليس بالقصير انتابت فيه القبيلة عدة أحداث وكلها سفك دماء بريئة. فازدادت مشاكسات قبائل قلاب نِيوْ وقطعوا طرق القوافل والمواصلات.

واشتبك الويلعلياب والسمرأر في قتال عنيف سنأتي على وصفه فيما بعد. وأوغرت الصدور بين الكْوّل والعقّر والعمّر وغيرهم كما بدأ الشعور السيئ بين حامداب الهدندوة وفاضلاب الأمارأر. ثم ظهر عندما لاحت أول بادرة لخلافهما في المراعي، وكذلك تطايرت عيران الفتن بين الهندندوة والبشاريين[1]، وبقيت نيرانها تحت الرماد حتى آن أوانها، فاندلعت بعد عودة الشيخ موسى بسنين. وأما قتال الملهيتكناب والسيقولاب لم ينقطع، كما أن قتال الهدندوة لكليهما والحلنقة يدور الفينة بعد الفينة.

وقبائل إقليم البجة لا تهاب أو تحترم أي شخصية غير رؤسائها، فإن فقدتهم أو تنحوا عنها لا يمكن أن يلتئم شملها أو يخضع لسلطان. ومن أراد أن يحكمها من غير ناظر أو عمدة أو شيخ فلن يتسنى له ذلك ويحتاج إلى جيش كبير، والصرف عليه يكلف خزينة الدولة مئات الألوف من الجنيهات. انظر إلى الإنجليز كيف ألغوا النظام الذي كان سائداً منذ الحكم التركي (هو ١٠٪ عشرة في المائة نصفها للناظر والنصف للعمدة) فاستبدل اليوم بالمرتبات الشهرية للنظار والعمد. أما مشايخ الحصص فلهم عشر المبلغ الوارد للخزينة.

وأحسن الوسائل للقبض على ناصية الأمن في القبائل هي المحافظة

---

(١) سنأتي على تفصيل هذه الحوادث في محلها.

على رؤسائهم الذين اعتادوا طاعتهم وعصيان ما عداهم مهما أوتوا من قوة وجنود. ولنضرب أبسط الأمثال وهو إذا نشب قتال بين فريقين من قبيلة واحدة تطفئه في الحال وقفة الشيخ بين المتقاتلين ولو كان الفريق الثاني من غير قبيلته، وفي الحال يأخذ العهود والمواثيق منهما ويذهب كل امرئ بسلام لأعماله. ولو جيء بينهما بالجيوش الجرارة لما أوقفت القتال أو التراشق بالحراب والحجارة إلا إذا استعمل الرصاص للقضاء عليهما. وأهم من كل ذلك منع السير المنفرد إلا في جماعات كثيرة ولو في المسافات القريبة.

ولنعد الآن إلى قتال الويلعلياب والسمرأر.

كانت رئاسة ويلعلياب القاش بيد الشيخ حمد بن نابت بن ويل علي الذي اشتهر بحبه للشر والضرر سواء مع قبيلته أو غيرها. فمن أضراره أنه حرض ابنه قراب (Garab) على قتل ابن عمه محمد أبو طالب عمر. فقتله. فاستاء أقارب المقتول. فاتفق الشيخ إبراهيم محمد وبلال محمد رَهَل (Rahal) (رحل) على قتل حمد بن نابت وأولاده. فلم يوافقهم على ذلك أبو طالب[1] (والد القتيل) لئلا يقال: إن الويلعلياب بدأوا في قتال بعضهم البعض لما غاب ناظرهم. وانضم موسى ملاك زعيم السمرأر إلى حزب أبو طالب (وهو ابن خالة والده)[2]، وجاهر بعدائه لحمد نابت. ولإيقاد نار الفتنة أرسل ولدين إلى جارية حمد كي يقطعا أثاث بيتها (الشعلة والحصير والسرير... إلخ) بخنجريهما. فاشتكت الجارية لمولاها من عمل الولدين اللذين استجارا بموسى ملاك، فأرسل حمد خلفهما جماعة من الكِلتَيَّاب (Killatayyab) فلم يدركوهما وعادوا بولدين آخرين هما هِشَنْشروت (Hishansharout) وفِناب هَيْداب (Finab Haydab)، فاعتقلهما حمد عنده. ففر هشنشروت واستجار بالملهيتكاب فأجاروه وأحاطوا قراهم بزرائب من الشوك عملوا لها باباً واحداً لمراقبة الداخل والخارج. وبعد ثلاثة شهور

(١) كان يتظاهر بالبلاهة والغباء والحقيقة أنه ذو مكر ودهاء وتبصر في العواقب.

(٢) أمهاتهما من بنات الشيخ موسى تنكير.

أرسل موسى[١]، من يأتيه بهشنشروت، وسمع حمد الخبر فأدركهم واسترده منهم. ثم سار خلف السمرأر حتى وصل السنتيراب وكانت تحركاتهم تصل إلى موسى ملاك أولاً بأول. فجمع السمرأر وقال لهم: سنترك العائلات هنا ونرحل إلى تِهَرُوِيْ بقرب خصومنا فوافقوا. ثم انتدب رجلاً إلى حمد نابت يطلب منه إطلاق سراح الولدين وإلا قاتلهم. فرفضوا، ونشب القتال في الستيراب وقتل فيه الشيخ حمد نابت وابنه الأمين وخادمه عجيب وابن الشيخ محمد دين (زعيم العبد اللاياب) واثنان من الكلتياب، وكذلك جماعة من السمرأر. ثم أنشد ملاك عدة أشعار يفتخر فيها برهطه الذين أبلوا أحسن بلاء في القتال. ولم تسلم أشعاره من بعض المغامز يطعن فيها الشيخ خليل رَهَلْ[٢]، لتأخره عن نجدة أهله وأقاربه. وعاد السمرأر إلى وَارْتاب واستعد خليل للقتال، وجمع الرجال من كل جهة وغزا السمرأر في وَارْتاب، ولكنه لم يفز منهم بطائل، فرجع من غزوته وأصلح كل من الفريقين آلاته الحربية للوقائع القادمة.

وتسلم قيادة الويلعلياب الشيخ أحمد (أمه من أكريمَاب الأرتيقة) ابن حمد بن نابت (ورهل أمهما من البشاريين). وجاء الشيخ علي طالب إلى سواكن وأخبر موسى ملاك بأن أحمد حمد نابت بتوكر ومعه أخواله وليس معه إلا طائفة قليلة من الرجال، فاهجموا عليه في المحلقات وخذوه على حين غرة. فهجموا عليه وقتلوا بعضاً من رجاله وخسروا رجلاً واحداً[٣].

وفي هذه الواقعة كان أحمد قابضاً على هشنشروت من صلبه ممسكاً إياه بيده اليسرى كأنه درقة يتلقى فيه الضربات. فأمرهم ملاك بأن لا يقذفوه لئلا يصاب هشنشروت. ومن المؤسف في هذه الواقعة أن خيل الويلعلياب

---

(١) كان قد رَحَل إلى شتاه بسلوم في جهة وارتاب (Waratab) والسمرأر دائماً يفتخرون بملكيتها وكذلك بجبل: أدر ـ أويب (Adar-Awaib) (الحجر الأحمر) كما يفتخر الجميلاب بجبل أوربا (Awariba) والويلعلياب بفلك وايجر (Eajir).

(٢) كان محايداً ومتجنباً للقتال.

(٣) رواية محمد بك موسى.

فرت من فرسانها وتفرقت في الغابة. وجاء الأرتيقة ووقفوا بين الصفين. فأوقف القتال وفر هشنشروت إلى السمرأر. وذهب أحمد إلى توكر مع أخواله الأرتيقة، ثم ارتحل بجماعته إلى تعمرين (بخور بركة) فعلم علي طالب بمحلهم وأرسل إلى ملاك خادمه علي دابناي (Dabnai) (السريع الجري) وأخبره بأن أحمد في قلة من أصحابه. فجاء ملاك بعصابته وقتل أحمد وابن محمد دين. فاستاء من قتلهم أبناء سليمان بن علي بن ويل علي (وهم محمد وعلي إبراهيم سليمان) وكانوا محايدين، ولكن انضموا لفلول جيش أحمد. وكانت السمرأر استولت على بعض الخيول. فطلب منهم علي طالب ردها لأصحابها، فامتثلوا وانضمت للويلعلياب الترق والميشاب والكلتياب والعبد اللاياب وجعلوا تجمعاتهم في جهة: إيرِم (Eyrim) قرب تهروي. وقتل رجل من كل من الفريقين. فقال أحمد الميشاب: لماذا نقتتل؟ سأحضر لكم عالماً ليسعى بالصلح بيننا. وفعلاً أحضر الشيخ أحمد البوشار في وِنْتِري (Winteri)، فجاء العالم وأخذ مصحفه ثم جلس بين الفريقين وقال: هذا كتاب الله بينكم. فتهادنوا نحو خمسة أشهر، ثم بعد ذلك اجتمعوا في سواكن شرق الجسر (بالشاطة) لعمل الصلح[١].

ولما تناول القائدان يدي بعضهما جاء رسول من جهة توكر وقال: أرسلني ضرار بن عجيل إلى موسى ملاك بأنه تنازل عن دم أخيه الذي قتله[٢]، ما دامت الويلعلياب عفت عن أحمد وحمد نابت. فدار بينهما القتال بشدة ومات أكثرهم غرقاً. وقتل موسى ملاك وفناب هيداب وجرح فيها هشنشروت وابنه علي[٣]، كما قتل اثنان من إخوانه. فتدخل بالصلح بين الفريقين الشيخ محمد إيلاي الهَنْسِيلابي (جد الشريفة مريم الميرغنية) وفضيلة القاضي قمل الحسنابي والأمير عثمان أرتيقة والفقيه يوسف الشقلابي والفقيه ياسين عبدالقادر سالم أبو سالم المغربي ومحمد علي دقنة الكبير

(١) تقول قبائل البجة: إن صلح (قلد) وقت العصر لا ينجح وفعلاً كان هذا الاجتماع (في العصر).

(٢) هو همد بن عجيل وابن أخيه فايد بن جميل عجيل.

(٣) استشهد في واقعة كوفيت (كانت بيت الأنصار والأحباش).

(فقيه) وعملوا هدنة مؤقتة فوافق الفريقان، وعاد الويلعلياب إلى القاش، فوجدا أن الجماعة التي اعتزلت القتال بدأت في الاستعداد لغزو السمرأر، وهو الشيخ إبراهيم ومحمد رهل وبلال وعلي طالب وكافة الويلعلياب وجمعوا نحو ألف فارس فيهم الكَلُوليّ وكل من يمت إليه بصلة قرابة. واستعد السمرأر وعملوا محالفة مع القويلي. فسمع الشيخ محمد البشار[١]، بكل هذه الاستعدادات فأرسل رسولاً إلى زعيم الهدندوة الديني الشيخ محمود بن محمد دين السمريدوابي الملقب بأبي طاهر[٢]، فحضر في الحال إلى تِهروي ليدرك حقن الدماء. وكان المتقاتلان على وعد بالاجتماع في تُوفْرِكْ (قرب تَأْمَايْ). وفي اليوم الموعود اصطف الفريقان ضد بعضهما[٣]، فدخل الشيخ محمد أبو طاهر بين الصفين وطلب من السمرأر أن يرتدوا إلى الخلف مسافة بعيدة فأطاعوه وامتثلوا لأمره[٤]، ثم التفت إلى الويلعلياب وقال لهم: ارتدوا إلى الخلف، فقالوا له هيهات أن نرجع. لا بد من القتال. فحذرهم عاقبته، قالوا له: جمعنا للقتال. فغضب من كلامهم ثم جر عصاه في الأرض من أول الصف إلى نهايته وخرج من بينهما. وعاد كل من الفريقين المتقاتلين إلى دياره وحلت المحبة والوئام والصداقة بينهما إلى اليوم. وقد أثنى عليه السيد الحسن الميرغني. ولا تزال زعامة الهدندوة الدينية في ذريته إلى يومنا هذا.

❋ ❋ ❋

## الشيخ محمد موسى ويل علي

كانت مراعي الخريف ضيقة جداً على الهدندوة ولذلك ارتأى أن يدنو من شواطئ نهر عطبرة الشرقية، فاستعد للزحف إلى تلك الأنحاء وأمر

---

(١) كان ساكناً في تهروي مريضاً.

(٢) ويسمى لكثرة صيامه: صايم الدهر.

(٣) الويلعلياب في الجنوب والسمرأر في الشمال وأهل سواكن في الشرق قد أعيتهم الحيلة في صلحهما.

(٤) لأنه ابن بنتهم.

الشبان أن يكونوا حائلاً بين المواشي وسكان عطبرة حتى انتهى الخريف وأراد العودة إلى القاش وتبيلول. وانتحل أوهى الأسباب فاشتبك مع الكواهلة والمسلمية وغيرهم فأخلوا له ولقبيلته الضفة الشرقية إلى اليوم.

❋ ❋ ❋

## الشيخ إبراهيم محمد

كان مسالماً ومحباً للأمن، ولذلك حال ولايته اشتغل بإصلاح ذات البين بينه وبين جيرانه ولكن لا راحة للقبائل ما دامت تسكن البوادي والقفار حيث يتوفر السلب والنهب.

وكان الشيخ إبراهيم شديد الوطأة على العصابات وازداد عدد الهدندوة زيادة هائلة جداً. وفي أحد الأيام اتفقت قبائل الباريا والبارزين والقدين وسرقت بعض مواشي الهدندوة، فسارت في إثرها نجدات من الهدندوة ولكنها للأسف لم تدركها إذ أن اللصوص دخلوا بها في مغاور وكهوف داخل جبالهم، فعادوا إلى الشيخ إبراهيم وأخبروه بما كان، فقال: الحمد لله الذي لم يلطخ أيامي بسفك الدماء. ومن ذلك التاريخ والهدندوة يتفاءلون بولاية من اسمه إبراهيم.

ولما توفي خلفه أخوه محمد دين لصغر أبنائه في ذلك الوقت.

❋ ❋ ❋

## الشيخ محمد دين

تولَّى نظارة الهدندوة عقب مقتل والده وعزم على الانتقام من قبيلة سَبدَرات، فقرر أن يرسل أولاً ابن أخيه موسى إبراهيم لأن يتوجه إلى ديار الشايقية ويستنجد بهم لأن بينه وبين ابن الملك كمبال مودة إذ كان قد حضر إلى القوز لزواج ابنة عمه فأكرمه موسى إبراهيم[١] إكراماً جزيلاً وأهدى إليه

---

(١) كان موسى متزوجاً بابنة الشيخ الفضل العبد اللابي.

ابن الملك جوادين من خيرة الجياد. وبنيما هو يؤم ديار الشايقية قابله ابن الملك في طريقه للقوز، وأخبره موسى بنواياه فاتفقا على أن ينتظر موسى بالقوز شهراً حتى يعرض الابن الأمر على والده الملك كمبال. وفعلاً عقدت جلسة بحلفاية الملوك من الملوك والزعماء أمثال والد خشم الموس باشا وأبو طه، أبو صدر وأبو العطا أصول وأبو صالح الملك وكمبال الصغير (أبا بشير). فوافقوا على نجدة الناظر محمد دين، فدعوا السوراب العوينية من شندي وبعض من بالعيفون، وقام ابن الملك كمبال إلى القوز على رأس ثمانمائة فارس فتلقاهم الناظر محمد دين وابن أخيه موسى بجيش من الهدندوة فيه فرسان البوقليني والويلعلياب على خيولهم واستعدوا لغزو قبيلة سبدرات. وفجأة وجدوا في القوز الشيخ طه أبو طاهر[1] السمريدوابي (الزعيم الروحي للهدندوة). فقال لهم: إنني أنصحكم بأن تغزوا السبدرات من الغرب أي بخلاف طريق غزو الشيخ محمد (الشرق) فحالما رأى البرقاوي محمد دين حامد طلائع الغزاة أخذ سلاحه ولبس درعه، وامتطى صهوة جواده، وهجم على المقدمة واصطدم بحصان الشيخ محمد دين، فأطلق عليه محمد دين رصاصة من مسدسه فقتله (هذه رواية محمد بك موسى عن رجل شايقي قابله في القضارف سنة **١٣٠٦** وكان قد اشترك في القتال)، واستمر الجيش في تقدمه حتى وصلوا سبدرات وهجموا على ديارهم وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً وقتل الشيخ موسى ونهبوا إبلهم وأبقارهم ومواشيهم[2] ووزعت جميعها على فرسان الشايقية.

ولم يكتف الهدندوة بذلك بل جاء الباشري نافع[3] البشاري وجمع الجموع لغزو سبدرات ومعه نحو عشرين بشارياً لحربهم بالعصابات[4] وألفين من الهدندوة، وكان الباشري، وأخوه قَلْبُوس على جوادين واقترح الأخير

---

(١) تزوج بامرأة من خليلاب السيقولاب بالقوز.

(٢) هذه الواقعة قبل فتح التاكا سنة ١٨٤١، وبعد فتح الخرطوم سنة ١٨٢٠م.

(٣) أمه من هيكوتياب الهدندوة.

(٤) بعد واقعة كمبال بثلاثة شهور.

إرسال طليعة لنهب المواشي فإذا قام أحد لاستردادها قتلوه. ولم يكن خبر الباشري مكتوماً عن سبدرات بل كانوا عالمين بكل تحركات البشاري من جيرانهم بشكواب الهدندوة أمثال سفراي محمد أبو بلال[1]. وعمل الغزاة برأي فلبوس وعسكر الباشري في خور كوتيب وتم للطليعة نهب المواشي بعد قتل رعاتها وجاءت نجدات سبدرات ومعها سفراي وأبناء حاج آدم على خيولهم لإدراك الغزاة (كان شجعان المحموداب كعادتهم يسيرون في مؤخرة جيش الباشري) فأدركهم محمد حاج آدم[2].

فقتلوه هو وجواده. وهجم أحمد حاج آدم علي الباشري الذي لم يمهله حتى قتله وأخذ جواده وسلاحه وقال لأصحابه: قفوا حتى ندفنه لأنه فارس سبدرات المشهور ودفنوه. ثم ساروا حتى بلغوا: فِلِّكْ واقتسموا المواشي وعاد كل إلى أهله.

❋ ❋ ❋

## وَهَذَا محمد دين والمَلْهِيتْكِناب

قال محمد بك: إن من عادة الملهيتكناب الكبرياء والأنفة. ففي أحد الأيام كانت امرأة من الهدندوة تزرع ومعها طفلها. فقطع أحد أشقاء الملهيتكناب رأس الطفل، فذهبت باكية مولولة من عمله إلى الناظر محمد دين الذي كان بقرية القاتل، وعرضت عليه الرأس. فأمر بإحضار الجثة ودفنها وقضى ليلته غضباً من أصهاره. وفي الصباح أخذ ابنه وبنته من الملهيتكنابية وذهب إلى فِلِّك (عاصمة ملكه) وأمر بضرب النحاس وجمع المقاتلين وبعد أسبوع غزا الملهيتكناب فجأة وهم في مزارعهم وفتك بهم فتكاً ذريعاً.

---

(١) يقول: ليس من المروءة استمرار سفك دماء سبدرات هدراً - إذ أخذ بثأر الشيخ محمد.

(٢) كان يسكن مع سبدرات رجلان من البرقو اسمهما حامد حاج آدم فصاهر السبدرات، ورزق الأول ولداً اسمه محمد دين، والثاني ولدين هما محمد وأحمد وصاهر الأخير القدين وسكن معها وبقي الأولان مع سبدرات إلى اليوم.

## موسى بك إبراهيم
## مقتل إبراهيم رهل (Rahal)

كانت إبل الشيخ إبراهيم رحال (رهل) ترعى في شَكْبَرَبْ (Shakbarab) بقرب علي جَبَرَتْ، فسطت عليها عصابة من النابتاب (أبناء ناصح من آل «عد» عمر)[1]. فقامت خلفها نجدة من الويلعلياب بقيادة إبراهيم رحال. فلما رآهم عمر ناصح كمن خلف شجرة، فلما لاح له إبراهيم يعدو على حصانه استعد للفتك به. فلما دنا من مكمنه أطلق عليه عمر ناصح الحربة الحادة فطعنه في كتفه الأيمن حتى خرج حدها من الأيسر فسقط على إثر ذلك إبراهيم من جواده فانتضى عمر سيفه وقطعه إرباً إرباً وغنم جواده وسيفه. واستاء من جريمته دقلل إبراهيم ناظر بني عامر. وجاءت النجدة فحملت القتيل ثم دفنوه. وانتشر خبر مقتل إبراهيم رحال فاضطرب حبل الأمن بين حدود القبيلتين. ودعا إخوان المقتول[2] كل الويلعلياب لغزو النابتات عائلات آل عمر وأرسلوا رسولاً إلى الناظر موسى بك يخبرونه باستعدادهم للغزو. فجاءهم الناظر بنفسه وعاتبهم على التجمعات وقال لهم: أنتم جيران ودائماً تقابلونهم سواء في المراعي أو المناهل، ولا بد أنكم ستجدون يوماً نابتابياً فاقتلوه بأخيكم، وكل ما تجدونه من مواشيهم فانهبوه. ثم أمر الناس بالانصراف والانفضاض. فذهب أكثرهم إلى قراهم ما عدا الويلعلياب العثمانيين[3].

اشتهر رجل بالقوة والشجاعة في بني عامر (عد عمر) اسمه محمد بن هَرْقَم (Moh ammed Ibu Hargam) وكان عاتياً جداً ودائماً يغير على كل جيران بني عامر كالهدندوة والماريا والبازين والأحباش وغيرهم فلما كثر

---

(١) تتألف من عد عمر ست عموديات كبيرة ثلاث منها تسكن حول أعالي القاش وثلاث بين خور بركة والقنوب.

(٢) محمد وخليل.

(٣) هم والتنكيراب والعشر أقارب وأمهم من الشرعاب والدهم هو الشيخ ويل علي الكبير المدفون في توقنوف (Tognuff) بقرب سكنات.

ضرره قام لقتاله شرير مثله من الهدندوة اسمه أحمد موسى باتر (من ويلعلياب قبيلة قلاب نيو ومعه صديقه قِلْئيب Gileab) وهو من العُمْر، فركبا جواديهما وهجما على قرية: هَرْقَم ونهبوا إبله. فلما سمع بهما امتطى فرسه بعد أن لبس درعه ثم اقتفى أثرهما. فلما دنا منهما برز له أحمد موسى ورماه بالرمح فأصاب صدره واحترق درعه، فسقط من فرسه فتركاه وذهبا إلى أهلهما. فلما وقف أصحاب هرقم على شخصه وهو في الرمق الأخير قال لهم: لقد قتلني قلئيب وليس أحمد موسى فحملوه وعادوا به إلى القرية. وكان النظار يعتبرون مثل هذه الحوادث فردية بين القبيلتين لأن مرتكبيها من أكبر المجرمين في أهليهما ولذلك لم يأسف على مقتلهما الناظران، ولولا الحكمة التي استعملها موسى بك لتطور القتال من الأفراد إلى الجماعات، فسن لهم سنة طيبة وهي ألا يتعدى الخلاف والخصام أربابه وحصره في دائرة ضيقة بدلاً من سفك دماء المسلمين هدراً.



الشيخ مختار إبراهيم
عميد قبائل سَمَرأَرْ الهدندوة سنة ١٩٢٥م ومن أعيان كسلا

## واقعة قوز رجب سنة ١٨٤٤م

كثيراً ما اعترى سياسة حكام السودان بعض الحماقات والغباء خصوصاً أيام الحكم التركي الذي كان يعتبر المدير والمحافظ أنه الحاكم بأمر الله المتسيطر على عباده باستعمال الشدة والعنف مع الأهالي والقبائل ليس حاسباً أي حساب للرأي العام أو إثارة حفيظة القبائل باعتقال أو شنق نظارها وزعمائها. فهذا أحمد باشا أبو ودان الشركسي قد استعمل كل ضروب القساوة والفظاعة مع الهدندوة والحلنقة والملهيتكناب والسيقولاب ويأمر ضباطه وجنوده بأن يطلقوا عليهم الرصاص بدون أي شفقة أو رحمة أو تمييز بين الصغير والكبير والذكر والأنثى، فيأتي جنوده ويحيطون بالقرية ويحاصرونها ثم يفتكون بأهلها رمياً بالرصاص ويبحثون عن غيرها ويتركون الجثث البشرية مبعثرة للضباع والثعالب وهذه الأعمال التعسفية أوجدت الضغائن بين القبائل والحكومة، وأنبتت جذور أخذ الثأر والانتقام من الحكومة القاهرة المستبدة. فلما انتشر خبر إلقاء القبض على الشيخ محمد دين (ناظر الهدندوة) وأصحابه وقتلهم في سجن الخرطوم توالت المؤتمرات القبلية كل عمودية عرفت ما يجب عليها اتخاذه من واجب الانتقام والثأر لرجالها وأهلها من أقرب جنود الحكومة الذين يلونها. واتخذت لها رئيساً يتقدم صفوف مقاتليها. فوقع اختيار سكان تبيلول ودُرْديب (وكانت غالبيتهم من الشبوديناب والهاكولاب والضَّيَّاب) على أحد زعمائهم الدينيين المدعو: هَدْايْ دوم (Hadai Doum) وهو شاب من الأرتيقة (عائلة عبد اللا هاب)، وأمه من هاكولاب الهدندوة درس القرآن في خلوة خاله الشيخ إبراهيم شنقرا الهاكولابي، كما أخذ عليه عهد الطريقة الجيلانية القادرية. وتولَّى هدان دوم قيادة العصابة الهدندوية في جهة قوز رجب[1]، وصار يقلق بعصابته راحة الخيالة (السواري) المعسكرة بالقوز. فما كان من السنجق كمبال بك قائدها

---

(١) كان منصب النظارة خالياً ممن يشغله فقد أخذ الشيخ محمد دين معتقلاً إلى الخرطوم وقامت عصابات الهدندوة بالاعتداءات على كل مراكز الحكومة واتهم موسى إبراهيم بالتحريض فهاجر إلى أرض الحرمين الشريفين.

ألا أن غزا قرية في متاتيب وقتل من اعترضه من الرجال، واستاق الأطفال والنساء أمامه إلى القوز حتى كان الليل فهجم هداي دوم[1] برجاله (وقد ازداد تعدادهم ببعض من البوقيني والبشارياب والمحموداب والكلولي) على المعسكرات، فارتاع الجنود وهبوا من نومهم باحثين عن أسلحتهم.

ولكن الهدندوة لم يمهلوهم إذ استعملوا في ذبحهم الخنجر والشوتال[2] والسيف، فذبحوهم كالنعاج. وبعد أن فرغوا من الجنود هجموا على منزل كمبال بك وهاك طعنه هداي دوم بالشوتال في عنقه وتمكن كمبال من إطلاق رصاص مسدسه عليه فسقط كلاهما ميتين. وهجمت عصابة أخرى على منازل الأهالي والسوق فقتلت كل من اعترض سبيلها ونهبت الحوانيت خصوصاً الملابس، وأطلقوا النيران في المعسكرات والضابية وكل المنازل حتى طلع النهار، ولم يبق في المدينة أحد من أهلها، وقد فر إلى الغابة كل من سلم، أما العصابة فقد جمعت الجمال وحملت الغنائم واقتسموا الخيل والسلاح وعادوا بأهل قرية مَتَاتِيب إلى جهة قدماي. قيل: النار التي أشعلت في مخازن المؤونة والزرائب المملوءة بعلف الخيل والجمال شوهدت نيرانها من مسافات شاسعة إذ تعالى لهيبها إلى عنان السماء، فأضحت المدينة كلها قاعاً صفصفاً، فكنت ترى بعض الخيل المحروقة في إصطبلاتها وأشلاء الجنود مبعثرة هنا وهناك وقد قتل من القوازة التجار نحو عشرين تاجراً، ولم يفلت من السكان إلا كل طويل العمر، وبعد شهور جاءت النجدات إلى القز من بربر وكسلا. فوصلوا بسلام ولكن بعد خراب مالطة. ثم ابتدأت الحكومة في إعادة تعميرها وإنشائها حتى تكون مركزاً يصطاف فيه مدير كسلا ويعقد فيه جمعيات القبائل المختلفة لحل مشاكلها.

❋ ❋ ❋

---

(١) كان رجل من الهدندوة كان رابطاً في رقبته حبلاً من الزعف الأبيض وكان ينادي بكلمة: أمبوريب (Imboureib) (وادي بجهة درديب) واستعمل هداي دوم هذه الحيل لئلا يخطئ أفراد عصابته فيضرب بعضهم بعضاً.

(٢) نوع من الخناجر يستعمله الهدندوة.

## الحكمدار خالد باشا وموسى بك سنة ١٨٤٦م

تعين حكمداراً على عموم السودان فلما وصل إلى بربر (في طريقه إلى الخرطوم) قابله أحمد بك أبو سن وذكر له كل شيء بخصوص السودان وأهله، خصوصاً ما أصاب قبيلة الهدندوة من الرزايا والمصائب حتى أصبحت جسماً بلا رأس. فطلب الحكمدار من محمد بك خليفة أن يرسل بطريقته الخاصة خطاباً إلى موسى بك كي يحضر لمقابلته ببربر، فأرسل محمد بك خليفة الخطاب مع رجل خبير بمحل موسى بك. فلما وصل الخبير العبادي أرض الهاكولاب أخبروه بأن الناظر يقيم في بلاد المَلْتِيناب فسار هاكولابي واستلم موسى بك الجواب[1]. فلم يجدوا من يقرأه فأرسل الناظر رسولاً إلى الشيخ القلوباي بأرض الهاكولاب لأنه من العلماء، فحضر في ظرف يومين وقرأ فرمان التولية من قبل الخديوي عباس الأول، وكذلك خطاباً من الحكمدار خالد باشا يطلب فيه مقابلة موسى بك الذي قام لساعته إلى بربر ومعه مشايخ الملتيناب أمثال إدريس وابنه فرح، ومن الهاكولاب الشيخ أحمد عبدالله وابن أخيه أبشر (لا يقلون عن المائة). فلما وصلوا بربر تلقاهم الحكمدار بالبشر والترحاب وأعطاهم كساوي الشرف ثم تلا فرمان النظار على جميع قبائل البجة الهدندوة موسى بك إبراهيم، وبني عامر دقلل إبراهيم، والأمارأء الشيخ طه حمد هساي الذي رفض أن يكون تابعاً لمديرية كسلا بعد إن كان تابعاً لبربرد فتعين بدله أحمد محمود هساي واقتفى أثره الشيخ حامد محمد (ناظر البشاريين)، فخلفه الشيخ نصر الدين نافع، وهذان

---

(١) رواية محمد بك موسى وهذا يذكرني بجواب ورد إلى والدي من المحافظ في شهر يولية سنة ١٨٨٩م فوجدوا أمام القرية هو الوحيد الذي يجيد القراءة، فلما طلب منه قراءته قال: إن المحافظ يأمركم بالزراعة. ثم عرضوه على آخر فسألهم عن قراءة الإمام. فقال: صدق، فهو يطلب منكم الزراعة. ولكن لا ماء ولا مطر ولا سبيل. فأرسل إلى مركز إمبيرمي حيث القراء كثيرون فقالوا إن المحافظ يسأل عن صحتكم ومستعد لإعانتكم (وإمبيرمي هذه مركز القبيلة الديني حيث يسكن علماء القبيلة، ولكن في أواخر القرن الماضي انتزعتها إيطاليا من السودان ومن أراضي بني عامر وجعلتها ضمن مستعمراتها الجديدة في ذلك الوقت وأسمت المنطقة إرتريا).

الناظران يمتان بصلة قرابة للهدندوة. وأرسل تعليماته إلى إلياس بك مدير كسلا كي يقضي إجازته عن عدة سنين لأن زوجته اشتكته للخديوي بانقطاعه في السودان وأن ينوب عنه موسى بك، كما عين عثمان بك الحبشي (مملوك عباس باشا الأول وكان مديراً للخرطوم) وهو شديد الأحكام وقاسي القلب حتى إن أهل الخرطوم حمدوا الله على نقله منهم إلى كسلا بفضل همة خالد باشا لأن سيده لا يقبل إقالته من منصبه.

❋ ❋ ❋

## عثمان بك الحبشي

حال استلامه لإدارة مديرية التاكا استعمل الصرامة التي كان ينفذها في أهل الخرطوم[1]، فمن ذلك أنه كان يضع المعاقب بين أربع قطع من الحديد أثناء الجلد ويحزمها عليه حت تنكتم أنفاسه ولا يبدي أي حركة. واستعمل ضروب الشدة مع أهل كسلا حتى استجارت الخلائق من فظاعته واستبداده. وفي ذات يوم بينما يفتش في كشوفات متأخرات الجزية وجد أن مبلغاً كبيراً لا يزال باقياً على بيرناب الهدندوة. فدعا أربعاً من عمد البيرناب هم محمد بلال وإبراهيم علي والقاضي محمد رحل وعلي موسى، وكلهم من الويلعلياب. فأمر بتسديدها في أسبوعين. فاعتذروا بقصر المدة لأن العربان في ضواحي سواكن وتوكر وحول الجبال البعيدة مثل أركويت وسنكات. فأمر أن يوضع كل شيخ في هذه الآلة وضربه مائة سوط. فاستاء منه موسى بك وجمد في محله، فقال له المدير: يجب أن نعين أربعة عمد آخرين، وفجأة أتاه خبر من نقطة كوفيت بأن أحد زعماء الأحباش أعد عصابة ليغزو بها مدينة كسلا. فأخذ قوة من الجيش وسافر إلى كوفيت، وحال وصوله عمل كافة الاستعدادات الحربية للطوارئ المستعجلة ثم عين للقيادة أحد الضباط. وفي طريق عودته نزل في القدين للاستراحة وشرب

(١) منع الأهالي والأعيان والمشايخ من السلام عليه أو مصافحته.

الخمرة (ومنذ مبارحته لكسلا وأهلها يقرأون سورة يس ليلاً ونهاراً ويطلبون من الله أن لا يرده إليهم سالماً) حتى غاب عن صوابه وكان ذلك في فصل الصيف المحرق وما هي إلا ساعات حتى هلك وحمل جثمانه ودفن بكسلا، فناب عنه سليمان أفندي أبو داود المصري حتى عاد إلياس بك من مصر وهو الذي حدثت في أيامه وفاة دقلل إبراهيم، وخلفه دقلل حامد بك محمد. وأصيب إلياس بك بالفالج فعجز عن تطبيبه الدكتور أحمد أفندي لطفي والدكتور إسماعيل التركي. ثم استعانوا بالطب البلدي. وأخيراً استعان ابنه أحمد أفندي إلياس (معاون المدير بالسيد جعفر الميرغني المقيم عند السيد الحسن بالختامية. ولما هم الأول للذهاب إلى كسلا منعه الثاني وقال له: إن إلياس بك على حافة القبر ولن يعيش أكثر من أسبوع فدعا عنك علاجه واعتذر عن الذهاب إليه لئلا يقول الناس في كسلا إن السيد جعفر حضر لعلاجه ثم عجز عن شفائه. فعمل السيد بكلام أخيه واعتذر. وبعد ستة أيام توفي إلياس بك ولم يترك عملاً مفيداً إلا بناءه جامع الحلنقة. فخلفه في منصبه مدير آخر هو: خسرو بك.



## خسرو بك

فحضر من مصر عن طريق سواكن ثم مصوع[1] التي أقام فيها شهراً يدرس حالة القبائل والأهالي واتخذ آل النايب مستشارين له وقابله بمصوع دقلل حامد بك محمد والشيخ محمد الفيل وعلي بخيت بك همد ودفعوا له ألفي ريال[2] ضيافته وإكرامه، وحضروا معه إلى كسلا في موكب حافل واستقبله الناس بالفرح والسرور.

---

(١) كانت جزءاً من السودان الشرقي.

(٢) هذه رواية محمد بك موسى لأن خسرو بك انحاز إلى جهة بني عامر ورد قبيلة سنكاتكناب من الهدندوة لبني عامر ولم يتمكن من رد هيكوتا ومناع من الشكرية التابعين لمديرية الخرطوم.

وحدث بينه وبين موسى بك ناظر الهدندوة جفاء بسبب إعادة القبيلة (سنكاتكناب) إلى دقلل حامد ناظر بني عامر. وصار المدير يسعى لانتحال الأسباب لسجن موسى بك، ولكن قاضي المديرية الحلنقي كان صديقاً للاثنين ومطلعاً على نوايا المدير، فتوسط هو والسيد علي شكيلاي للصلح بينهما وحكموا على موسى بك أن يتنازل عن القبيلة ويهب للمدير أربعين أوقية من الذهب. وعلى المدير أن لا يشدد في المطالبة بالجزية أو زيادة المقرر. فوافق موسى بك وخسرو بك هذا تركي ألباني لا يتورع عن قبول الرشوة مهما قلَّت، ولم ترق هذه المعاملة في نظر موسى بك وذهب إلى أهله في فِلْك واستعد للسفر إلى مصر وأعد المطايا والخبراء (هم الحسين ومحمد نور العباديان وإدريس الميرنابي)، ثم بارح فلك إلى مصر مع رفقائه (وله أشعار كثيرة عن هذه الرحلة يخاطب فيها ناقته كلما طال بها أمد السفر كقوله: لقد اعتادت ناقته السفر وسرعة الإياب من مصر ولكن في هذه الرحلة إنني عازم على بلوغ مصر مقر بنات الأتراك... إلخ)، حتى نزلوا بالمسافر خانة (دار الضيافة) ثم قابل ناظر المالية (وزير) الذي قدمه إلى ناظر الداخلية الذي يتولَّى تقديم نظار القبائل إلى ناظر النظار (رئيس الوزراء) ثم إلى سمو الخديوي. وقد أقام الشيخ موسى إبراهيم أربعة أشهر بمصر ولما سمع خسرو بك بسفره أخذ قوة من الجيش وزحف بها إلى فِلْك فأحرق المنازل وأخرج النحاس الكبير الذي كان محفوظاً بمنزل الناظر وكسره. وهذا النحاس قديم جداً يتوارثه نظار الهدندوة مع النظارة، وقد غنمه الشيخ أحمد باركوين من ملك البجة شكيتل. وطرد فقيه الخلوة والتلاميذ وكانت بين موسى بك ومحمد بك خليفة العبادي صداقة متينة، وأرسل الأخير خطاباً إلى الأول بجميع أعمال خسرو بك مع الهدندوة ووصف له خراب فلك. وفي الشهر الرابع سمح لموسى بك أن يقابل سمو الخديوي سعيد باشا فرفع إليه ظلاماته واستبداد المدير معه وسوء معاملته. فطيب سموه خاطره ونال التعطفات السامية وأغدق عليه بكسارى الشرف الثمينة، وأمر بأن يكتب إلى خسرو بك حتى يقف عند حده، ولا يتعدى على الناظر موسى بك ويرد كل ما أخذه من منازله ويدفع التعويضات من خزينة الدولة.

وأمر بإرسال نسخة من الشكوى والتوصيات إلى الحكمدار[1]. وأن تكون عودة الناظر عن طريق الخرطوم. فلما وصلها سلم الخطابات للحكمدار الذي قال له: لو جئتني أولاً لنفذت لك طلباتك بدلاً من أن تتكبد كل هذه المشاق والمتاعب. فأجابه موسى بك بأن خسرو عبد شركسي ولذلك رأيت أن أشكوه إلى سيده الخديوي، فتبسم الحكمدار. ثم عاد موسى بك ومعه التعليمات إلى خسرو. فلما سلمها إليه قال: سمعاً وطاعة لأمر أفندينا، ونفذ جميع طلبات موسى بك ودفع له التعويضات اللازمة إلا النحاس الأثري.

❋ ❋ ❋

## ممتاز باشا وموسى بك

عمل ممتاز باشا خندقاً تحت الأرض يبدأ من التمينيب حتى يصل الشاطة (آبار سواكن) فتسير فيه المياه من الأودية الواقعة شرق جبال أركويت. ومات خلق كثير من الناس تحت الردم. وأكثرهم من الهدندوة. فرفع موسى بك شكوى إلى مدير التاكا عبدالرزاق باشا. فحضر ومعه معيته وجنوده إلى سواكن. ثم رفع برقية بأعمال ممتاز إلى الخديوي لكثرة القتلى وصرف المبالغ الباهظة. ووقع على الشكوى النظار والعمد والأعيان ما عدا عبدالقادر أبو زينب زعيم الكميلاب وصديق ممتاز (إذ عينه وكيلاً للهدندوة) فتطاول عليه المدير وأساءه. ولكنه رد عليه بقوله: ممتاز باشا صديقي وهيهات أن أوقع على شيء ضده. وأرسل الخديوي في طلب ممتاز باشا). فلما وصل مصر أنكر حدوث كل تلك الحوادث[2]، بل عينه الخديوي حكمداراً على السودان. فعاد بالباخرة عن طريق سواكن بعد أسبوعين. وحالما ألقت الباخرة[3] مرساها، أمر ممتاز باشا بإطلاق المدافع المؤذنة

---

(١) كان موسى باشا حمدي سنة ١٨٦٣/١٨٦٥م.

(٢) لأنه يعلم أن الخديوي لن يحضر للتيمينيب أو يرسل لجنة تحقيق.

(٣) اسمها جعفرية.

بوصول الحكمدار الجديد، ونزل منها ممتاز باشا. وحالما شاهده الناس ارتاعوا جداً خصوصاً من وقعوا على الشكوى. فتلا إلياور منشور ولاية الحكمدارية على الأهالي والمدير والجيش، ثم قال لهم: يا أهل سواكن إنني لاقيت شكوى موسى بك إبراهيم ناظر الهدندوة في مصر أمام جعفر باشا صادق (الحكمدار السابق) وطلب موسى من سمو الخديوي ضم سواكن وأهلها تحت نظارته، ويتولَّى هو تحصيل العوائد والضرائب من أهلها لأنهم منذ تنازل السلطان العثماني عنها سنة ١٨٦٥م لم يدفعوا مليماً للخزينة، وأنا دافعت عنكم ولم يوافق الخديوي على الضم.

والآن بما لي من السلطة أمر مدير كسلا أن يعود لمديريته في ظرف ثلاثة أيام، أما موسى بك ومحمد بك عوض (ناظر الحلنقة) فليلتحلقا بسواكن لحين النظر في مطالبهم المقدمة للخديوي. وسعى سعادة محمد بك الشناوي بالصلح بينهما وبين الباشا، فأمرهما الحكمدار بالسفر حالاً في جعفرية إلى مصر وكتب عنهما تقريراً إلى الخديوي كله مدح وثناه، وقال لهما: إني أريد منكما أن تحبذا مدينة سواكن لتكون عاصمة للسودان ومقر الحكمدار فوعداه خيراً. ولكنهما بعد أن وصلا مصر وقابلا الخديوي، لم يوافقا على أن تكون سواكن عاصمة للسودان، واحتجا بأن الخرطوم هي العاصمة الطبيعية لأن مسافاتها من سائر المديريات متقاربة. أما سواكن فهي في آخر الشرق، فإذا اتخذت اليوم عاصمة سيأتي غير ممتاز ويطلب أن تكون العاصمة دارفور أو بحر الغزال. فوافق الخديوي على رأيهما. ثم قال لهما: إن ممتاز باشا أوصى بتعيين موسى بك نائباً لمدير كسلا، وأن يسجل اسم ابنه الأكبر (محمد موسى) ناظراً للهدندوة وأخاه أحمد شيخ مشايخ. وكانا مراهقين. وأنعم على الشيخ محمد عوض برتبة البكباشية ورئاسة مجلس كسلا الأهلي وأن يكون ابنه الحاج محمد عوض ناظراً لقبائل الحلنقة[١] وبعد أسابيع عادا إلى كسلا، وسمعنا في سواكن بأن ممتاز باشا عزل المدير عبدالرازق وعين خلفاً له محمد بك أبو جريد المصري. وفي

---

(١) وعين وكيلاً له الشيخ محمد رحال.

أثناء ذلك حدث خلاف بين حسين بك خليفة مدير بربر والختمية، فأمر بإرسال السادة المراغنة والخلفاء إلى كوفيت[1]. إذ كان يرى أن طريقة جمع أموال ليالي المولد منافية لحقوق الجمهور.

ولما وصل أبو جريد عزل كل الذين كانوا يتعاونون مع عبدالرازق باشا فعزل علي بك شكيلاي ومحمد بك إيلة وغيرهما.

❋ ❋ ❋

## قتال الهدندوة والبشاريين

تألفت عصابات من القبيلتين دأبها النهب والسلب بعد ذلك الهدوء الذي كان شاملاً تلك الأصقاع الواقعة بين شبودنياب الهدندوة والبشاريين وكلاهما متجاوران على ضفتي نهر عطبرة.

تقع قبائل الهدندوة في مركز دقيق جداً، وتجاوز قبائل شديدة الشكيمة مثل الحلنقة والشكرية وبني عامر، والأمارأر والبشاريين ـ وقد استعان مشايخ الأولى على إخضاعهم هم والملهيتكناب والسيقولاب بالجيوش التركية الجرارة منذ احتلال مدينة كسلا فأذاقتهم الأمرين، وسقوها السم الزعاف، وجعلوا غابات القاش وسهولة مقابر أولئك الجنود الذين سبقوا في عهد الخديوي محمد علي باشا كي يفتحوا إقليم البجة ويخضعوا سكانه، فطاحت جماجمهم، وتناثرت أشلاء جسومهم في سبيل استعمار أمم كانت هادئة مطمئنة. وكان ناظر الهدندوة متفقاً مع جيرانه من النظار أن يحصروا كل الخلافات القبلية في دائرتها ولا يسمحوا بأن تنتقل إلى عموم القبيلة. ولكن الأمر في حوادث قتال الشبودنياب والبشاريين فلت من أيدي النظار والمشايخ بسبب تدخل الحكام في الإيقاع بين الفريقين حتى تندلع نيران الفتنة بينهما، فكانوا يؤلبون زيداً على عمرو فتمتد نيران الفتنة بعد ذلك السبات العميق. وهذا هو ما حدث بسبب مدير بربر ومدير كسلا وحكمدار شرقي

---

(١) رواية محمد بك موسى.

السودان[1]، ومن تحت سلطتهم من الإداريين، وأمر الحكمدار عموم قبائل البجة بالاجتماع في سنكات[2]، ثم أصدر أمره بإلغاء الجمعية من أرض الهدندوة وجعلها في أميديب، مع أن ناظر الهدندوة قام من فلِّك وعمل كافة الاستعدادات وبنى المنازل لضيوفه من الحكام والنظار والمشايخ، وأعد المأكولات والذبائح وكل لوازم الضيافة. وفجأة لما جاءته التعليمات اعتذر عن الحضور إلى أميديب لضيق الوقت وبعد المسافة وصعوبة السير، ووعورة الطرق في الجبال والأدغال والأحراش. فاعتبر هذا النصراني الاعتذار مخالفة لتعليماته لأنه مسيحي كما قال له ممتاز باشا وعبدالقادر بك أبو زينب. وأصدر أمره باعتقال موسى بك ناظر الهدندوة في مدينة مصوع. وفي هذه الأثناء هجمت عصابة من البشاريين قوامها نحو سبعين رجلاً نهبت أبقار الشيخ محمود (جد الناظر تِرِكْ الحالي) ومن ضمنها بعضاً من أبقار البشارياب وهي أكثر من ثلثمائة بقرة واقتسموها، فرفع الشيخ نافع بن نصر الدين[3] شكوى للمدير ضد الشيخ محمود حامد (ناظر البشاريين) وقال: إنه نهب أبقار الهدندوة بلا مبرر مع أننا وإياهم قد اتفقنا أمام شيخنا ود حاشي على الأمان[4]. وأرسل نائب الحكمدار[5]، بالشكوى إلى مدير بربر للتحقيق، فحضر الناظر وشيخ المشايخ (شرف الدين) ومعهما بعض المشايخ فأنكروا نهب الأبقار وشطبت القضية. فلما رجع وسى بك من الاعتقال[6]، وزال سوء التفاهم الذي كان بينه وبين الحكمدار شكى له من أعمال البشاريين قال محمد بك: إن الحكمدار أذن له في الانتقام لقبيلته واشترط عليه بألا يذكر ذلك (هذا هو تحيز الحكام البغيض).

---

(١) موزنجر باشا (مسنجر).

(٢) تعتبر عاصمة الهدندوة الصيفية.

(٣) هو ابن عمه موسى بك إبراهيم.

(٤) يقول محمد بك موسى: إن غرض نافع كان إيقاع نيران الفتنة حتى يرفت الناظر محمود حامد فيكون هو الخلف.

(٥) الأميرالاي علي بك عويضة.

(٦) اعتقل حولين.

وفي تلك الأيام انتابت الهاكولاب سنين المحل وشددت الحكومة في مطالبة عميدهم الشيخ محمود موسى عبدالله بسرعة تسديد الجزية المطلوبة منه. فأرسل مع الجنود بعضاً من رجاله كي يسلموها ألف رأس من الضأن كانت ترعى في تبيلول. فاستاقوها[١] بعد أن أطلقوا رصاصات في الهواء. فباعها العمدة محمود موسى في جهة: تُودَنا (Toudana) وورد القيمة للبوليس، فخصمت من جزيته. وانتدب ناظر البشاريين رجلاً كي يخبر ناظر الهدندوة ويسترد القيمة من العمدة. ولكن قبل عودة المندوب نهبت عصابة من البشاريين قافلة مؤلفة من عشرين جملاً عليها ذرة فنهبوها وقتلوا رجالها الثلاثة، فلما سمع عميد الشبوديناب (الشيخ محمد محمدين) بذلك جاء إلى محل الحادث، ودفن القتلى، واقتفى أثر العصابة، واسترد منها الجمال، وقتل رئيس العصابة خاله الشيخ رحمة وآخرين فاستاءت والده من قتله لأخيها (خاله) فقال لها: إن خالي قتل عمي فقتلته.

وبعد مرور شهرين من هذه الحوادث أغارت عصابة من البشاريين على عميراب الهدندوة في جهة أمبوريب ونهبوا أبقارهم وقتلوا رعاتها. فاستنجدوا بالهاكولاب ولكنهم لم يدركوها، فلما سمع موسى بك الخبر أرسل إلى الشيخ أحمد البدوي الحاشي كي يصلح بين الفريقين لأنهما من أتباع طريقته (القادرية). فأوقف التعدي وأصلح بين الهدندوة والبشارين. واستمرت الهدنة ثلاث سنين. ثم توفي الشيخ المذكور ولم ينقضوا العهد بعد وفاته أربع سنين أخرى.

سبق أن عتبنا على الحكام تحيزهم بين الرعية، فهذا مونزنجر (مسنجر) باشا الحكمدار تواطأ مع الناظر موسى بك على الصميم من إغارات الهدندوة على البشاريين حتى إن موسى بك أذن لمشايخ الشبوديناب (أبناء محمدين[٢]) كي يأخذوا بشاراتهم القديمة. ولكنهم لم يمتثلوا واعتذروا بأنهم محافظون على عهد شيخهم المتوفى (الشيخ البدوي الحاشي). فاتجه

---

(١) كانت ملكاً للبشاريين.

(٢) أشهرهم الشيخ محمد وحسين محمدين.

الناظر إلى أحد أقاربهم المدعو الشيخ إبراهيم محمد سَرْفَك (Sarfak) وأمره بالحضور إليه في فلك. فلما حضر أرسل معه عصابة من هدندوة القاش وأمره بنهب المواشي فقط (من دون قتل أحد). فلما وجد إبل البشاريين في أَدَارْأَمة نهبها وأحضرها إلى فلك، فاشتكى ناظر البشاريين إلى مدير بربر[1] من عمل الهدندوة، وهذا رفعها إلى حكمدار شرق السودان مونزنجر باشا فأهملها، فانتدب ناظر البشاريين رجلاً من العبابدة للاطلاع على محلات مراعي إبل الهدندوة. فوصل هذا الجاسوس متاتيب ووجد كل الإبل هناك. ثم التقى فجأة بمحمد بك موسى (ابن الناظر). قال فسألته عن أحوال أهله العبابدة ومن مصدره وأين يريد. فأجابني أنه بوسطجي ويحمل خطابات من مدير بربر إلى مدير كسلا. فقلت له: إنني أشتبه في أمره. فما كان منه إلا أن أخرج من جرابه عدة ظروف حكومية معنونة باسم مدير كسلا. قال: فتركته بعد أن فحصت العناوين والمظاريف جيداً وتحققت من صحتها. وعاد العبادي من طريق آخر إلى البشاريين وأخبرهم بجميع مشاهداته. فأرسل البشاريون عصابة نهبت إبل الشبوديناب وهي أكثر من خمسمائة ناقة كذلك إبل العقر والمحمداب وقتلوا من رعاتها فرج الحبشي خادم أبناء محمدين، وهرب بقية الرعاة، واقتسم البشاريون الإبل. فاجتمع كل مشايخ الهدندوة في فلك بناظرهم وقرروا تأليف عصابة قوية برئاسة محمد بك موسى الذي استعان ببعض من عملوا في بوليس كسلا من أبناء الهدندوة. واشترى ثلاثة خيول وبنادق. واتخذوا تبيلول مقراً لتجمعاتهم. فجاءتهم نجدات من العميراب والهاكولاب وأرسل إليهم عكود آغا بن محمد عبود أربعة من جنوده متنكرين في ملابس العربان[2]. وأصبح تعداد العصابة نحو ١٦٨٢ شخصاً، فأغاروا على قُرْد (Gurad) ونهبوا إبل البشاريين التي وجدوها هناك، فاقتفى أثرهم فارس البشاريين المشهور حمد إيلابا (Eylaba) على ظهر جمله السريع (شِمْبِرْ Shimbir) بقرب أرياب عاصمة الأمارأر،

---

(١) كانت قبيلة البشاريين تابعة لمديرية بربر.

(٢) يتصل نسب الشبوديناب بالشيخ عوض الشايقي.

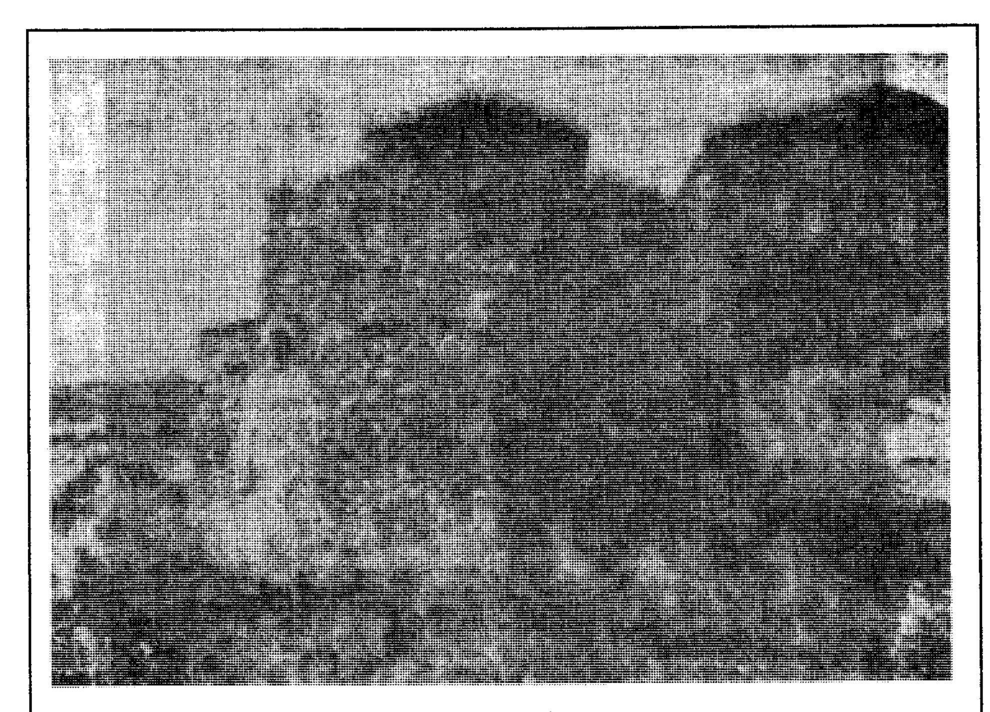
فأصابته رصاصة أردته قتيلاً. وعاد محمد بك إلى درديب بالإبل. وتسمى هذه وقعة يفويقة (Yafoyga). واشتكى ناظر البشاريين إلى محمد بك سعيد[1] (مدبر بربر) من الشيخ حسين بن محمدين إلى مدير كسلا وكان موسى بالمدينة. فقال له المدير: أنا أرسلت جبارة آغا الشايقي إلى قوز رجب كي يحضر حسين محمدين. فاجتمع جبارة بمأمور قوز رجب (محمود أفندي عجم أوغلي)، وإذا بقتال ينشب بين الشبوديناب والبشاريين في مكان يدعى شئيمق (Sheymag)، فأبرق المأمور للمدير الذي قام لساعته ومعه موسى بك الناظر وقوة من الجيش إلى قوز رجب، فوجدوا أن الواقعة قد انتهت بانتقام البشاريين لقتلاهم في يفويقة ومات كثيرون من مشايخ وأعيان[2] الشبوديناب أشهرهم عمر سرفك، ومحمد وأخوه حسين محمدين، ومحمد هدايفيل[3]، وإسماعيل وعلي حمد محمد (من عائلة سرر Sarar)، ومحمد فكي الجعلي (أمه من الشبوديناب).

---

(١) آخر مدير لكردفان قتل سنة ١٨٨٣م وهو من الشراكسة الذين استكثروا على السودانيين الاستقلال تحت لواء الإمام المهدي .

(٢) محمداب وهمداب.

(٣) هو من حملة القرآن ومن فقهاء الهدندوة.



ناظر الهدندوة
الشيخ محمد بن الأمين ترك
يسير بين قبور البلامس في مامان (MAMAN)



هذه الصورة أخذت في سلطنة مسقط وعمان وتوجد مثل هذه الأبنية أو الأضرحة أو المقابر في بعض أجزاء الجزيرة العربية، كما توجد في المناطق الجبلية على سواحل البحر الأحمر بالقرب من العقيق (السودانية)، وهي في مناطق دِبِّر وعَنْدَل الجبلية بمملكة بني عامر العتيقة، وقد وضعت هذه الصورة هنا لمقارنتها مع سابقتها للتقصي والبحث.

ولم يقتل من البشاريين في هذه الواقعة إلا شخص واحد، وكانت الواقعة بقيادة الناظر وشيخ المشايخ (شرف الدين) ومحمد محمود (ابن الناظر) والسبب في هذه الواقعة هو قبيلة إمبوشبلاب (Imbou Shbalab) (من البشاريين) كانت محايدة بين القبيلتين في جميع وقائعهم الحربية وذلك بناء على نصيحة عميدهم (الشيخ محمد عمار) وهم كثيرون جداً. فنهب البشاريون أبقار إمبوشْبلاب الذين استنجدوا بالشبوديناب الذين كانوا ضحايا المروءة والنجدة. فما كان من جبارة آغا إلا أن رد الأبقار إلى الإمبوشلاب وأبرق مدير كسلا (أحمد رامي بك) إلى محمد باشا سعيد كي يحضر ومعه ناظر ومشايخ البشاريين فحضروا جميعهم في قوز رجب وأسرّ أحمد بك رامي إلى موسى بك أن يعين رجالاً لقتل الشيخين أحمد محمد وشرف الدين وبعض المشايخ حتى تصير كلها مشاجرة وتحقيق في جنايات، وكان ناظر البشاريين عليماً بمؤامرة رامي وموسى، ولذلك طلب من محمد باشا سعيد أن يؤتى بمدير آخر. فوقع الاختيار على عبدالرزاق باشا وتعين مديراً لكسلا ونقل أحمد بك رامي إلى محافظة مصوع، وبقوا جميعهم بالقز لحين حضور المدير الجديد الذي وصل ومعه (بلوكين) سودانيين بقيادة البكباشي إسماعيل الرميكي والسنجق إبراهيم الشامي قائد الخيالة[١] وعسكروا بقوز رجب الغربية من نهر عطبرة. وكان مدير بربر والبشاريون معسكرين بالشمال، وموسى بك وقبيلته في الشرق. وإذا ببرقية من نائب مدير كسلا يطلب فيها حضور الناظر موسى بك على جناح السرعة[٢] فرفض السفر، وبعد أسبوع من الاجتماع أصدر المدير عبدالرزاق أمره إلى الرميكي أن يعبر بقوته إلى الضفة الشرقية ويطلق الرصاص على جموع الهدندوة. فاعتذر القائد بأن ليس لديه أي تعليمات بإطلاق النار على رعايا الخديوي خصوصاً والهدندوة مسلمون ومسالمون. فقال له: أطلقها عليهم للإرهاب. فامتثل ولم يبد الهدندوة أو ناظرهم أي حركة[٣]. فاتفق المديران على إلقاء القبض

(١) لا تقل عن أربعمائة حصان.

(٢) يقال: إنها حيلة من عبدالرزاق باشا ليبعد الناظر من مكائده التي دبرها للهدندوة بعد سفره.

(٣) كان المدير حاقداً على الناظر بسبب حزازات نهر القاش السابقة.

على موسى بك إبراهيم الناظر. وأمر عامل البرق بأن لا يقبل من موسى بك أو ابنه محمد أي برقية إلى الحكمدار غوردون باشا والخديوي، ولكن الناظر أرسل أحمد محمد شريف الباتر وخادمه هيكل إلى السيد هاشم الميرغني بكسلا ليخبراه بالإساءة التي لحقته فأرسل سيادته برقية إلى غوردون باشا، وما هي إلا أيام حتى جاءت برقية منه إلى المدير عبدالرزاق يأمره فيها بإطلاق صراح موسى بك والاعتذار إليه عما حدث منه. وانتهى الاجتماع وعاد كل إلى مركزه. وسافر الجنرال غوردون إلى انجلترا لتمضية إجازته وخلفه عثمان باشا.

أما محمد بك موسى ابن الناظر فقد تخلف في أُفريك (Offreik) (الطويس) ومعه بعض الهدندوة ولحقه الشبوديناب، وأرسل منادياً يدعو كل شبان الهدندوة للحضور إليه للأخذ بثأر قتلى الشبوديناب، وقال: إن مواثيق الهدوء والسكينة التي وقعها الناظران والمديران لا تمنع الانتقام وأوصاهم بالاحتفاظ بمعاهدتهم مع الإمبوشبلاب[١]. وشهد الشيخ محمود محمود ابن ناظر البشاريين والشيخ كرار الفكاك وأحمد علي استعدادات الهدندوة للهجوم عليهم، فركبوا خيولهم وساروا خلف المدير والناظر وأخبروهم بأن الهجوم بدأ من الهدندوة على قرى البشاريين، وقتل اليخ شرف الدين واخترقوا الزريبة التي بداخلها مأمور البشاريين ومعه الخزينة فاستولّى على ما بالخزينة محمد بك موسى وأعطى للمأمور إيصالاً باستلام اثني عشر ألف ريال كانت بداخلها، واستلم الدفاتر، وأمر بإحراقها. وقام المأمور إلى بربر، وعندما وصلها أخبر المدير الذي أبرق إلى عثمان باشا وكيل الحكمدار، وهذا بدوره أصدر أمره إلى مدير كسلا الذي أخذ معه قوة كبيرة من الجنود إلى قوز رجب[٢] وقد تفرقت عصابات الهدندوة وحال وصول المدير تقدم إليه البشاريون بشكوى فقبض على ستة عشر شخصاً من أعيان الشبوديناب والشيخ محمد كَرَبْدَبْ (Karabdab) (من فاضلاب القاش) وثلاثة من

(١) توجد في عجيلاب سواحل البحر الأحمر بقايا قبيلة بهذا الاسم.

(٢) ترك الناظر موسى بك في كسلا.

الهاكولاب وشيخهم بافوري (Bafourai) الذي لم يشترك في أي قتال، ولكن الحاكم المستبد يفعل ما يريد.

وعاد المدير بالمعتقلين إلى كسلا. وحال وصوله قبض على الشيخ موسى إبراهيم وأرسله إلى الخرطوم تحرسه أربعة بلوكات سودانية بقيادة البكباشي الرميكي ومعهم الموسيقى للتشنيع حتى يحضر الناس لمشاهدة المعتقل حتى وصلوا القضارف، وهناك تلقتهم قوة من بوليس الخرطوم بقيادة الصاغ أحمد سري، وهناك نزل الناظر في ضيافة صديقه الشيخ عوض الكريم أبو سن وقد أكرمه الحجي سيد طنطاوي والسيد أبو بكر الجركوك.

وطلب مدير كسلا حضور محمد بك موسى من فلك وكبَّله بالحديد والسلاسل وزجه في السجن مع الشبوديناب إذ شهد عليه الشيخ محمد الهدآب[١] بأنه قاد العصابات، وشهد ببرائته حسن أفندي بدوي وعكود آغا، وسافر المساجين إلى القضارف وهم في الأغلال والأصفاد حتى وصلوا القضارف فأقاموا فيها شهرين في ضيافة الشيخ علي عمارة أبو سن عمدة المدينة. وسعى لدى محافظها حتى خفف عنهم السلاسل. وسمع مدير كسلا بأن أحمد موسى (ابن الناظر الثاني) سافر إلى الخرطوم لمقابلة والده. فأبرق إلى نائب الحكمدار الأميرالاي مختار بك كي يسجنه لأنه رفض أن يتولَّى منصب شيخ مشايخ الهدندوة ويتحصل الجزية لحين عودة والده أو أخيه محمد. ثم أمر القائمقام بسفرهم إلى الأبيض وهناك أطلق سراحهم المدير (السيد أحمد بك علي شريف المصري) وأمرهم بأن يقدموا إليه أنفسهم كل يوم خميس. فلما عاد غوردون باشا من الإجازة علم بسجن الناظر ونجليه محمد وأحمد، فأبرق إلى مدير كردفان كي يطلق سراحه حتى يصلوا إلى كسلا سريعاً.

وسافر الجنرال غوردون إلى دارفور. ولقي الناظر إكراماً كثيراً في الأبيض من السادة إلياس أم بربر وأحمد دفع الله ومحمد بن العريك[٢]،

---

(١) قال: إن دماء وأموال البشاريين في قرد يسأل عنها محمد بك موسى.

(٢) وصله خطاب توصية من الشيخ طاهر المجذوب كي يقدم لهم مساعدة.

وكذلك تجار سواكن بالأبيض أمثال أبو علي محمد إيرا التنكيرابي وأنور سليمان علي أبو طالب وأبو بكر الكرار الويلعليابي والفقيه مقدم القَرْعِبي وعمر بن أبو بكر دقنة. فوصلوا كسلا بسلام. ولما عاد غوردون باشا من دارفور حضر إلى كسلا، فأخبره موسى بك بأن ستة عشر شبودينابياً بسجن الأبيض، فأمر بإطلاقهم وإرسالهم ولم يتخلف منهم إلا شخصين هما حامد عيسى ولباب الكوجتاوي - وعرض غوردون على الناظر موسى بك أسماء المديرين كي يختار منها مديراً ينسجم معه في كسلا. فوقع اختياره على محمد باشا سعيد. وعزل عبدالرزاق باشا وأمره بالسفر إلى مصر عن طريق سواكن وأن يسلم كل الأعمال لنائبه حسين بك بدوي وأن يبقى لحين وصول خلفه[1] وتسوية معاشه. فلما وصل محمد باشا سعيد طلب عبدالرزاق باشا من متعهد الجمال بالسفريات عن طريق أرض الهدندوة جمالاً يرحل بها. فاعتذر المتعهد وقال: ما عندي إلا الحمير. فشكا عبدالرزاق باشا للمدير وهذا طلب من موسى بك يعطيه مع الحمار ثلاثة جمال لنفسه وأهله[2]. واستاء أصدقاؤه من الرحلة على ثلاثين حماراً. وودعه يوم سفره علي بك شكيلاي والعوض المرضي وشامدين آغا وعبدالله جاسر والصاغ خليل (رئيس مجلس كسلا) وهم الذين وضعهم المدير الجديد في السجن حتى اشتكوه للخديوي فعفا عنهم ونقل. ثم خلفه صالح بك محمد المصري وهو ختمي متعصب نقل سريعاً إلى مصر لشدة حاجة العرابيين إليه. ولكن للأسف قال محمد بك موسى بأنه كان ينقل أسرارهم إلى السيد محمد سر الختم الميرغني وهو يخبر بها الخديوي توفيق الختمي الصميم أيضاً. وكان كل منهما يحمل إجازة خلافة الختمية.

هكذا أراد الله أن يبارح عبدالرزاق باشا مديرية كسلا وأنفه رغم على ظهور الحمير التي لا تصلح إلا لحمل المياه. ومراراً ما كانت تضيع الحمير في الغابات ويضطر الباشا للبقاء أياماً في محل واحد والمرء يأسف عندما

---

(١) وصل من فازوغلي بعد شهر ونصف.

(٢) كان الغرض الحط من قدره في ركوب الحمير والرحيل عليها.

يتذكر أن هذا الباشا كان يرى أن الهدندوة مشاكسون ومشاغبون وسفاكو دماء مع أنهم أهل دعة وهدوء إلا إذا ظلموا. قال الشاعر:

فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل    مر مذاقه كطعم العلقم

وهذا يذكرنا بذلك المدير الإنجليزي في عهد استعمار الحكم الثنائي يوم قال: يجب أن ترحّلوا جميع قبيلة السمَرْأَرَ من كسلا إلى كردفان لأنه اتهمهم بقتل أحد خفراء ترعة القاش في أيام نظارة إبراهيم بك موسى. فجاءه محمد بك موسى (وقد نيف على الثمانين) وقال له: رأيت كثيراً، وسمعت كثيراً، وعاصرت الحكم التركي والمهدي والثنائي الآن، فلم أسمع بأن قبيلة بأكملها نقلها الحاكم من مقرها إلى آخر كنقل قبيلة من الشام إلى لبنان أو من اليمن إلى الحجاز[1]، فهذا العمل إن دل على شيء فإنما يدل على الوهن والضعف فأنت الحاكم لك أن تسجن وتقتل وتأخذ بالشبهات إن أعيتك الحقائق. قيل: إن أحمد باشا أبو ودان أرسل عشرين رجلاً من العجيلاب إلى ضفاف النيل الأبيض فتزوجوا من أهل تلك الضواحي وأنشأوا رهطاً يطلق عليه اسم الجميلاب، وهذا الرهط يعيش اليوم بين عدة قبائل لا يعتمد إلا على سواعد أبنائه في كفاحه عن كرامته وعزته منذ استقراره هناك. قال لي السيد محمد صالح الشنقيطي: إن الرجل منهم تجده صعب المراس يأبى الضيم وقد اعترفوا لي بأنهم من جميلاب الهدندوة والقاطنين بكسلا.

❋ ❋ ❋

## مونزنجر أَوْ مُسِنْجر باشا والموسيقى

كان في سَنهِيتْ نظام الجنود كالآتي:

أربع أورط كاملة، وكل أورطة مؤلفة من بكباشي وألف جندي ومعها مدفعية (طوبجية) وموسيقى مؤلفة من بلوك كامل كانت تحت قيادة الأميرالاي

---

(١) قبل الحرب العظمى سنة ١٩١٤م كانت الشام ولبنان والعراق وفلسطين والحجاز والعراق واليمن ومصر والسودان تحت علم تركيا (الدولة العلية العثمانية).

محمد باشا سعيد الشركسي، فطلب مسنجر باشا أن تكون الموسيقى دائماً في رفقته[1]، أينما حل وارتحل. فرأى الأميرالاي بقاء الموسيقى مع الأورط في سنهيت لأنها جزء من الجيش. فاستاء الحكمدار منه وكتب برقية للخديوي يطلب فيها نقله حالاً وترقية فرج بك السوداني أميرالاياً. فوافق الخديوي على ذلك وسافر محمد باشا سعيد من سنهيت إلى مصر.

وتعلم مسنجر باشا لغة الأَمارأر والتيجرَيْ والبني عامرية وعجز عن فهم البجاوية. وله مذكرات تاريخية عن قبائل شرق السودان لم أتمكن من الحصول على ترجمتها الإنجليزية.

وكان عادلاً ونزيهاً في أحكامه، وله مواقف تدل على حزمه خصوصاً لما حدثت المشاجرة بين كَنْتِيبَايْ حامد حسن ومحمد نورنايب محافظ مصوع. وكانت رئاسة الحباب بيد العائلة الأخيرة، فنزعها مسنجر باشا وجعل نظارة الحباب منفصلة مثل سائر نظارات السودان. كما أنه استرد قبائل هَيْكوتا ومَنْعَا من نظارة الشكرية. وكان قد وهبها دِقْلَلْ إبراهيم أَوَلِّبَابْ (وكان صارماً مع أهله النابْتَاب) إلى أحمد بك أبو سن، كما أهدى قبيلة سِنْكاتْكِنابْ إلى موسى بك ناظر الهدندوة. فلما مات وخلفه دقلل حامد بك محمد استرد الأَخيرة بواسطة المدير إلياس بك. ولم يقدر على استرجاع هَيْكوتا ومَنْعَا إلا في أيام مسنجر باشا.



## قلاب نيو (Galab New)

هذا اسم يطلق على عدة عموديات من الهدندوة، واعتادوا دائماً أن يخلّوا بالأمن ويقطعوا الطرق التي تسير فيها القوافل بين المدن المرتبطة

---

(١) فكان يسافر بها إلى سواكن وكسلا ومصوع وأميديب. وطلب أن تقام له احتفالات وزينة، وكانت تعسكر في أميديب أورطة سودانية بقيادة البكباشي نور الجواب أفندي عبدالله.

بمدينة كسلا مثل: القضارف وبني عامر وتوكر وسواكن وقوز رجب. وعصابة منهم قتلت تاجوج وأفراد قافلتها وهم يؤمون عاصمة بني عامر منذ أيام السلطنة الزرقاء وفي الحكم التركي اشتدت شوكتهم وضجت من ضررهم الحكومة والتجار وسائر القبائل مثل سَبْدَرات والقَدِين والبارْيا. وكان لهم شيخ مشايخ اسمه الشيخ التومابي ابن علي الذي كان لا يرضى بالخضوع تعليمات الناظر موسى بك أو أيام سلفه الشيخ محمد ين. فاستشار المدير الناظر في طريقة تقليم أظافرهم حتى يرتدعوا عن الإخلال بالأمن. فأشار عليه بأن يقوم هو والمدير وسليمان بك علي طالب بفرقة من الجيش لمطاردتهم، فوافق. وبدأوا في مطاردتهم وشتتوا تجمعاتهم وقتلوا منهم أكثر من مائة شخص، وبذلك خضدوا من شوكتهم وقدم زعمائهم الطاعة، وأقسموا بأن يؤمنوا جميع طرق المواصلات والتجارة. ولهم نقارة خاصة يستعملونها كلما أرادوا غزو قبيلة.



## عموديات القلاب نيو

١ ـ المحموداب (ويلعلياب).

٢ ـ عليندوة (أبناء علي) (Alendewa).

٣ ـ باتَرْ (Batar).

٤ ـ محمد ندوة (Mohammade nedewa) (أبناء محمد).

٥ ـ اللُّوياب (Alloyab).

٦ ـ عَمَّر (Ammar).

٧ ـ بَشْكَوابْ (Bashkawab).

٨ ـ رَبَّمَك (Rabbamak).

٩ ـ إِبْلَلْ (Eblal) (أبناء بلال).

١٠ ـ كَوَّل (Kawwal).

١١ ـ عَقر (Agar).

وقد دار قتال شديد بين القبيلتين الأخيرتين شرق نهر عطبرة استمر زمناً طويلاً. ومن يشاهد مقابرهم يعلم الخسارة الجسيمة التي انتابت هذه العموديات، واليوم يندر أن تجد عمودية كاملة من كل هذه العموديات.

ونأتي هنا على أسماء بعض مشاهير عمد قبائل الهدندوة يوم تولّى نظارة القبيلة الشيخ محمد محمد الأمين ترك:

| اسم القبيلة | اسم العمدة |
|---|---|
| عِميرابْ | أحمد المليك |
| هاكولاب | وَهَاجْ محمد الحاج |
| هَيْكُوتباب | محمد آدم سنوسي |
| حامداب شلول | أحمد طاهر عبدالقادر |
| ترِكْ | محمد طاهر باكاش |
| كَلُولَيْ | علي الهداب |
| إِنْشَرْ | أحمد الأمين أدروب |
| عوضي | حامد أوشيك |
| شَرْعَاب | محمد بدري الأمين |
| سَمَرْأَر وجلاب | مختار إبراهيم |
| قرعِيب نهُوياب | إسماعيل محمد |
| شبوديناب | عمر أبو علي |
| قرعيب عِيسَياب | وهاج إسماعيل |
| ويلعلياب | أحمد أونور |
| سمرأرْ | آدم مدني |
| سَمَرَنْدِواب | أبو فاطمة أحمد طه |

| | |
|---|---|
| دَكِيناب | أحمد شيك حامد |
| هَمِيساب | أحمد شيك الأمين |
| حامداب (أصلية) | أحمد طاهر عبدالقادر |
| حمدشَبْ | حامد علي عمر |
| مَلْتِينَاب | محمد موسى باركوين |
| شيخاب | محمد محمد الأمين |
| بيوضَاب | علي محمد شيك |
| الريّان | عبدالله الحاج |
| حَلَنقَاب | محمد طاهر محمد دين |
| مَلْهيتكِنَاب | شاور عبد المحمود |
| هَنْسيلاب | طاهر موسى |
| سِيقولاب | محمد صالح جيلاني |
| بِشارْيَاب | محمد أركاب |
| شيخ خط حدود الشرق | عمر حسيب |
| هَبَنَاب | طاهر إسماعيل |
| شيخ خط عطبرة | محمود محمد تِرِكْ |
| جميلاب أَورِّبا | حسين محمد علي عمر |
| شيخ خط القنوب | محمد طاهر باكاش |
| قُرْهَبَابْ | إبراهيم أبو علي أحمد |
| بشارياب القاش | محمد الحسن مصطفى |
| بشارياب ربماك | شِنْقَراي حسين |
| تِرِكْ | محمد كرار تِرِكْ |
| هاكُولاب | أودرْف أحمد |
| شيخ خط أودية | محمود محمد |

| | |
|---|---|
| جميلاب ردّي | محمد الأمين أبو محمد |
| بيرناب | محمد الأمين أبو محمد |
| بشارياب | عيسى محمد آدم |
| بشارياب القاش | عبدالقادر علي |
| قرعيب حشيش | محمد طاهر قاضي |
| قايداب | آدم طاهر |
| جِميلاب تولِلْ | الأمين حامد سليمان |

❋ ❋ ❋

## محمد بك موسى وراشد باشا

قال محمد بك موسى: لما كثرت الأحداث بأراضي الهدندوة، وفتك الكميلاب بالأشراف، وقتلوا كل من يلقونه من رجال الحكومة، أرسلت برقية من فِلّك إلى المدير (أحمد بك عِفَّتْ) أطلب حضوره للمباحثة في التطورات الأخيرة فحضر المدير ومعه قوة من الجيش، ثم تداولوا فيما يتخذونه من الاحتياطات. وقرَّ رأيهم على إرسال برقية إلى مصر يصف فيها الحالة بأرض الهدندوة. فتلقى الرد بأن يعود إلى مديريته حالاً، ويترك بلوكين من الجنود بعاصمة الهدندوة (فِلّك) والسنجق بشير آغا[1]. كما صدرت التعليمات إلى راشد باشا كمال قومندان الجيرة (بجنوب عطبرة) كي يقوم بجيش[2] لقتال الكميلاب لأنهم قتلوا الأشراف وجنود الحكومة.

فلما وصل راشد باشا إلى كسلا، أتم استعداداته جميعها وسافر إلى فِلّك، ثم طلب من الناظر والمشايخ أن يسيروا معه خلف الكميلاب الذين تجمعوا شرق فلك وانضمت إلى جنوده القوة التي كانت بفلك. وبينما هم

(١) هو أخو جبارة آغا الذي قتله الكميلاب هو وجنوده.

(٢) كان معه أربعة بلوكات جهادية سود ومعه خمسمائة من السواري بقيادة بشير بك كمبال ومثلها بقيادة حسن آغا التركي وكثير من الهجانة.

يسيرون طلب الباشا: من الناظر إحضار ألف من متطوعي الهدندوة كي يسيروا أمام الجيش، فامتثل. وسمع الكميلاب بالجيش العرمرم الذي يطاردهم فساروا نحو القنوب. فلما وصل الباشا خور اللَّنْقيب أقام فيه شهراً كاملاً. ووصل الكميلاب إلى حدود سواكن. وكان تموين الجيش باللحم على حساب الهدندوة مجاناً (ضيافة). وفي تلك الأثناء وصلت خطابات إلى محمد بك موسى من وكيله في القنوب (الشيخ محمد الأمين تِرِكْ)[1] وآخر من محمد بك توفيق محافظ سواكن يصف فيه قتال الأمير عثمان دقنة له في قلعة سنكات وغيرها. فقال الباشا ما رأيك يا محمد بك بصفتك ناظر الهدندوة؟ فأجابه أرى أن نسير بكل هذه الجموع إلى القنوب ونقاتل الأمير عثمان وأنصاره. فقال الباشا اقتراحك مرفوض، وأنا لا أثق فيكم بتاتاً، ولذلك سنعود حالاً إلى كسلا. وبينما نحن في الطريق ألقي عليَّ القبض فجأة حالما وصلنا أَودِي (Owdi) وحبسني من غير أي سبب. وزارني في السجن بشير بك كمبال، فطلبت منه أن يخبر الباشا بأنني سأدفع له ثلاثة ألف ريال إذا أطلق سراحي[2] فرضي بذلك. ولعدم وجود المبلغ في يدي طلب مني أن أكتب مستنداً أقر فيه وأعترف بأنني مديون بهذا المبلغ لحامل هذا المستند. وكتبت أيضاً ملحوظة إلى وكيلي بكسلا (الشيخ أحمد إبراهيم الهاكولابي) الذي كان معنا في الرحلة المشؤومة، فوقّع بأنه مستعد لتسديد المبلغ للخواجة إستيللو[3] حتى وصلوا جميعهم فِلِّك، فوجدوا بها حمدي بك مدير المواصلات في رحلة تفتيشية على مكتب البريد والبق، وهو رجل مشهور بالإخلاص والنزاهة. فسمع من الضباط ما حدث بين الناظر والباشا، فشق عليه الأمر واستاء من سوء أخلاق الباشا، واجتمع بالناظر وطلب منه أن يرسل برقية إلى الخديوي بمصر يشكو فيها من سوء معاملة الباشا. فجاء الرد سريعاً بنقله من فِلِّك إلى سَنيتْ (كون) ثم مصوع فمصر. وأرسل الناظر

(١) والد الناظر الحالي.

(٢) كان الباشا محباً للرشوة كسائر حكام الشراكسة. قال الناظر: إنه من الضباط الذين غدروا بعرابي باشا سنة ١٨٨٢م.

(٣) كان صاحب معمل صابون بمدينة كسلا.

برقية أخرى إلى مدير كسلا موضحاً له حقيقة الإيصال الذي عند راشد باشا وطلب إلقاء القبض على إستيللو وأخذ الإيصال منه بالقوة.

(إذ أن الباشا أرسل الإيصال مع مندوب خاص إلى كسلا لقبض المبلغ). فنفذ المدير الطلب وحقق مع إستيللو في حقيقة المبلغ، فقال للمدير: إنه قيمة صابون، فقال له: إن معملك قيمته لا تزيد عن ألف ريال. فقال: أنا لا أعلم كيف وصلني هذا المستند، ثم سلمه للمدير الذي أرسله إلى الناظر فمزقه.

وأما ما كتبه المؤرخون من أن راشد باشا قتل الكميلاب والسَّمَرَيْدِوَابْ فهذا كله مَيْنٌ واختلاق أخذوه من تقارير راشد باشا حتى لا يقال إنه رجع بخفي حنين. وبقيب الناظر في فِلِّك حتى جاء الأمير مصطفى هَدَل فيها.

❋ ❋ ❋

## مصطفى بك موسى

هو من مشاهير نظار البجة وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، درس القرآن والفقه في مسجد والده بعاصمة الهدندوة: فِلِّكْ. وقد جلب له مدرساً خاصاً حتى أصبح متضلعاً في كل العلوم والمعارف، ذكي الفهم، سريع الحفظ، وشاعراً بليغاً لا يشق له غبار في اللغة العربية والبجاوية[1]، وله ذاكرة سليمة، لا يتكلم أو يفتتح اجتماعاً إلا ببيت من الشعر أو بضرب مثل أو ذكر حادث مماثل لما يريدون المناقشة أو البحث فيه. وهو مشهور بالكرم والشجاعة، يتفانى كسائر نظار الهدندوة في كسب السمعة الحسنة واستخلاص حقوق القبيلة وانتزاعها من يدي كل من يسطو عليها ولو كانت الحكومة. وكان خطيباً مفوَّهاً جهوري الصوت له نبرات تعينه على إسماع صوته للنائي، فإذا خطب بإحدى اللغتين السالفتين ترى الناس جميعهم قد

---

(١) يعرف قليلاً من التركية كان يتكلمها مع الحكام وكانت بكسلا مدرسة بالمديرية لتعليم هذه اللغة والخطين الرقعي والنسخي والفرنسية والعربية.

أُرهفوا أسماعهم حتى لا تفلت منهم كلمة من أقواله، وكثيراً ما يتمثل بالآيات والأحاديث. وهذا ليس بغريب إذ أن رجال ذلك العصر السوداني ظهر فيهم كثيرون من النوابغ في العلوم والمعارف والحروب والسياسة والاقتصاد والاجتماع[١]، ودرس معه أخوه أحمد وبعض أبناء الهدندوة ولكنه تفوق على الجميع وبزّ كل أقرانه وكان أنيقاً في ملبسه ومطيته، طويل القامة، ضخم الجسم، مفتول الساعدين، قوي البنية، يهابه ويحترمه كل من يلقاه أو يتحدث إليه، قوي الحجة، يستميل مناظريه بما حباه به الله من انتقاء الآيات والأحاديث التي تجعل المناظر تتلاشى نظرياته. أكتب هذا وأنا في الحلقة السابعة من عمري. ويوم اجتمعت به في قريته كان هو قد نيف على الخمس والثمانين وأنا ابن خمسة وثلاثين عاماً وفي آخر أيامه كان كثير المزاح والنكت ودائماً يتكلم بالقرآن، ويحفظ كثيراً من القصائد الخماسية، والغزل العربي الرقيق، والدوبيت وكثيراً من قصائد التوسل والحكم، وكذا البردة، والهمزية، وقصيدة: بانت سعادة، منذ اعتزامي بكتابة تاريخ قبائل إقليم البجة كنت أترقب اتصال سكة حديد كسلا ببورتسودان حتى أتمكن من الاجتماع به.

تجده في أخطر المواقف بين يدي حكام التُّرْك القاهرين وأمراء المهدية المختلفين وأمام المستعمر الأخير (المصريين والإنجليز) يبدي رأيه بكل صراحة، ويخالفهم في الأحكام والآراء، غير مبال بسلطانهم وله مواقف مشهورة مع كل هؤلاء سنذكرها فيما بعد. وفي أيام المهدية سافر إلى إرتريا ثم سواكن فمصر وهنالك جعل أكثر مجالسته لحلقات العلوم الدينية بالأزهر الشريف. وقد تزوج بمصرية.

وفي سنة **١٩٢٣**م انتقل إلى جوار ربه، ولم يخلف إلا بنتين والولد المذكور[٢]. وإني مدين بجزيل الشكر لسيدي الأخ الأكبر السيد إبراهيم

---

(١) في سرد التاريخ الإسلامي كان سنياً مع ميل شديد لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

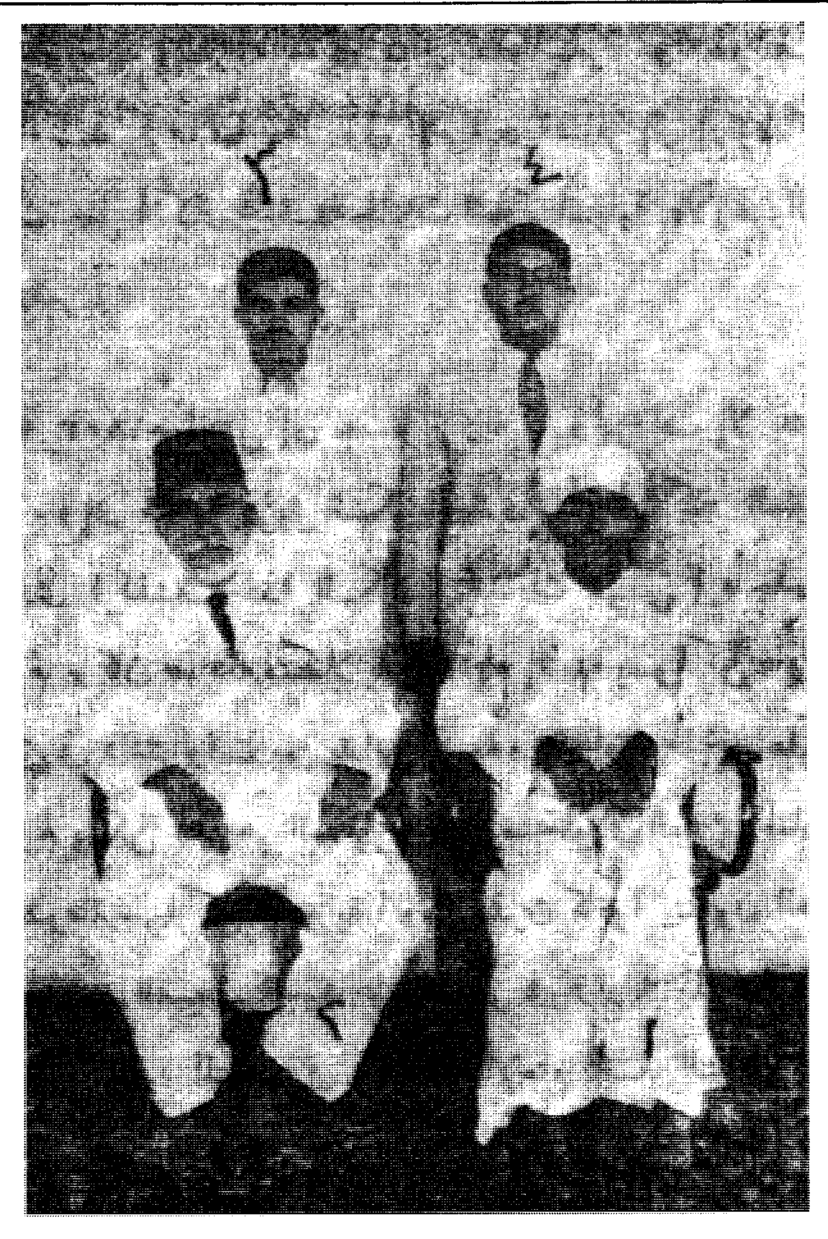
(٢) بحثنا كثيراً عن هذا الولد وكان أخواله يردون علينا أنه بصحة وعافية، وأنه سيحضر قريباً إلى السودان لرؤية أهله واليوم نحن في سنة **١٩٥٦** ولم يحضر.

حَمُو فهو الذي اكتشف هذا الكنز (محمد بك موسى) فأخذت عنه كل ما أخطه اليوم وكان سيادته متصلاً بالبك أيام إقامته بسواكن ولو علم أن في أهل سواكن في ذلك الوقت من يدانيه في علمه وتجاربه لما بخل عليّ بالإرشاد، هذا ولو لم يكن حَمُو هو الكريم المحتد متضلعاً في العلوم والمعارفد وهو من أبكار مدرسة سواكن الأميرية، ومن الذين كانوا يتلقون العلوم الدينية مع سيادته الحسيب النسيب السيد علي الميرغني في زاوية الموسى علي الخليفة أحمد الصافي، الفقيه المتبحر في مذهب الإمام محمد الشافعي، لما أعار موضوعي أي اهتمام. وحمو هذا هو من منشئ غرفة المطالعة الأدبية بسواكن[١] مع إخوانه أمثال السادة إبراهيم رفعت، والبشير الفضل، وأحمد عثمان القاضي، وإبراهيم علي مرزوق، وعلي محمد نور الكابلي، وشاذلي مسرور، وجلال الدين المجذوب، وعبدالله عبدالرحمن، وعبدالرحمن الليثي، وإدريس الحاج الأمين، والطيب حويج، وعوض محمد راشد، ونصر عثمان نصر، وعبدالعزيز صالح عدوي، ومحمد الحسن دياب، ومحمد عثمان طاهر الحسيني، والشيخ عبدالقادر المصري، والشيخ أحمد ياسين، وقد صادفتهم عدة عقبات من مصلحة المخابرات عند إنشائها (الفرقة). وهذه المصلحة كان سيف رقابتها متصلتاً على حَمُو منذ حرب سنة **١٩١٤**م لأنه يجيد التركية وقليلاً من الفارسية مع تضلعه في الإنجليزية والعربية، حتى في حوادث سنة **١٩٢٤**م لم يسلم هو وأصحابه من ذلك، لأنهم أنشأوا صندوقاً لمساعدة أهالي المنكوبين من الوطنيين[٢]. ولن أنسى تلك الأيام التي حاول فيها المفتش تفتيش منازلنا ومكاتبنا، ولكن مدير شركة الأيسترن الحازم المستر ووترفيلد (Water field) أخبر مدير المديرية بأن التفتيش تلويث لسمعة الشركة التي يعملون فيها. فوافقه على إلغاء الأمر.

---

(١) بدأت الفكرة في سنة **١٩٠٩**م تقريباً وقد عارضت مصلحة المخابرات أولاً ثم سمحت أخيراً.

(٢) سمعت بها المخابرات ولم تجد أي وثيقة تثبت إدانة أحد من الجمعية التي انتقل أفرادها إلى جوار ربهم غيره وشخصي الضعيف أمد الله في أيامه السعيدة، ومنها بالعاصمة فضيلة الشيخ أحمد عثمان القاضي والشيخ البشير الفضل والشيخ عبدالله عبدالرحمن والحاج نصر عثمان نصر.



١ ـ السيد الجليل الحسيب النسيب زعيم الختمية بمديرية التاكا السيد محمد عثمان ابن السيد أحمد الميرغني في إحدى زياراته لمدينة بور تسودان سنة ١٩٣٧م.

٢ ـ الحاج الوقور السيد إبراهيم بن محمد علي حمو.

٣ ـ السيد حسن إبراهيم حمو سكرتير مدير الجمارك.

٤ ـ السيد علي إبراهيم حمو مدير مصلحة المرطبات وقد زار أكثر العواصم الأوروبية.

ولنعد الآن إلى صاحب السعادة محمد بك موسى أو كما يسمونه: هُمَّد وَهَدْأَ في إقليم البجة.

❋ ❋ ❋

## علاء الدين باشا والجِمال

تعين محمد علاء الدين باشا حاكماً عاماً على السودان في يوم ٢٠ فبراير سنة ١٨٨٣م في الإدارة الملكية فقط[١]. لما وصل علاء الدين باشا سواكن أرسل عدة برقيات إلى نظار القبائل وأمرهم بأن يستقبلوه في قوز رجب ومع كل منهم آلاف الجمال. فلما وصل إلى بربر ومعه فلول جيش أحمد عرابي باشا سافر منها إلى قوز رجب لاستلام الجمال من النظار. وطلب من محمد بك موسى إبراهيم والشيخ الباشري موسى الباشري (ناظر البشاريين) والشيخ عبدالله أحمد بك أبو سن (شيخ خط عطبرة) أن ينتظروه في قوز رجب. فحضر بنفسه فاستلم من الأول ألف جمل، ومن الثاني سبعمائة، ومن الثالث ألف، ومثلها من وكيل نظارة بني عامر (الشيخ إدريس دقلل حامد)، وخمسمائة من نظارة الأمارأر، أحضرها الشيخ محمود هَسَايْ. وبينما هم مجتمعون ينتظرون صرف قيمة الجمال (قال إبراهيم باشا فوزي في تاريخه: إن الحكمدار صرفها وضمها إلى جيبه) جاءهم نبأ أن الشيخ عثمان أبو بكر دقنة تعين أميراً على عموم شرق السودان (إقليم البجة) من حدود مصر إلى الحبشة، وأنه بارح بربر عن طريق أرباب (عاصمة الأمارأر) ومعه ابنه ممد ومملوكه عبدالله وَدَّل (Waddal) وبعض الأنصار. قال محمد بك موسى: أرى أن يبدأ الباشا بقتال الأمير عثمان دقنة أولاً بدلاً من قتال المهدي البعيد عن الحكومة. فقال له: هل تظن أن أحداً يتبعه من القبائل؟ قلت: نعم، كل الهدندوة يتبعونه وهم شوكة القوم وغالبيتهم لأنه ابن بنتهم ولأهله الدقناب مصاهرة مع سائر القبائل. فقال الباشا: لقد اتفقت مع أهل سوان ومشايخ القبائل بخصوص دعوة المهدي فقالوا لي: إنهم لن

---

(١) أسندت السلطة الحربية للجنرال هكس الإنجليزي.

يصدقوها. فقال له: إنهم مخطئون في قولهم[1] لأن دعوة المهدي هو الجهاد في سبيل الله والحرية والخلاص من الجزية والضرائب وسائر الأحكام المدنية (الغير شرعية)، وهو خطيب مفوه يجيد كل اللهجات البجاوية، وله تأثير على سامعيه، وأول من يلبي دعوته هم العربان الذين يريدون الخلاص من الجزية والضرائب، فقال الباشا: أنا كما أخبرتك أخذت العهود من السواكنيين ولذلك أنا مطمئن من عدم اتباعهم لهم. ثم جاءه بريد من الخرطوم بأن الشكرية جمعوا له في رفاعة نحو أربعة آلاف جمل. وعاد إلى بربر في طريقه إلى الخرطوم وتفرقنا.

بنى علاء الدين باشا حدسه على خطأ، وهذا دأب كل حكام بلاد البجة إذ يدعون أنهم يعرفونها أكثر من بنيها. وحدث جميع ما قاله الناظر محمد بك موسى خصوصاً وأن كثيرين من أهل سواكن خرجوا من سواكن وبايعوه واستشهدوا تحت راية ابنه محمد[2] في تأماي سنة ١٨٨٤م، هذا بخلاف الذين انضموا إلى صفوف الأنصار بعد واقعة سنكات وقباب في سنة ١٨٨٣م.

❀ ❀ ❀

## محمد بك موسى وغوردون باشا

قال الناظر: بعد ولاية غوردون على السودان سنة ١٨٨٤م أرسل إلي برقية تهنئة بالنظارة، ثم أرسل لي خطاباً يذكر فيه بأن أمنع الهدندوة من البيعة[3] أو الانضمام لجيش الأنصار حتى رفع الحصار عن الخرطوم أو

---

(١) قال الناظر: كان معه أحد الشبان السواكنيين واسمه السيد عثمان الليثي يترجم له كلامي بالتركية وأحياناً بالفرنسية، وهو ذكي ونبيه جداً، وأصبح سكرتيراً خاصاً له. وقد قتل معه في واقعة شيكان، وبسبب قتله تقاتل السواكنيون مع قاتليه لأنه مات وهو يقول: أنا سواكني وأخذوا بثأره منهم.

(٢) والدته هي بنت السيد عبدالغفار الضوي سر تجار بربر.

(٣) كان لفظ البيعة هكذا: بايعت نفسي ومالي لله. وسمعت بأذني ورأيت بعيني رأس كل الذين بايعوا وثبتوا على عهدهم وميثاقهم هم وذريتهم الباقون، والذين نكثوا البيعة والعهد أصبحوا أثراً بعد عين لا ترى إلا مساكنهم، وماتوا بأيدي من عاهدوا.

سقوطها. فجاءني مصطفى علي هَدَل في فِلِّك وقال لي: إنه تلقى جواباً من الإمام المهدي بالإمارة على كسلا ومحاربة جنود الحكومة أينما كانوا، وليك منهم في فِلْك خورشيد آغا السنجق التركي وثلثمائة جندي، وكذلك دياب آغا ومعه بلوك سوداني. فقلت له: لن أسلمك إياهم. فذهب بجيشه إلى حصار كسلا[1] وأنا طلبت من خورشيد آغا أن يذهب بجنوده إلى كسلا، فرفض رفضاً باتاً. وأما دياب آغا فإنه أطاعني وذهب إلى كسلا. وكان السيد محمد عثمان الميرغني قد بارح كسلا إلى دقة دقلل (عاصمة بني عامر) وجاءت تعليمات من الأمير عثمان دقنة إلى محمد بك موسى كي يحضر إليه في (تسَلْها) (سلبات) (Tisalha). وجاء معه لأمير بلال الأمين، والخليفة أحمد طه، والأمير الحسن ابن حاشي، وأحمد عركي، وأحمد كشة سليمان أبو طالب، ومحمود الحاج[2] وأقاموا أربعة أشهر سمعوا في أثنائها بقتل مصطفى لقبيلة المَلْهِيتْكِناب. فاستاء الأمير عثمان دقنة من عمله وأرسل إليه خطاباً شديد اللهجة. فاعتذر مصطفى للأمير وطلب العفو وادعى بأنهم كانوا يطعنون في المهدية ويتهكمون عليه وعلى جيشه بأشعار عربية وبجاوية كثيرة جداً يحفظها حتى وليدهم. والملهيتكناب أشد قبائل إقليم البجة مراساً وأقواهم شكيمة، فإذا خاصموا يمعنون في العداوة. وحقيقة إن جيش الأمير مصطفى عانى منهم مصائب لا حد لها، وقد قتلوا أخاه وأبناء عمومته من الأرتيقة أشنع قتلة وسنبين ذلك في محله.



## محمد بك موسى في مصر

في سنة ١٣١٠هـ سافر محمد بك موسى وأخوه إبراهيم بك من سواكن إلى مصر وتشرفا بمقابلة سمو الخديوي محمد توفيق باشا في رأس

---

(١) نزل في آبار الجمام.

(٢) سمع الأمير بأن هؤلاء اجتمعوا بالسيد محمد عثمان الميرغني وخشي أن يكون قد أثر عليهم ولذلك أبقاهم عنده رهينة تحت يديه.

التين بالإسكندرية وأكرمهما جداً، وأمر بإنزالهما في المسافر خانة (دار الضيافة) حيث كان ينزل والدهما. وعين لكل منهما مرتباً شهرياً. وبعد ستة شهور عادا إلى سواكن وقد تم فتح مدينة توكر. وكان قلم المخابرات في سواكن لا يرحم رفيعاً أو وضيعاً بل كان سيفه مصلتا على رقاب الأحرار. فلفقت وشاية ضد محمد بك موسى[1]، وأخيه أحمد بك الذي اتهم بأنه يرسل الذرة من سواكن إلى الأمير عثمان دقنة في أدارْأمَة بنهر عطبرة. وكذلك اعتقل الشيخ أبو آمنة أرتيقة والشريف أحمد محمد السواكني. وبدئ أولاً بإرسال محمد بك إلى رواية[2]، (محمد قول)، فأقام بها ثمانية شهور مكرماً ومحترماً عند مأمورها (أمين أفندي قباني) وباشكاتبها (السيد حسن عبود). ثم جاءت التعليمات بنقله إلى حلايب[3]، ومكث بها أربعة عشر شهراً ولحقهُ بها الثلاثة المذكورون آنفاً. ثم تغير المحافظ وخلفه لُويدْ باشا الذي زار حَلايِبْ واجتمع بهم وسألهم عن أسباب الاعتقال، فأجابه محمد بك إنها وشايات دبرت في الخفاء ضدنا فأصبحنا ضحاياها[4]، فقال لهم لويد باشا بأن حالة الحرب اقتضت ذلك وسيصلكم مني العفو بعد عودتي إلى سواكن. وكان محمد بك يتقاضى شهرياً أربعة جنيهات وشوالين من الذرة وقوصرة (عدة) من العجوة وأربعة رأس سكر وعشر أقة أرز وخمسة أرطال من البن ونصف هذا المقدار لكل من أصحابه.

وفي أحد الأيام وصلت سفينة شراعية (سنبوك) من سواكن لإحضارهم فلما فتح الخطاب لم يجدوا فيه اسم محمد بك موسى مع أنه تسلم جواباً خاصاً من إدريس بك محمد[5]، أمين جمرك سواكن يهنئه بالعفو وسرعة

---

(١) كان هولد أسميث باشا (محافظ سواكن) يصدق كل وشاية تصله ضد الأهالي.
(٢) على بعد مائة ميل من بورتسودان.
(٣) تبعد حلايب عن بورتسودان مائتي ميل شمالاً.
(٤) كل أهل سواكن أجمعوا على أن كل هذه المكايد من فعل رجل شرير جداً اسمه زهرة (جهرة) قبض عليه الطليان في حدود إرتريا فأذاقوه عذاباً أليماً، ثم سجنوه في عصب حتى انهارت صحته وهرب إلى الحبشة، وعاد منها إلى سواكن عليلاً فمات.
(٥) هو خال كاتب هذه الأحرف.

الإياب إلى سواكن. وفي إحدى الأمسيات بعد سفر السنبوك اعترف نعوم بك شقير[1] بأنه حذف اسم محمد بك من خطاب العفو. فما كان من إدريس بك إلا أن أخبر المحافظ الذي أمر نائبه (محمد بك إبراهيم) أن يكتب جواباً سريعاً ويرسله مع الباخرة «مخبر» فعاد قبل السنبوك.

❋ ❋ ❋

## وَهَذَا محمد بن موسى

بينما كانت قافلة هدندوية من الجمال محملة بالملح من سواحل البحر الأحمر في طريقها إلى ديارها شاهدتها عصابة من قبيلة سَبْدرات في جهة تَفْتَهايْ (Taftahai) وقتلت بعض رجالها وغنمت كل جمالها وما حملته. فبلغ الخبر الشيخ محمد، فنادى الشجعان وضرب النحاس لأخذ الثأر. فلما أتم استعداداته أمرهم بغزو سبدرات التي كان فيها الشريف حسب الله شريف والشيخ ملاسي[2] ورؤساؤها الدينيون. فلما سمع هؤلاء الزعماء الدينيون بقدوم الشيخ محمد للقتال ذهبوا إليه فاستقبلهم بما يليق بمركزهم الديني، فاعترفوا بخطأ سبدرات، وتعهدوا بدفع دية القتلى وتعويض عن الملح وإعادة الجمال. فأبى الشيخ محمد وقال: إن هذا غزو من مفسدين في الأرض ولذلك يجب أن يكون الحكم فيه للسيف. فقالوا له: نحن مستعدون لجعلها إتاوة سنوية، فرفض، فأرسلوا سراً مندوباً من قبلهم إلى الشيخ أبو طاهر السَّمَرَيْدِوَابي كي يحضر ويتوسط بين الفريقين قبل القتال. فحضر أبو طاهر وطلب من الشيخ محمد الناظر قبول كل ما عرض عليه. فأجابه: يا شيخ أبو طاهر عد إلى مكانك وإلا ألقيت القبض عليك وضممتك إلى المقاتلين، فتبسم الشيخ أبو طاهر وقال له أنا ليس لي شأن في الدفاع عن سبدرات، ولكن أخشى أن تكون أنت وأخوك عمر وآخرون صرعى في الميدان. وقام غضبان منه. فعاد المصلحون إلى قومهم وقال

---

(١) كان رئيساً لقلم المخابرات.

(٢) ولده من فقهاء الحلنقة ووالدته وزوجه من سبدرات (ماريا وهم أمويون).

لهم الشيخ ملاسي: إن الشيخ محمد وعصابته لن ينتصروا عليكم لأنه كسر بخاطر شيخه وزعيم قبيلته الديني ورفض كل صلح عرضناه عليه، فاهجموا عليهم لأنكم لا محالة منصورون. فقام رجال سبدرات قومة رجل واحد والتحم الفريقان بالسيوف والحراب، وتقدم الشيخ محمد الصفوف على ظهر حصانه الذي قتله فارس سبدرات فنزل الشيخ محمد وجلس على فروته ورجاله حوله يدافعون عنه بحماس شديد حتى قتل. فانفضوا عنه وتقهقروا. فقال لهم الشيخ أبو طاهر: كروا عليهم عسى الله أن ينصركم. فكروا واستبسلوا. فجاء الشيخ ملاسي والشريف حسب الله إلى الشيخ أبو طاهر واستعطفوا خاطره وطلبوا منه إيقاف رحى القتال، فنادى أبو طاهر بالأمان والسلام. فوقف كل من الفريقين في محله وأمرهم بدفن القتلى(١). وعودة كل منهم إلى دياره.

وقد خلف الناظر محمد ابنه: محمد دين المشهور بحربه للاستعمار التركي ولم يكن من دأبه السلم وعيش الراحة إذ حال ولايته النظارة قرر غزو القبائل الساكنة حول نهر عطبرة وأقلق راتها بكثرة عصاباته. فتارة يغزو الكواهلة وأخرى المسلمية الذين كانوا يسكنون ضفاف شرق الأتبراوي حتى اضطروا لإخلائه إلى الضفة الغربية.



## (قتاله لقبائل بني عامر)

أرسل الشيخ محمد موسى إنذاراً إلى دقلل حامد أود (عوض) كي يستعد لقتاله فاستعد كل منهما ولما بقيا على الزحف تداخل بين الفريين الزعيمان الدينيان للقبيلتين وهما الشريف محمد أحمد القايدابي (بني عامر) والسيد محمد دين بن مسعود بن أبو طاهر (هدندوة) واستعملا نفوذهما وحالا دون القتال.

---

(١) دفنوا بوادي أريديب بقرب أودية، وكفن كل قتيل في جلد بقرة ذبحت لهذا الغرض. قال محمد بك إن مثل هذه الجثث لا تبلى أبداً.

ولكن دقلل حامد قال: أنا لا أطمئن للشيخ محمد فإما أن يصاهرني أو أصاهره فتزوج دقلل بخديجة بنت محمد فانقضت أيامهما مع بعض بسلام.

ضرب الربابة أو العود الوطني ذو الأوتار الخمسة يقال له بالبجاوية: بَاسِنْكُوبْ، وبالبني عامرية: سنقو، وتعريبها الربابة. ولكل قبيلة خبراء نابغون في الضرب والتأثير بالنغمات على المستمعين أشهرهم رجل ملهيتكنابي اسمه قَلَابْ أَيي (Galab-aye) وتعريبها مغلول اليد لأن أصابع يده كانت مقطوعة. وكان يضرب على عوده ولا يتعب، وترتاح الرجال والنساء لنغماته. وكان شغلاً شاغلاً لهم الليل كله. وذاع صيته واخترع لنفسه أوتاراً خاصة يتخللها غزل رقيق لا تمجه آذان الرجال والنساء، فعندما يحين الغروب يأتي إلى آبار متاتيب ليملأ أحواض أبقاره فيتولاها السمار وهو لا ينفك عن إسماعهم أغانيه الشجية ونغماته المنعشة. فشعر بعض رجال القرية بخلوها من الشبان والشابات، وعلموا أنهم مجتمعون بقلاب أيي، فقتلوه. وسرق أحد شبان الهدندوة نغمة من نغماته دلت أهله أن قاتليه من الهدندوة، فأخذوا منهم الدية. ولم يبق إلا القليل من أوتاره لا يزال مستعملاً في جهة أرتيقه بأغردت ـ سمعته من أولاد بيرق العجيلابي.

أرسل الشيخ محمد بن موسى ناظر الهدندوة إلى صهره دقلل حامد عوض رسولاً يطلب منه أن يقابله في جهة تَلْكوك (Talkouk) ويحضر معه أشهر ما عنده من الرجال في ضرب الربابة لأنه يريد أن يعمل مباراة في إجادة الضرب بين الهدندوة وبني عامر على شرط أن تأخذ القبيلة الفائزة من المنهزمة: أحد عشر حصاناً وخمسين ناقة للأكل، ومثلها للتربية وخمسين جمل حملة، وألف ضأن ومثلها من الماعز، على أن يكون الاجتماع في المحل المذكور بعد ستة شهور. فلما تم الميعاد حضر كل منهما برجاله[1] ووضعوا مقاعد العوادين فوق الأشجار حتى لا يحرم أحد من المشاهدة. واستمروا في الضرب ثمانية أيام بلياليها. ثم حكمت هيئة التحكيم بأن الفوز

---

(١) يقول محمد بك موسى: إن دقلل حامد استنجد بالحباب وهم أشهر الناس في ضرب الربابة.

لرجال بني عامر. واعترف الشيخ محمد بن موسى بالغلب ودفع الرهان، ولكنه طلب رجال من حامد عوض أن يمهله حتى يطلب إحضاء رجل غائب سمع أنه مشهور بالضرب على الأوتار لتجربته. فوافق حامد عوض فأرسل وَهَدْأَ محمد في إحضاره واسمه - حمد سئياي - يسكن بقوز رجب. فحضر بعد يومين وكان أخوه آدم سئياي (أعور الشمال) مع المتفرجين قعد على جبل أربقدور (Arbagadour) وقال: إني أشاهد أخي حامد جارياً قد مر على آبار متاتيب متجهاً نحونا[1]. فوصل حامد سئياي إلى تلكوك بعد ثلاثة أيام، فاستأنفوا الضرب في اليوم الثالث، واستمر نحو أسبوعين وفي اليوم الأخير كانت الناس تسمع نغمة حامد سئياي في كل أنحاء المجتمعين حتى أصبح الصباح. فاختفى عن أعين الناس إلى يومنا هذا ولم يعرف له أثر.



**ترى!!**

**ماذا تذكر هذا البجاوي المطرب حتى قذف بحربته وعصاه وتخلف عن مواشيه وتناول قيثارته من كتفه وجلس على الأرض ووضع أنامله على أوتار ربابته وتناول ريشته وسبح في خيال نغمات شجية حبيبة إلى نفسه وروحه وما أشبهه بصاحبنا «قلّاب».**

(١) بين القوز وأربقدور مسيرة ثلاثة أيام بالجمل.



١ ـ الشيخ عمر على تيته زعيم الشرعاب سنة ١٩٢٨.
٢ ـ موسى إبراهيم بك موسى.
للأول مواقف مشهورة في الجهاد.

## الناظر محمد بك موسى

بعد انتهاء المهدية وعودته من النفي (في حلايب) عاد إلى سواكن ومنها إلى كسلا حيث تولَّى منصب نظارة الهدندوة، والتفت جميع العموديات تحت رئاسته حتى كانت سنة **١٩٠٣**م، فطلب منه مدير كسلا حصر مواشي القبيلة بدقة وتقدير الجزية على آخر إحصائية عشرة قروش على الناقة، وخمسة قروش على البقرة، وثلاثة على الحمار. وقرشين على النعجة، وقرش على الغنمة. فقال: إن البجة عموماً والهدندوة خصوصاً يتشائمون بالحصر ويفضلون عليه وضع أي مبلغ كبير أو صغير عليهم بدلاً من الحصر. وقد كانت تسمى في المهدية تَمْنُهُوبْ (Tamnohoub) أي العشر (واحد في كل عشرة للزكاة) وقد ألغاه الأمير عثمان دقنة لما شاهدهم يفرون بمواشيهم من الإحصاء. فصمم المدير على رأيه واستقال محمد بك من النظارة وعرف كل النظار أسباب الاستقالة. ورفضوا الإحصاء.

توفي الشيخ محمد موسى في سنة **١٩٣٣**م في قريته القديمة بقرب مدينة وَقَرْ وتسمى إيلابِلِّي.



## حوادث المهدية في كسلا

قبل تسليم الخاتمية طلب الأمير مصطفى علي هدل مقابلة السيد البكري ليطلعه على حقيقة قرار الأمير عوض الكريم كافوت في حالة تسليم الخاتمية، فطرده الخلفاء وقالوا له: إن السيد لا يريد أن يراك. فعاد أدراجه[١] ورحل بجيشه من حصار الخاتمية إذ تيقن أنها على وشك التسليم[٢].

(١) قيل: إنه قال للخلفاء: أنصحكم أن تهربوا بالسيد قبل التسليم لأن القوم مبيتون أمراً لا يسركم.

(٢) لما اجتمع الأمراء بالسيد بكري في شروط التسليم (وكان يسير أمامه عبده ـ إبراهيم زيد ـ مسلحاً، استقبلهم الأمير عوض الكريم غضبان ومعه ابن أخته حميدة أبو شلوخ الجعلي والشرر يتطاير من عينيه.

بعد انتهاء المهدية وانتشار الحكم الثنائي بالسودان زار السيد جعفر الميرغني كسلا. فوجد أحد آل كافوت خليفة فهجم عليه وقال: هذا سافك دم أبي لن أتركه. ودارت بينهما معركة هرب بعدها الكافوتي من كسلا.

وذكر أن الأمير عوض الكريم أراد الحج فجاء إلى سواكن سنة ١٩٠٣م، فعلم به محمد بك أحمد قومندان البوليس فلم يعثر عليه. أما هو فقد لجأ إلى سموأَل سواكن الحاج إبراهيم محمد حَمُو، فأركبه الباخرة. وسمع محمد بك بعد سفره، فعاتب السيد حمو فرد عليه: عفا الله عما مضى يابك. والله لو قتل أبي ولجأ إلى لحميته. والحمد لله انتهى كل شيء بسلام ـ فقال إليك سأنتظر عودته، فقال له حمو: إنه سيعود عن طريق مصر ولكنه عاد عن طريق سواكن وسافر مع قافلة الحجاج إلى بربر من غير أن يعثر عليه.

❋ ❋ ❋

## الشيخ أحمد بن موسى بك سنة ١٩٠٣

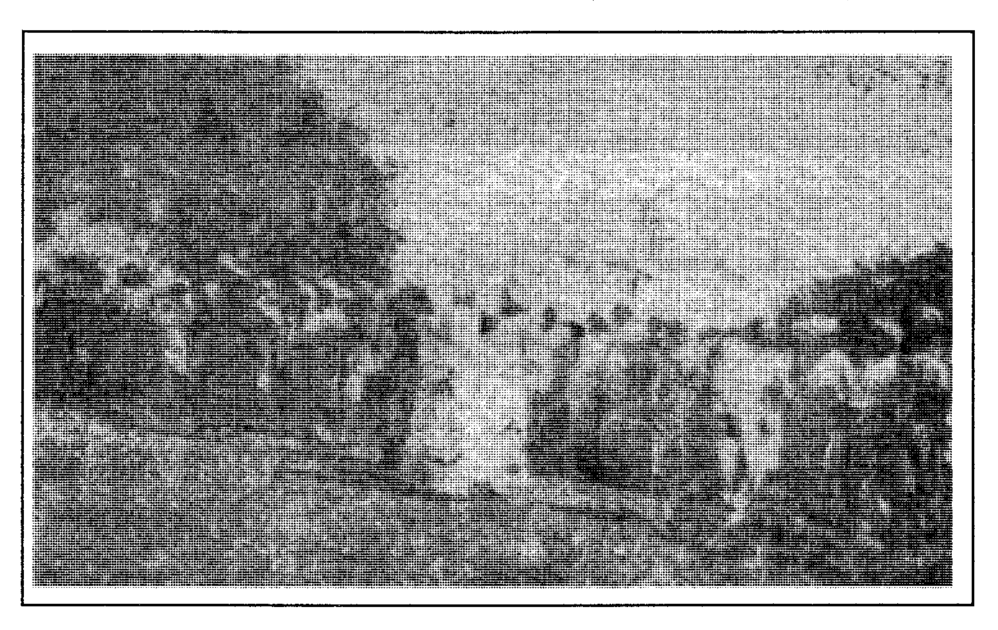
تولَّى نظارة الهدندوة بعد استقالة أخيه محمد بك واشترط أن لا يطلب منه الحصر أو الإحصاء وبدأ في دفع الضرائب القديمة.

ومما يؤثر عن الشيخ أحمد أنه عقب فتح المصريين والإنجليز لتوكر سنة ١٨٩١ عينه محافظ سواكن (هولد اسمث باشا) عميداً لعموم الهدندوة، فاستعمل سلطة منصبه وأعاد إلى كل الأنصار أراضيهم الزراعية ومنازلهم، بل وكل ممتلكاتهم خصوصاً للمجاذيب والدقناب. فلم ترق أعماله هذه لدى خصومه الطائفيين ووشوا به لدى المحافظ، فلم يأبه بأقوالهم. ولكنهم ادعوا أخيراً أنه كان يرسل قوافل الأغذية من عجوة وأرز والملابس مثل الدبلان والدمورية[١]... إلخ، إلى الأمير عثمان أبو بكر

(١) منحت الحكومة الشيخ أحمد مرتباً شهرياً قدره خمسة عشر جنيهاً كان يشتري بها هذه الأشياء ويرسلها للأمير مع أناس أمناء.

دقنة بمعسكره في نهر عطبرة بمدينة أدَارْأَمة، وكان هذا من أسباب اعتقاله في حلايب.

ولما أفرج عنه، رحل إلى كسلا ثم أصيب بحمى ألزمته الفراش عدة شهور توفي بسببها سنة **١٩٠٥**م.



**إحدى جميعات الهدندوة:**

١ ـ الناظر ترك ومعه المفتشان يسمعون لشكوى أرملة تطالب بحقوقها الزراعية.

٢ ـ الشيخ القدال سعيد القدال.

٣ ـ رجب أفندي عبدالله السواكني باشكاتب نظارة الهدندوة.

٤ ـ الشيخ عمر حسيب عمر شيخ خط الحدود بين الهدندوة وبني عامر.



**لفيف من أبناء الهدندوة يستمعون إلى ضرب النحاس في يوم الاحتفال بزواج الشيخ محمد حسيب بابنة الناظر السابق محمد بك موسى وكنت حاضراً في إِيلابِلِّي سنة ١٩٢٣.**

السادة:

١ ـ محمد أحمد موسى بك.

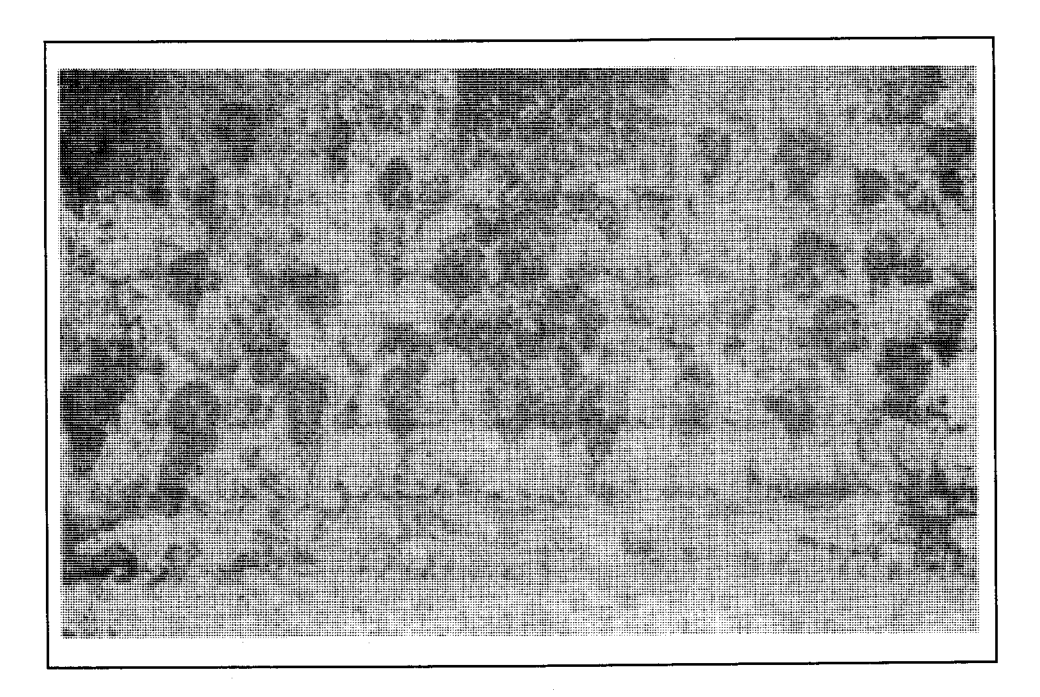
٢ ـ عمر حسيب عمر.

٣ ـ موسى إبراهيم بك موسى.

٤ ـ محمد حسيب.

٥ ـ محمد شنقولي.

٦ ـ أبو مدينة حامد.



في سنة ١٩٢٨ فتحت أول مدرسة أولية بالقاش.

١ ـ الشيخ حسن أبو درق (الناظر).

٢ ـ الشيخ عثمان محمود وهاج (المدرس).

٣ ـ موسى إبراهيم بك موسى.

٤ ـ أبو فاطمة باكاش.

٥ ـ أحمد حسيب.

٦ ـ محمود وهاج.

٧ ـ وهاج حامد وهاج.

كان مقرراً قفل هذه المدرسة ولكن بعد نشر هذه الصورة في صحيفة حضارة السودان سنة ١٩٣٣م، تقرر الإبقاء عليها. وهي أول مدرسة أولية فتحت في القاش بهمة الشيخ عثمان محمد بلية والشيخ حسن أبو درق، واليوم يتولّى خريجوها زمام زراعة أراضي القاش الخصبة.

# إبراهيم بك موسى

حال توليه نظارة الهدندوة أعاد إليهما السلم وحسن الجوار، وحافظ على جميع حقوقها وتقاليدها الأدبية والاجتماعية خصوصاً أراضي القاش التي أثبت ملكيتها لقبيلته. وبعد مداولات بينه وبين أعضاء الشركة تنازل عن ٢٥٪ خمس وعشرين في المائة للقبائل الأخرى وبالشراكة (الزراعة بالنصف لمن أراد من البجة). وتسجلت هذه القسمة في عدة عقود لمشروع دلتا القاش. وكان الناظر حاضراً يوم حدثت المشاجرة بين المستر فلمنج (Fleming) والشيخ محمد محمد الأمين تِرِك سنة ١٩١٩ الذي لم يكن ناظراً. فلكز الأول الثاني بعصاه. فانتضى الأخير سيفه، ولكن فلمنج فر بجواده إلى كسلا والهدندوة يطاردونه حتى لجأ إلى منزل السيد أحمد الميرغني ودخله مستجيراً تاركاً حصانه خارج الدار. فأدخل على السيد لإجارته. ووصل الهدندوة إلى الختمية منتظرين خروجه. فأرسل السيد في طلب الشيخ محمد الأمين ترك وطلب منه أن يصفح عن المستجير الإنجليزي. فكان تِرِك كعادته شهماً كريماً وصفوحاً عظيماً خصوصاً عند قدرته. وخرج إلى أهله ووصف لهم معنى الإجارة ومكانة المستجير عند العرب، ولذلك فإنه صفح عن خصمه لاستجارته بسيد الختمية السيد أحمد الميرغني، وأمرهم بالتفرق. ومنذ ذلك التاريخ يرى ترك أن دمه سفك في القاش كما سفك دم موسى بك إبراهيم الناظر السابق أيام الحكمدار السابق جعفر باشا صادق. وفي أيام الناظر إبراهيم وصلت سكة حديد سواكن - كسلا سنة ١٩٢٤، وكان التعاون مفقوداً بينه وبين مفتش البجة (السير) دوجلاس نيوبولد لعدة أسباب اجتماعية كان يرى فيها أن لا يتقدمه أحد من النظار عند الدخول للتشريفات إلا ناظر الشكرية حسب الأصول. ولكن إنعام ملك الإنجليز على السيد علي التوم (ناظر الكبابيش) برتبة «سير» جعلته يتقدمهما. فاعتذر عن كل الحفلات. وهو أول ناظر جمع كلمة البجة ووضع لبنتها التي تنفذت في عصر الناظر تِرِكْ.

وكانت أيامه كلها زاهرة حتى سنة ١٩١٧، ظهر فيها رجل فَلّاتي يقال

له: سانبو (Sanbo) ادعى أنه نبي الله عيسى. وبدأ في الطواف سنين بأراضي الهدندوة استعمل أثناءها طرق الشعوذة والطلاسم على أعين الملتفين حوله. فكان يريهم الخيل عليها الفرسان والأنصار وهم يسيرون صفوفاً متراصة بأيديهم السيوف والرماح، ويقول لهم: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. **وكان يدخل مدينة كسلا ويطوف بمكاتبها وأسواق ومكان جنودها وقشلاقاتهم. فتقدم ضده الناظر إبراهيم بك المذكور طالباً من المدير إلقاء القبض عليه. فرد عليه المستر ليل** (Lyll) البريطاني أنت تكره هذا الرجل لأنه يدعي أنه عيسى، ولو قال محمد لما شكوت منه. فيجيبه سترى ما يأتيك به صاحبك عيسى.

وفي اليوم الموعود زحف عيسى بجنوده من الهدندوة والفلاتة إلى كسلا، وزحفت فرقة إلى قشلاق المصريين، وأخرى إلى أورطة العرب الشرقية، ووقع الصدام عند منتصف الليل، وأطلقت النيران وأخرجت السيوف من أغمادها، وكذلك الحراب والخناجر، وارتاع الأهالي وكثر الصياح والعويل واختلط الحابل بالنابل، وكل رجل يطعن من بجانبه حتى أصبح الصباح وأشلاء الفريقين مبعثرة هنا وهناك، وهرب سانبو (نبي الله عيسى)[١] فتعقبه الضابط إبراهيم أسمرة من الشرقية ومعه إثنا عشر جندياً وطنياً وأطلقوا عليهم النيران حتى قضوا عليهم عن آخرهم.

وأصدر المدير أمره بقبض كل هدندوي ولكن قوة حجة إبراهيم بك جعلته ينتصر عليه وأطلق سراح الهدندوة والفلانة.

---

(١) كان معه خمسة عشر شخصاً.

زعماء السودان سنة ١٩٢٣

١ ـ الفيلد مارشال اللورد اللنبي نائب ملك بريطانيا بالسودان ومصر.

٢ ـ السيد علي الميرغني.

٣ ـ الإمام عبدالرحمن المهدي.

٤ ـ الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم.

٦ ـ الشيخ إدريس هباني.

٨ ـ صمويل بك عطية.

٩ ـ جاكسون باشا.

١٠ ـ الشريف الهندي.

١١ ـ الشيخ الطيب أحمد هاشم.

١٢ ـ السيد إسماعيل الأزهري.

١٣ ـ إبراهيم بك موسى (ناظر الهدندوة).

١٤ ـ الشيخ علي التوم.

١٩ ـ السيد الحسن البدري وكيل ناظر الهدندوة.

٢٠ ـ محمود بك عثمان أرتيقة عمدة سواكن.

٢٥ ـ الشيخ إدريس صالح ناظر بني عامر.

٢٨ ـ الشيخ أحمد محمد محمود هساي ناظر الأمَّارْأر.

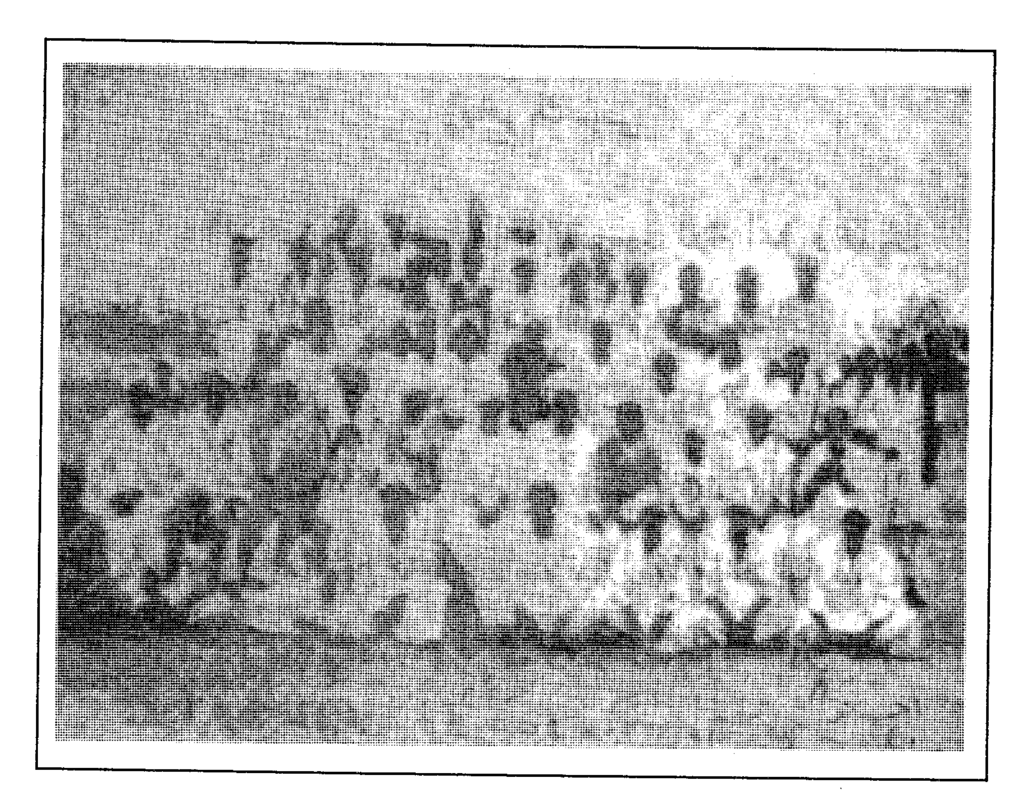
٣٣ ـ أحمد حسن عبدالمنعم بك.

٣٤ ـ الشيخ محمد أحمد سوار الذهب.

(٥) بامكار محمد عبدالله.
(٦) محمد عثمان عيسى هلال.
(٧) أبو علي شيك صبري.
(٨) عمر شنعاب.
(٩) عثمان حسين.
(١٠) محمد الأمين.
(١١) أحمد علي حسن.
(١٢) أحمد علي ضرار.
(١٣) حامد علي شيك صبري.
(١٤) علي طالب عيسى.
(١٥) محمد سيت بامكار.
(١٦) موسى أشبادين.
(١٧) أوشيك أدروب.
(١٨) أحمد محمد حسن.
(١٩) محمد طاهر أبو حوة.
(٢٠) علي موسى.
(٢١) الحاج الأمين الحاج.
(٢٢) أحمد أوكير.
(٢٣) أحمد فقراي.
(٢٤) علي عادلي.
(٢٥) أحمد عادلي.
(٢٦) أبو موسى علي محمد.
(٢٧) عبدالقادر بابكر.
(٢٨) عمر شنقولي.
(٢٩) حامد علي.
(٣٠) آدم هميتروب.
(٣١) محمد ماقيت موسى.
(٣٢) محمد حسن إبراهيم.
(٣٤) عبدالله محمد أحمد.
(٣٤) محمو أحمد إيرا.
(٣٥) محمد آدم موسى.
(٣٦) محمد بدري.
(٣٧) آدم صديق الأمين.
(٣٨) محمد عيد البشاري.

## إبراهيم بك موسى

وكانت ذرية موسى بك قليلة إذا لم يخلف سوى ثلاثة أنجال هم محمد بك (لم يعقب ذكراً) وأحمد بك تِرِك ولداً واحداً هو محمد أحمد، وإبراهيم بك وله ثلاثة أنجال كانوا صغاراً جداً يوم زرتهم في إيلابِلِّي. وعندما توفي إبراهيم بك سنة **١٩٣٠**م تقريباً لم يكن من بينهم من يصلح للنظارة غير ابن عمومتهم (الناظر) الشيخ محمد محمد الأمين تِرِك، وقد استشار المستر نيويولد محمد بك موسى وأخاه إبراهيم بك عن أقرب الناس إليهم ليسند إليه النظارة فأشارا بالناظر الحالي الشيخ تِرِك وذلك في سنة **١٩٢٧**م الذي ضم تحت لواء نظارته كل القبائل التي ترعى بأراضي الهدندوة مثل الملهيتكِنَاب والسيقولاب والأرتيقة والأشراف والشئياب والكميلاب الذين استوطنوا القاش.



**احتفال أعضاء نادي البجة تيمناً بزيارة ناظر الهدندوة الحديث:**

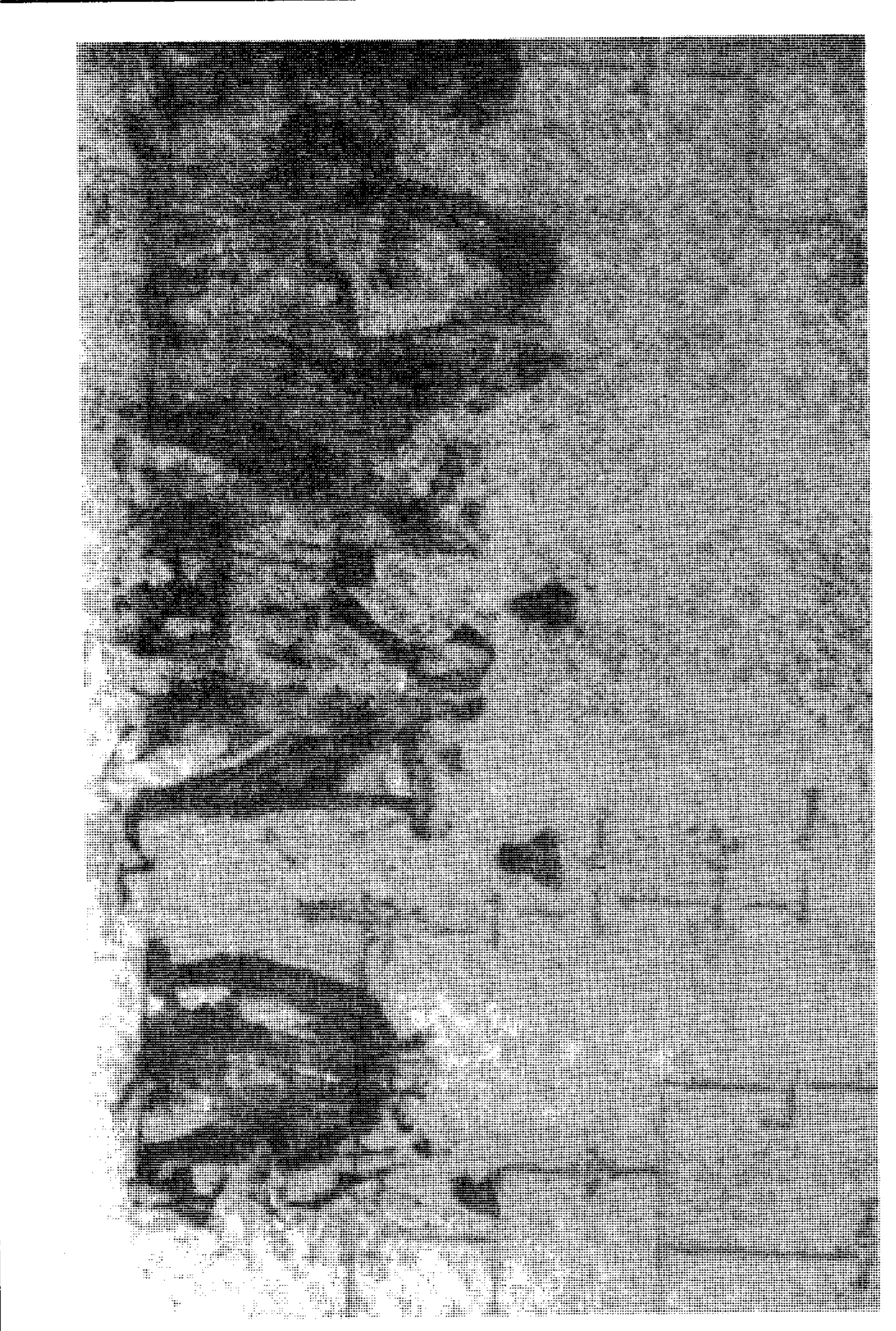
١ ـ الشيخ محمد الأمين ترك.

٢ ـ محمد صالح ضرار مؤرخ قبائل البجة.

٣ ـ السيد أحمد عادلي رئيس نادي البجة.

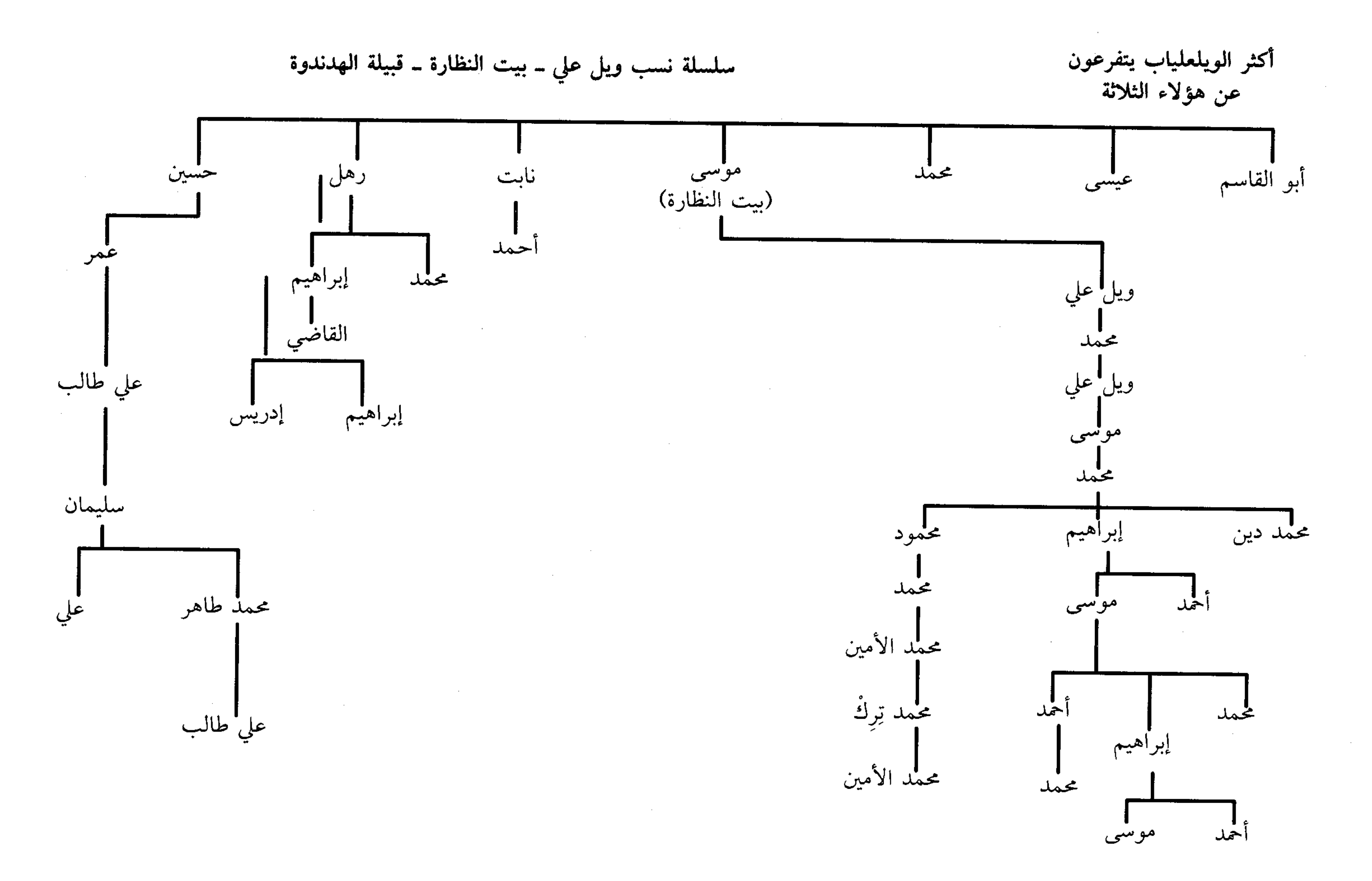
٤ ـ النطاسي الدكتور طه عثمان بلية[1] رئيس مؤتمر البجة فهو زين الشباب الذي جمع أبناء مماللق (نظارات البجة تحت علم واحد ـ جمهورية السودان ـ وهو ما عجز عنه من تقدموه. ففي الصورة لفيف من نظارات الأمارأر وبني عامر وبشاريين وحلنقة وهدندوة.

(١) انتقل المذكور إلى جوار ربه يوم ١٩٦٠/٨/١٨ بلندن وحمل جثمانه الطاهر إلى الثغر فدفن يوم ١٩٦٠/٨/٢٠ بمقابر الثغر ولم يتخلف عن تشييع جنازته أحد فهو زين الشباب والوطني المخلص.



قدوم العريس (محمد حسيب عمر) بقرية إيلابلي شرق أراضي قاش الهدندوة سنة ١٩٣٣م.
وقد كنت ضيفاً عند والد العروس محمد بك موسى إبراهيم ناظر الهدندوة سابقاً.

## سلسلة نسب ويل علي ـ بيت النظارة ـ قبيلة الهدندوة



## السِّيقولاب

هم إحدى القبائل البكرية التي عبرت من الحجاز إلى السودان عن طريق مصر وسواكن مع أبناء عمومتهم الملهيتكناب. وينقسمون إلى رهطين هما: الخليلاب والضراراب، وهم ذرية الشيخ محمد بن مرعي[1]، تزوج من أرتيقة القاش، ورزق منها ولداً أسماه «ضرار»، وتزوج من السيقولاب أيضاً ورزق ولداً سماه «جليل».

والشيخ مرعي مدفون على نهر سيتيت «أترب كروف». وله ابن اسمه محمد مدفون بالقاش في تَهَمْبَيْ Tahampai.

وجمهور السيقولاب ينتهي نسبهم إلى عبدالله[2] بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق أو إلى أخيه محمد بن عبدالرحمن. ومحمد هذا رأى النبي ﷺ هو وأبوه وجده وجد أبيه، ولا يعلم أربعة رأوا النبي ﷺ على هذه الصفة غيرهم. وفي بني عامر تجد الكثيرين من السيقولاب اندمجوا في بني طلحة بن عبدالله ويقال لهم: ذرية عوض وقريش[3]، وهم أكثر قبائل إقليم البجة محافظة على أنسابهم، وأكثرهم ألفة وعطفاً على بعضهم البعض. والسيقولاب ربما اشتركوا في جميع حوادث الدفاع عن التاكا ضد الحكم التركي حين أراد أحمد باشا أبو ودان فتح التاكا وفي المهدية أيضاً. وفي سنة ١٩٢٨م انضموا تحت نظارة الهدندوة، وعميدهم اليوم الشيخ محمد صالح جيلاني وهو مخلص جداً للناظر محمد الأمين ترك.

ويعتنون بالزراعة وتربية المواشي، واليوم هم مثل الملهيتكناب يفخزون بمصاهرة الحسيب النسيب صاحب السيادة السيد محمد عثمان (أبا السيد

---

(١) أمه من حمران الأرتيقة.

(٢) يسمى ولده طلحة.

(٣) سنوضح القبائل البكرية الباقية في بني عامر، ولبعضها نظارات كبيرة مثل بيت عوض وكربكناب وقمود.

أحمد) ابن السيد أحمد الميرغني. وحقيقة أننا مباهون بمصاهرة ابن المصطفى ﷺ ونؤمل خيراً كثيراً في السيد أحمد الصغير الكبير حتى يكون كجده[١]، رب السيف والقلم صاحب الصارم المسلول الذي قال فيه ﷺ: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها**». ومنذ الحكم التركي اندمج الملهيتكناب في السيقولاب أخيراً، ولذلك أصبحوا جميعهم بَكْرِيِّين صديقيين بزعيمهم الديني الشيخ موسى الحسن ابن الفقيه حفظه الله (خال السيد أحمد).

❋ ❋ ❋

## مَلْهِيتْكِنَاب MALHEETKINAB

وتعريبها أصحاب مَلْهِيتْ أو سكّان أراضي جبل مَلْهيت، وهي الواقعة بأرض خور «وِنْدَي Winday» وهذه الكلمة مشتقة من كلمة Wind اللاتينية في عصر الرومان لأن الوادي كثير الأهوية خصوصاً صيفاً. ومثل هذه الأسماء كثيرة في جبال البجة وأوديتها فيقال: خور لَنْقيب Langeib (طويل) وخور «ونْتِري Winteray وكلاهما من Winter وLong وتعريبها الشتاء. وهم قوم من ذرية عبدالرحمن ابن القاسم بن أبي بكر الصديق. وفي بعض كتب المؤرخين يكتب اسمهم «مِيتْكِناب Mitkinab وهو خطأ سقط فيه المؤرخين لجهلهم بالنطق البجاوي الصحيح الذي هو أساس تدوين التاريخ البجاوي. ذكر المقريزي أن لفيفاً من أبناء محمد بن أبي بكر الصديق كانوا يسكنون بالوجه القبلي المصري ثم أمرهم الملك الناصر بقتال النوبة في سنة **١٢٩٠** ميلادية[٢].

وكذلك بنو طلحة بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق وهم «السيقولاب Seigolab» إذ ساروا مع أبناء عمومتهم (محمد بن أبي بكر الصديق) من الوجه القبلي متبعين ضفة نهر النيل الشرقية حتى بلغوا نهر

---

(١) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

(٢) اقرأ هجرة العرب إلى أرض السودان.

عطبرة، ثم عرجوا من جهة قوز رجب إلى أراضي القاش وتِيبْلول. وهنالك سمعوا بهجرة من كان باقياً منهم بالحجاز إلى السودان بحراً بالسنابيك (سفن) عن طريق سواكن[١]، وطاب لهم المقام فاختاروا أرض مَلْهِيتْ وقاتلوا قبيلة حَفْرة[٢]. حتى اضطروها للهجرة إلى جهة خور بركة العليا، ثم ورثوا ديارها. وكان أول عمل أتوه هو نشر الدين الإسلامي بين من جاورهم من وثنيي البجة، وأسكنوا بينهم كل من رضي الإقامة معهم. هذا هو ما سمعته من أفواه علمائهم مثل الشيخ محمد حامد وفقيه ديناي، والشيخ محمد زرّوق.

إن الذي يريد أن يدون تاريخ أي قبيلة أو أمة يجب عليه أن يجيد لسانها وأخلاقها، ويتصل بكل بيئاتها، وأن ينقل من شيوخها وعلمائها ما يحفظونه من قدمائهم. وكان أسن من وجدته في الملهيتكناب بتندلاي الخليفة محمد ابن فضيلة الشيخ مصطفى، إمام الأورطة السودانية. والأخير من مواليد سنة ١٢٨٠هـ ـ ١٨٦٣م، ولا يذكر إلا وفاة آبائه وإخوانه في قتال أهله والأنصار. ويذكر بعض حوادث كانت بعد الفتح سنة ١٨٩٧م. وأما عن فتوحات الترك لمديرية التاكا سنة ١٨٤١م فأنا ليس لدي من المعلومات إلا القليل من كتاب العرب والإفرنج وبعض مذكرات ومدونات حكومة السودان. وقد قال لي محمد بك موسى (ناظر الهدندوة في التركية والمهدية والحكم الثنائي): إن جميع ما أصيب به الهدندوة في أراضي القاش سواء من الخير أو الشر شاطرهم فيه الملهيتكناب والسيقولاب وبعض من الحلنقة أمثال عائلة الشيخ عوض ود مسمار خصوصاً الفتوحات التركية للتاكا سنة ١٢٥٥هـ. ويقال: إن أول عمل أتاه زعيم الملهيتكناب الشيخ أحمد بن أحيمد هو إنشاء جامع كبير جداً في تَنْدِلايْ[٣] لإقامة الصلوات ودراسة

---

(١) سيأتي ذكر العائلات التي هاجرت إلى السودان براً (عن طريق مصر) وبحراً.

(٢) كانت من أشد قبائل البجة في ذلك العصر.

(٣) كان يقال له: «مسجد وايرا» وتعريبها المسجد الأبيض لشدة أنواره بالليل، وقد أحصوا عدد طلابه فكانوا من يسمون باسم محمد مائة طالب. ولا تزال آثار هذا المسجد باقية إلى اليوم في تندلاي.

القرآن والفقه وسائر العلوم الدينية[1]. وأمّ المسجد الطلاب من كل الأنحاء، واعتنت القبيلة بالزراعة وتربية المواشي وخصوصاً الإبل والخيل والبقر.

❋ ❋ ❋

## الملهيتكناب أيام الفونج

وهي دولة السلطنة الزرقاء وعاصمتها سنار، وملوكها من بني أمية. كان الملهيتكناب والسيقولاب يؤدون زكاتهم إلى ناظر الحلنقة بالتاكا وهو من ذرية الشيخ عجيب المانجلوك العبدلابي وهم أبناء الحلنقة. وقد نجحت هذه السياسة إذ تحول دون الثورة على الحاكم أو الملك.

❋ ❋ ❋

## واقعة تَأَدَفْ

لم يكن بين الملهيتكناب ومجاوريهم حوادث قتال عنيفة بعد طردهم للبجة إلا حوادث فردية كانت بينهم وبين بني عمهم السيقولاب، حتى بزغ نجم الهدندوة من جهة الشرق وتكاثر عددهم واضطروا للرحيل أثناء الصيف إلى أرض ملهيت والقاش الذي استطابوا مراعيه ومياهه. وكان البكريون يكرهون مجيء العباسيين (هدندوة) إليهم لئلا يراحموهم في الأرض حسبما ورد في المثل البجاوي الذي يقول: «سَنْيِيْكَ يَكِينِي» أي المقيم هو الذي يرحل، ويخلي الطريق للقادم حديثاً. فحدث بين الملهيتكناب والهدندوة قتال في تأدف كل أول شرارة بين عنصريين عربيين متجاورين على ملكية الأرض، ولم تتخل إحداهما عنها للأخرى حتى أناخ الدهر على الأولى بكلكله واحتفظت برقعة في جهة تَندلاي، وأخيراً رحلوا

---

(١) أنشأه الشيخ علي بن موسى كئوت ويشرف عليه محمد بن علي، وتولاه أخيراً الشيخ موسى بن محمد. وأما مساحته فهي ٢٣٠ في ٢٣٠ ذراعاً طولاً وعرضاً ويسمى أحياناً «مسجد أبريب» أي العريض.

إلى الجمام بقرب «مكلي» واستوطنت غالبيتهم في بور بركة بأغردت ومصوع والعقيق.

وقد انتشر طلابهم في كل قبيلة لفتح الخلاوي[1]، ونشر الإسلام فكانوا زعماء القبائل الدينيين.

❋ ❋ ❋

## موقعة تَهادِي

كانت بين الملهيتكناب والسيقولاب، إذ غزت الأولى الثانية ليلاً بسبب شجار حدث بين رعاة إبل الفريقين قتل فيه من شبان الأولى ثلاثة، ومات في الغزوة كثيرون من الفريقين. وفي اليوم التالي أتت خيالة من الحلنقة وقالوا للسيقولاب: نحن حلفاؤكم هيا بنا لأخذ الثأر. فأجابهم الشيخ علي تمن (زعيم السيقولاب): أنا لا أقاتل أقاربي فنحن أبناء رجل واحد حتى لا نفنى بعد أن جمعتنا الأيام في هذا الأقليم[2]، ولا أخشى إلا من أن ترث الحلنقة والهدندوة أراضينا، فالأولى أطبقت علينا من الغرب والثانية من الشرق. فتهادنوا لمدة عام حتى سمع الشيخ أبو بكر زعيم قبائل ملهيت، فأصدر إليهم أمره برد جميع ما أخذوه من السيقولاب ودفع من ماله الخاص ما تصرفوا فيه. وتدعوه البجة باسم قمد هسال ـ أي طويل الرسن ـ وتعريبها يملك إبلاً كثيرة، وهو الذي استأجر راعياً لا يعرف قبيلته ويدعى ـ مليك ـ وهو من ميشاب الهدندوة إذ وفد على الشيخ أبو بكر وقال له: إنه رجل فقير ومستعد لأن يكون خفيراً يراقب من مكان مرتفع من يقصد الملهيتكناب بخير أو شر حتى لا يفاجأوا بعصابة. فوافق الزعيم على قوله واستأجره[3]. وبقي مليك محافظاً على مركزه عدة سنين حتى اطمأنت القبيلة المذكورة له وعرف هو كل دخائلها، ثم هرب منها فجأة فاضطروا أن يعينوا خلفاً له.

---

(١) تسمى في البلاد العربية «الكتاتيب».

(٢) يشير إلى هجرة بعضهم عن طريق البر وعن طريق سواكن بحراً.

(٣) كانت هذه الواقعة في عهد الشيخ موسى ويل علي (ناظر الهدندوة).

وفي أحد الأيام قالت لهم بنت ملهيتكنابية: إن خفيركم هذا أشبه بمليك في حركاته وقوامه وتنقلاته على الجبل فأجابوها هيهات إن مليك ذهب ولن يعود ثانياً. وفي تلك الليلة هجمت على القرية عصابة مجهولة وسرقت بعضاً من إبل العميد. فلما طلع النهار اقتصوا الأثر وتسلقوا الجبل فوجدوا خفيرهم الأصلي مقتولاً فوق الجبل وعرفوا أثر مِلِيك بين أرجل العصابة، ولم يتمكنوا من إدراك إبلهم المسروقة[1]، وكذلك أسلحتهم التي كان لا يعلم بمخبئها إلا مِلِيك[2]، وقيل: إن الملهيتكناب كانوا مشغولين بسقاية الإبل في ذلك اليوم الذي داهمهم فيه مليك بعصابته على النفق أولاً ثم استاق الإبل التي بالمرعى وقتلوا كل من اعترضهم.

وسار خلف العصابة غلام صغير اسمه «أَلَتْ» حتى وصلوا كرام أدْلِيب فارتاحات، ثم اقتسموها. وجاء أحدهم وهو من السمَرْأَر وقال: أعطوني الغلام وناقته. فأعطوهما له. وأصبحت فدية هذا الغلام يقال لهم: ألت «أو أيلَتْ»، وهم أقرب الناس إلى العجيلاب (ذرية ألت). ولما غضب محمود عالياي بن حجاي من الشيخ علي ضرار ارتحل إليهم بأهله وولده وسكن مع السمرأَر نحو عشر سنين ثم عاد بعدها[3].

وتتألف من ذرية محمد بن أبي بكر الصديق بالسودان عشرون عائلة، حضرت منها اثنتا عشرة عائلة عن طريق سواكن بحراً من الحجاز بأبقارهم ونياقهم وضأنهم وهم:

| | | |
|---|---|---|
| ١ ـ أشْكوناب. | ٢ ـ عامراب. | ٣ ـ فقيهندوة. |
| ٤ ـ قيويلي. | ٥ ـ حسناب. | ٦ ـ عوضاب. |
| ٧ ـ إيلت. | ٨ ـ قُلْهَمساب. | ٩ ـ سِبْتَيْ. |
| ١٠ ـ قاضيندوة. | ١١ ـ إيرا. | ١٢ ـ هاسا. |

---

(١) كانت هذه الواقعة في عهد الشيخ موسى ويل علي (ناظر الهدندوة).

(٢) كانت في نفق بقرب خور لنقيب.

(٣) أدركت ابنه إدريس محمود هو يجيد البجاوية أكثر من التيجرية وهو شاعر يمدح ـ وارتا ـ وأدرأويب وضواحي سواكن.

فنزلوا جميعهم بسواكن ثم رحلوا إلى جهة «أَشْأَتْ» ومعهم من الإبل نوع زهيري (جهيري)، وأخيراً سميت فوطات لأن بنات البوادي الصغار يضعن الفوطة فوق النياق[١] وهي باركة ويركبنها. وفي أحد الأيام قامت ناقة بفوطة إحدى البنات فانتدبوا من أحضرها من الناقة وأطلق عليها بعد ذلك «فَوْطات»، ومن نياقهم أيضاً ياحيات، ومن البقر نوع يقال له: «ليبي» Libi وهي كثيرة عند العجيلاب ومَتيلا Mateila عند همد شريفاب ووايرا.

وتنقلوا بين جبل «شَبَه والسنتيراب» ثم توكر ومنها إلى خور بركة ولنقيب ووندي، ثم استقر بهم المقام في ملهيت وأهم شيء يؤدونه هو نشر الدين الإسلامي. وقد امتدت حدودهم حتى وصلت خشم (هواشايت).

أما العائلات التي هاجرت عن طريق مصر واشتركت في فتح دنقلة فهي ثماني عائلات، ومعهم السيقولاب أبناء عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، فاجتمعوا جميعهم في أرض القاش وحصل التعارف بينهم[٢]. ورحل بعض من أهل ملهيت إلى جهة أم أدّام Om-Addam بمكان يقال له: أمل Amal. وهي دبة شرق نهر القاش بها زراعة طيبة من الذرة ملك لقبائل الحلنقة، فقرروا سكناها والإقامة فيها حتى جاء بعض من الحلنقة وأمروهم بالرحيل فطلبوا مهلة سنة. فرفض الحلنقة وتقاتلوا ثم تنازل الحلنقة لهم عنها. واستوطنوها فتحسنت أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية وشعروا بفائدة الزراعة، وزارهم مندوب وزير الفونج للزكاة فرفضوا إخراجها واضطر لقتالهم بعد أن أوفد إليهم جماعة للضيافة، ولكنهم مكروا عليهم وقدموا إليهم الطعام واللبن وأخفوا الحراب والسيوف خلف ظهورهم. فلما بدأوا بالأكل عملوا فيهم السيوف وقتلوهم عن آخرهم، وكانت هذه الواقعة أيام قضية آدم وهو المدفون في فديت Fadeit شرق وَقَر[٣]، وكالان موقع

---

(١) تزوج أحد أولادهم بإحدى بنات القرهباب وانضم إليهم.

(٢) المسافر بينها وبين توكر يشاهد مقابر كثيرة أشهر من فيها من رجال الملهيتكناب الصالحين.

(٣) قال: إن عظام الفونج لا تزال ظاهرة فهل هذا هو سبب تسميتها أم عظام، وكان موقع الملهيتكناب بين حدودهما في إيجر Eajir.

اللمهيتكناب والهدندوة والحلنقة. وكلما زحف الهدندوة على الملهيتكناب زحف الأخيرون إلى الحلنقة حتى أصبحوا اليوم أقلية منضوية تحت نظارة الهدندوة[١].

❁ ❁ ❁

## (قتال تأدف)

كانت بيت الملهيتكناب والحلنقة انضم فيها بعض شباب الهدندوة إلى الأولى، واشتد التراشق في الآبار والمراعي، فأرسل الملهيتكناب إلى حيهم بأن المواشي كلها نهبتها الحلنقة. فجاءت نجدات من فرسان الملهيتكناب واستردوا كل ما أخذ منهم. واشتهر من فرسان الملهيتكناب محمد دريب Darib ابن بارك وأوشيك بن صالح ونفريب Nifrib بن محمد، وعوتي إبراهيم، وحميد إبراهيم هدلاي وكلهم من رهط ألت Alat التي يقال: إن كل سبعة منهم إذا اشتركوا في قتال فإنهم منصورون، فمنهم عجيلاب الأفلندة[٢].

❁ ❁ ❁

## الفتح التركي

في سنة **١٨٣٦**م، تولّى حكمدارية السودان أحمد باشا أبو ودان وبدأ في الاستعدادات الحربية. وكان من معاوينه إلياس بك وسليمان بك كاشف وخورشيد[٣] بك، ورفض الملهيتكناب الخضوع للفتح التركي وحالفوا

---

(١) حدودهما هي المقاودة Magawdah.

(٢) ونحن نقول: إن هذه العائلات هي التي اضطرت جدنا محمد بن ضرار على الرحيل من القاش بأهله ومن اتبعه بسبب حادث بسيط كان يمكن تجنبه (اقرأه في عجيلاب أفلندة) لو صبروا، ولكنهم اعتبروه مجرماً حتى أنه لجأ إلى أخواله الهدندوة أكثر من سنة، ثم طاردوه فلجأ إلى ناظر بني عامر، وأخيراً سكن سواحل البحر الأحمر على الحدود.

(٣) كانت أولى غزواته سنة **١٨٢٣**م على قبيلة سبدارت.

الهدندوة والسيقولاب على قتال جيش الباشا، فأصابهم الظلم والاستبداد بل استعملت معهم كل الفظائع التي أصابت سكان التاكا الذين قاوموا الفتح. فاعتقل الباشا زعيمهم الشيخ موسى فقيه[1] وامتهنت كرامته. وأدبوه بربط يديه في ذنب حمار راكب عليه الشيخ محمد دين ناظر الهدندوة وهما اللذان لم ينزلا عن ظهور الخيل. فلما تم إخضاع القبائل كلها، ألقى الباشا القبض على خمسين منهم وأرسلهم إلى بربر ومنها إلى مصر، وهناك تفرقوا في شوارع القاهرة. ومن سلم منهم من القتل التحق بالجامع الأزهر. وكانوا جميعهم من حملة القرآن.

وبعد أن أتموا علومهم سافروا إلى مكة المكرمة لأداء الفريضة وبعد أدائها حضروا إلى سواكن ومنها عادوا إلى القاش وجمعوا أهلهم المتفرقين في البوادي وأحيوا مسجدهم العتيق، واختارت منهم الحكومة أعلمهم وهو الشيخ مصطفى أحمد كي يكون إماماً للجند براتب قدره خمسة جنيهات. ومن علمائهم الذين تشتتوا في الديار الإسلامية بسبب استبداد هذا الحاكم الشيخ محمد بن أحمد وأحمد بن نوبة (سكن في مدينة جيبوتي) وحسب الله محمد محمد سكن في مدينة عدن، وصديقه أحمد بمدينة موخع (موخا اليمن) وفتاح بن علي بجزيرة فرسان بالبحر اليمنى العسيري ومنها بدأت هجرة الرشايدة إلى السودان في سنة ١٨٦٩م. وكانوا قبل الهجرة يعملون في البحار، وبعضهم هاجر عن طريق خليج السويس، ثم اجتمعوا بإخوانهم في السودان[2]، تجد ذلك مفصلاً في الرشايدة، والشيخ محمد أبو ياسين الذي استوطن رابغ بالحجاز وله بها سواعي (سنابيك)، ثم بلال بن محمد سيد كان مؤذناً بجامع الرسول ﷺ بالمدينة المنورة، ولا تزال ذريته باقية إلى اليوم، وكان آخر من عاد إلينا منهم بالسودان هو الشيخ محمد حامد من

---

(١) كان ضريراً واتهم بأنه أمر الملهيتكناب بقتل بكير بك وجنوده، وسنبين ذلك.

(٢) كان الباشا أبو ودان من مماليك مصطفى باشا صهر الخديوي محمد علي باشا فأدخله المدرسة الحربية وأصبح من ضباط الجيش التركي وقاتل في حرب المورة ١٨٢٣م وانضم لحملة إبراهيم باشا على سوريا ثم أحيل إلى الاستيداع بمصر وأرسل إلى السودان في ١٨٣٦م. رئيساً على فرقة من الجيش ثم أرسل والياً على أضنة بالأناضول.

اليمن إذ قضى أكثر من أربعين عاماً يتنقل في البلاد المذكورة ساعياً لطلب العلم حتى استكمله واستوطن قرية عدوبنة وفتح فيها خلوة لتدريس القرآن والفقه[1]، حتى توفي حوالى سنة ١٩٤١م، وتخرج من خلوته أكثر أهل عدوبنة خصوصاً أبناء ضرار علي شابل وأقاربهم. ومن مهاجري الملهيتكناب الشيخ هيكل[2] ابن فقيه آدم بن أحمد أبو بكر ابن فقيه عوض الأمين فقد التحق بالشيخ محمد بدربام ضبان وتوفي بها وخلف ولداً اسمه محمد الأمين له ذرية في تلك القرية الطاهرة، ومن نوادر أهل عدوبنة أنهم انقسموا في إمامة المسجد فقال الشيخ محمد حامد أنا أعلم من الشيخ محمد علي سليمان، ولذلك يجب أن أكون إمام المسجد. وقالت أغلبية البهدور: لا نصلي خلف محمد علي (صاحب المسجد) فقفل المسجد. ويرأس عمودية الملهيتكناب بالقاش أخونا الشيخ شاور عبدالمحمود وهو تابع لنظارة الهدندوة.

❋ ❋ ❋

## اللغة البجاوية

لقلة معلوماتنا عن ألسن أو لغات الأمم لا نعرف شيئاً عن أصول لغتنا البجاوية، وكل ما عرفناه من علماء اللغات عنها هو ما قاله شقير نقلاً عن البسيوس: إنها (اللغة البجاوية) لغة مروى القديمة. وأما الدكتور هيس الألماني الذي كان مقيماً بمصر لدراسة لغة النوبة فيقول: إن هذه اللغة (البجاوية) هي لغة مروى القديمة بدليل أن بعضاً من كلماتها الأساسية مثل «الماء» والنار والأرض تشابه ما ورد من الأسماء في تاريخ مروى. ونحن نأسف لأننا لا نعرف كلمة من لغة مروى أو النوبة أو الهيروغلوفية. فلو تفضل علماء اللغات هؤلاء وكتبوا لفظاً واحداً كالماء والنار مما وجدوه مكتوباً في كتبهم لأناروا الطريق أمامنا. ولكن للأسف لم يأتوا باللفظ النوبي

---

(١) وممن درسوا عليه محمد نور عثمان سلطان والسيد إسماعيل إدريس آدم.

(٢) تعريبها المبارك أو الميمون.

للكلمات التي أوردوها لتأييد معرفتهم كأمثلة للقراء وخدمة العلم، لأن عدم ذكرهم للكلمات النوبية جعلنا نطلب زيادة البحث والدراسة.

فنحن نقول للنار: نِئِيتْ Ni Eight: وللأرض: هَاشْ Hash، وللماء: يم Yam. وكتابة اللغة البجاوية بالحروف العربية ليس فيها صعوبة فإن العرب وغيرهم من الأمم السابقة كانوا يترجمون المعاهدات إلى اللغة البجاوي حرفاً حرفاً (انظر معاهدة البجة والعرب)، وكل ما نحتاج إليه هو تأليف جمعية تتولّى اختيار الحروف اللازمة من العربية[1] الغنية الحروف. أما البني عامرية فهي سهلة الكتابة وقد استعمل أهل إرتريا الحروف العربية في كتابتها، وكثيراً ما كتبنا بها خطابات لبعض الإخوان. ورب سائل يسأل لماذا لم تتغلب العربية على البجاوية فنقول له: إنه هجرة العرب كانت بأقليات من البشر، وربما كانت أكثريتهم من الرجال، واضطروا للتزاوج من البجة، فينشأ أطفالهم بين أحضان أمهاتهم البجاويات يتكلمون بلغتهن في كل شيء. وهذه سنة التطور في كل أمم الأرض. ويسميها العلماء: لسان الأم Mother'S Tongue وهو ما يرضعه الطفل من ثدي أمه. وحاولت قبائل: بَلِيّ الاحتفاظ بلغتها العربية ولكن أغلبية السكان البجاويين محت بل طمست معالم لغتهم العربية اللهم إلا ما ينسب إلى بَلِي، حتى في أمثال البجة تجد التهكم بادي الألفاظ، فهذا رجل بجاوي يريد أن يقول: إذا وجدت قميصاً من نار فإن البلوى (أو سيدي العربي) يأخذه مني - نِئِيتي قميص أَمَرِّييكْ - بَلَوي هُوسِي إنين.

Ni- Eighty Gamiss Amarreyake Balawyi Hossi Ineen.

فنحن لولا إجادتنا للغتي سكان هذا الإقليم لما قدرنا على كتابة سطر واحد عن البجة. كما وأنه لولا طوافنا بين الأكواخ والأحياء في بادية البجة جميعها لكانت كتابتنا معتمدة على السمع كسائر من سبقونا من مؤرخي العرب والإفرنج. فنحن نكتب عن بيئتنا وعشيرتنا بغير اللسان العربي ثم نعربه للقراء، وكنت أجد لذة في هذه الرحلات[2] ويراها غيري مغامرة.

---

(١) أو الإفرنجية.

(٢) كانت أكثرها بالجمال لصعوبة المواصلات في ذلك الوقت.

وقد سبقني إليها أخي الشيخ عثمان محمد بلي، فإنه شجعني على كتابة تاريخ قبائل إقليم البجة. فكم من المرات اجتمعنا في الحلال أو الآبار هو ينشر العلوم بإنشاء الخلاوي للمشايخ وأنا في مهمتي التاريخية ولدى سيادته معلومات جمة عن قبائل النظارات الخمس الموجودة بالسودان.

لا تزال معرفتي باللغتين البجاويتين محل فخري واعتزازي وما أظنني أكون مغالياً إذا قلت إن كثيرين من الكتاب العرب أو الإفرنج كانوا ينقلون (بنصه وفصه) كل ما كنت أكتبه في الصحافة، وبعضهم يترجمه إلى الإنجليزية وينتحله لنفسه كأنه من معلوماته الخاصة إلا البعض من الإنجليز والبولنديين والأمريكان والألمان فإنهم كانوا متصلين بي ويدفعون عن سخاء قيمة الأسطر التي أكتبها لهم.

أظن أنني لمّحت ولكن يجب أن أصرح لإخواننا السودانيين والمصريين أن يعترفوا بمن يأخذون عنه معلوماتهم التاريخية عن قبائل البجة. أما تعريب كلام المفتشين من مجلة: السودان في رسائل ومدونات، فكثير منه غير حقيقي لأننا نحن البجة سواء المتعلم أو الجاهل لا نطلع دخائلنا وحقيقة حالنا لمن ليس منا. وأظن كل أجنبي عن البجة لمس ذلك مراراً سواء كان حاكماً أو من عامة الناس. وأما غير المسلمين فمعاملتنا لهم: لا تأمنوا إلا من اتبع دينكم. ولا تزال منذ أقدم العصور بلاد البجة مقفولة في وجه غير أبنائها، وستستمر كذلك ثلاثة قرون أخرى. هذا إذا تحسنت حالة البجة بإنشاء قرى من مائة منزل بها مياه ومدرسة[1] وشفخانة ومزرعة... إلخ. وهذا ما يصعب على جمهورية السودان القيام به لسواد عيون أبناء البجة لأن حكومة الحكم الثنائي لم تحاول إصلاح شأن البجة منذ أن استقرت في السودان سنة **١٨٩٩**م، فكل رجال الحكم الثنائي من الإنجليز والمصريين يرددون أسماء وعدد قتلى رجالهم في سهول التيب بتوكر والتيمينيب وتأماي التي بنوا فيها نصباً تذكارياً لجنودهم الذين قضت عليهم سيوف أنصار الأمير عثمان دقنة،

(١) للبنين والبنات.

وحصروا همهم في إصلاح الجنوب وتركوا توصياتهم لتنفيذها في المستقبل القريب والبعيد.

يتفضل الوزراء والمديرون وكبار المسؤولين بزيارة نادي البجة[1] في بورتسودان فيتقدم السكرتير أو أحد الأعضاء بحقوق البجة في الحياة فيرد عليهم الضيف الكريم أنتم في نعمة أحسن من أهل الغرب أو غيركم من المناطق، فيميت الروح في كل المجتمعين إذا علموا ما يخبئه لهم حكام اليوم والغد الذين لا يعرفون شيئاً عن إقليم البجة وأهله، ويدعون أنه لا توجد أي توصية بأي مشروع من الإنجليز غير مشروع أربعات الذي بدأ الوعد بإنشائه منذ سنة **١٩٢٥**م، والفضل في تخطيطه وتعميره يعود إلى السير نيويولد. ونحن اليوم في سنة **١٩٥٨**م ولا يزال العمل فيه بسرعة السلحفاة. وأقولها لكم يا أبناء البجة صراحة لن ينفعكم هؤلاء الحكام إلا يوم يطوفون ببواديكم أو يرسلون المفتشين والمسلحين والمهندسين لتخطيط بلادكم ودياركم.

بعد دراسات مستفيضة وممارسات وتجارب جمة أقدم نصيحتي لأبناء البجة وهي أنهم لن يستيقظوا من سباتهم العميق ما لم يتجردوا عن كل المبادئ والمعتقدات غير مبدأ خدمة البجة فقط وقذف ما عداه في سلة المهملات.

فلو سرنا على أساس هذا المبدأ في كل مدينة وقرية فلا ريب أنا بالغون أهدافنا يوماً ما، لأننا طلاب حق في الحياة ولن نعدم معيناً أو منصفاً ممن بيدهم زمام الأمور.

رأيت في إحدى مدن البجة حفنة من الشبان اعتنقوا هذا المبدأ خدمة البجة فقط وعاهدوا بعضهم على العمل يداً واحدة.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم     إن التشبه بالرجال فلاح

---

(١) ليت يبدأ أبناء البجة في نشر مثل هذا النادي في كل المدن حتى يكثر الصراخ الذي يقلق راحة جمهورية السودان فتجد في عمل الإصلاحات التي يطلبها البجة كما هو الحال في الجنوب والغرب والشمال.

وإن أكثر العبء في نشر هذا المبدأ يقع على حملة مشاعل العلوم والمعارف في السهول والجبال والقرى والوديان بين الأهل والإخوان. وليقلع كل صاحب مبدأ عن مبدئه ويعمل لهذا المبدأ الوطني الذي هو حياة أمة البجة. إن نهضة الأمم العربية في سنة ١٩١٧م، وضع أساسها المرحوم السيد عبدالرحمن الكواكبي (الفراتي) في كتابه أم القرى، وتم تنفيذها بعد وفاته بعدة سنين فاعملوا أينما كنتم وتكونون فسيرى الله والناس عملكم حتى تنالوا حقوق أُمتكم في الحياة والله ولي التوفيق.

❋ ❋ ❋

## ديانة البجة

كان للبجة كهنة كسائر الوثنيين في عصور ما قبل الأديان السماوية. قال المقريزي عن ابن سليم الأسواني: وكان الكهنة في أيام احتلال الرومان للمصريين في أمان يؤدون شعائرهم الدينية وصلواتهم في الهياكل مع الرومانيين وذلك بمقتضى المعاهدة التي اتفقوا عليها مع نائب قيصر الرومان بمصر سنة ٢٨٤ب.م، كما اشترط البجة أن يكون لكهنتهم حق الإقامة في الهياكل مع الرومانيين. وبقيت قبائل البجة على الوثنية ولم تتخل عنها كما فعل المصريون والنوبيون الذين أبطلوا عبادة الأوثان خضوعاً لإرادة الإمبراطور جوستينيان سنة ٥٦٦ب. م، الذي استعمل معهم ضروب التعسف والشدة وأمر بتخريب هياكلهم، وسحق كهنتهم، وبعث بتماثيل آلهتهم إلى إسطنبول، فهابه المصريون والنوبيون واعتنقوا الديانة المسيحية وتخلوا عن ديانتهم الوثنية. أما قبائل البجة فلم يهتموا أو يكترثوا لتهديداته، بل بقوا على ديانتهم وتحملوا استبداد الرومانيين في سبيل عقيدتهم، كما صبر على تعذيبه كهنتهم. وقبائل البجة لا تتسرع في اعتناق أي عقيدة أو مبدأ، بل تقلب الأمر على جميع وجوهه، ثم تختار ما عزمت عليه ولا تتراجع عنه أبداً. فلما اعتنقوا الدين الإسلامي كانوا ولا يزالون أشد الناس تعصباً لنصرته وكفى بحوادث المهدية التي اعتنقوها ودافعوا عنها حتى ارتفعت رايتها

وانتصرت جيوشها على أئمة الكفر ومن ناصرهم من الأمم المختلطة الأديان والعقائد.

وعموم البجة كبيرهم وصغيرهم يطلق كلمة كافر على كل من لا يدين بالإسلام حتى الحكام ورجال الإدارة منهم. وسألني أحد المفتشين الإنجليز لماذا ندعوهم بالكفر وهم إنجليز ونصارى؟ فقلت له: هذا اسم يطلق على كل من لا يدين بالإسلام، وليس في لغة البجة مسيحي أو موسوي (يهودي) لأن البجة رفضت هذين الدينين وبقيت على وثنيتها، وتخلت عنها للدين الإسلامي ولا تعترف لسواه ديناً.

وكان كهنة البجة يطلبون منهم (قبل إسلام من أسلم منهم) أن يدينوا بالطاعة لربيعة وللملك كَنُّون بن عبد. (عبدالعزيز) معاً، واستمروا على ذلك حتى انتشر الإسلام وبطلت الكهانة، بعد أن كان لكل بطن من بطون البجة كاهن تضرب له قبة من أدم معبدهم فيها. فإذا رأوا استخباره عما يحتاجون إليه تعرى كاهنهم ودخل إلى القبة مستدبراً، ويخرج إليهم وبه أثر ذهول وصرع ويقول: الشيطان يقرئكم السلام ويقول لكم: ارحلوا عن هذه الحلة فإن الرهط الفلاني يقع بكم. وسألتم عن الغزو إلى بلد كذا، فسيروا فإنكم مظفرون وتغنون كذا وكذا، والجمال التي تأخذونها من موضع كذا هي لي، والجارية الفلانية التي تجدونها في الخباء الفلاني، والغنم التي من صفتها كذا، ويستمر في سرد تنبؤاته. والبجة يزعمون أنه يصدقهم في أكثر من ذلك، فإذا غنموا أخرجوا من غنائمهم ما ذكر وقدموه للكاهن يتموله[1]. فإذا أرادوا الرحيل حمل الكاهن هذه القبة على جمل مفرد. ويزعمون أن ذلك الجمل لا يثور إلا بجهد، وكذلك سيره. ويتصبب عرقاً والخيمة فارغة لا شيء فيها. وقد بقي في الحدارب جماعة على هذا المذهب ومنهم من يتماسك به مع إسلامه. وكان هذا الزعم سارياً حتى قيام المهدية ثم تلاشى خصوصاً في بني عامر والحباب، فإنهم لا يغزون أي قبيلة أو يقاتلون إلا في يوم ثلاثاء بعد أن يحضروا رجلاً

---

(١) المقريزي.

مشهوراً بعمل الطلسم على سيوف وحراب خصومهم كي لا تؤثر في أجسامهم. وأمر هذا الطلسم موكول لقبيلة أقدوم التي هي فرع من أَلْمَدَة. وكذلك الحبشة لا تغزو إلا يوم الثلاثاء، حتى إن الخديوي إسماعيل باشا أمر جيوشه بإرتريا أن لا تقاتل الحبشة، بل أمرهم بقفل القلعة وعدم الخروج منها. فجاء الأحباش وأوقدوا فيها وفي الجيش النيران. وجاء العصر الحديث بنور العلم فمحا تلك العقائد الفاسدة.

❋ ❋ ❋

## الرجل البجاوي

١ ـ الرجل إذا حلب لا يشرب إلا بعد أن يذوق اللبن له إنسان آخر.

٢ ـ الرجل مسؤول عن رعاية المواشي وسقايتها وزراعة الأرض.

٣ ـ الرجل لا يأكل مع زوج ابنته.

٤ ـ الرجل لا يجلس على فراش زوج ابنته، وبعضهم يستعمل العادة (٣) و(٤) مع زوج أخته أيضاً.

٥ ـ إذا حدث خلاف أو مشاجرة بين أخوين أو عائلتين كل رجل يقف بجانب أقاربه وأبناء عمومته.

٦ ـ الرجل إذا كثر عليه العمل أو طال الزمن يقطعه بالأغاني الغزلية. وإذا كانوا جملة رجال ينبري لمطارحته الأشعار شاب آخر. وتستمر المطارحة الشعرية حتى ينتهي العمل بنشاط وسرعة.

٧ ـ الرجل لا يزوج ابنه إلا بابنة أخيه على شرط أن يدفع الوالد المهر، إلا إذا كان الابن غنياً فإنه ينذر أن يخضع لرغبة والديه، وفي هذه الحال يكون زواجه على حسابه الخاص بمن يشاء.



حمد بن كوناما

من أبناء البجة ورجالهم

هذا رجل من البجة قد صفف شعر رأسه الأمامي والخلفي
وسرحه تسريحاً جميلاً. إنه من قبيلة البازين وهي من أقدم قبائل إقليم البجة.

٨ ـ الرجل يكرم ضيوفه، وإن كانوا أقاربه لا يقدر أن يعين لهم يوماً للسفر ولو مكثوا أعواماً ويقاسمهم قوته.

٩ ـ كل رجل يأتي بمبيعاته أو محصولاته من الماشية أو السمن أو الحطب أو الفحم... إلخ. يتلقاه في الدخولية أو في السوق جماعة من أهله، وينزل هو عند أقربهم إليه في منزله، وهم يتولون بيع وتصريف ما أحضر، ثم يأخذون منه حصتهم (دلالتهم) نظير خدماتهم، ويسلمونه باقي الأثمان فيقضي منه لوازمه ويعود إلى أهله، ولا يداخله أي شك في إخلاصهم.

١٠ ـ الرجل يتولّى خطبة المرأة لابنه بعد أن يأخذ معه بعض الأجاويد. وموافقة الأم على الزواج شرط أساسي عند البجة لأنها هي التي تباشر مطالب زواج ابنتها.

١١ ـ الرجل لا يأكل مع زوجته أو مع أمها والأخيرة لها احترام خاص.

١٢ ـ الرجل لا يتلفظ باسم زوجته وكذلك هي لا تتلفظ باسم زوجها أو أبيه. ومن هنا يعلم الباحث أن: أبو علي: وأبو محمد وأبو نفيسة وأبو فاطمة وأبو موسى وأبو عيشة وأبو آمنة هي أسماء أطلقتها النساء على آباء أزواجهن حتى لا ينطقن بأسمائهم. ولذلك تجد أن أسماءهم الأصلية تضيع وتندثر وتبقى أسماء الأمهات، وهي دعوة الرجل ووالده باسم أكبر أبنائه أو بناته.

١٣ ـ الرجل عند زواجه له أصدقاء يسمون وزراء لا يدنون بعد الزواج من بيته إلا في الملمات الشديدة.

١٤ ـ الرجل في القتال يقف مع ابنه ضد أخيه أو إخوانه وكذلك يقف مع أخته ضد أبناء عمه، ومع أبناء عمه ضد غيرهم من الأهل حتى تقف الحصة ضد الحصة، والبَدَنة ضد البدنة، والنظارة (القبيلة كلها) ضد أي قبيلة أخرى.

١٥ ـ الرجل إذا كان له قضية ضد أي بجاوي يرفعها إلى المجالس الخاصة ويجتهد في البعد عن دار الحكومة إلا إذا اضطر لذلك اضطراراً.

١٦ ـ إذا مات رجل عظيم مثل الناظر أو العمدة تذهب النائحات حاسرات الرؤوس لاطمات الخدود إلى دار الحكومة، وبعضهن يلبسن كسوة الشرف التي كانت له، فتعلم الحكومة أن عظيماً مات من البجة. فلما كانت سنة ١٩٤٤م جاء الأستاذ الكبير القاضي محمد صالح الشنقيطي وعمل اجتماعاً يديم العرب وأظهر لأولئك الأجاويد والزعماء العواقب السيئة لهذه الأعمال التي تتنافى مع مبادئ الدين الإسلامي، فوافقوه وتركوها وأقلعوا عنها نهائياً.

١٧ ـ الابن والأخ وابن العم مسؤولون عن أخذ ثأر جريحهم أو قتيلهم انظر البند رقم (١٤).

١٨ ـ الرجل لا يرد على المرأة لو أساءته أو أهانته وإذا أرادت أن تضربه يهرب منها ولا يلتفت إليها وبعضهم يستمع لإسائتها صامتاً حتى تنتهي وتذهب بنفسها.

١٩ ـ الرجل الشاعر هو محل احترام كل القبائل. وفي الأمارأر أكثر الزعماء في شعر الحكم هو الشيخ محمد قويلاي أور Giwilay-Or وله أشعار جرت مجرى الأمثال. وكانت بينه وبين الشيخ موسى نَفِر Musa Nafir (شاعر المهدية) مساجلات. وهو من الشِئْياب (Sheayab) وكل منهما كان يفخر بأصله وقبيلته.

٢٠ ـ يندر أن يتعشى الرجل وحده فإذا لم يجد ضيفاً ذهب بعشائه إلى جاره ويأكلان معاً، وهو عبارة عن لبن في إناء (قبل فتح السودان الأخير) يأتي به كل منهما ويتركان بقية في كل إناء يعطيانها للكلب.

٢١ ـ لم تكن الذرة أو الدخن كثيرة الاستعمال لأن الناس كانت قليلة والمواشي كثيرة. ولذلك كان الطعام في الصباح والظهر والليل لبناً. غير أن لبن الظهر يشرب بعد إخراج الزبدة منه. ومن سمنها يشترون ملابسهم لأن تجار السمن والمواشي دائماً يطوفون البوادي وسواحل البحر لشرائه.

لا يزال شرق السودان وغربه بل جميع القطر يعيش في نظام قبلي تحت نظارات وعموديات وحصص وكل قبيلة تفاخر بالنسل، لأن السلب والنهب لا تخلو منهم أي قبائل، ولذلك يقول البجة في أمثالهم إن الرجل الذي:

١ ـ ليس له ولد من ظهره يتساءل الناس عن أقرب الناس إليه عند حصر الميراث.

٢ ـ ليس له أخ شقيق ولو من أمه Blood Brother يسير قاتله في القرى ولا يقتله أحد.

٣ ـ ليس له ابن عم هو مثل كوم من الطين أو الرمل يجرفه أي سيل من الماء.

٤ ـ من ليست له مواشي يعود قابروه سريعاً بعد دفنه. وأما الذي يملك المواشي فيقيمون على قبره يومين أو أكثر يبنونه جيداً. وكلما جاؤوا يأكلون من مواشيه التي يأخذونها معهم إلى المقابر.

٥ ـ من ليست له زوجة لا يجد من يرثيه (ويذكر حميد خصاله وفضائله).



تنطلق زغاريد النساء، ويسخن الرجال استعداداً للمعركة والدفاع عن حرماتهم

## من عادات البجة

١ ـ المرأة لا تحلب بتاتاً.

٢ ـ المرأة لا ترعى أي ماشية.

٣ ـ المرأة لا تغسل بتاتاً.

٤ ـ المرأة لا تقابل أي ضيف أجنبي.

٥ ـ لا تحتجب عن أقاربها (أبناء عمومتها أو خؤولتها ولو كانوا من الجد الخامس أو السادس).

٦ ـ المرأة العروس لا تتكلم مع عريسها إلا بعد أن يدفع لها شيئاً.

٧ ـ المرأة لا تقابل زوجها وجهاً لوجه.

٨ ـ المرأة لا تقابل زوج بنتها أبداً وهي محل احترامه دائماً.

٩ ـ المرأة لا تأكل مع زوجها أو مع زوج ابنتها.

١٠ ـ المرأة مسؤولة عن كل ما يدخل في البيت.

١١ ـ المرأة هي التي تخض اللبن وتخرج منه الزبدة.

١٢ ـ المرأة هي التي تعمل السمن من الزبدة.

١٣ ـ المرأة هي التي تطبخ اللحم والعصيدة وكل مأكول بالمنزل.

١٤ ـ المرأة هي التي تتولّى تربية الطفل حتى الرابعة ولذلك يتكلم الطفل لغة أمه بطلاقة، ولا يحفظ كلمة من كلام أبيه إن كان غير بجاوي.

١٥ ـ المرأة لا تتدخل في شؤون الرجال بتاتاً ولو كان الأمر يخصها.

١٦ ـ المرأة هي التي تتولّى دبغ الجلود وحياكتها مع بعضها حينما كان اللبس جلود الماعز فيضعن منه إزارهن (كالإحرام).

١٧ ـ المرأة هي التي تعمل الحصير من الزعف.

١٨ ـ المرأة هي التي تعمل الفرش من صوف المواشي (شملة).

١٩ ـ المرأة هي التي تخيط جلود العجول أو الماعز أو الفئتين ببعضها (بخيط من الجلد) بعد تمام دبغها فيخرج منها فرشاً ملوناً ناعماً جميلاً يستعمل فرشاً في الأفراح، أو ستارة بين محل نومها وأطفالها وسرير والدهم.

٢٠ ـ المرأة تستعمل الدخال كل أربعة أيام وتغطي جسمها بشملة صوف لا تقل عن مترين في مترين.

٢١ ـ المرأة لا تستعمل للدخان إلا الخشب ذو الرائحة الزكية.

٢٢ ـ المرأة لا تطلع أحداً على شعرها إلا في حالات المأتم (أي عند وفاة الزوج أو الأب أو الأخ أو الابن إن كان وحيداً).

٢٣ ـ المرأة لا تطلع أحداً على ثدييها وسائر جسدها إلا الأطباء في عصرنا هذا، ومنهن من تفضل الموت بدائها بدلاً من العلاج الطبي. وكذلك قلّ في أذنيها وعينيها وأنفها وفمها.

٢٤ ـ المرأة لا تعتبر متزوجة إلا إذا لبست زمام الذهب في أنفها ويقول الشعراء: إنه السراج الذي يضيء بيتها كلما جاء الليل فترى به كل ما بالمنزل.

٢٥ ـ المرأة هي التي تنصب البيت وتقوضه في الحل والترحال.

٢٦ ـ المرأة هي التي تعمل الدعوة للنساء كي يساعدنها في عمل الحصير والشمل وسرير الأم والأطفال ويسمى أَمْباجِيبْ Ambajeib وهو لا يقل طوله عن ثلاثة أمتار وعرضه متران.

٢٧ ـ المرأة لا تجلس على سرير زوجها ولا هو يجلس على الأمباجيب بتاتاً.

٢٨ ـ العروس لا تقبل أن يلمسها العريس ما لم يدفع لها شيئاً من المال أو المواشي وكذلك:

(أ) عند النوم معها.

(ب) عند المحادثة.

(ج) عند وضع طفلها البكر.

٢٩ ـ المرأة لها مكانة محترمة عند عموم البجة بلا استثناء، وإذا تظلمت من زوجها فكل المصلحين في صفها ضد الزوج مهما كانت الزوجة مخطئة.

٣٠ ـ المرأة يندر جداً أن تطالب بحقوقها في الميراث بل أقولها صراحة إننا نحن البجة لا نورث النساء بتاتاً.

٣١ ـ المرأة لها صداقها من المواشي (قلَّ أو كثر فهو غير محدود أقله ناقتان وأكثره عشر حسب مقتضيات ومقدرة الزوج. فإذا أراد الاشتراك معها في مواشيها يدفع مثل ما لديها.

٣٢ ـ المرأة إذا تزوجت في قبيلة أجنبية يكثر الصداق والأثاث المنزلي... إلخ إلخ.

٣٣ ـ المرأة لا تخاطب أو تقابل حماها (والد زوجها) وهي تحترمه جداً. وهو يكون دائماً في صفها ضد ابنه.

٣٤ ـ المرأة: يذبح الزوج لزوجته صباح وضعها للطفل وكذلك في يوم السابع. وعند إتمام مدة النفاس (أربعون يوماً).

٣٥ ـ المرأة تضع أمام بيتها قليلاً من النار عقب صلاة المغرب.

٣٦ ـ المرأة النفساء تعلق بجانبها جرساً تضربه عند الغروب لطرد الشياطين والوحوش. وعند طلوع الفجر شكراً لله إذا أصبحت الأم وطفلها سالمين.



**ويتمسك البجة رجالاً ونساءاً بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وهكذا تلبس النساء في إقليم البجة من أقصاه إلى أقصاه.**

## من ألعاب البجة

### * ياست YAST

هي عبارة عن نطتين تقرب من نطة المستطيل غير أن نطمة ياست تختلف عنها قليلاً وتبدأ بوضع عصاتين خلاف الثالثة التي يبتدئ النط منها:

أ ________________ أ

ب ________________ ب

ج ________________ ج

فمثلاً يضع رجليه خلف العصا (أ) متحاذيتين ثم ينط بهما إلى (ب) مسرعاً ويضعهما خلف العصا (ج)، ثم ينقل العصا (ج) من محلها إلى الأمام ويستأنف النط. والشرط الأساسي هو أن لا ينقل العصا (ج) إلا بعد أن ينطها، وعلامة ذلك أن تكون رجلاه خلف العصا فإذا لمستا العصا يستأنف النط حتى يتم النط.

❋ ❋ ❋

## عادات البجة

### * القِرى والضيافة

والبجة مشهورون بالمبالغة في الكرم والضيافة، فإذا طرق أحدهم الضيف ذبح له، فإذا تجاوزوا ثلاثة نحر لهم من أقرب الأنعام إليه سواء كانت له أو لغيره، وإن لم يكن لديه شيء نحر راحلة الضيف وعوضه ما هو خير منها. وهذا يؤيد ما قاله المقريزي: إن البجة أهل كرم وسماحة.

❋ ❋ ❋

### * الثأرات

وللبجة ميل فطري للانتقام وأخذ الثأر فلا يمنعهم من ذلك عهد ولا ميثاق «إن الذي لا ينتقض لن يأخذ بثأر أخيه».

## ذمة البجة

وهم أصحاب ذمة فإذا غدر أحدهم رفع المغدور به ثوباً على حربة وقال: هذا عرش فلان يعني أبا المغادر فتصير سيئة عليه إلى أن يترضاه. ويجيرون كل من يستجير بهم ولو كان أجنبياً عنهم.

❋ ❋ ❋

## سلاح البجة

كانت أسلحتهم سابقاً الحراب السباعية طول الحديدة ثلاثة أذرع، والعود أربعة، وبذلك سميت سباعية، وصناع هذه الحراب كان في العصر الجاهلي من النساء يقمن في موضع لا يختلط بهن رجال إلا المشتري منهن. ودرقهم من جلود الجاموس، وكذلك الدرقة الدهلكية (نسبة إلى جزائر دهلك) فإنها من دابة البحر. وقسيهم عربية كبار غلاظ من السدر يرمون عليها بنبل مسمومة. أما السيوف فإنها لم تظهر في بلاد البجة إلا بعد الحروب الصليبية سنة ٥٨٧هـ ـ ١١٨٢م.

❋ ❋ ❋

## غذاء البجة

كان ولا يزال غذاؤهم اللحم واللبن والذرة. وهم صحاح الأجسام صفر الألوان وسمرها. ولهم سرعة في الجري والنط والركوب وكل ضروب الرياضة البدنية خصوصاً في الحروب. وتبلغ ببعضهم حالة البسالة إلى حد لا يتصوره العقل حتى يظنهم المرء أنهم لا يقيمون للحياة وزناً.

❋ ❋ ❋

## منازل البجة

كانت البجة تتبع الكلأ حيثما كان الرعي. ومنازلهم من جلود المواشي، ولكنها الآن تغيرت فصارت من البروش (الحصير). وأما منازل

الخاصة من الرؤساء المقيمين منهم في مكان واحد صيفاً وشتاء فهي من الطين أو من القش.

❋ ❋ ❋

## ابن البنت أو ابن الأخت

كانت البجة قبل اختلاطها بالعرب المسلمين تورث ابن البنت أو ابن الأخت دون ولد الصلب وتقول (على حسب كاتبه ابن سليم الأسواني): أن ولادة ابن البنت أو ابن الأخت أصح، فإنه إن كان من زوجها أو من غيره فهو ولدها على كل حال.

❋ ❋ ❋

## ملوك البجة

كانت قبائل البجة لا تختلط بأي عنصر أجنبي إلا نادراً جداً، فإذا اختلطت به بحكم الجوار أو المصاهرة فإنها تدمجه فيها وتعتبره منها. وتضن علينا كتب قدماء المؤرخين بذكر أسماء ملوك البجة أو من سكن معهم من العرب قبل الإسلام. وأما الرجال الثقاة من البجة فيقولون: إن منهم من يسمى عندل وعبدل[1] وأولباب أو[2] أولباب وكنون وفيعس - أكرنداي Akranadai. وربما يولد البجاوي ولا يسمى إلا بعد أن يبلغ أشده، فتكون صفته هي اسمه، فيقال مثلاً: قرم فتت لمن كان يسرح شعر رأسه بوتد من الخشب، أو باتاديل Ba-taddil لمن إذا غضب لا يرضى الصلح. وفي البني عامرية يسمى إيتدكل Eyetdakkal أروبتك Robatak . . . إلخ. فلما جاء العرب وانتشر الإسلام بأرض البجة تركت التسمية بالصفات وتلاشت اللهم إلا الألقاب وأصبح كل بجاوي عري الاسم.

**وإلى هنا ينتهي تاريخ قبيلة الهدندوة**

---

(١) وتسميه العرب عبدالعزيز أو عبدالله.

(٢) وتعريبها علي بابا.






ثلاثة من شبان الرشايدة هدية من وزارة الاستعلامات والعمل بالخرطوم

## الرشايدة

أو الزبيدة، يطلق هذان الأسمان على آخر قبيلة عربية هاجرت من الحجاز إلى السودان سنة ١٨٦٩ م، واشترط عليها شريف مكة المكرمة أن تدفع له اثني عشر ألف ريال فامتثلوا. وكان أول من هاجر الذنيمات (Zeneimat) وزعيمهم الشيخ عبيد الله بن امبارك إذ استأجر عدة سنابيك وحمل فيها كل قبيلته والإبل والأغنام، ثم نزل في ميناء محمد قول، وبعضهم نزل في دَرور، وكانت معهم أسلحة نارية من الطراز القديم، فزار زعماؤهم سواكن وقدموا لمحافظها الولاء واشتكوا إليه من قلة المياه. فسمح لهم بأن يسكنوا جنوب سواكن جهة «أَشْعَتْ» و«السنتيراب». وطلب من الشيخ عبيد مراقبة التهريب (الرقيق والتمباك والأفيون)، وهي الأشياء التي اتخذوها مهنة لهم وتجارة لن تبور. وحدث هناك قتال شديد بينهم وبين الهدندوة قتل فيه الشيخ عبيد الله وأخوه عبيد وخريسان وبعض شبانهم أمثال سويلم بن الحلبة (من البراسا) وهو رجل مسن[١]، لم يعثروا على جثته إلا بعد خمسة أيام.

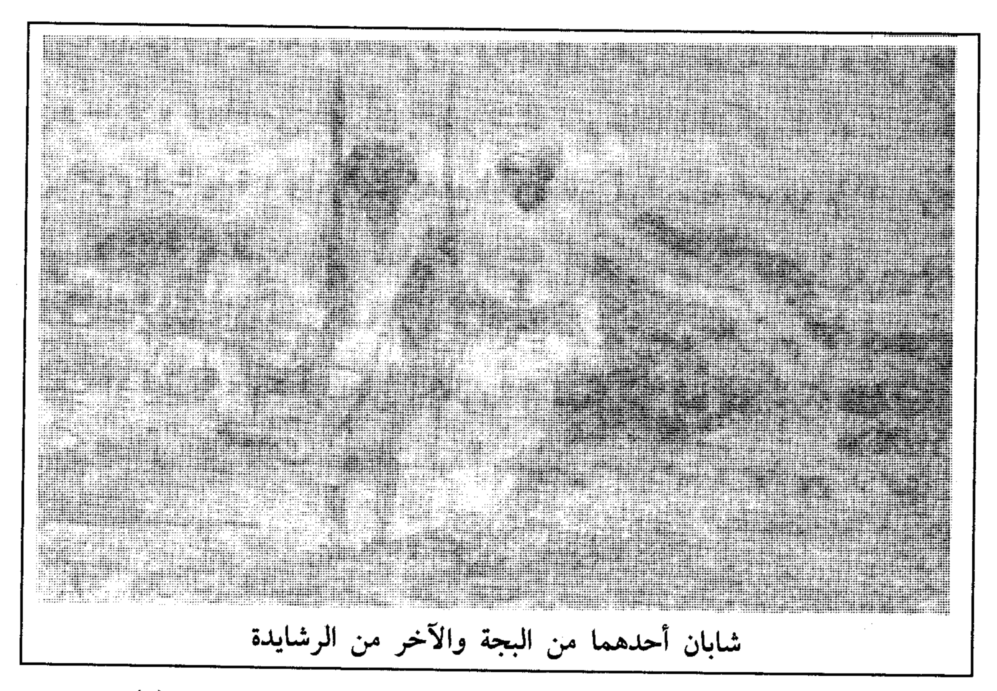
والشيخ عبدالله وإخوانه لم يقتلوا إلا بعد سجن العصابة الأولى، فتألفت أخرى ونهبت إبل عبيد الله وعبيد ومحمد عواض فأدركوهم عند سفح الجبل «شبة»، فأطلق عبيد الله رصاص مسدسه على الهدندوة، فقتل رجلاً منهم، ولكنهم اضطربوا فتناولتهم سيوف الهدندوة، فتولّى رئاسة القبيلة أخوه الشيخ عبدالله بن امبارك[٢]، فاستأذن من ممتاز باشا في الرحيل إلى جهة العقيق وعدوبنة، وهناك استجار الشيخ علي بخيت وكيل نظارة بني عامر فأجاره، وسمح لهم بأن يزرعوا في أراضي بني عامر، وأخذ العهود والمواثيق من مشايخ الجبال الشيخ موسى هُمَّد أُكُد

---

(١) كانت عصابة من الشرعاب والحنسلاب تقطع طريق توكر فقبض الشيخ عبيد الله على أحد عشر شخصاً منها وسلمهم لمحافظ سواكن. فاستاء أهلهم من عمله وقتلوا الحلبة (عائلة زبيدية).

(٢) رأيته سنة ١٩٠٧ بالدامر وقد نيف على المائة عام.

ومن الشيخ علي ضرار شيخ مشايخ السهول على أن يحموه مما يحمون منه أهلهم وذويهم، فتعهدوا له بذلك، واندمجوا في قرى بني عامر. وبدأ الشيخ عبدالله يعد العدة لأخذ ثأر إخوانه والانتقام ممن قتلوهم. واستمر حولاً كاملاً في ذلك ويقيس المسافات ويجرب الأسلحة والجمال[1].



شابان أحدهما من البجة والآخر من الرشايدة

واشترى عدة جمال «عنافية» لتحمل المشاق والعدو السريع[2]، وكانت قبيلة من البراطيخ سافرت في سنابيك أخرى معهم ولكنها نزلت في ميناء «امبارك[3]»، بقرب العقيق، والتقوا جميعهم واستعدوا للغزو.

---

(١) قبل هجرته للسودان اشترى جمل المحمل المصري وأطلقه في نياقه، وهاجر به إلى السودان وسميت ذريته: أبناء الشعلان.

(٢) قال لي الشيخ عمر علي تيتة زعيم الشرعاب أن الاصطدام وقع أولاً بين الرشايدة والسمرأر لأن الأولى ارتبط رؤساؤها بصداقة مع الشيخ عبدالقادر أبو زينب الكميلابي صديق ممتاز (باشا).

(٣) ويقال له: مرسي «دباديب اليماني». ويوجد آخر شمال بورتسودان يسمى دباديب العطشان الشامي.

وقبيلة البراطيخ حال نزولها بأرض الحباب[1]، اشتبكت معهم في عدة مواقع وخسر كل من الفريقين بعض الرجال، واضطروا أن يلجأوا إلى مكان وجود الشيخ عبدالله، وفي هذه الأثناء، أي بعد عام هاجرت قبيلة البراسا. فاشتد ساعد الذنيمات والبراطيخ. وفي أحد الأيام دعا الشيخ عبدالله امبارك رؤساء البراسا والبراطيخ وعرض عليهم قرارة، وهو غزو الهدندوة في السَّنْتيراب حتى يأخذ بثأر إخوانه، فأطاعوه. وقام على رأس عصابة قوية وقتل جماعة ممن وجدهم، وعاد من غير أن يخسر شيئاً. وعينته الحكومة المصرية ناظراً على عموم الرشايدة، وأمرتهم بدفع الجزية من أول سنة ١٨٧٣م[2]. ومما تجب الإشارة إليه أنه إلى يومنا هذا لا يخلو أي رشيدي من بندقيته أو مسدس، بخلاف سائر سكان هذا الإقليم الذين ما زالوا على فطرتهم الأولى في حمل السيف أو الحربة، وهنا تكمن الخطورة العظيمة بين الفريقين. وكانت حكومة الحكم الثنائي كل ثلاث سنوات تبدأ بتفتيش منازلهم وخيامهم وتغرم كل من ليس له إذن بحمل السلاح الناري. والرشيدي مثل الكردي إذا فقد البندقية لن يأمن على حياته في الدنيا. وفي سنيّ طلبان إرتريا الأخيرة كانوا يأتون بالأسلحة ويبيعونها. وكانت هذه حالهم في المهدية إذ كانوا يفتشون في رمال التيب عن البنادق والرصاص وينزعونها من أكتاف وأصلاب قتلى المصريين والإنجليز والهنود.

(١) سنفصل قتال الحباب والبراطيخ فيما بعد.

(٢) عفاهم ممتاز باشا من الجزية منذ عبورهم إلى السودان.



سيدتان من قبائل الرشايدة فاجأتهما آلة تصوير وهما بزيهما الكامل الذي يتمشى مع تعاليم الدين الإسلامي، وهما هنا بنفس الزي الذي خرجت به القبيلة من الجزيرة العربية إلى شرق السودان في القرن التاسع عشر الميلادي، ولم يتغير بعد.

## ذنيمات

هم بيت نظارة الرشايدة، وهم أول من عبر البحر الأحمر إلى السودان كما أسلفنا. ويقولون: إنهم من ذرية محمد الأمين بن هارون الرشيد من زوجته (زبيدة)، ولذلك لا يعترضون على من يدعوهم برشايدة أو زبيدية. ويقال: إن الشيخ عبدالله لما رأى حسن المراعي بالسودان استأجر بعض السنابيك وطلب من باقي الرشايدة الهجرة. ومن الذنيمات كانت هجرة العائلات الآتية: (أبناء امبارك) عبيد الله وعبيد (لم يعقبا)، وعبدالله[1]، ورشيد. ومن أبناء عمومتهم: جلاف وعواض ورويشد، وعوض، ورشيد، ودواس، وسلامة، ومسلم، واليوم لا تقل ذرية كل منهم عن الخمسين.

واشتهر الشيخ عبدالله بالحزم وإباء الضيم، وقد ذاق بؤس الحياة ونعيمها في أرض يجهل طباع أهلها، وقبائل تحت رئاسته ولكنها لا تأتمر بأوامره، بل كل منهم يعتبر نفسه حر التصرف ما دام يحمل سلاحاً نارياً يقتل به كل من لا يطيعه. ولهذه الأسباب تراكمت المشاكل على الشيخ عبدالله فرأى أن يصاهر العجيلاب ليأمن على ظهره. وفي أحد الأيام أمر الرشايدة بأن يبتدعوا عن ديار الحباب فحالفه جماعة منهم.



## بين الذنيمات وعائلة عمودي الحبابية

وذات يوم هرب بعير من عائد بن جَلَّاف ولقيه إدريس محمود دقة، فذبحه وأكله[2]. وجاء صاحبه خلفه يقص الأثر حتى وقف على دمه مغتاظاً، فاستاق أغنام القرية جميعها وتهددهم بإطلاق الرصاص، فصرخ علي بخيت بن إدريس محمود طالباً النجدة. وكذلك فعل عايد، واجتمع الفريقان في قَلَبْ سَقْلا Galab Sagla فأطلق الرشايدة الرصاص على الحباب

---

(١) رزق عشرة أنجال ولكل منهم ذرية طيبة اليوم بالدامر.

(٢) كان هذا البعير السابع مما أكله الحباب من الرشايدة.

وأصابت رصاصة الشيخ إدريس محمود دقة في جبهته، وطار مخه في الهواء. وعند ذلك قال عايد: أظن أن إدريس كان يأكل من كل بعير[١]، المخ. ومات موسى إدريس محمود أيضاً، ورجل من الأفلندة اسمه درب بن طَدَا[٢]، فتشعبت المشاكل[٣]، بين الرشايدة والحباب واستاء كنتيباي من قتل عربانه، فاتفق حامد بك حسن مع محمد علاء الدين باشا (محافظ مصوع) كي يأمر بترحيلهم إلى درور[٤] شمال بورتسودان. فلما بدأوا في الرحيل أقلقت راحتهم عصابات الحباب بالقتل والنهب، ولم يتورعوا عن قتل الشيخ والمرأة والطفل. فلما أظلم الليل ذبحوا كل من وجدوه بداخل الخيام. وكانت هذه العصابات تختفي نهاراً في منازل بني عامر وتخرج ليلاً للبحث عنهم. ولم يسلم منهم إلا الشبان الذين ينامون في مكان مختف عن الناس. واختلف الرشايدة مع جماعة في الآبار واستعملوا الرصاص، فقتلوا ثلاثة من العجيلاب[٥] خطأ، فاشترك أخوهم أبو بكر مع الحباب في كل المواقع. منتقماً لإخوانه.

واستجار الرشايدة بالعجيلاب في عقيتاي فأجارهم الشيخ ضرار بن علي لمدة عشرين يوماً فقط وبعدها أعلنوا الرحيل إلى عيدب. فهجمت عصابة «رديء بن بلغ شكاني» على قبيلة الشيخ عبدالله بن مصلح[٦] وقتلوه

---

(١) أخذ ابن عمه بثأره من الرشايدة.

(٢) وأكلوا بعير سلمان الأذلق أيضاً وهو من البراطيخ الذين استعانوا بمسلم مسلم بن عيشة قناص الذنيمات لصيد المجرمين.

(٣) جاء الشيخ ضرار علي ودفن القتلى وذبح ثلاثاً من أبقاره على قبورهم ولم ينس أبناء عمودي هذا الفضل إذ حضروا إلينا في سنة ١٩٣٠م عقب وفاة والدي للتعزية ورد الجميل.

(٤) دارت الأيام دورتها ورحل ابن حامد بك هذا (كنتيباي محمود) إلى درور سنة ١٣١٤هـ، ففقد الرجال والإبل والبقر والماشية بدون سابق خبرة أو دليل. وقد ذكر ذلك الشيخ محمد بن كنتيباي إداد في أشعاره بهجو المذكور.

(٥) هم أبناء علي أبي طالب عجيل.

(٦) والد صديقي امبارك العازمي الشرقي الذي أخذ بثأر أبيه من عمود. ومراراً ما حاول الترصد لرديء فلم ينجح واكتفى بغيره.

هو ومساعد وسَعِيد وسُعَيِّد وابني سعد بن مصلح، وسليم بن سلامة (ذنيمي) وما لا يقل عن الخمسين من الأطفال والنساء. وكما هي عادة الرشايدة كان الرجال كامنين في جهة «دِرْقِتْ» تلك الليلة. فلما أصبح الصباح وجدوا القرى كلها مآتم وبكاء وعويلاً وصراخاً وجرياً ونحيب أيتام. فكان منظراً يفتت الأكباد. فركبوا الجمال خلف العصابة فأدركوها في منهل «رحيب» وقد حضر كَنْتِيبَايْ بكل رجاله وجنوده وهم أكثر من ألفين. أما الرشايدة فكانوا نحو أربعمائة رجل. ووقف الحباب على ضفة الوادي الشرقية، والرشايدة على الغربية. وإذا بالسيد إبراهيم ابن الشيخ محمد بن علي. والشيخ ضرار، والشيخ أُكُدْ موسى يقفون برجالهم بين الصفين وبيد السيد إبراهيم المصحف الشريف فتهادن الفريقان. وارتاح كل منهما من وضع المصحف بينهما فوق سرج جمل وانقلب كل إلى أهله. وفي النفس ألم ومضض، وارتحل الحباب إلى «درور» و«أقرع»، والرشايدة إلى «مَقَدَّام» ثم «هاقنوب» (السهول الواقعة بين توكر وسواكن). قال الشيخ امبارك العازمي إن كنتيباي حامد اقترض من الشيخ باجنيد (التاجر الحضرمي بمصوع) عشرة آلاف ريال، ودفعها إلى محمد علاء الدين باشا[1]، نظير ترحيل الرشايدة من أرض بني عامر والحباب إلى أرض الأمارأر. وكان يسير خلفهم ومعه قوة من الجيش، فلما وصلوا دَرور قال لهم: هذا لا يكفي، فطردهم إلى محمد قول (بَأيديب)، فلما وصلوها استعدوا لقتاله هو وجنوده وعلى رأسهم الشيخ مرشود بن مريخيم بن عمرو[2]، ولكن تدخل في الأمر الشيخ محمود علي بك زعيم الفاضلاب، وكان صديقاً للشيخ مرشود، وطلب من علاء الدين باشا أن يرجع عنهم، وتكفل هو بضمانهم وحسن سلوكهم وإطاعتهم لأوامر الحكومة. وأيده ناظرهم الشيخ عبدالله المبارك وسار بأهله نحو حلايب. ولما اشتكى الرشايدة للحكومة مطالبين بدية قتلاهم دفعت للمشايخ والأعيان، وهؤلاء أكلوها ولم يدفعوا منها مليماً

---

(١) قال محمد بك موسى ناظر الهدندوة سنة ١٨٨٣م، إن علاء الدين نزيه جداً ولم يحدث أن أخذ رشوة، ولكن إبراهيم فوزي باشا في تاريخه يؤيد كلام العازمي.

(٢) اشتهر هذا الرجل وأنجاله بكرم الأخلاق وحميد الخصال.

لأهل القتلى، فانتشر الخبر في سواكن حتى سمعته الحكومة فسجنت منهم نحو أربعين شيخاً، وأخذت منهم نحو أربعمائة وخمسين ناقة نظير الدية. واشتراها محمد بك الشناوي سر تجار سواكن باثنتين وثلاثين ريالاً الناقة الواحدة دفع منها للحكومة عشرين ريالاً وللرشايدة عشرة ريال عن كل ناقة، وجعل عليها وسمه (وهو حرف ش في الفخذ الأيمن) وصارت ترعى بين توكر وسواكن حتى كانت المهدية فاستولّى عليها أمير توكر خضر بن علي الحسنابي العمري القرشي[1].

والذنيمات تطلق على العائلات الآتية:

١ ـ ذوي البراغيث.

٢ ـ ذوي رشيد بن حليمة.

٣ ـ ذوي الحويجات الكبرى.

٤ ـ ذوي عايض.

٥ ـ ذوي الحويجات الصغرى.

٦ ـ العوازم.

٧ ـ العرينات.

٨ ـ القزايز.

وبعد وفاة الشيخ عبدالله تولّى نظارة الرشايدة أصغر أبنائه هو الشيخ امبارك. وكان دمث الأخلاق، جدد صلاته وعلاقاته الطيبة مع الأشراف بمكة المكرمة وأهله المتخلفين بالحجاز، ولكن الأيام لم تمهله، فانتقل إلى جوار ربه وهو في ريعان شبابه وخلفه ابنه الشيخ بركي، ولسوء تصرفاته ألغت الحكومة وظيفة النظارة وحاولت أن تقسمهم بين ثلاث قبائل فتضم عمودية البراسا تحت نظارة الهدندوة[2]، والبراطيخ تحت بني عامر

---

(١) هم ذرية ولي الله الشيخ أحمد بن عجيل المدفون باليمن.

(٢) اشترط إبراهيم بك موسى أن يقبل امبارك العزمي العمودية ولكن الأخير رفض بتاتاً.

والذنيمات تحت الشكرية. . . فرفضوا جميعهم ذلك ولا زالوا ثلاث عموديات بلا نظارة والأوفق تعيين شيخ خط لهم حتى يتطوروا بدلاً من حالتهم الحالية التي كلها بؤس وشقاء لم يرتقِ منهم إلا الذنيمات. وعميدهم اليوم هو الشيخ علي بن عبدالله امبارك أول رشيدي نادى بطلب الاستقلال.

❋ ❋ ❋

## الرشايدة في المهدية

كانوا لا يخالفون أمر ناظرهم الشيخ عبدالله الذي نصر الإمام المهدي في كل المواقع وفتح طريق التجارة عن طريق المراسي الجنوبية والسودانية بدلاً من طريق سواكن الذي كان تحت الاحتلال الأجنبي، وكان محترماً عند كل الأمراء لصدقه وإخلاصه.

ولم تعد قبائل الرشايدة من عِيتْبايْ إلا بعد أن انتشرت المهدية في شرق السودان وزالت سلطة الحكومة التركية. وقتل محمد علاء الدين باشا في واقعة شيكان نوفبمر **١٨٨٣**م. وانتقلت الذنيمات والبراطيخ إلى داخلية أرض الحباب حتى وصلوا مصوع[١]، وقدموا ولاءهم لمحافظها الإيطالي، فولى عليهم الشيخ عبدالله السمهودي في الذنيمات، والشيخ امبارك بن سالم على البراطيخ، وعلى البراسا الشيخ مسعود بن عبدالله. وفي أيام إقامتهم بإرتريا قتل رجل من فَسْحليت رشيدياً مريضاً. وفجأة قتل أقاربه محمد عمر محمد عبدالله فِكاك من العجيلاب، وقطعوا يده، ثم فروا جميعهم إلى السودان. ولكن أدركهم إخوانه وأخذوا بثأره، ولم يعد منهم إلا البراطيخ. فتولّى عموديتهم الشيخ عودة ابن الشيخ امبارك. وكذلك عاد معهم قليلون من المنافير ودِهْمان ودلقان وكعيكات.

ويتولّى القضاء في الرشايدة أبناء عمومة الذنيمات وهم ذرية الشيخ

---

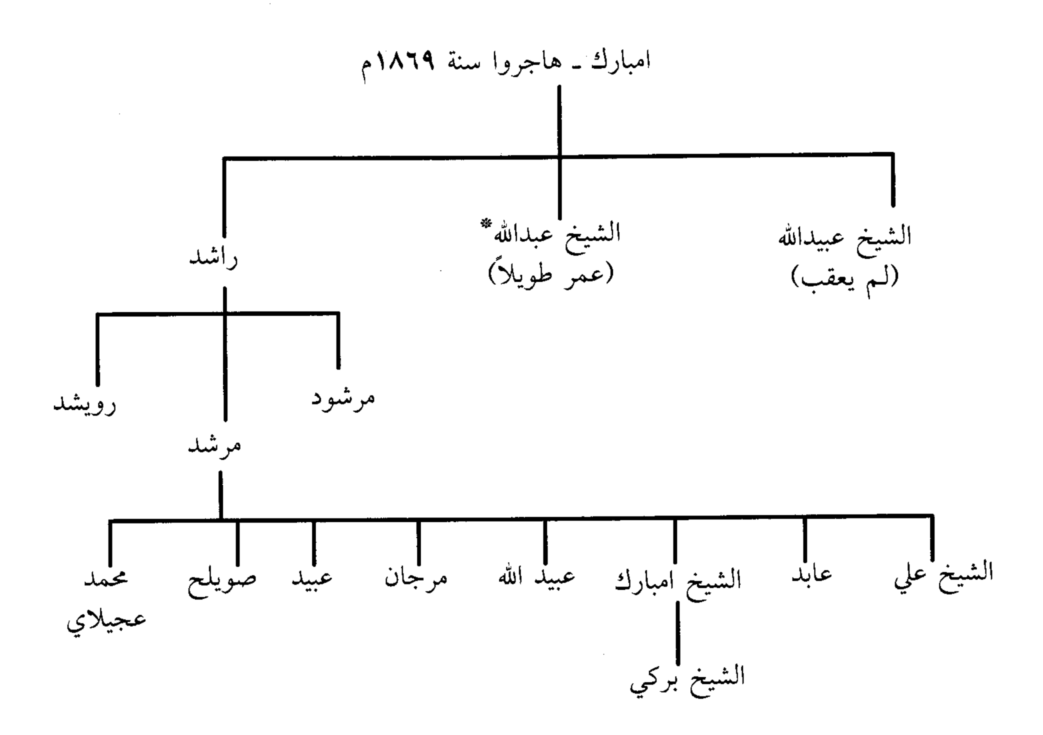
(١) ولم يكن معهم الشيخ عبدالله امبارك ناظرهم إذ سافر إلى الحجاز لبيع العاج وريش النعام والخيل والجمال وبعض الرقيق.

سلامة وابن عمه الشيخ مسلم مرزق. وأول قاضي بالسودان عند الرشايدة هو الشيخ عبدالله بن سلامة، فلما توفى خلفه ابنه الشيخ عبيد الله (القاضي الحالي) ويسكن مع الذنيمات على ضفاف نهر عطبرة. واعتاد الرشايدة منذ هجرتهم أن لا يصاهروا سكان هذا الإقليم ولذلك يتبادلون زواج أبنائهم على بناتهم، والذي لا يعرفهم يظن أن زواجهم شغار أو غير سني. الحقيقة أن كل امرأة بمهرها وصداقها حسب الشريعة السمحاء. هذا عند الرشايدة القاطنين بالسودان. أما البراطيخ في إرتريا فقد كادوا أن يندمجوا في الحباب بالمصاهرة أي يتزوجون من الحبابيات، ولا يقدر أحد على حل مشاكلهم العائلية إلا قضاتهم.



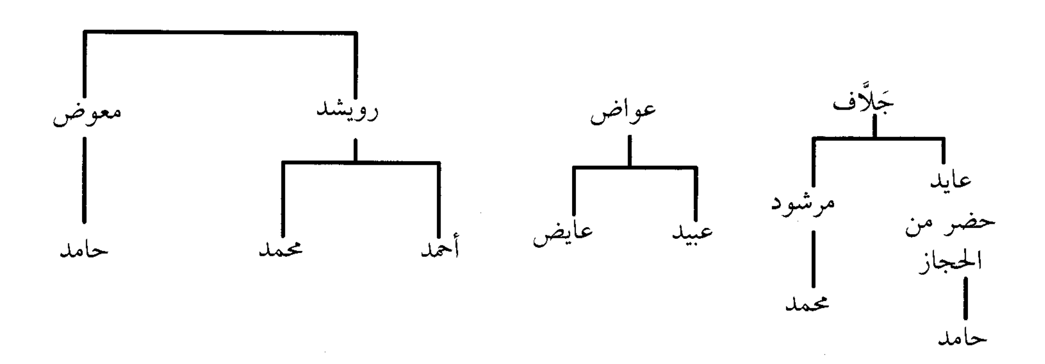
## رشايدة ذنيمات

تتألف منهم عائلة بيت النظارة

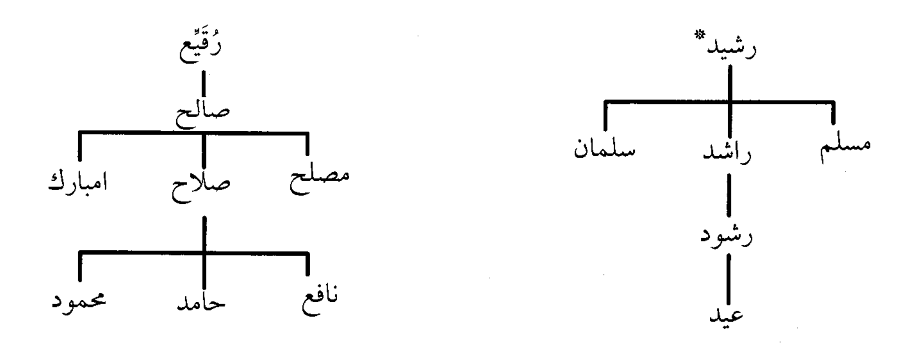



(*) صاهر قبيلة العجيلاب.

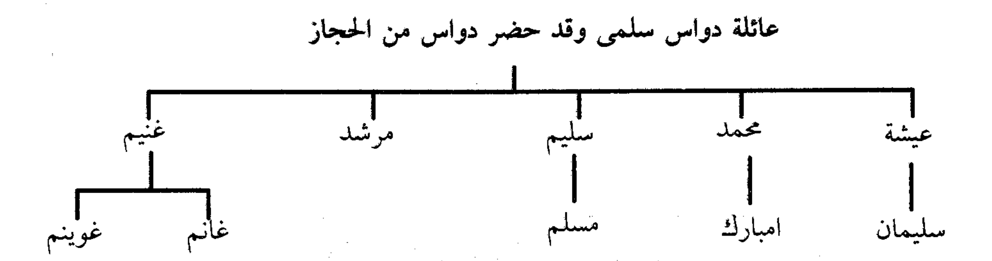
## ومن أبناء عمومة الشيخ عبدالله بن امبارك السابق

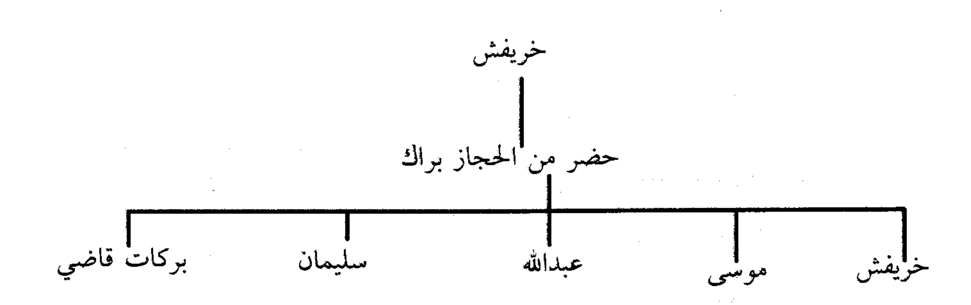



## تابع الرشايدة ـ ذنيمات




(*) رشيد سنبوكه وصل قبل كل السنابيك إلى محمد قول.

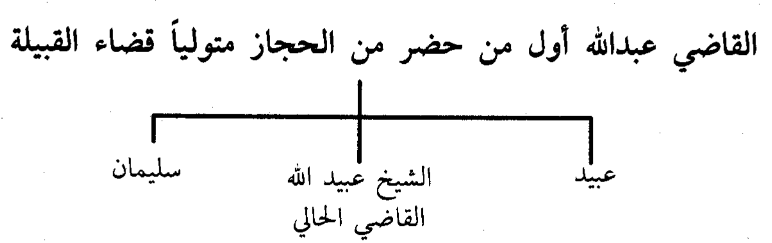

عائلة دواس سلمى وقد حضر دواس من الحجاز
غنيم
مرشد
سليم
محمد
عيشة
غوينم
غانم
مسلم
امبارك
سليمان

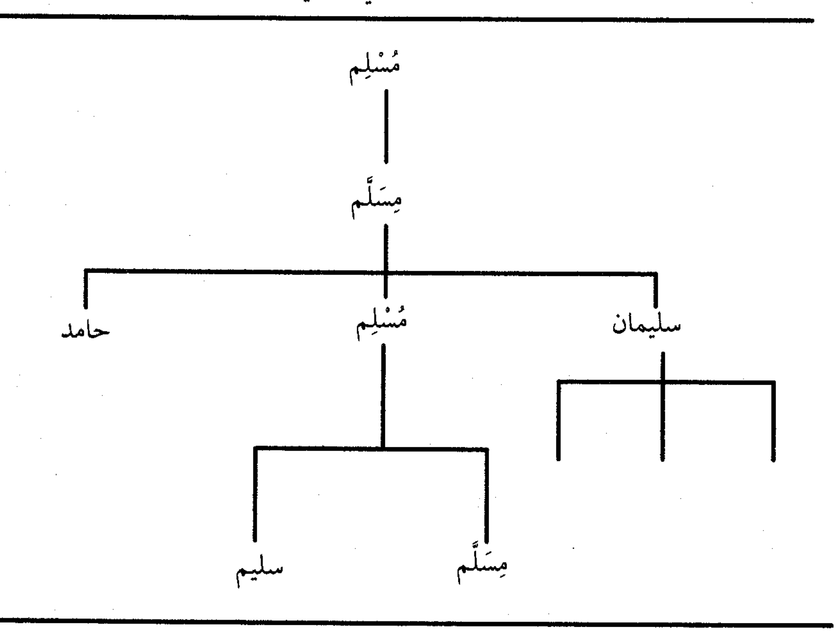

خريفش
حضر من الحجاز براك
بركات قاضي
سليمان
عبدالله
موسى
خريفش

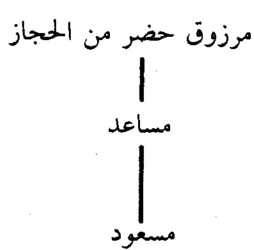
**ومن الذنيمات عائلة القاضي وهم قضاة الرشايدة الشرعيين**

**سلامة**

**القاضي عبدالله أول من حضر من الحجاز متولياً قضاء القبيلة**



## الرشايدة براسا BARASSA

هم ذرية البرعوصي ويقال لهم: الشروق[1]، وحضرت غالبيتهم بعد سنة ١٨٧١م. وهم عدة عائلات أشهرهم:

العميرات والحُلب: وقد تناسل منهم أبناء عايد بن جروان بن عميرات وأبناء سويلم بن الحلب.

ومنهم الكعيكات: أبناء حامد وسلمان جِلْحِيط، وثالثهم هو امبارك أبو عيش حضر عن طريق سيناء والسويس.

ومنهم ذو عمرو: وهم عدة عائلات كانت فيهم الرئاسة مدة وجودهم بالحجاز وآخر رؤسائهم هناك كان الشيخ امبارك بن عمرو بن عودة (ناظرهم)، أما العمومية فكانت في يد الشيخ حيان بن عبدالله بن زيدان بن سالم والشيخ صالح الدبِل (ذي الإبل) ابن سويلم فلما توفي خلفه ابنه الشيخ مسعود وبسبب سوء سلوك بنيه مع القبائل رحل من السودان إلى إرتريا فأمر مدير كسلا جميع مشايخ حصص البراساكي يختاروا عمدة من بينهم موقع اختيارهم على الشيخ بركات وهو آخر من حضر من الحجاز سنة ١٩٢٠م تقريباً. وبهذا الاختيار انتقلت العمودية من بيتها الأصلي. وبعد عامين عاد الشيخ مسعود وتشاجر أبناؤه مع أبناء بركات العمدة الجديد.

ومنهم الفعيرة: وهم ذرية الشيخ سليم الفعيرة وهم سعد وكلب الله وعطية الله وامبارك وعودة.

ومن ذو عمر أيضاً: أبناء محمد عيادة وأبناء عودة بن رشيد ومنهم ذرية حميد أبو رَافِت ومحمد أبو رطب وأبناء بركة وبراك وامبارك.

براسا جلادين: هم ذرية سالم وسويلم بن سليمان ومساعد بن مرزّق وكامل ومكمل ويرأسهم الشيخ لوقي بن امبارك بن عوض.

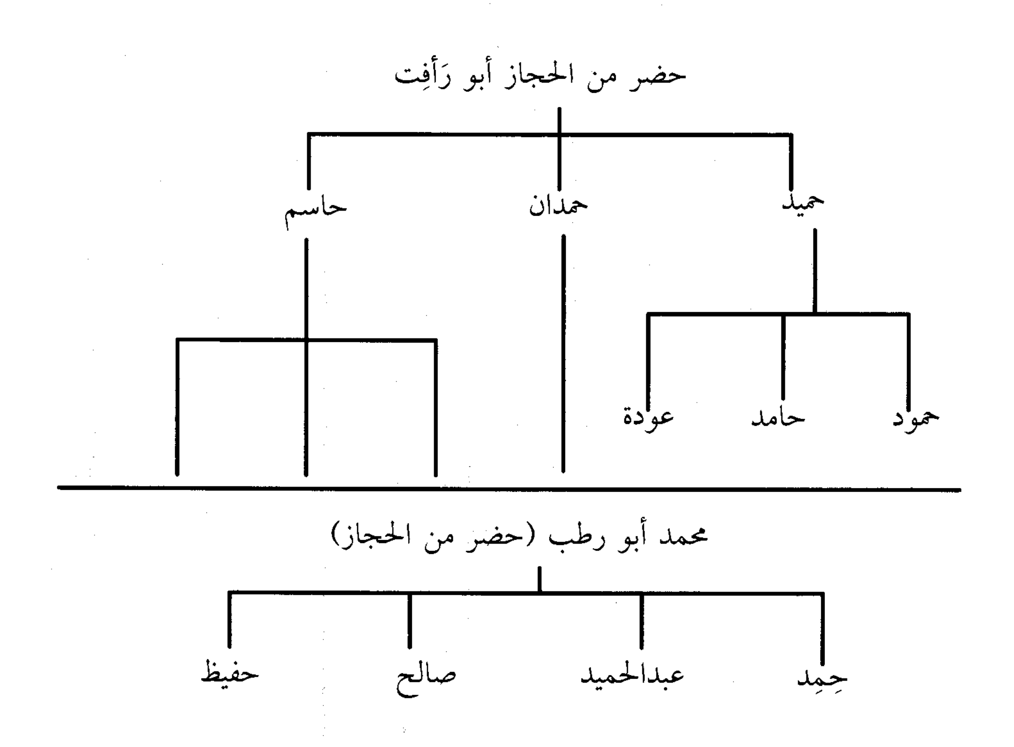
ذو عمرو: هم أبناء عبدالله وامبارك بن عمرو بن عودة وأما العيادات (عايد) فهم أبناء بريكين بن عيادة.

---

(١) يدعون أنهم أشرف الرشايدة في الشرق والغرب ولا يرضون بمصاهرة البراطيخ إلا ما ندر.

## (براسا)
## ذو عمرو

ومن مشاهير ذو عمرو عائلة أبو رأفِت، ومحمد أبو رطب. وكانت رئاسة البراسا بيد الشيخ أبو رأَفت، فلما توفي خلفه ابنه الشيخ حميد، ولكن ضيق صدره جعله دائماً في خلافات مع جيرانه، وأخيراً نزح من سواحل البحر الأحمر إلى كسلا ثم منها إلى أم حجر بإرتريا والحبشة، وأخيراً عاد إلى كسلا فاستقر بها. وهو بخلاف أخيه محمد أبو رطب إذ أنه هين لين.

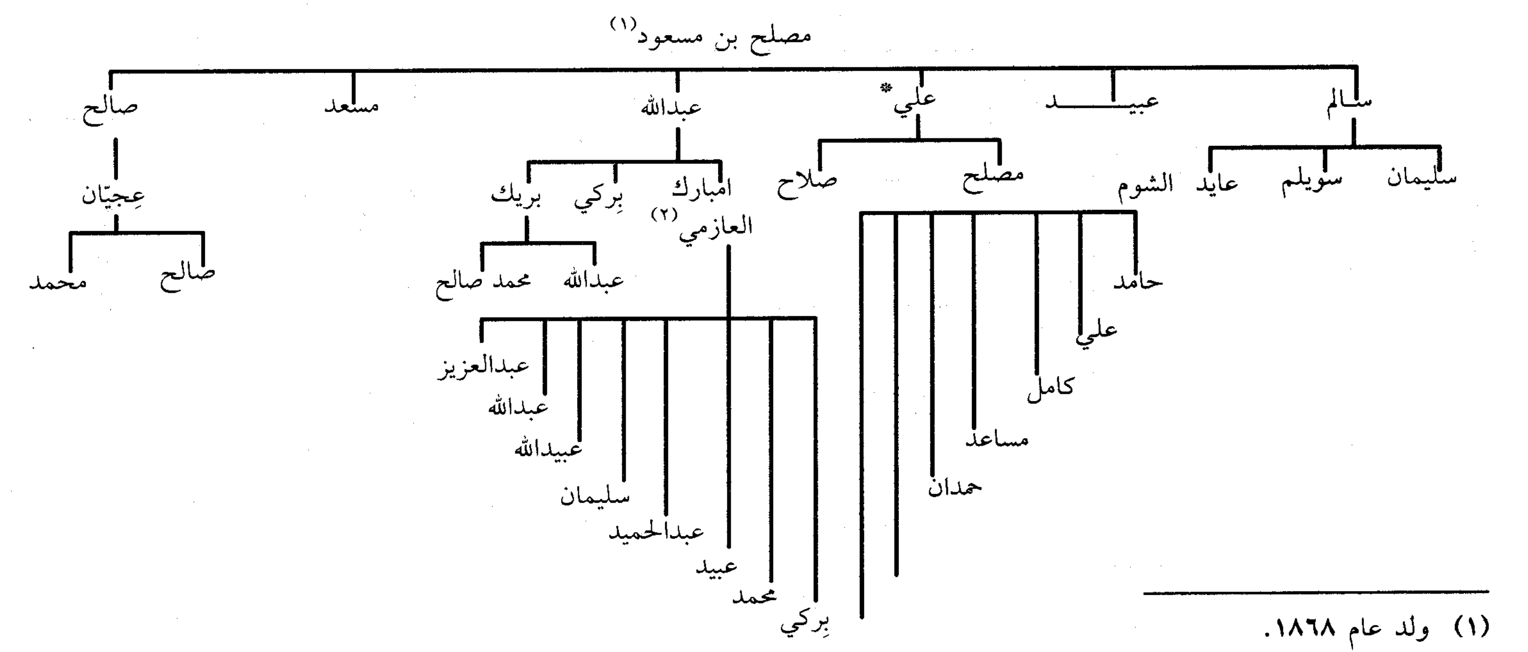



ويتبع هؤلاء أيضاً أبناء بركة أبو بريكين بن عويض وأبناء برّاك وامبارك.

❋ ❋ ❋

## الرشايدة ـ براسا ـ أبناء مصلح بن مسعود

أو شروق أو شنانير ـ هم أشهر قبائل الرشايدة عموماً بالجود والكرم والوفاء وإجارة المستجير. فقد رأيت منهم أكثر مما سمعت في الشهامة وعلو النفس. وهؤلاء الشروق يقال لهم: أبناء مصلح بن مسعود بن سعيد.

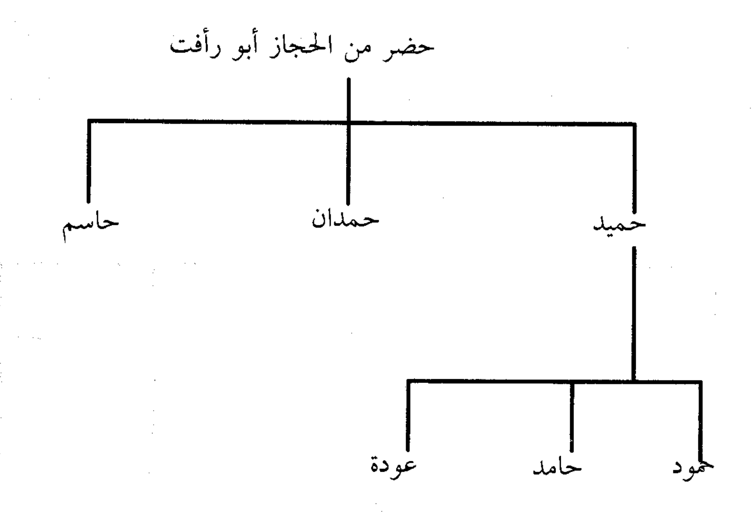


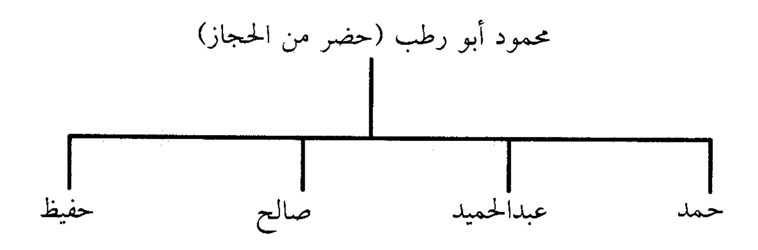

(١) ولد عام ١٨٦٨.

(*) ومن أبناء عمومتهم ذرية امبارك بن عبدالله بن حيان.

(٢) ولد عام ١٨٦٩ بالحجاز أدركت كل هؤلاء الأحفاد وأخذت عنهم كثيراً.

## براسا ـ ذو عمرو



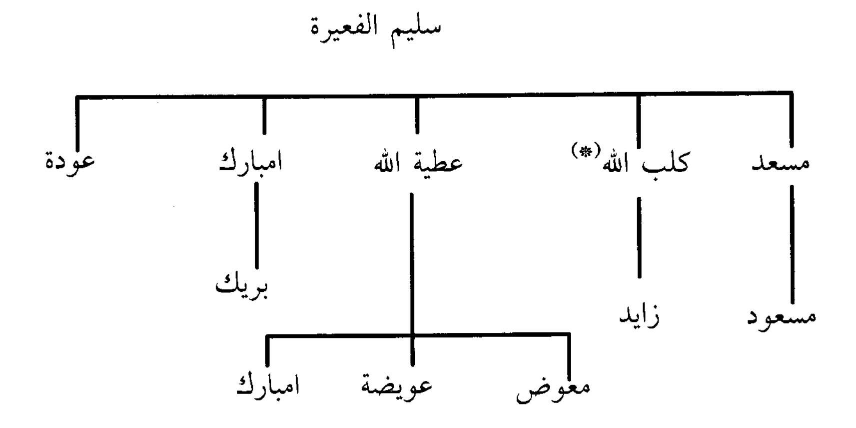




ويتبع هؤلاء أيضاً أبناء بركة أبو بريكني بن عويض وأبناء براك وامبارك.

❋ ❋ ❋

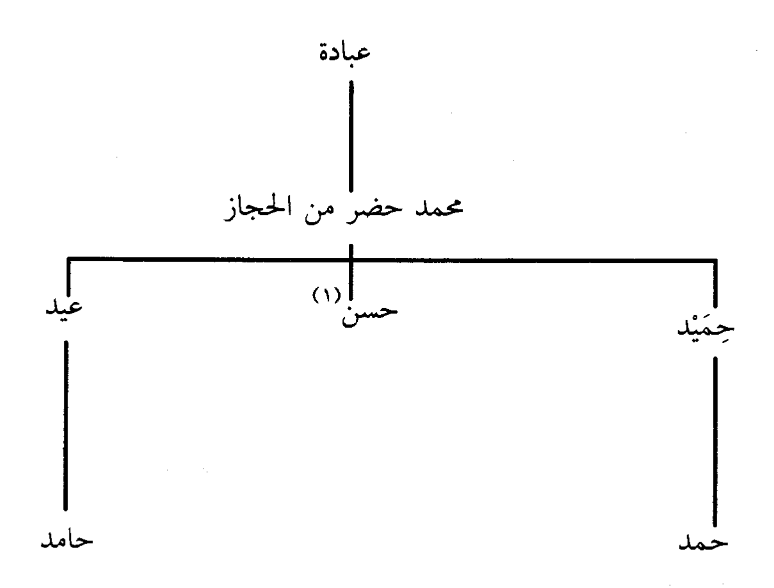
## رشايدة
## براسا الفعيرة

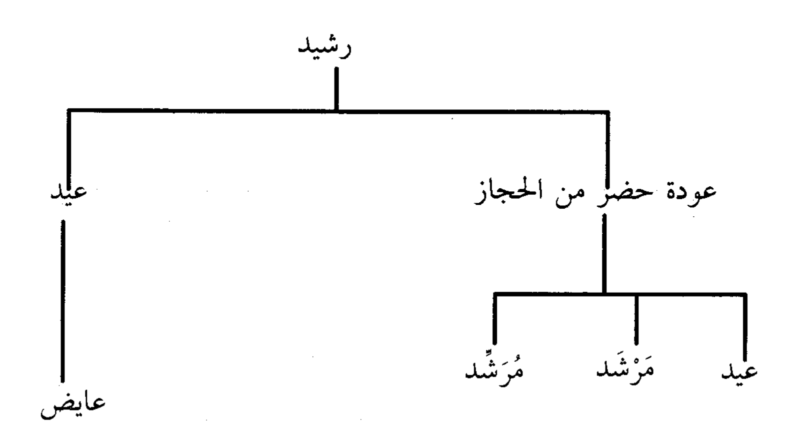
وحضر مع البراسا إلى السودان أربعة أخوان من ذرية سليم (ويقال لهم: الفعيرة). ومن نسلهم جاء الخمسة رجحال أدناه:




ونزح معهم إلى السودان أبناء عبادة وراشد.

(*) هو الذي أصاب من ساحل حلايب قبطان الوابور الحربي الإنجليزي فقتله سنة ١٨٨١م.

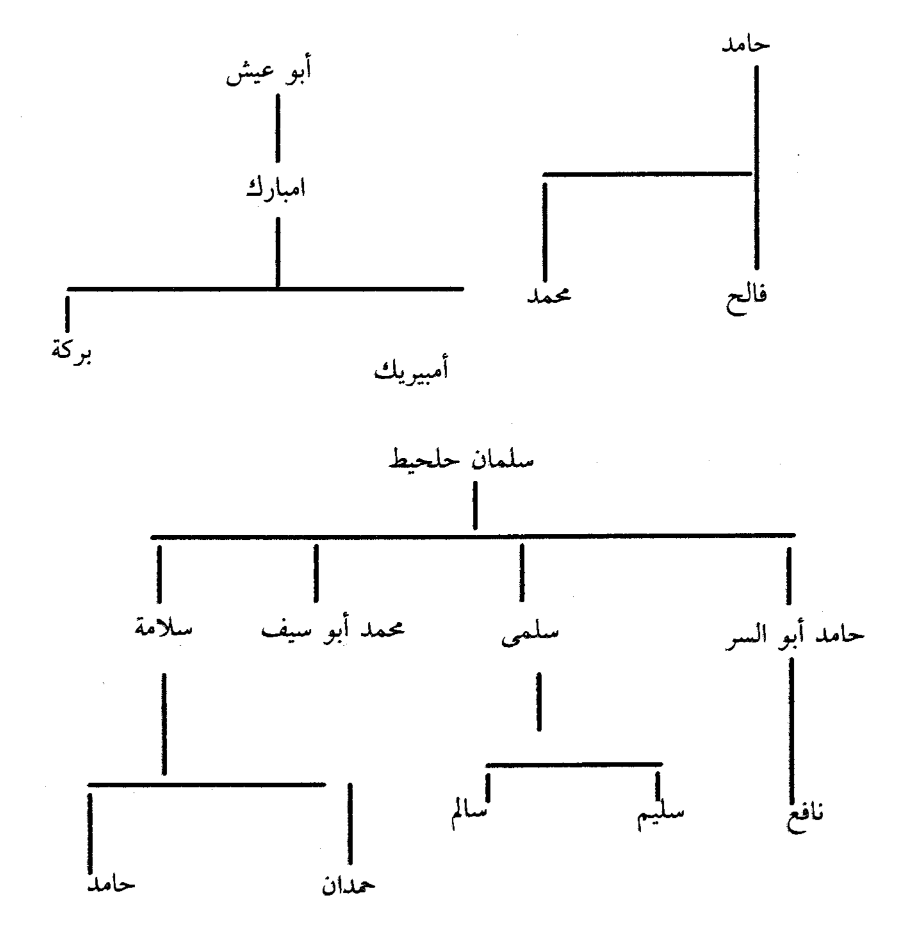



(١) كان شريراً ولكن وجود الشيخ مصلح بن علي يصلح شره.

## رشايدة
## براسا

وهؤلاء يقال لهم: كعيكات وقد انضموا إلى البراسا فنزح منهم عن طريق البحر الأحمر الثلاثة سنة ١٨٧٠م حامد وسلمان حليبط وامبارك بن أبو عيش[1]



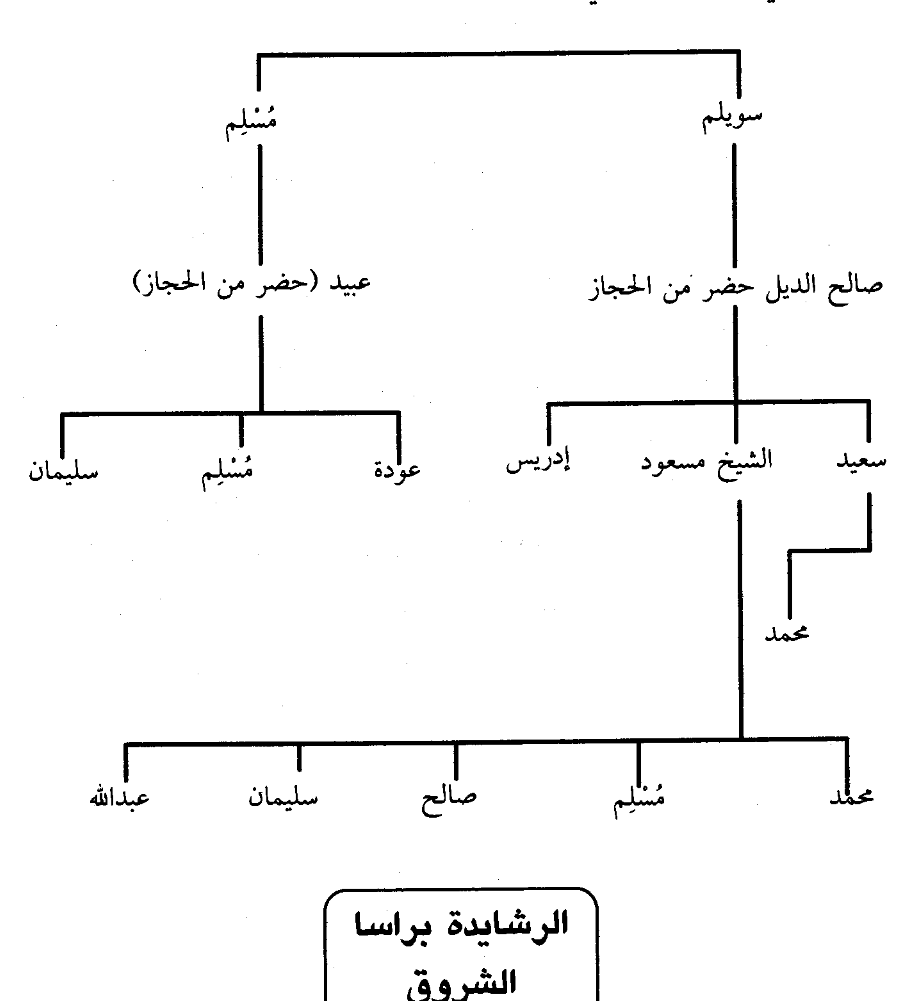

❋ ❋ ❋

(١) اجتمعت بهم كثيراً قبل سنة ١٩٣٠م.

## رشايدة براسا

ومنهم ذو عمرو، وهم عدة عائلات كانت فيهم رئاسة عموم الرشايدة مدة وجودهم بالحجاز. وآخر نظارهم هناك كان الشيخ امبارك بن عمرو بن عودة تحت زعامة شريف مكة المكرمة. وأما العمودية فكانت بيد الشيخ حيان بن عبدالله بن زيدان بن سالم ومعترف لذي عمرو بالرئاسة في ذويهما وفي مجالس عموم الرشايدة. وهاجر من الحجاز إلى السودان سنة **١٨٧٠**م منهم العائلات الآتية وهم أيضاً الدفعة الثانية ولم يسبقهم إلا الشيخ عبيد الله وقبيلة الذنيمات إذ كان نزوحهم سنة **١٨٦٩**م ولما وصلت ذو عمر إلى السودان تولّى رئاستها الشيخ صالح الدبل (ذي الإبل) ابن سويلم فلما توفي خلفه ابنه الشيخ مسعود بن صالح. وبسبب سلوهم أبنائه غير الحميد هاجر من كسلا إلى إرتريا فخلا المنصب سنة **١٩٢٣**م، فاختاروا الشيخ بركات بن غوينم، وبهذا الاختيار انتقلت العمودية من بيتها الأصلي. وبعد خمس سنين عاد الشيخ مسعود من إرتريا فقتل أبناؤه إبل الشيخ بركات فدفع مسعود قيمتها.

وها هي العائلات التي تسمى ذو عمر:




## الرشايدة براسا الشروق

هؤلاء القوم تجدهم دائماً يتحلون بمكارم الأخلاق ويألفهم المرء خصوصاً إذا اجتمع بهم فإنهم يكرمونه إكراماً لا يلقاه عند سواهم وأقل عطاء أفرادهم هو المطية، فإن كانوا عشرة أعطوك عشراً أو قيمتها وهم في غاية التحفظ عند الكلام في المجالس العامة ويكرهون المناصب ذات المسؤوليات.

والشروق هم أبناء مصلح بن مسعود بن سعيد. ومن أبناء مصلح علي وعبدالله وسالم وعبيد وسعد وصالح وأبناء امبارك ابن حيان وأبناء عجيان ولهم قاضي برغوصي خاص هو الشيخ سعيد الدهين.

## كِعِيكات

هم ذرية فالِح ومحمد بن حامد وامبارك بن أبو عيش وأبناء سلمى وسلامة ومحمد أبو سيف وحامد أبو سر ذرية سلمان جِلْحِيط ويرأسهم الشيخ فالح بن حامد.

وفي أيام إمارة الحاج محمد عثمان أبو قرجة سكن البراسا حول حوض إتقلحِي Itoalni فطلب منهم الأمير أن يحضروا زكاة الإبل[١]، والضأن والغنم[٢]، فتلكأوا وطلبوا مهلة حتى يعود الشيخ عبدالله ناظرهم. فقال لهم الأمير: هذه حقوق شرعية تنفيذها واجب فرفضوا فأعطاهم إنذاراً لمدة ثلاثة أيام، فلم يكترثوا لإنذاره فهجم عليهم وهو على رأس الجيش بفرسه، فجرحوا الفرس ولكن تناولتهم سيوف الأنصار قبل أن يطلقوا رصاصة واحدة. فقتل كثيرون من شجعانهم، أشهرهم ثلاثة من أبناء بُقْبَشَة (سويري ومحمد ومهدي) وعابد بن جروان وقتل سليم بن مصلح[٣]. وثلاثة من أبناء رشيد بن جَليَة ذنميات) وهنيدي وسالم بن مصلح وعباد بن جروان الذي جلس كلبه يحرس جثته ثلاثة أيام بدون أكل أو ماء. قال والدي: إن الأمير أبو قرجة لم يتعجل الشر، بل أرسل الطلائع بقيادة الأمير الشايب وابن هارون فاستقبلهم الشيخ ضرار بعلم أبيض في عقيتاي، فرجعوا إلى أتقَلْحِي. وتلقاهم عايد بن جروان وحامد بقبشة وهنيدي فسألهم الشايب هل مطيعون أم عصاة؟ فقالوا: عصاة، ولذلك قضى عليهم.

---

(١) البراسا هم أغنى قبائل الرشايدة في الإبل.

(٢) لا يعتنون بتربية البقر.

(٣) قتلى البراسا نحو سبعين رجلاً وقتل ثلاثة من الأنصار وخيولهم بالرصاص.



هذان الشيخان صديقان قديمان للمؤلف وقد أخذ عنهما كثيراً من تاريخ الرشايدة بالسودان خصوصاً عشيرتهما (براسا)[1].

❋ ❋ ❋

## الرشايدة والمهدية

استولّى ابن هارون على ألف ناقة، أما النساء والأطفال فقد استلمهم والدي، وأمره بأن يصرف عليهم حتى يأتي أقاربهم. وكان نحو خمسين منهن عند الشيخ أُكُد موسى، فلما حضر الشيخ عبدالله استلم ما عند الوالد بسلام، وأما ما كان عند أُكُد توفين بمرض الجدري إذ فتك بهم جميعاً.

(١) الشيخ مصلح بن علي ولد بالحجاز قبل الهجرة إلى السودان بسنتين ١٨٦٨ توفي ١٩٤٦م.
امبارك العازمي بن عبدالله كان ابن سنة يوم هاجر البراسا إلى السودان ١٨٧٠م والأخير عمره اليوم تسعون عاماً (لغاية ١٩٦٠م).

وبينما كان يمزح عايده بن جلاف مع عبداللطيف أبو شبارين انطلقت رصاصة من بندقيتيه فأصابت الثاني وقتلته؛ وقبل خروج روحه اعترف بأنهما كانا يمزحان، فألقى الأفلندة القبض على مرشود بن جلاف[1]، وأتوا به إلى جدي الشيخ علي ضرار، فوضعه في سلسلة مع عمي حسين، وسلمهما للأمير محمد طاهر بن علي دقنة للحكم، فحكم بالدية، وتسلمها أهل القتيل (ألف ريال) وبعد نقل الأمير أبو قرجة من سواحل البحر الأحمر تضاءلت الحركة التجارية واختفت جيوش المستعمر داخل أسوار مدينة سواكن.

وكان أمين بيت المال يتحصل من المواشي زكاة معلومة في المهدية وإذا احتاج لأكثر فكان يدفع الثمن.

❋ ❋ ❋

## الرشايدة - براطيخ

هذه القبيلة هي الثالثة من المهاجرين برئاسة عميدهم الشيخ سليم بن زايد بن عويمر، وتليهم عائلة فطين بن هادي بالسودان، وأما فرع إرتريا فعميدهم هو الشيخ محمد بن عودة بن امبارك بن سالم بن سليم.

ومن فروع البراطيخ عائلة «الكريفات، والمنافير، وذو يميني» وهم مسالمون جداً بسبب حزم عميدهم الحالي الشيخ سليم بن سعد بن سليم

---

(١) الرشايدة يرون من أكبر العيوب تسليم القاتل. وجرح مرة محمد حسن عيادة الشيخ سعيد علي بخيت من العجيلاب، ثم هرب، وألقى القبض على نحو مائتي ناقة والشيخ مصلح بن علي وهو من زعماء البراسا المصلحين، فجاء الشيخ ضرار وأطلق سراحه هو وإبله قائلاً له: لن نعدم رشيدياً نقتله إذ مات سعيد، فاذهب، فرفض وجلس مع سعيد يطيبه ويذبح له حتى شفي. وفي قدماء الرشايدة جميعهم رجال أوفياء وكرماء جداً خصوصاً مصلح والعازمي وسليم سعد وعايد القوم.

ويسكن مع براطيخ إرتريا عائلتان هما «ذي اللقان، وذي هِمان». وأشهر العائلات التي حضرت من الحجاز هي ذرية:

| | | |
|---|---|---|
| ١ - عيد. | ٢ - سُمري. | ٣ - مريزق. |
| ٤ - ركبة. | ٥ - سويلم. | ٦ - سمري. |
| ٧ - براك. | ٨ - سليم. | ٩ - صويلح. |
| ١٠ - سعد. | ١١ - بركي. | ١٢ - سويلم الصراع. |
| ١٣ - سلمان أبو قرشين. | ١٤ - دخيل الله. | ١٥ - عايد قرموش. |
| ١٦ - الأذلق. | | |

وأما في إرتريا فهم ذرية:

| | |
|---|---|
| ١ - عايض. | ٢ - راشد. |
| ٣ - مخدور. | ٤ - عايد أبو امبارك وهُوَيْمِل. |

وفي سنة **١٩٣٥**م جندت منهم الحكومة الإيطالية مائة شاب فلما وصلوا أسمرة اعترتهم رعشة ومات بعضهم، فأطلق سراحهم جميعاً، واستغنت الحكومة عن تجنيدهم.

❋ ❋ ❋

## رشايدة (براطيخ)

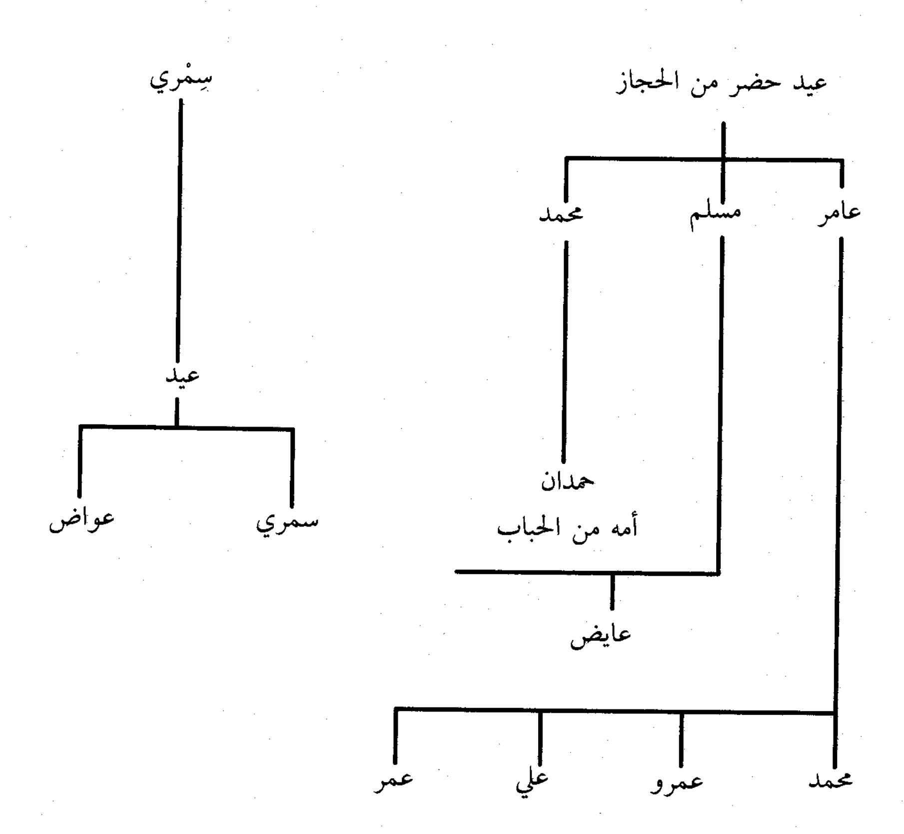
يقول شيوخها: إنهم هاجروا مع الشيخ عبيد الله (ذنيمَات)، فنزل في الشمال بمحمد قول، ونزلوا هم بميناء امباركي بالعقيق. وعموديتهم في ذرية الشيخ سليم بن زايد بن عويمرة ومليهم عائلة الشيخ فطين بن هادي بالسودان، أما في إرتريا فعمدتهم هو الشيخ محمد بن عودة بن امبارك ابن سالم بن سليم.

وانضمت إليهم قبيلة الكريفات والمنافير و«ذو يميني»، والأخيرة مسالمة جداً لأن حزم الشيخ سليم بن سعد الفطري يحول دون إتيانها لأي شر، وهو شخصية محترمة عند كل من يتصل به، وهو من العمويمرات.

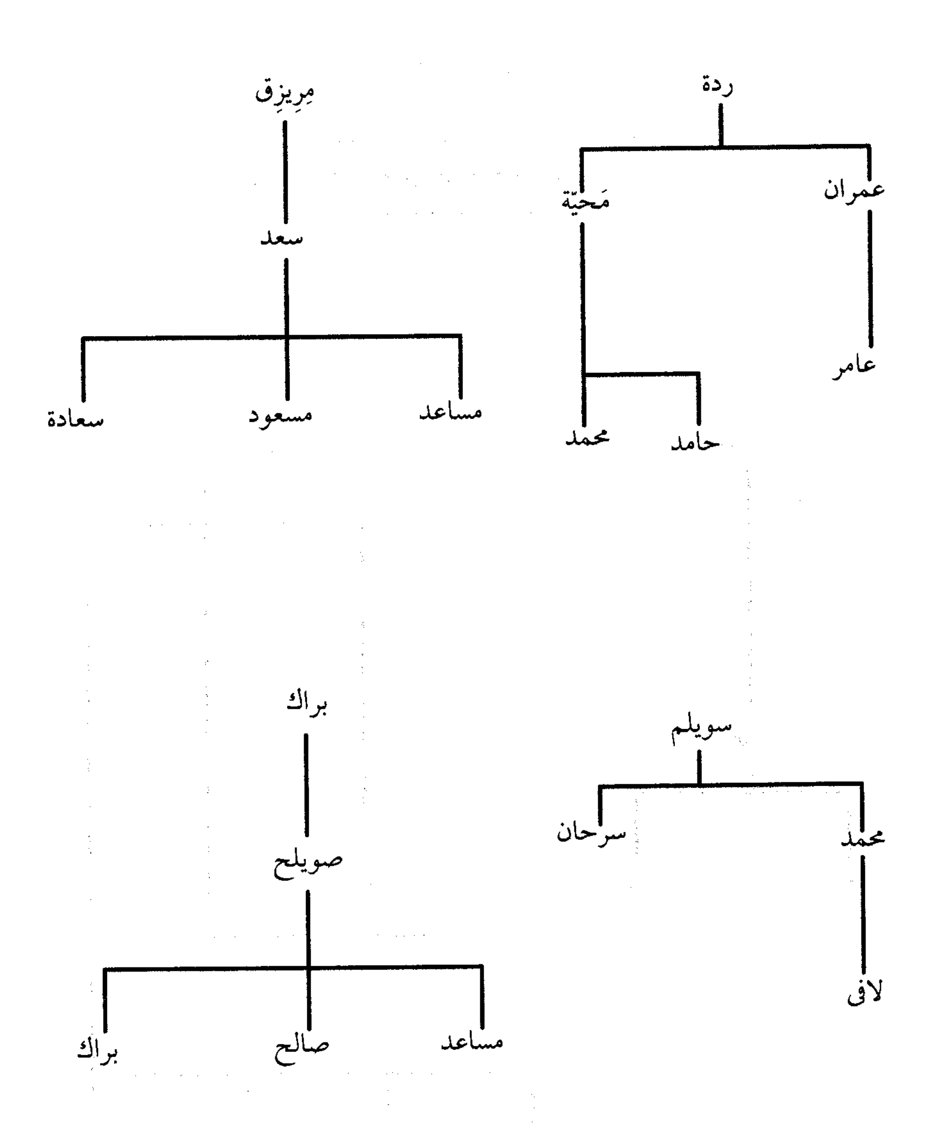
ويقيم من البراطيخ في إرتريا عائلتان هما «ذي اللقان وذي همان»، وكلاهما اندمجتا في قبائل الحباب. أما بالسودان فلم يبدأ الاندماج إلا بيت النظارة في الدامر.



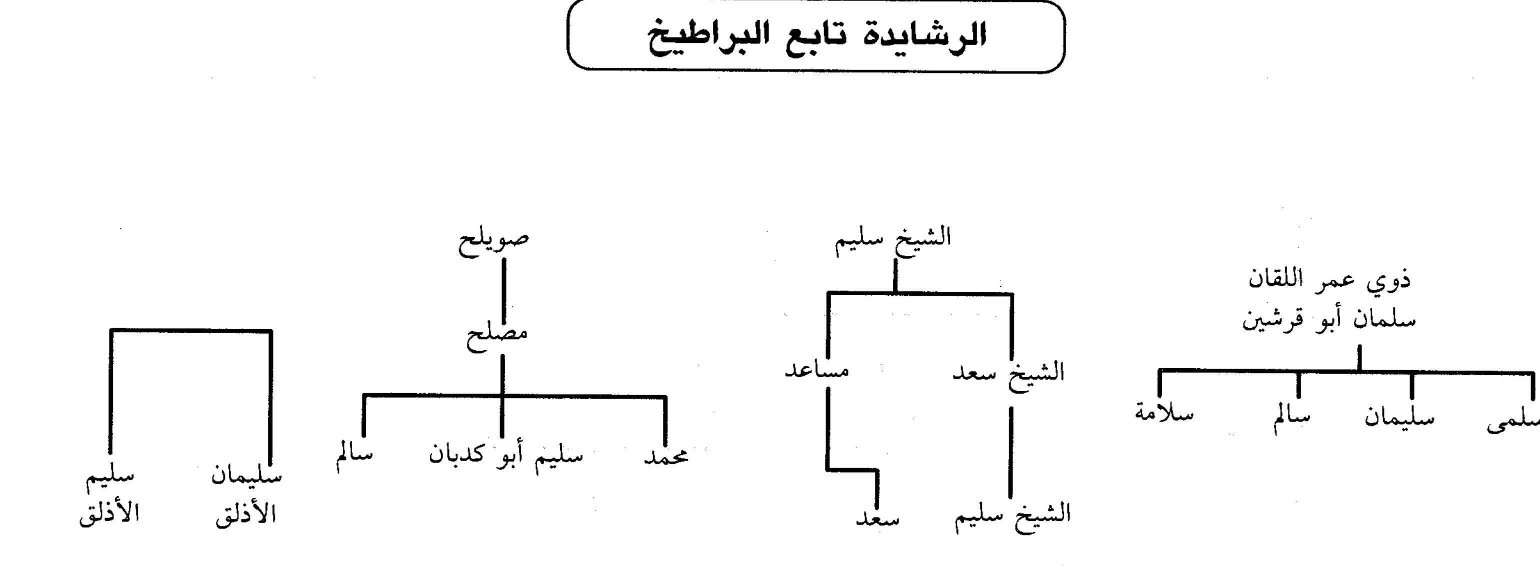
## البراطيخ بالسودان

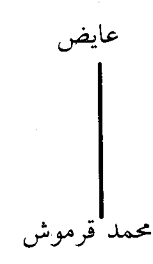


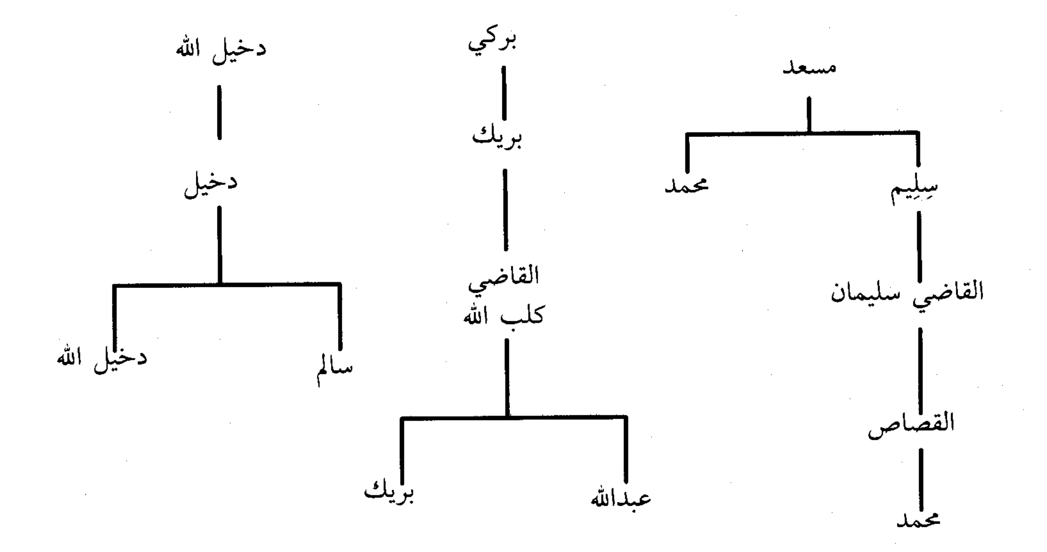
# تابع البراطيخ بالسودان



# الرشايدة تابع البراطيخ



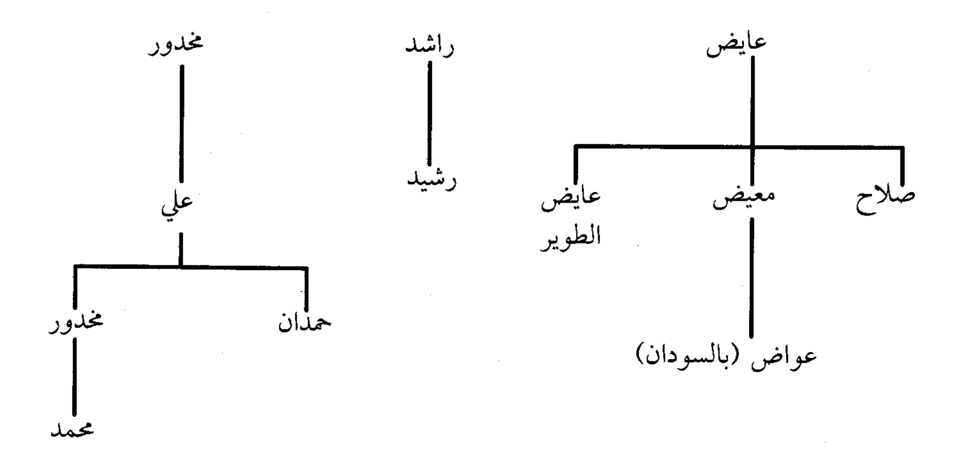

عايض
محمد قرموش

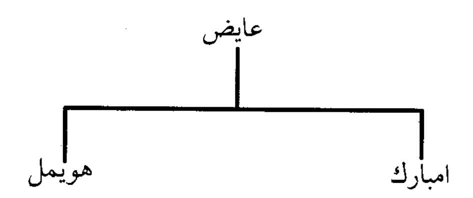

دخيل الله
دخيل
سالم
دخيل الله
بركي
بريك
القاضي كلب الله
عبدالله
بريك
مسعد
سِلِيم
محمد
القاضي سليمان
القصاص
محمد

# رشايدة براطيخ

وهذه العائلات التي تسكن بإرتريا من البراطيخ وقد بدأت أكثريتها في الهجرة إلى السودان.

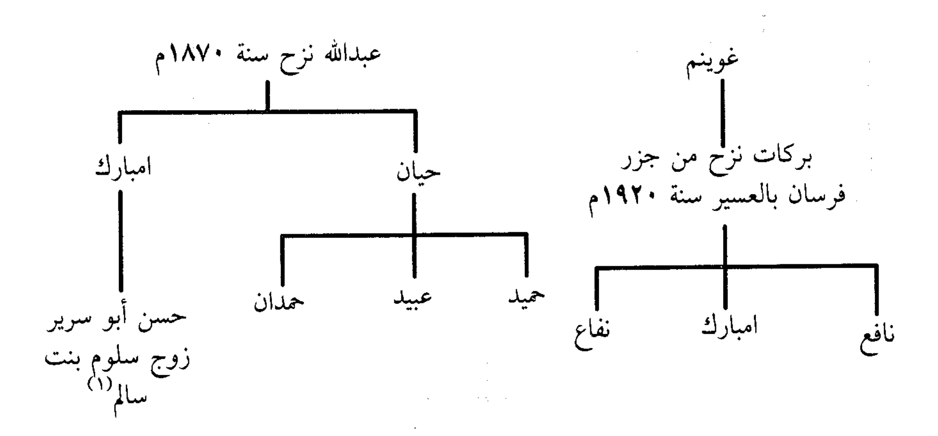
جملة عائلات الرشايدة التي هاجرت لا تقل عن الستين.



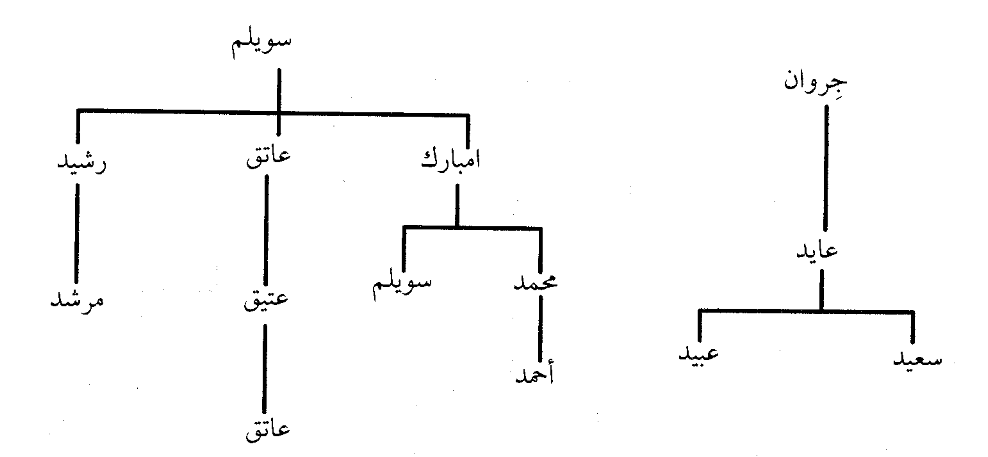
## أنساب الرشايدة وعائلاتهم

حدث خلاف بين الرشايدة عموماً على إنشاء النظارة، فطلب مفتش كسلا في ذلك الوقت من كاتب هذه الأحرف أسماء غالبية عائلاتهم لأخذ رأيهم. فأرسل إليه البيانات الآتية. ولا شك أنها لا تزال محفوظة بمكتب مفتش كسلا سنة **١٩٥١**م. ولولا وفاة الشيخ امبارك ابن الشيخ عبدالله (ذنيمات)، ثم وفاة الشيخ بركات بن غوينم بعده سنة **١٩٤٦**، ثم وفاة ابنه الأديب الكاتب امبارك بن بركات (من البراسا) لما حدثت خلافات لأن الثالث هو الشيخ سليم بن سعد (براطيخ). والبراسا والشروق هم عدة عائلات: فبركات له أبناء عمومة هم حميد وعبيد وحمدان أبناء حيان بن عبدالله.



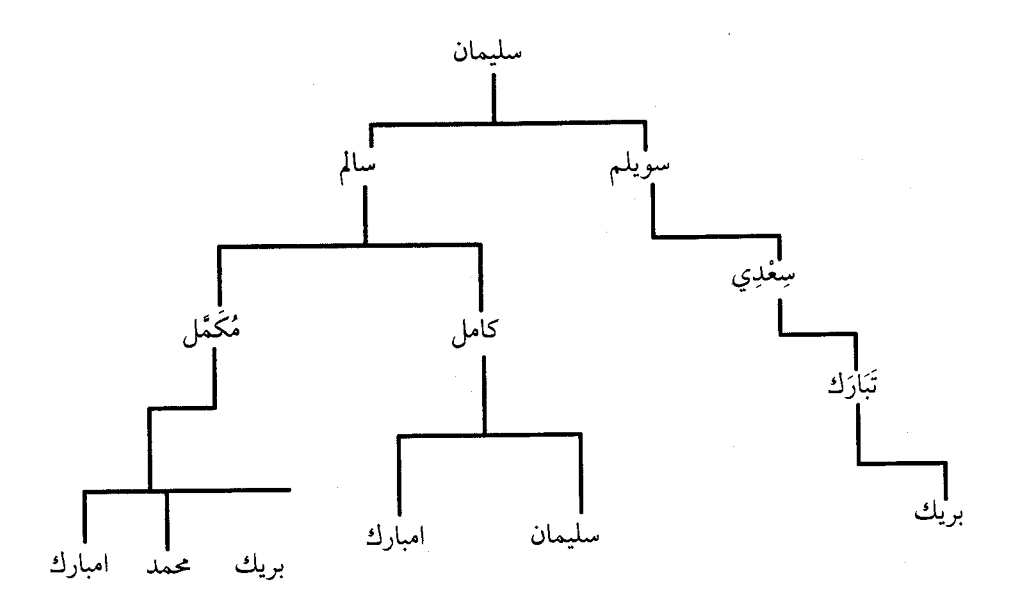

(١) التي أخذ عنها تاريخ الرشايدة الأستاذان فقد ذهب بصرها عام **١٩٣٠** وقتل زوجها **١٩٥٥**م وهي (مقعدة).

# عائلة عميرات أبناء عمومة الحُلُب

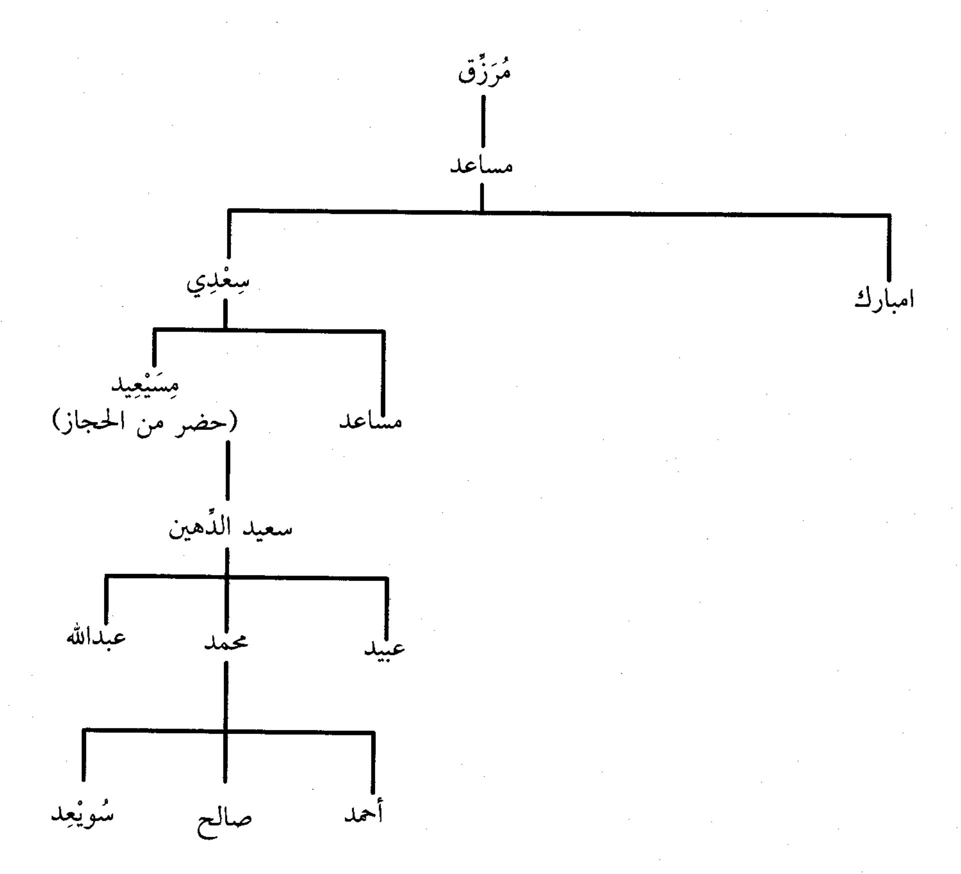


## رشايدة
## (جلادين)

هم ذرية سليمان ومُرَزِّق، انضموا للبراسا، وهم مثل الكريفات في البراطيخ تأتي المصائب منهم بسبب رغبتهم إلى أخذ الأمور بالشر.



## كلا كامل ومكمل حضرا من الحجاز سنة ١٨٧٠م



## الرشايدة في حلايب

بينما الرشايدة يتنقلون بإبلهم وأهاليهم في سهول حلايب وسواحلها سنة ١٨٨٥م، غرقت سفينة شراعية كبيرة في زمن وجيز تجاه حلايب شمالاً. وكان تحتها قارب كبير. فجاءت مدمرة بريطانية لمشاهدة السفينة ومشاهدة القارب ومعرفة محلات الشعبان[١]. وركب قبطانها لنشاً بخارياً للتفتيش على حالة السفينة بنفسه. وبينما هو يدور حولها أصيب بطلق ناري من خارج المدينة أرداه قتيلاً. فتسابق البحارة بأسلحتهم إلى المحل الذي انبعثت منه الرصاصة. فوجدوا رشيدياً وراء أكمة ببندقية اسمه «كلب الله بن غانم»، وكذلك مرشد بن رشوان وخمسة آخرين، واعتقلوهم في المدمرة، ثم ساروا بهم نحو سواكن وهنالك حكم عليهم بسبع سنين سجناً لكل منهم، ومصادرة إبلهم وهي نحو خمسمائة ناقة وألفين من الأغنام، كما استولوا على كل محصولات الرشايدة في جهة أشعت والسنتيراب ووديان حلايب[٢]، وهو ما لا يقل عن أربعة آلاف شوال من الدخن كانت مخبأة في المطامير. وبيعت جميعها بأسعار زهيدة خصوصاً الإبل فقد اشتراها الشيخ محمود بك علي زعيم الفاضلاب، فكان هؤلاء المساجين ينقلون المياه من آبار الشاطة بسواكن إلى الضابطية بالقيف. فأصيب ستة منهم برصاص الأنصار فتوفوا، وأما السابع (كلب الله) وهو المجرم فإنه تنكر وهرب في أحد السنابيك إلى مصوع.



## كتاب الرشايدة

ظهر هذا الكتاب في أوائل سنة ١٩٦١ لمؤلفيه السيدين السني بانقًا، ومصطفى علي أحمد وطبعته وزارة الداخلية لأن المؤلفين بذلا

---

(١) الأشجار المرجانية تحت البحر.

(٢) أحرقت كل خيام الرشايدة واعتبر ما صودر دية للقبطان المقتول.

مجهوداً جباراً في إخراجه. وها أنا أيضاً بدوري أقدم للقراء تاريخ ابن الرشايدة الذي لقيته قبل سنة ١٩٢٥م، وعاصرت أكثر شيوخهم الذين انتقلوا إلى دار البقاء اليوم، ولكل منا أسلوبه في الكتابة وناحيته التاريخية، لا يظن القارئ أن كتابنا مثل كتاب طبقات ولدْ ضيف الله الذي طبعه فريقان (كل منهما على حدة) بخلاف بسيط حدث في شخصين أو سطرين، وانقسم القراء بين الطبعتين وربما محا بعضهم النسخة التي لا تقر ما يريد الاعتراف به.

فمنهجي وسردي للحوادث يَختلف عما عند صديقيّ ولو أعارا أشعار دخيل الله التفاتة لعلما أنني شرحت تلك الوقائع شرحاً وافياً خصوصاً ما كان بين عَيْتَرْبَة ودنّاب، وكذلك العهد والميثاق الذي عمله معهم الشيخ أُكد محمد يوم قتال بيت مَعْلا والهاسِريين سنة ١٨٨٣م، وبعدها نقضه الشيخ موسى معهم. ثم واقعة جبل هَجَر وعَيَتْ ودِلِكْ حيث اشترك الرشايدة برصاصهم في الأولى والثالثة.

أما ما قالته سلوم عن الشيخ مصيلح بن فلا نقرّه لأنه أحكم وأعقل من أن يقول ذلك القول. ولو كان حاضراً، أو كان الشيخ عبدالله بن امبارك موجوداً لما منع والدها وإخوانه زكاة الإبل التي طلبها منهم تأديتها أمير الأنصار (الحاج محمد عثمان أبو قَرْجَة) وقد فصلنا ذلك. والعرب منذ أوائل الإسلام لا يؤدون زكاة الإبل بسهولة (اقرأ «حرب الردة»).

قال دخيل الله:

واقومي اللي غدروا ما بين عَيْتَرْبة ودِنّابْ[1]

اللّي غدروا بين عهد الله وعهد الخائنين[2]

---

(١) يقصد قتال الرشايدة مع الحباب سنة ١٨٧٦م.

(٢) عقد معهم الشيخ أكد محمد محالفة وأقسم كل منهما على المصحف (ولكل منهما أمل) إذ كان الرشايدة مرتاحين للمحالفة كي تقاتل بني عامر معهم الحباب. وكان أكد محمد قد سمع بموت أبناء الهاسريين بيد المعلاويين في جبل عيت فاستنجدهم سنة ١٨٨٣م.

يا ليتهم في جبل يوم طاحوا بالأنشابْ[1]
والله ما تغدوا بالأنصار منهم سالمينْ[2]

❋ ❋ ❋

## مُلُّو (MALLO)

سألت في كسلا الشيخ جلال الدين بن حسن من قبيلة المُللأ فروى لي عن الشيخ ألف هاشم الفلاتي الغوتي العام المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١٣٤٩هـ. أن الفلانة الملو ينتسبون إلى عقبة بن نافع الفهري القرشي الصحابي الفاتح لبلاد أفريقية وإن الملى (مالي) هي اسم للبلدة التي يسكوننها في المغرب وعهم غوتيون وهم من بني إسرائيل. وكان يجاورهم جماعة من الأقباط، وقد اختلطوا بالملويين جميعهم. وقال الشيخ محمد بيلو بن الشيخ عثمان ابن نوديه أن بلاد الملي إقليم واسع بالمغرب يعمرها السودانيون. فلما نزلت الصحابة إلى المغرب بأرض ترمس التي تسمى: ترابلي: أسلم أهلوها وطلبوا من أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب أن يخلف فيهم رجلاً يعلمهم بشرائع الدين وقواعد الإسلام فخلف فيهم عقبة بن ياسربن عامر بن نافع الذي تزوج بابنة زعيم البلاد وتسمى بِجَمنو (BiJamnoa) وتعريبها: البنت الوحيدة التي ليس لها إخوة وهي ابنة أمير التورديين، فرزق منها أربعة أولاد وهم دِعَتْ (De'at) ونابا Naba وواو (Wawa)[3]، وعَرَبَه (Araba)، فتركهم هنالك ورجع إلى مصر. فتناسلت منهم قبائل الملى وبجوارهم قبائل الهوسة وهم أبناء كنو (Cagno) الذي تسعت به بلاد الهوسة اليوم بالمغرب وهم أقدم من الملو بأرض كنو.

وأما البرقو (Bagau) فينتسبون إلى العباس بن عبد المطلب. والبرنو

---

(١) تنكر عميد الهاسريين للرشايدة وهو الشيخ أكد موسى وقال: لم أعاهدهم، وانضم لخصومهم سنة ١٩٠٦م.

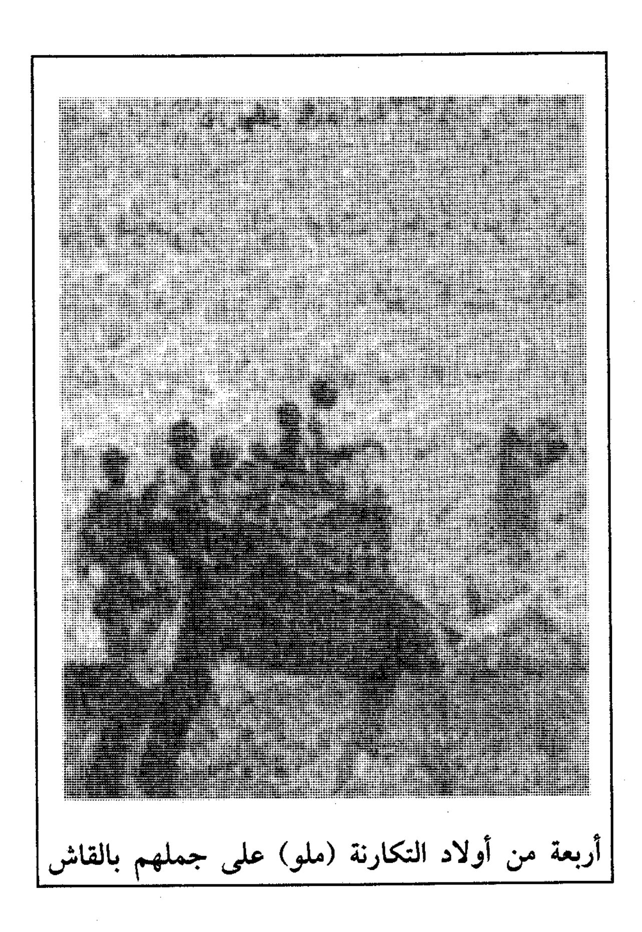
(٢) منعوا تأدية الزكاة للأنصار.

(٣) في كتب التاريخ أن أصل الواوا من البجة وهاجروا إلى النيل.

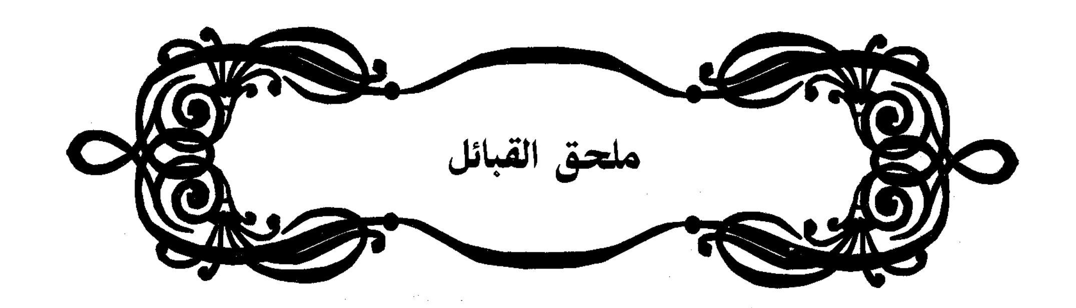
(Barnou) هم من المهاجرين إلى السودان من العربية السعيدة (اليمن) من ذرية حمير، وقد استوطنوا ديارهم الحالية بعد الفتوحات الإسلامية. وقد سكنوا بلاد التاكا في أواخر القرن التاسع للهجرة. بل منه إلغاء الحج عن طريق عيذاب والسفر عن طريق سواكن وأصبحوا يتكلمون اليوم اللغة البجاوية مضغمة باللهجة الفلانية يصعب علي البجاوية فهمها بسهولة وخيامهم منصوبة بين قرى الحلنقة والهدندوة.

ويعتنون بتربية البقر والأغنام والزراعة. وقد اجتمعت بجماعة منهم في الجمام وفي تِمِنْتاي (Timintai) فوجدتهم ينفرون من الاختلاط بأي قبيلة ولو من الفلاتة الذين سكنوا القاش حديثاً. ولا فرق بين ملابسهم والقبائل البجاوية، وكذلك في الأخلاق والعادات. منذ ظهور الرشايدة سنة **١٨٦٩**م نجدهم دائماً يخشون على صغارهم من النخاسين. ويسكن بعضهم حول محطات سكة حديد كسلا القضارف ولكنهم أصبحوا سودانيين. أما رواية المستر أندروبول (Anrew Paul). (مدير كسلا في كتابه أن الملو ظهروا حوالي سنة **١٩٠١** فهي ضئيلة لأن كثيرين من المؤرخين زاروا بلاد التاكا أمثال بروخهارت وصمويل بيكر ووجدوا قرى الملو (الفلانة بالقاش) وعلى ضفاف نهر عطبرة وباسلام.

ومن المؤسف حقاً لا نجد فيهم أي ميل للعلوم والمعارف ولذلك نجد أبناءهم في منتهى القلة بالمدارس والخلاوي وربما كان هذا حال كل الفلانة بالسودان وهو النفور من المدارس.



أربعة من أولاد التكارنة (ملو) على جملهم بالقاش



# ملحق القبائل

## أرتيقة ARTEIGA

هذا اسم القبيلة الحضرمية التي تولت إمارة سواكن بعد أن انتزعتها من قبيلة «بَلَوِيبْ» أو «بليّ» العربية التي كانت سائدة على البجة القاطنين في سواكنْ. واشتهر رجال الأرتيقة بخبرتهم الواسعة بأصول التجارة والزراعة وإدارة الأحكام بين القبائل والصلح بين المتخاصمين لأنهم أعرف أهل هذا الإقليم بأخلاق وعادات القبائل التي تسكنه، ولا يبالون بالأخطار التي تنتابهم في رحلاتهم البرية والبحرية، ويجتهد تجارهم في مصاهرة رؤساء القبائل التي تقطن في طرق سيرهم. ولن تجد قبيلة في هذه البوادي خالية من رجل من الأرتيقة خصوصاً مدن القطر الرئيسية، ومما يحمدون عليه حماية[1]، القوافل والتجار الأجانب الذين يسيرون في صحبتهم من أهل مصر والحجاز واليمن إلى داخلية السودان وبالعكس. وكانوا من أغنى وأكبر التجار الذين يرتادون سوق شندي والأبيض والفاشر وسنار، ويتمتعون بثقة ملوك هذه المناطق، وهؤلاء الرواد هم أشرف بيوتات سواكن، ولذلك لا يصبرون على ضيم، ولا يتحملون أقل

---

(١) في سنة ١٥٢١ اتبع إحدى قوافلهم رجل يهودي يقال له: داود روبيني Dayid Reubini ادعى أنه شريف وقد حضر من مكة المكرمة إلى يارة ملك (عمارة دنقس)، فكان محل عناية رئيس القافلة من الأرتيقة حتى مدة إقامته عند الملك المذكور، فقد كان هذا الأرتيقي يتفقد أحواله.

إساءة في دار غربة. فأينما حطوا رحالهم يلاقون كل مودة ومجاملة واحترام من القبائل التي في طرقهم.

والأرتيقة يعتبرون كل من سكن معهم في مدينة سواكن فرداً من قبيلتهم.

وربما كانوا أول من بدأ بزراعة القطن في مدنية توكر حسب تعليمات محافظ سواكن سنة ۱۸۷۰م (ممتاز باشا) خصوصاً عائلة جَدَّر Juddar. وكانوا قبل أوامره هذه يزرعونها ذرة ودخنا، وبزاحمهم على المحصولات نظار بني عامر حتى تولى نظارة بني عامر حامد بك محمد الذي قتل في حرب المصريين والأحباش سنة ۱۸۷٥م، فمنع هذا التزاحم لأن الأرتيقة هم أخواله وأخوال ابنه دِقْلَلْ الْحسين المتوفى بأغردت سنة **۱۹۳۳**.

والأرتيقة مثل قبيلة الْحلنقا يأنفون ويترفعون عن مزاولة المهن الحقيرة فكان يتولاها عندهم الأرقاء والمماليك، وفي أوائل القرن السادس عشر للميلاد امتد سلطان مملكة الفرنج إلى سواكن واعترف ملك سنار بإمارتهم على سواكن، ووهب لأميرهم سيفاً وطاقية وكَكَراً ولا يزال هذا السيف باقياً إلى اليوم مع أبناء صاحب السعادة المرحوم الأمير محمود بك عثمان أرتيقة وفي سنة **۱٥۲۰**م احتلت الدولة التركية مدينة سواكن بعد قتال قصير دار بين الجيش الفونجي والتركي، وبعد أن استولى الأدميرال سنان باشا على المدينة اعترف للأرتيقة بالأمارة وإدارة الأحكام في المدينة، ولم تكن للمندوب التركي غير تحصيل الفوائد على الواردات، فلما ضمت سواكن إلى الدولة المصرية سنة **۱۸٦٦** سارت عليها أحكام السودان.

ولفظة «أَرْتيقة» تؤدي معنى «ناظر قبيلة» غير أنها خاصة بهذه القبيلة فقط.

ومن رجال هذه القبيلة المصلحين المرحوم جيلاني بك عثمان أرتيقة الذي اشترك مع ممتاز باشا في حفر النزع لتغيير مجاري أودية الجبال التي تسيل في السهول حول سواكن، واتخذت هذه المياه طريقها إلى الجسر المرتفع الذي أنشئ غرب المدينة، فحفرت فيه الآبار العذبة، وكثرت

الحدائق بالشاطة تحت الجسر العالي، وارتاح أهل سواكن بعد هذا العمل من شرب مياه الفولة والصهاريج (الخزانات) التي بداخل المدينة، ولم يستأنف استعمالها إلا بعد حصار الأمير عثمان دقنة لها. وللأرتيقة نقارة (نحاس) قديمة أهداها إليهم أحد سلاطين العثمانيين الأقدمين. ويستعملون هذا النحاس في أفراحهم وأتراحهم، أو عند الاقتضاء. ولهم ميل فطري لحسن الأحدوثة والتسابق على السمعة الطيبة.

ويتولى أبناء عمومتهم «الجَدَّر» عمودية توكر التي ظهر فيها رجال لهم باع طويل في الإصلاحات أمثال الشيخ باداني والقاضي أبو فاطمة، والشيخ موسى، وابنه الشيخ أبو آمنة.

وتتفرع من قبيلة الأرتيقة عدة عائلات كبيرة أصبحت قبائل مثل شِئْيابْ وحُمْران، وهَنْسِيلابْ، ونفراب، وقاسماب وجدر (قدر) وضراراب ورضوان... إلخ.

وللآن لم يعين من يخلف ناظرهم السابق الأمير محمود بك بن عثمان بن محمود ابن محمدبن موسى بن رحمة بن علي قرني بن محمد أحمد المشهور «بكرُبْ»[1] ابن عبدالله بن بُوشْ بن محمد بن باصوفير بن محمد جمال الدين باصفَّار[*].

❋ ❋ ❋

---

(١) تعريبها الفيل وهي صفة باللغة التبداوية «الهدندوية» معناها الشجاع الضخم الجسم الشديد.

(*) كتب المؤلف تاريخ قبيلة الأرتيقة بالتفصل في كتابه (تاريخ سواكن والبحر الأحمر) نشر الدار السودانية. ولتعميم الفائدة أثبتنا هذا الملخص الذي أخذناه من كتاب المؤلف (ملخص تاريخ قبائل البجة) الذي لم ينشر بعد، حتى لا يفغل تاريخ هذه القبيلة في هذا الكتاب الشامل للقبائل.

واقتضت نفس ظروف البحث إلى وضع الملخصات التالية للقبائل التي لم يشملها هذا الكتاب حتى تعم الفائدة، على أن يرجع الباحث إلى الكتب الأخرى إذا أراد المزيد من المعلومات.

## «SHE-EYAB شِئْيَابْ»

أوشعياب هي إحدى فروع الأرتيقة التي أنشأها شِئْيَابن مبارك بن أبي القاسم ابن بره بن محمد جمال الدين المشهور بباصَغَّار جد كل قبائل الأرتيقة.

واعتنت ذرية شئيا بتربية الإبل والبقر ويسكنون حول السهول الواقعة بين توكر ودَرُورْ ويفضلون سكنى هذه المناطق على داخلية الجبال واشتهروا بالدفاع عن الإبل (ولو كانت ملكاً لغيرهم) التي يصحبها أربابها ويعتبرونها مسروقة فيحافظون عليها حتى مجيء أصحابها فيسلمونها إليهم وربما أوذوا في سبيل الدفع عنها فلا يتذمرون لما يعتريهم.

ولهم موقف مشرف مع عصابة من الدراويش غزتهم ونهبت أبلهم فجمعوا كلمتهم وحملوا أسلحتهم وأدركوها ثم استردوا منها إلمهم وعادوا إلى ديارهم.

ويتولى عموديتهم الشيخ أبو علي موسى آدم وهو يقيم بمدين توكر إذ حث القبيلة على الزراعة والاعتناء بها فعملوا بنصحه.

ومن العارفين بأصولهم الشيخ حسين عثمان سعدون فإنه ثقة في حوادث عشيرته.

❋ ❋ ❋

## HOMRAN حُمْرَانْ

هي إحدى بطون الأرتيقة ويدعى منشئها «محمد أدَرُوب» أي محمد الأحمر وكان مقيماً بسواكن ثم انفصل ببعض ذويه إلى الأراضي التي حول الشاطه واتخذها مقره حتى آلت رئاسة القبيلة إلى الشيخ علي بن محلق فحدث بينه وبين بعض عائلات الأرتيقة خلاف رحل على أثره بمن أطاعه إلى نهر أقبره مخترقاً صحراء البجة ثم من أتبره رحل إلى نهر سِبتِيتْ واختار مكاناً يقال له عَنَاتِرْ Aanatir عاصمة

للحمران. فنصبوا فيه خيامهم وبنى رؤساؤهم بعض المباني - وهم كسائر قبائل البادية يَغْرُون ويُغْزَوْن -.

ولما انتشرت المهدية في السودان وانتهت واقعة كوفيث سنة **١٨٨٦**م هاجروا إلى الحبشة ولم يعودوا إلا سنة **١٨٩٩**م وهم أقلية ضئيلة لا يتجاوز تعدادهم مائتي نفس بعد أن كانوا من القبائل القوية ذات الكثرة والفروسية في صيد الفيلة[١]. والشجاعة عند صد الغزاة الذين يؤمونهم - وتفرعت منهم في عناتر قبيلة «عَتَوي[٢]، Aatawe» المشهورة في تاريخ بني عامر وصاهر الحمران نظار بني عامر رهط جدة تاجوج التي شاع ذكرها وذكر ابن عمها المحلق الشاعر المفلق.

ويتولى عمودية القبيلة اليوم الشيخ محمد بن عوض بن عجيل وهو من خيرة الشبان الذين يقدرون المسؤولية الملقاة على عاتقهم للسهر على صالح قبيلتهم[*].

❋ ❋ ❋

## الحباب

ويقال لهم في كتب مؤرخي العرب «الأصحاب» وهم لفيف من قبائل يمانية عبرت الشاطئ الشرقي، وجماعات من أمم النيجري ترأسهم عائلة من نسل «عتبة بن أبي لهب». وكان رئيس الحباب يستمد سلطته من ملك الحبشة، وهو الذي ينعم عليه بلقب «كَنْتِيبايْ» ورتبة «بحر نجاسي» -Bahar Nagasi أي نجوس (ومعناها ملك) البحر. وتمتد حدود هذه القبيلة شرقاً

---

(١) أطلق الافرنج في رحلاتهم التاريخية اسم عقاقير: Agageer على الحمران.

(٢) انقرضت هذه العائلة.

(*) كتب المؤلف تاريخ قبيلة الحمران في كتابه: «حياة تاجوج والمحلق» نشر الدار السودانية فمن أراد معرفة المزيد عن تاريخ هذه القبيلة فليرجع إلى ذلك الكتاب. وقد أثبتنا هذا الملخص من كتابه (ملخص تاريخ قبائل البجة) حتى لا نغفل هذه القبيلة في هذا الكتاب ولتعم الفائدة.

حتى سواحل البحر الأحمر، وغرباً إلى ضواحي مدينة كرن، وشمالاً إلى الجبال التي تسيل وديانها في وادي رِحِيبْ Riheeb، وجنوباً إلى الجبال التي تسيل في وادي أدهرا (Adhara). هي مساحة كبيرة جداً. ولما احتلت الحكومة الإيطالية إرتريا صارت كل يوم تعزل كنتيباي ثم تولى أخاه، وتعتقل المعزول حتى كان آخر من تولى القبيلة كنتيباي محمود بن حامد بك بن حسن، فحدث بينه وبين محافظ كرن سوء تفاهم أدى إلى تهديد الثاني للأول بالشر، وكان ذلك حوالي سنة ١٨٩٨م. فأخذ كنتيباي قبيلته بقضها وقضيضها وعبر إلى السودان عن طريق «قَرُورَة»[١]، واستجار بحكومة السودان. فأجارته وتلقاه لويد[٢] باشا (Lloyd) بترحاب وإكرام، وقال له: يمكنك أن تقيم بقبيلتك أين شئت في القطر السوداني. وحال بحزمه وشهامته هذه دون تسليمه للجنرال الإيطالي الذي جاء خلفه بجيش كبير تلقته بعض الفرق السودانية التي أمر كتشنر باشا بتعبئتها. وبعد مداولات عاد الجنرال الإيطالي إلى كرن، وبقي كنتبياي محمود بالسودان في أهنأ عيش، وأتم راحة غير أن أفراد قبيلته تسربوا إلى إرتريا بمساعدة أبناء عمه، وعملت لهم انتخابات بين الحكومتين، فقال المتسربون نحن لا نضمر شيئاً لحكومة السودان، ولكن لنا وطن اسمه نقفا Naqfa مقر آبائنا وأجدادنا لا نقدر على فراقه، ونملك أراضي شاسعة خصبة المراعي كثيرة المياه، ولكل هذه الأسباب نفضل إرتريا على السودان. فقبل لويد باشا عذر من اختاروا إرتريا، وبقي كنتيباي محمود بمن أطاعه بالسودان معزز مكرماً. وقد أنعمت عليه حكومة السودان بكساوي كثيرة ومنحته سلطة كبيرة حتى انتقل إلى جوار ربه في سنة ١٩٣٢م، فخلفه ابنه التقى الورع كنتيباي حسن بن محمود بن حامد ابن حسن بن هِداد بن فِكاكْ ابن هِتِّيسْ Hitteis ابن مَفْلَسْ Mafias ابن أَبِيبْ ابن جَرْجِيسْ Jarjees ابن جَبِرْ كِتُّوسْ Gabir-Kittous بن دافْلِي Dafli ابن أَسْجَدِي Asgade.

---

(١) نقطة الحدود بين الحكومتين.

(٢) هو محافظ سواكن الذي أنشأ فيها المدرسة الابتدائية سنة ١٨٩٥، وتوفي في حرب النوير.

ويشترط في نظارة وعموديات الحباب أن يكون الرئيس من عائلة أسْجَدِي بِثْمنَتْ Be-Imnat اللهبي القرشي. وتوفي كَنتيبان حسن بسنكات في سنة ١٩٣٦ فخلفه أخوه كنتيباي حسين بن محمود.

أما حكومة إرتريا فإنها بعد وصول أكثرية الحباب إليها طلبت من المشايخ والعربان بأن يختاروا رئيساً عليهم. فوافقوا جميعاً على اختيار كنتيباي عثمان بن هداد بن حسن بن هداد، وقد منحته الحكومة عدة أومة، وأعطته نقرة بدلاً من التي رحل بها كنتيباي محمود، وهي من أيام جدهم «أسجدي».

وفي السنين الأخيرة سمح محافظ كرن لكنتيباي عثمان أن يشرف على كل القبائل التي تسكن في حدود دياره ويمتاز بدرايته التامة بكل أصول وأحوال قبائل هذا الإقليم. ويتولى ابنه هداد النيابة عنه، وهو شاب مملوء حماسة ونشاطاً يرتاح لحديثه كل من جالسه، ولا عجب «فهذا الشبل من ذاك الأسد».

وتفرعت من الحباب ثلاث قبائل هي «بيت بَجَايْلايْ»، و«عَدْ تَكِلْيسْ، وعَدْ تمارِيامْ»(*).

❋ ❋ ❋

## شادَليابْ SHADALYAB

يسكنون في سواكن ووكر وهم نسل أبي الحسن الشيخ علي بن عمر الْمِيلَقْ الأموي حضر إلى سواكن من مدينة مُوخع (موخا) باليمن وصاهر الأرتيقة وخلف ذرية طيبة اشتهر فيها حفيده الشيخ أبو الفتح محي الدين المولود ببيت المقدس والمتوفى بسواكن صاحب القبة المشهورة بالمقابر

---

(*) هذا ملخص عن قبيلة الحباب كتبه المؤلف في كتابه (ملخص تاريخ قبائل البجة، رأينا أن نثبته في هذا الكتاب. أما تاريخ الحباب بالتفصيل فقد كتبه المؤلف في كتابه (تاريخ قبائل الحباب والحماسين بالسودان وإرتريا). نشر الدار السودانية (١٤٠٤ - ١٩٨٤) فمن أراد المزيد فليرجع إلى ذلك الكتاب.

الشرقية ونشر الشيخ علي بن عمر الطريقة الشاذلية بين أهل واكن وتوكر والعقيق مصوع وقد منحه الشيخ أبو العباس المرسي السلطة الروحية وأجرى عليه راتباً يتقاضاه من أوقاف الشيخ أبو الحسن الشاذلي المتوفى بصحراء عيذاب عند قرية «حميثرى» في آخر رحلة له إلى أرض الحجاز. واشتق اسم العائلة من الطريقة التي تولوا نشرها وعميدهم هو الشيخ شريف عبدالقادر الذي كان أخوه الشيخ محمد عبدالقادر حجة في مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه(*).

❋ ❋ ❋

## حَسَنَابْ HASANAB(*)

هي إحدى القبائل التي تنتسب إلى الشيخ إبراهيم إسماعيل بن أحمد ابن العجيل العمري والشيخ أحمد هو العابد الزاهد صاحب الضريح المعروف في قرية غسانه خارج مدينة زبيد اليمنية وهاجر الشيخ إبراهيم إلى سواكن واتخذها وطناً له ولأهله واشتهروا بين سكان هذا الإقليم بالعلم والتقوى حتى تولوا الافتاء بمدينة سواكن والإمامة في الجامع الشافعي[1]. ولما ازداد تعدادهم رحل بعضهم برئاسة الشيخ حسن بن عبدالله بن رشيد إلى توكر للزراعة وتربية المواشي فأقاموا فيها حتى ظهرت المهدية قبايعا زعيمهم الأمير حضه ابن علي وحاصر حامية توكر حتى تم فتحها على أيدي جيوشه البواسل ويرأسهم اليوم بتوكر الشيخ أوهاج علي.

❋ ❋ ❋

(*) كتب المؤلف تاريخ هاتين القبيلتين في كتاب «تاريخ سواكن والبحر الأحمر»، وقد أثبتنا هذين الملخصين من كتابه الذي لم ينشر بعد بعنوان: «ما خص تاريخ قبائل البجة».

(*) كتب المؤلف تاريخ هاتين القبيلتين في كتابه «تاريخ سواكن والبحر الأحمر»، وقد أثبتنا هذين الملخصين من كتابه الذي لم ينشر بعد بعنوان: «ما خص تاريخ قبائل البجة».

(1) في هذا الجامع درست القرآن على شيخي الجليل محمد جيلاني الحسنابي.

## كِمِيلاَبْ KIMEIAB

هم ذرية كميل بن محمد بن كاهل أخ عمار وبشار اللذين أنشئَا قبيلتي «أَمّارْأَرْ وبشاريين» واشتركت قبيلة الكميلاب في مطاردة البجة من عِيتْبَايْ إلى ما حول سواكن - ويعتنون بتربية الخيل كثيراً وقد كان ناظرهم الشيخ عبدالقادر أبو زينب صاحب الكلمة المسموعة لدى محافظة سواكن ممتاز باشا في أواخر القرن الماضي حوالي سنة **١٨٧٢** وافق حكمدار شرق السودان على أن تكون له السلطة على كل القبائل التي تسكن بين توكر وسواكن فاحتج ناظر الهدندوة موسى بك إبراهيم ولم يكترث الحكمدار لاحتجاجه وسمع وكيل النظارة بجهة أركويت الشيخ محمد الأمين ترك فمنع القبائل من دفع أي جزية للشيخ عبدالقادر فامتثلت الهدندوة لأمره - وبع وفاته حدث خلاف بين قبيلته وقبيلة الأشراف تداركه الأمير عثمان دقنه بحكمته فأصلح بين الشريف أبو فطمة محمد والشيخ حاج حسن - واشتهرت هذه القبيلة في وقائع التِّيبْ وسواها من حوادث القرن الماضي، ولما تم فتح السودان وهدأت أحواله بعد المهدية قيض الله للقبيلة رجلاً مصلحاً اشتهر بنبوغه في العلوم الدينية فتولى نظارتها وأنشأ على حسابه الخاص عدة خلاوي للدراسة وفي سنة **١٩١٥**م افتتح جامعاً كبيراً للقرآن والفقه وأحضر إليه عدة فقها وتكفل بملابس الطلاب واشترط على كل كميلابي أن يتلقى علومه فيه إجبارياً.

ويمتلك الشيخ محمد خيلا كثيرة من الجياد الصافنات وله بها ولع واهتمام شديد جداً ولم يكن اعتناؤه خاصاً بالخيل فقط بل يهتم بسائر المواشي وتربيتها وزراعة أراضيه بتوكر فإنها تأخذ منه أكثر وقته وكذلك تراه يتنقل فيها متفقداً زراعة كل رجل من القبيلة ولا يبرحها إلا عندما يدنو وقت الحصاد فيرحل إلى محل إقامته في «عَدُوبَنَه» وقد وصلني اليوم **٢٩** أغسطس سنة **١٩٤١** خبر انتقاله إلى جوار ربه وقد فقدت القبيلة بموته مصلحاً عظيماً ولن تسد هذه الثغرة:

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

ويتولى شؤون القبيلة معه أخاه الشيخ حسين عبدالقادر ويسكن بعضهم في خور أربعات التي مر عليهمفيها الرحاة ابن بطوطة وهم الذين أخبروه أنهم من أحفاد «كاهل» والد جدهم محمد[١].

❋ ❋ ❋

## قبيلة مَارْيا[٢] MARIA

هي من القبائل الأموية، وقد أنشأها شوم رَدْئِي (Rudie)، وهي مؤلفة من عائلتين هما «ماريا طَلاّمْ» (Tallam) أي السوداء، «وماريا قَيَحْ» (Qayah) أي الحمراء. ويقيم ناظر القبيلة في جبل «رُوتا» (Routa)، وهو الشيخ هُمَّدْ أَرَيْ بن محمد أبو بكر، وذلك في القسم الذي وضع تحت الحكم الإيطالي بإرتريا: وقد أنعمت عليه حكومة إيطاليا بوظيفة كولِّيري أوفيشيالي. ومن أعيان الماريا وعمدها الشيخ محمد بن حامد بن دافلا (Dafla) هو الشيخ حامد بن نور بن دافلا.

وتحتفظ هذه القبيلة بنحاس[٣]، قديم عند النار في روتا. ولهم اعتقاد حسن في مشايخهم الأشراف أبناء الشيخ محمد فايد.

وننقل فيما يلي بعض ما قاله أبناء قبيلة ماريا عن تاريخهم وحياتهم الاجتماعية خاصة في ذلك القسم الذي بقي في السودان بعد أن أقتسمت أراضيهم كل من بريطانيا وإيطاليا فأصبحوا في الجانبين من الحدود السودانية الإرترية. يقول أبناء الماريا ما يلي:

---

(١) نقلنا هذا الحديث من «ملخص تاريخ قبائل البجة» للمؤلف. وقد عالج محمد صالح ضرار تاريخ هذه القبيلة بالتفصيل في كتابه: «تاريخ سواكن والبحر الأحمر» للرجوع إليه.

(٢) في كتب المؤرخين الأوائل يقال لها: «مرعى» وقبل كثرة تعدادهم ومواشيهم كانوا تابعين لنظارة بني عامر.

(٣) المكان المعين لحفظ النحاس يقال له: (خزنت Khaznat).

ترجع أصول قبيلة الماريا إلى بني أمية حيث إن الجد الأكبر للقبيلة هو مرة بن سلمان العربي والذي جاءت منه تسمية ماريا تحريفاً للفظ العربي مرة وكغيرها من القبائل العربية التي دخلت السودان عن طريق البحر الأحمر كانت تتول في كل المنطقة المكونة للإقليم الشرقي الآن حت سواحل البحر الأحمر طلباً للكلأ نسبة لطبيعتها الرعوية إلى أن تم رسم الحدود الدولية والتي شكلت حاجزاً وهمياً لم يحد من تجوال هذه القبائل كما كانت في العهود السابقة وكنتيجة حتمية خلق رسم الحدود نوعاً من الفصل للقبائل التي كنت تعيش في هذه المنطقة حيث أصبح البعض يتبع للسودان والبعض الآخر لإريتريا.

كما أنه عند ظهور الاستعمار الأوروبي في أواخر القرن التاسع عشر شطرت هذه القبيلة كأكثر قبائل بني عامر إلى شطرين: شطر ضمته إيطاليا إليها عندما أنشأت مستعمرة إريتريا، أما الشطر الثاني فهو ما زال في السودان ضمن نظارة بني عامر. وقد تناولنا الشطر الموجود في اريتريا بالكتابة عنه في كتابنا تاريخ قبائل الحباب والحماسين بالسودان وإريتريا.

وقد تكاثر نسل هؤلاء الأمويين (قبيلة الماريا) في الأراضي السودانية الشرقية حتى اتقر بهم المقام في عاصمتهم (أبو نقارة) والتي تعرف بقرية الماريا حالياً وتقع على بعد ١٦ كيلو متر من مدينة كسلا، يحدها من الشرق الحدود الإريترية ومن الجنوب قرية عواض ومن الشمال الشرقي قرية باقدير ودمن ومن الجهة الشمالية يفصل بينها وبين قرى حفرت وأم سفرى خور (ادوياب) المورد المائي الأساسي لهذه القرى.

ويحكم تواجد قبيلة الماريا بالمنطقة قبل عام **١٨٩٤**م فقد وزعت عليهم السلطات في عام **١٩١٨**م أراضي زراعية في منطقة (شق شق) وأراضي أخرى بدلتا القاش عام **١٩٢٧**م شياخة الشيخ محمود محمد ضرار.

ومن المعروف أن أبناء الماريا قد شكلوا جزء كبيراً من مؤسسي (أورطة العرب الشرقية) نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

البتجاويش عمر بري عام **١٨٩٧**م.

اليوزباشي حسب الله عمر عجيل.

أُكُدْ محمد أبو بكر وقد نال نيشان الخدمة الطويلة الممتازة بالفاشر عام ١٩١٦م.

أكد محمد أكد من الفترة ١٩٢٣م إلى ١٩٤٢م.

إبراهيم إدريس عام ١٩١٨م ـ ١٩٢٧م.

محمد عبدالله كفؤ عام ١٩١٦م ـ ١٩٣٤م.

محمد علي عبدالله عام ١٩٢٢م ـ ١٩٤٤م.

محمد علي هنداوي.

عمر عثمان منذ عام ١٩٢٢م.

وكنيته لتواجد قبيلة الماريا في هذه المنطقة من القطر فقد تصاهرت مع جل قبائل البنى عامر ومع قبائل السودان الأخرى.

وقد عرف عن قبيلة الماريا اهتمامها بزراعة الحبوب وغيرها وتربية المواشي والأغنام والاشتعال بالتجارة.

ولهذه القبيلة مدرسة عتيقة وعريقة لتحفيظ القرآن الكريم (خلوة) وتعتبر هذه الخلوة من أقدم حلاوي يحتفظ القرآن في السودان.

ولأبناء هذه القبيلة ولع بالتعليم رغم عدم وجود مدارس خاصة بهم ولكنهم يبذون كل جهد ممكن ليكونوا في مقدمة الركب كلما وجدوا فرصاً للتعليم.

لقد توالى عدد من الشيوخ على القبيلة فكان الشيخ عمر يرى حتى عام ١٩١٦م تلاه الشيخ محمود همد ضرار حتى عام ١٩٢٧م ثم الشيخ حسين أحمد النقاش حتى عام ١٩٢٨م وتلاه الشيخ آدم حامد» انتهى.

❋ ❋ ❋

## ALMADA أَلْمَدَة

كتب المؤلف في كتابه تاريخ قبائل الحباب والحماسين[1] «نالت جميع العربان حريتها في سنة ١٩٤٧م، ونشأت من كل قبيلة نظارة في إرتريا مثل ألمدة ورقبات وأسفده. وفي السودان صاروا عموديت[2]، وانفصلوا عن نظارة الحباب بزعامة كَنْتيبَايْ حسين محمود، وانضموا إلى نظارة بني عامر».

«وهذا ما حدث لقبيلة ألمدة، فإنها استقلت عن نظارة الحباب، وأصبحت لها عمودية في نظارة بني عامر. ولم يتحدث مؤرخ البجة محمد صالح ضرار عن هذه القبيلة ضمن قبائل بني عامر لأنه كان قد سبق له وأن أوفى تاريخها حقه في ذلك الكتاب. ولكن بما أنها أصبحت جزءاً من بني عامر، فقد رءَنا تكملة للفائدة في هذا الكتاب أن نأتي بملخص لما قاله الكاتب عن تاريخ هذ القبيلة فهو يقول بأن المدة من أكبر القبائل البجاوية المنضوبة تحت مملكة بني عامر، وقد قال عنهم الرحالة الأسكتلدني جيمس بروس بأنهم من بقايا الهكسوس ويقول بعض شيوخ المدة إنهم سكان جزيرة عيري الأصليين حتى كان انتشار الإسلام فهاجر إليها جماعة من مسلمي العرب اليمنيين واختلطوا بهم ونشروا الإسلام والعربية بينهم، ولكنها اختلطت بلغتهم التيجرية، فنتج عن ذلك اللغة الحبابية التي يتكلم بها سكان ما بين توكر ومصوع حتى أعلى خور بركة والقاش. ثم نزل بهم بعض الأمويين الذين فروا من العباسيين بعد سقوط الدولة الأموية فاستوطنوا جميعهم الجزيرة والجزر الصغرى المجاورة لها، وأنشأوا القصور والعمارات، وانتزعوا سلطة الجزيرة من رجل يقال له أَلْدَايْ أو الماضي «وتخلف في جهات عقيتاي بأقاربه وأنجاله رجل له محمود ألمداي كان متزوجاً بإمرأة من دُوبَعَاتْ، ورزق منها سبعة أولاد وبنتاً هم إدريس وعلي وحامد وحسين وحسن وعمر وموسى وفاطمة، فأنشأ هو وأبناؤه مملكة في

---

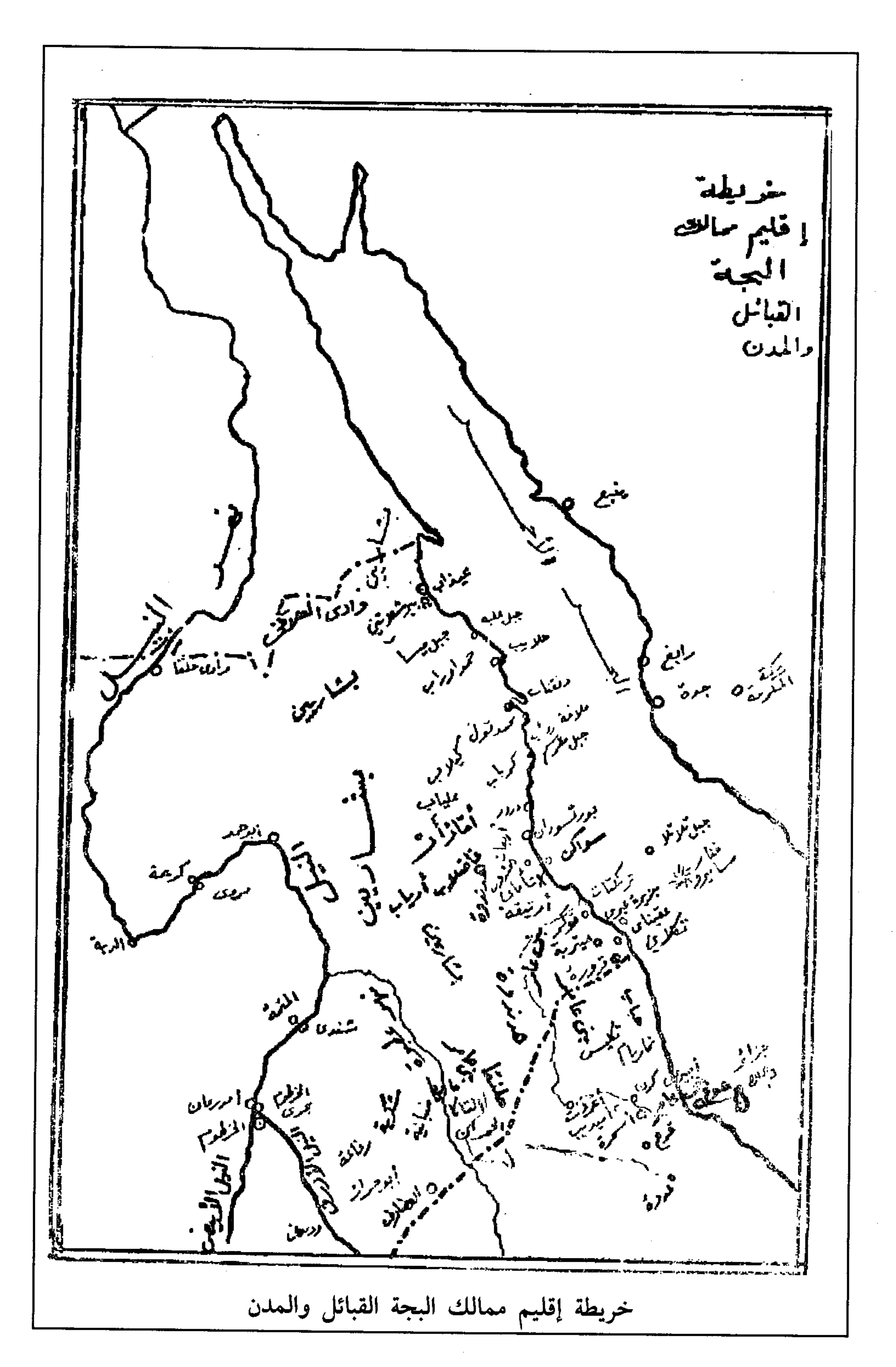
(١) نشرته الدار السودانية ـ الخرطوم ص٤٤.

(٢) أقل من نظارة، والعمدة يعمل تحت الناظر أي ناظر القبيلة.

عقيتاي بلغت أوج عزها أيام الزعيم همد سلطان». وقد تفرعت من أبناء محمود ألمداي عدة عائلات غير الساقة أشهرها عَدْ أبو بكر (أي آل أبو بكر وهم بيت النظارة، ويليهم عد سلطان وهم بيت الوزارة، ثم فضيل وشَرْشَرْ وسَرْوا وبادين، وعَدْ أبو القاسم وهم بيت الزعامة الدينية، وتفرعت من هذه القبيلة عدة عشائر أخرى منها أمور وكبيراي وقنتاي وأقدوب وحطوراي وطورة أو طواري وميكال)[1].

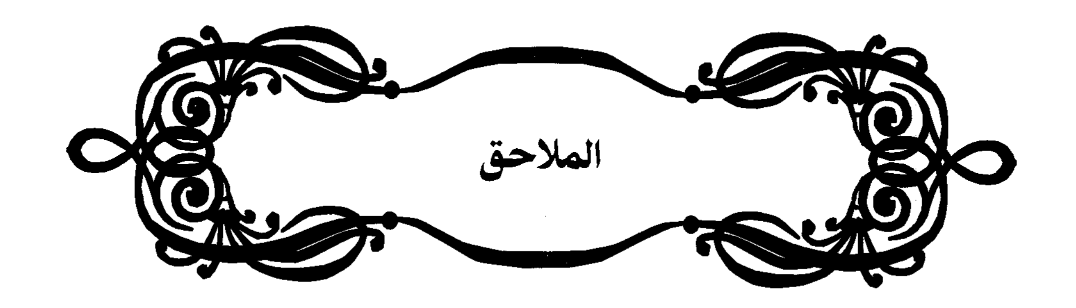
❋ ❋ ❋

(١) هذا ملخص ما جاء في كتاب «تاريخ قبائل الحباب والحماسين بالسودان وإرتريا»، فمن أراد المزيد فليرجع إلى هذا الكتاب.




خريطة إقليم ممالك البجة القبائل والمدن





# الملاحق

## ملحق (١)
## المصلحون

ظهر في الهدندوة كثير من المصلحين والأتقياء كرسوا حياتهم وأوقاتهم لخدمة المسلمين عامة وبنى وطنهم خاصة، ولعدم وجود التدوين وقلة القراء والكتّاب لم نتمكن من معرفتهم. وكان عصرهم مضطرب الأمن والأحوال وسندون النزر اليسير الذي حصلنا عليه، ونعتذر عمن سقطت أسماؤهم عنا. واعتماد القبيلة يكون دائماً على أمثال هؤلاء الرجال:

الهاكولاب: ذكرنا مشاهيرهم في تقال الهدندوة والحلنقة واشتهر عميدهم أودرف أحمد والشنقراب والعبدالرحيماب أمثال الشيخ أحمد عمر قَبسه وأحمد إبراهيم الحسن (من المثقفين) وطاهر محمد وأَدَرُوب قَلُوبَاي ووهاج محمد الحاج، والشيخ الخضر محمد عبدالله.

البشارْيَاب: حلقو عمر، وابنه آدم ومصطفى بارَكْوين وابنه محمد الحسن ومحمد طه إدريس وكريدون وإدريس علي عواض وأحمد أونُور وأولاده (مصطفى وإخوانه) والشهيد سيد روحان قائد الخيالة في وقائع التِّيب (بقرب توكر) في حرب الاستقلال سنة (١٨٨٣ ـ ١٨٨٤) وهذا الرهط هم أخوال أمير الأمراء عثمان أبو بكر دقنه وهو أعظم رجل أنجبه إقليم البجة.

الشَّرعاب: عمر علي تيته، وبوداي أبو فاطمة، وشوكيين آدم هراب، وعلي شيك صبري، وهَبَنَاي، وإدريس محمد حميد، وأخوه آدم، ومحمد

هَدَل مسمار، والأمين فقيري، والأمين ريفياي، وشنقراي حسين هَدْأَ، وبدري الأمين، وبانفير، وعبدالله أبو آمنة، وحامد بانفير، ولو لم يكن من هذه القبيلة إلا الشهيد موسى قويلامي لكفي[١]، وأبو فاطمة ياتار، وأبو فاطمة الطيب الأمين، ومحمود رشيد ومحمد طاهر موسى.

المِيشاب: إسماعيل الأمين أحمد، وموسى بريسه[٢]، والشريف المليك، وموسى ريشة، وعلي حسين المليك، وعلي أبو علي موسى[٣].

الشبّودِيناب: إيلوق محمد، وابنه محمد ومحمدين عيسى، وابنه محمد وحسين وهداي قسَّه ومحمد سرفك، وابنه إبراهيم وعمر كودباي وموسى مهيلا.

القُرْهُباب: كَرُبْ علي كوّال، وشنقراي عيسى وأحمد أبو حليمة، وأحمد فقيري، وأدروب علي كوّال وأخوه حَكّام.

الجميلاب: أبو بكر محمد الأمين، وهَساي (الغضبان) أبو بكر.

القَرْعيب: إسماعيل محمد أحمد، ومحمد طاهر قاضي، ووهاج إسماعيل، وأبو آمنة عمر.

السَّمَرْأَرْ: أوشيك شنقراي موسى، والأمين محمد أوهاج، وهاج وسيدنا محمد بَلِيَّة[٤]. وابنه الشيخ عثمان، وأبو فاطمة حسال أنوب، ومختار إبراهيم، وآدم مدني، ومحمد دين أحمد إسماعيل[٥]؛ وأخيه الأمين والشاعر الناثر الدكتور محمد عثمان الجِرتْلِي القرشي (حفيد السيد الليثي) الكردي.

التنكيك: الأميرالاي حسين بك طاهر وأنجاله.

---

(١) قال عنه الأمير عثمان دقنة: إنه رجل بمقام ألف رجل في البسالة والقتال.

(٢) له مواقف مشرفة مع صديقه الناظر ترك.

(٣) وكلهم من الويلعلياب رهط محمد نور موسى منين وأخوانه أبو محمد وعلي بسواكن.

(٤) لم نذكر الدكتور طه عثمان بلية لأنه مصلح للسودان عامة وللبجة خاصة إذ أوقف حياته لخدمة أهل وطنه. وسيكون له شأن عظيم في هذا الإقليم.

(٥) هو مؤلف كتاب كفاح البجة الذي يصف أمراض البجة وعلاجها.

الأرتيقة: محمد أحمد أبو فاطمة وقد أخذت خطبته في مؤتمر البجة بمجامع القلوب وكان لها وقع حسن لأنها ملئت بالحقائق الواقعية.

خط الحدود البنى عامرية: عمر حسيب ومحمد محمود (خط أودية).

الكلُولي: هدآب علي هدآب.

❋ ❋ ❋

## ملحق (ب)

هذه العصماء من نظم السيد (الدكتور) محمد عثمان حسن الجرتلي في سنة ١٩٥٨ وهو معدود من شعراء السمرأر.

❋ ❋ ❋

## تحية مؤتمر البجة

ليوم يومك يا قصيدي فانشدِ — وتغن بالشعر الفريد وغرِّدِ

إن لم أكن لبني العمومة منصفا — لا كنت يا شعري ولا كانت يدي

أنا من يجلكم ويفنى دونكم — ويذود عن أرض الجدود ويفتدى

فتحية من شاعر ومواطن — شرفتموه بذلك الحفل الندى

شرفتموه يوم جُمِّع صفكم — وتوحدت أراؤكم في موعد

لا خير في شعب يعيش مفرقا — وتسوده الأطماع دون تقيد

بالاتحاد يسود كل مضعضع — ويعز كل مضيع ومشرد

والفرقة العمياء تنزل من علا — وتذل كل ممنع ومشيد

ضموا الصفوف ووحدوا أراكم — لا خير في ذي الرأي غير موحد

كنتم قبائل لا تساند بعضها — يسطو القوى على الضعف ويعتدى

فعدا اللئام عليكم واستعمروا — وسطا عليكم كل وغد ومفسد

فبقيتمو مثل اليتامى حقبة — لا الدمع يجديكم وليس بمرشد

حتى نهضتم يوم طالب قومكم ... بالموت فوراً أو جلاء المعتدى
كنتم من السودان خير مناضل ... وشعار تضحية وبسمة سؤدد
سالت دماؤكم الزكية حرة ... برصاص الاستعمار دون تردد
ضحيتمو بنفوسكم ونفيسكم ... ووقفتمو في الحق مثل الجلمد
حتى انتهى المستعمرون وأذعنوا ... لإرادة الشعب القوى الأوحد
وتبوأ السودان مركز ماجد ... حر بهذا العالم المتبلد
ومضى كسيل جارف نحو العلا ... لم يخش من مرغ به أو مزيد
وتعاقبت فيه حكومات فلم ... تلقى لكم غير الفتات المجهد
فصبرتمو حتى تنالوا حق ما ... من أجله ضحيتمو بالمرقد
وصبرتمو حرصا لوحدة قطركم ... حتى ينال المجد غير مقيد
لكنَّ من حكموا البلاد تنصلوا ... عن عهدكم ونسوا جلال الموعد
فالجوع يجتاح البلاد مخربا ... والفقر والآلام والعيش الردي
والجهل والأمراض تفتك جمة ... والموت بينكم لكم بالمرصد
وهناك بالخرطوم قوم رفهوا ... لم يشعروا بالعرى والحلق الصدى
يقون من ماء فرات وافر ... والماء عندكمو سراب مبدد
مات النساء ويتمت أطفالكم ... فالكل بين ممزق ومشرد
وسبيل عيشكم بأيدي غيركم ... والباب من أرزاقكم كالموصد
يا قوم هبوا مخلصين وناضلوا ... في الحق لا تخشوا عدا أو معتدى
قولوا لإخوان لكم لم يشعروا ... بعذابكم إنا هنا في موقد
ضاقت بنا الدنيا وقل نصيرنا ... ونسير حتماً للفناء الأسود
إن لم تنيلونا الحقوق وتلفتوا ... أنظاركم نحو الشقاء الزائد
وتخفضوا عنا العناء وتخلفوا ... من أرضنا نهلا نقي المورد
بالعلم والإصلاح والحق الذي ... هو حقنا بل حق كل مجاهد
وتوفروا سبل الحياة وتوجدوا ... خير العلاج لعاجز ومسهد
نخشى عليكم من جياع شردوا ... ونخاف ثورة عاطل مستعبد

إن الفضيلة لا تقيل محطما ... أو ترتجى من جائع متمرد
إنا لنعلم أن أرض بلادنا ... والبحر كنز زاخر لم ينفد
فلنا المعادن ثروة مخبوءة ... والبحر يزخر بالثراء العسجد
ولنا من الوديان فضل زراعة ... إن أصلحت فاضت بخير مفرد
كم من مياه عذبة هدارة ... ذهبت سدى للبحر دون تهجد
إن جمعت فاضت وتم هناؤها ... وشدا اللسان بجودها المتجدد
وبطوكر والقاش رزق وافر ... يكفي الجياع مدى الحياة ويفتدى
وبكل ركن إن أردتم ثروة ... إذ ما استغلت فهي لم تتبدد
عمرتمو بدياركم وبنيتمو ... وديارنا نهب الفناء الأسود
فهبوا نا من بعض ما عمرتمو ... نحميكمو يوم النضال المرعد
ونكون حصنكم المنيع على العدا ... ونصير في أيديكمو كمهند
إن تتركونا للردى سنذود عن ... أرواحنا في يومنا أو في الغد
فشريعة الدنيا نضال دائم ... والنصر للحر الكريم الماجد
إخواننا هذا عتاب صارخ ... من مهجة الشرق الكليم المتعد
هذا عتاب أخ لإخوان له ... الفرق بينهمو كأطراف اليد
أنتم تفوقتم فشدوا أزرنا ... فنشد أزركم ولم نتردد
ودعوا كلام المفسدين ولغوهم ... إنا بني السودان فخر المولد
لم ندع يوماً للشقاق ولم نثر ... مثل الجنوب ضغائننا لم تسمد
قد أول الحساد مؤتمراتنا ... دعوى الفصال بئس قول الحسد
إنا نطالب حقنا من أهلنا ... بنى عمومتنا كرام المحتد
سودانا تفديه كل قلوبنا ... يوم الردى جل الفدا والمفتدى
إنا لنهوى أن نراه مخلدا ... يختال فخراً فوق هام الفرقد
ونرى بنيه الفاضلين تبوأوا ... في عالم الأحرار أحسن مقعد

❀ ❀ ❀

# ملحق (جـ)
## حوادث المهدية في كسلا

قبل تسليم الخاتمية طلب الأمير مصطفى علي هَدَل مقابلة السيد البكري ليطلعه على حقيقة قرار الأمير عوض الكريم كافوت في حالة تسليم الخاتمية، فطرهد الخلفاء وقالوا له إن السيد لا يريد أن يراك. فعاد أدراجه[1]، ورحل بجيشه من حصال الخاتمية إذ تيقن أنها على وشك التسليم[2].

بعد انتهاء المهدية وانتشار الحكم الثنائي بالسودان زار السيد جعفر الميرغني كسلا. فوجد أحد آل كافوت خليفة فهجم عليه وقال هذا سافك دم أبي لن أتركه. ودارت بينهما معركة هرب بعدها الكافوتي من كسلا.

وأذكر أن الأمير عوض الكريم أراد الحج فجاء إلى سواكن سنة ١٩٠٣م، فعلم به محمد بك أحمد قومندان البوليس فلم يعثر عليه. أما هو فقد لجأ إلى سموأل سواكن الحاج إبراهيم محمد حَمُو - فأركبه الباخرة. وسمع محمد بك بعد سفره، فعاتب السيد حمو فرد عليه - عفا الله عما مضى يابِكْ. والله لو قتل أبي ولجأ لحميته، والحمد لله انتهى كل شيء بسلام - فقال البك، سأنتظر عودته فقال له حمو إنه سيعود عن طريق مصر ولكنه عاد عن طريق سواكن وسافر مع قافلة الحجاج إلى بربر من غير أن يعثر عليه.

❋ ❋ ❋

---

(١) قيل: إنه قال للخلفاء: أنصحكم أن تهربوا بالسيد قبل التسليم لأن القوم مبيتون أمراً لا يسركم.

(٢) لما اجتمع الأمراء بالسيد بكري في شروط التسليم (وكان يسير أمامه عبده - إبراهيم زيد - مسلحاً، استقبلهم الأمير عوض الكريم غضبان ومعه ابن أخته - حميدة أبو شلوخ الجعلي - والشرر يتطاير من عينيه.

## ملحق (د)
## نُظّار قبائل إقليم البجة

هم خمسة فقط:

| الاسم | القبيلة |
|---|---|
| ١ ـ الشيخ (وَهَدْأَ) محمد الأمين تِرِكْ يسكنون بين بني عامر والأَمَّارْأَرْ | هَدَنْدَوَة والصواب هَدْآيْدِوَه |
| ٢ ـ الشيخ (دِقْلَلْ) إبراهيم محمد عثمان يسكنون في الحدود السودانية الإرترية | |
| ٣ ـ الشيخ محمد أرباب أحمد يسكنون بين الهدندوة والبشاريين | أَمَّارْأرْ أي أبناء عَمَّار أو أتْمَنْ عثمانيون بناء عثمان بن عجيب |
| ٤ ـ الشيخ أحمد كرار أحمد يسكنون على نهر عطبرة حتى ميناء حلايب | بشاريون |
| ٥ ـ الشيخ مراد جعفر علي | حَلَنْقَة |

**ملحوظة:**

العمد هم الذين ينتخبون الناظر، ويوافق عليه رئيس مجلس الوزراء والداخلية، وجزيته فوق الألفي جنيه.

العمدة: يختارونه مشايخ الحصص التابعين لقبيلته وجزيته فوق المائة والخمسين جنيهاً، وإلا اعتبر شيخاً فقط وهو أقل من العمدة.

لكل قبيلة شيخ خط ينوب عن الناظر في كل شيء.

❋ ❋ ❋

## نظارة بني عامر
## الناظر: دِقْلْ إبراهيم محمد عثمان

| القبيلة | اسم العمدة | ملحوظات |
|---|---|---|
| ١ ـ أَلْمدَة | إدريس محمد عبدالله قوبل | يسكن عمدتها قرية عيسى درْهِيبْ بقرب ميناء العقيق، ولها حصص كثيرة متنوعة |
| ٢ ـ أسْفَدَا | إيمان محمد علي | متفرقة |
| ٣ ـ عِجيلابْ | نور الدين محمد ضرار | تسكن عَقِيتايْ ولها أراضي زراعية، ولها أكثر من (١٢) حصة |
| ٤ ـ رِقْباتْ | محمد نور حامد علي | في قَرُورَة كرار |
| ٥ ـ مِكَالْ | محمد طَدَا إدريساي | في قرورة |
| ٦ ـ أبْ حشيلا | محمد حاج راوي | في عَدَارَتْ وكسلا |
| ٧ ـ حَماسين | محمد أحمد فقيري | تسكن الجبال |
| ٨ ـ بيت مَعْلا | محمد الحسن محمد | تسكن الجبال وقرورة وسُوك |
| ٩ ـ عَدْ فضل | عبدالقادر محمد ضرار | تسكن الجبال وقرورة وكسلا |
| ١٠ ـ حاصا توكر (عمير | أبو محمد محمود حمد | تسكن توكر الجبال |
| ١١ ـ أفْلَندة | حدوق محمد عثمان | تسكن عدوينه |
| ١٢ ـ بيت عوض | محمد علي محمد | تسكن الجبال |

❊ ❊ ❊

## مجلس ريفي توكر

مؤلف من جميع قبائل بني عامر والقبائل الصغرى الآتية التي تسكن حول توكر ومرافيت أمثال:

١ ـ عمودية الأرتيقة وعمدتها هو الشخي وهاج كابيري محمدو نولي وهم أصحاب أكثر الأراضي الزراعية.

٢ ـ عمودية الكميلاب وعمدتها الشيخ طاهر محمد عبدالقادر، ويسكنون توكر وإيرِمْ وبورتسودان.

٣ ـ عمودية الأشراف، وعمدتها السيد محمد هُمَّد أو تكُول، ومنهم عمدة المدينة السيد حسين محمد عثمان شِنْقِرايْ.

٤ ـ عمودية الحسناب وعمدتها الشيخ الأمين حاج موسى.

٥ ـ مشيخة الحباب ويرأسها الشيخ حسين كنتيبايْ محمود لجأ والده من طليان إرتريا إلى السودان سنة ١٨٩٧م. ومن عادات الحباب أن كل رئيس لا يتولى في العاصمة نَقْفَة لا يُسمى بلقب «كَنْتيبايْ».

٦ ـ مشيخة عَدْ دِرْقِي انضمت إلى ريفي توكر.



## عموديات بني عامر في كسلا أشهرها

| | |
|---|---|
| ١ ـ عد عمير | حامد أركه |
| ٢ ـ أفلنده | باقدير محمد باقدير |
| ٣ ـ حدارب | إدريس الحسن صالح |
| ٤ ـ حماسين | حامد محمد همد حدوق |
| ٥ ـ وكيل الناظر | الشيخ محمد علي أبْقلاي أَبْحشيلا |
| ٦ ـ دنكلي | الشيخ إدريس دين أقرهوم، وهم أقلية. |

**ملحوظة:**

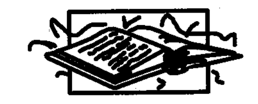
الحباب الذين كانوا تحت الشيخ حسين كنتيباي أصبحوا تابعين لنظارة بني عامر وخرجوا من حسين محمود.

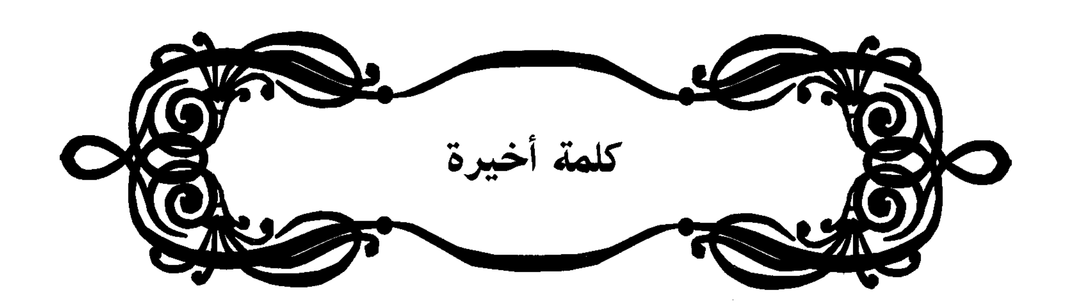
❋ ❋ ❋

## المشيخات
## التي جزيتها أقل من ١٥٠ جنيه سوداني

| | | |
|---|---|---|
| ١ ـ نابْتَاب | حامد عثمان أُكُدْ موسى | في عَيْتَرْبَه وهم عمودي صغرى والجبال |
| ٢ ـ عقايقة وبَلَوْ | هاشم علي عبدالكريم عقيق وعدونبة بتوكر هو وكيل ناظر بني عامر | الحسن آدم جميل |
| ٣ ـ فايداب | محمد علي أبو الحسن | عقيق وعدوبنة |
| ٤ ـ وِلِهُوْ Wilinnoho | محمد إدريس محمد | رلت إلى كسلا ولم يبق منها إلا رشيدايْ |
| ٥ ـ دوبَعات | محمد موسى أبو موسى | في عقيتاي وعدوبنة |
| ٦ ـ حدارِبْ ولَبَتْ | محمد . . . عبدالله | الجبال وهم أقدم بجة |

كل شيخ حصة لا تقل زيته عن ستة جنيهات سنوياً





# كلمة أخيرة

بهذه الكلمات التي مرت بنا ينتهي ما كتبه المؤرخ محمد صالح ضرار عن تاريخ شرق اسودان ومن في إقليم البجة من قبائل، وما مرت بها من أحداث عبر العصور. وكما يتضح للقارئ فإن هذا الكاتب قد اهتم اهتماماً كبيراً بتاريخ هذه الأمة التي امتدت بلادها من بئر شلاتين على الحدود السودانية المصرية شمالاً حتى مصوع التي كانت جزءاً من السودان الشرقي في القرن التاسع عشر تحت الحكم المصري، وكان الحكم المصري قد ورثها من السلة الزرقاء (سلطة الفُنْج) التي انضمت إليها ممالك البجة بأسرها عن تراض بحكم الترابط الإسلامي الذي كان يضم كافة أجزاء السودان ف يذلك الاتحاد الكونفدرالي.

وتسكن هذا الإقليم قبائل البجة وهي بني عامر والأمَّارْأرْ والحلنقا والهدندوة (والبشاريين) والرشايدة الذين استقروا في الإقليم في القرن التاسع عشر الميلادي بعد رحيلهم من الجزيرة العربية.

وبالإضافة إلى اهتمامه بتاريخ القبائل، فد اهتم محمد صالح ضرار بكتابة تاريخ المدن القائمة بهذا الإقليم، وخير شاهد على ذلك كتاب الذي سبق وأن نشر عن تاريخ سواكن وبقية مدن البحر الأحمر، كما أن هناك كتاب عن تاريخ بورتسودان نأمل أن يظهر قريباً بإذن الله ـ وشمل كتاب سواكن مدناً أخرى منها محمد قول ودنقوناب والعقي وغيرها.

وفي المؤتمر العالمي الذي عقد في باريس في خريف عام ١٩٧٥

قدمت ورقة عن مؤلفات محمد صالح ضرار بالإنجليزية، وتعرضت الورقة لاهتماماته بالتراث البجاوي من أشعار وقصص فولكلورية باللغتين التبداوية (الهدندوية) والبنى عامرية (التيجرية)، وقد أعجب الباحثون الغربيون الذين حضروا المؤتمر بما جمعه هذا الباحث السوداني، ووصفوه بأنه «سابق لأوانه» إذ أنه أمد العالم بكثير من تراث البجة قبل أن يندثر ويضيع.

أما المؤرخ البريطاني أندروبول (Paul) فقد وصفه في كتابه عن «البجة» بالإنجليزية بأنه دائرة معارف لتاريخ البجة، وأثنى عليه لأنه أمده بمعلوماته عن قبائل الإقليم. وكان مؤرخنا فريداً من نوعه فهو بجانب معرفته الممتازة باللغة العربية والإنجليزية، كان مرجعاً في كل من اللغة البتداوية التي هي من اللغات الكوشية، واللغة البنى عامرية التي هي من اللغات السامية.

ولم ينس هذا المؤرخ الفذ أن يدون حوادث القصص الغرامية التي كانت تتبادلها الأجيال في إقليم شرق السودان، فنراه وقد كتب قصة حياة تاجوج والمحلق، وهي قصة غرام قيس وليلى السودانية، وجمع أشعار المحلق التي نظمها في حب تاجوج، كما دون حوادث حياتيهما حتى شقيا بالفراق بعد أن شقيا باللقاء ثم انتهت حياتهما بتلك المأساة. وهي قصة أشعارها باللغة العربية العامية وقد طبعت عدة مرات، وبالإضافة إلى هذا القصة المثيرة، فإن هذا الباحث جمع حوادث الشاعر الهدندوي محمود الفلج وحبيبته، ما لقى من عذاب الحكام الأتراك حين هجر السواح الأروبيين وعرّج على حيها ليتزود بالقليل من وصالها قبل أن يوصل السائح إلى مطلبه. وكما جمع أشعار محمود الفلج الهدندوية فإنه جمع أيضاً أشعار عمر فاشقير التي تغزل فيها في محبوبته، وكانت هذه الأشعار باللغة البني عامرية، ونأمل من الله القدير أن يعيننا على إصدرهما قريباً.

كان محمد صالح ضرار يرك في كتاباته على العلاقات التاريخية بين

شقي البحر الأحمر، ويوضح صلات القربى بين سكان الضفتين، كما أنه أوضح انتشار الإسلام في تلك البقاع بعد أن رحلت القبائل العربية من جزيرتها واختلطت بسكان إقليم شرق السودان، كذلك فإنه أورد أنساب القبائل، وأعاده إلى أصولها العربية. وقد كان صيته العلمي في أوربا عالياً طيلة حياته، وكانت تزوره الأستاذة هيرما بلازيكوسكي (Herma Palzikowsky) أستاذة علم الاجتماع في جامعة فرانكفورت، وسجلت عنه الكثير من الأحداث والأشعار والأمثال البني عامرية، واحتفظت بها في جامعة فرانكفورت حتى فاضت روحها في عام ١٩٧١، فكتب ابنها خطاباً إلى هذا الباحث السوداني الذي كان في مرضه الذي لقى ربه بعده، فقال الابن:

عزيزي السيد ضرار

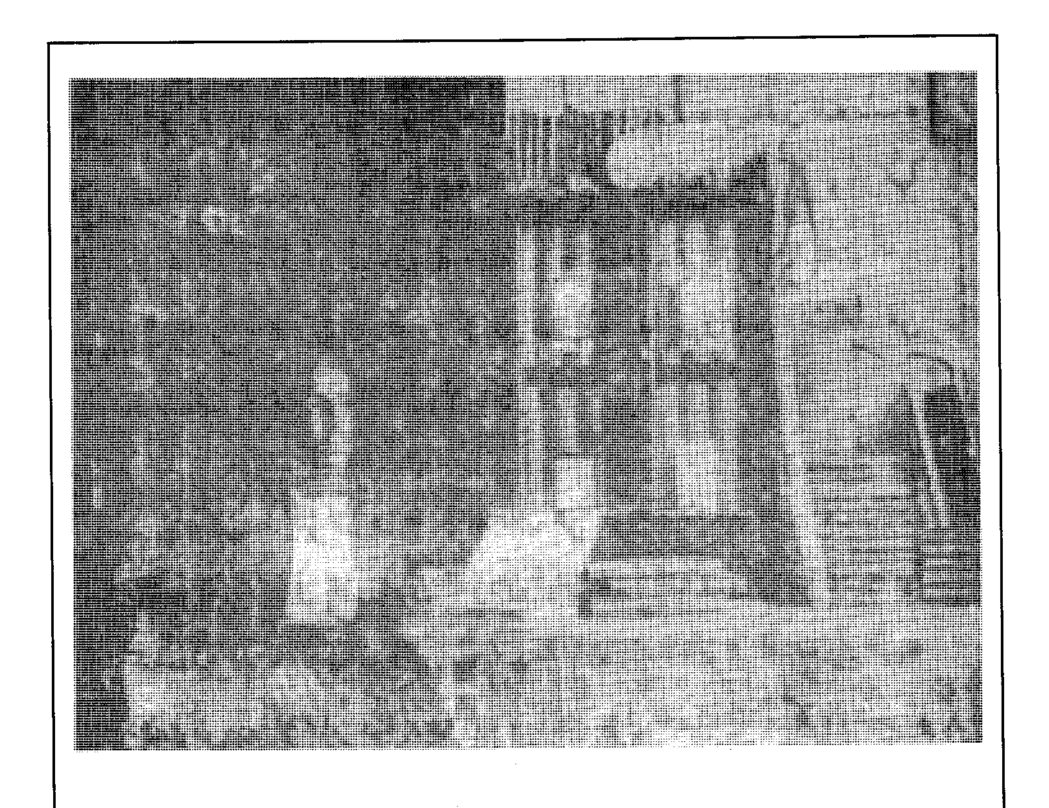
إني أشعر بحزن عميق وأنا أحمد إليك نبأ وفاة والدتنا الذي جاء إثر حادث سيارة في ٢٥ نوفمبر. وبعد ستة أسام من ذلك الحادث توفيت الوالدة في أول ديسمبر بعد جهاد عنيف ضد الموت. وإننا جميعاً نشعر بافتقادها. وكانت تحكي لنا الكثير من رحلتها الأخيرة. إنني أعرف أنك ستشعر بالألم والحزن نحو ما حدث أيضاً، وإننا جميعاً نشعر بأننا فقدنا شخصية رائعة، كما أن العلم فقد إخصائياً من الدرجة الأولى.

**المخلص**

**د. بلازيكوسكي**

ولم يكن المؤرخ السوداني قادراً على الكتابة في ذلك الوقت، فأشار إلى بأن أنقل تعازيه إلى أهل الفقيدة وابنها، والتأكيد لهم بأن العلم قد فقد دون شك رائدة من رواده الأفذاذ.

كذلك كانت للفقيد المؤرلف اتصالات علمية بكل من الدكتور محمد عوض والأستاذ الشاطر البصيلي، وكانوا يتمتعون برسائل علمية دراسية فيما بينهم.



**محمد صالح ضرار وبجانبه دائرة المعارف البريطانية وبعض أمهات الكتب العربية**

عرف محمد صالح ضرار بحبه للإطلاع، وكان من أوائل الذين احتفظوا بمكتبات ضخمة بداره منها دائرة المعارف البريطانية التي اقتناها سنة **١٩٢٦**، ودائرة معارف وجدي والمدونية الكبرى، وكتب التفاسير والتاريخ، وأمهات كتب لأدب كتاب الديوان للعقاد، والنظرت للمنفلوطي وسائر كتبه غير ذلك من المؤلفات التي أفاد منها لتنمية معارفه، وللإفادة منها في البحث والتأليف كمراجع، وطاف في أنحاء السودان الشرقي على ظهور الإبل بحثاً عن الحوادث والمصادر، ونشر أبحاثه في كثير من الصحف السودانية والمصرية آنذاك. وتنبيه المستشرقون الإنجليز والألمان والبولنديون لذلك، فكثيراً ما جاءوا إلى داره بمدينة بورسودان يدرسون اللغات، وينقلون المعلمات، فمنه أخذ الدكتور بولس Bloss كثيراً مما كتبه عن سواكن وتاريخها في مجلة السودان في رسائل ومدونات. وأفاد منهالمستر كروفورد حين ألف كتابه عن «مملكة الفونج» كما كان يفد إليه

الدارسون للشهادات العليا من الجامعات الإنجليزية والألمانية لاستكمال دراساتهم.

وكان هذا المؤلف في ليعة المدافعين عن حرية البلاد، واختير أو رئيس لمؤتمر الخريجين في إقليم شرق السودان أيام الحكم الثنائي والإدارة البريطانية واستقبل الباندت جوهر لال نهرو عندما كان رئيساً للمؤتمر الهندي في طريقه للتفاوض مع الإنجليز سنة **١٩٣٨**م، وتباحثا حول القضايا المشتركة، وشجون أبناء البلدين وآمالهما في الحرية. وكان جيد الصلة ببعض أبناء المملكة العربية السعودية، وتوطدت بينه وبين شاعرها المرموق حمة شحاته صلات الود والإخاء، فكتب هذا الشارع للكاتب السوداني في إحدى رسائله قائلاً له: «أرى الشكر وإن أغرقت فيه لا يفي ببعض صنيعك، وأرى أن السكوت أبلغ إطراء، وأفضل مدح لك...» ثم أنهى رسلته بقوله: «أرجو أن تتفضل علي ببقية أجزاء مختارات المنفلوطي، ودائرة وجدي، وما تختاره مما تراه ملائماً لي وإني أشكرك... إلخ.

ويعد محمد صالح ضرار بحق رائداً في مجاله، مرجعاً في تاريخ وأصول قبائل البجة خاصة، سودانياً في نشأته، إسلامياً في نظرته، عربياً في نزعته، عالمياً في اهتماماته، ولا يعرف أحد في شرق السودان اهتم بالتعليم كما اهتم به هذا الباحث، فقد كان رئيساً للجنة التعليم الأهلية في بورتسودان، كما كان من أكثر الناس تشجيعاً لتعليم البنت البجاوية، وكان يؤمن بأنه لا يتم إدخال الحضارة والمدنية والتقدم في قبائل البجة دون الاهتمام بتعليم المرأة، فالمرأة في رأيه هي العنصر الأساسي للتقدم، وعن طريقها تسير الأمة في دروب الحضارة لهذا فقد كان كثير المطالبة في أيام الحكم الثنائي بفتح مدارس للبنات رغم اعتراض كثير من الجهات التي تتمتع بنفوذ عقائدي على ذلك النوع من التعليم وعلى غيره رغبة منها في ألا يضمحل نفوذها على البجة.

وكان يلح على تطوير القبائل البجاوية. وطالما كتب في الصحف

يدعو حكومة الإدارة البريطانية إلى مساعدة هذه الأمة، كما كان يحث الحكومات الوطنية المتعاقبة التي تولت الحكم في البلاد على أنصاف هؤلاء الناس. وكان مما كتبه هاتان الصفحتان التي كانت آخر كلماته التي كتبها لمؤتمر البجة القومي عام **١٩٥٨**، ونحن نوردها هنا بخط يده.



## البجه والاستعمار:

لم ينس المستعمر هزيمته النظامية التي الحقت على يد
شباب البجه الذين كانوا يمثلون البطولة العربية بكامل
معانيها وجادوا بانفسهم قربانا للاوطان
(والجود بالنفس غاية الجود) فالمستعمر يذكر
جيدا وقائع في التيب (اندتيب) وتاماي
وسنكات وكرفيت وهنوا حتى كسلا
وسواكن . ولذلك رسم خطة انتقامية من
عموم البجه حتى لا تقوم لهم قائمة بعدها . ولذلك
همشهم في حياتهم ودنياهم وحرمهم من كل مقتضيات
الحياة فخيم عليهم الفقر والجوع والمرض ولم يكتف
بذلك بل فرض عليهم جزية [illegible] سنويا
فحصد مال البجه وساعدت المستعمر الطبيعة
فقلت الامطار في عهدهم المظلم وانقرضت الحيوانات
والمواشي وبسط الجهل جناحيه على سكان الاقليم .
ونحن اليوم في القرن العشرين نعاني ما كان يعانيه
اولئنا منذ عشرة الاف عام ؟ فلم نتقدم عما كانوا
عليه شبرا الى الامام بل هوينا الى هاوية الحضيض
وهذا يدل على اننا مستعمرين بصورة لا يعرف عليها من
يتجاوز وجها جيلها . فطمست معالم بلاد البجه واقفلت
طرقه ومواصلاته بين قراها ومدنها . وان الذين لا يتكلم
اللغة العربية اليوم في البجه محصورون وقابعون
في كهوفهم لا يعرفون غير البجاوية التي حكم بها عليهم
المستعمر وان لا يجيدوا غيرها وان يقطعوا كل امل

## البجة والاستعمار

نحن للحياة بالمسير او [illegible] مع ركب مسيرة التطور

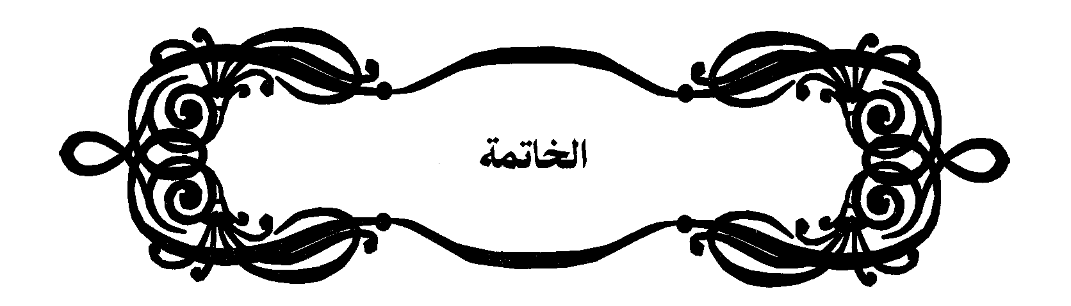
الاستقلال الاخير

لا يعرف له البجة معنى - اذ لم يتقدموا في عهده قيد انملة
بل سار حكامنا من الوطنيين على خطوات عهد الاستعمار
فلم يكن هناك اي تغيير في حياة البجة -
اما الآن يكون هناك تغيير بل اصلاح حقيقي
للبجة لتطور عموم البجة في [illegible]
عن [illegible] ثم يأتي وقت [illegible] فيه الرفع على الراقي فليشهد
الله كل من بيده الامر من ابناء [illegible] الوطنيين [illegible]
وهذا ما لا توافق عليه القوانين السماوية والعدالة
الإنسانية والأحكام القضائية -
فنحن ابناء البجة ساهمنا مع كل رجال الوطن في المصائب
والنوائب حتى لا يقال لنا انكم تخلفتم عن المضحين
بأرواحهم في سبيل الوطن العزيز - فعلى بعد تجمع
خطوات من هذا الاجتماع يشهد الثرى خيرة شبابنا

من شهداء الحرية والاستقلال حصدهم رصاص المعتدي
في [illegible] النزاع .
فنحن البجة اليوم نطالبكم بانصافنا ومنحنا حقوقنا في الحياة
والسلام عليكم

محمد صالح [illegible]

١٩٥٨/١٠/١١



# الخاتمة

وأخيراً فإن هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ قد ضاعت نسخته الخطية الأخيرة التي كان المؤلف قد بيضها في مجلدين ضخمين لإعدادها للطباعة فلقد حدث بعد وفاته بقليل، والأهل بين حزين ومتألم أن اختفت هذه النسخة من منزل المؤرخ، ولم نعثر لها على أثر. ولكن حمداً لله، فقد كان المؤرخ يكتب كل شيء بالكربون من ثلاثة صور حتى لكأنما كان يعرف أن النسخة الأخيرة بخط يده الجميل الواضح سيستأثر بها أحدهم دون غيره، ويأخذها لنفسه، فكان أن هيأ الله لنا النسخ الباقية لنخرج منها هذا الكتاب الضخم الغني بما فيه. وإننا لننتهز هذه الفرصة لنطب ممن أخذها من منزل الفقيد الراح أن يعيدها إلى حتى نحفظ تراث المؤرخ الراحل في الموطن المناسب الذي يحفظ فيه عادة التراث الفكري.

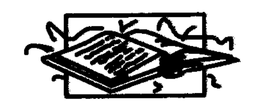
ولقد كانت هناك فئة من أبناء البجة حريصة على إظهار هذا الكتاب، وبذلوا ما يستطيعون للإسهام في طباعته، وكان هؤلاء هم الأستاذ عمر إبراهيم الحاج عمر النابتابي البني عامري، والأستاذ هاشم أوشيك محمد من رجالات قبيلة احلنقة البجاوية الهوازنية العربية، والأستاذ محمد نور محدم موسى من قبيلة الألمدة البني عامرية فلهم الشكر الجزيل على ما أبدوه من روح ثرة بالمثل العليا والأريحية العظيمة التي هي أشبه الصفات بما جبلوا علهي من حب للخير والعلم.

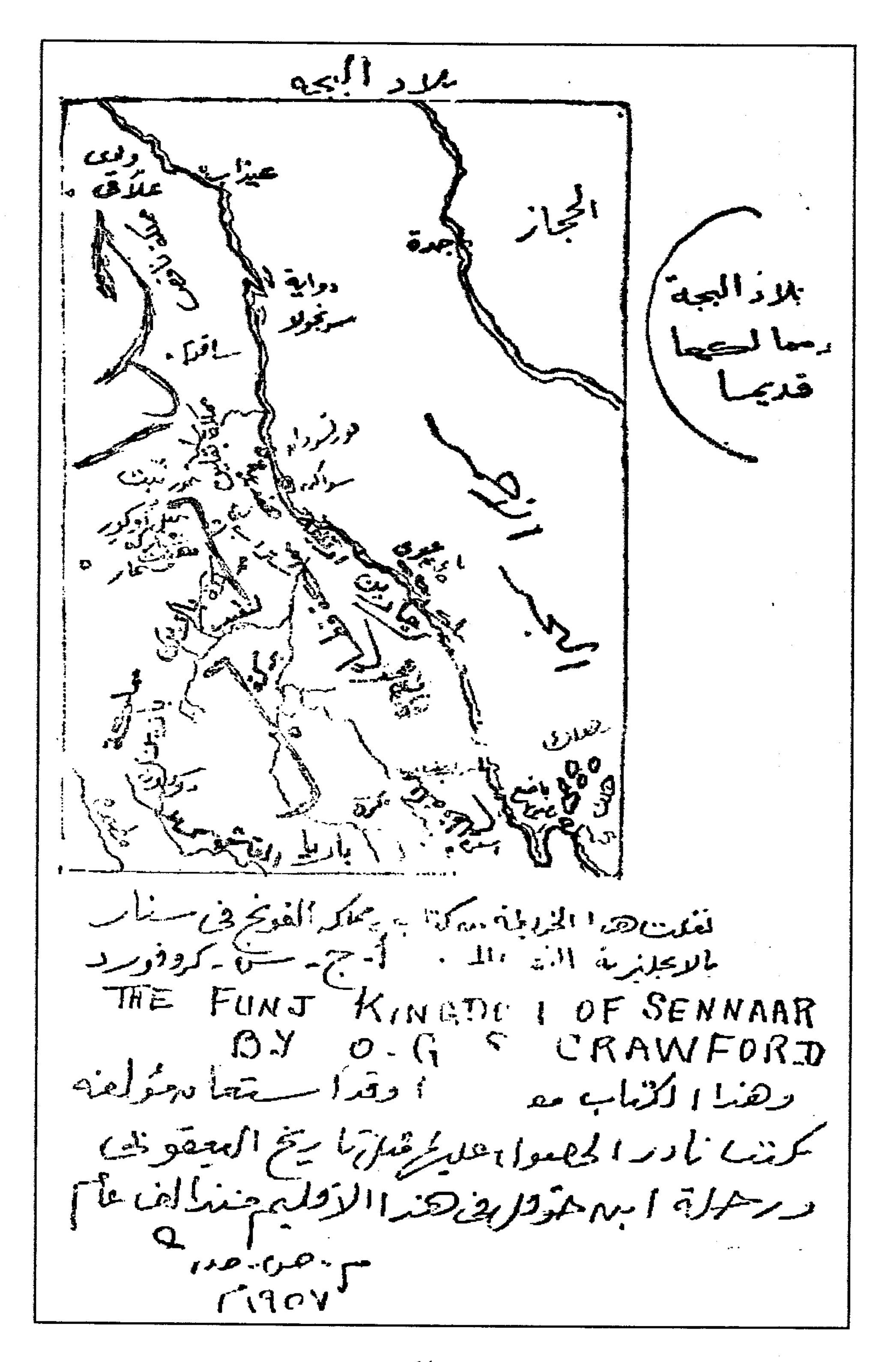
وإنني لأطلب من سيدي الوالد الراحل عليه رحمة الله أن يعفو ويغفر لي هذا التأخير الذي حدث لنشر الكتاب الذي صرف فهي زهرة شبابه،

وخريف عمره، فلم يظهر إلا بعد وفاته سنوات طويلة ألغتني كهولته وشيخوخته. ولكن مما يثلج الصدر، ويبح عن كاهلي ثقل السنين الماضية أن مكنني الله العلي القدير من أن أقوم بطبعه الآن شاكراً للآخرين مبادرتهم الطيبة، راجياً أن تكون لها فائدتها في عمل آخر. فليتفضل الظامئون إلى التاريخ، وتطور الأمم بقراءة هذا السفر الذي يمتاز بأنه فريد في بابه، غزير في مادته، أصيل في منبعه.

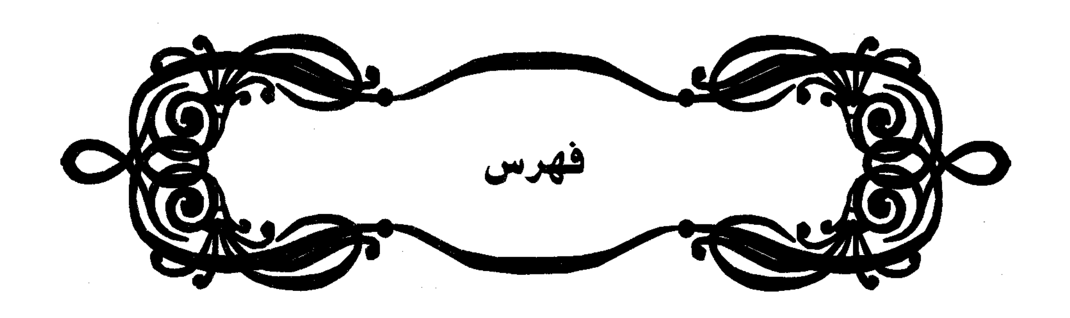
وإنني لسعيد، وجد سعيد بما وهبني الله من قدرة وتأييد لإخراج هذا السفر الممتع الغني بأصالته.

**١٦ ربيع الثاني ١٤١٢هـ**
**٢٣ أكتوبر ١٩٩١م**
**ضرار صالح ضرار**




بلاد البجه
عيذاب
علاق
الحجاز
جدة
بلاد البجة
ربما لكها
قديما
سواكن
THE FUNJ KINGDC I OF SENNAAR
BY O-G S CRAWFORD
١٩٥٧م





# فهرس

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

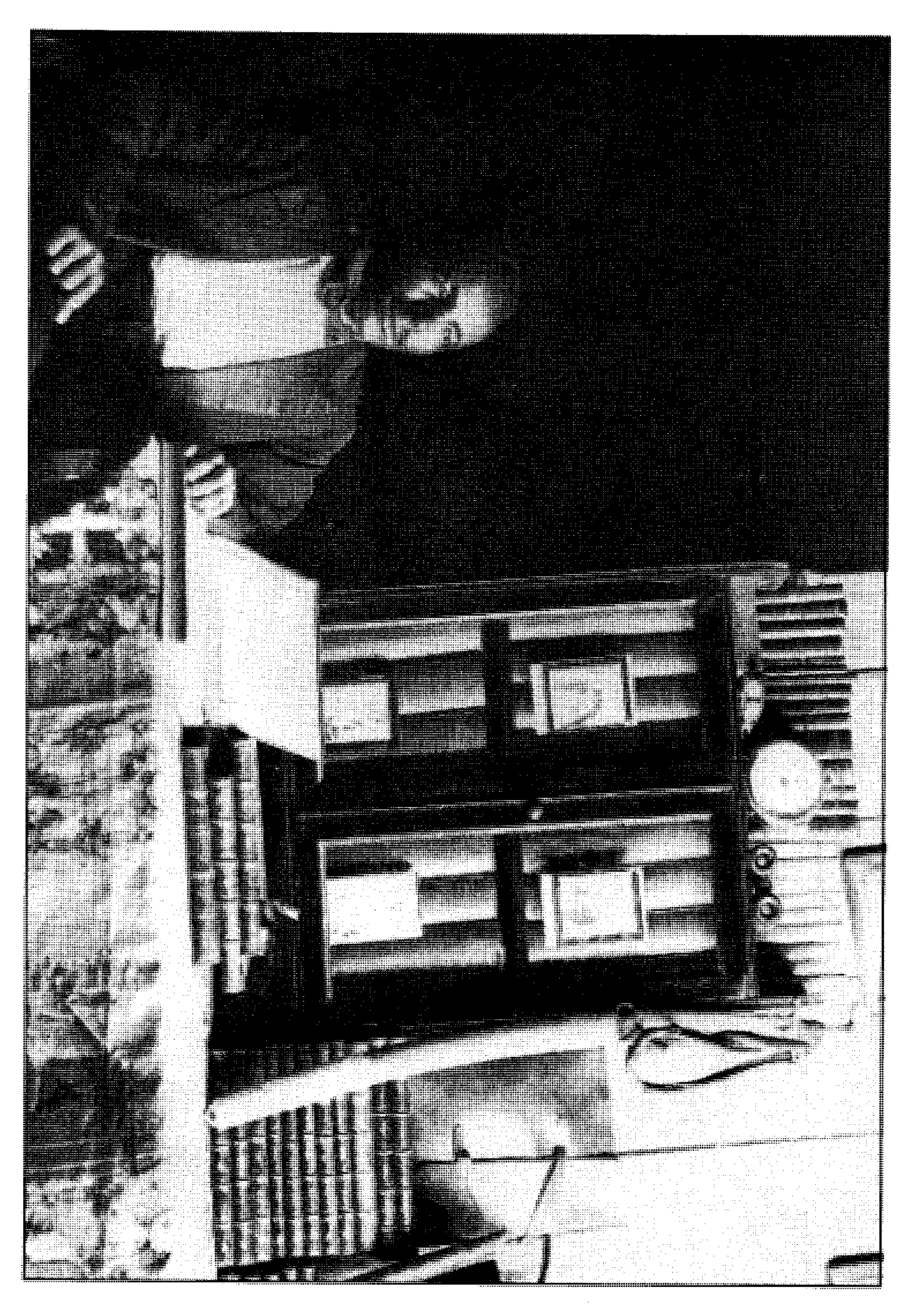
| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

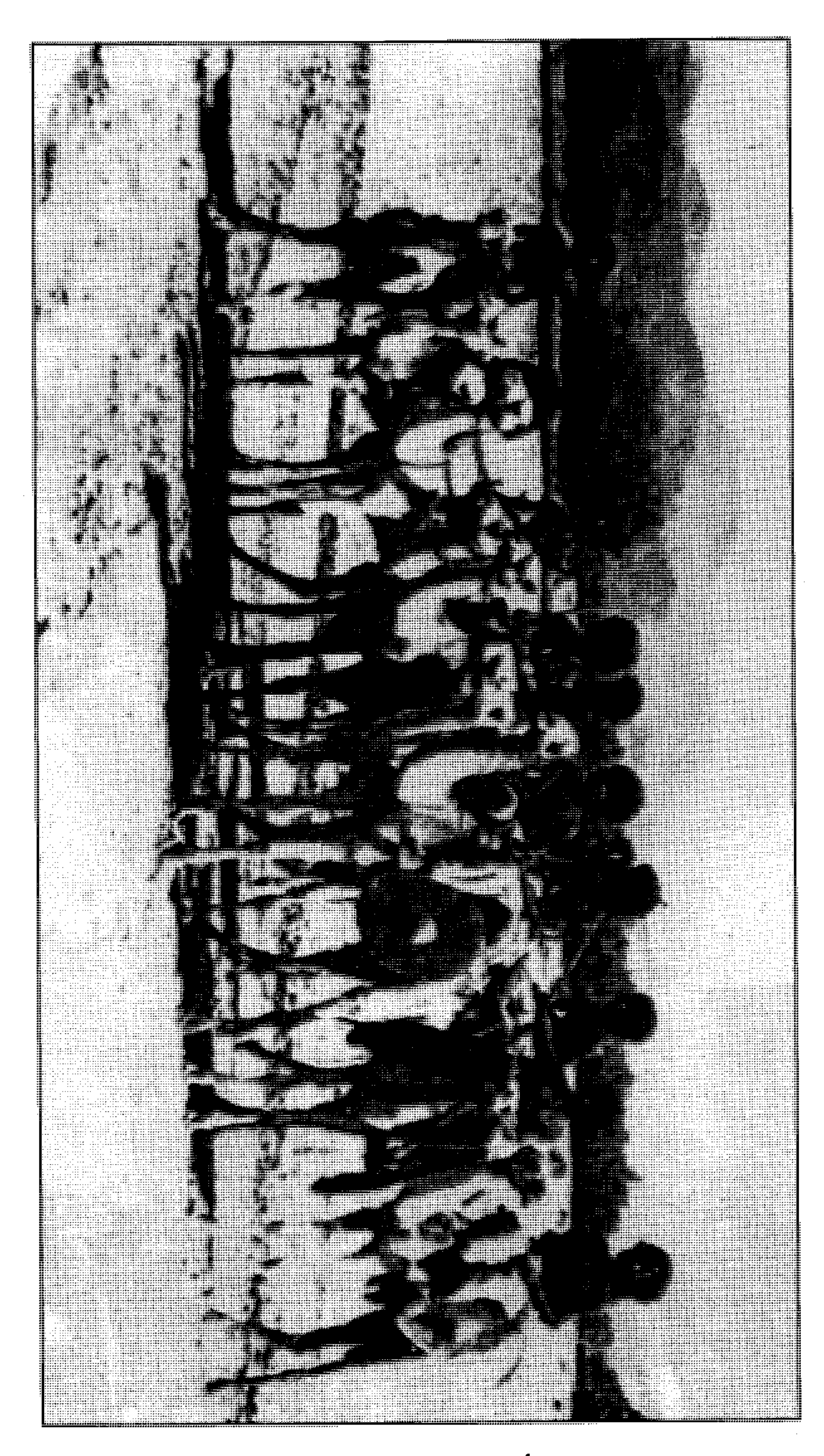
| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |



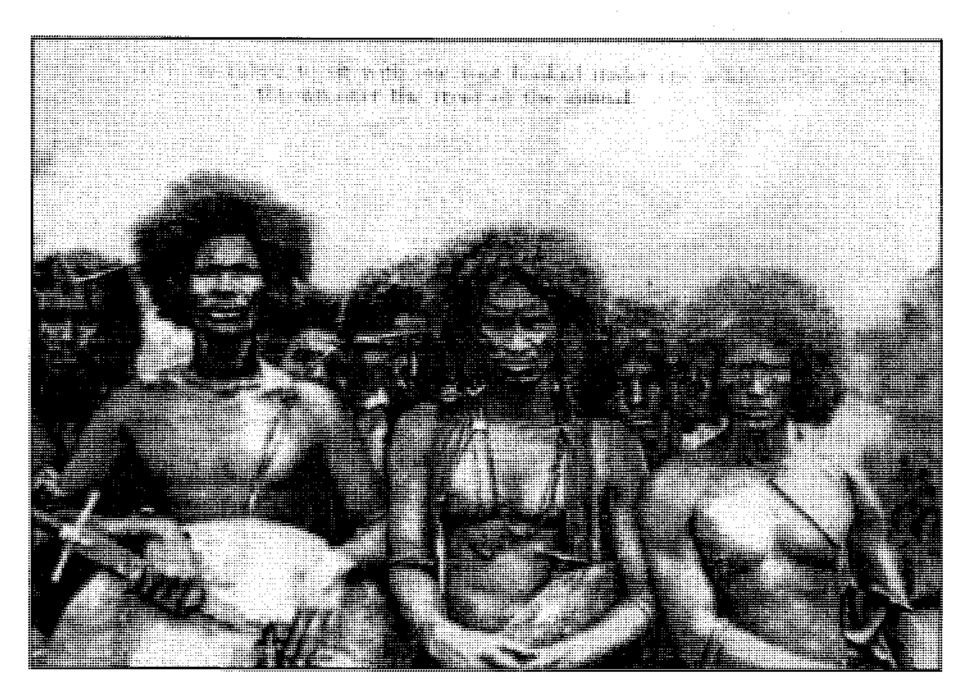

# ملحق الصور



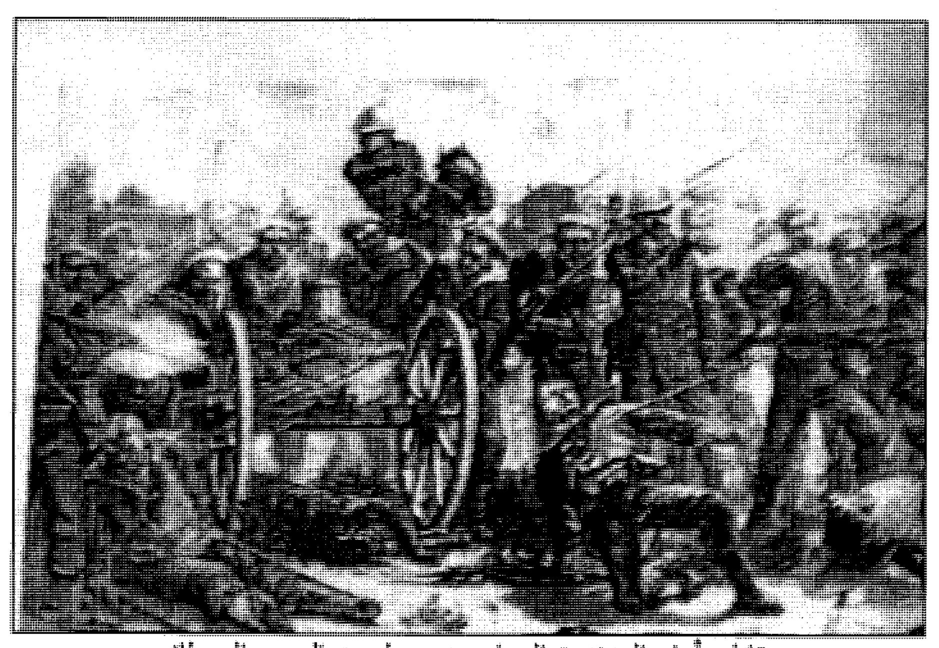
المؤلف محمد صالح ضرار اقتنى دائرة المعارف البريطانية سنة ١٩٢٦م
وربما كان أول إفريقي وسوداني وعربي اقتنى هذه الموسوعة في تلك السنة



أبناء البجة في ترحالهم



المقاتلون من أبناء البجة تحت قيادة أمير الأمراء الأمير عثمان أبو بكر دقنة



مقاتلو أبناء الهدندوة البجاويون يحطمون المربع البريطاني
في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي





الهجوم على المربع البريطاني من أبناء البجة، وانتهت المعركة بتحطيم المربع البريطاني وإشادة الشاعر الإنجليزي كبلنج بشجاعة المحارب البجاوي الذي خلد تلك الشجاعة في قصيدته «THE FUZZY WAZZY».



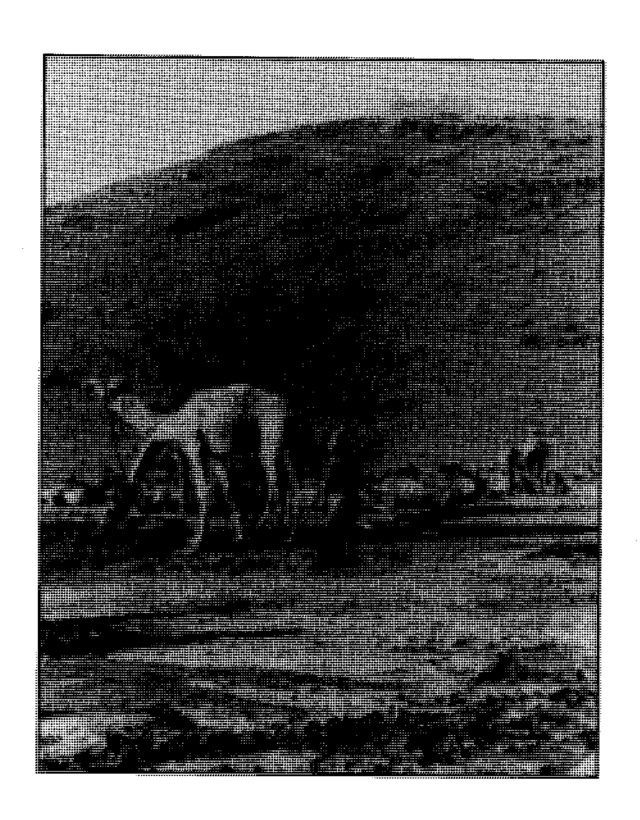
هَدَنْدوي من أبناء قبائل البجة
ومعه أحد أبناء الرشايدة

من نساء قبائل الرشايدة والزبيدية في إقليم البجة

منظر لجزيرة سواكن في أوج عظمتها



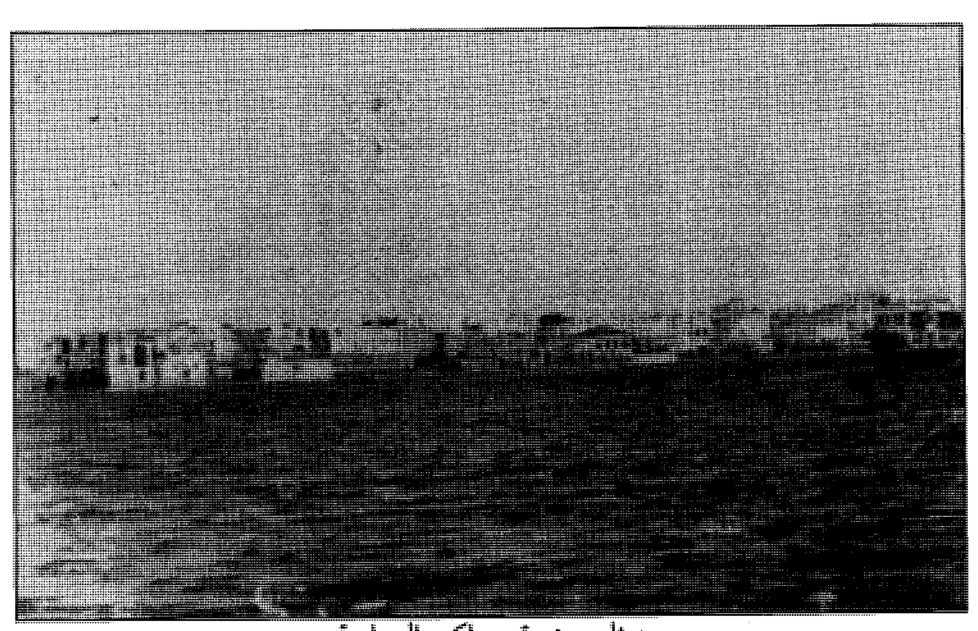
أبناء ميناء سواكن يحتفلون برؤية شهر رمضان المبارك
وهم خليط من البجة والعرب في أول القرن الميلادي العشرين



جمال قبيلة البشاريين البجاوية المعروفة بسرعة العدو



بعد حروب البريطانيين لقبائل البجة،
هنا انعقد الصلح بين هذا البجاوي والبريطانية



ميناء جزيرة سواكن البجاوية

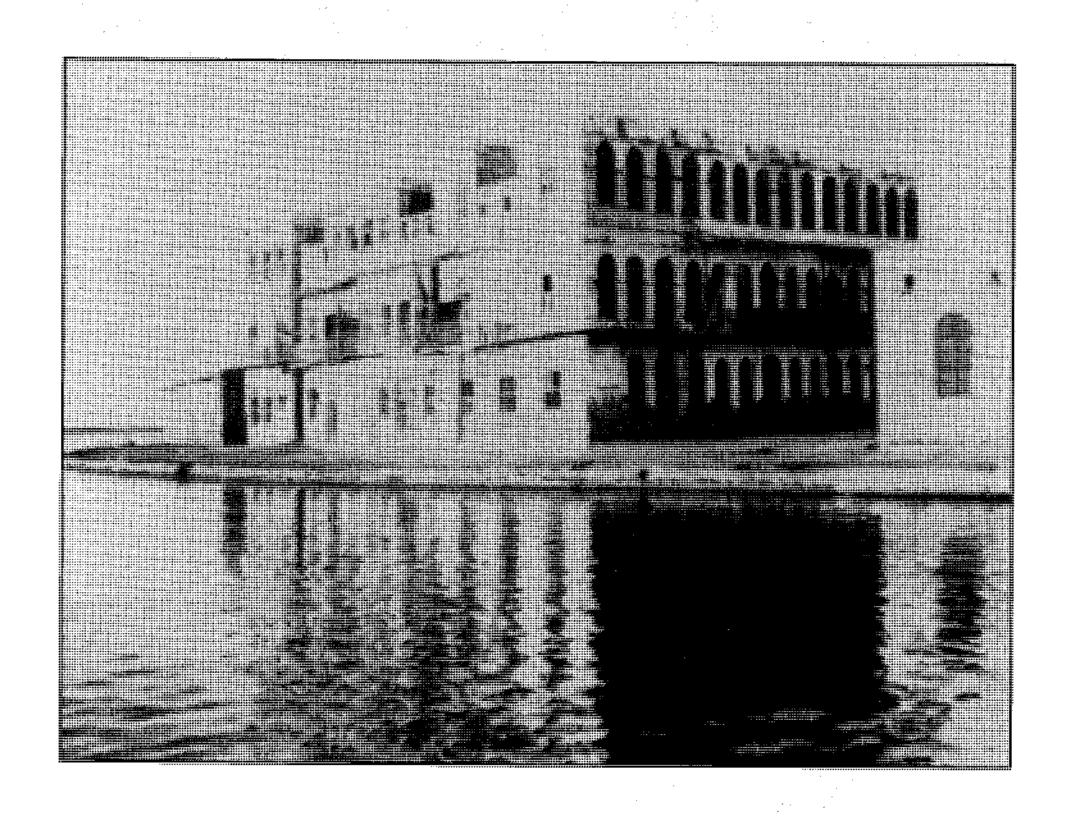
كما كانت في القرن الميلادي التاسع عشر وأوائل العشرين. . .



البريطانيون يحاربون البجة في بلادهم بشرق السودان

وكان أبناء البجة تحت قيادة أمير الأمراء عثمان دقنة (العباسي)

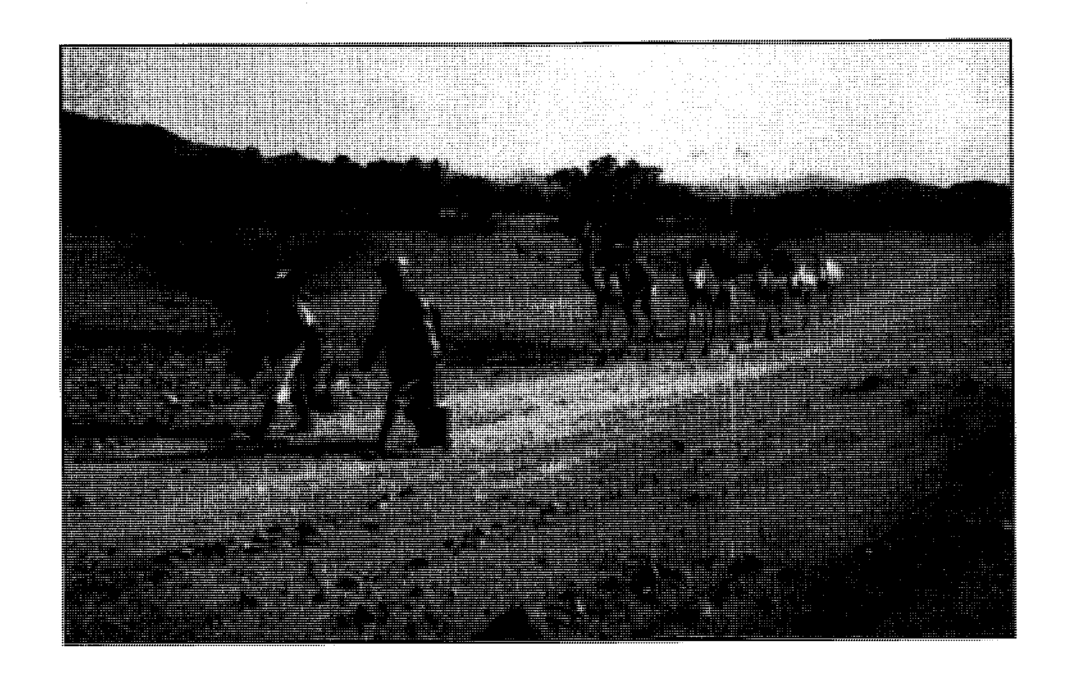
وجنود الحكم الثنائي تحت قيادة اللورد كتشنر البريطاني



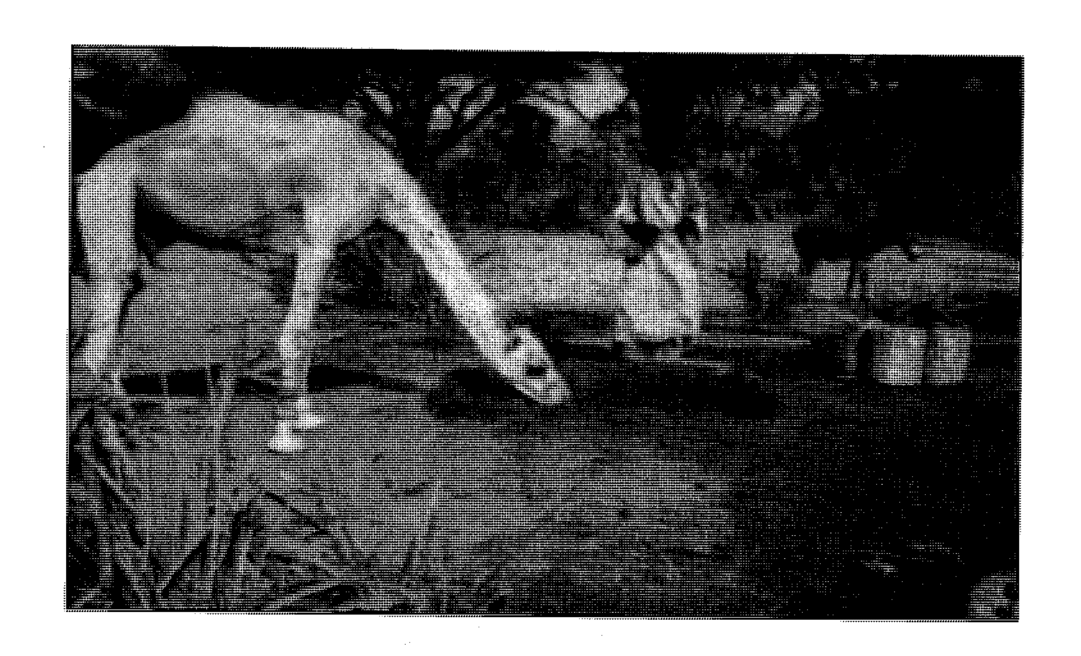
منزل الشيخ علي الجدّاوي بجزيرة سواكن ميناء البجة على البحر الأحمر



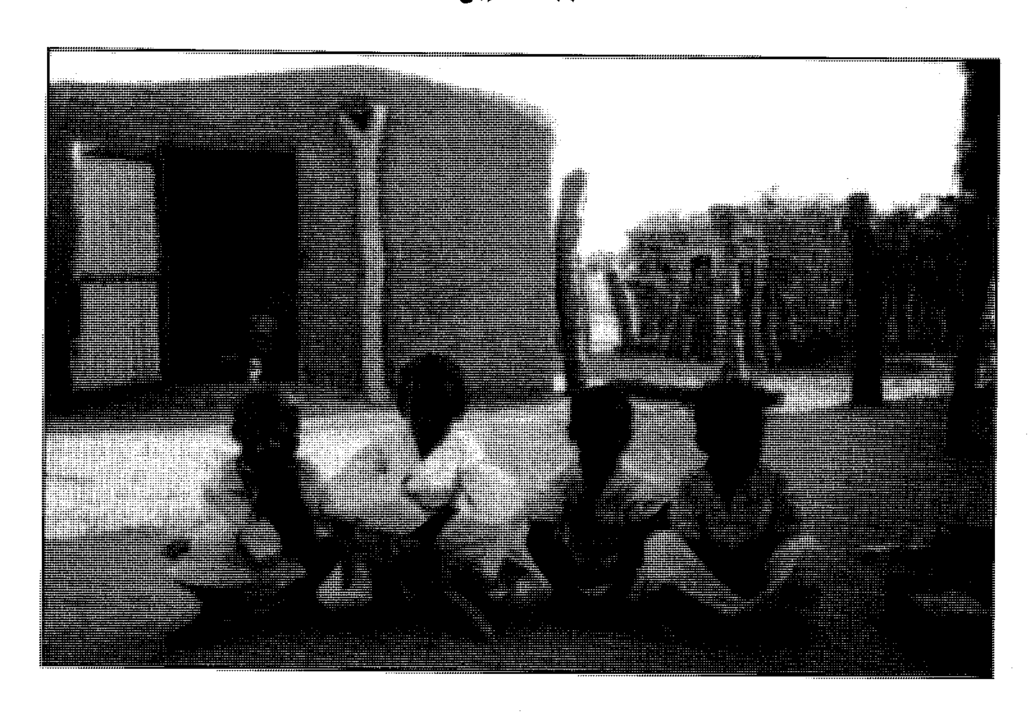
أبناء قبيلة الهدندوة البجاوية في إحدى حفلاتهم



من أبناء البجة في ترحالهم



البجة والإبل



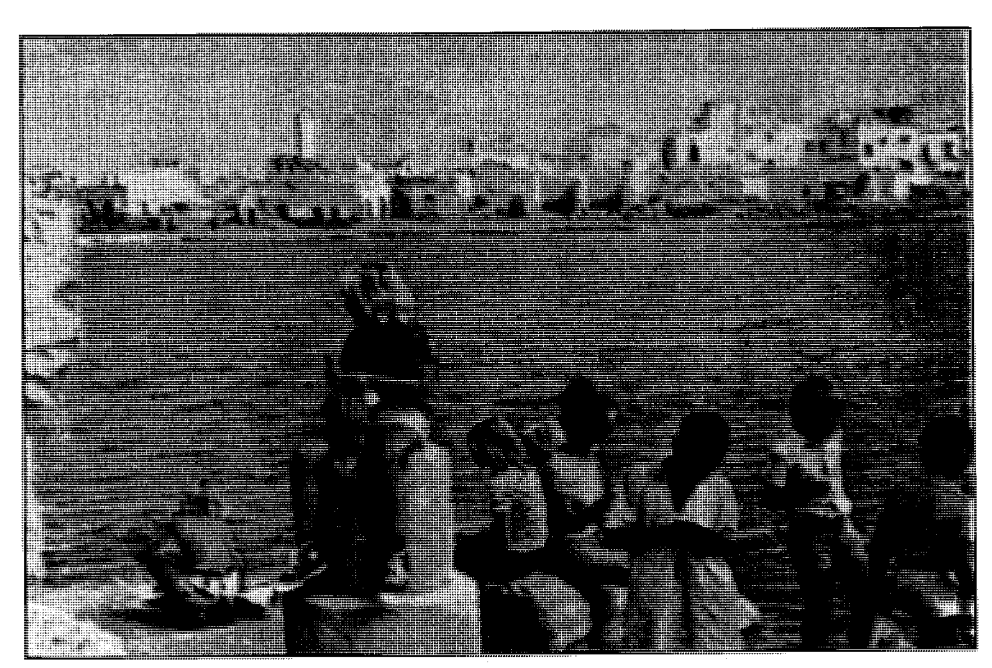
أطفال البجة



من مقاتلي أبناء البجة يحمل سيفه



من أبناء قبيلة الزبيدية والرشايدة الذين نزحوا إلى إقليم البجة
من الجزيرة العربية كما كان يفعل أجدادهم في أقدم العصور



السلام يعم أطفال سواكن البجاويين وأبناء بريطانيا العظمى،
واجتمعوا هنا لصيد السمك



أبناء البجة وجمالهم



من أبناء البجة